عقائد الإمامية
بين الأصيل والدخيل

محمد حسين ترحيني

مركز الدراسات الفكرية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن القرآن الكريم هو المصدر الرئيسي للتشّريع، فالله سبحانه وتعالى تكفّل بحفظه، حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1]، وتأتي السُّنّة في المرتبة الثانية بعد كتاب الله. فالقرآن الكريم وضع القواعد العامة والأصول والمبادئ لكل ما يحتاجه الإنسان في دنياه وآخرته، غير أنَّ السُّنّة قد تكفّلت بشرحها، وبيان مجملاتها، وتفريع الجزئيات على أصولها ومبادئها.

لكن هذه السُّنّة بما تُمثّل من مرويات عن الرسول، وعن أهل البيت عليهم السلام، تعرضت إلى هزات عنيفة، تمثّلت بنقل الأحاديث عن الرسول والأئمّة إلى الناس بعد تحريفها وخلطها بالباطل، وإدخال آلاف النصوص الموضوعة التي وضعها الدجالون والغُلاة وأصحاب الفِرَق السياسية الذين اندسوا بين أصحاب الأئمّة عليهم السلام ووضعوا الباطل في التشيُّع ليقضوا عليه منذ مطلع العهد الأموي، وبما أنَّ الفكر الديني يعتمد بشدة على النصوص الدينية المنقولة من جيل إلى آخر، لا سيّما النصوص الروائية بما تحمل من روايات، بُنِيَ على هذه الروايات عقائد وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من الالتزام الديني والمذهبي. وقد تكون هذه العقائد صحيحة أو غير صحيحة!، لأن ما بُني على الباطل يبقى باطلًا، حتى لو عُجن بالصحيح. والمشكلة تكمن في أنَّ هذه الأحاديث بعد أن تغلغلت في أمهات الكتب، جاء المحدّثون كالصدوق والكليني والطوسي والمجلسي وغيرهم ودوّنوا جميع الروايات والأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام من دون تمحيص أو غربلة، وبقيت تنتقل عبر العصور، بحسب تقدّم خط التشيُّع أو تراجعه. وقد أخذ خط التشيُّع يتقدّم وشقَّ طريقه إلى الأمام في زمن الشهيد السيد محمد باقر الصدر، ثمَّ ببركة الثورة الإسلامية التي فجّرها الإمام الخميني الراحل (قُدِّس سرّه) عام ١٩٧٨م، وأصبح التشيُّع ينتقل بسرعة إلى مواضع متقدّمة. ثمَّ جاء انتصار المقاومة الإسلامية (حفظها المولى) في جنوب لبنان عام ٢٠٠٠م، فَسَجَّلَ أُفقًا جديدًا للتشيّع، وأُرغم الكل

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

على الإقرار بشجاعتها وانتصاراتها، ممّا دفع براية أهل البيت عليهم السلام إلى الأمام والحمد للّه.

بيدَ أنَّ هناك حقيقة مُرّة يصعب على البعض ذكرها وهي أنه بقدر ما حقق التشيُّع الإمامي الاثنا عشري تقدُّمًا، أصبح من جانب آخر يواجه انهزامًا أو صدمة على الأقل بسبب ما يثيره بعض رجال الدين على منابر الحُسينيات التي تبثها القنوات الفضائية المحسوبة على التشيُّع، وهم بذلك يساهمون بشكل كبير في ضرب التشيُّع بالصميم من خلال ما يعرضون من لعن وقذف وفكر هزيل وقصص خُرافية خالية من المضمون، وهذا ما أشار إليه المرحوم الدكتور الشيخ أحمد الوائلي «رحمه الله» حين قال: **«تريدوننا أن نصل إلى مستويات نتحوّل فيها إلى مُخرّفين في أنظار الناس، الحُسين لم يأتِ حتى الناس يعيشون بالخُرافات، أو يعيشون بالتوافه، الحُسين لم يأتِ ليتحول إلى وسيلة من وسائل الابتزاز والسخف والخُرافات، الحُسين لم يأتِ ليملأ قرائح بعض المخرِّفين.. المرتَزقة.. التافهين»**[1]!!

منذ سقوط صدّام في العراق، ظهر بعض الخُطباء المسرحيين، فاستثاروا العواطف الجريحة، في وقت كان الشِّيعة يتعطشون لحديث أهل البيت، فكانوا يستوعبون كل شيء، فوقعوا ضحية السفاسف والخُرافات التي تنتشر على بعض منابر الفضائيات. فهنا خطيب يريد أن يُثبت أحقية أهل البيت بالغلوّ والخُرافة والأكاذيب، وذاك رادود يمثّل دور راقص يلعب على المسرح. وثمة رجال دين لا يتقنّون إلّا إطلاق الكلام الرخيص والأحلام وبث الفرقة ونشر التوتر بين السنّة والشِّيعة!.

إن فكر أهل البيت قائم على قواعد وثوابت تنشر التهذيب في العرض وتدعو إلى الرحمة والمحبّة لجميع البشر، سواء اختلفنا معهم في الدين، أم في السياسة وهذا ما ورد على لسان الإمام علي عليه السلام، حين قال: **«النّاس صِنْفَانِ: إمَّا أخٌ لَكَ في الدِّينِ وَإمَّا نَظِيرٌ لَكَ في الْخَلْق»**[2]. وهذا ما تعلّمناه من سيرة أئمتنا عليهم السلام.

والإنسان الذي هو نظيرٌ لك في الخلق هو الذي تلتقي معه في الإنسانية، عليك

(١) نقلًا عن اليوتيوب تحت عنوان: «الشيخ الوائلي وشعائر الإمام الحسين».
WWW. Youtube.com/Watch? V= Bin Rm - 2H1j0.

(٢) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ) ط-٢، ج١٧، ص٣٢، خطبة (٥٣).

أن تفتح له قلبك لتتعامل معه كما يتعامل الإنسان في إنسانيته مع الإنسان الآخر. يقول الإمام علي عليه السلام «**يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وتَعْرِضُ لَهُمُ العِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ والْخَطَأ فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ**»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ألا أخبركم بخير خلائق الدُّنيا والآخرة؟ العفو عمّن ظلمك، وأن تصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك، وفي التباغض الحالقة لا أعني حالقة الشَّعر ولكن حالقة الدين**»[2]. ولأن أهل البيت عليهم السلام هم قدوتنا في سلوكنا، فلنرَ ماذا يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا الاتجاه في دعاء أبي حمزة الثمالي عندما يقارن العفو عند الله بالعفو عن العباد الآخرين: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ فِي كِتابِكَ العفو وأمرْتنا أنْ نعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَنا وَقَدْ ظَلَمْنا أَنْفُسَنا فَاعْفُ عَنَّا فَإِنَّكَ أَوْلَى بِذلِكَ مِنَّا**»[3].

وعودًا على موضوع النصوص المرويّة، فإنَّ المشكلة تكمن في أنَّ هذه الروايات الموضوعة بُنيت عليها عقائد أبعدتنا عن جوهر الدين الحقيقي، حيث تسللت نصوص على غرار الإسرائيليات إلى كتبنا، وفيها ما هو شرك بالله عزَّ وجلّ[*]، ثمَّ جاء بعض الخُطباء والوعاظ، وبعض رجال الدين الذين لا يفقهون علم الرجال والأسانيد فاعتمدوا عليها، وأخذوا يبثّونَها لجهلهم ببطلانها، ولعاطفتهم الجياشة تجاه أهل البيت عليهم السلام، ثمَّ أخذت هذه النصوص الموضوعة تُصبح أساسيةً في عادات الناس وأصبح من الصعب أن تقنع الناس أنّها عقائد باطلة إلّا بالدليل العلمي والعقلي، لذا كانت مسؤوليتنا أن نستكمل خطوات كثيرة قام بها بعض العلماء والمحققين في محاولة لتعرية هذه العقائد الفاسدة وتوضيح بطلانها إلى الناس.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ط٢، ج١٧، ص٣٢، خطبة (٥٣).

(٢) بحار الأنوار، ج٦٦، باب ٣٨، رواية: ٨٤ ص٧٩٧.

(٣) دعاء أبي حمزة الثمالي، مفاتيح الجنان، دار البلاغة/ بيروت، ص٢٣٢.

(*) وهذا ما أشار إليه المحقق السيد كمال الحيدري حينما قال: «**إن الكثير من الروايات الشيعية مدسوسة ومنقولة إلينا من كعب الأحبار من اليهودية والنصرانية والمجوسية**». راجع:
http://WWW. Youtube.com/Watch? V = Ylokk4xncfu & Feature = Youtube gdata player.

لقد ارتفعت في الوسط الشيعي على مر التاريخ أصوات كثيرة تدعو إلى تنقية المذهب من العقائد والخرافات التي أُلصقت به على مرّ العصور، ولكن جماهير عُلماء الشِّيعة رفضوا هذه النداءات، بل ووضعوا سدًا منيعًا في وجه كل شيعي عاقل يفكر في ركوب قطار التصحيح، وصوّروا للأتباع أن كل من ينتقد التشيُّع هو عدوٌ لأهل البيت عليهم السلام، وهابي مقنّع مأجور للدولة السعودية الوهابية، يتلقى منها الدعم المادي والمعنوي للقضاء على المذهب الحق! وهكذا ساد الخوف في أوساط هؤلاء الأتباع من سماع أي صوت يدعو إلى المراجعة، فلم تجد دعوات التصحيح على كثرتها آذانًا صاغية إلَّا من القلة القليلة ممن تجرّدوا وصبروا على ترك الموروث والمألوف...

فكان لزامًا على الدعاة المهتمين بالخط الصحيح لأهل البيت عليهم السلام أن يظهروا ويشهروا لعوام الشِّيعة عقائد وطقوسًا ومواقف أُلصقت بالمذهب، ومن ثَمَّ يحرصون على نبذِها ورفضها.

أنا أعرف أن هذه المواضيع تلامس عواطف الناس، لارتباطها بالموروث، ولكن إلى متى نبقى نعيش في عقائد مغلوطة وطقوس غريبة أحطناها بالقداسة وهي أبعد ما تكون عمّا مضى عليه أئمتنا عليهم السلام؟! وأنا أعلم بأنَّ المتاجرين بالدين المشغولين دومًا بحراسة مصالحهم ومراكزهم من غضب الحقيقة سيغضبهم هذا الكتاب، وأعرف أنَّ هذا الكتاب يسبح عكس التيار، لكنني أثق أن هناك الكثير ممّن يؤمن بما نؤمن، ويعتقد أنه الصواب، معتمدًا على الله وحده، ومستعينًا به في جميع أموري مهتديًا بقوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٣٩﴾[1].
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧﴾[2]. ورد أنَّ الله تعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له، قيل وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا ينهى عن المنكر...**»[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.
(٣) وسائل الشّيعة ـ المجلد ١١، ص٢٩٧. **وهو الحديث الذي تفاعل معه الإمام الخميني وفعّله في رسالته العمليّة ـ تحرير الوسيلة ص٤٢٤، ورسم مبناه الفقهي على أساسه وقاد من خلال ذلك ثورته الإسلامية الكبرى داعيًا إلى تبنّي المشروع الإسلامي النهضوي المعاصر...**

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«لاَ تَتْرُكُوا اَلأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ»**[1]. مقتديًا بقوله عليه السلام: **«أيُّها النَّاسُ لا تَسْتَوْحِشُوا في طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّة أهْلِهِ؛ فَإنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ**[2] **وجوعُها طويلٌ»**[3].

نعم هذا صحيح لأنني وخلال أربع سنوات ونيّف من البحث والتحقيق بتوفيق من الله عزَّ وجلّ، كنتُ أقصد أحيانًا بعض العلماء لأطلعهم على بحوثي، فوجدتهم يتهربون حينًا، ويمتعضون نفسيًا حينًا آخر، كأنها تحاول أن تُوقظهم من الاستغراق في حلم جميل... وقد تأكدت من وجود حالة نفسية عقائدية تحول دون ممارسة البحث العلمي، أو نقد تلك الروايات التاريخية!

إنَّ البعض يتلذّذ بنقد عقائد الفِرَق الأُخرى، والاستهزاء برجالها الضعاف الوضّاعين، ورواياتها غير المعقولة، ولكنّه عندما يواجه قضية مشابهة تخصّ مذهبه، فإنه يغمض عينيه، ويتذرّع بالجهل وعدم الاختصاص، ويرفض أن يُشغّل عقله قليلًا، ويفضّل أن ينام على ما ورثه من خُرافات وأساطير.

هذه الموروثات الباطلة من خُرافات وأساطير لطالما تعوّدَ بعض مُعَمَّمِي المذهب وخطبائه غرزها في قلوب الأتباع بالطرق العاطفية والملتوية، واستخدموا اسم أهل البيت ومظلوميتهم، فلا يشعر الأتباع بها إلَّا وقد أصبحت مُعتقدًا يدافعون عنه بكل جوارحهم، ويتعصبون له، ويتأولون له، قدر ما يستطيعون. هؤلاء الخطباء والمُعَمَّمُون لطالما ارتدوا عباءة القداسة والتباكي على مظلومية أهل البيت عليهم السلام، **ليضمنوا معيشتهم ومواردهم المترعة بالعافية والرخاء على حساب الحقيقة ومهما استخدم هؤلاء شعارات الولاية وما شابهها، فإنَّ الزمن كفيلٌ بإيقاظ الجيل الجديد ولو تدريجيًا وببطء. ليكتشف أنه يعيش الغفلة عن الحقيقة!**

نحن أمام صنفين من رجل الدين. الأول مُوظَّف عند الدين والناس، ويعمل لخدمتهم، ويدفع حياته وكل ما يملك في هذا الطريق. والثاني يوظِّف الدين

---

(1) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ) ط٢، من وصية له عليه السلام للحسن والحسين لما ضربه ابن ملجم، ج١٧، ص٥، خطبة (٤٧).

(2) المائدة هي مائدة الدنيا فلا تغرنكم رغباتها فتنضم بكم مع الضالين في محبتها فذلك متاع قليل.

(3) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء التراث الإسلامي (١٩٦٥م - ١٣٨٥هـ) ط٢، ج١٠، ص٢٦١، خطبة (١٩٤).

والناس، ليقوموا بخدمته وخدمة مصالحه، ومشاريعه باسم الدين، وإذا استذكرنا الثورة الإسلامية المباركة للإمّام الخميني (قُدِّس سرّه)، فسنرى أن التهم كانت تنهال على رجالات الثورة المضحيّن من الأوساط الدينية، حتى إنَّ هذه التهم انهالت على رأس الإمام الخميني بشكل أو بآخر، وهذا ما يؤكده قول الإمام حرفيًا: «**إنَّ الضربات التي تلقيتها من مُدَّعِي القداسة والمُعَمَّمِين - الذين يرتدون الزيّ الديني - السُذّج، كانت أشدّ وقعًا عليَّ ممّا تلقيته من أمريكا وإسرائيل**»[1]!؟

وقد وصفهم العلامة الشهيد مطهري بالخوارج «الذين جلبوا الويلات للإسلام، من خلال جهلهم وتخلّفهم وأفقهم المحدود، الذين يمضون الليل في العبادة، حيث أخذوا يجرّون الإسلام نحو الرهبانية والإنزواء وروّجوا لسوق التظاهر والرياء»[2]، إذ تحدّث عنهم في كتابه «**الإمام علي في قوتيه الجاذبة والدافعة**» **قائلًا**:

«**إنَّ خطر جهل أمثال هؤلاء الأفراد والجماعات أكثر من مجرد الوقوع كآلات بيد الأذكياء الذين يريدونهم حجر عثرة في طريق المصالح الإسلامية العليا...**»[3] «**إن الخوارج قد مات شعارهم، إلَّا أنّ روح مذهبهم ما يزال حيًا من خلال ذوي الأدمغة الجافة**»[4]، إنَّ هؤلاء «**راحوا يسلقون رجال الفضل والفضيلة بألسنة حداد، فألصقوا بكلّ صاحب فضل تهمة من التهم، بحيث إنّنا قلّما نجد أحد الفضلاء في تاريخ الإسلام ممن لم يتخذه هؤلاء الخوارج هدفًا لسهام اتهاماتهم**»[5].

والواقع أنّ مثل هؤلاء المتدينين الجهلة الذين تحدّث عنهم الشهيد مطهري، لم توفر حملاتهم مطهري نفسه، وغيره من أعلام الأمة من المصلحين الكبار، فقد طالت الشهيد السيد محمد باقر الصدر الذي اتهمه البعض بأنه يملك «**فكرًا التقاطيًا**»، وهي لم توفر أيضًا الإمام الخميني الذي عانى ما عاناه ممن وصفهم بـ «**الأفاعي الرقطاء**»، كما طالت السيد محمد حسين فضل الله الذي تعرّض لواحدة من أشرس حملات التخلّف والتحجر والعصبية.

---

(١) صحيفة النور، الجزء ٢٢، ص٢٠.

(٢) مقتبسة من كتاب «الإمام علي في قوتيه الجاذبة والدافعة»، العلّامة الشهيد مطهري، دار الإرشاد، ط١(١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) ص٣٦٨.

(٣) نقلًا عن كتاب: الإمام علي في قوتيه الجاذبة والدافعة»، مصدر نفسه، ص٣٦٩.

(٤) (٥) «الإمام علي في قوتيه الجاذبة والدافعة» مصدر نفسه، ص٣٧١.

(هؤلاء أصحاب القداسة الذين يلهجون باسم «علي» صباحًا ومساءً أسألهم: لماذا لم تقرأوا عليًا عليه السلام من ينبوعه الأصلي؟ لماذا لم تُيمّمُوا وجوهكم نحوه قط بالرغم من وجوده في هذه الدنيا؟

لماذا تذكرون كل هذه المكارم والفضائل والمدائح في علي عليه السلام، لكنكم لا تريدون أن تسمعوا عليًّا يتحدّث معكم أبدًا؟

لماذا تكتبون وتقرأون الكتب الدينية التي أُلّفت في الإمام علي عليه السلام وتحتفظون بها في بيوتكم... ولكن... لا تتعاملون مع «نهج البلاغة»؟! ولا تقرأونه وتخفونه عن الناس...!!؟

إذا طالعنا كتاب «نهج البلاغة» نجد فيه نصوصًا على شكل مقالات كأنها رشحات من دماغ فيلسوف عبقري، ثاقب النظر، دقيق الفكر... فلا تستطيع التصدّيق أبدًا أن يكون هذا الشخص بهذا المستوى من العمق، ويحمل نظرة كونية لهذه السعة والشمول، ويمتلك نظرة عقلية واستدلالًا منطقيًا جذابًا بهذا المستوى، وهو في ذات الوقت عامل، فلاح، وخطيب اجتماعي، ومقاتل عسكري، وأمير حرب متمرّس يخوض ساحات الوغى وميادين الدم والسيف!

علي عليه السلام نموذج مثالي في العبادة، الوحدة، العدل، الزهد، حتى اتخذه العرفاء وأقطاب التصوّف بطلًا وقدوة ورمزًا.

من يقرأ عليًّا عليه السلام يرى حالاته ومناجاته في خلواته مع ربّه وفي معراجه الروحاني وتحليقه الروحي... إنّه رجل محارب شديد، ولكنه ـ هو بنفسه ـ ذلك الرجل الذي يذوب رقّة، ويفيض رأفة، وتتفجّر منه العواطف والمشاعر المرهفة...

هذا الرجل استحوذ على قلوب الناس، وامتلك عواطفها طوال قرون متمادية من العذاب والمعاناة، بحيث احتفظت الأمّة بحبه سنين طويلة، وتحملت من أجل ذلك ثمنًا باهظًا، ودفعت ضريبة قاسية في السجون والمعتقلات وأقبية التعذيب.

ولكن هل يكفي أن نحبه؟! إننا بحاجة إلى «معرفة» علي لا إلى «حبه» فقط! فالحب بلا معرفة لا قيمة له، ولا وزن لحبّه دونما معرفة وفهم دقيق وصحيح لأهدافه وأقواله وتعاليمه...

إنَّ أصحاب القداسة والتباكي يعلمون لماذا وكيف يعظّمون عليًا بمستوى عالٍ من الدهاء، بِيْدَ أنَّهم لا يتحدّثون عن علي كلمة واحدة... أعني جوهر علي عليه السلام من عدل وصدق ورحمة ومحبة وتقوى وورع وعرفانه عليه السلام وذوبانه بالله...

إننا ـ وللأسف ـ لا نعرف منْ علي سوى سيفه وبطولاته..!! تعظيم وتكريم لعلي من دون استكشاف لشخصيته وتعريف بحقيقته وتعاليمه ومنهجه...

عقيل أخو الإمام علي عليه السلام الأكبر... وعلي يحترمه كثيرًا، ويكنّ له التقدير، ويتألم له كثيرًا لأنه فقير أعمى... ولهذا كان يشعر بالرحمة والعطف عليه.. والآن وصل علي إلى الحكم، فجاء أخوه يجرّب حظه.. إنّ لي زوجة وأطفالًا صغارًا وعيالًا و...

فأحمى له علي عليه السلام حديدة، وقرّبها من يده، فضج عقيل صارخًا: ماذا تصنع لقد أحرقت يدي؟! فأجابه علي: «**ثكلتك الثواكل يا عقيل: أَتئِنُّ منْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إنْسَانُهَا لِلَعَبِهِ، وتَجُرني إلى نارٍ سَجرهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ؟! أتَئِنُّ مِنَ الأَذَى، ولا أئِنُّ منْ لَظَى؟!...**»[1]. فخرج عقيل، ولم يعد يصبر على عدل علي عليه السلام وزهده وصرامته في طريق الحق... وذهب إلى معاوية!

نعم هذا هو علي، علي الذي لو أُعطي «**الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ يَعْصِيَ اللهَ في نَمْلَةٍ يَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ**[2] **ما فعل! لأنَّ دُنْيَاكُم عِنْدِهُ لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ في فَمِ جَرَادةٍ تَقْضَمُهَا، مَا لِعَليٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى**»[3]!! ولكنه يريدنا لله، ونحن نريده لأنفسنا ولطالما ردّدَ أمام شيعته:

«**لَيْسَ أَمْري وَأَمْرُكُمْ واحدًا، إنّي أُريدُكُمْ لله وأنْتُمْ تُرِيْدُونَني لأنْفُسِكُمْ...**»[4]؟؟!!

---

(١) من كلام له عليه السلام يتبرأ من الظلم. شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية، (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م) ط٢، ج١١، ص٢٤٥، خطبة (٢١٩).

(٢) جلب شعيرة ـ بكسر الجيم ـ قشرتها، وأصل الجلب غطاء الرحل فتجوز في اطلاقه على غطاء الحبة.

(٣) مقتبسة من شرح نهج البلاغة، من كلام له عليه السلام يتبرأ من الظلم، ج١١، ص٢٤٥، خطبة (٢١٩).

(٤) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م) ط٢، ج٩، ص٣١، خطبة (١٣٦).

ورد أنَّ الإمام علي عليه السلام في أواخر أيامه كان متألمًا متوجعًا يطلق الآهات والزفرات. . . إذ وقف يومًا يقول: «**أَيْنَ إخْوَاني الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أيْنَ عَمَّارٌ؟ وَأَيْنَ ابْنُ التيِّهان؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُم مِنْ إخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمنِيَّةِ. . .**»[1] حتى ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ، فبكى، وأطَالَ الْبُكَاءَ. . .

كان عليه السلام يندّد بالشعارات والطقوس الفارغة، إذْ كان معاوية مثلًا يقرأ القرآن، ويقيم الصلاة، ويحجّ البيت، ويصوم رمضان، ويمارس شعارات وطقوسًا نظرية خالية من التطبيق والمضمون. أما علي عليه السلام فعمل بما يمليه عليه دينه من إخلاص في العمل، وكشَفَ الفاصلة بين الصدق والإدّعاء والنظرية والتطبيق، فكان يقول مثلًا: «**كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إلَّا الظَّمأُ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إلَّا السَّهَرُ وَالْعَنَاءُ. حبَّذَا نَوْمُ الأكْيَاسِ وَإفْطَارُهُمْ**»[2]. وكان مما أوصى به ولده الحسن عليه السلام قوله: «**صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ والصِّيَامِ**»[3].

للأسف، إن الشّيعي يُجيد إنشاد الشعر، وكتابة النثر في مدح الأئمّة عليهم السلام، والثناء عليهم، والإشادة بخصالهم، ونقل مناقبهم وكراماتهم وأفعالهم الخارقة للعادة، والخصوصيات الغيبية والمعجزات التي ظهرت على أيديهم قبل الخِلْقة وبعدها، وقبل الولادة أو أثناءها، وعند الموت، وفي القبر، وفي عالم الرؤيا والمنام واليقظة والإنتباه. . لكن هذا الشّيعي الموالي لأهل البيت لا يتطرق لذكر حديث تربويّ عن الأئمّة عليهم السلام، يوضّح طريقة عيشهم ومنهجهم في التفكير والسلوك والتعاطي مع قضايا المجتمع والزمان، وما هو الأثر الذي خلّفه كلّ واحد منهم بعد الوفاة والرسالة التي حملها أثناء الحياة. . . !)[*]

---

(١) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية، ط٢ (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م) ج١٠، ص٩٩، خطبة (١٨٣).

(٢) شرح نهج البلاغة: مصدر نفسه، ج١٨، ص٣٤٤، حكمة (١٤١).

(٣) شرح نهج البلاغة: من وصية له للحسن والحسين لما ضربه ابن ملجم، مصدر سابق، ج١٧، ص٥ خطبة (٤٧).

(*) مقتبسة (بالتصرف) من كتاب «الإمام علي في محنة الثلاث» الآثار الكاملة (٢)، دار الأمير، بيروت/لبنان، ط٢ (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م). الدكتور علي شريعتي.

إنَّ الأئمّة عليهم السلام أبْتُولوا وظُلموا من أعدائهم أولًا، ومن المحيطين بهم ثانيًا على السواء! فقد كان هناك متربصون من جهة، وجهّال غُلاة من جهة أُخرى!

هؤلاء الغُلاة وجهوا أكبر ضربة للتشيُّع عندما استطاعوا إخفاء حقائق الدين واستبدلوها بالخرافات والموضوعات.

لاسبيل إلّا في البحث والتحقيق الحُرّ والموضوعي لتعرية هؤلاء المتربصين والغُلاة، وكشف موضوعاتهم ودسائسهم، لأنه ـ وللأسف ـ بعض عُلماء مذهبنا غارقون في وحول هؤلاء الغُلاة من خُرافات وأساطير وغافلون عن كتاب الله!

أدعو علماءنا الأفاضل المخلصين إلى قراءة هذا الكتاب دون أحكام مسبقة قراءة واعية ذات مسؤولية أمام الله ورسوله وأهل بيته: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1]، وعدم الانفعال والتزام الهدوء حتى الفراغ من قراءة الكتاب بكامله، لكي يستطيعُوا أن يخرجوا بالنتيجة المرجوة والغاية المطلوبة، لأن البعض عندما لا يملك الحُجَّة العلمية، يمارس الحصار على الرأي الآخر، والتضليل الإعلامي لإسقاط الرأي المخالف بتزوير الحقائق، واتهام المخالف بالباطل المطلق!

والغريب أنهم يشنّون هجومًا عنيفًا على الشخص، لا فكره، وهذه الطريقة تُعطي انطباعًا عن ضعف المقارعة بالدليل والحُجّة، واللجوء لتهشيم الشخصية بذاتها لا بفكرها!

لقد وقع البعض في غلطة كبرى، وعاشوا العزلة والتقوقع حتى اليوم نتيجة استبدادهم بالرأي وتكفير الآخرين، وهاهي الحالة نفسها ـ وللأسف ـ عند بعض الشِّيعة، أو من يصفون أنفسهم بالولائيين، الذين يعيشون في سجون أفكارهم التي اخترعوها، ولا يريدون الخروج منها!

إنَّ مناقشة الموروث من العقائد لا يستدعي الكُفْر والفسق والضلال والانحراف... والغريب أنه عندما تناقش بعض العقائد، ستجد ظاهرة ثقافية خطيرة تستدعي الدراسة والانتباه والتفكير، تتألف هذه الظاهرة من عدة عناصر، هي:

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

١ ـ احتكار الإيمان بالله تعالى والتقوى والورع، والإخلاص وتجريد الطرف الآخر من كل ذلك.

٢ ـ احتكار العلم والفهم والمعرفة واتهام الخصم بالجهل وعدم الإدراك وعدم التخصص.

٣ ـ ادعاء الحرص على الدين والوحدة الإسلامية، لكنهم بالمقابل يقومون بتمزيق الصفوف وإثارة الفتنة بالتهجّم على رموز الطرف الآخر.

٤ ـ ممارسة كامل الحرية في النقد والهجوم وعرض الأفكار الذاتية، وحرمان الطرف الآخر من التعبير عن نفسه وكبته وخنقه.

٥ ـ الحوار العشوائي غير المباشر وغير الممنهج والتمسك بالأحكام المسبقة قبل الدخول في الحوارات التي غالبًا ما تكون مهاترات لا تُفضي للوصول إلى الحقيقة.

٦ ـ انتهاج الأسلوب الخطابي العاطفي وتجنُّب الحوار العلمي الهادئ.

٧ ـ تضخيم بعض الأمور الجزئية والتطرّف والتعصب لها.

وتأتي خطورة هذه الظاهرة في أنها تُشيع الإرهاب الفكري مِمّا يحول دون البحث العلمي، وهذا يقود إلى مصادرة حرية الاجتهاد، والدعوة إلى التعايش مع البدع والخُرافات والأساطير!

لا بد من احترام جميع وجهات النظر الاجتهادية داخل الإطار الإسلامي عامةً، وداخل الإطار المذهبي خاصةً، واحترام أصحابها، وعدم تكفيرهم أو تفسيقهم وإخراجهم من الدين لمجرد الاختلاف، ولا يجوز لأي أحد ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة، وأن السبيل للوصول إلى الحق هو بالحوار الهادئ الموضوعي، والاستماع الجيد إلى وجهات نظر الآخرين، وإذا اختلفنا، فهذا لا يعني الخلاف الذي يقود إلى التسقيط والتشهير والتحريض والإفتراء، إنّما التمحيص والتنافس وصولًا إلى الحقيقة، ولعلّ أوّل ما يجب أن نتعلمه هو كيفية الاختلاف قبل أن نتعلم كيفية الاتفاق!

وهذا ما أشار إليه سماحة السيد الخامنئي (دام ظله) حين قال: «**إنَّ تضارب**

الآراء والاختلاف في المناقشات هي من الأمور المفيدة البنّاءة، بل هي من الضرورات ومستلزمات التقدّم، ولكن يجب أن تتم في جو سليم وهادىء وبعيدًا عن الانفعال والإثارة، وخالٍ من الممارسات غير الأخلاقية. . .»(١)

ولعل أصدق مثال قرآني على طرح الرأي والرأي الآخر هو ما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾(٢)، وفي إشارة واضحة ودقيقة على طرح أربعة آراء في هذه الآية، والحسم الخامس الذي تُرك شأنًا من شؤون الله تعالى، ليبقى باب الحوار مفتوحًا، ويبقى سببًا من أسباب التكامل أو الاختلاف المؤدي إلى التكامل. وهكذا في عشرات الآيات التي وردت فيها كلمات (قال وقلنا وقالوا وقل)، وكلّها تؤكّد النقد وطرح الرأي والرأي الآخر بلا حساسيّة أو تهيّب أو تعشّق أو شعور بالذنب أو التقصير، وخاصةً أنَّ كل نقطة نناقش فيها مؤيّدةٍ من قِبلْ ثُلّة من أكابر علمائنا.

لقد شهد تاريخ الشِّيعة الطويل تطورات ومنحنيات ومفارق عديدة أدت إلى حدوث الفِرَق الشّيعية(*)، وكان بعض التحولات سلميًا وعلميًّا وهادئًا، بينما كان بعضها الآخر يتسم بالعنف والدم والتهريج والعداوة والبغضاء كالمعركة بين الإخباريين والأصوليين في القرن الماضي. . .

ونحن اليوم في مرحلة حضارية كبيرة، مسؤولون فيها أمام الله، ومطالبون بتنقية المذهب من الشوائب العالقة من موضوعات ودسائس وفصل الدخيل عن الأصيل!.

راجيًا من الله (عزَّ وجلّ) أن يتقبل عملي ويوفقني لمراضيه، ويجنبني معاصيه آمين رب العالمين.

---

(١) كيهان العربي، ٢٤ محرم ١٤١٧هـ.

(٢) سورة يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(*) راجع: «فِرَقُ الشّيعَة» للشيخ المتكلم الحسن بن موسى النوبختي من أعلام الإمامية في القرن الثالث الهجري، دار الأضواء/ بيروت، ط٢ (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

الفصل الأول

الغلوّ في أهل البيت عليهم السلام

- ❖ **فضائل أهل البيت عليهم السلام**
- ❖ **حب أهل البيت عليهم السلام بين الاعتدال والغلوّ**
  - ـ معنى الغلوّ
  - ـ ظروف وأسباب نشأة ظاهرة الغُلوّ
  - ـ أشكال الغُلوّ: التفويض
  - ـ الأئمّة عليهم السلام يبرؤون من المفوّضة والغُلاة
- ❖ **المفوّضة يقولون أن الله فوّض أمر الرزق إلى حُججه فهل هذا صحيح؟**
- ❖ **الغُلاة كفّار والمفوّضة مشركون**
- ❖ **بشرية الأنبياء**
- ❖ **هل الأئمّة عليهم السلام يعلمون الغيب؟**
  - ـ الإمام المهدي يتبرأ من المغالين
  - ـ أقوال عُلماء الإمامية في أنَّ الأئمة لا يعلمون علم الغيب
- ❖ **مقولات الغُلاة وفِرَقِهِم القديمة والمعاصرة**
  - ـ موقف أهل البيت عليهم السلام من الغُلاة
  - ـ بُغضْ أهل البيت عليهم السلام وآثاره
  - ـ الإعتدال في محبّة أهل البيت عليهم السلام
- ❖ **ذكرُ اللهِ عزَّ وجلّ**
- ❖ **أول درجة في الغلوّ نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم** (الشيخ الصدوق)
- ❖ **التطوّر العقائدي فتح الباب أمام الوضّاعين والمغالين**
- ❖ **العقائد المُختلف عليها بين عُلماء الإمامية**
- ❖ **الأسباب التي ساهمت في تسلل الغلوّ**
  - أولاً: النصوص الموضوعة
  - ١ ـ التسامح في أدلة السنن
  - ٢ ـ حديث: «قولوا فينا ماشئتم ونزهونا عن الإلوهية»
  - ثانياً: التفسير الباطني
- ❖ **كيفية معرفة صحة الروايات**
- ❖ **تطور العقيدة الإمامية والاختلاف في العقائد**



الفصل الأول:

الغلوّ في أهل البيت عليهم السلام

فضائل أهل البيت عليهم السلام

لأهل البيت عليهم السلام من المناقب والفضائل الشيء الكثير، حتى إنَّ كل المذاهب تعترف بذلك وسأعرض هنا بعض من هذه الفضائل التي أجمع عليها كلٌّ من المسلمين سُنّةً وشِّيعةً في الكُتب المُعتبرة، وما تحتويه من كنوز فضائلهم ومناقبهم . . .

فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام

١ ـ يقول أحمد بن حنبل، وَالنَّسَائِي، وإسماعيل بن إسحاق القاضي(*)، وأبو علي النيسابوري(**) رحمهم الله تعالى: «لَمْ يَرِدْ فِي حَقِّ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالأَسَانِيدِ الجِيَادِ أَكْثَرَ مَا جَاءَ فِي (عَلِي) رضي الله عنه»[١].

٢ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَا نَزَلَتْ آيَةٌ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[٢] إِلَّا عَلِيٌّ رَأْسُهَا وَشَرِيفُهَا وَأَمِيرُهَا، وَلَقَدْ عَاتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَيْرِ آيٍ مِنَ الْقُرآنِ وَمَا ذَكَرَ عَلِيًّا إِلَّا بِخَيْرٍ[٣].

ومن فضائله العظيمة أنه أوّل من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، شهد له رسول الله

(*) هو الإمام العلّامة الحافظ شيخ الإسلام، أبو إسحاق، إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل ابن محدّث البصرة حماد بن زيد بن درهم الأزدي، مولاهم البصري المالكي قاضي بغداد وصاحب التصانيف، تُوُفِّيَ سنة ٢٨٢ هـ، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٣/ ٣٣٩).

(**) هو أبو علي الحسن بن علي بن زيد بن داود النيسابوري (تُوُفِّيَ سنة ٣٤٩ هـ)، قال عنه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٦ : ٥١): الحافظ الإمام العلّامة الثبت . . .

(١) نقل هذا القول عن هؤلاء الأئمة جملة من الحفّاظ، منهم: ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١١١٥) دون ذكر أبي علي النيسابوري، وابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» (٧/ ٧١)، وابن حجر الهيثمي في «الصواعق المحرقة» (٢/ ٣٥٣)، والمباركفوري في «تحفة الأحوذي»، (١٠/ ٤٤) وغيرهم.

(٢) سورة محمد، الآية: ٧.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١١/ ٢٦٤)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٦٥٤)، وأبو نُعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ٨٥)، والآجري في «الشريعة» (٤/ ٢٠٢٤ ـ ٢٠٢٥)، قال الهيثمي في المجمع (٩/ ١١٢): «رواه الطبراني».

بذلك، وجمع من الصحابة، قال السيوطي في «تاريخ الخلفاء»: «أسلم قديمًا، بل قال (ابن عباس) و(أنس) و(زيد بن أرقم) و(سلمان الفارسي) وجماعة: إنَّهُ أوّل من أسلم. ونقل بعضهم الإجماع عليه»[1].

٤ ـ هو أوّل من صلى مع رسول الله ﷺ، عَنْ عَبَّادِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ عليُّ بنُ أبي طالب: «أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وأَخُو رَسُولِهِ ﷺ... صَلَّيتُ قبلَ النَّاسِ بِسَبعِ سِنِينَ»[2]

٥ ـ ومما امتاز به أمير المؤمنين علي عليه السلام تفوّقه على غيره من الصحابة في العلوم والمعارف والحكم، شهد له بذلك النبي ﷺ ثمَّ الصحابة وغيرهم بعده... عن ابنِ عبَّاسٍ، قالَ: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا مَدِينَةُ العِلمِ وعَليٌّ بَابُهَا، فمن أرَادَ الْعِلمَ فليَأتِه من بَابِهِ»[3].

وعن عمر بن الخطاب قال: «أَعُوذُ باللَّهِ من مُعضِلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو حَسَنٍ». وقال أيضًا: «لَوْلَا عَليٌّ لهَلَكَ عُمَرُ»[4].

٦ ـ ومن مناقبه العظيمة، أن الله عزّ وجلّ جعله وزيرًا خاصًا لرسوله الأمين ﷺ وخليفته مثل ما كان هارون من أخيه موسى عليه السلام.. فَعَنْ مُصْعبِ بنِ سَعدٍ، عن أبيهِ، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خرجَ إلى تبُوكَ واستَخلَفَ عليًّا فقَالَ: «أَتخلِّفُني في الصِّبيانِ والنِّساءِ؟ قَالَ: «أَلَا تَرضَى أن تكُونَ مِنِّي بِمنزلةِ هارُونَ من مُوسىَ إلَّا أنَّهُ لَيسَ نبيٌّ بَعْدِي»[5].

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص١٤٩).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٤٤)، والنسائي في الكبرى (٥/ ١٠٧) والحاكم في المستدرك (٣/ ١١٢) وصححه، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩٨).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١١/ ٦٥)، والحاكم في المستدرك وصححه (٣/ ١٣٧)، والطبري في «تهذيب الآثار ـ مسند علي بن أبي طالب» (ص ١٠٥)، من طريق عبد السلام بن صالح الهروي، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس به، ورجاله ثقات.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٠٣).

(٥) متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب غزوة تبوك، وصحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل علي بن أبي طالب، ورواه الترمذي في سننه «كتاب المناقب» باب مناقب علي بن أبي طالب، وأحمد في مواضع عدة من مسنده: (١/ ١٨٢ ـ ١٨٤ ـ ١٨٥) وغيرهم. وهو حديث متواتر أورده الحفاظ ضمن الأحاديث المتواترة، جاء عن نيفٍ وعشرين صحابياً، انظر كتاب: «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ص/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

٧ ـ عليٌّ مع الحق، وهو صاحبُ الحق في كل خلاف يقع مع غيرِه، تربّى في بيت النبي ﷺ منذ نعومة أظفاره، والحق لا يفارقه، متغلغل في أحشائه، متجذرٌ في نفسه، لذا دعا له النبي بالرحمة التي لا تفارقه، كما دعا له بأن يدور الحق معه حيثُ دار وهذا ما كان . . .

فَعَن مالِكِ بن جَعْوَنَةَ، قَالَ: سمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ تَقُولُ: «كَانَ عَلِيٌّ عَلَى الحَقِّ، مَنِ اتَّبعَهُ اتبَّعَ الحَقَّ، ومَن تَرَكَهُ تركَ الحَقَّ عَهْدًا معهُودًا قَبْل يَوْمِهِ هَذَا»[1].

وعن أبي ثابت مولى أبي ذر، قال: كنتُ معَ عَليٍّ رضي الله عنه يوم الجمل، فلما رأيت عائشة واقفةً دَخَلَني بعضُ ما يدخل الناس، فكشفَ اللَّهُ عنّي ذلك عند صلاة الظهر فَقَاتَلْتُ معَ أميرِ المُؤْمنينَ، فلمّا فَرَغَ ذهبتُ إلى المدينةِ فأتيتُ أُمَّ سَلَمَةَ، فَقُلْتُ: إني واللَّهِ ما جئتُ أسألُ طعامًا ولَا شرابًا ولكنني مَوْلَى لأَبي ذَرٍّ، فَقَالَتْ: مرحبًا، فقصصتُ عَلَيهَا قصّتي، فقالت: أَينَ كُنْتَ حينَ طارتِ القلوبُ مطائرهَا؟ قلتُ: إلى حيثُ كَشَفَ اللهُ ذلك عنّي عند زوالِ الشّمس، قالت: أَحْسَنْتَ، سمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «عَلِيٌّ مَعَ القُرآنِ وَالْقُرآنُ مع عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوضِ»[2].

وعن أبي ذر الغفاريّ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ لِعَلِيٍّ: «يَا علِيُّ، مَنْ فَارَقَني فَارَقَ الله، وَمَن فَارَقَكَ يَا عَلِيُّ فَارَقَني»[3].

٨ ـ ومن مناقبه وفضائله العظيمة كونه مولى كل مؤمن، وأن موالاته موالاة الله، ومعاداته معاداة للنبي ﷺ وهذه الخصّيصه لم ترد ولم تُعرف لغيره.

فعنِ البَرَاءِ بن عازبٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في سفرٍ فنزلنا بغديرِ خمٍّ، فَنُودِيَ فينَا الصَّلَاةُ جامِعَةٌ، وَكُسِحَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرتينِ، فصلَّى الظُّهرَ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٣٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ١٤١).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٢٤)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، وأبو سعيد التيمي هو عقيصاء ثقة مأمون» ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني في الأوسط (٥/ ١٣٥) وفي الصغير (٢/ ٢٨) مختصراً.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك وصححه (٣/ ١٣٣)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٢٣)، والبزار في مسنده [كشف الأستار (٣/ ٢٠١)]، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٣٤): «رواه البزار؛ ورجاله ثقات».

وأخَذَ بيدِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ تعَالَى عَنْهُ، فَقَالَ: «أَلَستُمْ تَعلَمُون أنِّي أولَى بالمُؤمِنينَ من أنفُسِهِم؟» قالوا: بَلَى، قَالَ: «**أَلَستُمْ تعلمُونَ أنِّي أولى بِكُلِّ مُؤمنٍ مِن نَفْسه؟**» قالوا: بلى، قالَ: فأخَذَ بيدِ عليٍّ، فَقَالَ: «**مَنْ كُنْتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ والاهُ وعَادِ مَنْ عَاداهُ**» قالَ: فَلَقِيهُ عُمَرُ بعدَ ذَلِكَ، فَقَالَ: هنيئًا يا بْنَ أبي طالبٍ، أَصْبَحْتَ وَأَمسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤمنٍ وَمُؤْمنةٍ[1].

وعن أبي إسحَاقَ، عن سَعِيدِ بنِ وهب، وعن زَيدِ بن يُثَيع، قَالَا: نَشَدَ عليٌّ النَّاسَ في الرَّحبةِ مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يقول يَوْمَ غَديرِ خُمٍّ إِلَّا قَامَ، قَالَ: فَقَامَ من قِبَلِ سعيدٍ ستَّةٌ ومِنْ قِبَلِ زَيْدٍ سِتَّةٌ فَشَهِدُوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «**أَلَيسَ اللَّهُ أَوْلَى بالمُؤمِنينَ**» قالوا: بَلَى، قَالَ: «**اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ والَاهُ وعادِ من عادَاهُ**»[2].

وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: جَمَعَ عليٌّ الناس في الرَّحبَةِ، فقال: أنشد بالله كلَّ امرىء سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول يوم غدير خم ما سَمِعَ، فقام أناسٌ فشهدوا أنَّ رسول الله ﷺ قالَ يومَ غَديرِ خُمٍّ: «**ألستُمْ تعلمُونَ أني أولى بالمؤمنينَ من أنفُسِهِمْ؟**» وهو قائم، ثمَّ أخذَ بيدَ عليٍّ، فقال: «**من كُنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه اللهُمَّ والِ من والاهُ وعادِ من عاداه**». قال أبو الطفيل: فخرجت وفي نفسي منه شيء فلقيتُ زيدَ بنَ أرقم، فقلت له: إني سمِعتُ عليّا يقول كذا وكذا، قال: فما تُنكر؟! قد سمِعتُ رسول الله ﷺ **يقول ذلك**[3].

وعن زيدِ بن أرقَمَ، قالَ: ناشدَ عليٌّ النَّاسَ في الرَّحبةِ من سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ الَّذي قَالَ لَهُ؟ فَقَامَ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَشَهِدُوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ، اللَّهُمَ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**»[4].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٨١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٥٠٣).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤١٢).

(٣) رواه النسائي في الكبرى مُطولاً (٥/ ١٣٤)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٧٠) بإسناد صحيح رجاله ثقات رجال الصحيحين؛ قال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٠٤): «رواه أحمد؛ ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة».

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٥/ ١٧١)، قال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٠٦).

وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، عَنْ بُرَيْدَةَ، قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ عَلِيٍّ الْيَمَنَ فَرأيْتُ مِنْهُ جَفْوَةً، فَلَمَّا قَدِمْتُ على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَكَرْتُ عَلِيًّا فَتَنَقَّصْتُهُ، فرأيتُ وجهَ رسول الله ﷺ يَتَغَيَّرُ، فَقَالَ: «**يَا بُرَيْدَةُ، أَلَسْتُ أَوْلَى بالمُؤمِنينَ من أنْفُسِهِمْ؟**» **قُلْتُ: بلى يا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَولاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ»**[1].

فضائل السيدة فاطمة عليها السلام:

١ ـ عن أنسِ بنِ مالكٍ، قالَ: سألتُ أُمِّي عَنْ فَاطمةَ بنتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالتْ: كانَتْ كالقَمر لَيلَةَ الْبَدْرِ . . .، بَيضاءَ مُشْرِبَةً بِحُمرَةٍ . . .، من أَشَدِّ النَّاس بِرَسُولِ الله ﷺ شَبَهًا[2] وعَنْ عائِشة، أنَّها قَالَتْ: **مَا رَأَيتُ أحَدًا كان أَشْبَهَ كَلامًا وحَدِيثًا من فَاطمةَ برَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وكَانَتْ إِذَا دَخلَتْ عَلَيْهِ رَحَّبَ بِهَا وَقَامَ إِلَيْهَا فَأَخذَ بيدِهَا فقَبَّلَهَا وَأَجلسَهَا في مَجلسِهِ**[3].

٢ ـ فاطمة أَحَبُّ النِّسَاءِ إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

ذكر المُحدِّث مُحمدُ بنُ جعفَر الكتَّاني في كتابه «نظم المتناثر في الحديث المتواتر» حديث: «**أنَّ أحبَّ أهْلِهِ إليهِ ﷺ فاطمَةُ**.

وقد أخرجه الترمذي وحسّنه الحاكم وصححه الطيالسي والطبراني والديلمي وغيرهم عن أسامة بن زيد مرفوعًا: «**أَحَبُّ أَهْلِي إليَّ فَاطِمَةُ**» قال في التيسير: إسناده صحيح»[4].

وعن أبي هريرة، قال: قال عليُّ بن أبي طالب: يا رسول الله، أَيُّمَا أَحَبُّ إليكَ: أنا أم فاطِمةُ؟ قَالَ: «**فَاطِمَةُ أَحَبُّ إليَّ منّكَ وأَنتَ أَعزُّ عَلَيَّ مِنْهَا**»[5].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٤٧)، والنسائي في الكبرى (٥/ ١٣١) بإسناد صحيح على شرط الشيخين، والحاكم في المستدرك (٣/ ١١٩) وصححه على شرطه مسلم وسكت عنه الذهبي.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٧٦).

(٣) المصدر نفسه، (٣/ ١٦٧) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٠١)، أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ج١، ص٣٠٧.

(٤) الكتاني، نظم المتناثر في الحديث المتواتر (ص/ ٢٠٧).

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٤٣)، قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٠٢).

وعن بُريدَةَ، قَالَ: «**كَانَ أَحَبَّ النِّساءِ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاطِمةُ، وَمِن الرِّجَالِ عَليٌّ**»[1].

٣ ـ إذايَةُ فاطِمَةَ إذايَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فعنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغضَبَها أَغْضَبَنِي**»[2].

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَّاني عِنْدَ شَرْحِ حَدِيثِ: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَن أَغضَبَها أَغْضَبنِي**»: «وَفي الحَديث، تَحْرِيمُ أَذَى مَنْ يتَأَذَّىَ النَّبيُّ ﷺ بتَأَذِّيهِ، لأَنَّ أَذَىَ النَّبيِّ ﷺ حَرَامٌ إتِّفَاقًا قَلِيلُهُ وَكَثيرُهُ، وَقَدْ جَزَمَ بأَنَّهُ يُؤْذِيه ما يُؤْذِي فَاطِمَةَ، فكُلُّ مَنْ وَقَعَ مِنهُ فِي حَقِّ فَاطِمَةَ شَيءٌ فَتَأَذَّتْ به فَهُوَ يُؤْذِي النَّبيَّ ﷺ بِشَهَادَةِ هَذَا الْخَبَرِ الصَّحِيحِ»[3].

٤ ـ فَاطِمةُ سَيِّدَةُ النِسَاءِ

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في الأَرْضِ أربعَةَ خُطُوطٍ، قَالَ: «تَدْرونَ مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ، إمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِينَ»[4].

عن عمران بن حصين، أنَّ نَبيَّ الله ﷺ عادَ فاطمة وهي مريضةٌ، فقال لها: «أَيْ

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٦٩٨) وقال: «هذا حديث حسن غريب»، والنسائي في الكبرى (٥/ ١٤٠)، والطبراني في الأوسط (٧/ ١٩٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٦٨) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ: باب مناقب فاطمة عليها السلام: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل فاطمة بنت النبي عليه السلام، ورواه أصحاب السنن: النسائي وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وأحمد في مسنده، أعيان الشيعة، ج١، ص٣٠٨. وفي أمالي الشيخ الطوسي بسنده عن جميع بن عمير قال: دخلت مع أمي على عائشة فذكرت لها عليًّا، فقالت: ما رأيتُ رجلًا كان أحب إلى رسول الله ﷺ منه، وما رأيتُ امرأة كانت أحبُ إلى رسول الله من امرأته، (راجع عوالم الزهراء، ص: ١٢٤).

(٣) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/ ٣٢٩).

(٤) رواه النسائي في الكبرى٥/ ٩٣، وأحمد في المسند١/ ٩٣، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح والحاكم في المستدرك٣/ ١٧٤، وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير١١/ ٣٣٦، وابن حبان في صحيحه١٥، ٤٧٠، وأبو يعلى في مسنده١/ ١١٠، قال الهيثمي في المجمع٩/ ٢٢٣: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح» وأمالي الصدوق، ص١٨٧، بحار الأنوار ج٢١، باب ٧، ص١٤٢.

بُنَيَّةُ كيف تَجِدِينَكِ»؟ قالت: واللهِ يا رَسُولَ اللهِ إنِّي لَوَجِعةٌ وإنَّهُ لَيَزِيدُني وجعًا إلى وجعي أنَّه ليس عندي ما آكُلُ، فبكى رسول الله ﷺ وبكَتْ فاطمة [عليها السلام] وبكيتُ معهُما، فَقَالَ لها: «**أَيْ بُنَيَّةُ تَصَبَّرِي؟**» مَرَّتين أو ثلاثًا، ثمَّ قالَ لها: «**أَيْ بُنَيَّةُ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تكوني سَيِّدَةَ نساءِ الْعَالَمِينَ؟**» قالتْ: يا ليتها مَاتَتْ، وأين مريمُ بنْتُ عِمْرانَ؟! فقال لها: «**أَيْ بُنَيَّةُ، تِلْكَ سيِّدةُ نِساءِ عَالَمِهَا وأَنْتِ سيِّدة نِسَاءِ عَالَمِكِ، والَّذي بَعَثَني بالْحَقِّ لَقَدْ زَوَّجْتُكِ سَيِّدًا في الدُّنْيا وَسَيِّدًا في الآخِرَةِ لا يُبْغِضُهُ إلَّا مُنَافِقٌ**»[1].

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبيِّ ﷺ **فَلَمْ يُغَادِرْ منهُنَّ امْرَأَةً، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ** تَمْشي، كَأَنَّ مشْيَتَها مَشْيُ النَّبيِّ ﷺ، **فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ**: «**مَرْحَبًا بِابْنَتي**». **ثُمَّ أَجْلَسَهَا** عن يَمينه أو عن شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إليْهَا حديثًا فبكتْ، فقُلتُ لها: لِمَ تبكينَ؟ ثُمَّ أسرَّ إليها حَديثًا فَضَحِكتْ، فقُلتُ: ما رأيْتُ كاليَوْم فَرَحًا أَقْرَبَ من حُزْنٍ! فَسَأَلْتُهَا عمَّا قال، فَقَالَتْ: ما كُنْتُ لأُفْشيَ سِرَّ رسُولِ الله ﷺ **حتى قُبِضَ النَّبيُّ ﷺ فَسَأَلْتُها**، فَقَالَتْ: أَسَرَّ إليَّ: «**إنَّ جبريلَ كَانَ يُعَارِضُني الْقُرآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وإنَّه عارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْن وَلَا أَرَاهُ إلَّا حَضَرَ أَجَلي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أهل بَيْتي لَحَاقًا بي**»، **فَبَكَيْتُ، فَقَالَ**: «**أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُوني سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّة أو نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ**». **فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ**[2].

وعن عائِشَةَ، قَالَتْ: ما رأَيْتُ أحدًا أشبَهَ سَمْتًا[3] وَدَلًّا وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللَّهِ في قِيَامِهَا وَقُعُودِها مِنْ فَاطِمَةَ بِنْت رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، **قَالَتْ: وَكانتْ إذَا دَخلتْ على النَّبيِّ ﷺ قَامَ إليها فقبَّلَهَا وأجلسَهَا في مجلسهِ وكانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا دَخلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجلِسِهَا فَقَبَّلَتْهُ وأَجْلَسَتْهُ في مَجْلِسِهَا، فَلَمَّا مَرِضَ النَّبيُّ ﷺ دَخلَتْ فَاطِمَةُ فَأَكَبَّتْ**[4] **عَلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ ثُمَّ رَفَعتْ رَأْسَهَا فَبَكَتْ، ثُمَّ أَكَبَّتْ عليهِ ثُمَّ رَفعتْ رَأْسَهَا**

---

(١) رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» ٢/ ٤٢، وقال: «كذا رواه علي بن هاشم مُرسلًا، ورواه ناصح أبو عبد الله، عن جابر بن سمرة متصلًا»، والطحاوي في «مشكل الآثار». [شرح مشكل الآثار ١/ ١٤١]، وابن شاهين في «فضائل فاطمة»، ص٢٤، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٢/ ١٣٤.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه: كتاب الاستئذان: باب من ناجى بين الناس...، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل فاطمة عليها السلام، وغيرهم. فلم يغادر: أي لم يترك. أسرّ: أي قال لها كلامًا سرًا بدون أن يطلع عليه أحد.

(٣) سمتًا: هذه الصفات يُعبّر بها عن الحالة التي يكون عليها الإنسان من الوقار وحسن السيرة واستقامة المنظر والهيبة.

(٤) فأكبّت: أي انحنت عليه بوجهها تقبله وتبكي.

فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: إنْ كُنْتُ لأظُنُّ أَنَّ هذِهِ من أعقَلِ نِسائَنا فإذَا هيَ من النِّسَاءِ، فَلمَّا تُوُفّي النَّبيُّ ﷺ، قُلْتُ لَها: أَرَأَيتِ حينَ أَكْبَبْتِ عَلَى النَّبيِّ ﷺ فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَبَكَيْتِ ثُمَّ أَكْبَبْتِ عليهِ فَرَفَعْتِ رَأسَكِ فَضَحِكْتِ، مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَتْ: إنِّي إذًا لَبَذِرَةٌ[1]، أَخْبَرَني أنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ هَذَا فَبَكَيْتُ، ثُمَّ أَخْبَرني أَنِّي أَسْرَعُ أَهْلِهِ لُحوقًا بِهِ فَذَاكَ حِينَ ضَحِكْتُ[2].

وفي الحديث فضائل ومناقب لهذه السيّدة الشريفة، مع فوائد:

(أ) إكرام النَّبيِّ ﷺ لها، وتعظيمه واحترامه إيّاها بترحيبها وقيامه لها وإجلاسه إيّاها إلى جنبه الشريف ﷺ.

(ب) تَخْصِيصُهُ إيّاها بِحُضُورِ أجله.

(ت) تبشيره إيّاها بأنّها سيِّدة نسَاءِ الْمُؤْمنِينَ، وهذه فضيلةٌ لَمْ تَنْلْهَا امرأةٌ من نِسَاءِ هذه الأمّة الإسلامية، إطلاقًا إلَّا ما كان من أمّها خديجة، ويالَها من فضيلة وياله من فخر.

(ث) أنّها كانت أعقل نساء أهل زمانِها.

(ج) شَبَهُها بأبيها رسول الله محمد ﷺ في السّيرة الحسنة وَالوَقَارِ وَالْهَيبَةِ.

والحديث يطول في فضائلها عليها السلام فقد تخلّقت بخُلُقْ أبيها رسول اللّه ﷺ من الزهد في الدنيا والطهارة والتقشّف والتواضع في الحياة والعزوف عن التّرف والبذخ؛ وَلَا غرو، فإنّه بيت النبوة ومعدنِ التقوى والفضائل، وقد ذكرنا بعضًا من فضائلها، وإذا أردنا أن نتحدّث عن كل فضائلها وفضائل أهل البيت عليهم السلام لما اتسع هذا الكتاب لها . . .

فضائل الحسن والحُسَيْن عليهما السلام:

يقول الآجري: «اعلموا رَحِمَنَا اللّهُ وَإِيَّاكُمْ، أنَّ (الحَسَنَ) وَ(الْحُسَيْنَ) رَضِيَ اللّهُ عَنهُمَا خَطَرُهما عَظِيمٌ، وَقَدرُهُمَا جَلِيلٌ، وَفَضلُهُمَا كَبِيرٌ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ

---

(١) **إني إذًا لبَذِرَةٌ**: مُؤَنَثُ بَذرٍ ككتفٍ وَهُوَ الَّذي يُفْشي السِّرَّ وَيُظْهرُ مَا يَسْمَعُهُ.

(٢) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٧٠٠) وحسّنه، والنسائي في الكبرى٥/ ٣٩٢، والحاكم في المستدرك٤/ ٣٠٣. وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، بحار الأنوار، ج:٤٣، باب:٣، ص٢٥.

خَلْقًا وخُلُقًا (الحَسَنُ) وَ(الحُسينُ) رَضيَ اللَّهُ عَنهُمَا، هُمَا ذُرِّيَّتُه الطَّيِّبَةُ الطَّاهِرَةُ المُبَارَكَةُ، وَبَضْعتان منه، أُمُّهُمَا (فَاطِمَةُ الزَّهراءُ) مُهْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبضعَةٌ مِنْهُ، وأَبُوهُمَا أَمِيرُ المُؤْمنينَ (عَليُّ بنُ أبي طالبٍ) رَضِيَ اللَّهُ عنهُ، أَخُو رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﷺ، وابنُ عَمِّهِ، وَخَتَنُهُ على ابنتِهِ، وناصرُهُ وَمفرِّجُ الكربِ عنهُ، وَمَنْ كانَ اللَّهُ ورَسُولُهُ لَهُ مُحبِّينَ، فَقَدْ جَمعَ اللَّهُ الكريمُ للحَسَن وَالحُسينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الشَّرَفَ العَظِيمَ، وَالحَظَّ الجَزيلَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، رَيْحَانَتا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وسَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[1].

الحَسَنَانِ رَيْحَانَتَا رَسُولِ اللَّه ﷺ وَحَبِيبَاهُ

عن الحسنِ بنِ أُسَامَةَ بنِ زيدٍ، أَخْبَرَني أبي أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ، قالَ: طَرَقْتُ النبيَّ ﷺ ذَاتَ ليلةٍ في بعضِ الحَاجَه، فَخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى شيءٍ لا أدري ما هُوَ، فَلَمَّا فَرَغْتُ من حاجتي، قُلتُ: مَا هَذَا الَّذِي أَنتَ مُشْتَمل عليهِ؟ قَالَ: فَكَشَفَهُ فإذا حَسَنٌ وَحُسَينٌ على وركيهِ، فقالَ ﷺ: **«هَذَانِ ابنَايَ وَابنَا ابنتي، اللَّهُمَّ إِنِّي أُحبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا»**[2].

وعَنْ ابن عُمَرَ، أَنَّ رجُلًا من أهلِ العراقِ سأَلَهُ عَنْ دَمِ البَعُوضِ، يُصيبُ الثَّوبَ، فَقَالَ ابنُ عمر: أَهلُ العِراقِ يَسْأَلُونَ عَنْ الذُّبابِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وقَالَ النَّبيُّ ﷺ: **«هُمَا رَيحَانَتَايَ مِنْ الدُّنْيَا»**[3].

هذه الأَحاديثُ تقرن ما بين مَحَبَّةِ والنَّبيِّ وما بين مَحَبَّةِ (الحسن) و(الحُسَيْن) تمامًا كما هو الحال مع الأحاديث التي تُبَيِّنُ فضائل أبيهما (عَلِيٍّ)، إذ (الحسن) و(الحُسَيْن) هُمَا مَحْبُوبَانِ لرسولِهِ، فمن أحب (الحسن) و(الحُسَيْن) أحب رسول اللَّه، ومن أبغضهما فقد أبغض رسول اللَّه، وكفى بها من فضيلة.

عن الأَوزاعي، قال: حدّثني شداد عبد الله، قال: سَمِعتُ واثلة ابن الأشقع وقد جِيءَ بِرأسِ الحُسين فلَعَنهُ رجلٌ من أهل الشَّام ولَعَنَ أباهُ، فقام واثلةُ وقال: والله لا

---

(١) الآجري، الشريعة: كتاب فضائل الحسن والحسين رضي اللَّه عنهما (٥/ ٢١٣٧).

(٢) رواه الترمذي في سننه (٥/ ٦٥٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب: باب مناقب الحسن والحسين رضي اللَّه عنهما، والترمذي في سننه (٥/ ٦٥٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٨٥) والطبراني في الكبير (٣/ ١٢٧)، وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ١٠٦)، والطيالسي في مسنده (ص/ ٢٦٠).

أزالُ أُحبْ (عليًّا) و(الحَسَنَ) و(الحُسَيْنَ) و(فَاطِمَةَ) بعد أن سمِعتُ رسول الله ﷺ يقولُ فيهم ما قال، لقد رأيتني ذات يوم وقد جِئْتُ النَّبيَّ ﷺ في بيتِ أُمِّ سلمة، فجاء (الحَسَنُ) فأجلسَهُ على فَخِذِهِ اليُمنى وقبَّلَهُ، ثمَّ جاء (الحُسَيْنُ) فأجلسَهُ على فخذِهِ اليُسْرَى وَقَبَّلَهُ، ثُمَّ جاءَتْ (فاطِمَةُ) فَأَجْلَسَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ دَعَا بـ(عَليٍّ)، ثمَّ قال: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[١]، قلتُ لواثلة: ما الرِّجسُ؟ قال: الشّكُّ في الله عزَّ وجلّ.

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ العَسْكَرِيُّ: يُقالُ إنَّ الأَوْزَاعِي لَمْ يروِ في الفَضَائِل حَدِيثًا غَيْرَ هَذَا، وَاللهُ أعْلَمُ، قَالَ: وكَذلِكَ الزُّهْرِيُّ لَمْ يرْوِ فِيهَا إلَّا حَديثًا واحِدًا، كَانَا يَخَافَانِ بَنِي أُمَيَّةَ[٢].

الْمَهْدِيُّ عليه السلام مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام:

من مناقبِ أهل البيتِ عليهم السلام وفضائلهم العظيمةِ، قيام قائم من نسلهم، يَخْرُجُ آخرَ الزّمانِ وقتَ تَغرُّبِ الدِّينِ واضمحلالِ مَعَالِمِهِ، وامتلاءِ الأرضِ ظلمًا وَجَوْرًا فيملأُها قِسطًا وَعَدْلًا . .

فَعن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**المَهديُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللَّهُ في لَيْلَةٍ**»[٣].

وعن أم سلمة رضي اللَّه عنها، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: «**الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ**»[٤].

وعن ابن مسعود، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لَا تقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَملِكَ**

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) رواه الآجري في «الشريعة» ٥/ ٢٢١١، وأحمد في «فضائل الصحابة» ٢/ ٦٧٢.

(٣) رواه أحمد (١/ ٨٤)، وابن ماجه (٢/ ١٣٦٧) (برقم/ ٤٠٨٥)، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٣٥٩) بإسناد حسن ومعنى: «**يصلحه اللَّه في ليلة**»: يصلح أمره ويرفع قدره في ليلة واحدة أو في ساعة واحدة من الليل، حيث يتفق على خلافته أهلُ الحلّ والعَقْد فيها. [ملا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٤٣٩)].

(٤) رواه أبو داود في سننه (٤/ ١٧٤)، وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٦٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠١) وسنده حسن، قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١/ ١٨٨) عن سند هذا الحديث: «وهذا سندٌ جيدٌ رجاله كلّهم ثقات، وله شواهد كثيرة».

رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيتي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، يَمْلأُ الأَرضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كما مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»[1].

وجاء في صحيح البخاري: عن أَبي هُرَيرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**كَيفَ أنتُمْ إذا نَزَلَ ابنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وإمَامُكُمْ مِنْكُمْ**»[2].

وجاء في صحيح مسلم: عن جابر، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ من أُمَّتي يُقَاتِلُونَ على الحَقِّ ظاهِرِينَ إلى يوم القِيَامَةِ. قال: فَيَنزلُ عِيسَى ابنُ مَريَمَ عليه السَّلَامُ، فيقُولُ أمِيرُهُم: تَعَالَ صَلِّ لنَا، فيقُولُ: لَا إنَّ بعضَكُمْ عَلَى بعضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ**»[3].

فهذا (**الإمَامُ**) المُبْهَم في روايةِ البُخَاري و(**الخليفة**) و(**الأمير**) المُبْهَمان في رِوَايتَيْ مسلم هنا هو (**الإمَامُ المَهْدِيُّ**) المُبَيَّنُ في الأحاديثِ الأخرى.

وفي ذلك، قال الشيخ عبدُ المُحْسن العباد بعد أن ساق هذه الأحاديثَ في كتابه «**عَقِيدَةُ أَهلِ السُّنَّةِ والأَثَرِ في الْمَهْديِّ الْمُنْتَظَر**»: «فَهذِهِ الأحَادِيثُ الَّتِي وَرَدَتْ في الصَّحيحينِ وإن لَمْ يكن فيها التَّصريحُ بِلَفْظِ (الْمَهْديّ)، تَدُلُّ على صِفَاتِ رَجُلٍ صالح يؤُمُّ المُسلمينَ في ذَلِكَ الوَقْتِ، وَقَد جَاءَت الأحَادِيثُ في السُّنَنِ والمَسَانِيدِ وغَيرِهَا مُفسِّرةً لِهذِهِ الأحَاديثَ التي في الصَّحيحَينِ ودَالَّةً على أنَّ ذَلِكَ الرَّجُل الصَّالِحَ اسمُهُ (مُحَمْد)، ويُقَالُ لهُ: (المَهدِيُّ)؛ والسُّنَّة يُفسِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا».

هذا بعض من فضائل أهل البيت عليهم السلام فالروايات كثيرة ومستفيضة عند الطرفين بوجوب موالاتهم عليهم السلام ومودتهم ومحبتهم والاقتداء بهم.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٣٣)، وأبو داود في سننه (٤/ ١٧٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٣٧٦)، والترمذي في سننه (٤/ ٥٠٥)، وقال: «وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة، وهذا حديث حسن صحيح».

(٢) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام. وقد أشار الحافظ العسقلاني في الفتح أن «الإمام» هذا الذي سيصلي خلفه المسيح عليه السلام، هو (الإمام المهدي). [ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (٦/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤)].

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان ـ باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ.

حبّ أهل البيت عليهم السلام بين الاعتدال والْغُلُوّ

مما لا شك فيه أنّ خصال الخير والمكارم تقع بين محذورين أو بين رذيلتين، فالشجاعة تقع بين التهوّر والجبن، والكرم يقع بين البُخل والإسراف، والاعتدال في حب أهل البيت عليهم السلام يقع بين الْغُلُوّ والبُغض، وقد نبّه نبينا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الهُداة على هلاك الغالين والمبغضين ونجاة المعتدلين في حبهم عليهم السلام.

معنى الْغُلُوّ

في **اللغة**: هو الإرتفاع ومجاوزة القدر في كل شيء... وغلا في الدين، أي جاوز حدّه، وقال بعضهم: غلوتُ في الأمر غلوًّا وغلانيةً وغلانيًا، أي جاوزت فيه الحدّ وأفرطتُ فيه[1].

والمغالي عند الشّيعة: من يقول في أهل البيت عليهم السلام ما لا يقولون هُم في أنفسهم كما يقول **الشيخ المفيد** «وهم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمّة من ذريته إلى الألوهية والنبوة ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحدّ وخرجوا عن القصد»[2] وقد عرّفه **الطبرسي** في تفسيره عند شرح الآية ٧٧ من سورة المائدة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ بأنه ما يقابل التقصير، وهو تجاوز الحد، فقال إنّ معنى الآية: أي: لا تتجاوزوا الحدّ الذي حدّه الله لكم إلى الإزدياد، وضده التقصير، وهو الخروج عن الحدّ إلى النقصان والزيادة في الحدّ والنقصان عنه كلاهما فساد، ودين الله الذي أمر به هو بين الغُلوّ والتقصير، وهو الإقتصار[3] ـ أي: الاعتدال.

ويقول **الشهرستاني** في تعريفه للغالية: «هؤلاء الذين غَلَوْا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية فربّما شبهوا واحِدًا من الأئمّة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق»[4].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج١٥، ص١٣١..

(٢) تصحيح الاعتقاد بصواب الإنتقاد أو (شرح عقائد الصدوق)، المفيد ـ دار الكتاب الإسلامي/ بيروت، ص١٠٩.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي، ج٣ ص٣٥٥.

(٤) الملل والنحل، ج١، ص١٥٤.

والغُلاة على أقسام ثلاثة:

١ ـ الفئة التي نسبت الألوهيّة والربوبية إلى الأئمّة.

٢ ـ الفئة التي نسبت النبوّة إليهم.

٣ ـ الفئة التي نسبت الفضل إليهم (في الدين والدنيا، وتجاوزوا فيه الحدّ، وخرجوا عن القصد)(١).

ويقول **الشيخ المفيد** عن الغُلاة: «وهم ضُلّالٌ كفّار حَكَمَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عليهم بالقتل والتحّريق بالنار، وقضت الأئمّة عليهم السلام عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام»(٢).

ويقول **الشيخ الصدوق**: اعتقادنا في الغُلاة والمفوّضة أنّهم كفّار باللّه تعالى وأنهم شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحروريّة، ومن جميع أهل البدع والأهواء والمضلّة»(٣).

ظروف نشأة ظاهرة الغلوّ:

لقد كانت عقيدة الشِّيعة في زمن الأئمّة عليهم السلام عقيدة توحيدية خالصة، ولكن لمّا بدأت تنتشر بين المسلمين ـ منذ زمن الخلفاء العباسيين ـ خُرافات اليونانيين والفُرس وأساطير آلهتهم وفلسفتهم وأوهام المجوس واليهود والنصارى، وهي عقائد مغالية مشوبة بالشرك، والتي وجدت في بداية الأمر ـ بالطبع ـ رد فعل شديد تجاهها بسبب معارضة الإسلام الشديدة للشرك والخُرافات وكل ما يخالف التوحيد، لكن بعد ذلك تمكنت تلك العقائد المُغالية من مواصلة انتشارها شيئًا فشيئًا بين عامة المسلمين، ثمَّ انتشرت تدريجيًا بين بعض الشِّيعة، بالرُغم أن أئمتنا عليهم السلام كانوا يكافحون بكل شدة مثل تلك العقائد المُغالية، ويظهرون براءتهم منها، وينبذون قائليها، خاصة في عصر الإمام الصادق عليه السلام، حيث انتقلت الخلافة من الحكم الأمويّ إلى الحكم العباسيّ فاستفاد عليه السلام من هذه الظروف وانشغال الحكام عن ممارسة الضغط عليه، فواجه الانحراف الفكري والعقيدي والفقهي وبدأ يُعالج

---

(١) مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي مؤسسة البعثة، قُمّ، ط ١، غلو ٢: ١٣٣٢.

(٢) تصحيح الاعتقاد (المفيد) لبنان/ بيروت، ص ١٠٩.

(٣) «اعتقادات الإمامية» الصدوق (المؤتمر العالمي لألفية المفيد) قُمّ، ط ١، ٣٧ ـ ٩٧.

مشكلة تراكم هذا الكمِّ الهائل من الموضوعات من الأحاديث والأحكام والذي حصل نتيجة الجهل والتخلُّف، أو من فعل الذين أرادوا تسويق أفكارهم المنحرفة والمُغالية وآرائهم المغلوطة، فدّسوا ما دّسوا من الأحاديث المكذوبة وغير الصحيحة. ثمَّ دخل لاحقًا النظر الفلسفي والكلامي بين علَمين كبيرين من أعلام الفكر والفلسفة الإسلاميتين في القرن السادس الهجري والذي وقف على أحد طرفيه فخر الدين الرازي، فيما وقف على طرفه الآخر نصير الدين الطوسي... لكننا نجد ندم الفخر الرازي في دخوله هذه الأنفاق الفلسفيّة المسدودة، وشعوره بعدم جدوى علمَيْ الكلام والفلسفة حيث ذكر في وصيته: «**ولقد اختبرتُ الطرق الكلامية والمناهج الفلسفيّة، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمّق في إيراد المعارضات والتناقضات وما ذاك إلّا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضائق العميقة والمناهج الخفية...**»[1].

(وهكذا نرى أنَّ لغة الفلاسفة هي غير لغة الآخرين، وأن بعضهم مثل الشعراء تراهم «في كل وادٍ يهيمون»، ويؤكّدون ما لا يفهمون، بل يعيشون على الألفاظ، ويختلفون على المعاني، ويتقاطعون على الأفهام، ويجزمون بما لا جزْمَ فيه، ويقطعون بما لا يمكن القطع فيه، ولو عرف كل واحد منهم حدّه، لوقف عنده ـ كما يقول العقلاء ـ أي لو شخّص كل واحد منهم قدره في هذا العالم اللامتناهي المليء بالأسرار، لوقفوا جميعهم على أرض مشتركة خلاصتها كما قال القرآن الكريم: ﴿...وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[2]، ولتواضعوا، أو استقروا متواضعين في حدود الآية الكريمة الأخرى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[3])[4]. وقد نمت ظاهرة علمَيْ الكلام والفلسفة بشكل لم تكن نموًا صحيًّا.

فالغلوّ ظاهرة غير طبيعية تنمّ عن الانحطاط الفكري والفساد العقيدي، ومردّ هذا الفساد إلى عدم فهم الدين والابتعاد عن حقيقة العبودية للّه والانبهار بكرامات

(١) انظر: وصية الفخر الرازي في «عيون الأنباء» لابن أبي أصيبعة، م٢، ص٣٧.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٦.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٤) نقلاً عن كتاب «أزمة العقل الشيعي» مختارالأسدي، ط١ (٢٠٠٩م) ص١٧٩، ١٨٠.

المخلوق دون عظمة وقدرة الخالق. قال اللّه تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1]. وقال الإمام علي عليه السلام:

«عِظَمُ الخَالِقِ عِنْدَكَ يُصغِّرُ المخلُوقَ في عَينِكَ»[2].

فيما جرى على السُنَّة. يقول المؤرخ السيد هاشم معروف الحسني[*]:

(ستبقى السُنَّة إلى جانب القرآن من أغنى المصادر في جميع المجالات، بالرغم من أنّها كانت هدفًا لهزات عنيفة وهجمات صاعقة من الحاقدين والمرتزقة والحاكمين تستهدف الجوانب المشرقة منها منذ أقدم العصور، لقد بليت بالحاكمين ففسّروا نصوصها بما يتفق مع سياستهم وأهوائهم، وتأوّلوا عشرات الأحاديث بما يتفق مع تصرفاتهم، ووضعوا مئات الأحاديث التي تؤيد عروشهم، وتضع الحُجبَ بين الحقائق التي يهدف إليها الإسلام وبين جماهير الناس، وبُليت بالمرتزقة والوعاظ وقادة الفِرَق والأحزاب فوضعوا ما شاؤوا من البدع والغيبيّات التي تحقق أطماعهم وتؤيد اتجاهاتهم وآراءهم، وبُليت بالحاقدين أعداء الإسلام الذين اندسوا بين صفوف المسلمين منذ مطلع فجره، بعد أن عجزوا عن الوقوف في وجه الزحف الإسلامي الذي اجتاح العالم العربي والامبراطورتين الفارسية والرومانية في بضع سنوات معدودات، فوضع هؤلاء آلاف الأحاديث بقصد التخريّب والتشويش، وظلت جميع تلك الموضوعات في مجاميع الحديث يتوارثها الخَلف عن السَلف بدون تحقيق في

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ) ط٢، ج١٨، ص٣٢١، حكمة (١٢٥).

(*) ولد السيد هاشم معروف الحسني عام ١٩١٩م، في قرية جناتا (لبنان / الجنوب ـ قضاء صور) في بيت من بيوت الصلاح والتقوى في جبل عامل، وفي رعاية والده السيد معروف، صاحب الوقار والطيبة والبساطة والعفة والأخلاق.
درس في النجف الأشرف، وكان نموذجًا للطالب المنظّم التفكير والعمل... حتى أصبح من أهم رجال الدين في جبل عامل، وعُينّ قاضٍ في المحاكم الشرعية الجعفرية في لبنان، تميّز بالتحقيق وأصبح من أهم المؤرخين.
ألّف العديد من الكتب الدينية والفكرية والثقافية ومن مؤلفاته ١ ـ عقيدة الشِّيعة الإمامية ٢ـ تاريخ الفقه الجعفري ٣ ـ المباديء العامة للفقه الجعفري ٤ـ الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ٥ـ دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري ٦ـ سيرة المصطفى من المهد إلى اللحد ٧ـ المسؤولية الجزائية في الفقه الجعفري ٨ـ نظرية العقد في الفقه الجعفري ٩ـ الموضوعات في الآثار والأخبار ١٠ـ دراسات في الحديث والمحدثين (نقلًا عن كتاب علماء عامليون راحلون).

أسانيدها، ولا دراسة لمتونها إلى جانب الصحيح منها، فاختلط الحق بالباطل والصحيح بالفاسد...»[1] «ورأيتُ بعض الكتب التي تسيء إلى علي وبنيه الأئمّة الهُداة كمشارق الأنوار للبرسي[*]، وقضاء علي للتستري، وشجرة طوبى للحائري ومختصر البصائر وأمثال هذه الكتب تُطبع من قبل بعض المؤسسات والمكاتب التي تُتاجر بالدين والتشيُّع وحسب تقديري أن هناك تَصْميمًا على المُضي في نشر هذا النوع من الكتب الذي لا يعبّر عن واقع الأئمّة ولا عن عقيدة الشِّيعة ولا يمتّ إلى التشيُّع الصحيح بصلة من الصلات، أقول لأولئك الذين قد حاولوا، ولا يزال أحفادهم يحاولون مسخ التشيُّع من خلال بعض المرويات في كتب الحديث لنقول لهم إن كتب الحديث الموجودة بين أيدي الشِّيعة فيها الصحيح والفاسد، لأنها من صنع الإنسان الذي يخطئ ويصيب وتستبدّ به الأهواء والأغراض، فَتُكيِّفُهُ كما تشاء، ويجب تنزيه الأئمّة الطاهرين ممّا أُلصق بهم زورًا وبهتانًا وبيان الأخطار التي تكمن في التغاضي عن بعض الأحاديث والمتاجرة فيها على حساب الدين)[2].

أسباب نشوء الغلوّ:

١ ـ الرواسب والآثار الفكرية المتسرّبة من الأديان السابقة، قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾[3]، فنهى عن تجاوز الحدّفي المسيح، وحذّر من الخروج عن القصد في القول وجعل ما ادعته النصارى غلوًا لتعديّه الحدّ، وأيضًا في الآية الكريمة: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾[4]. فقد تعلّق جماعات من الأقوام التي دخلت الإسلام بتقاليدها الدينية والاجتماعية القديمة التى ورثتها من بيئاتها التي عاشت فيها قبل الإسلام.

٢ ـ دور الظلم الذي حلَّ بآل الرسول في دفع جماعات من الشيعة للمُغالاة في

(١) نقلًا عن كتاب «الموضوعات في الآثار والأخبار» دار التعارف/ بيروت (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م) مقدّمة الكتاب ص ٧، ٨.

(*) هو رجب بن الشيخ محمد بن رجب البرسي من علماء الإمامية في القرن التاسع الهجري. وجاء في الكنى والألقاب في ترجمته أنَّ المجلسي قال: «**أنه له كتاب مشارق الأنوار وكتاب الألفين ولا أعتمد على ما ينفرد بنقله لاشتمال كتابيه على الخبط والخلط والإرتفاع**»، وقال الحُرّ العاملي: «**أنَّ في كتابه إفراطًا وربما نُسب إلى الغلوّ**» والبرسي يُنسب إلى قرية بين الكوفة والحلة يُقال لها برس.

(٢) نقلًا عن كتاب «الموضوعات في الآثار والأخبار»، المصدر نفسه، ص ٩، ١٠.

(٣) سورة النساء، آية: ١٧١.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٧.

حقهم، حيث تعرّض آل البيت لمظالم قاسية اقترفها بحقهم عدد من حكام المسلمين، فكان ذلك من الدوافع لعطف جماعات كبيرة من معاصريهم على قضيتهم، وتضخّم العطف المذكور مع الزمن فتحوّل عند البعض من الاحترام والتقدير والاتمام بالسير الصالح إلى الغلوّ، والخروج بالأئمّة ﷺ من حدود البشرية التي رسموها لأنفسهم إلى حدود الألوهية التي أرادها لهم الغُلاة من أتباعهم.

٣ ـ تقاعس الكوفيين عن نصرة علي والحُسَيْن ﷺ في حياتهم إلى الغُلوّ بهم في مماتهم فقد أخذ حب الكوفيين لآل البيت ﷺ يزداد مع الزمن، ومع تراكم عوامل الندم، واشتداد ضغط الحكام حتى تحوّل عند بعضهم إلى الغُلوّ الذي رفع الأئمّة من مصاف البشر إلى ما يشبه الأرباب الصغيرة التي تدور في فلك الرب الكبير.

٤ ـ أسباب تشويهيّة لعقيدة المذهب الصحيح فيشجّعون على الغلوّ للحطّ من مكانة ومنزلة هذه الرموز الطاهرة العظيمة، وذلك لإعطاء صورة غير حقيقية عن فساد عقيدتها ومبادئها لإبعاد الناس عنها، والنيل من سمعة هذه الرموز وتكفيرها.

٥ ـ المصالح المادّية والأطماع الشخصية الهادفة إلى ابتزاز أموال الناس وأكلها بالباطل، إضافةً إلى النزوات الفردية الدنيئة الناشئة من العقد النفسية التي دعت أصحابها إلى التمرُّد على شرعة الخالق العزيز، فأباحوا المُحرَّمات، واستخفّوا بالعبادات وركنوا إلى اللهو والدعة.

ولقد قسّم الدكتور الشيخ الوائلي رحمه الله مناشئ الغلوّ إلى أربعة، هي:

١ ـ أن يغالي الإنسان بشخص أو فكرة ليتخذ من ذلك مبررًا لاختياره الإنتماء لهذه الفكرة أو الشخص، فكأنّه يريد مرجحًا أمام الناس ومبررًا نفسيًا، ويتبلور هذا المعنى أكثر وأكثر في العقيدة بالأشخاص، فإنّ الأتباع يحاولون رفع من يعتقدون به إلى مستويات غير عادية وهذا المعنى موجود على الصعيد الديني والسياسي.

٢ ـ رد الفعل، فإنّ البعض قد يُضطهد من أجل معتقداته، وقد يُنتقص أو يُشتم أو يُهزأ به فيدفعه كل ذلك إلى المغالاة بدافع رد الفعل، ولهذا رأينا القرآن الكريم في مثل هذه المواطن أخذ العوامل النفسية بعين الإعتبار، إذ يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1]، وهذه المسألة لها تطبيقاتها على أبعاد التاريخ في كثير من الموارد.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

٣ ـ هو الغُلوّ الذي ينشأ من الطيبة والبراءة وحسن الظن بالآخرين، فيركن إلى مرويّاتهم من دون تمحيص، خصوصًا من الذين اندسوا في الإسلام لسبب وآخر، وأرادوا تغطية حقيقتهم، فتحمَّسوا تحمُّسًا مشبوهًا لأشخاص أو أفكار.

٤ ـ عدم الدقة، فقد يبتلي بعضهم بشبهات نتيجة فهم خاطئ، أو تعميم غير مبرر علميًا، كأن يرى رأيًا لشخص من طائفة، فيعمم رأيه على الطائفة كلها، وقد تذهب جماعة إلى رأي ثمَّ تبيد ويبقى الرأي، فيأتي من يحمل الرأي للآخرين، قد يكون استنتاجًا لرأي من لازم من لوازم القول لم يتفطن له صاحب القول نفسه، وقد يكون نتيجة خطأ في تطبيق ضابط من الضوابط الكلية على بعض الجزئيات وهكذا[١].

ولجميع الأسباب التي ذكرناها وبشكل عام، يمكن القول إن الغُلوّ بمظاهره المُختلفة، ظاهرة طارئة نشأت بدعم منظّم من قبل أعداء الإسلام الذين عجزوا عن مواجهته في مواطن الوغى، وساحات القتال فظلّوا يكيدون له ويتربصون به الدوائر، ليسلبوا مبادئ الإسلام من نفوس أبنائه، وعملوا على تشويه أساسياته وضرورياته ومعتقداته، وأدخلوا أحاديث الغُلوّ في الكتب لتهديم الصحيح من الدين.

أشكال الغُلُوّ

التفويّض:

معنى التفويّض: «إنّ الله أقام شخصًا واحدًا كاملًا لا زيادة فيه ولا نقصان، ففوّض إليه التدبير والخلق، فهو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحُسَيْن وسائر الأئمّة، ومعناهم واحد، والعدد يلبس، وإنَّ هذا (الواحد الكامل) ـ أي محمد ـ هو الذي خلق السماوات والأرضين والجبال والجنّ والعالم بما فيه»[٢].

قال **الشيخ المفيد**: «يذهب القائلون بمذهب التفويّض أن اللَّه (عزَّ وجلّ) خلق مُحمدًا وعليًا ثمَّ فوّض الأمر إليهما، فخلقا ورزقا وأحيا وأماتا»[٣].

---

(١) هوية التشيُّع، الشيخ الوائلي (رحمه الله)، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، لبنان/ بيروت، ط٢، ص١٦٣، ١٦٤.

(٢) الأشعري القمي، المقالات والفِرق، ص٦١.

(٣) المفيد، الاعتقادات في دين الإمامية (الاعتقاد في نفي الغُلوّ والتفويض) باب ٣٧، ص ١٠٠.

وعرّفه **الشيخ محمد صالح المازندراني** في «شرح أصول الكافي» هو: «أنَّ اللَّه تعالى خلق مُحّمدًا وعليًا وقيل سائر الأئمّة أيضًا وفوّض إليهم خلق السموات والأرض وما بينهما وتقدير الرزق والآجال والإحياء والإماته»[١].

وقال **الشيخ المفيد**: «والمفوّضة صنفٌ من الغُلاة، وقولهم الذي فارقوا به مَن سواهم من الغُلاة، اعترافهم بحدوث الأئمّة وخَلْقِهم ونفي القِدَمْ عنهم وإضافة الخَلْق والرزق مع ذلك إليهم، ودعواهم أنَّ اللَّه تعالى تفرّد بخلقهم خاصة، وأنه فوّض إليهم خَلْق العالم بما فيه، وجميع الأفعال»[٢]. «والتفويّض هو القول برفع الحظر عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم مع ما شاؤوا من الأعمال، وهذا قول الزنادقة وأصحاب الإباحات»[٣].

الأئمّة يبرؤون من المفوّضة والغُلاة:

روي عن زرارة أنه قال: «قلتُ للصادق عليه السلام: إنَّ فلانًا يقول بالتفويض، قال عليه السلام (وما التفويض)؟ قلت: يقول: أن اللَّه (سبحانه وتعالى) خلق مُحّمدًا وعليًا ثمَّ فوّضَ الأمر إليهما، فخلقا ورزقا وأحيا وأماتا، فقال الإمام عليه السلام: «كذب عدو اللَّه إذا انصرفت إليه فاتلُ عليه هذه الآية في سورة الرعد: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾[٤]» فانصرفت إلى الرجل فأخبرته فكأني ألقمته حجرًا ـ أو قال ـ فكأنما خرس»[٥].

وجاء في رجال الكشي[*] **عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال**: «كان المغيرة بن سعيد

---

(١) شرح أصول الكافي، الشيخ محمد صالح المازندراني ٩/ ٦١.

(٢) تصحيح الاعتقاد، المفيد، دار المفيد/ بيروت ط ٢، ص ١١١، ١١٢.

(٣) تصحيح الاعتقاد، المفيد، المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٤) سورة الرعد، آية: ١٦.

(٥) كتاب «الاعتقادات، في دين الإمامية» الصدوق، الاعتقاد في نفي الغُلوّ والتفويض، باب ٣٧، ص ١٠٠، بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٤٣، ص ٣٤٤.

(*) هو: محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، يكنى أبا عمرو ـ بفتح العين ـ بصير بالأخبار وبالرجال، حسن الاعتقاد، كان ثقة عينا، وكتاب رجال الكشي أحد الكتب الأربعة المعتمد عليها لدى المحدثين والرواة والعلماء، واسمه «معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين»، ويعرف برجال الكشي، والكتاب الثاني رجال النجاشي، والثالث رجال الشيخ الطوسي، والرابع فهرسته.
ولم يذكر لنا أرباب المعاجم سنة ولادة الكشي ولا سنة وفاته ولكنه يعد من علماء القرن الرابع الهجري لأنه عاصر أبا القاسم جعفر بن قولويه المتوفي سنة ٣٦٩ هـ، أو سنة ٣٦٨هـ.

يتعمّد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة فكان يدس فيها الكُفْر والزندقة ويسندها إلى أبي ثمَّ يدفعها إلى أصحابه، ويأمرهم أن يبثّوها في الشّيعة، فكلّما كان في كتب أصحاب أبي من الْغُلُوّ، فذاك ما دسّه المغيرة بن سعيد في كتبهم»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «قد كُذِبَ على رسول اللّهِ صلى الله عليه وآله على عَهْدِهِ حتّى قامَ خطيبًا فقالَ: أيُّها الناسُ قد كثُرَتْ عَلَيّ الكَذّابَةُ فَمن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النّارِ ثُمَّ كُذِبَ عليه من بَعْدِهِ»[2].

وفي كتاب «رجال الكشي» نقلًا عن الإمام الصادق في جوابه إلى الفيض بن المختار عن علّة اختلاف الشّيعة، قال:

. . . .إني أُحَدِّثُ أحَدَهُم بِالحَديثِ فلا يَخْرُجُ مِن عِندي حَتى يَتَأَوَّلَهُ عَلى غَيْرِ تأويلِهِ وذلِكَ أَنَهُمْ لا يَطْلُبُونَ بِحَديثنا وبِحُبِّنا ما عِندَ اللّهِ وإنما يَطْلُبُونَ بِهِ الدُّنيا وكُلٌّ يُحِبُ أن يُدَعى رأسًا»[3].

وقال عليه السلام: «ما أكثر ما يكذب الناس على عليٍّ»[4]، و «أحدهم يسمع الكلمة فيحط إليها عشرًا»[5]. و«إن ممن ينتحل هذا الأمر ليكذب حتى أن الشيطان ليحتاج إلى كذبه»[6]. و«لو قام قائمنا بدأ بكذابي الشِّيعة فقتلهم»[7].

---

(١) اختيار معرفة الرجال، في المغيره بن سعيد، ح ٤٠٢، وح ٤٠١، ج ٢، ص ٤٩١، رجال الكشي، مؤسسة الأعلمي/ بيروت (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) ط١ - المغيرة بن سعيد - ص١٦٤، البحار، ج٢، ص٢٤٢.

(٢) الأصول من الكافي - طبعة طهران - الجزء الأول، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث، ح١، ص٦٢.

(٣) رجال الكشي، طبعة كربلاء، ص١٢٤.

(٤) الكليني، الكافي ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية، حديث رقم: ١٠.

(٥) الكليني، الكافي، كتاب الروضة، حديث رقم: ٢٩٣.

(٦) الكليني، الكافي، كتاب الروضة، حديث رقم: ٣٦٢.

(٧) رجال الكشي. ترجمة محمد بن أبي زينب الأسدي، ص١١٢، الطائفة الثانية، وكان الإمام الباقر قد كشف أيضًا حقيقة الكثير ممن انتحل التشيُّع له فتبرأ منهم وقال: **إن «ثلاث عشرة فرقة تنتحل ولايتنا ومودتنا، اثنتا عشرة فرقة منها في النار وفرقة في الجنة»**، الكليني، الكافي، كتاب الروضة حديث رقم: ٢٨٣، وربما كان لبعد الإمامين الباقر والصادق (اللذين كانا يعيشان في المدينة المنورة) عن الجماهير الشيعية التي كانت توجد بمعظمها في الكوفة والعراق وخُراسان، حيث لم يقم الصادق بزيارة العراق إلّا مرة واحدة، بُعيد سقوط الدولة الأموية وعند قيام الدولة العباسية في حدود سنة ١٣٢هـ. ربما كان لهذا البعد دور في افتقادهما للهيمنة على الجماهير الشيعية وإتاحة الفرص للغُلاة للتلاعب بالشيّعة وتسويق أفكارهم ونسبة ما يريدون لهما.

وتحدّث عليه السلام عن أحد الغُلاة (موسى بن الأشيم)، فقال: «كان يأتيني فيدخل عليَّ هو وصاحبه، وحفص بن ميمون، ويسألوني، فأخبرهم بالحق، ثمَّ يخرجون من عندي إلى أبي الخطاب، فيخبرهم بخلاف قولي، فيأخذون بقوله، ويذرون قولي»[1]. و«إني لأحدّث الرجل بحديث وأنهاه عن الجدال والمراء في دين الله تعالى، وأنهاه عن القياس فيخرج من عندي فيتأول حديثي على غير تأويله»[2].

وكذلك أورد الكشّي في رجاله عن الإمام الصادق قوله:

«لا تَقْبَلُوا عَلَيْنا حَديثًا، إلّا ما وافَقَ القُرآنَ والسُنَّةَ أوْ تَجدُونَ مَعَهُ شاهِدًا من أحاديثنا المُتَقَدِّمَةِ، فإنَّ المُغَيْرَةَ بنَ سَعيدٍ ـ لَعَنَهُ اللَّهُ(*) ـ دَسَّ في كُتُبِ أصْحابِ أبي أحاديثَ لَمْ يُحَدِّثْ بها أبي! فَاتَقُوا اللَّهَ ولا تَقْبَلوا عَلَيْنا ما خالَفَ قَوْلَ رَبِّنا تعالى وسُنَةَ نَبِيِّنا مُحَمّدٍ صلى الله عليه وآله فإنّا إذا حَدَّثْنا قُلنا: قالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ وقالَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله»[3].

وجاء في رجال الكشي عن قول يونس بن عبد الرحمٰن:

«وافَيْتُ العِراقَ فَوَجَدْتُ بِها قِطعَةً مِن أصحاب أبي جَعْفرٍ عليه السلام مُتَوافِرينَ

---

(١) رجال الكشي، ترجمة جعفر بن ميمون وموسى بن أشيم ص٢٤٦ رقم (٨٦ و١٨٧ و١٨٨). وقال أبو عمرو الكشي، قال يحي بن عبد الحميد الحماني في كتابه المؤلف في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام: قلت لشريك: «لعله شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي المتوفي سنة (١٧٧ أو١٧٨)، إن أقوامًا يزعمون أن جعفر بن محمد ضعيف الحديث: فقال: أخبرك القصة، كان جعفر بن محمد رجلًا صالحًا مسلمًا ورعًا، فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عنده، ويقولون: **حدثنا جعفر بن محمد، ويحدثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر، ليستأكلوا الناس بذلك، ويأخذوا منهم الدراهم، كانوا يأتون من ذلك بكل منكر،** فسمعت العوام بذلك منهم، فمنهم من هلك ومنهم من أنكر، وهؤلاء مثل المفضَّل بن عمر وبنان وعمر النبطي وغيرهم، ذكروا أن جعفر حدثهم أن معرفة الإمام تكفي من الصوم والصلاة، وحدثهم عن أبيه عن جده وأن عليًّا عليه السلام في السحاب يطير مع الريح وأنه كان يتكلم بعد الموت، وأنه كان يتحرك على المغتسل، وأن الله إله السماء، وإلٰه الأرض الإمام، فجعلوا لله شريكًا جُهّال ضُلّال، والله ما قال جعفر شيئًا من هذا قط، كان جعفر أتقى لله وأورع من ذلك فسمع الناس ذلك فضعفوه، ولو رأيت جعفرًا لعلمت أنه واحد من الناس». (رجال الكشي: ص٢٣١، ترجمة المفضَّل بن عمر، رقم ١٥٤).

(٢) الخوئي، معجم الرجال ١٦٨١، عن الكشي.

(*) ملاحظة: وضعت شرطتين لأني أتحفظ على أن الأئمة يلعنون كما سيأتي في الفصل الثالث «صحة زيارة عاشوراء» لكن على كل الحالات ستجدون أن الأئمة لم يلعنوا سوى «الغلاة» لأنهم أشر من اليهود على حد قولهم عليهم السلام.

(٣) رجال الكشي، طبعة كربلاء، ص١٢٤.

فَسَمِعْتُ مِنْهُم وأخَذْتُ كُتُبَهُم فَعَرَضْتُها بَعْدُ عَلى أبِي الحَسَنِ الرِّضا عليه السلام فأنْكَرَ مِنها أحاديث كثيرَةً أن تكونَ مِنْ أحاديثِ أبي عَبْدِ اللَّه. . .»[1].

والذي يُفهم من هذه الأحاديث أن الأخبار الموضوعة لم تُنسب إلى بعض الأئمّة فحسب، بل نُسبت إلى جميع الأئمّة من أهل البيت كما نقرأ ما ورد عن **الإمام الصادق عليه السلام في رواية الكشي أنه قال:**

«إنَا أهلُ بيتٍ صادِقُونَ لا نخلُو مِن كَذّابٍ يَكْذِبُ عَلَينا فَيَسْقُطُ صِدقُنا بِكذبِهِ عَلَيْنا عِنْدَ النّاس، كانَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أصْدَقَ البَرِيَّةِ لَهْجَةً وكانَ مُسَيْلِمَةُ يَكْذِبُ عليهِ، وكانَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام أصْدَقَ مَنْ بَرَأَ اللَّهُ مِن بَعدِ رَسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وكانَ الَّذي يَكْذِبُ عليه مِنَ الكَذِبِ عَبْدُ اللَّه بنُ سَبَأٍ ـ لَعَنَهُ اللَّهُ ـ وكان أبو عبد اللَّهِ بن الحُسينِ بن عليٍّ عليه السلام قَد ابتُلِيَ بِالمُخْتارِ. ثُمَ ذَكَرَ أبو عبدِ اللَّهِ عليه السلام الحارِثَ الشاميَّ وبُنانَ فقالَ: كانا يَكْذِبانِ على عليّ بنِ الحُسينِ عليه السلام، ثُمَّ ذَكَرَ المُغَيْرَةَ بْنَ سعيدٍ وبَزِيعًا والسَّرِيَّ وأبا الخطّاب ومُعَمرا وبشّارًا الأشعريَّ وحَمْزَةَ اليزيديَّ وصائدًا النَهْدِيَّ فقالَ: لَعَنُهُم اللَّهُ»[2].

وفي عيون أخبار الرضا «عن يزيد بن عُمير بن معاوية الشامي» قال:

دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام بمَرْو، فقلت له: يا بن رسول اللَّه روى لنا الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: لا جبرَ ولا تفويض بل أمرٌ بين أمرين، فما معناه؟ فقال: من زعم أنّ اللَّه (عزَّ وجلّ) يفعل أفعالنا ثمَّ يعذّبنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم أنّ اللَّه فوّض أمر الخلق والرزق إلى حُججه فقد قال بالتفويّض، والقائل بالجبر كافرٌ والقائل بالتفويّض مشرك»[3].

لقد وقف أئمتنا عليهم السلام موقفًا سلبيًا من الغُلاة والمفوّضة بمختلف أشكالهم ومراتبهم، وليس من يدّعي الربوبية لعباد اللَّه فقط، بل مَن يسلك مقدّمات تلك الدعوى بعنوان الحب المفرط والولاء المغلوط، **قال أمير المؤمنين** عليه السلام:

---

(١) رجال الكشي، طبعة كربلاء، ص١٩٥.

(٢) رجال الكشي، طبعة كربلاء، ص٢٥٧، ٢٥٨.

(٣) عيون أخبار الرضا، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م) ط١، ج٢، ص١١٤، بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٧.

«هلك فيَّ إثنان محبٌ غال[1] ومبغضٌ قال»[2] وفي خطبة أخرى «**سيهلك فيَّ صنفان: محبٌّ مفرط يذهب به الحبّ إلى غير الحق. ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس فيَّ حالًا النمط الأوسط فالزموه»[3].**

وتكرار هذا القول بعدّة أوجه يدلّ على شدّة تحذير الإمام عليه السلام للناس من ذلك. إن الألغام الفكرية والتاريخية والتراثية التي وضعت هنا وهناك، ولأجل هذا وذاك أو للقضاء على هذا وذاك، هي أشد فتكًا من الألغام المتفجّرة التي تقتل الناس، وتحرّض على الفعل وردة الفعل، ولولا الأُولى لما وصلنا إلى الثانية، حيث إننا نرى أئمتنا عليهم السلام كيف يحذّرونا قبل حوالي ١٢٠٠ سنة أن لا نُخدع بهذه الألغام والمطبّات التي وضعت لهم تحت أي اسم وأي عنوان، وعلينا أن نكون واعين حذرين. ومن أوضح النصوص في ذلك، وهو بيّنَ لنا مدى خطورة هذه الألغام:

روى الشيخ الصدوق في كتاب (عيون أخبار الرضا) بسند صحيح عن إبراهيم بن أبي محمود (الخُراساني).

قال: «قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول اللّه إن عندنا أخبارًا في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفضلكم أهل البيت وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عندكم، أفندين بها؟ فقال: يا بن أبي محمود، لقد أخبرني أبي، عن أبيه، عن جده عليه السلام أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن اللّه عزَّ وجلّ فقد عبد اللّه وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس، ثمَّ قال الرضا: يا بن محمود إن مخالفينا وضعوا أخبارًا في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام، أحدها الغُلوّ وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب[4] أعدائنا، فإذا سمع الناس الغُلوّ فينا كفّروا شيعتنا، ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائِنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال اللّه عزَّ وجلّ:

---

(١) **الغالي**: المتجاوز الحد في حبه بسبب غيره أو دعوى حلول اللاهوت فيه.

(٢) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ) ط٢، ج١٨، ص٢٢٨، حكمة (١١٣).

(٣) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ط٢، ج٨، ص١١٢، خطبة (١٢٨)، المناقب للكوفي: ٢/ ٧٤٧/٢٨٣، إثبات الهداة: ج ٧ ص ٤٦٣.

(٤) الثلب: شدة اللوم، والأخذ باللسان، وثلَبه ثلبًا: اذا صرّح بالعيب، والمثالب: العيوب، الواحدة مثلبة.

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1] يا بن محمود: إذا أخذ الناس يمينًا وشمالًا فالزم طريقتنا، فإنه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه إن أدنى ما يَخْرُج به الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة: هذه نواة ثمَّ يدين بذلك ويبْرَأُ ممن خالفه، يا بن محمود احفظ ما حدَّثتك به، فقد جمعتُ لك خير الدنيا والآخرة»[2].

وهكذا يكشف الإمام الرضا عليه السلام الخطة الخبيثة التي قام بها أعداؤهم لمحاربتهم ومحاربة خطهم، وذلك بأن يقوم هؤلاء الأعداء المحترفون بتوريط شيعة أهل البيت عليهم السلام والمنتسبين إليهم في روايات مخالفة للقرآن وللشريعة الإسلامية تُنْسَب صفات الخالق للأئمة، وأنهم تحدّثوا عن أنفسهم وقالوا كذا وكذا، وهم لم يقولوها وهم منها براء، فيرويها البسطاء المغررون من الشِّيعة على أنّها روايات في فضائل أهل البيت وعظمتهم، وتدل على منازلهم العالية التي اختصهم اللَّه بها، ويتناقلونها فيما بينهم، ويدخلونها في كتبهم - بل والكثير من عوام الناس أو خطباء المنابر أو رجال الدين يفتخرون بها - حتى إذا ما استقرت وأصبحت جزءًا من تراثهم، انقض عليهم أولئك الأعداء، فاتهموا الشِّيعة بالْغُلُوّ، وأنهم يدّعون في أئمتهم الربوبية، ثمَّ يكفروّنهم لتحل أموالهم ودماؤهم لهم.

وجاء في «عيون أخبار الرضا» باب ٤٦ (ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمّة عليهم السلام والرد على الغُلاة والمفوّضة لعنهم اللَّه):

عن الحسن بن الجهم، قال: «حضرت مجلس المأمون يومًا وعنده علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد اجتمع الفُقهاء وأهل الكلام من الفِرَق المُختلفة فسأله بعضهم، . . . قال له المأمون: يا أبا الحسن بلغني أن قومًا يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحدّ، فقال الرضا عليه السلام: حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحُسين عن أبيه الحُسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: **لا ترفعوني فوق حقي فإنَّ اللَّه تبارك وتعالى اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني نبيًا، قال اللَّه تبارك وتعالى:**

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٨.

(٢) عيون أخبار الرضا، الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) ط١، ج٢ ص٢٧٢، حديث رقم (٦٣)، بحار الأنوار ج٢٦، ص٢٣٩.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1]. **قال علي عليه السلام: يهلك فيَّ اثنان ولا ذنب لي، محب مفرط ومبغض مفرط وأنا أبرأ إلى اللّه تبارك وتعالى ممن يغلو فينا ويرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى قال اللّه تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[2] وقال عزَّ وجلّ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾[3] وقال عزَّ وجلّ: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ﴾[4]. **ومعناه أنهما كانا يتغوطان، فمن ادعى للأنبياء ربوبية وادعى للأئمة ربوبية أو نبوة أو لغير الأئمّة إمامة فنحن منه براء في الدنيا والآخرة...»**[5].

المفوّضة يقولون إن اللّه سبحانه وتعالى فوّض أمر الرزق إلى حججه، فهل يصح هذا الكلام؟(*)

للإجابة على هذا السؤال نحتاج لدراسة عدة أمور من خلال منظور القرآن الكريم والسُّنّة الشريفة، لنعرف مدى صحة هذا القول من عدمه، وسيكون حديثنا في عدة نقاط هي كالتالي:

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١١٦ ـ ١١٧.

(٣) سورة النساء، آية: ١٧٢.

(٤) سورة المائدة، آية: ٧٥.

(٥) عيون أخبار الرضا، الصدوق، مؤسسة الأعلمي/ بيروت (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م) ط١، ج١، ص٢١٦، ٢١٧.

(*) بعض فقرات هذا البحث مقتبسة بالتصرف من مقال للشيخ عباس الموسى. مواليد: الإحساء، بكالوريوس في الكيمياء الحيوية، أستاذ حوزوي بمدينة الدمام في المنطق واللغة العربية والفقه وحلقات الشهيد الثلاث وعلميْ الرجال والدراية. من مؤلفاته: (١) صحة معتقداتنا (٢) سلسلة منهاج الثقافة الإسلامية للشباب (٣) كيف تحفظ القرآن الكريم (٤) نفحات العاشقين (٥) زاد المؤمنين (٦) المرأة في الحج.

١ ـ من هو الرزاق؟
٢ ـ الرزق من صفات اللَّه
٣ ـ إنكار الأئمّة عليهم السلام تفويض الرزق إليهم
٤ ـ الأدعية الواردة عن أهل البيت في طلب الرزق
٥ ـ أهل البيت عليهم السلام يحثّون الناس على طلب الرزق من اللَّه
٦ ـ الخلاصة

ملاحظة: قبل الشروع بالبحث أحببت أن أُبدي ملاحظة، وهي أنني اعتمدتُ في كتب تفسير القرآن على التفاسير المعتبرة عند علماء الإمامية «وهي مورد استفادة وسَلِسة مثل (مجمع البيان) للطبرسي و(تفسير الميزان) للمرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي و(التفسير الأمثل في كتاب الله المنزل) للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، و(البيان في تفسير القرآن) للسيد الخوئي.

أمّا التفاسير المحسوبة على الشِّيعة، ولكنها للأسف متطرفة جدًا، وفيها ما فيها من «الخرابيط» مثل: تفسير البرهان أو تفسير القمّي أو تفسير الصافي للفيض الكاشاني(*) فلم اعتمد عليها»[١].

من هو الرازق؟

الرازق هو اللَّه سبحانه وتعالى، ولا يشك أي مخلوق يؤمن بوجود الخالق أن اللَّه هو الرازق، وقد تقرر ذلك في آيات متعددة في القرآن الكريم، منها:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[٢] والمقام هنا مقام الحصر، أي: أن الرزق محصور في اللَّه سبحانه وتعالى فقط، وهذا هو دور ضمير الفصل (أو ضمير الشأن) الذي جاء ليحدد الرزق ويحصره في اللَّه فقط.

(*) هذا الكتاب «تفسير الصافي» كتبه الملا محسن الفيض الكاشاني من مرحلة الخلط بين الفلسفة اليونانية وشطحات الصوفية، وبعد انقضاء هذه المرحلة غير الناضجة والوصول إلى الكمال العلمي أعلن تبرُّؤَهُ من الانحرافات الموجودة في هذا الكتاب وغيره. (راجع كتاب «علماء الشِّيعة والصراع مع البدع والخُرافات في الدين» الإمام الشيخ محمد الخالصي، دار ومكتبة الهلال، ط١ (٢٠٠١م) ص٢٣٣).

(١) نقلًا عن كتاب «بين قوسين ـ جولة في دهاليز مظلمة» السيد محمد حسن الكشميري، دار النصر/ بيروت، سؤال رقم (٥٢) ص٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٨.

فما هو معلوم أن ضمير الفصل هو من أحوال المسند إليه لأنه يقترن به أولًا، وفي المعنى عبارة عنه وفي اللفظ مطابق له، **وله فوائد:**

أ ـ قصر المسند على المسند إليه، نحو «زيد هو أفضل من عمرو» و(ألم يعلموا أن اللَّه هو يقبل التوبة من عباده).

ب ـ مجرد التأكيد إذا حصل الحصر بغير ضمير الفصل كما إذا كان في الكلام ما يفيد قصر المسند على المسند إليه كتعريف المسند باللام في (إن اللَّه هو الرزاق)، أي: لا رزاق إلّا اللَّه، أو كان في الكلام ما يفيد المسند إليه على المسند كتعريف المسند إليه باللام في «الكرم هو التقوى» أي «لا كرم إلّا التقوى» فضمير الفصل يؤكد هذا الحصر. وهذا ما هو موجود في الآية. **هذا أولًا.**

يقول السيد الطباطبائي:

«والتعبير بالرزّاق ـ اسم مبالغة ـ وكان الظاهر أن يُقال: إن اللَّه هو الرزّاق للإشارة إلى أنه تعالى إذا كان رازقًا وحده كان رزاقًا لكثرة من يرزقه فالآية نظير قوله: (وما أنا بظلّام للعبيد) وذو القوة من أسمائه تعالى بمعنى القوي لكنه أبلغ من القوي، والمتين أيضًا من أسمائه تعالى بمعنى القوي. والتعبير بالأسماء الثلاثة للدلالة على انحصار الرزق فيه تعالى وأنه لا يأخذه ضعف في إيصال الرزق إلى المرتزقين على كثرتهم»[1].

ثانيًا: لقد وردت آيات كثيرة تقرر أن اللَّه سبحانه وتعالى هو الرازق الوحيد منها:

١ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾[2].

---

(١) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، دار إحياء التراث/بيروت، الآيات ٥٢ ـ ٦٠، ط١ (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، ج١٨ ص٣١٧. ويقاربه في ذلك «الأمثل في تفسير كتاب اللَّه المنزل» الشيخ ناصر مكارم الشيرازي الآيات ٥٦ ـ ٥٨، من سورة الذاريات، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت / لبنان، ط١ (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م) ج١٧، ص٨٧، ٨٨.

(٢) سورة الروم، آية: ٤٠.

٢ ـ ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١)﴾[(١)].

٣ ـ ﴿۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦)﴾[(٢)].

٤ ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠)﴾[(٣)].

٥ ـ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١)﴾[(٤)].

٦ ـ ﴿...وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[(٥)].

٧ ـ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١)﴾[(٦)].

٨ ـ ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)﴾[(٧)].

٩ ـ ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤)﴾[(٨)].

١٠ ـ ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[(٩)].

١١ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ... (٤٧)﴾[(١٠)].

---

(١) سورة النحل، آية: ٧١.
(٢) سورة هود، آية: ٦.
(٣) سورة العنكبوت، آية: ٦٠.
(٤) سورة الملك، آية: ٢١.
(٥) سورة الأنعام، آية: ١٥١.
(٦) سورة يونس، آية: ٣١.
(٧) سورة النمل، آية: ٦٤.
(٨) سورة سبأ، آية: ٢٤.
(٩) سورة فاطر، آية: ٣.
(١٠) سورة يٓس، آية: ٤٧.

والكثير من الآيات التي تحصر الرزق في اللّه دون غيره ولا مجال لذكرها لئلا يطول المقام.

يقول السيد الطباطبائي:

«والاعتبار العقلي يؤيد ذلك، فإنَّ الرزق هو ما يديم به المخلوق الحي وجوده وإذا كان وجوده من فيض جوده تعالى فما يتوقف عليه من الرزق من قبله، وإذ لا شريك له تعالى في إيجاده لا شريك له في ما يتوقف عليه وجوده كالرزق»[1].

الرزق من صفات اللّه

الرزق والرازقية من صفات اللّه الثبوتية والصفات الثبوتية هي الصفات التي يتصف بها سبحانه وتعالى دون غيره. وقد عرفت الصفات الثبوتية في الكتب الكلامية والفلسفية بـ(كل ما أوجب اتصاف الواجب به كمالًا وبهاءً بلا استتباع نقص) وقوله: (اتصاف الواجب) قد يخرج غير الواجب وهو الممكن والذي هو الإنسان، فالممكن لا يتصف بأي صفة ثبوتية، فهذه الصفات للّه وللّه فقط.

فإذا كانت هذه الصفة للخالق، فكيف يوصف بها المخلوق؟!

وإذا سلمنا أيضًا بأن هذه الصفة صفة ثبوتية فعلية للّه، فإنه لا يمكن أن تكون لأحد من البشر.

إنكار الأئمّة عليهم السلام تفويض الرزق إليهم:

ذكرنا فيما سبق أن القرآن الكريم يؤكد في العشرات من آيات اللّه البيّنات على فكرة أن اللّه وحده الرازق لجميع المخلوقات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[2].

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3] وبدون أن يستعين بأحد.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾[4].

---

(١) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، تفسير سورة هود، الآية٦، دار إحياء التراث/ بيروت، ط١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ج ١٠، ص ١١٥.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٨.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١١١.

تؤكد آيات كثيرة على أن الأنبياء عباد للرحمن عاشوا وماتوا كباقي البشر إلّا في عظمتهم ورسالتهم الرفيعة، بل هم عباده المخلصون المكرمون كما قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾[1]. ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦﴾[2] فهم عباد الرحمن، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٤٩﴾[3].

ويذكر القرآن الكريم بصورة خاصة نبي الإسلام محمد ﷺ على أنه إنسان لا يختلف عن باقي الناس إلّا بنزول الوحي عليه لإبلاغه إلى البشر: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[4] وقد أمر اللّه نبيه أن يؤكد على بشريته تلك للذين طلبوا منه معجزة قبل الإيمان به ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣﴾[5]. ولم يشر الكتاب الكريم إلى فكرة كون النبي فوق البشر بل لم تظهر هذه الفكرة إلّا بعد وفاته ﷺ.

إن مسألة التفويض جاءت من الغُلاة ابتداءً من زمان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك من فرقة تُسمّى بالمفوّضة(*) ثمَّ ظهرت هذه الفرقة بقوة في زمن الإمام الصادق عليه السلام من قبل الفلاسفة المنحرفين الذين نسجوا نظرية **(الفيض)** واعتقدوا بوجود مساعدين لله تعالى في خلق الكون وإدارته، الذين يعبّرون عنهم بـ: «**ما بهم الوجود**» إلى جانب: «**ما منه الوجود**»، وهو الله عزَّ وجلّ.

---

(١) سورة الصافات، آية: ٤٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٢٦.

(٣) سورة يونس، آية: ٤٩.

(٤) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٥) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠ ـ ٩٣.

(*) انظر «الملل والنحل» الشيخ السبحاني، ج ٧، ص ١٩ ـ ٢٦، يقول الشيخ جعفر السبحاني: من المظنون جداً أن هذه الفرقة صنعتها السياسة الأثيمة لتشويش سمعة الأئمة الطاهرين ـ عليهم السلام ـ ومحق روعتهم.

إن هذه أمور منكرة تتناقض وعقيدة التوحيد، وكما هو معروف أن الشرك في الناس أخفى من دبيب النمل، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[١]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾[٢] ﴿...وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[٣].

وهذه الفرقة تعتقد أن اللّه فوّض أمر الخلق والرزق إلى الأئمّة عليهم السلام ولذا جاءت محاربة أئمة أهل البيت عليهم السلام لهؤلاء الغُلاة بما يزعمون من أنهم فُوِّض إليهم الرزق، وقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«الغُلاة كفّار والمفوّضة مشركون...»[٤].

وجاء عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: **«من زعم أن اللّه عزَّ وجلّ فوّضَ أمر الخلق والرزق إلى حُججه فقد قال بالتفويض، والقائل بالتفويض مشرك»[٥].**

وعن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن ياسر الخادم، قال: قلت للرضا عليه السلام «ما تقول في التفويض؟ فقال: «إن اللّه تبارك وتعالى فوّض إلى نبيه صلى الله عليه وآله أمر دينه فقال: ﴿...وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٦] فأما الخلق والرزق فلا، ثمَّ قال عليه السلام: إن اللّه عزَّ وجلّ يقول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[٧] وهو يقول: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾[٨]»[٩].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٤) عيون أخبار الرضا، الصدوق، باب ٤٦ ـ ما جاء عن الرضا في وجه دلائل الأئمة والرد على الغُلاة والمفوضة، ج ١، ح٤، ص ٢١٩.

(٥) عيون أخبار الرضا ـ الشيخ الصدوق، باب ١١ ـ ما جاء عن الرضا بن موسى عليه السلام من الأخبار في التوحيد، ج٢، ح١٧، ص١١٤.

(٦) سورة الحشر، آية: ٧.

(٧) سورة الرعد، آية: ١٦.

(٨) سورة الروم، آية: ٤٠.

(٩) عيون أخبار الرضا، الصدوق، باب ٤٦ ـ ما جاء عن الرضا في وجه دلائل الأئمة والرد على الغُلاة والمفوّضة، ج١، ح٣، ص ٢١٩.

وصريح الأخبار ـ كما هو القرآن ـ نفي الرزق عن غير اللَّه تعالى، وكما ذكرنا سابقًا:

قيل للإمام الصادق عليه السلام: «إن رجلًا يقول بالتفويض. فقال: ما التفويض؟ فقيل له: يقول أن اللَّه عزَّ وجلّ خلق مُحّمدًا وعليًا ثمَّ فوّضَ الأمر إليهما فخلقا ورزقا وأحييا وأماتا، فقال عليه السلام: كذب عدو اللَّه إذا رجعت إليه فاتل عليه هذه الآية التي في سورة الرعد: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾[1]، فانصرفت إلى الرّجل فأخبرته بما قال الصّادق عليه السلام، فكأنما ألقمته حجرًا، أو قال: فكأنما خرس»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضًا:

«... فواللَّه ما نحنُ إلَّا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذّبنا فبذنوبنا، واللَّه ما لنا على اللَّه من حجة، ولا معنا من اللَّه براءة، وإنا لميتون، ومقبورون، ومنشرون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسؤولون، ويلهم مالهم... فلقد آذوا اللَّه وآذوا رسوله صلى الله عليه وآله في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحُسَيْن وعلي بن الحُسين ومحمد بن علي عليهم السلام»[3].

الأدعية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في طلب الرزق:

كان الرضا عليه السلام يقول في دعائه:

«اللهم إني بريء من الحول والقوة ولا حول ولا قوة إلّا بك، اللَّهُمَ إني أعوذ بك وأبرأ إليك من الذين ادعوا لنا ما ليس لنا بحق، اللَّهُمَ إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا، اللَّهُمَ لك الخلق ومنك الرزق وإياك نعبد وإياك نستعين .... اللَّهُمَ من زعم أنّا أرباب فنحن منه براء، ومن زعم أنّ إلينا الخلق وعلينا الرزق، فنحن براء منه كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى، اللَّهُمَ إنّا لم

(١) سورة الرعد، آية: ١٦.

(٢) اعتقادات الإمامية، الصدوق/ باب الاعتقاد في نفي الغلوّ والتفويض ص ٧٤ وص ١٠٠، بحار الأنوار، المجلسي، ج ٢٥، ص ٣٤١ ـ ٣٤٤.

(٣) اختيار معرفة الرجال، الطوسي، ج ٢، ص ٤٩١، رجال الكشي، الأعلمي/ بيروت، ص١٦٥، رقم(١٠٣).

ندعهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يدعون ولا تدع على الأرض منهم ديارًا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجرًا كفارا»[1].

فالإمام الرضا يقول: **(لكَ الخلْقُ ومنك الرزقُ)** فالرزق من اللّه لا من الأئمّة وقال أيضًا: **(ومن زعم أنَّ إلينا الخلق وعلينا الرزق، فنحن براء منه كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى)**، فالإمام يتبرّأ ممن يدّعي أنهم يَرْزِقون، ونحن ـ بعض الشِّيعة ـ نصرّ على أنهم يَرْزِقون، أو مفوّضون بذلك، سبحان اللّه!

ودعا عليه السلام في ذيل دعائه بأن لا يبقى أحد ممّن يدّعي أنهم يرزقون بقوله: **(ولا تدع على الأرض منهم ديارا إنك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجرا كفارا)** وأكد في دعائه أنهم ـ أهل البيت ـ لم يدعوا شيعتهم وأتباعهم ولا غيرهم إلى ما يزعمون فيهم.

وجاء في دعاء الجوشن الكبير ما يؤكد أن اللّه هو الرزاق الوحيد كما في المقطع (٩٠): (يا مَنْ لا ينزل الْغَيْثَ إلّا هو، يا مَنْ لايَبْسُطْ الرِّزْقَ إلّا هُوَ، يا مَنْ لا يُحْيِي الْمَوْتَى إلّا هُوَ)[2] فقوله عليه السلام: (يا مَنْ لايَبْسُطْ الرِّزْقَ إلّا هُوَ) يحدد فيها أن اللّه هو باسط الرزق للعباد وحده دون سواه.

وانظروا إلى التعارض الواضح بين فقرة: (يا مَنْ لا يُنَزِّلُ الْغَيْثَ إلّا هُوَ) وبين إحدى الزيارات في المقطع (وَبِكُمْ يُنَزِّلُ اللّهُ الْغَيْثَ)[3]، ففي الأولى (إلّا هُوَ)، وفي الثانية (بِكُمْ) فأيهما نُصدّق وقد رفض أئمتنا موضوع التفويض كُليًّا ....!؟

وجاء أيضًا عبارات في دعاء الجوشن تُحدّد أن اللّه رازق العباد دون سواه:

٧ ـ (... يا رَازِقَ الْبَرايا يا قاضِيَ الْمَنايا...).

٨ ـ (... يا ذَا الْجُودِ والسَّخاءِ يا ذَا الآلاءِ والنَّعْماءِ....).

١٠ ـ (... يا رازِقَ كُلِّ مَرزُوقٍ يا مالِكَ كُلِّ مَمْلُوكٍ....).

٢٠ ـ (... يا رازِقَ الأَنامِ....).

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٢٥، ص ٣٤٣.
(٢) كتاب مفاتيح الجنان، ص ١٣٣، ١٣٤.
(٣) مفاتيح الجنان، ص ٤٥٩.

٥٢ ـ (... يا رازِقَ المُقِلِّينَ....).
٦١ ـ (اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ يا خالِقُ يا رازِقُ....).
٦٦ ـ (... يا مَنْ رَزَقَني وَرَبَّاني... يا مَنْ أَطْعَمَني وَسَقاني....).
٧٠ ـ (... يا حَيُّ الَّذي يرْزُقُ كُلَّ حَيّ....).
٧٥ ـ (... يا مَنْ رزقُهُ عُمومٌ لِلطَّائِعِينَ والْعاصِينَ....).
٧٩ ـ (... يا رازِقَ الطِّفْلِ الصَّغيرِ....).
٨٨ ـ (... يا رازِقَ الْبَشَرِ....).

وعندما نتلمّس أدعية الصحيفة السجادية نجد فيها مجموعة من أدعية الإمام يحث فيها على دعوة اللَّه للرزق وحاجة العبد لطلب ذلك من اللَّه لا من غيره، ومن ذلك دعاؤه عليه السلام:

اللَهُمَّ إنِّي أَخْلَصْتُ بِٱنْقِطَاعِي إِلَيكَ، وَأَقْبَلْتُ بِكُلِّي عَلَيكَ، وَصَرَفْتُ وَجْهِي عَمَّنْ يَحْتَاجُ إلَى رِفْدِكَ، وَقَلَبْتُ مَسْأَلَتِي عَمَّنْ لَمْ يَسْتَغْنِ عَنْ فَضْلِكَ، **وَرَأَيتُ أَنَّ طَلَبَ ٱلْمُحْتَاجِ إلَى ٱلْمُحْتَاجِ سَفَه مِنْ رَأيِهِ وَضَلَّةٌ مِنْ عَقْلِهِ، فَكَمْ قَدْ رَأَيتُ يَا الهِي مِنْ أُناس طَلَبُوا ٱلْعِزَّ بِغَيرِكَ فَذَلُّوا، وَرَامُوا الثَّرْوَةَ مِنْ سِوَاكَ فَٱفْتَقَرُوا، وَحَاوَلُوا الاْرْتِفَاعَ فَاتَّضَعُوا**، فَصَحَّ بِمُعَايَنَةِ أَمْثَالِهِمْ حَازِمٌ وَفَّقَهُ ٱعْتِبَارُهُ، وَأَرْشَدَهُ إلَى طَرِيقِ صَوَابِهِ بِٱخْتِبَارِهِ فَأَنْتَ يَا مَوْلايَ دُونَ كُلِّ مَسْؤُول مَوْضِعُ مَسْأَلَتِي وَدُونَ كُلِّ مَطْلُوب إلَيهِ وَلِيُّ حَاجَتِي»[1].

والشاهد هنا قوله عليه السلام: (وَرَامُوا الثَّرْوَةَ مِنْ سِواكَ فَٱفْتَقَرُوا)، فطلب الثروة (الرزق) من غير اللَّه افتقار، فاللَّه هو الرزاق، والإمام يوضح هنا هذا المطلب، ويؤكد أن لا رازق إلَّا اللَّه.

ومن دعائه عليه السلام: «أللَّهُمَّ لاَ طَاقَةَ لِي بِالجَهْدِ، وَلاَ صَبْرَ لِي عَلَى البَلاَءِ، **وَلاَ قُوَّةَ لِي عَلَى ٱلْفَقْرِ، فَلاَ تَحْظُرْ عَلَيَّ رِزْقِي، وَلاَ تَكِلْنِي إلَى خَلْقِكَ بَلْ تَفَرَّدْ بِحَاجَتِي، وَتَولَّ كِفَايَتِي**، وَٱنْظُرْ إلَيَّ وَٱنْظُرْ لِي فِي جَمِيعِ أُمُورِي، فَإنَّكَ إنْ وَكَلْتَنِي إلَى نَفْسِي عَجَزْتُ عَنْهَا، وَلَمْ أُقِمْ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهَا، وَإنْ وَكَلْتَنِي إلَى خَلْقِكَ تَجَهَّمُونِي، وَإنْ

(١) الدعاء، ٢٨، دعاؤه عليه السلام متفزعاً إلى اللَّه عز وجل.

أَلْجَأتَنِي إِلَى قَرَابَتِي حَرَمُونِي، وَإِنْ أَعْطَوْا أَعْطَوْا قَلِيلًا نَكِدًا، وَمَنُّوا عَلَيَّ طَوِيلًا وَذَمُّوا كَثِيرًا. **فَبِفَضْلِكَ أللَّهُمَّ فَأَغْنِنِي**، وَبِعَظَمَتِكَ فَٱنْعَشنِي، وَبِسَعَتِكَ فَٱبْسُطْ يَدِي، **وَبِمَا عِنْدَكَ فَٱكْفِنِي**»[1].

والشاهد هنا قول الإمام (فَلاتَحْظُرْ عَلَيَّ رِزْقِي) (فَبِفَضْلِكَ، أَللَّهُمَّ فَأَغْنِنِي) دلالة على أن الرزق منه سبحانه تعالى فقط.

ومن دعائه عليه السلام: «فَمَنْ حَاوَلَ سَدَّ خَلَّتِهِ مِنْ عِنْدِكَ وَرَامَ صَرْفَ ٱلْفَقْرِ عَنْ نَفْسِهِ بِكَ فَقَدْ طَلَبَ حَاجَتَهُ فِي مَظَانِّها وَأَتَى طِلبَتَهُ مِنْ وَجْهِهَا، **وَمَنْ تَوَجَّهَ بِحَاجَتِهِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ أَوْ جَعَلَهُ سَبَبَ نُجْحِهَا دُونَكَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْحِرْمَانِ، وَٱسْتَحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَوْتَ الإِحْسَانِ**... وَعَلِمْتُ أَنَّ كَثِيرَ مَا أَسْأَلُكَ يَسِيرٌ فِي وُجْدِكَ، وَأَنَّ خَطِيرَ مَا أَسْتَوْهِبُكَ حَقِيرٌ فِي وُسْعِكَ، وَأَنَّ كَرَمَكَ لاَ يَضِيقُ عَنْ سُؤَالِ أَحدٍ، وَأَنَّ يَدَكَ بِٱلْعَطاء أَعْلَى مِنْ كُلِّ يَدٍ»[2].

ومن دعائه عليه السلام إذا قتر عليه الرزق: أَللَّهُمَّ إِنَّكَ ٱبْتَلَيْتَنَا فِي أَرْزَاقِنَا بِسُوءِ الظَّنِّ وَفِي آجَالِنَا بِطُولِ الأَمَلِ حَتَّى ٱلتَمَسْنَا أَرْزَاقَكَ مِنْ عِنْدِ ٱلْمَرْزُوقِينَ، وَطَمِعْنَا بِآمَالِنَا فِي أَعْمَارِ ٱلْمُعَمَّرِينَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَهَبْ لَنَا يَقِيناً صَادِقاً تَكْفِينا بِهِ مِنْ مؤونَةِ الطَّلَبِ، وَأَلْهِمْنا ثِقَةً خَالِصَةً تُعْفِنَا بِهَا مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ، وَٱجْعَلْ مَا صَرَّحتَ بِهِ مِنْ عِدَتِكَ فِي وَحْيِكَ، وَأَتْبَعْتَهُ مِنْ قِسَمِكَ فِي كِتَابِكَ قَاطِعاً لٱهْتِمَامِنَا بِالرِّزْقِ ٱلَّذِي تَكَفَّلْتَ بِهِ وَحَسْماً لِلاَشْتِغَالِ بِمَا ضَمِنْتَ ٱلْكِفَايَةَ لَهُ، فَقُلْتَ وَقَوْلُكَ ٱلْحَقُّ الأَصْدَقُ وَأَقْسَمْتَ وَقَسَمُكَ الأَبَرُّ الأَوْفى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[3]. ثمَّ قلت: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[4]»[5].

ومما جاء في الصحيفة السجادية أيضًا:

(١) الدعاء، ٢٢، دعاؤه عليه السلام عند الشدة والجهد وتعسُّر الأمور.
(٢) الدعاء، ١٣، دعاؤه عليه السلام في طلب الحوائج إلى اللّه تعالى.
(٣) سورة الذاريات، آية: ٢٢.
(٤) سورة الذاريات، آية: ٢٣.
(٥) الدعاء، ٢٩، الصحيفة السجادية، ص ١٣٢، ١٣٣.

: (. . . وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ. . . وَٱكْفِنِي مؤُونَةَ ٱلاكْتِسٰابِ، وَٱرْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ ٱحْتِسٰابٍ. . . وَلاٰ تَبْتَذِلْ جٰاهِي بِٱلْإِقْتٰارِ، فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرٰارَ خَلْقِكَ. . .)[1].

:(. . .وَٱرْزُقْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير. . .)[2]

: (. . .وَأَجْرِ مِنْ أَسْبَابِ ٱلْحَلاَلِ أَرْزَاقِي. . .)[3].

: (إِلٰهِي أَحْمَدُكَ وَأَنْتَ لِلْحَمْدِ أَهْلٌ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِكَ إِلَيَّ، . . . ٱبْتَدَأْتَنِي بِالإحْسَانِ، وَرَزَقْتَنِي فِي أُمُورِي كُلِّهَا ٱلْكِفَايَةَ. . .)[4].

: (. . . وَٱرْزُقْنٰا مِنْ مَوٰاهِبِكَ وَأَنْعِمْ عَلَيْنٰا مِنْ فَضْلِكَ وَٱرْزُقْنٰا حَجَّ بَيْتِكَ وَزِيٰارَةَ قَبْرِ نَبِيِّكَ صَلَوٰاتُكَ وَرَحْمَتُكَ وَمَغْفِرَتُكَ وَرِضْوٰانُكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ وَٱرْزُقْنٰا عَمَلًا بِطٰاعَتِكَ. . .)[5].

: (. . . وَٱرْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ رِزْقًا وٰاسِعًا حَلاٰلًا طَيِّبًا، ٱللَّهُمَّ ٱحْرُسْنِي بِحِرٰاسَتِكَ وَٱحْفَظْنِي بِحِفْظِكَ وَٱكْلأْنِي بِكَلاٰءَتِكَ وَٱرْزُقْنِي حَجَّ بَيْتِكَ ٱلْحَرٰامِ. . .)[6].

: (ٱللَّهُمَّ أَعْطِنِي ٱلسَّعَةَ فِي ٱلرِّزْقِ وَٱلْأَمْنَ فِي ٱلْوَطَنِ وَقُرَّةَ ٱلْعَيْنِ فِي ٱلْأَهْلِ وَٱلْمٰالِ. . .)[7].

: يٰا رَبِّ إِنِّي ضَعِيفٌ عَنْ طَلَبِ ٱلدُّنْيٰا وَأَنْتَ وٰاسِعٌ كَرِيمٌ، أَسْأَلُكَ يٰا رَبِّ بِقُوَّتِكَ عَلىٰ ذٰلِكَ وَقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ وَغِنٰاكَ عَنْهُ وَحٰاجَتِي إِلَيْهِ أَنْ تَرْزُقَنِي فِي عٰامِي هٰذٰا وَشَهْرِي هٰذٰا وَيَوْمِي هٰذٰا وَسٰاعَتِي هٰذِهِ رِزْقًا تُغْنِينِي بِهِ عَنْ تَكَلُّفِ مٰا فِي أَيْدِي ٱلنّٰاسِ مِنْ رِزْقِكَ ٱلْحَلاٰلِ ٱلطَّيِّبِ[8].

---

(١) الدعاء، ٢٠، دعاء في مكارم الأخلاق.

(٢) الدعاء، ١٩، دعاؤه عليه السلام عند الاستسقاء بعد الجدب.

(٣) الدعاء، ٣٠، دعاؤه عليه السلام في المعونة على قضاء الدين.

(٤) الدعاء، ٥١، دعاؤه عليه السلام في التضرع والاستكانة.

(٥) مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص ٢٢٥.

(٦) مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص ٢٢٦.

(٧) مفاتيح الجنان، ص ٢٣٠.

(٨) مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، ص ٢٣٣.

أهل البيت عليهم السلام يحثون الناس على طلب الرزق من الله

عندما نطالع أقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام نجدهم يحثّون الناس على طلب الرزق بأنفسهم كما كانوا هم يطلبون رزقهم بأنفسهم كما جاء في الكافي بإسناده إلى **عبد الأعلى مولى آل سام قال**: «استقبلت أبا عبد الله عليه السلام في بعض طرق المدينة في يوم صايف. شديد الحرّ فقلت: جُعلت فداك حالك عند الله عزَّ وجلَّ وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنت تجهد لنفسك في مثل هذا اليوم؟ فقال: يا عبد الأعلى خرجت في طلب الرزق لأستغني عن مثلك»[1].

فلماذا لم يقل الإمام الصادق عليه السلام وهو أعلم منّا بهذه الأُمور يا أمير المؤمنين يا علي بن أبي طالب أغنني ويعلم ما لجدّه من فضل عند الله؟!

في تهذيب الأحكام بإسناده إلى سدير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أي شيء على الرجل في طلب الرزق؟ فقال: إذا فتحت بابك وبسطت بساطك فقد قضيت ما عليك[2].

وعن علي بن عبد العزيز قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما فعل عمر بن مسلم؟ قلت: جعلت فداك أقبل على العبادة وترك التجارة فقال: ويحه أما علم أن تارك الطلب لا يُستجاب له، إن قومًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[3] أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا: قد كفينا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل إليهم، فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ قالوا: يا رسول الله، الله تكفَّل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة، فقال: إنَّهُ من فعل ذلك لم يُستجب له، عليكم بالطلب[4].

وعن خالد بن نجيح قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أقرِئوا من لقيتم من أصحابكم السلام وقولوا لهم: إنَّ فلان بن فلان يقرئكم السلام وقولوا لهم: عليكم بتقوى الله

---

(١) فروع الكافي، الكليني، باب «ما يجب الاقتداء بالأئمة عليهم السلام في التعرض للرزق» باب المعيشة، ج ٥، ح٣، ص٧٤.

(٢) فروع الكافي، الكليني، باب «الابلاء في طلب الرزق» ج٥، ح١، ص٧٩، تهذيب الأحكام، الطوسي ج ٦، ص ٣٢٣.

(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

(٤) فروع الكافي، الكليني، مصدر سابق «الرزق من حيث لا يحتسب» ج ٥، ح٥، ص ٨٤.

عزَّ وجلَّ وما ينال به ما عند الله إنّي والله ما آمركم إلّا بما نأمر به أنفسنا، فعليكم بالجدّ والإجتهاد وإذا صلّيتم الصبح وانصرفتم فبكّروا في طلب الرزق واطلبوا الحلال فإنَّ الله عزَّ وجلَّ سيرزقكم ويعينكم عليه[1].

وبإسناده إلى عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد اللَّه عليه السلام، رجل قال: لأقعدن في بيتي ولأصلين ولأصومن ولأعبدن ربي عزَّ وجلّ فأما رزقي فيأتيني؟ فقال أبو عبد اللَّه عليه السلام: هو أحد الثلاثة الذين لا يُستجاب لهم[2].

إذًا فالأئمة عليهم السلام حثّوا الناس على طلب الرزق وعدم تركه حتى للتفرغ للعبادة، فإنْ كان ذلك لم يستجب لهم دعاؤهم في الرزق.

وعن إبراهيم بن عبد الحميد عن أيوب أخي أديم بياع الهروي قال كنا جلوسًا عند أبي عبد اللَّه عليه السلام: إذ أقبل العلاء بن كامل فجلس قدّام أبي عبد اللَّه فقال ادع اللَّه أن يرزقني في دعة فقال: لا أدعو لك أُطْلُبْ كما أمرك اللَّه عزَّ وجلّ[3].

وتعلمون أن اللَّه قال في الذكر الحكيم: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فهذا ما أمرَ اللَّه به الناس دُعاءَهُ ليستجيب اللَّه لنا وهذا ما قرره الإمام في هذه الرواية.

كما بيّنوا أن الرزق للعبد مكتوب ومُقر، فمهما عمل، وجهد جهده فلن يحصل أكثر من نصيبه. وذلك ما جاء **عن محمد بن يعقوب عن علي بن محمد عن ابن جمهور عن أبيه رفعه عن أبي عبد اللَّه** عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيرًا ما يقول: إعلموا علمًا يقينًا أنَّ اللَّه لم يجعل للعبد وإن اجتهد جهده وعظمت حيلته وكثرت مكابدته أن يسبق ما سُمِّي له في الذكر الحكيم، ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته أن يبلغ ما سُمِّي له في الذكر الحكيم أيها الناس أنه لن يزداد أمرء نقيرا بحذقه ولن ينقص أمرء نقيرا بحمقه...»[4].

وهذا لا يعني أن الفرد يجلس ولا يعمل لأن رزقه مكتوب ومعد؟ لا... وإنما عليه أن يعمل لتحصيل رزقه وإن لم يعمل لم يحصل على رزق.

---

(١) مستطرفات السرائر، ابن إدريس الحلي، ص ٦٣٤.

(٢) فروع الكافي، الكليني، مصدر سابق، باب «الحث على الطلب والتعرض للرزق» ج ٥، ح١، ص ٧٧.

(٣) فروع الكافي، الكليني، مصدر سابق، باب «الحث على الطلب والتعرض للرزق» ج ٥، ح٣، ص٧٨.

(٤) فروع الكافي، الكليني، باب «الاجمال في الطلب» ج ٥، ح٩، ص ٨١، ٨٢.

قال رسول اللّٰه ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على اللّٰه حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[١].

وقال أيضًا ﷺ: «من انقطع إلى اللّٰه عزّ وجلّ كفاه اللّٰه كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله اللّٰه إليها»[٢].

وقال ﷺ: «من سرَّهُ أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند اللّٰه أوثق بما في يده»[٣].

فعلى هذا إذا كان اللّٰه هو الرزاق، وهو من يرزق الإنسان من حيث يحتسب، ومن حيث لا يحتسب، فعليه لا يصح أن نقول: (يا محمد ارزقني أو يا علي ارزقني)، لأن اللّٰه سبحانه وتعالى أوضح أنه هو رازقهم جميعًا كما في قوله تعالى: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾[٤].

يقول السيد الطباطبائي: «وأما قوله: ﴿...عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ فهو دال على وجوب الرزق عليه تعالى، وقد تكرر في القرآن أنَّ الرزق من أفعاله تعالى المختصّة به، وأنه حق للخلق عليه تعالى، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾[٥]»[٦].

البعض يقول أن الإمام يهدي الإنسان إلى رزقه وكسبه، فهل هذا صحيح؟

الجواب في الآية التالية:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣﴾[٧].

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١١ ص ٢١٧، الترمذي، ج ٩/٢٠٧.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ٤/٣٦٦٣، مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ١٠، ص ٣٠٣.

(٣) معاني الأخبار، الصدوق ص ١٩٦، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤٠٠، فقه الرضا، بن بابويه ٣٦٤.

(٤) سورة هود، آية: ٦.

(٥) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٦) تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، دار إحياء التراث/ بيروت، ط١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ج١٠، ص١١٥.

(٧) سورة إبراهيم، آية: ٣٣.

فالهداية لا تكون إلّا من اللّه وحده هو يرزقها ويهديها، ويوفّر لها أسباب الرزق.

جاء **عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد اللّه** عليه السلام: «من أُعطي ثلاثًا لم يمنع ثلاثًا: من أُعطي الدّعاء أعطي الإجابة[1] ومن أُعطي الشكر أُعطي الزيادة، ومن أُعطي التوكل أُعطي الكفاية[2] ثمَّ قال: أتلوت كتاب اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[3]؟ وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[4]؟ وقال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[5]؟»[6].

يقول اللّه تعالى: ﴿...إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[7].

فهنا يبيّن اللّه عزَّ وجلّ أن كل من سوى اللّه عبدٌ مسخرٌ، وحاجته مثل حاجتك فكيف تتكل عليه؟!

يقول الشيخ جعفر السُبحاني (أحد كبار العلماء المعاصرين في قُمّ): «لو أن إنسانًا أعتقد بأن الله قد فوّض أفعاله ـ من الإرزاق والإحياء وغيرهما ـ إلى بعض مخلوقاته، كالملائكة والأولياء، وأنهم الّذين يديرون شؤون الكون ويدبرون أموره، ولا علاقة لله سبحانه بذلك، ودفعه هذا الاعتقاد إلى الخضوع لهم، فما من شك أن خضوعه هذا عبادة وأن عمله هذا شرك بالله سبحانه»[8].

سُئِلَ السيد محمد حسين فضل اللّه ما حُكمْ من يدعو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد الأئمّة عليهم السلام دون اللّه؟ هل هو مصيب أو مخطئ؟

الجواب: (هذا نوعٌ من الشرك، وقد قال اللّه تعالى: ﴿...فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[9]

(١) في بعض النسخ [لم يمنع الإجابة].
(٢) الكفاية: المراد بالإعطاء توفيق الإتيان به.
(٣) سورة الطلاق، آية: ٣.
(٤) سورة إبراهيم، آية: ٧.
(٥) سورة غافر، آية: ٦٠.
(٦) أصول الكافي، الكليني، باب الرضا بالقضاء، ج ٢، ص ٦٥، ح رقم (٦).
(٧) سورة العنكبوت، آية: ١٧.
(٨) في كتابه «الوهابية في الميزان» ص٢٣٤.
(٩) سورة الجن، آية: ١٨.

فليس صحيحًا أن يقول أحدنا: يا علي ارزقني، أو يا علي أعطني ولدًا، أو يا علي أو يا محمّد، لأن الأئمّة عليهم السلام أنفسهم كانوا يطلبون حاجاتهم من اللّه، وأدعيتهم في طلب الحوائج وفي طلب الرزق كثيرة بين أيدينا. نعم إن اللّه جعل للأنبياء وللأئمة الشّفاعة، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[1] وكما ورد في دعاء (يوم الخميس) المنسوب إلى الإمام علي زين العابدين عليه السلام: «واجعل توسلي به شافعًا يوم القيامة نافعًا»، أي علينا أن نقول: اللّهُمّ شفّعهم فينا، لا أن نطلب منهم أن يقضوا حاجاتنا، لأن اللّه وحده هو الرزّاق، وهو المُحيي وهو المُميت، وقد ورد على لسان إبراهيم عليه السلام كما في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝٨٢﴾[2])[3].

لذا لا نستطيع طلب الرزق من غير اللّه سبحانه وتعالى حيث يقول في محكم آياته: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[4].

كما أن عُلماء ورواة الحديث في مدرسة قُمّ ـ القديمة ـ وقفوا في أوائل القرن الثالث الهجري أمام أفكار المفوّضة موقفًا حازمًا، والمطّلع على هذه الحقبة من تاريخ قُمّ يعرف ذلك، إذ حاولوا بكل قوة التصدي للتيار الجارف في أدبياتهم ـ الغُلاة ـ التي انتشرت آنذاك، وقرروا وصم كل من ينسب للأئمة من أمور فوق مستوى البشر بـ (الغلوّ والغُلاة ومن ثَمَّ إخراجهم من مدينتهم)[5].

والمحصّل من ذلك كُلِّهِ: أن الرازق هو اللّه فقط فإنَّ خَلْقَ ما ينتفع به الحيّ وإيصاله إليه، لا يمكن إلّا من اللّه تعالى، فالعباد وإن كان بعضهم واسطة في إيصال الرزق إلى بعضهم لكنهم ليسوا برازقين، والارتكاز الديني أيضًا لا يسوّغ

(١) سورة الأنبياء، آية: ٢٨.
(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٧٩، ٨٢.
(٣) نقلاً عن جريدة بينات، العدد ٣٩٤، ربيع الأول (١٤٣٣ هـ ـ شباط (فبراير) ٢٠١٢ م).
(٤) سورة الطلاق، آية: ٣.
(٥) راجع كتاب (تطور المباني الفكرية للتشيُّع، الدكتور حسين المدرسي) ص ٥٩.

إطلاق لفظ (الرازق) على غيره تعالى مُطلقًا، ويمكن استفادة ذلك من قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾[1].

فليس من المعقول أن يقف الإنسان بجوار ضريح أحد الأئمّة عليهم السلام، ويدعو: (يا إمام أغنني أو يا إمام ارزقني)، ولا يدعو اللَّه مباشرة، واللَّه عزَّ وجلَّ هو رازقنا ومغنينا ورازق نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورازق أئمتنا عليهم السلام وكل الموجودات...

وعلى هذا، فإنَّ هذا التوجّه يتعارض والقرآن الكريم والسُّنّة النبوية. ولا يمكن الاعتقاد بما خرج من بعض الروايات من مفاهيم مغلوطة تقول إن أهل البيت عليهم السلام مفوّضون بالرزق ويَرزِقون...

وعليه، هل يصح أن نقول ـ مثلًا ـ (يا علي أو يا محمد أو يا أبا الفضل ارزقني أو أغنني...)، وأئمة أهل البيت عليهم السلام يرفضون وينهون عن هذا، ويكذّبون من يقول هذا، ويتهموّنه بالغلوّ؟! إن هذه مفارقة عجيبة أن يرفض أئمة أهل البيت عليهم السلام أن يُقال عنهم أنهم يرْزِقون العباد بطريقة أو بأخرى، و(بعض) شيعتهم يدّعون أنهم يرْزِقون!

وهل يصح قول المفوّضة بعد كل ما تقدّم؟!

ولكن لا مشكلة في طلب الرزق من اللَّه بجاههم، فهم أحبابُ اللَّه، لأنهم يحبّونه، وهم أولياء اللَّه لأنهم يطيعونه، فيمكننا أن نقول:

(اللهم بحق محمد عندك أرزقني) أو (يا رب بحق أمير المؤمنين علي عليه السلام أغنني...) وهكذا...

فالطلب هنا يكون من اللَّه، ولكن بحق نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو بحق أهل بيته الطاهرين، وقولنا هذا لا ينافي اعتقادنا بأنهم شفعاؤنا عند اللَّه يوم تقلّب فيه القلوب والأبصار.

المطلوب أن ننقّي عقولنا من هذه العقائد المغلوطة والموضوعة من قبل أعداء الإسلام وفِرق الغُلاة، والتي علقت عند عموم الموالين نتيجةَ حبهم لأهل البيت عليهم السلام، **ومن هؤلاء فرقة الشيخية التي تقول:**

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

«بما أن الله واحد، فإن مخلوقه واحد أيضًا، وهذا المخلوق الواحد كان مع الله وكائن، سيبقى معه، وهو مثل الله قديم وأزلي وأن الخلق والرزق والحياة والممات والتدبير والتقدير وكل ما يحدث في الوجود ليس من فِعَلِ الله، وإنّما هو من فعل ذلك المخلوق الواحد الذي خلقه الله أولًا، وهذا هو مثل الله لا بل هو ذات الله، وهذا المخلوق هو عبارة عن نور، وسَموا ذلك (الحقيقة المحمدية) [يعني محمد ﷺ وعلي وفاطمة وأولادهما الأحد عشر عليهم السلام والركن الرابع أي الشيخ أحمد الإحسائي والسيد كاظم الرشتي والحاج كريم خان وأولاده إلى أبي القاسم خان] وهؤلاء هم متعددون في الظاهر ولكنهم متحدون في الباطن ويشكلون وحدة واحدة، وهؤلاء هم خالقو السموات والأرض وكل الوجود، وهم مدبرو كل الموجودات، وهو الرازقون والمعطون والمانعون والمحيون والمميتون والموجدون والمفنون وبيدهم الحساب والعقاب في القيامة والجزاء والثواب في الجنة والنار بأيديهم، وليس لله أي عمل وكل شيء حدث في عالم الوجود من الأزَل ويحدث الآن وسيحدث فإنه صادر منهم، وكل من يحرز محبتهم في قلبه فإنه معفو من كل عمل، وإن لم يؤد الصلاة والطاعات والعبادات والخيرات والمبرّات، وارتكب كل المعاصي من القتل وشرب الخمر والسرقة وإفناء أهل العالم وكل المنكرات فإنه لا يُسأل ولا يُعاقب ما دامت محبتهم في قلبه»[1].

الواضح أن الشِّيعة أخذوا ببعض هذه الأفكار وتبنوها، لكنها في الحقيقة هي من صنع فرق الغُلاة، كما سيأتي التفصيل عنها بشكل أوسع لاحقًا.

وأخيرًا، لا شك ولا ريب أنَّ أهل البيت عليهم السلام جميعًا كما كل الأولياء لهم منزلة عند الله ومن تمسّك بهم وعمل بوصاياهم وصَلَ إلى اللّه، فهُمْ الأبرار الميامين، لكن مع كونهم كذلك فهذا لا يعني أننا نعتقد أنهم يرْزِقون أو نقول (يا موسى بن جعفر ارزقني أو يا علي الرضا ارزقني.. إلخ).

---

(١) نقلاً عن كتاب «علماء الشِّيعة والصراع مع البدع والخُرافات» آية الله العظمى الشيخ محمد الخالصي، دار الهلال/ بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠٩م) ص٢٢٣.

الغُلاة كفّار والمفوّضة مشركون

«**عن أبي هاشم الجعفري** قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغُلاة والمفوّضة فقال: الغُلاة كفّار مشركون من جالسهم أو خالطهم أو واكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوّجهم أو تزوّج إليهم أو أمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدّق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة، خرج من ولاية الله عزَّ وجلّ وولاية الرسول وولايتنا أهل البيت عليهم السلام»[1].

وكذلك الإمام الصادق عليه السلام يعتبر الجلوس إلى الغالي وتصديقه بحديثه مُخرجًا من الإيمان كما روى ذلك المفضل بن يزيد قال: قال لي أبو عبد الله الصادق وقد ذكر أصحاب أبي الخطاب والغُلاة: «لا تقاعدوهم ولا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم، ولا تصافحوهم، ولا تورّثوهم»[2] وقال الصادق لمرازم أحد أصحابه: «قل للغالية توبوا إلى الله فإنكم فُسّاقٌ مشركون»[3].

وفي موقف آخر للإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول فيه: «ما نحنُ إلَّا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، والله ما لنا على الله من حُجُّة ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون وموقوفون، ومسؤولون، من أحبَّ الغُلاة فقد أبغضَنا، ومن أبغضهم فقد أحبّنا، الغُلاة كُفّار والمفوّضة مُشركون، ـ لعن الله ـ الغُلاة ألا كانوا نصارى؟ ألا كانوا قدرية؟ ألا كانوا مرجئة؟ ألا كانوا حرورية؟»[4].

والإمامية لا يوّرِثون الغُلاة ولا يدفنونهم ويحرّمون تزويجهم وإعطاءَهم الزكاة، وتجد هذه الأحكام موزّعة في كُتب فقه الإمامية في أبواب الطهارة والزكاة والإرث، وإنَّ الإمامية لا يعتبرون الغُلاة مسلمين، يقول الشهيدان الأول والثاني في اللمعة وشرحها في باب الوقف عند تعريف المسلمين: «**والمسلمون من صلّى إلى القبلة أي اعتقد الصلاة إليها وإن لم يُصَلِّ، لا مستحلًا . . . ، (إلَّا الخوارج والغُلاة) فلا يدخلون في مفهوم المسلمين، وإن صلّوا إليها للحكم بكفرهم**[5] وألحقا بهم المُشبّهة والمُجسّمة في الحكم.

---

(١) عيون أخبار الرضا، ما جاء عن الرضا في وجه دلائل الأئمة عليهم السلام حديث (٤)، ج١، ص٢١٩. بحار الأنوار ج٢٥ ص ٢٧٣، حديث ١٩.

(٢) (٣) رجال الكشي، ترجمة «محمد بن أبي زينب الأسدي» ص٢١١، رقم (١٣٥).

(٤) بحار الأنوار المجلسي، ج٣، ص٥١.

(٥) اللمعة الدمشقية، دار إحياء التراث العربي/ بيروت (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) ط٢، ج٣ ص١٨١.

بشرية الأنبياء

(فيما كانت الحركة الشيعية تتسع وتمتد في القرن الأول الهجري، تعرضت منذ منتصف ذلك القرن لمؤامرة كبرى من بعض أتباع الديانات القديمة المختلفة، اليهودية والنصرانية والمجوسية، الذين دخلوا ظاهريًا في الإسلام، أو من أبنائهم الذين كانوا يعرفون بالموالي، وهم الذين عقدوا الولاء مع القبائل العربية التي فتحت بلادهم، وخصوصًا في العراق. وقد حمل هؤلاء بعضًا من عقائدهم وأفكارهم السابقة وحاولوا إدخالها في الإسلام لينسفوه من داخله، وفي الحقيقة كانت محاولتهم بمثابة رِدَّةً كبيرةً ثانية مُبطَنّة عن أهم أركان الإسلام كالتوحيد والنبوة والمعاد، وخطوة نحو التحلل من قوانين الشريعة الإسلامية.

وكان مدخلهم إلى ذلك: الغلو في أئمة أهل البيت، ثم ادعاء النبوة لهم ثم ادعاء الألوهية للأئمة والنبوة لزعماء الغلاة. وأما أداتهم في ذلك فقد كانت فكرة التناسخ والحلول، وهي نظرية قديمة كانت قبل الإسلام، واستطاعت أن تحرف اليهودية والنصرانية وأن تخترقها وتحولها من التوحيد إلى تأليه بعض الأنبياء كعزير والسيد المسيح عليهما السلام)[1].

إن الغُلوّ في محبّة الأنبياء والأولياء لدرجة إخراجهم من حد البشرية هي من أعظم المصائب التي حلّت على المسلمين وهي ذات وقع وألم كبير على قلوب نبينا وأئمتنا عليهم السلام، وهي أعظم من تلك السهام والرماح والسيوف التي قُتلوا بها حيث يقول اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾[2] وأيضًا: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾[3].

ورُغم أنّ الأنبياء والأولياء عظماء إلّا أنّ الآيات جاءت للتأكيد على بشرية النبي والولي حتى لا نستغرق في عظمتهم ونبتعد عن عظمة خالقهم وبارئهم ومصوّرهم ومكوّنهم ومُحييهم ومميتهم وقد صرّح رسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله في ذلك قائلاً:

---

(١) نقلاً عن كتاب «التشيع السياسي والتشيع الديني»، مؤسسة الإنتشار العربي/ بيروت، ط١ (٢٠٠٩م) ص٦٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤١.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[1] ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[2] ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾[3].

في الجانب البشري للأنبياء تحدّث الشهيد مطهري قائلاً:

«إنَّ الأنبياء بكل جوانبهم الخارقة للعادة من قبيل المعجزة، والعصمة من الذنب والعصمة من الخطأ، القيادة المنقطعة النظير، البناء الفريد، نزاعهم المنقطع النظير مع الشرك والخرافات والمظالم، فهم من جنس البشر أي أنَّهم يمتلكون كل مستلزمات البشرية، يأكلون وينامون ويمشون ويتوالدون، وبالتالي يموتون كالآخرين، وتشملهم التكاليف التي يقومون بتبليغها للبشر، والحرام والحلال موجود بالنسبة إليهم أيضًا، ويُكلَّفون أحيانًا بتكاليف أشد، كما كان التهجد في أواخر اللَّيل ونافلة اللَّيل واجبًا على الرسول الكريم، ولا يستثني الأنبياء أنفسهم من التكاليف أبدًا، ويخافون الله كالآخرين أو أشد خوفًا. ويعبدون الله أكثر من الآخرين، يؤتون الزكاة، ويحسنون لعباد الله، ويسعون من أجل حياتهم وحياة الآخرين، ولا يكونون عالة على الآخرين.

والفرق بين الأنبياء والآخرين هو في موضوع الوحي ومقدماته ولوازمه فقط، والوحي لا يُخرج الأنبياء من البشرية، بل يجعلهم نموذجًا للإنسان الكامل وأسوة للآخرين، ولهذا السبب يكونون قادة الآخرين وطلائعهم»[4].

إن البعض يحاول دائمًا أن يُبرز عظمة الأئمة عليهم السلام فقط من خلال كرامتهم والتأكيد على علمهم المطلق بجميع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، إلى غيرها من الصفات التي توحي إلى الإنسان البسيط أنَّ هؤلاء البعض هم المتمسكون بحبل الأئمة! وهذا البعض يظن أنه بتعظيمه ووصفه لأئمتنا عليهم السلام بنفس المعايير والقيم والصفات التي نستعملها عادة لتعظيم ووصف زعمائنا وأبطالنا القوميين والتاريخيين. إنّما وضعناهم مكانًا عليًّا، مع أنَّ المسألة غير ذلك، وذلك لأن نظام القيمة في الإسلام يختلف كُليًّا

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣١.

(٢) سورة الإسرا، آية: ٩٣.

(٣) سورة يونس، آية: ٤٩.

(٤) نقلًا عن كتاب «الوحي والنبوة» الشهيد مرتضى مطهري، دار الإرشاد/ بيروت، ص١٥٨.

عن نظام القيمة القومي أو الوطني أو الثقافي، فمثلًا نحنُ نظن أننا بوصفنا لنبي الرحمة محمد ﷺ، أنه فوق البشر، إنّما نحنُ قد رفعنا من شأنه وقدره، مع أنَّ قيمة نبي الإسلام ﷺ أنه كان عبدًا لله تعالى، وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام حين قال:

«كان رسول الله يجلس جلوس العبد ويأكل مأكل العبد، ويعلمُ أنه العبد»[1].

إن هذا لأعظم إجلالٍ، لأنه إجلالٌ منطلقٌ من الرؤية ومعايير القيمة الخاصة بالثقافة الإسلامية، أُنظروا كيف تحدّث الإمام الصادق عليه السلام عن نبي الإسلام والصفات التي انتقاها لذلك، مع أنهُ كان قادرًا على أن يصف النبي ﷺ ويعرّفه باستخدام المئات من صفات التبجيل والتعظيم، ولكن ما هي الصفة التي اختارها لذلك؟ **إنها صفة العبودية.**

وكان الإمام الرضا عليه السلام يقول في دعائه كما ذكرنا: «اللهم إني بريء من الحَوْل والقوة ولا حول ولا قوة إلَّا بك، اللَّهُمَ إني أعوذُ بك وأبرأ إليك من الذين ادّعوا لنا ما ليس لنا بحقّ، اللَّهُمَ إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا»[2].

إنَّ الاعتقاد الحق في النبيّ وآله عليهم السلام، هو أنهم عباد الله لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، فالأئمة هم حَفَظَة الدّين والسُنَّة الصحيحة.

وهم عليهم السلام كانوا يمثّلون الواجهة الصحيحة للإسلام، وأخلاقهم هي التي تمثّل أحكام الدين وروحهُ الحقّة، قدوتهم في ذلك النبي الأكرم ﷺ، الذي نهل منه الأئمة عليهم السلام علمهم وفضلهم.

هل الأئمّة عليهم السلام يعلمون الغيب؟

روى الكليني عدة روايات عن الإمام الصادق عليه السلام ينفي فيها علمه بالغيب، وفي رواية أنه عليه السلام ردَّ على أبي الخطاب الذي كان يروّج مثل تلك الإشاعات، فقال: «... وأما قوله: إني قلت: «أعلم الغيب» فوالله الذي لا إله إلَّا هو ما أعلم

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٣، ص٤١٩، طباعة مؤسسة الوفاء، بيروت/لبنان، ط٢، ١٩٨٣م، نقلًا عن المحاسن، مطبعة الكتب الإسلامية، ج٢، ص٤٥٦.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٥، ص٣٤٣.

فلا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له. قال: وقدامه جويرية سوداء تدرج قال: لقد كان مني إلى أم هذه، أو إلى هذه، كخطة القلم فأتتني هذه فلو كنت أعلم الغيب ما كانت تأتيني، ولقد قاسمت مع عبد الله بن الحسن حائطًا بيني وبينه فأصابه السهل والشرب وأصابني الجبل، فلو كنت أعلم الغيب لأصابني السهل والشرب وأصابه الجبل»[1]. وعندما نقل أبو بصير للإمام الصادق قول الغُلاة بأنه يعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب، رفع الإمام يده إلى السماء وقال: «سبحان الله!... سبحان الله!.. لا والله ما يعلم هذا إلَّا الله»[2].

ولما قال له يحيى بن عبد الله بن الحسن: إنَّ قومًا يزعمون أنك تعلم الغيب، قال الصادق عليه السلام: «سبحان الله، ضع يدك على رأسي، فوالله ما بقيت في جسدي شعرة، ولا في رأسي إلَّا قامت، ثمَّ قال: لا والله، ما هي إلّا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[3].

الإمام المهدي يتبرأ من المغالين الذين يقولون أن الأئمّة يعلمون الغيب ويرْزِقونْ:

مما خرج عن الإمام المهدي (عليه السلام) ردًا على الغُلاة من التوقيع جوابًا لكتاب كُتب إليه على يدي محمد بن علي بن هلال الكرخي:

«يا محمد بن علي، تعالى الله (عزَّ وجلّ) عمّا يصفون ـ سبحانه وبحمده ـ ليس نحنُ شركاءه في علمه، ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره كما قال في محكم كتابه تبارك وتعالى: ﴿...لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[4] وأنا وجميع آبائي من الأولين آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من النبيين ومن الآخرين محمد رسول الله وعلي ابن أبي طالب والحسن والحُسَيْن وغيرهم ممن مضى من الأئمّة (صلوات اللّه عليهم أجمعين) إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري، عبيدُ اللّه، يقول اللّه (عزَّ وجلّ): ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[5].

---

(١) الكشي، ترجمة محمد بن أبي زينب الأسدي، ص٢٠٨، الرقم ١٣٥.

(٢) رجال الكشي، ص٢١٢، الرقم ١٣٥، الحُرّ العاملي، إثباة الهداة، ج٣، ص٧٤٨.

(٣) رجال الكشي، مصدر سابق، الحُرّ العاملي، مصدر سابق، ج٣ ص٧٧٢.

(٤) سورة النمل، آية: ٦٥.

(٥) سورة طه، آية: ١٢٤.

يا محمد بن علي قد آذانا جُهلاء الشِّيعة وحُمقاؤهم ومَن دينه جناح البعوضة أرجح منه، وأُشهد اللّه الذي لا إله إلّا هو وكفى به شهيدًا ومحمدًا رسوله وملائكته وأنبياءَهُ وأولياءه وأُشهد كلَّ من سمع كتابي هذا، أنّي بريء إلى اللّه وإلى رسوله ممن يقول إنَّا نعلم الغيب أو نشارك اللّه في مُلكه أو يُحِلّنا محلًا سوى المحلّ الذي نصَّبَهُ اللّه لنا وخلقنا له أو يتعدّى بنا عمّا قد فسرته لك وبيّنته في صدر كتابي، وأشهدكم أن كل مَن نتبرأ منه فإنَّ اللّه يتبرأ منه والملائكة ورسله وأولياءَهُ، وجعلتُ هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك وعنق من سمعه، أن لا يكتمه من أحد من مواليّ وشيعتي حتى يظهر على هذا التوقيع الكلّ من الموالي لعلّ اللّه (عزّ وجل) يتلَقّاهم فيرجعون إلى دين اللّه الحق وينتهون بما لا يعلمون منتهى أمره ولا يبلغ منتهاه فكل مَن فهم كتابي ولم يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته فلقد أمرته ونهيته حلّت عليه اللعنة من اللّه وممن ذكرتُ من عباده الصالحين»[1].

نخرج من هذا النص بعدة أمور:

١ ـ إنّ هذا الكتاب كان ردًا على الغُلاة.

٢ ـ نفي معرفة علم الغيب عن الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وأنهم لا يشاركون الله بذلك.

٣ ـ إن أئمتنا عليهم السلام عبيد اللّه لا يشاركونه في الخلق، ولا في الرزق.

٤ ـ إن من يدّعي مثل هذه الأُمور لهم يؤذيهم، وهو من الجهلاء والحمقى.

٥ ـ إن من يدّعي مثل هذه الأُمور للأئمة فهو ضعيف الدين وخفيف إلى حدّ أنَّ جناح البعوضة أقوى منه.

٦ ـ إنّ هذه الرسالة أمانة في عنق كلّ من يسمعها أن لا يكتمها عن أحد من الموالين الشِّيعة.

٧ ـ تبليغ هذه المفاهيم التي ذكرها الإمام في هذا الكتاب إلى كل الشِّيعة وكل من سمعها عليه أن يبلغها لبقية الشِّيعة.

٨ ـ إنّ من يدّعي معرفة علم الغيب للأئمة فهو من الغُلاة كما هو صريح في هذا النص.

---

(١) الاحتجاج للطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت/لبنان (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) الطبعة المحققة الممتازة ج٢، ص ٤٧٤.

٩ ـ من لم يرجع عن المعتقدات الباطلة فسوف تحلّ عليه اللعنة من اللّه وهي إبعاده عن رحمته ويحل عليه غضبه.

١٠ ـ هذه الرواية من الإمام المهدي عليه السلام في نفي علم الغيب والرزق عنهم تتطابق مع الآيات القرآنية التي خصّت معرفة علم الغيب والرزق باللّه وحده دون خلقه. حيث يقول الله سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[1].

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[2].

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾[3].

إنَّ القول بأنَّ الأئمّة يعلمون الغيب يخالف مبادئ التشيُّع وأحاديث أهل البيت عليهم السلام الذين كانوا ينفون علمهم بالغيب أو استخدام الطريقة الإعجازية الغيبية لإثبات إمامتهم.

ومن ذلك أن «المفيد بن سعيد قد خف للإمام أبي جعفر عليه السلام، فقال لي: أَقْرِرْ أنك تعلم الغيب حتى أجبي لك العراق، فنهره الإمام، وطرده، ثم جاء إلى ابنه الإمام الصادق عليه السلام فقال له مثل ذلك فطرده الإمام عليه السلام وقال له: أعوذ بالله»[4].

ولقد جاءت في «**نهج البلاغة**» نصوصٌ تبيِّن بوضوح أنَّ عليًا عليه السلام لم يكن بمقدوره أن يطَّلع على خيانات بعض أمرائه إلَّا عن طريق عيونه وجواسيسه أو عن طريق رسائل الناس، كما كتب إلى «**قُثَم بن الْعَبَّاس**»[5] يقول له: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي بِالمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُني . . . .**»[6] كما أنه أرسل رسالة توبيخ لشخص من عمّاله

(١) سورة الأنعام، آية: ٤٩.
(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٨.
(٣) سورة الأحقاف، آية: ٩.
(٤) تاريخ ابن الأثير، ج٥، ص٢٠٩.
(٥) وهُوَ عامِلُهُ على مَكّة.
(٦) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ط٢، ج١٦، ص١٣٨، كتاب (٣٣).

خان الأمانة واستولى على أموال بيت المال[1]. وعيَّن «**كميل بن زياد النخعي**» واليًا على «**هيت**» فترك الدفاع عن المدينة ولم يدفع غارة جيش العدوِّ عليها بل سلَّمها دون مقاومة فكتب له الإمام رسالةً يوبِّخه على ذلك[2]. وعَهَدَ الإمام بولاية «**فارس**» إلى «**زياد بن أبيه**» فانقلب عليه وأصبح من أعوان معاوية وقام بقتل كثير من شيعة أمير المؤمنين[3]!.

هل يجوز أن نقول إنَّ عليًا عليه السلام كان يعلم أنهم خَوَنَة، وبالرغم من ذلك عيَّنهم، وبالتالي كان شريكًا لهم؟! معاذ الله إن الأمر ليس كذلك بكل تأكيد، بل إنَّ الإمام لم يكن يعلم علم الغيب.

أقوال عُلماء الإمامية في أنَّ الأئمّة لا يعلمون علم الغيب

الشيخ الصدوق:

«الإمام لا يعلم الغيب، وإنما هو عبد صالح يعلم الكتاب والسُنَّة، ومن ينحل للأئمة علم الغيب فهذا كفر بالله وخروج عن الإسلام عندنا، وأنَّ الغيّب لا يعلمه إلَّا الله وما ادعاه لبشر إلاَّ مشرك كافر»[4].

الشيخ المفيد:

«فأما إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكرٌ بيِّنُ الفساد، لأن الوصف بذلك إنّما يستحقه من علِمَ الأشياء بنفسه لا بعلم مُستفاد، وهكذا لا يكون إلَّا اللَّه (عزَّ وجلّ)، وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة إلَّا من شذّ عنهم من المفوِّضة ومن انتمى إليهم من الغُلاة»[5].

الشيخ رشيد الدين محمد بن شهرآشوب المازندراني(*):

«النبي والإمام يجب أن يعلما علوم الدين والشريعة ولا يجب أن يعلما الغيب

---

(١) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ) ط٢، ج١٦، ص١٦٧، كتاب (٤١).

(٢) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، المصدر نفسه، ج١٧، ص١٤٩، كتاب (٦١).

(٣) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، ج١٧، ص١٤٩، كتاب (٤٤).

(٤) الصدوق، إكمال الدين، ص١٠٦، ١٠٩، ١١٦.

(٥) من كتابه «أوائل المقالات» ص ٣٨.

(*) ابن شهر آشوب المازندراني، من علماء الشِّيعة الإمامية وفقهائهم ومحدثيهم البارزين في القرن=

وما كان وما يكون، لأن ذلك يؤدي إلى أنهما مشاركان للقديم تعالى في جميع معلوماته ومعلوماته لا تتناهى، وأيضًا يجب أن يكونا عالمين لأنفسهما وقد ثبت أنهما عالمان بعلم مُحَدث والعلم لا يتعلّق على التفصيل إلّا بمعلوم واحد ولو علما ما لا يتناهى لوجب أن يعلما وجود ما لا يتناهى من المعلومات وذلك محال...»[1].

مقولات الغُلاة وفِرقهم القديمة والمعاصرة

أهم مقولات الغُلاة هو القول «بألوهية النبي ﷺ والأئمّة عليهم السلام ولكونهم شركاء للّه سبحانه في الربوبية، وكونهم يرزِقون ويخلِقون، وأنّ اللّه تعالى حلَّ فيهم أو اتحدَّ بهم، وأنّهم يعلمون الغيب من غير وحي أو إلهام، والاعتقاد بكونهم من القِدَم مع نفي الحدوث عنهم، والقول بأنّ معرفتهم تُغني عن جميع الطاعات والعبادات، ولا تكليف مع تلك المعرفة، والقول بأنّ اللّه فوّض إليهم أمر العباد بالتفويّض المطلق على جهة الاستقلال، والقول بأنهم عليهم السلام أنبياء، والقول بتناسخ أرواح بعضهم البعض، وإنكار موتهم وشهادتهم بمعنى أنهم لم يُقتلوا بل شُبّه لقاتليهم، وتفضيل الأئمّة عليهم السلام على النبي ﷺ في العلم أو الشجاعة وغيرها من مكارم الأخلاق، إلى غير ذلك من العقائد الفاسدة التي تُنقص من عظمة الخالق وقدرته وشأنه وإنزال المخلوق بمنزلته، تعالى اللّه عن ذلك علوًا كبيرًا، أو تلك التي تفرّط في حق الأئمّة عليهم السلام وتُنزلهم في غير المنزلة التي جعلها اللّه لهم والرتبة التي خصّهم بها»[2].

وفِرق الغُلاة كثيرة نشأت في أدوار مختلفة، منهم الكيسانية والبيانية والخطابية

= السادس الهجري (٤٨٩ هـ، ٥٥٨ هـ) طاف البلدان يتلقى العلم عن علماء الشِّيعة والسُنَّة في عصره، من أشهر كتبه: «مناقب آل أبي طالب» و«متشابه القرآن ومختلفه» و«أسباب النزول» ترجم له الصفدي في «الوافي بالوفيات» فقال إنه حفَظ القرآن وله ثمان سنين وبلغ النهاية في أصول الشيِّعة، ثم تقدّم في علم القرآن والنحو، وعظَ على المنبر أيام المقتفي ببغداد فأعجبه، كان واسع العلم، كثير الخشوع والعبادة والتهجد، تُوفي في حلب شمال سورية سنة ٥٨٦ هـ ودُفن بها. (راجع: لؤلؤة البحرين، الشيخ يوسف البحراني) ص٣٤٠ رقم (١١٣).

(١) من كتابه «متشابه القرآن ومختلفه» طبع طهران، ج ١، ص ٢١١.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٢٥، ص ٣٤٦.

ففي موجة لاحقة من الغلو هبت على الشيعة في الثلاثينات من القرن الثاني الهجري، قام أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص الأسدي الكوفي، بالغلو بالإمام الصادق، واستلهام بعض أفكار الحركات الشيعية المغالية السابقة كالكيسانية والبيانية، كفكرة **تفسير الدين بالرجال، التي أضلت بعض الشيعة ودفعتهم للاكتفاء بحب أهل البيت عن العمل بطاعة الله**[١]. وتطور أبو الخطاب في مقولاته الباطلة فادّعى علم الإمام الصادق بالغيب ونزول الملائكة عليه وتحدثها معه، وأنه «محدَّث» ثم تطور إلى القول بأن الأئمة أنبياء)[٢]. والشعيرية والمغيرية التي أثرت على الحركة الشيعية وغرزت فيها الفكر المغالي، وكان زعيم هذه الفرقة «المغيرة بن سعيد العجلي (مولى بجيلة)» الذي انشق عن الإمام محمد الباقر، **وقال بأفضلية الإمام علي على الأنبياء، ومساواته بالنبي محمد ﷺ**[٣]. والسبأية والبانية والغرابية والعليائية والمخمسة والبزيعية والنميرية والمنصورية وغيرهم[٤] ويجدر بنا أن نتوقف قليلًا عند الحركة المغالية (النميرية) التي كانت قد نشأت حول الإمام علي بن محمد الهادي، على يدي محمد بن نصير النميري الذي كان من أقطاب الشِّيعة في البصرة. وكان هذا قد رفع الإمام الهادي إلى درجة الألوهية، وادعى لنفسه مرتبة النبوّة والرسالة من قبل الإمام، وكان يقول بالتناسخ[٥].

وإلى جانب النميرية كان يوجد في تلك الأيام تيار آخر من الغُلوّ والغُلاة، في صفوف الشِّيعة الإمامية، هم: (المخمسة) الذين يعتقدون، كما يقول سعد بن عبد الله الأشعري القمي: إن الله عزَّ وجلّ هو محمد، وأنه ظهر في خمس صور مختلفة.. ظهر في صورة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحُسَيْن، وأنَّ أربعة من هذه الصور الخمسة تلتبس لا حقيقة لها، والمعنى شخص محمد وصورته، لأنه أوّل شخص ظهر وأوّل ناطق نطق، لم يزل بين خلقه موجودًا بذاته يتكون في أي

(١) الكشي، ترجمة محمد بن أبي زينب الأسدي، ح رقم (٤).
(٢) رجال الكشي: ١٦٠.
(٣) فرق الشيعة، الشيخ الحسن بن موسى النوبختي، ص٦٢، ٦٣.
(٤) راجع (الفَرق بين الفِرق، البغدادي) (المقالات والفِرق، الأشعري) (فِرق الشِّيعَة، النوبختي) (الملل والنحل، الشهرستاني) (موسوعة الفِرق الإسلامية، محمد جواد مشكور).
(٥) الحلي، الخلاصة، ص٢٧٣، الشيخ الأقدم ابن أبي الثلج البغدادي، تاريخ الأئمة، ص٢٠، الطوسي الغيبة، ص٣٩٨ طبعة مؤسسة المعارف الإسلامية، الأشعري القمي، المقالات والفِرق، ص١٠١، المجلسي، بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٦٧.

صور شاء، يظهر نفسه لخلقه في صور شتى من صور الذكران والإناث والشيوخ والشباب والكهول والأطفال، يظهر مرة والدًا ومرة ولدًا وما هو بوالد ولا بمولود، ويظهر في الزوج والزوجة، وإنما أظهر نفسه بالإنسانية والبشرانية، لكي يكون لخلقه به أُنس، ولا يستوحشوا ربهم.

«وإن محمدًا كان آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ولم يزل ظاهرًا في العرب والعجم.. وإنه كان يظهر نفسه لخلقه في كل الأدوار والدهور، وإنه تراءى لهم بالنورانية، فدعاهم إلى الإقرار بوحدانيته فأنكروه، فتراءى لهم من باب النبوة فأنكروه، فتراءى لهم من باب الإمام فقبلوه، فظاهر الله عزَّ وجلّ بالإمامة وباطنه الله الذي معناه محمد يدركه من كان من صفوته بالنورانية، ومن لم يكن من صفوته بدرجة بالبشرانية اللحمانية الدموية، وهو الإمام... وإن كل من كان من الأوائل مثل أبي الخطاب وبيان وصائد والمغيرة وحمزة وبزيع والسري ومحمد بن بشير، هم أنبياء أبواب بتغيير الجسم وتبديل الإسم، وإن المعنى واحد، وهو سلمان وهو الباب الرسول يظهر مع محمد في كل صورة ظهر، وهو رسول محمد متصل به، ومحمد الرب»[1].

ويقول الأشعري القمي: «أنهم لعنهم الله أظهروا دعوة التشيُّع واستبطنوا المجوسية، فزعموا أنَّ سلمان رَحِمَهُ اللهُ هو الربّ، وأنَّ محمدًا داع إليه، وأنَّ سلمان لم يزل يظهر نفسه لأهل كل دين وذهبوا في جميع الأشياء مذهب المجوس» وقد كان شيعة الكرخ في تلك الأيام من (المخمسة) وأنه لا أحد يشك في ذلك: كما يقول الشيخ الطوسي[2].

وهذه الفِرَق الضالة اختفت وعادت في عصرنا بأسماء وأشكال أُخرى...

فِرَق الغُلاة المعاصرة:

(أما الفِرَق المعاصرة فإن خيوطها ما زالت تمتد في النسيج الشِّيعي، فأتت على التشيُّع قتلًا واغتيالًا بعد أن أخذ الغُلوّ منها مأخذه، فراحت تزعم ما لا يصدّق وتدّعي ما ليس في الإسلام، ولا في التشيُّع، فانحرفت وزاغت، **وأهم هذه الفِرَق ما يلي**:

---

(١) الأشعري القمي، «المقالات والفِرق» ص٥٨.

(٢) الأشعري القمي، ص٦٢، الطوسي «الغيبة» ص٢٥٦.

الشيخيَّة:

وهي فرقة معاصرة من فِرق الشِّيعَة، اشتقت اسمها من الشيخ أحمد بن زين الدين بن ابراهيم الإحسائي المولود عام ١١٥٧هـ (١٧٤٣م). ولد في الإحساء في قرية (المطيرفي) ودرس وتلقى فيها مبادئ العلم قبل أن ينتقل إلى العراق لاستكمال دراسته الدينيّة، ومن العراق إلى إيران متنقلًا بين يزد وقزوين وأصفهان وطهران. وعُرفت الشيخية باسم (الكشفية) أيضًا نسبةً إلى مزاعم مؤسسها في كشف الأسرار ورفع الغشاوة بما ينير البصائر[١].

حقق الشيخ الإحسائي مكاسب هامّة خلال إقامته بمدينة يزد التي يكثر فيها أصحاب الديانة الزرادتشية، وتمكّن من كسب مودّة الشاه فتح علي القاجاري الذي كان ملكًا ساذجًا بسيطًا يؤمن بالأساطير والخرافات والتنجيم، فأفاض عليه الحدب والعناية السلطانية، الأمر الذي وفّر له مزيدًا من الطمأنينة والراحة والاستقرار، حتى خاطبه يومًا قائلًا: بعد البسملة والحمد:

«. . .أما بعد، يقول العبد المسكين أحمد زين الدين، وردتْ عليّ من الناحية الرفيعة والجهة المنيعة إلى ناحية الجناب المكين حامي الملّة والدين طالب الحقّ واليقين، وجامع كل زين، سلطان البرّين وخاقان البحرين، حافظ الأمان وحارس أهل الإيمان عالي القدر والشأن، وسامي الرقية والمكان، السلطان بن السلطان بن السلطان، والخاقان بن الخاقان بن الخاقان. . .»[٢].

ولما كان (الخاقان بن الخاقان) هذا مُعجبًا بالرجل كان كثيرًا ما يوجّه إليه أسئلته واستفساراته (المهمة جدًا) ومنها: «الاستفسار عن كيفية نكاح أهل الجنة، وهل يمكن لأهل الجنة أن يتزوجوا أكثر من أربعة نساء؟ وهل نعيم الجنّة مثل نعيم الأرض؟»[٣] وأمثال ذلك من أسئلة البطر والترف. وبعد محطة يزد هذه، انتقل الشيخ إلى كرمشاه التي تقع في مفترق جميع الطرق البرية، حيث يمرّ سكان فارس والقوقاز وأفغانستان وآسيا الوسطى لزيارة العتبات المُقدّسة الشِّيعية في العراق.

---

(١) «القاموس الإسلامي» ج٤، ص٢٠٧.

(٢) أحمد الإحسائي «الرسالة السلطانية»، المجلّد الثاني من مجموعة جوامع الكلم، طبع حجري تبريز ١٢٧٦هـ، ص٢٤٤.

(٣) أحمد الإحسائي، «الرسالة الخاقانية»، المجلد الأول، من مجموعة جوامع الكلم، خط أحمد بن محمد خوشنويسي تبريزي، تبريز، ص١٢٠ ـ ١٣٠.

ويرى الشيخية إن الأئمة الإثنى عشر هم العلّة المؤثرة في وجود المخلوقات، وهم مظهر الإرادة الإلهية والمعبّرون عن مشيئة الله، **ولولاهم لما خلق الله شيئًا، ولذلك فهم الغاية من الخلق ، وكلّ ما يفعله الله فهو يفعله بواسطتهم، ولكن ليس من ذاتهم وهم مجرد وسائط**[1].

كما يعتقد الشيخية أن أصول الدين أربعة هي: التوحيد والنبوّة والإمامة والركن الرابع. ويعتقدون أنَّ الركن الرابع هذا هو معرفة الشِّيعي الكامل، وهو الناطق الأول والواسطة بين الشِّيعة والإمام الغائب، إذْ يأخذ الأحكام من الإمام بدون واسطة ويوصلها إلى الآخرين[2].

يروي الشيخ كاظم الرشتي في كتابه (دليل المتحيّرين) عن أُستاذه الإحسائي ما نصّه: «إن مولانا رأى الإمام الحسن عليه السلام ذات ليلة فوضع لسانه المقدّس في فمه، فمن ريقه المقدّس ومعونة الله تعلّم العلوم، فكان في فمه كطعم السكّر وأحلى من العسل، وأطيب من رائحة المسك، ولما استيقظ الصبح في خاصته محاطًا بأنوار معرفة الله، طافحًا بأفضاله، منفصلًا عن كل ما هو مغاير لله، وزاد في اعتقاده في الله في نفس الوقت الذي ظهر في استسلامه لإرادة العلي. . . »[3] أي إنهم لا يتعلّمون عن طريق البحث والتحقيق، وبذل الجهد، وإنما عن طريق الإلهام والكشف ما يسمّى بـ (العلم اللدُنّي). ويضيف الشيخ الإحسائي متحدثًا عن نفسه: «ومنذ ذلك الحين أصبحتُ أرى في النوم أشياء غريبة في السموات والأرض، أصبحتُ أرى الجنان والنار، وأصبحتُ أرى العوالم المرئية واللامرئية، أصبحتُ أرى أشياء تصدم العقل، وكنتُ ألتقي في معظم الليالي مع الأئمة، فكنتُ أسألهم ويجيبوني، ولو استفقتُ أثناء الرؤيا فإنه يكفي لأنام من جديد لكي تستأنف الرؤية من حيث توقفت»[4].

ومن معتقداتهم أنهم يفسرون آيات القرآن الكريم تفسيرًا باطنيًا لتأييد وجهة نظرهم، كتفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين، طبعة دار المعرفة/ بيروت ج١٤، ص١٢.

(٢) موسوعة الفِرق الإسلامية، د. محمد جواد مشكور، ط١ (١٩٩٥م) موضوع الشيخية، ص٣٢١.

(٣) نقلاً عن نبيل زرندي، مطالع الأنوار ص٣، عن كتاب «البهائية» من النشأة إلى التاريخ المعاصري، د .فريد قطاط، ص٣٠، ٣١.

(٤) «البهائية» من النشأة إلى التاريخ المعاصر، المصدر السابق، ص٣٦.

﴿يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[1] بأن المقصود من القرآن هو محمد ﷺ، وما هو شفاء ورحمة، إنه علي بن أبي طالب عليه السلام[2]، ويفسرون قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾[3] بأن الكتاب هنا هو علي بن أبي طالب، وإنّ أعمال الخلائق في الدنيا تُعرض عليه يوم القيامة[4].

ويرى المؤرخون إن الإحسائي قد بالغ وأطلق جملة من العبارات والمعميات لا يفهمها غيره، كما ادّعى الكشف والإلهام، ومثال ذلك الجملة التالية الواردة في كتابه (الكواكب الدرية) نقلًا عن كتاب الرشتي الشهير (شرح القصيدة) التي جاء فيها:

«الحمد لله الذي طرّز ديباج الكينونة بسرّ البينونة بطراز النقطة البارزة عند السفاسف، بلا إشباع ولا انشقاق...»[5].

وهكذا إلى ما لا نريد الإفاضة أو الاستغراق فيه أو الإنجرار إليه من هذه السفاسف والخزعبلات...

عقائد الشيخية:

[جاء في كتاب الشيخية «إرشاد العوام» المشتمل على عقائدهم في النبوة والإمامة والركن الرابع:

«أن محمدًا ﷺ وآلِ محمد ﷺ والأئمة عليهم السلام والنقباء والنخباء الذين يسمون بالركن الرابع بأنهم مظهر الله، وأنهم أول مظهر له، وأنهم نور الله وعين الله وذات الله الذي ظهر بين الناس وأن الله لا يمكن أن يكون خالقًا ورازقًا لأن خلق كل الأكوان والرزق والتدبير والتقدير كله بيد محمد وآلِ محمد ﷺ، والركن الرابع أي الشيخ أحمد الإحسائي والسيد كاظم الرشتي وليس بيد الله (جلَّ وعلا). وأن هؤلاء لهم صفة السرمدية الأزلية، وأنهم منزهون عن الزمان والمكان والحركة وعن كل صفات المخلوقين وأنه لا نهاية لهم ولا يحدهم مكان ولا شيء». ويعتقدون كذلك أن كل فعل يُنسب إلى الله فإنه يُنسب إليهم فهو أمر الله، وأن خلق السموات

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٢) حياة النفس، الإحسائي وأصول العقائد/ الرشتي: ١٥٢.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٨.

(٤) حياة النفس، الإحسائي وأصول العقائد / الرشتي: ٢٥٥.

(٥) البهائية من النشأة إلى التأريخ المعاصر، مصدر سابق، ص٥٨.

والأرض والرزق والتدبير والتقدير والإماتة والإحياء وكل حوادث الوجود هو من صنعهم وليس من صنع الله، وعندهم العلم بالحوادث والأشياء وليس عند الله، ومن أحبهم فإنه لا مسؤولية عليه في الآخرة حتى إذا لم يؤدِّ أيَّة عبادة ولم يقم بأيَّة طاعة في الدنيا، ولم يصلِّ ولم يصُم، وارتكب كل المعاصي من قتل الأنبياء وإحراق الكتب السماوية واقتراف آثام اللواط والزنا وشرب الخمر وظلم الناس وتعذيبهم وإحراق الناس والفساد][1].

[ويروج الشيخ أحمد الإحسائي والسيد كاظم الرشتي وطلابهم عقيدة المُخَلِّص، وكما يعتقد النصارى أن المسيح قُتل حتى ينقذ البشر من الخطيئة والأثم، وأن الله افتدى البشر بواسطة ابنه.

كذلك فإن الشيخ الإحسائي وأتباعه رَوَّجوا هذه العقيدة كثيرًا وأشاعوا أن الأئمة قُتلوا حتى ينقذوا الشِّيعة من عذاب جهنم.

شاعت هذه العقيدة إلى الحد الذي سرت إلى غير أتباع الشيخ أحمد، ويروج بعض الوعاظ لهذه العقيدة على المنابر مع أنهم ليسوا من الشيخية. ويقولون إذا ارتكب أحد إثم الأنس والجن وأحرز محبة أهل البيت عليهم السلام، وبكى على سيد الشهداء الحسين عليه السلام فإنه لا حساب ولا عقاب عليه يوم القيامة وهو من أهل الجنة، وطبقًا لهذه العقيدة فإنهم أنشدوا شعرًا بالفارسية والعربية ومن جملتها هذا البيت:

قُتل الحسين لينقذ العاصين من أشياعه من حر نار تُشْعَلُ

وهذه العقيدة هي نفس عقيدة النصارى في المسيح، والتي روجها الشيخ أحمد الإحسائي وأتباعه، وترسخت عند مستضعفي الشِّيعة إلى حد بات صعبًا معه رد ذلك ولو استشهد مقابلها بألف آية قرآنية وحديث صحيح][2].

البابيّة:

وهو مذهب باطني تأسس في إيران عام ١٨٤٤ على يد الميرزا علي محمد رضا الشيرازي، الذي زعم في البيان إنه (الباب) للإمام المهدي المنتظر.

---

(١) نقلاً عن كتاب «علماء الشيعة والصراع مع البدع والخُرافات الدخيلة في الدين» دار الهلال/ بيروت، ص١٥٥.

(٢) نقلاً عن كتاب «علماء الشيعة والصراع مع البدع والخُرافات الدخيلة في الدين» مصدر نفسه، ص١٩٢.

ولُقّب بالميرزا علي محمد الباب، توفي والده وهو صغير، فكفله خاله الميرزا علي الشيرازي، وعهد به إلى الشيخ عابد أحد تلامذة السيد كاظم الرشتي باذر بذور الشيخية المارة الذكر.

يُعتبر «البيان» كتاب البابية المقدَّس، ويزعم الميرزا أن هذا الكتاب نزل عليه من سماء المشيئة الإلهية، فنسخ به القرآن الكريم، وصار فرضًا على كل مسلم أن يؤمن له.

العارف باللغة العربية، والمتفحّص لهذا الكتاب يكتشف من أول وهلة، أنه كتاب بائس متهافت مشحون بالأخطاء اللغوية والنحوية والبلاغية، بحيث لا تخلو صفحة من صفحاته من هذه الأخطاء الفاحشة، والكتاب محفوظ بخط الميرزا نفسه في ما يلي بعضٌ من نصوص هذا الكتاب:

«قل اللهم إنك أنت فردان السماوات والأرض وما بينهما، تخلق ما تشاء بأمرك، إنك أنت أفرد الأفردين. قل اللهم إنك فردان الفرادين لتؤتين الفرد من تشاء ولتنزعن الفرد عمن تشاء ولتقدرن ما تشاء كيف تشاء لما تشاء بما تشاء إنك كنت على ما تشاء مقتدار. . . . إنه كان فرادًا فاردًا فريدًا ولله فرادين السماوات والأرض وما بينهما . . . والله فردان مفترد متفارد». (لاحظ)!![1]

ومن أفكار هذا (الباب) وفرقته أنهم ألغوا العديد من الشرائع كالصلاة والصيام وأحكام الزواج والطلاق والإرث. وتفنّنوا في اختلاق الرؤى والأحلام، وألغوا فكرة الجهاد، ودعوا إلى مقارعة الخصوم عبر الدعوة بالموعظة الحسنة والكلمة الطيبة فقط، الأمر الذي استحسنته الماسونية العالمية ودوائر الاستعمار التي هيمنت على مقدرات المسلمين آنذاك.

كما دعوا إلى تحريم الحجاب على المرأة، وإطلاق زواج المتعة بلا حدود، والترويج لما يُسمى حساب الجُمل، واختلاق أرقام لكل حرف من حروف الكلمات، وتطويع هذه الجمل والكلمات لما يخدم أهدافهم السياسيّة والمذهبية في استغفال البسطاء والسذج واستهبالهم.

---

(١) حقيقة البابية والبهائية ـ الدكتور محسن عبد الحميد ص٦٣ ـ ٩٣، عن (البيان) ملحق كتاب عبد الرزاق الحسيني (البابيون والبهائيون).

أما تفسيرهم للقرآن أو فهمهم له، فقد تعمدوا التأويل والتفسير الباطني، فصارت آيات الله البيّنات تُفسّر حسب الأذواق والأهواء، حتى صارت ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ مثلًا محمدًا ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ عليًا ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ الحسن والحسين ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾ الأمويون. وهكذا مما لا رأس له ولا ذيل ولا أساس، ولا يرتكز على ركن مكين من وحي أو تنزيل أو تفسير أو تأويل.

البهائية:

أما البهائية فهي عقيدة باطنية أخرى أسسها الميرزا حسين علي النوري الملّقب بالبهاء أو بهاء الله (١٨١٧م ـ ١٨٩٢م) وجاءت امتدادًا لعقيدة البابية المارّة الذكر. ويعتقد البهائيون أنَّ الله تعالى عبّر عن نفسه من خلال ابراهما وبوذا وكونفشيوس وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد، وأخيرًا البهاء الذي يشبه المهدي المنتظر[١]. ولا يختلفون عن البابيين إلّا في بعض الفروع والاجتهادات، وكتابهم المقدّس الذي ألّفه الميرزا المذكور هو البديل عن كتاب (الباب) المعروف (البيان). وهم في ظاهرهم يدعون إلى وحدة الأديان والإخاء بين بني البشر وإلغاء الفوارق العرقية والدينية والطبقية.

الرقم (١٩) لديهم مقدّس، كما هو في البابية، وتتكون سنتهم من تسعة عشر شهرًا وكل شهر من تسعة عشر يومًا، والصوم لديهم في الشهر التاسع عشر الذي ينتهي عادة عند الاعتدال الربيعي. موضوع الزواج يرتبط بهذا الرقم، فالمهر لديهم في مجتمع المدينة مثلًا ٩٥ مثقال ذهب أي ٥١٩. وفي الريف ١٩ فقط. والصلاة عندهم ١٩ ركعة والزكاة ١٩٪ من صافي الربح ويُدفع إلى (بيوت العدل) التي تعادل (بيت المال) أو خزانة الدول، وهكذا في أمور كثيرة ابتدعوها حول هذا الرقم.

زعم مؤسس البهائية إن كتابه (الأقدس) هوالأكمل في الكتب الدينية المُقدّسة، وهو تاجها بل هو نسخ لكتاب الله (القرآن)، وأنه نزل عليه من سماء المشيئة الإلهية أيضًا. وقد حاول فيه محاكاة القرآن في السجع والإيقاع والوزن، ولكنه جاء شائنًا ومتهافتًا ولا يختلف عن سابقه، ومثال ذلك: «إنا ما دخلنا المدارس، وما طالعنا

---

(١) الموسوعة السياسية م١، ص٥٧٨.

المباحث، اسمعوا ما يدعوكم به هذا الأمي إلى الله الأبدي. انه خير لكم مما كنز في الأرض لو أنتم تفقهون»[1].

ومثال آخر: «ألا بذكره تستنير الصدور وتقرّ الأبصار» محاكاه لقوله تعالى: ﴿...أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ و «من ابتُلي بمعصية فله أن يتوب ويرجع إلى الله، أنه يغفر لمن يشاء» وهكذا...

أما تأويلهم لآيات القرآن الكريم فجاءت متشابهة لتأويلات البابية وتفسيراتها، وبعيدًا عن كل أصول التفسير والفقه وقواعد اللغة. فقد قالوا في تفسيرهم للآية القرآنية الكريمة: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾[2] بأن الحياة الدنيا هي (مُحَمَّدٌ) والآخرة هي (الميرزا حسين علي البهاء)[3]. وهكذا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾[4] أي ذهبَ ضوؤها وهي الشريعة الإسلامية واستبدلت بشريعة البهاء، ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾[5] أي أنشئت لها حدائق للحيوانات، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ أي أنشئت فيها البواخر. وهذا لا يختلف طبعًا عن تفسير البعض ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾[6] بـ(الحسن والحسين)، ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾[7] بالإمام علي والزهراء عليهما السلام، أو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[8] فالبعوضة هي أمير المؤمنين، وما فوقها هي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[9].

ويزعم البهائيون إن الإنسانية وصلت إلى درجة من التحلّل والفساد، بحيث تحتاج إلى شريعة جديدة، فأباحوا الربا مثلًا، ودعوا إلى الزواج من المحارم، باستثناء زوجة الأب، وأعفوا النساء من الاغتسال بعد الحيض والاكتفاء

---

(١) الأقدس: ١٢١ وهو المنشور في كتاب (البابيون والبهائيون) للاستاذ عبد الرزاق الحسني.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٣) حقيقة البابية والبهائية، مصدر سابق، ص١٦٩.
(٤) سورة التكوير، الآية: ١.
(٥) سورة التكوير، الآية: ٥.
(٦) سورة التين، الآية: ١.
(٧) سورة الرحمن، الآية: ١٩.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٦.
(٩) تفسير القمي ١: ٣٥.

بالوضوء، وأشاعوا الإباحية، ونسخوا تعاليم الدين المُقدّسة في عفة النساء وحشمتهن...

وكانت أخطر أفكار الميرزا هي الدعوة لتكريس (شوكة السلطنة) باعتبارها (آية من آيات الله)، وكان جلّ همهم بعد إلغاء العمل السياسي هو (التمسك بالمظاهر الكاذبة)، ووضع العمامات الكبيرة على الرؤوس، وارتداء الجبب الواسعة، وتطويل اللحى والشوارب، وقد اتخذ كل واحد منهم عصا في يده واشتغل بتحريك شفتيه بالتسبيح والتنفس بحرقة وحزن، ومن عجائب أحكامهم أنه لا حج على النساء، وأن بيت حسين علي البهاء هو كعبتهم التي يحجّون إليها، ويتبركون بها»[1].

دوافع وأهداف هذه الفِرَق:

من قراءة متأنية لأسباب ودوافع نشوء الفِرَق المذكورة، نرى أن هناك قاسمًا مشتركًا يكاد يجمع بين الجميع، وهو خدمة أغراض ومصالح سياسية لهذه الدولة أو تلك، أو هذا الحاكم أو ذاك، فحالما تقوم دولة من الدول، أو ثورة من الثورات في هذه البقعة من الأرض أو تلك، لا سيما الدول الإسلامية، تقوم السفارات الأجنبية بالبحث عن مواطن اصطياد، وحياكة أو اقتناص عملاء، لحفظ مصالحها داخل هذه الدول.

ولما كان الحسّ الجيني فاعلًا في المجتمعات الإسلامية، فإن المصالح الأجنبية لا يمكن تحقيقها إلَّا بالتسلل إلى التجمعات الدينية، وإذكاء نيران الفتن، وإشعال حرائق (عقائدية) فيما بينها، واستثمار هذه الحرائق والفتن لتدوير الصراعات المترشحة عنها والاعتياش عليها.

وهكذا نلاحظ أن ظهور أو إظهار الشيخية والبابية والبهائية وبشكل جليّ، أصبح مرتعًا خصبًا لهذه النشاطات الأجنبية، حيث راحت السفارات تدق على الأوتار العقيدية والمذهبية لهذه الفِرَق من أجل إنشاء المزيد من الوجودات والكيانات والاستقطابات السياسية تحت هذا الغطاء الديني أو ذاك.

---

(١) راجع كتاب (الأقدس) في كتاب (البابيون والبهائيون) الأستاذ عبد الرزاق الحسني ، ص١٧٨.

إن الاستعمار يعمل دائمًا على اصطناع فِرق ومذاهب داخل البلدان الإسلامية بصورة فرقة شيعيّة متطرفة في العراق، وأخرى فرقة سنّية في الحجاز، يُطلق على الأُولى اسم الشيخية، بزعامة الشيخ أحمد الإحسائي وتلميذه كاظم الرشتي، وتقوم على أساس رفع الأئمة إلى حدّ التأليه، فيما تُسمّى الثانية (الوهابية)، وتقوم على أساس توجيه الإتّهامات إلى الشِّيعة وتكفيرهم في قوالب جافة ومتعصّبة ومتحجّرة، إذ تصمهم بالشرك، وتكفّر كبار علمائهم[1].

واللافت أن الفرقة الشيخية ترعرعت في العراق، والعراق جزء تابع للدولة العثمانيّة السنّية المذهب التي حدّدت نشاط عُلماء الشِّيعة، ولكنها أطلقت العنان لعلماء الشيخية[2]، لمواصلة دورهم في مهاجمة الوهابية، وتسعير الفتن المذهبية بين مكّة وكربلاء، أو بين أهل العراق وأهل الحجاز. . . وهذا ماحصلت ذروته في غزو الوهابيين لمدينة كربلاء، واستباحتها، وقتل الآلاف من أهلها، وتهديم المراقد المُقدّسة تحت شعارات مذهبية لم تقلّ ـ إنْ لم تزد ـ تهافتًا عن شعارات الطرف الآخر وإفراطه وتفريطه.

وهكذا يرى الباحثون أن أساس نشوء مثل هذه الفِرَق والحركات إنما يبدأ كاجتهادات شخصية تقوم على تمجيد الذات وتقديسها وشق طريق جديد لحشْد المؤيدين والأنصار، وتتم تغذيته من قبل المتربصين بالمسلمين، عن طريق الدعم المادي والمعنوي لطرفين متصارعَين، أو يُراد لهما أن يتصارعا، حتى ينتهي الأمر بمذاهب وعقائد يقتتل المسلمون على إثبات حقانيتهم حولها، وينشغلون عن أمورهم الدنيوية وفقه معاشهم ومشاكلهم، ليخوضوا جدالات وسجالات عقائدية لا أول لها ولا آخر، حتى يقعوا جميعهم صرعى مخطط سياسي يسهّل على خصومهم افتراسهم والإجهاز عليهم جميعًا في نهاية المطاف.

وهذا ما حصل ويحصل دائمًا عندما تختلف الأهواء، وتتدافع المصالح، وتسقط الراية الكبيرة التي يلتف حولها الناس لمواجهة الخصوم الحقيقيين)[3].

---

(١) الوهابية، نقد وتحليل د. همايون همتي، ص٢٢، عن قصص العلماء، ص٥٣.

(٢) الوهابية، نقد وتحليل، مصدر نفسه، ص٢٢، ٢٣.

(٣) نقلاً عن كتاب «أزمة العقل الشيعي» مختار الأسدي، مؤسسة الإنتشار العربي، ط١ (٢٠٠٩م) مقتبسة ـ من ص ٢٧٧ إلى ص ٢٩٧.

موقف أهل البيت عليهم السلام من الغُلاة:

وقف أهل البيت عليهم السلام موقفًا صريحًا مُضادًا لحركة الغُلوّ، فاجتهدوا في محاربته، وبذلوا كل ما بوسعهم للقضاء على الغُلوّ والغُلاة والحيلولة دون انتشاره، وبيّنوا أنّ الغُلوّ كُفر وشرك وخروج عن الإسلام، وتبرّؤوا من الغُلاة، وقطعوا الطريق أمامهم وكشفوا عن تمويهاتهم وأكاذيبهم وحذّروا شيعتهم منهم، **وفيما يلي طائفة من الأخبار الواردة في هذا الشأن:**

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إياكم والغلوّ، فإنما أَهْلَكَ من كان قبلكم الغُلوّ في الدين**»[1].

٢ ـ وقال أمير المؤمنين: «**بُنِيَ الكُفْر على أربع دعائم: الفسق والغلوّ والشكّ والشُبهة**»[2].

٣ ـ عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير وأحمد بن محمد بن عيسى عن أبيه والحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي حمزة الثمالي قال: قال علي بن الحسين (صلوات الله عليهما): **لعن اللّه عبد اللّه بن سبأ، إنَّهُ ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام وكان واللّه أمير المؤمنين عليه السلام عبدًا للّه طائعًا، الويل من كذّب علينا وإن قومًا يقولون ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى اللّه منهم، نبرأ إلى اللّه**»[3].

٤ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «**ما جاءكم عنّا ممّا يجوز أن يكون في المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه، فلا تجحدوه وردّوه إلينا، وما جاءكم عنّا ممّا لا يجوز أن يكون في المخلوقين فاجحدوه ولا تردّوه إلينا**»[4].

٥ ـ محمد بن مسعود قال: حدثني علي بن محمد قال: حدثني أحمد بن محمد ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن مرازم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**قل للغالية توبوا إلى اللّه، فإنكم فسّاق كفّار مشركون**»[5].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ٢، ص ١٨٠، ١٨١ والسنن الكبرى، البيهقي، ج ٥، ص ١٢٧.
(٢) أصول الكافي، دار الأضواء/بيروت، ج ٢، ص ٣٩١ حديث رقم (١).
(٣) رجال الكشي، ترجمة عبدالله بن سبأ، ص٨٥، رقم (٤٨).
(٤) عقائد الإمامية، الشيخ المظفر، عقيدتنا في الأئمة، مؤسسة الإمام علي، قُمّ، ط ١: ٣٢٦/٢٨.
(٥) رجال الكشي، ترجمة محمد بن أبي زينب الأسدي، ص٢١١، رقم (١٣٥).

بُغض أهل البيت عليهم السلام:

إلى جانب الغُلوّ في النبي، فإنَّ البعض يُقصّر في حقهم، وينتقص من قدرهم، ويحط من مكانتهم ومنزلتهم ودورهم في تبليغ الرسالة والحفاظ عليها وتنفيذ أحكامها وبُغضُهمْ عليهم السلام من علامات النفاق والشقاء قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من أبغضنا أهل البيت فهو منافق»[١].

«لا يبغضهم إلَّا شقي الجَدّ رديء الولادة»[٢].

«لا يبغضنا إلَّا مُنافق شقي»[٣].

آثار بغضهم:

١ ـ قال رسول اللَّه: «صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الإسلام. الناصب لأهل بيتي حربًا، وغالٍ في الدين مارِقٌ فيه»[٤].

٢ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول اللَّه أكُلُّ مَن قال لا إله إلَّا اللَّه مؤمن؟ قال صلى الله عليه وآله: إن عداوتنا تلحق باليهود والنصارى»[٥].

الاعتدال في محبّة أهل البيت عليهم السلام

مما تقدّم يتبيّن لنا أنّ النجاة تتمثّل في الاعتدال بحبهم فهو الحدّ الوسط الذي يقع بين الإفراط والتفريط، وهو الحب الذي أُمرنا به، إلَّا أنَّ هذا الحُب يجب أن لا يكون حبًا لذاتهم وشخصهم فقط إنّما يجب أن يكون هذا الحب في إطار النهج والطريق الذي سلكوه، فالحُب يُترجم باتباع هديهم وإيمانهم وعزمهم وصبرهم وأخلاقهم وأعمالهم، لا صنمية الحُبْ.

(ولعلّ في الخطاب الموجّه للنبيّ ﴿...فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[٦] وليس (فيهم اقْتَدِه)

---

(١) فضائل الصحابة ٢: ١١٢٦/٦٦١ والدر المنثور ٦: ٧، كشف الغمة ١: ٤٧، ذخائر العقبى: ١٨.

(٢) الرياض النضرة ٢: ١٨٩، أرجح المطالب: ٣٠٩، مناقب العشرة: ١٨٩.

(٣) ذخائر العقبى: ١٨، ينابيع المودة ٢: ٣٨١/١٣٤، الصواعق المحرقة: ٢٣٠.

(٤) «من لا يحضره الفقيه» مسألة رقم (١٠)، كتاب النكاح، باب ما أحلّ اللَّه من النكاح وما حرّم منه، ج ٣، ص٢٥٨، رقم (١٢٢٥).

(٥) آمالي الصدوق: ١٧/٢٢١ وبشاره المصطفى: ٤٠.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

إشارة إلى أنّ النبي يموت ولكنّ الخط يبقى، والرسالة تبقى، ولا بدّ للرساليين من أن يحملوها. . . بل لا بدّ للدعوة من أن تستمر، وبكل قوة، وقد قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾[1].

بالطبع هذا لا يعني أن نضيّع ذكر صاحب الرسالة ونُهمله، بل أن يكون منهجنا قرآنيًا في ذلك، فكما أنّ القرآن ذكر الأنبياء والمُصلحين ومجّدهم دون استغراق في العناصر الشخصية في ذواتهم، فكان ذكرهم ذكرًا رساليًا حيث كان التركيز على مدى ارتباطهم بالله، إيمانًا وفتوًى وعملًا، ولما قدّموه في طريق المسؤولية المُناطة بهم، فكذلك ينبغي أن نطبع ذكرنا لهم وإحياءنا لأمرهم من ذات المنطلق والأسلوب، وإلّا فلن يكون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾[2] معنى، ولا لقوله تعالى: ﴿...قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾[3] موردٌ)[4].

يقول السيد محمد حسين فضل اللّه:

(المؤمنون باللّه لا يمكن أن يحبوا أحدًا كما يحبون اللّه، فكلّ الحب له وقمة الحب له، وينطلق الناس كلهم من الإيمان به، ويبقى حب اللّه هو القمة في الحب، فمن كان محبوبًا للّه فنحن نحبه ومن لم يكن محبوبًا فنحن لا نحبه، وأن يكون حبنا للناس من خلال حبنا للّه، ولذلك تنقلبُ حركة العاطفة لتستقيم مع حركة الحياة، فلا تكونُ العاطفة في جانب ويكون الإيمان في جانب، لأن الإيمان عندما يستولي على عقلك وعاطفتك وحياتك فإنه لا يترك مجالًا لغيره، عند ذلك يكون شعورك شعور الإيمان وعاطفتك عاطفة الإيمان، وهكذا جاء الحديث عن أهل البيت عليهم السلام: «أحبونا حُبَّ الإسلام»[5].

وهكذا نجد أن عليًا عليه السلام في دعاء كميل يخاطب ربه قائلًا: (فهبني يا إلهي وسيدي

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٤) نقلًا عن كتاب «إضاءات على فكر الفقيه المُجَدِّد السيد محمد حسين فضل الله» الشيخ حسن غلوم، المركز الإسلامي الثقافي/لبنان ـ حارة حريك، ص٦٠، ٦١.
(٥) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٧٣، عن إرشاد المفيد ص٢٧١.

ومولاي وربي صبرتُ على عذابك فكيف أصبرُ على فراقك) أنا المحبُ الولهان فيك الذي يريدُ أن يكون معك في خط الوصل الدائم، مشكلتي مع النار ليست مشكلة عذاب النار، ولكن مشكلتي مع النار أنّها تفصلني عنك، و(هبني صبرتُ على حرِّ نارك فكيف أصبرُ عن النظر إلى كرامتك) وكيفَ تعذبني وحبكَ في قلبي؟!

وهكذا نريد أن نحب اللّه لتستقيم لنا العقيدة وليستقيم لنا الإيمان، ولتستقيم لنا الحركة في الحياة في خطِ اللّه لأننا كُلّما أحببنا اللّه أكثر أحببنا رضوانه، وأحببنا طاعته، وأحببنا مواقعهُ، وأحببنا المواقف التي ترضيه.

أيها الأحبة، لا يكن ديننا دين تقليد نعيشه من خارج عقولنا فالدين في العقل وفي القلب وفي الإحساس والدّين أن تتجسّد أنت لتكون إسلامًا، وعظمة رسول الله ﷺ وعظمة الأئمّة من أهل بيته أنهم عليهم السلام كان الإسلام يتحرك في عقولهم، ولذلك كانوا الكتاب الناطق الذي يجسّد الكتاب الصامت، كانوا إسلامًا يتحرك، (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الصدق والخير والورع فإنَّ ذلك داعية) فإلى ذلك دائمًا. وهكذا ننطلق لنختم كلمتنا من كلام لأبي عبد اللّه الحُسين عليه السلام حول ما نزل به، وقد كان ولده يرفرف بين يديه كالطير المذبوح وقد أصابه السهم: [هوّن ما نزل بي أنه بعين اللّه] لذا في علاقتنا باللّه سبحانه وتعالى يريد لنا أن تكون علاقتنا به علاقة حب، أن نحبه كما يحبُ الإنسان حبيبهُ، ونعشقه كما يعشق الإنسان معشوقه وأن تكون علاقتنا معه في العمق، وأن نشعر بالسعادة عندما نلتقيه، وعندما نذكره، وعندما نتحدّث معه، وعندما نصلّي له، وعندما ننفتح عليه، لا أن تكون علاقة تقليدية جامدة يفكّر الإنسان فيها أن هناك وظيفة رسمية يلتقي بها مع اللّه بطريقة تقليدية، ثمَّ ينسى اللّه ويستقبلُ حياته من خلال أهوائه وأطماعه)[1].

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أحبُّونا حُبِّ الإسلام، فإنَّ رسول اللّه ﷺ قال: لا ترفعوني فوق حقي، فإنَّ اللّه تعالى اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني رسولًا»[2].

---

(١) من كتاب الندوة (سلسلة ندوات الحوار الإسبوعية بدمشق) إعداد عادل القاضي، دار الملاك/ لبنان، ط٥، ج١، ص ٤٥ ـ ٤٨.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني ٣: ١٣٨/ ٢٨٨٩ وعيون أخبار الرضا، الصدوق، باب ٤٦ ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة، حديث رقم (١) ص ٢١٧.

وقال رسول اللّه:

«يا علي إن فيك مثلًا من عيسى بن مريم، أحبّه قوم فأفرطوا في حبه فهلكوا فيه، وأبغضه قوم فأفرطوا في بغضه فهلكوا فيه، واقتصدَ فيه قومٌ فنجوا»[1].

وفي رواية أخرى: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال لي النبي صلى الله عليه وآله: **فيك مثلٌ من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمّه وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به»[2].**

وقال عليه السلام: «يهلك فينا أهل البيت فريقان: محبٌ مُفْرِطٌ، وباهتٌ مُفْتَرٍ»[3].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «نحن آل محمد النمط الأوسط الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي»[4].

وقال الإمام علي عليه السلام: «نحن النُّمْرَقَةُ الوسطى[5] بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي»[6].

آية الله العظمى الشيخ محمد الخالصي[*] في كتابه «علماء الشِّيعة» يقول في الغُلوّ والمُغالين:

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٤٥، كشف الغمة ج ١: ٣٢١، بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٦٢، نقلًا عن كتاب الغارات للثقفي.

(٢) أمالي الطوسي: ٣٤٥، كشف الغمة ج ١: ٣٢١، بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٦٢، نقلًا عن كتاب الغارات للثقفي.

(٣) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ط٢، ج٢٠، ص٢٢٠، الحكمة (٤٧٨).

(٤) أصول الكافي، ج١، مسألة رقم (٣)، باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى، ص ١٠١.

(٥) النمرقة: بضم فسكون ثمّ ضم ففتح: الوسادة، وآل البيت أشبه بها للاستناد إليهم في أمور الدين كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها، فكأن الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما بجانبه وآل البيت على الصراط الوسط العدل، يلحق بهم من قصر ويرجع إليهم من غلا وتجاوز.

(٦) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ط٢، ج٢٠، ص٢٢٠، حكمة (٤٧٨) نثر الدر، ج١، ص٥٢، العقد الفريد، ج١، ص٢٠٩، مصنف ابن أبي شيبة، ج٨، ص١٥٥، جمهرة الأمثال، ج١، ص٧.

(*) هو: مرجع ديني وهو آية الله العظمى الإمام الشيخ محمد الخالصي، ولد عام (١٨٨٨م) في مدينة الكاظمية وتربى في كنف رعاية والده المرجع الديني الكبير آية الله العظمى الإمام المجاهد الشيخ محمد مهدي الخالصي الكبير (١٨٦٢ ـ ١٩٢٥م)، درس الشيخ محمد الخالصي على يد والده=

(وإجمالًا فإن جميع الأديان السابقة ـ بعد التحريف ـ لم تكن خالية من الغُلوّ بل إنها أنزلت الله إلى مرتبة البشر أو أدنى، وأنها صعّدت البشر أو من هم أدنى منهم إلى مرتبة الألوهية. إلى أن جاء الإسلام وأكد القرآن الكريم على أمر التوحيد ونفي الغُلوّ أكثر من أي شيء آخر، وأمَرَ مرارًا نبيّه ﷺ أن يعلن إلى أمته وأن يقول: ﴿...إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[1] وأمر مرارًا نبيه ﷺ أن ينفي عنه علمه بالغيب، والقدرة، والرازقية... مع شدة تأكيد القرآن الكريم والأحاديث الشريفة على التوحيد وتنزيهه من أي شائبه غلوّ، فإن بعضًا من ضعفاء القلوب الذين أسلموا وكانوا قبلًا إما مسيحيين أو مجوسًا من الذين أَلِفُوا الغُلوّ وظلّوا منطبعين به فإنهم عندما رأوا المعجزات والكرامات والأعمال الخارقة للعادة من الرسول ﷺ والأمير وأولاده عليهم السلام فإنهم قالوا بألوهية هؤلاء العباد المقربين نتيجة لتذوقهم للعقائد التي كانوا يعتقدون بها سابقًا. وقد عاقب الإمام علي عليه السلام بالنار سبعين من أولئك في الكوفة[2]، وقد لعنهم الأئمة الأطهار عليهم السلام وأعلنوا براءتهم منهم.

لم يكن للغُلوّ في زمن الإمام علي عليه السلام صفة سياسية وكان يستند فقط إلى ضعف الإدراك، أما في زمن الإمام الصادق عليه السلام في أوائل خلافة بني العباس فإن الغُلوّ اتخذ صفة سياسية حيث اختلط المجوس بالمسلمين وبعضهم لم يكن مسلمًا حقيقيةً وقالوا بالغُلوّ بحق الأئمة الأطهار وبعض خلفاء بني العباس، والهدف الأصلي لأولئك هو خلط العقائد الإسلامية بالعقائد المجوسية.

وفي زمن بني أُمية كان سبب غُلوّ الحجاج بحق عبد الملك هو التملُّق والتزلُّف.

وكلما قرئ القرآن والأحاديث للغُلاة، فإنهم لم ولن يتركوا الغُلوّ، لا بل يحرّفون آيات القرآن الكريم ويستدلون بها على الغُلوّ، كما نقل عن أبي الخطاب، حيث كان يفسر آية من سورة الزخرف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ

= والآيات العظام الشيخ مهدي الراياتي والشيخ محمد حسين الكاظمي والآخوند محمد كاظم الخُراساني، والشيخ راضي الخالصي، والإمام ميرزا محمد تقي الشيرازي، درس الفقه والأصول واللغة وسائر العلوم الدينية، حائز على درجة الاجتهاد في سن مبكرة جدًا، كان متبحرًا في العلوم الدينية إلى جانب العلوم الحديثة، كالطبيعيات والرياضيات والطب، ويلم باللغات الفارسية والتركية والفرنسية إلى جانب تعمقه بالعربية، من كتبه: أهل الشريعة في مذهب الشِّيعة، الإسلام سبيل السعادة والسلام، بطل الإسلام، توفي سنة ١٩٦٣م.

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) انظر: رجال الكشي، ترجمة عبد الله ابن سبأ، ص٨٦.

إِلَٰهٌ﴾[1]، بأن إله السماء هو الله وإله الأرض هو الإمام. هذا مع أن معنى الآية هو أن الله هو إله السماء وإله الأرض، يعني أن الأُلوهية منحصرة بذات قدسه. وكذلك فسّرَ أتباعه الآية الشريفة في سورة الزمر: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[2]. حسب ما هو أهم وقالوا بأن الإمام هو رب الأرض، وكثيرة هي أمثال هذه المنقولات عنهم. ولم يكتفوا بهذا المقدار ووضعوا وزوّروا الأحاديث التي تدعو إلى الغُلوّ والتناسخ، وكذبوا على الأئمة الأطهار عليهم السلام)[3].

يقول السيد محمد حسين فضل الله في علي عليه السلام، وفي المغالين:

(إن عقيدتنا في علي عليه السلام أنه وصيّ رسول اللّه وأخوه، وأنه هو الذي يحمل عِلمَ رسول اللّه وأنه هو القريب إلى اللّه، كان يحب اللّه ورسوله وكان اللّه ورسوله يحبانه من خلال ذلك. . . . . وكان معصومًا في أقواله وأفعاله وعلاقاته ومواقفه فهو يمثّل قمة كبرى في علاقته باللّه وفي عبادته للّه وفي خضوعه للّه حتى سُمّيَ «أبو تراب» لأنه كان عندما يسجد يطيل سجوده حتى يعفّر وجهه بالتراب، لذلك سمّاه رسول اللّه أبا تراب، ونحن نقرأ في «دعاء كميل» [فهبني يا إلهي صبرتُ على عذابك فكيف أصبرُ على فراقك، وهبني صبرتُ على حر نارك فكيف أصبر على النظر إلى كرامتك] ويقول [أنا عبدك الضعيف الحقير المسكين المستكين] فلا يمكن أن نتحدّث عن علي عليه السلام إلّا أنه عبد اللّه، وأخو رسوله، ولا يمكن أن نعطيه من الألوهية شيئًا، كما لا نُعطي لأي بشر من الألوهية شيئًا حتى جزءًا واحدًا منها إنّ عظمتهم أنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[4]. فعليّ ورسول اللّه وموسى وعيسى، وإبراهيم، وكل الرسل والأنبياء والأئمّة كُلّما ارتفعوا في مقام العبودية للّه أكثر كُلّما عظموا عند اللّه وعند الناس أكثر، لهذا لا تُخرجوا أحدًا من مستوى العبودية مهما كانت عظمته)[5].

(إن مشكلة علي عند شيعته قبل غيرهم أنه مظلوم من قِبَلِهم أشدّ الظلم، فلقد كان

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٩.

(٣) نقلاً عن كتاب «علماء الشيعة والصراع مع البدع والخُرافات الدخيلة في الدين» الإمام الشيخ محمدالخالصي، دار ومكتبة الهلال/ بيروت، ط١ (٢٠٠٩م) ص٣٨٨، ٣٨٩.

(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٥) من كتاب الندوة (سلسلة ندوات الحوار الإسبوعية بدمشق) إعداد عادل القاضي (١٤١٨ هـ-١٩٩٨م) دار الملاك/لبنان، ج٥، ص ٣٤٤.

يقول: «**سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض**»[1]. ويأتيه شخص ليسأله: (كم شعرة في رأسي؟) ونحن لا نعرف من علي إلّا أنّه قتل (عمرو بن ودّ العامري)، ولا نعرف منه إلّا أنه قتل (مرحب)، ولكن هل نعرف إضافة إلى ذلك كلماته وقيمه وخطه الفكري وخطه الروحي وآفاقه العالية والتحليق في عالم المعرفة كما في قوله عليه السلام: «**لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقينًا**»[2]. من منكم يعيش معنى فكر علي وقيم علي؟ من منكم يقارن بين الفكر الذي يتمثّله بقضايا الحياة والسياسة والإجتماع والحرب والسلم؟ من منكم يقارن بين ما عنده من فكر وبين ما عند علي من فكر؟ نحنُ الآن شيعة لعلي، ولكننا لا نفهم عليًّا، ولا نسأل عليًّا، ولا نحاول أن نتفهّم عليًّا، وعلي كما يقول بعض الغربيين «**لو كان علي موجودًا الآن لرأيت مسجد الكوفة مملوءًا بالقبعات الغربية**» فنحن لا نقرأ ولا نسمع ولا نتحاور، إنّما نعرف كيف نشتم، ونعرف اللعنات وكيف نسبّ وكيف نتراشق بالإتهامات.

وكان يقول علي عليه السلام: «**إن هاهنا لعلمًا جمًّا وأشار إلى صدره عليه السلام لو أصبتُ له جملة**»[3]، إن أئمتنا عليهم السلام ملأوا الدنيا علمًا في المسائل الفكرية والسياسية، ونحن نريد الإرتباط بخط أهل البيت عليهم السلام لا بأشخاصهم، وإلّا فما فائدة بُكائنا عليهم وحبّنا لهم وتقبيلنا أضرحتهم، ثمَّ نرجع وكأننا وفيّنا قسطنا للعلى. ونحن شيعة أهل البيت لكننا نحفظهم بالشكل ونخذلهم في الموقف وفي الخط وفي الرأي (**حسبُ الرجل أن يقول أحبُ عليًّا وأتولاه ثمَّ لا يكون مع ذلك فعّالًا؟ فلو قال إني أحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرسول الله خير من علي** عليه السلام) إن أهل البيت خط وليس أهل البيت جسدًا (**ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبّه إياه شيئًا**»[4])[5].

(حب اللّه يجعلنا نحب أولياءه وأنبياءه ونحب الناس الذين هم مخلوقات اللّه، لأنّ حبّك للّه يجعلك تحبّ أنبياءه ورسله، فكما أنك عندما تحب شخصًا فإنك تحب من تحبه، وهكذا فإنك تحب أهلك ورحِمك لأن اللّه أراد منك أن تحبهم، وفي المحصلة فإنَّ حبّ اللّه يمتد في حب أوليائه، فنحن نحبهم لأنهم أولياء اللّه لا

---

(١) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، مصدر سابق، ج ١٣، باب: ٢٣٥، ص ١٠١.

(٢) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه.

(٣) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، ج٧، باب١١٣، ص٢٥٣.

(٤) بحار الأنوار، ج ٦٧ باب: ٤٧، ص ٦٠.

(٥) من كتاب الندوة (سلسلة ندوات الحوار الإسبوعية بدمشق)، إعداد عادل القاضي، ط ٤، ج٢، ص٣٩٥.

لذواتهم، ونحب أهلنا لأن اللَّه أراد لنا أن نحبهم، وأن نعيش هذه العاطفة الإنسانية في مسألة الرحم، ولذلك ورد عندنا في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**هل الدين إلّا الحب**» أي أن حركة حبك هي التي تركز لك إتجاه حركة دينك.

وقد ورد في الحديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: «**إذا أردت أن تعلم أنَّ فيك خيرًا فانظر إلى قلبك فإنْ كان يحبُّ أهل طاعة اللَّه (عزَّ وجل) ويبغض أهل معصيته ففيك خير واللَّه يحبك وإذا كان يبغض أهل طاعة اللَّه ويحبُّ معصيته فليس فيك خير واللَّه يبغضك والمرء مع من أحب**»[1].

وبالتالي فإنَّ الحب هو الذي يجمع الناس يوم القيامة ولكن على الإنسان أن يكون واعيًا لحبه حتى لا يغلو فيه، وحتى لا يستغرق في ذات من يحب بحيث ينسى اللَّه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[2]، أي أن تحب اللَّه فلا تجعل مع اللَّه شريكًا في حبك فلا تحب أحدًا مع اللَّه، بل أن تحب من خلال اللَّه، فقلبك عرش اللَّه، ولا ينبغي أن تدخل في قلبك إلّا من أحب اللَّه. لهذا عندما نحب اللَّه نحب أنبياءه، ونحب أولياءه، ونحب الصالحين من عباده. إذ لا بد من وحدانية الحب، فكما لا شرك في العقيدة ولا شرك في العبادة، لا شرك في الحب أيضًا، وإذن فعليك أن تحب الآخرين من خلال اللَّه، أَفَلسْتَ تقول في التشهُّد: «أشهد أنَّ مُحمّدًا عبدهُ ورسوله» محمد هو سيد ولد آدم، فلا بد أن تذكرهم بالعبودية وإذا ذكرتهم بالعبودية فلا تستطيع أن تجعلهم معه، هم خَلقُه وعبادُه المكرمون والمقرّبون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)[3].

ذكرُ اللهِ عزَّ وجلَّ

لقد وضع هؤلاء الغُلاة روايات ليبعدوا الناس عن ذكرِ اللهِ تعالى وهذا ما حدث؛ فالبعض بدل أن يعظّم الله عزَّ وجلّ أخذ يعظّم أنبياءه وأولياءه! بدل أن يتوجه لله وحده أخذَ يتوجه لأنبيائه وأوليائه! بدل أن يسبّح الله ويذكره كل ساعة وكل حين أخذَ يذكر أنبياءه وأولياءه!

---

(١) البحار، المجلسي، ج ٦٦، باب: ٣٦، ص ٦٢٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

(٣) من كتاب الندوة (سلسلة ندوات الحوار الإسبوعية بدمشق) إعداد عادل القاضي، دار الملاك/ بيروت (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) ط ٤، ج٢، ص٥٥٥، ٥٥٦.

يجب علينا إعادة ترتيب الأولويات وتقديم ذكر الله على كل الأذكار، وهذا ما أُمرنا به وجاء في القرآن الكريم بصيغة الأمر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)﴾[1] وهذا ما ورد أيضًا عن أئمتنا عليهم السلام ونذكر جملة من ذلك:

«عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه عن خلف بن حمّاج، عن ربعي بن عبد الله بن الجارود الهذلي، عن الفضيل بن يسار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **ما من مجلس يجتمع فيه أبرار وفجّار، فيقومون على غير ذكر الله عزَّ وجلَّ إلّا كان حسرةً عليهم يوم القيامة**»[2].

«الحُسَيْن بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، وعدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، جميعًا عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن داود بن سرحان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **من أكثر ذكر الله عزَّ وجلَّ أحبّه الله ومن ذكر الله كثيرًا كُتب له براءتان: براءةٌ من النّار وبراءةٌ من النّفاق**»[3].

«حميدُ بن زياد، عن ابن سماعة، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **شيعتنا الذين إذا خلَوْا ذكروا الله كثيرًا**»[4].

وعن «أبي عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيى، عن حسين بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا اسم الله عزّ وجلّ ولم يصلّوا على نبيهم إلّا كان ذلك المجلس حسرةً و وبالًا عليهم**»[5].

يقول آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في معرض تفسيره للآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)﴾[6]:

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) أصول الكافي، الكليني، كتاب الدعاء، باب مايجب من ذكر الله عزَّ وجلَّ في كل مجلس، ج٢، ص٤٩٦، ح١.

(٣) أصول الكافي، الكليني، المصدر نفسه، ص٥٠٠، ح٣.

(٤) أصول الكافي، الكليني، المجلد الثاني، كتاب الدعاء، باب ذكر الله عزَّ وجلَّ كثيرًا، ح٢ ص٤٩٩.

(٥) أصول الكافي، الكليني، مصدر سابق، ح٥ ص٤٩٧.

(٦) سورة الآحزاب، الآيات: ٤١ ـ ٤٣.

(فإنَّ الآيات مورد البحث تبيّن جانبًا من وظائف المؤمنين من أجل تهيئة الأرضية اللّازمة لهذا التبليغ، وتوسعة أطرافه في جميع الأبعاد، فوجّهت الخطاب إليهم جميعًا وقالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أجل. . لما كانت عوامل الغفلة في الحياة المادية كثيرة جدًا، وسهام وسوسة الشياطين تُرمى من كلّ جانب وصوب الإنسان، فلا طريق لمحاربتها إلّا بذكر الله الكثير.

إنَّ الذكر الكثير ـ بالمعنى الواقعي للكلمة ـ يعني التوجّه إلى الله سبحانه بكلّ الوجود، لا بلقلقة اللسان وحسب.

الذكر الكثير هو الذي يقذف النور في كلّ أعمال الإنسان، ويغمرها بالضياء، ولهذا فإنَّ القرآن قد أمر كلّ المؤمنين في هذه الآية أن كونوا ذاكرين لله على كلّ حال: فاذكروه أثناء العبادة، فاحضروا قلوبكم وأخلصوا فيها. واذكروه عند إقدامكم على المعصية ووجودكم في أماكنها، وغضوا النظر عنها، وإذا ما بدرت منكم عثرة وهفوة فبادروا إلى التوبة، وارجعوا إلى طريق الحق، واذكروه عند النعم واشكروه عليها. واذكروه عند البلايا والمصائب واصبروا عليها وتحملوها.

والخلاصة: لا تنسوا ذكره في كلّ مشهد من مشاهد الحياة التي يكون فيها باعثًا إلٰهيًا مناسبًا للابتعاد عن سخطه، والتقرّب لما يجلب رضاه.

نطالع في حديث مروي في سنن الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري عن النبي الأكرم ﷺ: أنّه سُئل: **أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ فقال: «الذاكرون الله كثيرًا»**.

قال أبو سعيد: فقلت: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟! قال: «**لو ضرب بسيفه الكفّار والمشركين حتّى ينكسر ويختضب دمًا لكان الذاكرون أفضل درجة منه**»[1] وذلك لأنّ الجهاد المخلص لا يمكن أن يتمّ بدون ذكر الله الكثير.

---

(١) الدر المنثور، طبقًا لنقل الميزان، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط١ (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م) المجلّد ١٦، ص٢٦٨. وقد ذكر الطباطبائي عدة روايات في هذا المجال منها، قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخير أعمالكم أرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من الدينار والدرهم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ فقالوا: بلى. قال: ذكر الله عزَّ وجلَّ كثيرًا.**
ثم قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: من خير أهل المسجد؟ فقال: أكثرهم لله ذكرًا. وقال رسول الله ﷺ: **من أُعطي لسانًا ذاكرًا فلقد أُعطي خير الدنيا والآخرة**». =

ومن هنا يعلم أنَّ للذكر الكثير معنى واسعًا، وإذا ما فُسِّرَ في بعض الروايات بتسبيح فاطمة عليها السلام - وهو ٣٤ مرّة الله أكبر، و٣٣ مرّة الحمد لله، و٣٣ مرّة سبحان الله - وفي كلمات بعض المفسّرين بذكر الصفات العليا والأسماء الحُسنى، وتنزيه الله سبحانه عمّا لا يليق به، فإنَّ كل ذلك من باب ذكر المصداق الواضح، لا تحديد المعنى بخصوص هذه المصاديق.

وكما يظهر بوضوح من سياق الآيات، فإنّ المراد من تسبيح الله في كلّ غداة وعشي هو استمرار التسبيح، وذكر هذين الوقتين بالخصوص باعتبارهما بداية اليوم ونهايته، وما فسرهما به البعض من أنّ المراد صلاتي الصبح والعصر، أو أمثال ذلك، فهو من قبيل ذكر المصداق أيضًا.

لهذا فإنَّ ذكر الله الكثير، وتسبيحه بكرة وأصيلًا لا يحصل إلّا باستمرار التوجه إلى الله، وتنزيهه عن كل عيب ونقص، وتقديسه المتصل، وإنّ ذكر الله غذاء لروح الإنسان، كما أنّ الطعام والشراب غذاء البدن، لقد جاء في الآية ٢٨ من سورة الرعد: ﴿...أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ نتيجة هذا الاطمئنان القلبي هو ما ورد في الآيات ٢٧- ٣٠ من سورة الفجر، حيث تقول: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

إنَّ الآية التالية نتيجة وعلّة غائيّة للتسبيح في الواقع، فهي تقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾، ولهذه الرحمة كتب على نفسه هداية البشر وإرشادهم، وأمر ملائكته أن تعينهم في ذلك)[1].

(عندما يُذكر اسم الله تعالى يتجلّى في قلب الإنسان عالم من العظمة والقدرة والعلم والحكمة، لأنّ له الأسماء الحسنى والصفات العُليا، وربّ كلّ الكمالات ومنزّه عن كلّ عيب ونقص.

إنَّ التوجه المستمر لمثل هذه الحقيقة التي لها تلك الصفات، يسوق روح

= وفيه، بإسناده عن أبي المعزى رفعه قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيرًا إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر فقال الله عزَّ وجلَّ**: ﴿...يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾» (المصدر نفسه).

(١) الأمثل في تفسير «الأمثل في كتاب الله المنزل» الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت، ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ج١٣، ص٢٦٣ - ٢٦٥.

الإنسان إلى الخيرات والأعمال الصالحة والطهارات، يبعده عن السيئات والقبائح، وبعبارة أخرى فإنَّ نور صفاته عزَّ وجلّ يتجلّى في روح الإنسان.

إنَّ التوجّه إلى هكذا معبود عظيم يبعث على الإحساس الدائم بحضوره بين يديه تعالى، وبهذا الإحساس ستزيد الفاصلة كثيرًا بين الإنسان وبين الذنب والمعصية.

ذكره يعني تذكر مراقبته.. ذكر حسابه وجزائه.. ذكر محكمته العادلة.. نعيمه وجحيمه.. وهذا هو الذكر الذي يصفّي الروح، ويغمر القلب نورًا وحيوية.

لهذا ورد في الروايات الإسلامية أنّ لكل شيء حدًّا، إلّا ذكر الله فإنّه لا حدّ له!

يقول الإمام الصادق عليه السلام في الرواية التي وردت في أصول الكافي [بإسناده عن ابن القداح]: «**ما من شيء إلّا وله حدّ ينتهي إليه، إلّا الذكر فليس له حدّ ينتهي إليه**». ثمَّ يضيف: «**فرض الله عزَّ وجلّ الفرائض، فمن أدّاهن هو حدّهنّ، وشهر رمضان فمن صامه فهو، والحج فمن حجّ حدّه، إلّا الذكر، فإنّ الله عزَّ وجلّ لم يرض منه بالقليل، ولم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ثمَّ تلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ فقال: لم يجعل الله له حدًّا ينتهي إليه.**

ويروي الإمام الصادق عليه السلام في ذيل هذه الرواية: **وكان أبي كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإنّه ليذكر الله، وآكل معه الطعام وإنّه ليذكر الله، ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله**».

وأخيرًا ينتهي هذا الحديث الغني المحتوى بهذه الجملة: «**والبيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويذكر الله عزَّ وجلّ فيه تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الدُري لأهل الأرض**».

إنّ هذا الموضوع من الأهمية بمكان بحيث عُدَّ ذكر الله في حديث يعدل خير الدنيا والآخرة، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**من أُعطي لسانًا ذاكرًا فقد أُعطي خير الدنيا والآخرة**»[1].

والروايات الواردة في أهمية ذكر الله تبلغ من الكثرة حدًّا بحيث أنّا لو أردنا إيرادها جميعًا هنا لخرجنا عن وضع الكتاب وحدّه، ولذلك نختم هذا الحديث

(١) الكافي، المجلد الثاني، كتاب الدعاء، باب ذكر الله عزَّ وجلّ كثيرًا، ح١، ص٤٩٨، ٤٩٩.

بحديث آخر قصير عميق المعنى روي عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: «من أكثر ذكر الله عزَّ وجلّ أظلّه الله في جنّته»[1].

وهناك مطلب ينبغي التأكيد عليه، وهو أنّ كلّ هذه البركات والخيرات لا ترتبط قطعًا بالذكر اللفظي وحركة اللسان الخالية من الفكر والعمل، بل الهدف هو الذكر الذي يكون مصدرًا ومنبعًا للفكر.. ذلك الفكر الذي يتجلّى نوره في أعمال الإنسان، كما صرّحت الروايات بهذا المعنى[2])[3].

في ذلك تحدّث السيد محمد حسين فضل الله قائلًا:

«فإذا كنت المؤمن الّذي يذكر الله ويسبّحه، فإنّ الله يصلّي عليك، تمامًا كما يصلّي على رسوله، فالله يصلّي على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه بلّغ الرّسالة وأخلص في تبليغها، ولأنّه عبده وأطاعه، كما لم يعبده ويُطعه أحد، فإذا كنت المؤمن الّذي يذكر الله فيطيعه، ويسبّح الله فيخضع له، فإنَّ الله يصلّي عليك وصلاة الله عليك، هي غفرانه لك ورضوانه عليك وارتفاع درجتك عنده في الدنيا والآخرة»[4].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)﴾[5].

أول درجة في الغُلوّ نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

يقول الشيخ الصدوق[*]: «إن الغُلاة والمفوّضة لعنهم اللّه ينكرون سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقولون: لو جاز أن يسهو عليه السلام في الصلاة جاز أن يسهو في التبليغ لأن

---

(١) الكافي، المصدر نفسه، ج٥، ص٥٠٠.

(٢) خصال الصدوق، طبقًا لنقل تفسير الميزان، المجلّد ١٦، ص٢٦٨.

(٣) «الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل» الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، المجلد١٣، ص٢٦٦، ٢٦٧.

(٤) من كتاب «الكلام السيد» إعداد وتنسيق السيد شفيق محمد الموسوي، المركز الإسلامي الثقافي، حارة حريك/ بيروت، ط١ (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٢م) ص٩٤، ٩٥.

(٥) سورة الأحزاب، الآيات: ٤١ ـ ٤٣.

(*) هو أبو جعفر «محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي»، رئيس محدثي الإمامية الإثني عشرية وأحد كبار علماء قُمّ وفي طليعة أعلامهم الطائري الصيت، المولود بدعاء الإمام الحُجّة سنة ٣٠٦ والمتوفي عام ٣٨١ هـ (راجع رسالة الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام، إلى والد الشيخ الصدوق علي بن الحسين بن موسى بن بابويه حيث جاء فيها «بسم اللّه الرحمن الرحيم .... أوصيك يا شيخي ومعتمدي وفقيهي أبا الحسن بن الحسين القمي، وفقك اللّه لمرضاته، **وجعل من**=

الصلاة عليه فريضة كما أن التبليغ عليه فريضة، وهذا لا يلزمنا، وذلك لأن جميع الأحوال المشتركة يقع على النبي ﷺ فيها ما يقع على غيره، وهو متعبّد بالصلاة كغيره ممن ليس بنبي، وليس كل من سواه بنبي كهو، فالحالة التي اختص بها هي النبوة والتبليغ من شرائطها، ولا يجوز أن يقع عليه في التبليغ ما يقع عليه في الصلاة لأنها عبادة مخصوصة والصلاة عبادة مشتركة، وبها تثبت له العبودية وباثبات النوم له عن خدمة ربه عزَّ وجلّ من غير إرادة له وقصد منه إليه نفي الربوبية عنه، لأن الذي لا تأخذه سنة ولا نوم هو اللَّه الحي القيوم، وليس سهو النبي ﷺ كسهونا لأن سهوه من اللَّه عزَّ وجلّ، وإنما أسهاه ليعلم أنه بشر مخلوق، فلا يتخذ ربًا معبودًا دونه وليعلم الناس بسهوه حكم السهو متى سهوا، وسهونا عن الشيطان وليس للشيطان على النبي ﷺ والأئمّة صلوات اللَّه عليهم سلطان إنّما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وعلى من تبعه من الغاوين...

ثم اختتم الشيخ الصدوق كلامه بقوله:

كان شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد ابن الوليد (المتوفي سنة ٣٤٣ هـ) يقول: (**أول درجة في الغُلوّ نفي السهو عن النبي ﷺ**) ولو جاز أن ترد الأخبار الواردة في هذا المعنى لجاز أن نردَّ جميع الأخبار وفي ردها إبطال الدين والشريعة، وأنا احتسب الأجر في تصنيف كتاب منفرد في إثبات سهو النبي ﷺ والرد على منكريه إن شاء اللَّه تعالى»[1].

روى الشيخ الصدوق في «عيون أخبار الرضا»، «عن أبي الصلت الهروي[*]، قال: قلت للرضا عليه السلام يا بن رسول اللَّه إن في سواد الكوفة قومًا يزعمون أن النبي ﷺ لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا لعنهم اللَّه إن الذي لا يسهو هو اللَّه الذي لا إله إلَّا هو..»[2].

= **صلبك أولاداً صالحين برحمته**، بتقوى اللَّه وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ...) نقلاً عن كتاب (من لا يحضره الفقيه) ج١، دار الأضواء/ بيروت ط ٦، بالتمهيد، ضمن حرف الواو.

(١) من كتاب «من لا يحضره الفقيه»، الصدوق، دار الأضواء/ بيروت (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م) ط ٦ ج ١ ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(*) أبو الصلت: عو عبد السلام بن صالح الهروي يقول عنه الكشي أنه «**ثقة مأمون على الحديث... وكان دينه ومذهبه حب آل محمد ﷺ**»، رجال الكشي، الأعلمي/بيروت، ص٤٣٣، رقم (٥١٧).

(٢) عيون أخبار الرضا، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي/بيروت، ج ١، باب ٤٦، حديث رقم (٢١٩) بحار الأنوار، المجلسي، ج ١٧، ص ١٠٥.

وهنالك قصة ذي اليدين مع النبي ﷺ كما جاء في «**من لا يحضره الفقيه، للصدوق**»: **روى الحسن بن محبوب عن الرباطي عن سعيد الأعرج قال**: سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول: إن اللَّه تبارك وتعالى أنام رسوله ﷺ عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس ثمَّ قام فبدأ فصلى الركعتين اللتين قبل الفجر ثمَّ صلى الفجر، وأسهاه في صلاته فسلّم في ركعتين ثمَّ وصف ما قاله ذو الشمالين [وكان يُدعى ذا اليدين] وإنما فعل ذلك به رحمة لهذه الأُمّة لئلا يُعيّر الرجل المُسلم إذا هو نام عن صلاته أو سها فيها فيُقال قد أصاب ذلك رسول اللَّه ﷺ»[1].

وهذه الرواية تناقلتها الكتب الروائية بطرق ومضامين مختلفة كهذه الرواية **كما ينقلها لنا الشيخ الطوسي**:

«أحمد بن محمد بن يحيى ابن عيسى عن علي بن النعمان عن سعيد الأعرج قال: سمعتُ أبا عبد اللَّه يقول: صلى رسول اللَّه ﷺ في ركعتين فسأله من خلفه يا رسول اللَّه أحَدَثَ في الصلاة شيء؟ قال: وما ذاك؟ قالوا إنّما صليت ركعتين، فقال: أكذلك يا ذا اليدين؟ [وكان يدعى ذا الشمالين]، فقال: نعم، فبنى على ذلك فأتمَّ الصلاة أربعًا، وقال إن اللَّه هو الذي أنساه رحمة للأمّة، ألا ترى لو أن رجلًا صنع هذا لعُيّرَ وقيل ما تُقبل صلاتك، فمن دخل عليه اليوم ذلك، قال: قد سنَّ رسول اللَّه ﷺ وصارت أسوة وسجد سجدتين لمكان الكلام»[2].

وقد ضعّف البعض سند هذه الروايات، إلَّا أنّها فرضت وجودها بأسانيد صحيحة في المصادر الشِّيعية.

لكن السيد الخوئي في شرحه «كتاب الصلاة» قال: «إن هذه الروايات في نفسها غير قابلة للتصديق، **وإن صحت أسانيدها**، لمخالفتها لأصول المذهب»[3].

---

(١) من كتاب «من لا يحضره الفقيه»، الصدوق ج ١، ص ٢٣٣، ٢٣٤، وسائل الشِّيعة (٥/٣٠٧).

(٢) بحار الأنوار، المجلسي ج ١١ ص ٤٤، تهذيب الأحكام، الطوسي ج ٢ ص ١٨٠، حديث ١٤٣٣ ونلاحظ نظير هذا الخبر أيضاً في الأحاديث رقم (١٤٣٨ و١٤٦١) من التهذيب كما ينقل أيضاً «عن زيد بن علي عن آبائه عن علي قال: **صلى بنا رسول اللَّه الظهر خمس ركعات ثم انفتل فقال له بعض القوم: يا رسول اللَّه! هل زيد في الصلاة شيء؟! فقال: وما ذاك؟ قال: صليت بنا خمس ركعات قال فاستقبل القبلة وكبَّر وهو جالس ثم سجد سجدتين ليس فيهما قراءة ولا ركوع ثم سلّم وكان يقول: هما المُرغمتان**» التهذيب، ج ٢، حديث (١٤٤٩) (١٧٠).

(٣) كتاب «الصلاة» السيد الخوئي، ج ٤، ص ٣٢٩.

فالسيد الخوئي يقرّ بصحة السند إلَّا أنه لا يصدّقها لأنها مخالفة لأصول المذهب! ورغم أن السيد الخوئي مجدِّدٌ في أفكاره ونظرياته وأشهرها عدم حجية المشهور إلَّا أنه لا يستطيع الخروج من «**المشهور المقدّس وما اجتمع عليه العلماء**» **من عدم سهو النبي!!**

نعم هو مخالف لأصول المذهب الشِّيعي الذي تغيّر عبر الزمن، وما اجتمع عليه معظم عُلماء الشِّيعة المتقدّمين، لا كما يقول المتأخّرون منهم..!!

وقد ألّف الشيخ ميرزا جواد التبريزي كتابًا سماه «نفي السهو عن النبي» قال فيه: «وفي هذه الروايات إشكال وإن نقل بعضها بسند معتبر. والذي تفيده بعض القرائن والخصوصيات أنّها وردت عن الأئمّة عليهم السلام على نحو التقيّةِ، وبهذه الروايات وأمثالها يعرف مقدار الابتلاء الذي ابتلى به أئمتنا».

لاحظوا معي أنه قال إنها روايات ذات سند معتبر (لكنها تخالف ما اجتمع عليه معظم عُلماء الشِّيعة المتأخِّرين) فألصقها بالتقية ثمَّ أحالها للعصبية العاطفية التي تستنفر مشاعر الموالين، لأنه لم يجد أي دليل علمي يبطلها، وهذا هو الحال فكُلّما وُجدت رواية صحيحة لكنها تُخالف الهوى الحالي للتشيُّع تُضرب بعرض الحائط، أو تُؤوّل أو تُوضع بخانة التقيّةِ والاستنفار العاطفي والمذهبي، وهذا أسهل شيء!

يقول الشيخ الصدوق: «يقول الدافعون لسهو النبي صلى الله عليه وآله **أنه لم يكن في الصحابة من يُقال له ذو اليدين وأنه لا أصل للرجل ولا للخبر وكذبوا لأن الرجل معروف وهو أبو محمد عمير بن عبد عمر والمعروف بذي اليدين وقد نقل عنه المخالف والمؤالف وقد أخرجت عنه أخبارًا في كتاب وصف قتال القاسطين بصفين**»[(١)].

فيظهر من الشيخ الصدوق **أولًا** أن إنكار سهو النبي صلى الله عليه وآله **كان شعار الغُلاة والمفوّضة**، والمفوّضة كما قال الأئمّة عليهم السلام مشركون، **ثانيًا** أنه يرى جواز السهو في

---

(١) من كتاب «من لا يحضره الفقيه» دار الأضواء/ بيروت (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م) ط ٦، ج ١، ص٢٣٣، ٢٣٤.

الموضوعات العامة التي ليس لها مساس بالتشّريع كالأمور الحياتية اليومية، أما في نقل التشّريعات والأحكام فلا يرى ذلك.

وأخيرًا يقول السيد المرتضى علم الهدى:

«يجوز أن يغلب النوم الأنبياء في أوقات الصلاة فيقضونها ولا يُعدّ ذلك نقصًا أو عيبًا»[1].

التطور العقائدي فتح الباب أمام الوضّاعين والمغالين

الكثير من العقائد الحالية لمذهبنا لم تكن موجودة في الفكر الشِّيعي حتى منتصف القرن الرابع الهجري، لكن نتيجة التطور العقائدي وفتح باب الاجتهاد الذي شهدته الإمامية في القرون الأخيرة، أُدخل على المذهب الكثير من العقائد التي سبق وأن أنكرها سلفنا الأوائل، كعصمة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام في غير التبليغ حيث يقول رئيس المحدّثين الشيخ الصدوق: **«إن الغُلاة والمفوّضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي صلى الله عليه وآله»[2].**

وأنا لا أعرف هل الشيخ الصدوق كان جاهلًا بالعقيدة الإمامية حتى أن يلعن هكذا بكل سهولة كل مَن ينكر سهو النبي صلى الله عليه وآله أم أنه نسِيَ أن كل الشِّيعة تعتقد بعدم سهو النبي كما يدّعي المتأخرون عنه!!

والسؤال هل الشيخ الصدوق وأبوه وشيخه كانوا أقرب إلى الأئمّة ليعرفوا إن كانَ الأئمّة يسهون أم لا؟ أم العلماء الذين أتوا لاحقًا ولم يعرفوا الأئمّة عن قُرب؟!

حتى إن **المجلسي** لما تناول هذه المسألة، اعترف بإشكاليتها ولكنّه عزاها إلى خلل الأخبار، وإلى قابلية الآيات للتأويل فقال:

«وإنما أوردت هذه الكلمات منها لتطلع على مذاهبهم في العصمة فإذا أحطت خبرًا بما تلونا عليك، فاعلم أنَّ هذه المسألة في غاية الإشكال لدلالة كثير من الآيات والأخبار على صدور السهو عنهم عليهم السلام نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن

---

(١) الأنوار النعمانية، ج٤، ص٣٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه، في أحكام السهو في الصلاة، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٣٤.

قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾﴾[1] وقوله تعالى: ﴿...وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾[3] وقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾[4] وقوله: ﴿...لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ﴾[5] وقوله: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴿٧﴾﴾[6]. وما أسلفنا منه الأخبار وغيرها وإطباق الأصحاب إلَّا ما شذّ عنهم على عدم جواز السهو عليهم، مع دلالة بعض الآيات والأخبار عليه في الجملة وشهادة بعض الدلائل الكلامية والأصولية المبرهنة عليه مع ما عرفت في أخبار السهو من الخلل والاضطراب وقبول الآيات للتأويل واللَّه يهدي إلى سواء السبيل»[7].

ثم ذكر أن هنالك اختلافًا واقعًا في باب العصمة من جهة أفعالهم فالبعض يقول أنه لا يصدر عنهم الذنب لا صغيرة ولا كبيرة ولا عمدًا ولا نسيانًا ولا للإسهاء من اللَّه سبحانه، والبعض خالف ذلك[8].

وللعلم أن هنالك الكثير من العلماء الإمامية يعتقد بجواز السهو في غير التبليغ ومنهم شيخ الطائفة الطوسي حيث قال:

«لا يجوز على الأئمة السهو والنسيان فيما يؤدونه عن الله، أما غير ذلك فإنه يجوز أن ينسوه أو يسهوا عنه مما لا يؤدي إلى الإخلال بكمال العقل...»[9].

ويقول الشيخ الطبرسي: في معرض رده على الجبائي في ذيل الآية الكريمة ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[10] «وأما النسيان والسهو، فلم يجوّزوهما عليهم، فيما يؤدونه عن اللَّه تعالى، أمّا ما سواه فقد جوّزوا

---

(١) سورة طه، آية: ١١٥.
(٢) سورة الكهف، آية: ٢٤.
(٣) سورة الكهف، آية: ٦٣.
(٤) سورة الكهف، آية: ٦٣.
(٥) سورة الكهف، آية: ٧٣.
(٦) سورة الأعلى، الآيتان: ٦، ٧.
(٧) بحار الأنوار، المجلسي، ج ١٧، ص ١١٨.
(٨) بحار الأنوار، المجلسي، ج ١١، ص ٨٩.
(٩) راجع التبيان، ج٤، ص١٦٥.
(١٠) سورة الأنعام، آية: ٦٨.

عليهم أن ينسوه، أو يسهوا عنه، ما لم يؤدِ ذلك إلى إخلال العقل، وكيف لا يكون ذلك وقد جوّزوا عليهم النوم والإغماء وهما من قبيل السهو»[1].

وإذا لاحظنا كلام الطبرسي فقد جوّز مطلق السهو عليهم وإن كان من الشيطان.

ويقول المحدّث السيد نعمة اللّه الجزائري:

«حكاية سهو النبي ﷺ قد رُوي بما يُقارب عشرين سندًا. وفيها مبالغة وإنكار على من أنكره كما رُوِيَ عن أبي الصلت الهروي قال قلت للرضا عليه السلام: يا بنَ رسول اللّه إن في الكوفة قومًا يزعمون أن النبي ﷺ لم يقع عليه سهو في صلاته فقال: كذبوا لعنهم اللّه إن الذي لا يسهو هو اللّه الذي لا إله إلّا هو» وبالجملة فهذا المضمون مروي بالطرق الصحيحة والحسان والموثقات والمجاهيل والضعاف فإنكاره مشكل»[2]. الحق أن الأخبار قد استفاضت في الدلالة على ما ذهب إليه الصدوق»[3].

كما أن **الفيض الكاشاني** نقل الروايات وكلام الصدوق والمستفاد من مجموع كلامه أنه اختاره أو يميل إليه[4] وكذلك **المحقق المُلّا أحمد النراقي (١١٨٦هـ-١٢٤٥هـ)** في كتابه «مستند الشّيعة» يقول الشيء نفسه[5].

وقال السيد مرتضى في كتابه «تنزيه الأنبياء»:

«وأما قوله: ﴿...لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾[6] فقد ذكر فيه وجوهًا ثلاثة:

- **الوجه الأول**: أنه أراد النسيان المعروف، وليس بعجب مع قصر المُدّة، فإنَّ الإنسان قد ينسى ما قرب زمانه لما يعرض له من شغل القلب وغيره.

- **الوجه الثاني**: أنه أراد لا تأخذني بما تركت، ويجري مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[7] أي ترك، وقد روي هذا الوجه عن

---

(١) تفسير «مجمع البيان في تفسير القرآن»، دار المعرفة/ بيروت (١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م) ط١، ج٤، ص ٤٩٠.

(٢) الأنوار النعمانية، دار الكوفة/ دار القارئ، ج ٤، ص ٣٠.

(٣) الأنوار النعمانية، المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٤) الأنوار النعمانية، المصدر نفسه، ص ٣٥، ٣٩.

(٥) يمكن مراجعة أحاديث السهو في: التهذيب ٣: ١٩١/ ٧٥٧، الاستبصار ١: ٣٧٩/ ١٤٢٦، الوسائل ٨: ٢٠٠ أبواب الخلل الواقع في الصلاة.

(٦) سورة الكهف، آية: ٧٣.

(٧) سورة طه، آية: ١١٥.

ابن عباس عن أُبي بن كعب عن رسول اللّه قال: قال موسى ﴿...لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾[1] يقول بما تركت من عهدك.

ـ **الوجه الثالث**: إنَّهُ أراد لا تؤاخذني بما فعلته ممّا يشبه النسيان، وسمّاه نسيانًا للمشابهة... وإذا حملنا هذه اللفظة على غير النسيان الحقيقي فلا سؤال فيها، وإذا حملناها على النسيان في الحقيقة كان الوجه فيه أن النبي ﷺ لا يجوز عليه النسيان عن اللّه تعالى أو في شرعه أو في أمر يقتضي التنفير فأما فيما هو خارج عمَّا ذكرناه فلا مانع من النسيان»[2].

فالظاهر من السيد المرتضى أنه يرجّح الثاني وإن لم يقطع برفض الثالث.

أما **الشهيد الثاني** فيقول باحتمال الإكتفاء في التشيُّع بالاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام وفرض طاعتهم من دون اعتقاد العصمة[3].

ويقول **السيد الخوئي كما جاء في** «**صراط النجاة**» **ضمن مسائل العقيدة**: «إنّ القدر المتيقن في السهو الممنوع على المعصوم هو السهو في غير الموضوعات الخارجية»[4].

لاحظوا معي أن الموثوق به والمعتمد عليه أنَّ السهو على المعصوم ممنوع في غير الموضوعات الخارجية، فماذا عن الموضوعات الخارجية؟!

منطوق كلام السيد الخوئي أن النبي لا يسهو في غير الموضوعات الخارجية ومفهومه أنه ـ النبي ـ يسهو في الموضوعات الخارجية وسهو النبي على رأي السيد الخوئي كما الشيخ الصدوق لا يكون في نقل التشريعات والأحكام، وإنما في الموضوعات العامة التي ليس لها مساس بالتشريع كالأمور الحياتية اليومية.

وهناك الآيات المذكورة في قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح، فالبعض يقول إن النسيان فيها بمعنى الترك، والمعنى لا تؤاخذني بما تركت من تعهدي بالصبر وعدم السؤال، المفهوم من قوله تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾[5] وقوله تعالى:

---

(١) سورة الكهف، آية: ٧٣.

(٢) تنزيه الأنبياء، ص ١٢١.

(٣) رجال بحر العلوم، ج٣، ص٢٢٠.

(٤) صراط النجاة، ط٢، ج١، ص٤٦٢.

(٥) سورة الكهف، آية: ٦٩.

﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠﴾[1]، أي لا تؤاخذني لتركي الصبر والسؤال عن الأمر.

ولا ندّعي أنَّ الأنبياء عليهم السلام لا يصدر منهم ما كان الأولى تركه، وهذا المورد منها، والذي يبعد أن يكون النسيان بالمعنى المعهود عدم إمكان تحقق النسيان من موسى مع هذا الفاصل الزمني القصير وتكرار الأمر، هو ذاكر للأمر ولكن هول الأمر جعله يتدخل ويسأل تاركًا ما قاله في البدء.

تحدث المرجع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في ذلك قائلًا:

«وهنا قد يُطرح هذا السؤال: هل يمكن لنبي مثل موسى عليه السلام أن يصاب بالنسيان حيث يقول القرآن: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾[2] ثمَّ لماذا نسَبَ صاحب موسى عليه السلام نسيانه إلى الشيطان؟

في الجواب نقول: إنَّهُ لا يوجد مانع من الإصابة بالنسيان في المسائل والموارد التي لا ترتبط بالأحكام الإلهية والأمور التبليغية، أي: في مسائل الحياة العادية، (خاصة في المواقع التي لها طابع اختبار، كما هو الحال في موسى هنا..).

ويمكن أن يُقال ذلك بالنسبة إلى قوله تعالى عن يوشع بن نون ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾[3]، ولكن يبعده قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾[4] فذكر كلمة الذكر كمقابل للنسيان يبعد أن يكون النسيان هنا بمعنى الترك»[5].

ويسأل العلّامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في موضع آخر:

«هل يمكن أن يُصاب الأنبياء بالنسيان»؟

البعض يعتقد بصدور ووقوع مثل هذا النسيان بالنسبة للأنبياء، لأنَّهُ لا يرتبط بأساس دعوة النبوة ولا بفروعها ولا بتبليغ الدعوة، بل يقع في قضية عادية تخص الحياة اليومية، فالمسَلَّم به إن النبي صلى الله عليه وآله لا يُصاب بالنسيان في أصل دعوة النّبوة ولا يُخْطِئُ أو يشتبه في التبليغ، حيث أنَّ عناية الله تعصمهُ في مثل هذه الأُمور.

---

(١) سورة الكهف، آية: ٧٠.

(٢) سورة الكهف، آية: ٦١.

(٣) (٤) سورة الكهف، آية: ٦٣.

(٥) الأمثل في تفسير كتاب اللّٰه المنزل، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، سورة الكهف، ط١ (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) ج ٩، ص ٣١٤، ٣١٥، وطبعة أخرى ص٢٠٣.

ولكن ما المانع أن ينسى موسى عليه السلام طعامه، خصوصًا أنَّ هذا النسيان أمر طبيعي عندما يكون موسى متوجهًا بحواسه في البحث عن الرجل العالم؟

ثمَّ ما المانع من أن يُصاب بالهيجان، بحيث ينسى تعهده الذي قطعهُ مع صاحبه العالم، وذلك عندما شاهد هذه الحوادث العظيمة التي مرَّت به كقتل الفتى وخرق السفينة وبناء الجدار في مدينة البخلاء؟

إنَّ موارد النسيان هذه لا تتعارض مع مقام العصمة، ولا هي مستبعدة عن أي نبي»[(١)].

نعم يرد إشكال آخر في نسبة نسيان يوشع إلى الشيطان، قال **السيد الطباطبائي** جوابًا عن ذلك:

«ولا ضير في نسبة الفتى نسيانه إلى تصرف من الشيطان بناء على أنه كان يوشع بن نون النبي، والأنبياء في عصمة إلهية من الشيطان لأنهم معصومون ممّا يرجع إلى العصمة، وأما مطلق إيذاء الشيطان فيما لا يرجع إلى معصية فلا دليل يمنعه قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾[(٢)]»[(٣)].

وقال السيد الطباطبائي في موضع آخر:

«والمعنى لا تؤاخذني بنسياني الوعد وغفلتي عنه ولا تكلفني عسرًا من أمري، وربما يفسّر النسيان بمعنى الترك والأول أظهر»[(٤)].

وذهب جماعة من الشِّيعة إلى أن الأئمّة هم من كُمّل المؤمنين مع نفي العصمة، لكن شاء المغالون والوضّاعون أن يدسّوا في الإمامة كل ما يريدونه، حتى رفعوها إلى حد الربوبية، فهذا **الوحيد البهبهاني في «الفوائد الرجالية»** يقول:

إعلم أن كثيرًا من القدماء سيّما القمِيّيّن منهم وابن الغضائري كانوا يعتقدون للأئمة عليهم السلام منزلةً خاصةً من الرفعه والجلاله ومرتبةً معيّنةً من العصمة والكمال

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، طبعة الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، سورة الكهف، ط١(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) ج٩، ص٢١٩.

(٢) سورة ص، الآية: ٤١.

(٣) الميزان، ج ١٣، ص ٣٤١.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ٣٤٤.

بحسب اجتهادهم ورأيهم، وما كانوا يجوِّزون التعدّي عنها، وكانوا يعدُّون التعدِّي ارتفاعًا وغلوًا حسب معتقدهم، حتى أنهم جعلوا مثل نفي السهو عنهم غلوًا، بل ربما جعلوا مطلق التفويّض إليهم أو التفويّض الذي أُختِلفَ فيه أو المبالغة في معجزاتهم ونقل العجائب من خوارق العادات عنهم أو الإغراق في شأنهم وإجلالهم وتنزيههم عن كثير من النقائص وإظهار كثرة القدرة لهم وذكر علمهم بمكنونات السماء والأرض ارتفاعًا أو مُوْرِثًا للتهمة به سيّما بجهة أن الغُلاة كانوا مختفين في الشِّيعة مخلوطين بهم مُدَلِّسين»[١].

ثم أشار البهبهاني إلى أن القُدماء كانوا يختلفون في المسائل الأصولية كالفرعية، فربما كان بعض الاعتقادات عند بعضهم كُفرًا وغُلوًا أو تفويضًا وجبرًا أو تشبيهًا أو نحو ذلك، وعند آخرين ممّا يجب اعتقاده.

كما أن هناك من العلماء والرواة ممّن عاصروا الأئمّة يَرَوْنَ أن أئمة أهل البيت عليهم السلام عُلماء أبرار، ولا يرون أنهم معصومون، وإلى ذلك أشار **الشهيد الثاني في كتابه (حقائق الإيمان)** بقوله:

«... وليس بعيدًا الاكتفاء بالأخير على ما يظهر من حال رواتهم ومعاصريهم من شيعتهم في أحاديثهم عليهم السلام فإنَّ كثيرًا منهم ماكانوا يعتقدون عصمتهم لخفائها عليهم، بل كانوا يعتقدون أنهم عُلماء أبرار، يعرف ذلك من تتبّع سيرتهم وأحاديثهم، وفي كتاب أبي عمرو الكشي رحمه الله جملة مُطْلِعه على ذلك، مع أن المعلوم من سيرتهم عليهم السلام مع هؤلاء أنهم كانوا حاكمين بإيمانهم على عدالتهم»[٢].

والمطلع على كتاب رجال الكشي يُدرك هذه الحقيقة من خلال تعامل الرواة مع الأئمّة. ثمَّ هنالك **رأي ابن الجنيد الإسكافي** ـ وهو زعيم الطائفة وفقيهها بعد حدوث الغيبة الكبرى، وبعد انتهاء دور النواب الأربعة، وتقع رئاسته للشِّيعة في فترة معقدة حتى ظهور دور الصدوقين، فقد لعب دورًا كبيرًا في سدّ الفراغات الفقهية في تلك الفترة الزمنية هو وابن شاذان وابن عقيل العُماني[٣] ـ **حيث كان**

(١) الفوائد الرجالية، الوحيد البهباني، ٣٨، عدّة الرجال ج ١، ص ١٥٥.
(٢) كتاب حقائق الإيمان، الشهيد الثاني، ص ١٥١.
(٣) راجع: كتاب «مع الصادقين» السيد محمد حسن الكشميري، ج٤، ص٤٤.

يرى أن الأئمّة يجتهدون ويعملون بالرأي، وذلك عندما وجد الأقوال المنقولة عنهم متضاربة، حيث جمع مسائل، وكتبها إلى أهل مصر، وسمّاها (الرسائل المصرية) ذكر فيها أن أخبار الأئمّة مختلفة في معانيها لاعتمادهم على الرأي»[١].

وهنا نسأل هل كل الذين ذكرناهم من أكابر عُلماء الإمامية خارجون عن الإسلام أو عن المذهب؟!

وللعلم إنَّ علماءَنا اختلفوا فيما بينهم على العقائد، وإليكم هذه النبذة...

العقائد المُختلف عليها بين عُلماء الإمامية

نعم هناك اختلاف في كثير من العقائد بين عُلماء الإمامية، ومن يقول غير ذلك فهو واهم، وقد تقدّم أنه **لا إجماع على عصمة الأنبياء والأئمّة في غير التبليغ** والمتفق عليه بين عُلماء الإمامية هو الوحدانيةُ للّه عزَّ وجلّ ونبوة نبينا الأكرم وإمامة أمير المؤمنين والأئمّة من بعده والمعاد، أما باقي العقائد من أفعالٍ وأقوالٍ منسوبةٍ إليهم عليهم السلام، فقد تكون صادرة وقد لا تكون، وهذا يعتمد على المعايير والموازيين العلمية التي تحدّد ذلك، والتي منها علم الرجال والحديث. أما تأويلات بعض العلماء واستحسانهم فهي غير مقبولة في تثبيت عقيدة أو نفيها، وسأعرض بعض **العقائد المُختلف عليها بين العلماء**:

١ ـ الكلام أن الأئمّة كُلَّهم ماتوا قتلًا أو سُمًّا:

يقول الشيخ المفيد في رده على الشيخ الصدوق في كتابه «تصحيح اعتقادات الإمامية»[٢]:

«فأما ما ذكره أبو جعفر ـ رحمه اللّه ـ من مضي نبينا والأئمّة ـ عليهم السلام ـ بالسم والقتل، فمنه ما ثبت، ومنه ما لم يثبت، والمقطوع به أن أمير المؤمنين والحسن والحُسَيْن ـ عليهم السلام ـ خرجوا من الدنيا بالقتل، ولم يمت أحدهم حتف أنفه، وممن مضى بعدهم مسمومًا موسى بن جعفر عليه السلام ويقوى في النفس أمر الرضا عليه السلام ـ وإن

---

(١) المسائل السرويه، الشيخ المفيد، ص ٧٥.

(٢) «تصحيح الاعتقاد بصواب الإنتقاد»، المفيد، دار الكتاب الإسلامي/ بيروت (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م) ص ١١٠، ١١١.

كان فيه شك، فلا طريق إلى الحكم فيمن عداهم بأنهم سُمُّوا أو اغتيلوا أو قُتلوا صبرًا، فالخبر بذلك يجري مجرى الإرجاف، وليس إلى تيقنه سبيل»[١].

ولاحظوا قوله: «مجرى الإرجاف» ومعناه أنه ـ من يقول بذلك ـ خاض في الأخبار السيئة والفتن بقصد هياج الناس، وقد نقل الشيخ المفيد في كتابيه (الأنساب والزيارات) و(الإرشاد) كيفية موت الأئمّة عليهم السلام، وذكر أمير المؤمنين والحُسَيْن أنهما قُتلا بالسيف كما هو معروف وذكر الإمام الحسن والإمام الكاظم على أنهم ماتوا بالسم، وذكر بقية الأئمّة أنهم قُبضوا دون ذكر أنهم سُمّوا أو استُشهدوا.

٢ ـ الرجعة ليست من ضروريات المذهب:

ذهب جماعة من عُلماء الشِّيعة إلى أن الرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها كالشيخ محمد رضا المظفر في عقائد الإمامية[٢] ويقول السيد محسن الأمين في كتابه نقض الوشيعة:

«**الرجعة أمر نقلي، إن صح النقل به لزم اعتقاده، وإلاَّ فلا**»[٣].

ويذكر السيد الأمين في «أعيان الشيعة» جواب الشريف المرتضى حيث يقول: «**ليست من ضروريات مذهبهم، ولا يجب الإعتقاد بها عندهم ولا يأثم منكرها الذي لم تثبت عنده، وإنما هي شبه أمرٍ تاريخي**»[٤] وكذا الشيخ الطبرسي في تفسيره حيث قال: «**إن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيتطرق عليها، أي على رجوع الدولة دون رجوع أعيان الاشخاص وإنما المعوّل في ذلك على إجماع الشِّيعة الإمامية وان كانت الأخبار تعضده وتؤيده**»[٥]. وأمّا الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فيرفضها رفضًا قاطعًا قائلًا: «**أخبار الرجعة لا تساوي عندي فلسًا واحدًا**»[٦] وكذلك السيد عبد الحُسَيْن شرف الدين وهكذا الإمام السيد الخوئي

---

(١) انظر كتاب الأنساب والزيارات، من تأليفه النفيس (ط ١٢٧٤هـ) المقنعة ص ٧٢ ـ ٧٥.

(٢) عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، ص ٨٤.

(٣) نقض الوشيعة، مؤسسة الأعلمي/ بيروت (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) ط٤، ص٣٧٦.

(٤) أعيان الشيعة، قسم أول من الجزء الأول، ط٣، مطبعة الإنصاف (١٩٥١م)، ص١٧٤.

(٥) مجمع البيان، دار المعرفة/بيروت، ط ١، ج ٧، ص ٣٦٧.

(٦) انظر: أصل الشيعة وأصولها، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، ط٧، ص٦٧.

والمرحوم الشيخ محمد جواد مغنية[1]. بل إن الشيخ محمد جواد مغنية يعتبرها مخالفة للقرآن الكريم، حيث يقول:

(﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾[2] **يطلب الرجعة عند انتهاء الأجل! وهيهات قد فات ما فات** ﴿...كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾[3]، **وكفى، أي: لا تغني عنه شيئًا، لأن من مات فقد قامت قيامته** ﴿...وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[4]، **أي يوم القيامة، والبرزخ الحائل، والمعنى: دون رجعة الموتى إلى الدنيا مانعٌ بإرادة الله ومشيئته وأيضًا معنى هذا أنّ الروايات الواردة في الرجعة مخالفة لظاهر هذه الآية، وفي الخطبة ١٠٧ من خطب نهج البلاغة: «حيث لا إقالة ولا رجعة..» والخطبة: «فلا رجعة تنالون، ولا عثرة تقالون»)**[5].

والشهيد آية الله مُطهّري يؤمن أنَّ أدلة الرجعة ليست كأدلة المعاد القطعية[6].

٣ ـ الشيخ الصدوق والشيخ المفيد وإنكارهما علم الغيب للأئمة عليهم السلام:

يقول الشيخ الصدوق: «الإمام لا يعلم الغيب، وإنما هو عبد صالح يعلم الكتاب والسُّنّة، ومن ينحل للأئمة علم الغيب فهذا كفر بالله وخروج عن الإسلام عندنا، وأنَّ الغيّب لا يعلمه إلّا الله وما ادّعاه لبشر إلّا مشرك كافر»[7].

وأما الشيخ المفيد فيقول: «وقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أفضل النبيين وأعلم المرسلين، ولم يكن مُحيطًا بعلم النجوم، ولا متعرضًا لذلك ولا يتأتى منه قول الشعر ولا ينبغي له. وكان أُمّيًا بنص التنزيل ولم يتعاط معرفة الصنائع ولمّا أراد المدينة. استأجر دليلًا على سنن الطريق، وكان يسأل عن الأخبار ويخفى عليه منها ما لم يأت به إليه صادق من الناس»[8].

وقال في خصوص مقتل أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) راجع كتاب «بين قوسين ـ جولة في دهاليز مظلمة» دار النصر/ بيروت سؤال رقم (٢٤)، ص١٤٧.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٩٩.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.
(٥) التفسير المبين، الشيخ محمد جواد مغنية، ص٤٥٤.
(٦) نقلًا عن كتاب «الندوة» ج٦، ص٤٥٣.
(٧) الصدوق، إكمال الدين، ص١٠٦، ١١٦، ١٨٩.
(٨) المسائل العكبرية، المفيد، ص ٣٤، ٣٥.

«فلا يكون بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ملقيًا بيده إلى التهلكة، ولا معينًا على نفسه معونة مستقبحة في العقول»[1].

وجاء في المسألة العشرين من المسائل العكبرية:

ـ المسألة العشرون: قال السائل: الإمام عندنا [مجمع] على أنه يعلم ما يكون، فما بال أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد وهو يعلم أنه مقتول وقد عرف قاتله والوقت والزمان؟ وما بال الحُسين عليه السلام صار إلى أهل الكوفة وقد علم أنهم يخذلونه ولا ينصرونه، وأنه مقتول في سفرته تلك؟ ولِمَ لمّا حوصر ـ وقد علم أن الماء منه لو حفر على أذرع يسيرة ـ لم يحفر، ولِمَ أعان على نفسه حتى تلف عطشًا؟ والحسن عليه السلام وادع معاوية وهو يعلم أنه ينكث ولا يفي ويقتل شيعة أبيه عليهما السلام؟ والجواب ـ وباللّه التوفيق ـ: [عن] قوله: إن الإمام يعلم ما يكون بإجماعنا، أن الأمر على فلان ما قال. وما أجمعت الشِّيعة قط على هذا القول، وإنما إجماعهم ثابت على أن الإمام يعلم الحكم في كل ما يكون، دون أن يكون عالمًا بأعيان ما يحدث. ويكون على التفصيل والتمييز. وهذا يسقط الأصل الذي بنى عليه الأسئلة بأجمعها[2].

٤ ـ الشيخ المفيد ينكر أن يكون الأئمّة أشباحًا قديمة كما يدّعي بعض الشِّيعة:

يقول: «وأما القول بأنَّ أشباحهم عليهم السلام قديمة فهو منكر لا يطلق. والقديم في الحقيقة هو اللّه تعالى الواحد الذي لم يزل، وكل ما سواه محدث مصنوع مبتدأ له أول، والقول بأنهم لم يزالوا طاهرين قديمي الأشباح قبل آدم كالأول في الخطأ. ولا يقال لبشر إنَّهُ لم يزل قديمًا»[3].

فلاحظ قول الشيخ المفيد بدقة فهو يخطّئ من يقول إنَّ أهل البيت لم يزالوا طاهرين قديمي الأشباح قبل آدم، بمعنى أنهم خُلقوا أنوارًا قبل آدم!

٥ ـ بدء عصمة الأئمّة عند الصدوق والمفيد:

يقول الصدوق: «إنّ عصمة الأئمّة من أوائل أمورهم إلى أواخرها أو إنّ

---

(١) المسائل العكبرية، المفيد، ص٧٠.

(٢) المسائل العكبرية، المفيد، ص ٦٩.

(٣) المسائل العكبرية، المفيد، ص ٢٧.

المقطوع به كمالهم عليهم السلام في العلم والعصمة في أحوال النبوة والإمامة»[1]. . . . أما عند الشيخ المفيد فيقول: «إنّ العصمة لازمة لهم منذ أكمل اللّه تعالى عقولهم إلى أن قبضهم عليهم السلام»[2].

٦ ـ الشهادة الثالثة في الآذان:

لقد أنكر وجوبها فقهاء الشّيعة، حيث يقول الشيخ الصدوق:

«والمفوّضة ـ لعنهم اللّه ـ قد وضعوا أخبارًا وزادوا في الأذان: محمد وآلِ محمد خير البرية ـ مرتين ـ وفي بعض رواياتهم ـ بعد أشهد أن مُحّمدًا رسول اللّه: أشهدُ أنَّ عليًّا ولي اللّه ـ مرتين ـ ومنهم من روى بدل ذلك: أشهدُ أنَّ عليًّا أمير المؤمنين حقًا. . مرتين»[3].

ووافقه على ذلك **الشهيد الأول، قائلًا**:

«لا يجوز اعتقاد شرعية غير هذه الفصول في الأذان والإقامة كالتشهد بالولاية لعلي عليه السلام وأن مُحّمدًا وآله خيرُ البرية أو خير البشر (وإن كان الواقع كذلك) فما كل واقع حقًا يجوز إدخاله في العبادات الموظفة شرعًا، المحدودة من اللّه تعالى فيكون إدخال ذلك فيها بدعة وتشريعًا كما لو زاد في الصلاة ركعة أو تشهُّدًا أو نحو ذلك من العبادات، وبالجملة فذلك من أحكام الإيمان لا من فصول الآذان.

قال الصدوق: إن إدخال ذلك فيه من وضع المفوَّضة وهم طائفة من الغُلاة[4] ـ ولو فعل هذه الزيادة، أو إحداها بنيّة أنّها منه أثَم في اعتقاده»[5]. والأمر نفسه ذكره **الشهيد الثاني في «روض الجنان»**.

ومن يذهب إلى قُمّ المُقدّسة الآن، ويُصلّي في جامع السيدة المعصومة خلف آية اللّه العظمى السيد موسى الزنجاني، يرى أنه لا يذكر الشهادة الثالثة في إقامته،

(١) الاعتقادات، الصدوق، ص ٩٦.
(٢) تصحيح الاعتقادات بصواب الإنتقاد، المفيد، دار الكتاب الإسلامي/ بيروت، ص ١٠٨.
(٣) كتاب «من لا يحضره الفقيه» الصدوق، دار الأضواء/ بيروت (١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ م) ط ٦، ج ١، ص ١٨٨، ١٨٩.
(٤) الغُلاة: طائفة غالت في النبي أو أحد الأئمة عليه السلام واعتقدت فيهم فوق مرتبتهم.
(٥) انظر كتاب «اللمعة الدمشقية»، بيروت/ دار إحياء التراث العربي (١٤٠٣ هـ) ط ٢، ج ١، ص ٢٤٠.

فهو ينكر أصلها ووجودها في الآذان، وقد صرّح آية الله السيد كاظم الحائري يومًا حول (كراهية) الشهادة الثالثة في الآذان وذلك في رمضان عام ١٤٢١هـ وتراجعه عن ذلك التصريح في اليوم التالي، وإقراره ممارستها (رُغم كراهيتها)!!

إذًا، ما تقدّم بعض من العقائد التي يختلف عليها أكابر عُلماء الطائفة ـ لا كما يدّعي البعض من أنه لا خلاف إلَّا في الفقه فقط ـ حيث إننا نصغي إليهم في كثير من معتقداتنا. فهل نتهمهم بأنهم ضالون مضلّون، مشككون لمجرد الاختلاف؟!

ولا نصغي إليهم لذلك؟!

فإما أن نوافق أحدهما ونخالف الآخر، أو يكون لنا رأي آخر، وعلى ذلك لا بد أن يكون أحدهما أو كلاهما مشكّكًا...!!

فنحن أمام خيارين:

أولًا: إما القول إنّ مجموع العلماء الذين ذكرناهم في هذه الاختلافات مشككون ضالّون!

ثانيًا: أو إنَّ لهؤلاء رأيًا قد يصيب وقد يخْطِئُ فهو محتمل للوجهين (رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيُ غيري خطأ يحتمل الصواب).

فإن قلنا بالرأي الأول فقد حكمنا على بعض أكابر عُلماء الطائفة من المتقدّمين والمتأخرين بالتشكيك، وإن قلنا بالرأي الثاني فالدليل العلمي هو الحاكم كيفما يميلُ نميل.

ونتيجة لما قاله الشيخ الصدوق أن بعض محققي الشِّيعة وعلمائهم طعنوا في وثاقته مثل المحقق الكاظمي أسد اللَّه صاحب (كشف القناع) والمحقق المزيور الذي قال عن الصدوق: «**وبالجملة فأمر الصدوق مضطرب جدًا**»[(١)] والمحقق البحراني الذي توقف عند وثاقة الشيخ الصدوق، فرَّد عليه السيد الخوئي قائلًا: «**وإني أعتبر ذلك من اعوجاج السليقة، ولو نوقش في وثاقة مثل الصدوق فعلى الفقه السلام**»[(٢)].

وهناك من أشاد بالشيخ الصدوق وهو الإمام الخميني فقال:

---

(١) (٢) «ترجمة الصدوق في معجم رجال الحديث» السيد الخوئي/ الجزء السابع عشر.

«عليكَ أن تعلم أن الشيخ الصدوق. . .، هو الشخص الذي يتصاغر أمامه جميع العلماء الأعلام، إذ يعرفونه بجلالة القدر. وهذا الرجل العظيم هو المولود بدعاء إمام العصر عليه السلام، وهو الذي حظي بألطاف الإمام المهدي عليه السلام»[1]

إن البعض أخذَ يعتبر عُلماء قُمّ الكبار من المتقدّمين ـ المحاربين للغلوّ والغُلاة ـ مقصّرين في حق الأئمّة ويخطئون عقيدة قدماء الشِّيعة، ويعتبرون أنفسهم مكمّلين لتلك العقيدة وأنهم أزالوا ما كان فيها من نقص!!

إن تخطئة شيعة قُمّ ونسبة التقصير إليهم أمر بعيد عن الواقع والإنصاف، والقول بأن مذهب الشِّيعة كان في زمنهم ناقصًا، وأصبح اليوم كاملًا، قول خاطئ تمامًا وكيف يكون الذين عاصروا الأئمّة وعاشروهم مقصّرين في معرفتهم؟!

السبب واضح لأنهم كانوا يرفضون ما يُنسب إلى الأئمّة عليهم السلام من كرامات خارجة عن المنطق وإدّعاءات بعيدة عن العقل والشرع، والذين جاؤوا بعد مئات السنين ولم يروا الأئمّة، ولا كانوا معاصرين لهم،وتأثروا بآلآف الخُرافات والأوهام التي شاعت مع الزمن، ولا يعلم إلّا الله أي سياسات كانت وراء نشرها يكونون عارفين بالأئمّة وكاملين في تشيُّعهم؟!

الأسباب التي ساهمت في تسلل الغُلوّ

لو سألنا أنفسنا ما الذي ساهم في تسلل هذه العقائد المغالية إلى المذهب، سنجد أنّ أهم تلك الأسباب هي **أولًا**: «**النصوص الموضوعة**» التي وصلتنا، والتي أُحيطت بهالة القداسة، وهي بعيدة كل البعد عن العقيدة التي مشى عليها نبينا الأكرم محمد وأهل بيته الطيبون الطاهرون. **ثانيًا**: «**التفسير الباطني**».

فماذا جرى في التاريخ؟

أولًا: النصوص الموضوعة:

في هذا الجانب يذكر **المؤرخ السيد هاشم معروف الحسني** عمّا جرى في تلك الفترة من الزمن، فيقول:

---

(١) «الأربعون حديثاً» الإمام الخميني، دار التعارف/ بيروت، ط٧ (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م) ص٥١.

(إن الدوافع للكذب في الحديث في العصر الأموي قد تضاعفت وتنوعت في العصور التي تأخرت عنه، فقد جاء دور جماعة من المتشيّعين لأهل البيت عليهم السلام الذين ظلّوا زمنًا طويلًا يسمعون شتم علي عليه السلام على المنبر في المساجد والمجتمعات، ويروون الأحاديث المكذوبة على الرسول في فضل الخلفاء والأمويين تُفرض حتى على الصبيان الصغار وتدخل في مناهج التعليم في الكتاتيب وفي الحلقات، هؤلاء عندما دبَّ الضعف في جسم تلك الدولة الجائرة، وظهرت طلائع الحزب المعارض، ووجدوا بين أيدي الناس سيلًا من المرويات المكذوبة، وبعضها كان يتناول عليًّا عليه السلام وبنيه بكل أنواع الإساءة، لم يتورعوا أن يضعوا بعض الأحاديث في الفضائل وانتقاص الخلفاء، ونسبوها إلى الأئمّة عليهم السلام في حين أنهم (سلام اللّه عليهم) كانوا يعارضون بحزم وإصرار كل من يحاول أن يضعهم فوق مستوى الناس أو ينتقص أحدًا من الخلفاء وصحابة الرسول الأبرار، وجاء دور الفِرَق الشِّيعية في تلك الفترة من تاريخ المسلمين التي تعددت فيها الأحزاب، وتضاربت فيها النزعات والاتجاهات حتى بين المحدّثين والفقهاء، هذه الفِرَق التي استعملت الحديث فيما استعملته من الوسائل لتأييد الأفكار التي تبنّتها، ونشطت في ترويجها والدعاية لها، كالكيسانية، والزيدية، والفطحية، وغيرها، وكان من أخطر الدخلاء على التشيُّع جماعة تظاهروا بالولاء لأهل البيت، واندسوا بين الرواة وأصحاب الأئمّة عليهم السلام مُدّة طويلة من الزمن، استطاعوا خلالها أن يتقربوا من الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، واطمأن إليهم جمع من الرواة، فوضعوا مجموعة كبيرة من الأحاديث، ودسوها بين أحاديث الأئمّة وفي أصول كتب الحديث، كما تُشير إلى ذلك بعض الروايات، وقد اشتهر من هؤلاء محمد بن مقلاص الأسدي الذي يكنّيه الشهرستاني بأبي زينب، والمقريزي بابن أبي ثور، والمغيرة بن سعيد، وبزيع بن موسى الحائك، وبشّار الشعيري، ومعمّر بن خيثم، والسري وحمزة اليزيدي، وصائد الهندي [النهدي](*)، وبيان بن سمعان التميمي، والحرث الشامي، وعبد اللّه بن الحرث وغير هؤلاء ممن لا يسعنا استقصاؤهم، وكان بشار الشعيري، وحمزة اليزيدي، ومعمر بن خيثم، وبيان بن سمعان، والمغيرة بن سعيد من دعاة الإلحاد والغلوّ ، فلقد ادعى بشار بأن عليًّا هو

(*) قد تكون خطأً مطبعيًا لكنني نقلتها كما هي والصحيح هو صائد النهدي وليس الهندي، ووجب التوضيح. راجع: رجال الحلي، دار الذخائر/ قم (١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م) ط٢، ص٢٣٠ رقم (١).

الإله، وقال بالتناسخ، وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لمرزام وكان جارًا لبشّار، «**إذا قدمت الكوفة فقل له: يقول لك جعفر: يا فاسق يا كافر يا مشرك أنا بريء منك قال مرزام: فلما قدمت الكوفة بلّغته الرسالة، فقال بشّار: وقد ذكرني سيدي؟ قال نعم ذكرك بهذا، فقال له جزاك اللّه خيرًا**».(١) وأما معمّر بن خيثم فقد أحلَّ جميع المحرّمات، وأما حمزة فكان يدّعي بأن أبا جعفر يأتيه بالوحي في كل ليلة، وأما بيان فلقد ادعى النبوة بعد أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، وأما المغيرة بن سعيد فلقد ادعى النبوة وكان أكثرهم اتّباعًا، لأنه كان يستعمل السحر والشعبذة والأساليب التي تضلل البسطاء والمغفلين.

وجاء عن أبي الحسن الرضا أنه قال: «كان بيان (وفي رجال الكشي بُنانُ) يَكْذِبُ على عليّ بْنِ الحُسَيْن، فَأذاقَهُ اللّهُ حَرَّ الحَديد، وكان مُغَيْرَةُ بْنُ سعيد يَكْذِبُ على أبي جَعْفرٍ عليه السلام فأذاقَهُ حرَّ الحَديدِ، وكانَ مُحمّدُ بْنُ بَشير يَكْذِبُ عَلى أَبِي الحَسَنِ مُوسى عليه السلام فأذاقَهُ اللّهُ حَرَّ الحديدِ، وكانَ أبُوالخَطّاب يَكْذبُ عَلى أبي عَبدِ اللّهِ عليه السلام فأذاقَه اللّهُ حَرَّ الحديدِ والَّذي يَكْذِبُ عَلَيَّ مُحَمَّدُ بْنُ فُرات»(٢).

وجاء عن يحيى بن عبد الحميد الحماني أن جعفر بن محمد كان رجلًا صالحًا مسلمًا ورعًا، فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون يقولون حدّثنا جعفر بن محمد، ويحدّثون بأحاديث منكرة كلها كذب على الإمام جعفر بن محمد، يستأكلون بها الناس، كالمفضّل بن عمر، وبيان وعمر النبطي وغيرهم من الوضاعين، ونسبوا إليه أنه قال: إن معركة الإمام تكفي عن الصلاة والصيام، وأن عليًّا في السحاب يطير مع الريح، وأن اللّه إله السماء والإمام إله الأرض(٣)، إلى غير ذلك من المقالات(٤).

وتؤكد المرويات الصحيحة عن الإمام الصادق عليه السلام وغيره من الأئمّة أن المغيرة بن سعيد وبيانًا (بُنانًا) وصائد الهندي [النهدي] وعمر النبطي والمفضّل وغيرهم من المنحرفين عن التشيُّع والمندسّين في صفوف الشِّيعة وضعوا بين المرويات عن

---

(١) رجال الكشي، مؤسسة الأعلمي/ بيروت، ط١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) ص٢٨٦، رقم (٢٥٩).
(٢) رجال الكشي، طبعة كربلاء، ص٢٥٩.
(٣) رجال الكشي، مؤسسة الأعلمي/ بيروت، ط١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) ص٢٣١، رقم١٥٤.
(٤) انظر: «اتقان المقال» ص ٣٦٨.

الأئمّة عددًا كبيرًا في مختلف المواضيع. وجاء عن المُغيرة أنه قال: وضعت في أخبار جعفر بن محمد اثني عشر ألف حديث، وظل هو وأتباعه زمنًا طويلًا بين صفوف الشِّيعة يترددون معهم إلى مجلس الأئمّة عليهم السلام، ولم ينكشف حالهم إلّا بعد أن امتلأت أصول كتب الحديث الأولى بمروياتهم، كما تُشير إلى ذلك رواية يحيى بن عبد الحميد السابقة)[1].

ولا بد لنا أن نقف قليلًا عند المغيرة بن سعيد صاحب جرائم التحريف ودس أخبار الغلو التي هي ما زالت موجودة بن أيدينا، وقد أجاد الشيخ باقر شريف القرشي في الحديث عن هذا الرجل، قال ما ملخصه:

(أما المغيرة فهو من أرجاس البشرية، ومن شرار الخلق، وكان ملحدًا، صاحب بدع ومنكرات ومن بدعه الغلّو، وقد تبرأ منه الإمام الصادق عليه السلام، ولعنه، قال عليه السلام: «لعن الله المغيرة بن سعيد، لعن الله اليهودية كان يختلف إليها، يتعلّم منها الشعر والشعبذة والمخاريق».

لقد أبدى الإمام عليه السلام تذمّره الشديد من المغيرة الذي يقول عليه بالباطل، وكذّب عليه وعلى أبيه من قبل، ومن المؤكد أنه من العناصر المندسّة ليقوم بعملية الهدم والتخريب للمبدأ الشيعي القائم على الحق.

لقد كان المغيرة مجرمًا خطيرًا، حاول تشويه الشِّيعة، وتحريف مبادئهم وقيمهم، وقد احتفت به عصابة من المجرمين، فكانوا يستعيرون له كتب الحديث والأخبار التي أملاها الإمام الباقر وولده الإمام الصادق عليهما السلام على تلاميذهم، فكان يدسّ فيها أخبار الغلوّ، وقد فوّت الإمام الصادق بعرض الأخبار على الكتاب والسُنّة، والتثبت فيها ما كان يرومه المغيرة من إفساد عقيدة الشِّيعة، وأكبر الظن أن السلطة هي التي دفعت المغيرة إلى القيام بهذا العمل الخطير للنكاية بالشِّيعة، وإفساد معتقداتهم، وتشويههم أمام الرأي العام.

وعلى أي حال فقد ضاقت الشيِّعة ذرعًا من المغيرة، وقد خفّ أبو هريرة

---

(١) نقلًا عن كتاب «الموضوعات في الآثار والأخبار» للمؤرخ السيد هاشم معروف الحسني، دار التعارف/ بيروت (١٤٠٧هـ - ١٩٩٧م) ص١٤٨، ١٤٩، ١٥٠.

العجلي إلى الإمام أبي جعفر الصادق عليه السلام يشكو إليه ما ألمَّ بهم من بدع المغيرة ومفتعلاته قائلًا:

أبـا جـعـفـر أنـت الـولـيُّ أُحـبُّـه وأرضـى بـمـا تـرضـى بـه وأتـابـعُ
أتـانـا رجـالٌ يـحـمـلـون عـلـيـكـمُ أحـاديـثَ قد ضـاقـتْ بـهنَّ الأضـالـعُ
أحـاديـثُ أنـشـأهـا الـمُـغـيـرةُ فـيـهـمُ وشـرُ الأمـورِ الـمُـحـدثـاتُ الـبـدائـعُ

ومعنى هذه الأبيات أن المغيرة أفشى بِدَعَهُ ومفتعلاته فحفظها أصحابه وأخذوا يذيعونها بين الناس، وينسبونها إلى الأئمة عليهم السلام)[1].

وللأسف فإن الروايات التي دسها الغلاة ما زالت تعمل أثرها في الوسط الشعبي لدى العوام مما دفع الشيِّعة بالإتجاه نحو الغلو!

ومن تلك النصوص الموضوعة انبثقت قاعدتان كانَ لهما الأثر الكبير في تسلل الغُلوّ ودخول كمٍّ هائل من الموضوعات في الروايات والأخبار، وهما:

١ ـ التسامح في أدلة السنن

٢ ـ حديث: «قولوا فينا ما شئتم ونزهونا عن الإلوهية»

١ ـ التسامح في أدلة السنن

(بعض الأحيان نسمع هنا وهناك أن هذه العقيدة عندما يُسأل عنها فالجواب يكون أنّها موجودة في الزيارة المعيّنة أو وردت في الدُّعاء المعيّن وهكذا ولا يُقال إنّ هذه العقيدة من القرآن أو السُّنّة القطعية، وكأن كل اعتقاداتنا من هذه الزيارة أو تلك أو هذا الدُّعاء أو ذاك مع العلم أن هذه ـ الأدعية والزيارات ـ مستحبات وأكثر هذه المستحبّات نُقلت من روايات ضعيفة مرّرتها قاعدة التسامح.

فما هي هذه القاعدة؟

قاعدة التسامح في أدلة السنن: قاعدة فقهية يعتمد عليها بعض الفُقهاء في إثبات بعض السُنن (المستحبّات)، فعلامَ تنص هذه القاعدة وما دخلها في الأُمور الإعتقادية؟ وهل يمكن الاعتماد عليها في إثبات عقيدة من العقائد؟

---

(١) موسوعة الإمام الصادق، الشيخ باقر شريف القرشي، ج٧، ص٢٢٨.

تعريف القاعدة؟

هذه القاعدة تنص على أنه «**من بلغه شيء من الثواب على عمل فعمله كان له أجر ذلك العمل حتى وإن لم يقله الرسول ﷺ**». ومن هذه القاعدة أُدخلت كل الروايات الخاصة بالزيارات والأدعية والروايات التي ليس لها سند أو التي سندها ضعيف والروايات الضعيفة الخاصة ببعض الجوانب كما سيأتي.

وهذه القاعدة دعت بعض الفُقهاء للتساهل في التدقيق في أمر الروايات التي لا تحتوي على نصوص إلزامية (حرمة أو وجوب)، فإذا جاءت رواية - مثلًا - تتحدّث عن مستحب لم يبلغ حد الوجوب والإلزام، فإنَّ فريقًا من الشِّيعة لا يبذل جُهدًا في البحث عن سندها، والتأكد من صحة صدورها وعدمه، لأنها لا تعدو كونها مستحبة.

ولذا فإن هؤلاء الفقهاء يتنازلون عمّا يشترطونه في علم الأصول، وبالتحديد في مباحث حجية خبر الواحد الثقة إذا كان الخبر أمرًا مستحبًا.

ومستند هذه القاعدة عدة روايات ذكرها الحُرّ العاملي في رسائله، وهي تسع روايات، أهمها:

عن أبي عبد الله عليه السلام **قال**: من بلغه عن النبي ﷺ شيء من الثواب فعمله كان أجر ذلك له، وإن كان رسول الله ﷺ لم يقله».

عن أبي عبد الله عليه السلام: من بلغه عن النبي ﷺ شيء من الثواب ففعل ذلك طلب قول النبي ﷺ كان له ذلك الثواب وإن كان النبي ﷺ لم يقله».

إنقسام عُلماء الشِّيعة إلى قابل ورافض لهذه القاعدة

القسم الأول: من العلماء القابلين والمؤيدين لهذه القاعدة:

١ - الشهيد الأول في «الذكرى» ج ٢، ص ٣٤.

٢ - السبزواري في «ذخيرة المعاد» ص ٤.

٣ - الخوانساري في «مشارق الشموس» ص ٣٤.

٤ - المجلسي في «بحار الأنوار» ج ٢٢، ص ٢٥٦.

القسم الثاني: من العلماء الرافضين لهذه القاعدة:

١ - الشيخ الصدوق وأستاذه ابن الوليد كما في «الفصول» للأصفهاني، ص ٣٥.

٢ ـ البحراني في «الحدائق» ج ٧، ص ٣٩٢.
٣ ـ العاملي في «المدارك» ج ١، ص ١٣.
٤ ـ الفاضل الجزائري كما في «هداية المسترشد» للأصفهاني، ج ٣، ص ٤٦٤.
٥ ـ السيد الخوئي في «مصباح الأصول» ج ٢، ص ٣٢٠، وهو من أبرز المتأخرين الرافضين لهذه القاعدة...

فالقاعدة في حد ذاتها محط اختلاف بين فقهاء الشِّيعة كما يُلاحظ القارئ الكريم وما يهمّنا في هذه الدراسة ما يلي:

ما علاقة هذه القاعدة بالعقائد؟!

وهل يمكن الاعتماد عليها في تثبيت عقيدة أم لا؟

موطن تطبيق القاعدة:

فعلى فرض صحتها فموطن تطبيقها في الفقه للمستحبات، لذا فإنَّ القارئ الكريم إذا تصفّح الرسالة العملية لمرجعه يجده يقول: إن هذا العمل «**مستحب أو يستحب فعل كذا**» وتكون تلك الروايات التي تتحدّث عن المستحب ضعيفة، لكن هذه القاعدة فسحت في المجال للقيام بهذا المستحب أو ذاك، وقد يذكر بعض من ينكر هذه القاعدة في رسالته العملية: «**ذكروا أنه يستحب كذا وكذا**»، لبيان أن ذلك العمل مستحب عند غيره من باب قاعدة التسامح أو لا بأس بالإتيان به برجاء المطلوبية، كما هو الحال عن السيد الخوئي.

بل قد تلاحظ في بعض الرسائل العملية يؤتى بها برجاء المطلوبية، لأنها في الواقع لا تعدو كونها روايات ضعيفة، لكنهم تسامحوا في تلك الروايات، لأنها في قضايا مستحبة.

هل للقاعدة دخل في العقائد؟

القاعدة فقهية ولا تمتّ إلى العقائد بصلة، لكن نزعة التساهل في أخذ الروايات الضعيفة جعلت ذلك ذريعة للتساهل في القضايا العقائدية. فقد توسعت هذه القاعدة من مدلولها البسيط المختص بالمستحبّات إلى مدلول أكبر بكثير بسبب التساهل، فمنهم من خصَّ ذلك بذكر ثواب على عمل ورد ذكره في رواية ضعيفة، وبعضهم أضاف إلى ذلك المكروه، وبعضهم أضاف فتوى الفقيه، بمعنى أنه إذا أفتى بفتوى

لمستحب دون أن تكون هناك أي رواية أصلًا، فإنه يصح الاعتماد على ذلك، وبعضهم أضاف كل روايات القصص والمواعظ ومصائب أهل البيت عليهم السلام وتواريخهم وما فيه نشر فضيلة أو منقبه أو... وحدّث ولا حرج في هذا الجانب..

وأكثر ما تناوله التساهل، الزيارات والأدعية المنتشرة في كتب الأدعية، فكانت ـ الزيارات والأدعية ـ أسهل طريق لتلاعب الغُلاة والوضاعين بنصوصها، ولعل ذلك يعود إلى عادة الناس، حيث إنهم يقرؤون تلك الأدعية والزيارات دون تفحّص وتدقيق، إما لعدم أهمية ذلك عندهم، أو لعدم معرفتهم بمواطن الخلل، ولقد ساهمت هذه القاعدة في تجاهل كثير من المشكلات الموجودة في الزيارات والأدعية بسبب كونها مستحبة.

إثبات المعاجز والكرامات من القاعدة:

امتد التساهل ليطال إثبات الكرامات والمعاجز، والأساطير، والخُرافات إلى غير ذلك ممّا ليس له أصل ولا كتاب، بحيث صار للخطيب إمكان الصعود للمنبر ولقارئ العزاء الحُسيني (الرادود) ونسبة ما ينقله إلى الواقع دون أن يتهرّب عبر كلمة (روي) بحيث يقول: قال الإمام. ومن أجل التساهل نجد كثيرًا من أهل العلم يتشبثون بكل رواية فيها كرامة ومعجزة لأهل البيت عليهم السلام لظنّهم ـ الذي لا يُغني من الحق شيئًا ـ أنَّ هذا هو السبيل لنشر مذهب أهل البيت، فيستعرضون من كتاب مدينة المعاجز للبحراني، وشجرة طوبى للمازندراني، ومشارق أنوار اليقين لابن رجب البرسي، من الكتب تلك المعاجز والكرامات على أنّها قطعية الصدور عن الإمام عليه السلام، وأنَّ ما ينقلونه ممّا لا شك فيه ولا ريب. ونحن نقول: إنَّ هذه الكتب وغيرها جمعت الأحاديث على علّاتها ومصائبها من دون تمحيصها والتحقق منها، فهي لا تعدو كتبًا تحوي أخبارًا!

وأضرب لذلك مثالًا:

نقل البحراني في مدينة معاجزه عن البرسي قال: «أخبر أصحاب التواريخ أن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله ـ كان جالسًا وعنده جني يسأله عن قضايا مُشكلة، فأقبل أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فتصاغر الجني، حتى صار كالعصفور، ثمَّ قال: أخبرني يا رسول اللّه. قال: عمن؟ فقال: من هذا الشاب المقبل؟ قال: وما ذاك؟ قال الجني: أتيت

سفينة نوح لأغرقها يوم الطوفان، فلما تناولتها ضربني هذا (يقصد أمير المؤمنين عليه السلام) فقطع يدي، ثمَّ أخرج يده مقطوعة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: هو ذاك»!

يبدو من هذه الرواية المعجزة أن هذا الجني الحنون الذي جاء ليسأل رسولنا الكريم كان يعيش هو وأمير المؤمنين عليه السلام زمن النبي نوح - والنبي غير موجود طبعًا - فقد خاف من أمير المؤمنين عليه السلام حتى لا يكسر يده الثانية ويبقى بدون يد، كما أن قدرة أمير المؤمنين في وقت الطوفان أقوى من نبي اللّه نوح!!!

فهذه الكتب أدخلت في الفكر الشِّيعي كثيرًا من الكرامات والمعاجز والمناقب والمثالب والمطاعن التي لا أصل لها ولا مصدر، ولا غرابة في ذلك فهؤلاء أعطوا الإمام عليًّا عليه السلام من صفات اللّه ما ليست لأحد حتى النبي نفسه فما بالك بمثل هذه القصة!

والحق أن مدينة المعاجز وشجرة طوبى ومشارق أنوار اليقين ومعالم الزلفى و... كلها كتب تحوي الخُرافات والخزعبلات التي ما أنزل اللّه بها من سلطان.

إنَّ المعجزات والكرامات - الأمر الخارق للعادة - لا تؤخذ من خبر الواحد بل لا بد من التواتر، كما يقول الشريف المرتضى (من القدماء)، والسيد الطباطبائي صاحب الميزان (من المعاصرين).

إثبات العقائد من القاعدة

وامتد هذا التساهل اليوم ليطال المسائل الاعتقادية عبر الأخذ بروايات ضعيفة لقضايا عقائدية تمثّل الفكر الشِّيعي العقدي في التصوّر العام، وما هي في الأساس إلّا روايات ضعيفة.

ومن هنا، يؤكد الشهيد الثاني على هذا بقوله: «جوز الأكثر العمل بالضعيف في نحو القصص والمواعظ وفضائل الأعمال، لا في صفات اللّه والحلال والحرام...»

وهذه هي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى أن يمتد التساهل إلى الأُمور الاعتقادية والقضايا التاريخية، وهذا في حد ذاته مسؤول عن تكوين ثقافة أخرى غير الثقافة الحقة.

لا يمكن تجاهل النص القرآني في مقابل الروايات، وخصوصًا روايات الأدعية والزيارات التي تُقرأ كل يوم وليلة أو كل أسبوع أو. . . ثمَّ تكون تلك الزيارة وهذا الدُّعاء مصدرين للعقيدة الحقة المُسلَّمة التي لا نقاش فيها، ومن يُناقش فيها فقد خرج من ولاية علي عليه السلام، فهذه النظرة نتيجة تلك الثقافة!

دخول الروايات غير الشِّيعيّة من القاعدة

ولم يكتف البعض بهذه المصيبة، بل حاولوا إدخال بعض الروايات غير الشِّيعيّة في غير دائرة الواجب والحرام، وفتحوا الباب للقضايا العقائدية للدخول، لأن الواجب والحرام أهم من العقائد عندهم. ومن هنا، دخلت عقائد عديدة لأنها موجودة في كتب أبناء العامة دون كتب الشِّيعة، وهذا كما قال الفيض الكاشاني إن كثيرًا منها ـ بمعنى أن هناك معتقدات كثيرة ـ أُدخلت إلينا من كتب أبناء السُّنة، وليس لها أصل ولا ذكر لا من قريب ولا من بعيد، بل إذا لاحظت من يذكرها من الشِّيعة يذكرها دون مصدر أو أنَّ المصادر كلها من كتب أبناء العامة.

نعم، في المحاججة بيننا وبين أبناء العامة نستشهد بما ورد في كتبهم. ولكن لا يُعقل أن نستشهد بما جاء في كتبهم لإثبات عقيدة خاصة بنا نحنُ الشِّيعة ومثال على ذلك حديث «**حُبُّ علي حسنة لا تضر معها سيئة**».

نص الحديث:

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**حُب علي بن أبي طالب حسنة لا تضر معها سيئة وبُغضه سيئة لا تنفع معها حسنة**».

مصادر الحديث:

الذي يظهر من التتبع لمصادر هذا الحديث أن مصدره هم عُلماء العامة [السُّنّة] الذين رووه في كتب الفضائل عن عدد من الصحابة منهم:

١ ـ عبد اللَّه بن عباس

٢ ـ أنس بن مالك

٣ ـ معاذ بن جبل

٤ ـ عبد اللَّه بن عمر

والأهم أن هذه الرواية شكلت ثقافة عامة في الوسط الشِّيعي، هذه الثقافة تشير

إلى أن الشِّيعي مهما عمل من أعمال، فإنَّ ذلك لا يضره، فليكذب وليغتب وليزنِ وليشرب الخمر وليسرق. . . وعلى القارئ الإكمال.

[وقد واجهنا هذا الصُنف من الشِّيعة في حياتنا، والتي تعشش فيهم هذه الفكرة، فمن أين جاءت هذه الفكرة؟

الجواب: من هذه الرواية التي يتفرّد أهل السُّنة بنقلها، ولا توجد في مصادرنا.

من قاعدة التسامح التي فتحت لنا الباب لنقل مثل هذه الروايات، ومن أي مصدر!

مع وضوح أن هذه الرواية تصطدم مع القرآن بقوة وللإشارة البسيطة والمختصرة، نذكر بعض الآيات المخالفة لهذه الرواية غير الشِّيعيّة:

١ - ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[١].

٢ - ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٢٣﴾[٢].

٣ - ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١١﴾[٣].

٤ - ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝١١٢﴾[٤].

٥ - ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾[٥].

٦ - ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠﴾[٦].

٧ - ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥﴾[٧] والكثير من الآيات.

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ١١١.
(٤) سورة النساء، الآية: ١١٢.
(٥) سورة المدثر، الآية: ٥٣.
(٦) سورة النجم، الآيتان: ٣٩ ـ ٤٠.
(٧) سورة النازعات، الآية: ٣٥.

فالسعادة والشقاء مرهونان بأعمال الإنسان وصفاته الذاتية لا بالقرابة أو الشّفاعة كما رأينا، وعمومًا كل إنسان مسؤول عن مصير نفسه، وهذا ما يعبّر عنه القرآن بنحو دقيق قائلًا:

٨ - ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾[١].

٩ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٢]

ونلاحظ في سورة نوح أن النبي نوح عليه السلام مع كل صدقه وإخلاصه وتفانيه في أداء الرسالة الموكلة إليه في نجدة الإنسان والحضارة الإنسانية من الطوفان الأكبر، عندما يرى ابنه يشرف على الغرق، فإنه يتوّجه إلى الله سائلًا إيّاه أن يُنجي ابنه من الغرق المحتوم، فيجيئه الردّ الإلهي حاسمًا:

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ﴾[٣].

ها هنا يتجلّى بوضوح موقف الدين من أصالة النّسَبِ، حيث تنسحب أصالة الدم فاسحة في المجال لأصالة المُعتقد، لكي تحلّ مكانها، وتصبح الأُسرة هنا أُسرة عقائدية لا نسَبية، فيبدو واضحًا أن أصالة القرابة ليس لها أثر في مصير الأفراد دينيًا، ويظهر ذلك جليًّا في كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابنته فاطمة عليها السلام. ففي (طبقات ابن سعد) عندما كان في مرض الموت، وكان إلى جانِبهِ عمّه (العباس) وعمَّته (صفية)، وابنته (فاطمة) التفت إليهم، وقال: «**يا عباس بن عبد المطلب، يا عمَّ رسول الله اعمل لما عند الله فإني لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا صفية بنت عبد المطلب يا عمَّة رسول الله اعملي لما عند الله فإني لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت رسول الله اعملي لما عند الله فإني لا أُغني عنك من الله شيئًا**».

وقد نقلها الطباطبائي في تفسيره «الميزان» ذيل تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[٤] بصيغة ثانية وهي: «**يا بَني عبد المطلب أنقذوا أَنْفُسَكُم من**

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ٤٤.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

النار فإني لا أملك لكم ضرًا ولا نفعًا. يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك ضرًا ولا نفعًا..»[1].

وقد وردت أحاديث عديدة عنه ﷺ في أن لا نجاة إلَّا بالعمل الصالح منها قوله: «**أيها الناس! إنه ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيرًا أو يصرف به عنه شرًّا إلَّا العمل الصالح: أيها الناس! لا يدَّعِ مُدَّعٍ، ولا يتمنَّ مُتَمَنٍّ، والذي بعثني بالحق نبيًّا لا يُنجي إلَّا عملٌ مع رحمة الله، ولو عصيتُ لهويتُ، اللهمَّ هل بلغت؟**»[2].

ينبغي أن نعلم أنه لن يدخل أحد الجنّة من دون حساب وسؤال، حتى الأنبياء والأولياء كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾[3].

وفي حديث آخر: حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا محمد بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن علي عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبيدة الحذاء قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **لما فتح رسول الله ﷺ مكة قام على الصفا فقال: يا بني هاشم يا بني عبد المطلب إني رسول الله إليكم، وإني شفيق عليكم لا تقولوا إن محمدًا منّا، فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلَّا المتقون، ألا فلا أعرفكم تأتوني يوم القيامة تحملون الدنيا على رقابكم ويأتي الناس يحملون الآخرة، ألا وإني قد أعذرت فيما بيني وبينكم، وفيما بين الله عزَّ وجلّ وبينكم، وإن لي عملي ولكم عملكم»**[4].

وهذا ما أكد عليه علي عليه السلام حين قال: «**إنَّ وَلِيَّ مُحمَّدٍ من أَطاعَ الله وَإن بَعُدَت لُحمْتُهُ، وإنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ من عصى الله وَإن قَرُبَت قَرَابَتُهُ**»[5].

---

(١) تفسير الميزان، الطباطبائي، دار إحياء التراث/ بيروت (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م) ط١، ج١٥، ص٢٦٧، ٢٦٨، والحديث رواه البخاري ومسلم في الصحيحين، والترمذي والنسائي في السنن، وأحمد في مسنده، وغيرهم بعدة أسانيد وألفاظ متقاربة، واللفظ لمسند أحمد.

(٢) «الإرشاد» المفيد (٤١٣هـ) ط٢، دار المفيد/ بيروت (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، ج١، ص١٨٢، و«أعلام الورى بأعلام الهدى» الطبرسي (٥٤٨هـ)، قمّ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث (١٤١٧هـ) ج١، ص٢٦٤، والمجلسي ج٢٢، ص٤٦٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، المجلد الثاني.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٦.

(٤) كتاب «صفات الشّيعة» الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ط١ (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م) حديث رقم (٨) ص٥٩.

(٥) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية، ط٢ (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ج١٨، ص٢٥٢، حكمة (٩٢).

وفي حديث لأبي جعفر عليه السلام لجابر يقول فيه:

«... ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبُّ العباد إلى الله عزَّ وجلَّ أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يُتقرّبُ إلى الله تبارك وتعالى إلّا بالطاعة وما معنا براءةٌ من النّار ولا على الله لأحد من حجّة، من كان لله مطيعًا فهو لنا وليٌّ ومن كان لله عاصيًا فهو لنا عدوٌّ؛ وما تُنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع»[1].

وكما أنَّ رابطة الدم بين نوح وزوجته وابنه، ولوط وامرأته، لم تنقذ هؤلاء من المصير المشؤوم الذي كان بانتظارهم، نجد على الجانب الآخر أنَّ امرأة فرعون، وبالرُغم من اقترانها بأكبر طاغية مفسد، لم تحرم السعادة والفلاح، فالقيامة على حد التعبير القرآني هي: ﴿...يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[2]][3].

وعودًا إلى الحديث والذريعة المستخدمة له، ولنقله كما يقول الشيخ المفيد إن هذا الحديث ممّا تبحث فيه المرجئة لتمرر أفكارها ومعتقداتها على الناس، حيث قال: لقد أجاد فيما أفاد ـ إشارة لكلام العلّامة الزنجاني ـ إلَّا أنَّ موارد الاستفادة من هذا البحث لا تنحصر في آيات الوعيد في مقابل الوعيدية، بل يبحث أيضًا عن آيات تتمسك بها المرجئة على عدم أهمية العمل أو قلتها، كقوله (تعالى): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾[4] وقوله صلى الله عليه وآله: حُب علي حسنة لا تضر معها سيئة، والرواية المتفق عليها من إنَّ من قال لا إله إلَّا اللَّه مخلصًا دخل الجنة، وغير ذلك من العموميات التي تتمسك بها الفِرَق الضالة لإثبات مرامها، أو تجيب عن أدلة الإمامية بمبانيها التي اتخذتها في مسألة العموم والخصوص.

ولو اعتمدنا رأي الشيخ المفيد والطوسي والحُرّ العاملي حول القرائن المفيدة للخبر في موضوعنا (الخبر المحفوف بالقرينة في العقائد)، وأردنا أن نطبق ذلك على هذا الخبر، قلنا: إن الخبر لا يوجد في أي أصل من الأصول الأربعمائة، ولا أي كتاب من الكتب الأربعة الحديثية الشِّيعيّة وراوي هذا الحديث غير معروف ـ

---

(١) أصول الكافي، كتاب «الإيمان والكفر» باب الطاعة والتقوى، دار الأضواء/ بيروت، ج٢، ح٣، ص٧٤، ٧٥ وبحار الأنوار: ج٧٠، ص٩٨.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٤٠.

(٣) بالتصرف ـ المؤلف.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

الراوي عن الأربعة ـ عند الشِّيعة من حيث التوثيق والتضعيف بل ليس له سند ليكون التوثيق، كما أنه مخالف للقرآن، وعلى هذا فالخبر غير محفوف بالقرينة، ولا يمكن الاعتماد عليه من ناحية الموازين العلمية.

والواقع أن قاعدة التسامح في أدلة السُنن هي التي سهلت دخول الروايات الموضوعة والضعيفة التي كوّنت لنا ثقافة في مجتمعنا الإسلامي، جعلتنا في الحضيض الفكري والإقتصادي والسياسي، فكانت مسؤولة عن انهيار حالنا.

كما أنّها مسؤولة عن إدخال البدع والخُرافات السائدة في وسطنا الشِّيعي، وهي التي سهلت للوضّاع وضع الأحاديث، فكان الوضع في مجال العقائد أكثر منه في المستحبّات.

وهي مسؤولة عن هجران النص القرآني في القضايا العقدية. والحق أننا بحاجة لتصفية المذهب ممّا علق به عبر الزمن من البدع والخُرافات المنتشرة في الوسط الشِّيعي، ولذا لا بد من تمييز الروايات الشِّيعيّة غثها من سمينها عبر عرضها على القرآن والسُّنّة القطعية والعقل ودراسة سندها)(*).

٢ ـ حديث «قولوا فينا ما شئتم ونزهوّنا عن الإلوهية»

(عندما يغفو العقل العلمي ويستقيل، يستيقظ «العقل الأسطوري» وتنتشر ثقافة السحر والخُرافة، وعندما يخبو العقل الفلسفي والكلامي والأصولي يستفيق «العقل الإخباري» ويصحو، فتنتشر ثقافة الأحراز والمنامات، هكذا تُصاب الأُمّة بالعقم وتدخل في سبات عميق.

في أخبار العقائد:

إن الشلل الذي أصاب علم الكلام الإسلامي أسهم في خلق نزعة إخبارية تتساهل إزاء الأخبار العقدية، وتتسامح في دراسة أسانيدها، وتغض الطرف عن محاكمتها وفق الموازين العقلية، الأمر الذي فتح الباب واسعًا أمام اجتياح أخبار

(*) بالتصرف من مقال بقلم المهندس رائد عبد الرزاق الدحيلب: ماجستير مع مرتبة الشرف الأولى، جامعة ولاية ميشغان بمدينة إيست لانسنغ الأمريكية، متخصص في علم الدراية والرجال، سعودي من محافظة القطيف.

الغُلوّ والتشبيه والجبر والخُرافة عقول المسلمين، ووجدت لها جمهورًا عريضًا تلقّاها بالقبول دون تحقيق أو توثيق.

وما يبعث على الاستغراب أن يدعو بعض العلماء المعاصرين إلى التسامح في أسانيد الأخبار ذات المضامين العقدية، مساويًا بينها وبين أخبار المستحبّات، ومتجاوزًا ما هو معروف من أنَّ خبر الواحد ليس حجّة، ولا يعوّل عليه في أصول العقائد فيما لو كان صحيح السند، فضلًا عمّا لو كان ضعيفًا، قال ما نصه:

«وهذا التدقيق والتحقيق لاستحصال الاطمئنان بصدور الحديث عن المعصوم يتأكد فيما يتعلّق بالأحاديث المرتبطة بالحكم الإلزامي، مثل الواجب والحرام أو المعاملات والأمور المالية والحقوقية والسياسية، في حين أن التعامل مع الأحاديث الأخرى ـ كالمتحدّثة عن أصول العقائد والمستحبّات ـ لا يحتاج إلى هذا المقدار من التحقيق والدقة»[١].

إن ما يثير الاستغراب في هذا الكلام هو: أن التحقيق والتثبت المطلوب في الأخبار ذات المضامين الفقهية يستدعي تثبيتا بدرجة أعلى في الأخبار ذات المضامين العقَدية، وأما مساواة أخبار العقائد بأخبار المستحبّات فهو أشد غرابة، وقياس إحداهما بالأخرى قياس مع الفارق، لأن أخبار العقائد للبناء المعرفي الذي لا يكمُل إسلام وإيمان الشخص إلَّا به، بينما المستحبّات هي مجرد نوافل عملية لا يخدش الإخلال بها في استقامة المُسلم فضلًا عن إيمانه وإسلامه، على أن للمستحبات خصوصية تميّزها عمّا عداها من سائر الأحكام الإشتراعية أو العقدية، وهذه الخصوصية توفر غطاء شرعيًا بنظر جمع من الفُقهاء للتسامح في أسانيدها من خلال الأخبار المعروفة بأخبار «**من بلغه**» والتي تنص على أن: «**من بلغه ثواب من اللَّه على عمل فعمل ذلك العمل، التماس ذلك الثواب، أوتيه وإن لم يكن الحديث كما بلغه**»[٢]، وقد انتزع الفقهاء من هذه الأخبار قاعدة عرفت بقاعدة «التسامح في أدلة السنن»، فلو أخذنا بهذه الأخبار وصرفنا النظر عمّا دار من نقاش أصولي حول مدى دلالتها على قاعدة التسامح المذكورة، إلَّا أنه لا مجال ـ بحال ـ لتعميم

---

(١) أنوار الولاية، للشيخ الصافي، ص ٢٧.

(٢) أصول الكافي، الكليني، دار الأضواء/ بيروت، باب «من بلغه ثواب من الله على عمل» ج ٢، ح٢، ص٨٧.

مفادها إلى غير دائرة السنن، هذا التعميم غير المبرر شكّلَ غطاء سمح بتسلل أخبار الغُلوّ والخُرافة إلى الأذهان والعقول.

قولوا فينا ما شئتم:

ولعل ما ساهم في تعزيز الاتجاه التسامحي إزاء الأخبار العقَدية ـ مضافًا إلى التعميم الخاطىء لأخبار «من بلغ» ـ هو محاولة البعض إيجاد مظلة إخبارية أخرى للتسامح المذكور، وهذه بطبيعة الحال مفارقة عجيبة في أن تتم شرعنة المنهج الإخباري استنادًا إلى الأخبار نفسها، وهذه المظلة هي الخبر القائل: «**نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم**» أي بإمكانك ـ وفق هذه المحاولة ـ أن تنسب إلى النبي ﷺ أو الأئمّة من أهل بيته عليهم السلام كل كرامة أو فضيلة، ولو لم يرد فيها نص، شرط تنزيههم عن الربوبية.

لكن هذه المحاولة لا تصح، لأن الرواية المذكورة ضعيفة السند بكل صيغها وطُرقها، كما اعترف بذلك بعض العلماء (أضواء على النهضة الحُسينية للسيد محمد صادق الصدر)، وهي مروية في المصادر الثانوية والمثيرة للالتباس (راجع مشارق أنوار اليقين ص ١٠١، وبصائر الدرجات ص ٢٦١)، هذا من جهة السند، وأما المضمون فإنَّ الرواية بحسب ما جاء في كتاب مشارق أنوار اليقين تتضمن مصطلحات تثير الريبة، وتبعث على الشك في كونها منحولة، فقد روى الحافظ البرسي عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: «نزهوّنا عن الربوبية وارفعوا عنّا حظوظ البرية، فلا يقاس بنا أحد من الناس، فإنّا نحنُ الأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية، والكلمة الربانية الناطقة في الأجساد التُرابية، وقولوا بعد ذلك ما استطعتم... إلخ»[١].

على أن كتاب الحافظ البرسي هذا، وسائر كتبه لا يعوّل عليها، حتى إن العلّامة المجلسي الذي جمع في كتاب البحار الغث والسمين، رفض أن يورد في كتابه ما تفرّدَ به البرسي بروايته، لاشتماله على «**ما يوهم الخبط والخلط والارتفاع**»[٢].

وهكذا رفض الحُرّ العاملي أن ينقل منه في وسائل الشِّيعة[٣]، ورأى أنَّ في

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص ١٠١.
(٢) راجع مقدّمة البحار للمجلسي.
(٣) وسائل الشِّيعة، ج٣، ص ١٥٩.

كتابه إفراطًا، وربما نسب إلى الغُلوّ (أمل الآمل)، وأما السيد محسن الأمين فقد هاجمه بعنف، قائلًا: «**وفي طبعه شذوذ وفي مؤلفاته خبط وخلط وشيء من المُغالاة، لا موجب له**»[1]. والملفت أن بعض الخطب المتداولة اليوم، مثل الخطبة المعروفة بالافتخارية أو التطنجية مأخوذة من هذا الكتاب!

ثم لو غضضنا الطرف عن ذلك كله فإنَّ حديث «**نزهونا...**» لا يشكل دعوة إلى ترك التثبّت والتدقيق في أسانيد روايات الكرامات والفضائل أو الأحداث التاريخية، فضلًا عن كونه يمثّل مستندًا لفتح باب الغُلوّ والخُرافة، بل إنّ الحديث ـ على فرض صحته ـ وارد بحسب ما جاء في نقل آخر في سياق التنديد بالغلوّ والغُلاة، وهو ما رواه الطبرسي في الاحتجاج مُرسلًا عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تتجاوزوا بنا العبودية ثمَّ قولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا ولن تبلغوا، وإياكم والغلوّ كغلو النصارى فإني بريء من الغالين**»، وتضيف الرواية: «**أن رجلًا قام إلى الإمام وقال له إنَّ بعض من ينتحل موالاتكم ينعت عليًّا عليه السلام بصفات اللّه سبحانه، فلمّا سمع الإمام الرضا عليه السلام ذلك ارتعدت فرائصه وتصبب عرقًا، وقال: سبحان اللّه عمَّا يشركون، أوليس عليًّا عليه السلام كان آكلًا في الآكلين، وشاربًا في الشاربين... ومحدثًا في المحدثين... عند ذلك، ذكر له الرجل المعجزات أو الكرامات على يديه عليه السلام فأجابه الإمام: أن ذلك من فعل اللّه القادر، لا من فعل المحدث المشارك للضعفاء في الضعف**»[2] [وقد جاءت في إثبات الهداة: «عن خرائج الراوندي، عن خالد بن نجيح قال: **دخلت على أبي عبد اللّه عليه السلام وعنده خلق فجلست ناحية، وقلت في نفسي: ما أغفلهم عند من يتكلمون فناداني: إنَّا واللّه عباد مخلوقون، لي رب أعبده إن لم أعبده عذبني بالنار، قلت: لا أقول فيك إلّا قولك في نفسك، قال: إجعلونا عبيدًا مربوبين وقولوا فينا ما شئتم إلَّا النبوة**»[3]][4].

النزعة الإخبارية في المجال العقدي:

إن تساهل العلماء إزاء الأخبار العقدية، وتحديدًا ما يدخل منها في إطار

---

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ٦/ ٤١٦.

(٢) الاحتجاج، الأعلمي للمطبوعات، بيروت (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، الطبعة المحققة، ٢/ ٤٣٨، ٤٣٩.

(٣) إثبات الهداة ٧: ٤٧٧، بصائر الدرجات ص٦٤، ٦٥.

(٤) بالتصرف ـ المؤلف.

المخاصمة أو النصرة المذهبية، ومحاذرة النقاش في أسانيدها ومضامينها على خلاف سيرتهم ـ أقصد العلماء ـ في الأخبار الفقهية، أدى إلى نشوء نزعة نصوصية، مثّل النص مرجعها الأول والأخير، وساهم في تشكيل ذهنية جماهيرية عامة على استعداد لتلقي كل ما يُلقى إليها من قصص خيالية وروايات خُرافية، وهذا ما يفسّر رواج سوق كتب المعاجز والكرامات، أو كتب الأحلام والتنجيم والسحر في الأوساط الشعبية.
إنَّ مردّ ذلك إلى غَلَبة النزعة الإخبارية النصوصية على النزعة العقلانية، وهذا ما أضطر العالم ـ متكلمًا أو حكيمًا أو عارفًا أو فقيهًا ـ أحيانًا كثيرة إلى عدم البوح ببعض أفكاره المضادة للذهنية الشعبية النصوصية، بل إن هذه الذهنية دفعته إلى التشبث ببعض الأخبار الضعيفة تأييدًا لمطلب قام البرهان العقلي عليه، لكنه يحاذر الإعلان عنه مخالفة تعرضه لسهام التكفير أو التضليل أو التشهير به في الوسط الجماهيري، فيلجأ إلى التمسك أو التمترس ببعض المرويات الضعيفة والواهية.

إن انتشار التفكير النصوصي على حساب التفكير العقلاني في أوساط الجماعات السلفية التكفيرية أمر مفهوم، ولا يبعث على الاستغراب، لأن هذا هو المناخ الطبيعي لهذه الجماعات، لكن المستغرب ـ حقًا ـ انتشار هذا النمط من التفكير في أوساط الجماعة الشِّيعيّة التي عُرف عنها اعتمادها النهج العقلاني في فهم الإسلام، وتجاوزها لتحديات الحركة الاخبارية منذ زمن بعيد.

إن ما يبعث على التشدد والتدقيق في دراسة أخبار العقائد بشكل متأن هو تفشي الوضع والتزوير فيها، ولا يُخفى أن النزعة التسامحية المُشار إليها إزاء أخبار العقائد شكلت عائقًا حال دون انطلاق جهود جادَّةٍ هدفها غربلة وتصفية هذه الأخبار من الموضوعات)(*).

ومن هاتين القاعدتين شُرِّعَت الأبواب لدخول كل أصناف الروايات، طالما أنّها تخدم خط أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما كان له التأثير القوي في انحرافنا عن نهج أهل البيت الحق.

(*) بقلم الشيخ حسين الخشن: مواليد سحمر ـ البقاع الغربي/لبنان (١٩٦٦م)، مدير دائرة الحوزات العلمية في مكتب السيد محمد حسين فضل الله، عضو هيئة أمناء مؤسسات المرجع السيد محمد حسين فضل الله، أستاذ الدراسات العليا في مادتي الفقه والأصول في المعهد الشرعي، له عشرات الكتب والأبحاث والمقالات.

وعندما دخلت هذه الروايات، الموضوعة كانت تنتقل من جيل إلى آخر وتخف حدّة رفضها ثمَّ أخذ العلماء يفسّرونها ويؤَوِلّونها عندما وصلت إليهم بما يتناسب وعاطفتهم تجاه أهل البيت ﷺ، فسقطنا في مهاوي الغُلوّ والخُرافة.

ثانيًا: التفسير الباطني

إلى جانب النصوص الموضوعة،والتي أدت إلى الغُلوّ في الأئمّة، الذي طبع قسمًا من المنتسبين للحركة الشِّيعيّة العريقة، كان ثمة من يقول بالتفسير الباطني، إذْ إنَّ كثيرًا من المقولات الباطلة لم تكن تستقيم إلَّا بهذا التفسير الباطني المقلوب للأحداث والأقوال، ورفض الاعتراف بالحقائق التاريخية الظاهرية، أو اختلاق حوادث لا وجود لها، كعدم الاعتراف بوفاة الإمام أمير المؤمنين، أو وفاة محمد ابن الحنفية، أو وفاة ابنه أبي هاشم، أو وفاة ذي النفس الزكية، أو وفاة الإمام الصادق، أو وفاة ابنه اسماعيل، أو وفاة الإمام الكاظم.

(وقد كان (الخطابية) أتباع (محمد بن أبي زينب الأجدع) ينسبون إلى الإمام الصادق معاني الغُلوّ الفاحشة، ويقولون إنه الله، وقد حجّ جماعة منهم إلى بيت الله الحرام ولبّوا هكذا: (لبيك يا جعفر لبيك) فارتعش الإمام الصادق من قولهم، وخرَّ ساجدًا إلى الأرض، واستنكر قولهم أشد الاستنكار، ثمَّ لعن أبا الخطاب، فذهب أصحابه إليه، وأخبروه بلعن الإمام الصادق له، فأجابهم بأنَّ الإمام لا يلعنه شخصيًا، وإنما يلعن رجلًا آخر يحمل نفس الاسم في البصرة، وقد كان يعيش في الكوفة، فعاد أصحابه إلى الإمام الصادق في المدينة، وأخبروه بمقالة أبي الخطاب الكوفي، فحدده الإمام بالاسم واللقب والمكان وجميع المواصفات الخاصة، وكرر لعنه والبراءة من قوله، وعندما أخبره أصحابه بذلك، لم يتراجع، وظلَّ مصرًّا على دعواه بالانتماء إلى الشِّيعة، وإلى الإمام الصادق، ونسبة أقواله إلى الإمام سرًا، وقال: إن الإمام لم يلعنه بهذه الصورة الدقيقة العلنية إلَّا لكي يحافظ على بقية الشَّيعة من آثار قول الألوهية، تمامًا كما فعل الخضر الذي خرق السفينة لينقذها من الغصب والمصادرة، وقرأ قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾[1])[2].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٢) الأشعري القمي، المقالات والفِرق، ص٥١، وفي بعض النسخ ص٥٥.

وكان الباطنيون ينسبون كثيرًا من الأقوال والآراء إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام سرًا، وخلافًا لما كان يعلن به أهل البيت، ويقولونه أمام الملأ من الناس، وبشكل يتعارض مع مواقفهم الحقيقية، ولمّا كان الأئمّة عليهم السلام ينفون تلك الأقوال الغريبة ويستهجنونها أو يرفضونها، كان الباطنيون يتشبثون بأقوالهم، ويفسرون نفي الأئمّة لادعاءاتهم بالتقيّة وبخوف الأئمّة من إعلان الحق والتحدّث بما لا يحتمله الناس! وهكذا كانوا يضلّون السُذّج والبسطاء والجهلة والعوام بأفكار ونظريات مغالية ومتناقضة مع القرآن، وينسبونها زورًا وكَذِبًا إلى أهل البيت، وهُم عليهم السلام منها براء، وعندما كان أهل البيت يكشفون أولئك الغُلاة والمنحرفين الذين يرتزقون باسمهم، ويتبرأون من أفكارهم الضالة، كان أولئك الغُلاة يدعون خلاف الظاهر، ويتمسكون بالمنهج الباطني باسم التقية، فيقلبون أقوال الأئمّة الظاهرة رأسًا على عقب، ويفسرون أفعالهم بصورة معكوسة، علمًا أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن يومًا ليكتم أي شئ يحوك بنفسه، كان أمّارًا بالمعروف نهّاءً عن المنكر لا يُحابي ولا يُداري ولا يكذب ولا يُداجي كما يصرّح هو بنفسه عليه السلام حينما قال: **«وَاللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً[1] وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَةً»[2]**!!.

وبغض النظر عن مناقشة دعوى (التقية) وَنِسْبَتِها إلى أهل البيت، بهذه الصورة المناقضة لأمانة الكلمة والمحافظة على الرسالة، فإنَّ الباطنيين استطاعوا لعب أدوار كبيرة في التاريخ الشِّيعي وحرف الناس عن خط أهل البيت في كل مرحلة تاريخية.

كيفية معرفة صحة الروايات؟

كل رواية ترد ـ في حالة علاج الأخبار أو لمعرفة صحتها ـ تعرض على القرآن الكريم فما وافق كتاب اللّٰه أُخذ به، وما خالف كتاب اللّٰه ضُرب به عرض الحائط. وقد ورد في ذلك روايات متعددة، وهي ـ على كثرتها ـ طائفتان:

الأولى: ما وردت في مطلق ما وافق الكتاب وخالفه من غير تعرّض لتعارض الحديثين.

---

(١) وشمة: الكلمة.

(٢) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م) ط٢ ج١، ص٢٧٢، خطبة (١٦).

والثانية: ما وردت في الحديثين المتعارضين.

فمن الأولى: ما عن الكليني بإسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إنّ على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورًا فما وافق كتاب اللّه فخذوه وما خالف كتاب اللّه فدعوه»[1].

وعلى ضوء هذا كان الكتاب هو القاعدة، وكأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يريد أن يقول للناس وقد كثرت الكذّابة عليه، أيها الناس، إذا أردتم أن تعرفوا ما قلت وأنا لا أقول إلّا الحق ولا أتحدَّث إلاَّ الصواب، وقد يخلط الناس فيما ينسبونه إليَّ من كلام بين الحق وبين الباطل وبين الصواب وبين الخطأ، فأنا رسول الله وبيدي كتاب الله ووحيه، وهو النور الذي يمكنكم أن تضيئوا به الكلمات والأفكار والاتجاهات والمناهج كلّها.

وعنه قال: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف»[2].

وبإسناده عن أيوب بن الحر قال: «سمعت أبا عبد اللّه يقول: كل شيء مردود إلى الكتاب والسُّنّة وكل حديث لا يوافق كتاب اللّه فهو زخرف»[3].

أي يحاول صاحبه أن يزخرفه ويزيّنه حتى يشبه كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ليس كذلك، فلا بدّ من النظر إلى ظاهر الكتاب وظاهر الحديث، فإذا رأيتم أنَّ ظاهر الحديث يختلف عن ظاهر الكتاب فاطرحوه واضربوا به عرض الجدار.

وعنه عليه السلام خطب النبي بمُنى فقال: «أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب اللّه فأنا قلته وما جاءكم يخالف كتاب اللّه فلم أقله»[4].

وعن أبي جعفر عليه السلام **في حديث قال:** «إذا جاءكم عنّا حديث فوجدتم عليه شاهدًا أو شاهدين من كتاب اللّه فخذوا به وإلّا فقفوا عنده ثمَّ ردوه إلينا حتى يتبيّن لكم»[5].

---

(١) أصول الكافي، الكليني، كتاب فضل العلم ـ باب الأخذ بالسنة ـ طبعة دار الأضواء/ بيروت، ج١، ص٦٩، ح١.

(٢) أصول الكافي، الكليني، كتاب فضل العلم ـ باب الأخذ بالسنة ـ طبعة دار الأضواء/ بيروت، ج١، ص ٦٩.

(٣) أصول الكافي، الكليني، الكليني،المصدر نفسه.

(٤) أصول الكافي، الكليني،المصدر نفسه.

(٥) أصول الكافي، الكليني،المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٧٦.

ومن الثانية: روى عبد الرحمن بن أبي عبد اللّه: قال الصادق عليه السلام: «إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب اللّه فما وافق كتاب اللّه فخذوه وما خالف كتاب اللّه فردوه (الحديث)»[1].

وعن أبي يعفور قال: «سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به، قال: إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدًا من كتاب اللّه أو من قول رسول اللّه وإلّا فالذي جاءكم به أولى به»[2].

أي اعرضوا الأحاديث التي تسمعونها على كتاب الله وقول رسول الله لأن أهل البيت لا يحدّثون إلّا بما قاله الله في كتابه وقاله رسول الله ﷺ في سُنّته، فإن وافق الحديث كتاب الله وسُنّة رسوله فاقبلوه وإلّا قولوا لمن يرويه لا حاجة لنا بحديثك. . أنت أولى بحديثك.

وعن الطبرسي عن الحسن بن الجهم عن الرضا قال: «قلت له: تجيئنا الأحاديث عنكم مختلفة، فقال: ما جاءك عنّا فقس على كتاب اللّه عزَّ وجلّ وأحاديثنا فإن كان يشبههما فهو منّا وإن لم يكن يشبههما فليس منّا (الحديث)»[3].

وعن العياشي عنه عن العبد الصالح عليه السلام **قال**: «إذا جاءك الحديثان المُختلفان فقسهما على كتاب اللّه وأحاديثنا فإنَّ أشبههما فهو حق وإن لم يشبههما فهو باطل»[4].

ومن هذه الروايات جعل الفُقهاء والأصوليون قاعدة يعتمدون عليها في أخذ الروايات المتعارضة ومعرفة الحق من الباطل من خلال عرض الروايات المراد معرفتها على القرآن الكريم.

تطور العقيدة الإمامية والاختلاف في العقائد

ثمة تطور وتغيّر واضحان شهدتهما العقيدة الإمامية عبر الأزمان والعصور، وأُدخل الغُلوّ إلى المذهب من دون رادع أو ضابطة تضبط أو تمنع ذلك، بل إن المذهب كان يتقبل كل بدعة، ويجد لها تبريرًا!

(١) وسائل الشِّيعة، الحُرّ العاملي، ج١٨، ٨٤.
(٢) أصول الكافي، الكليني، ج ١، ص ١٢٣.
(٣) وسائل الشِّيعة، الحُرّ العاملي، ج ١٨، ٨٧.
(٤) وسائل الشِّيعة، مصدر سابق، ٨٧.

=

وهذا بالضبط ما قاله أحد أهم مؤرخي الشِّيعة الشيخ عبد اللَّه المامقاني[*] إذْ قال: «**بل أكثر ما نعتقده الآن في أهل البيت** عليهم السلام **كانوا يومئذ يسمّونه غلوًا**»[1] وقال أيضًا في «تنقيح المقال» ضمن ترجمة «المعلَّى بن خُنَيْس»: «**إن ما يُعَّد اليوم من ضروريات المذهب في أوصاف الأئمّة** عليهم السلام **كان القول به معدودًا في العهد السابق من الغُلوّ والارتفاع، ويَطْعَنُ بالقولِ به أوثَقُ الرجال ويَرْمونَ بالغلوّ**»[2].

وقال ذيل ترجمته لـ«محمد بن الفرات» ص ١٧٠ ما حاصله أن «الكشي» روى في ترجمته لـ محمد بن الفرات حديثين أظن أن قصده من روايتهما الاستدلال على غلوه، **هذا مع أنه ليس في الحديثين ما يدل على الغُلوّ لأن مضمونهما يُعدُّ اليومَ من ضروريات المذهب.**

وقال ذيل ترجمته لـ«محمد بن سنان»: «**وقد بيّنا مرارًا عديدة أن لا وثوق لنا برميهم رجلًا بالغُلوّ، لأن ما هو الآن من الضروري عند الشِّيعة في مراتب الأئمّة** عليهم السلام **كان يومئذٍ غلوًا، حتى أن مثل الصدوق عدَّ نفي السهو عنهم** عليهم السلام **غلوًا مع أن نفي السهو عنهم اليوم من ضروريات مذهبنا**»[3].

لاحظوا معي «**يُعَدُّ اليوم من ضروريات المذهب**»، فالواضح أن العقيدة الإمامية

(*) هو من أهم مؤرخي الشِّيعة وكتاب المامقاني من أهم كتُب الجرح والتعديل، ولد في النجف الأشرف بتاريخ (١٥ ربيع الأول ١٢٩٠هـ) وتوفي في السادس عشر من شوال عام (١٣٥١هـ)، إسمه: الشيخ عبد اللَّه ابن الشيخ محمد حسن ابن الشيخ عبد اللَّه المامقاني وهو آية اللَّه العظمى ومرجع ديني، حضر عنده جمع من فُضلاء العرب والعجم والترك وصارت له مرجعية دينية لأهالي أذربيجان وبعض مدن العراق.

اشتهر بعلمه وكتبه الوفيرة وإخلاصه لدينه وفقه آل محمد ورجال أحاديثهم، وكانت له مؤلفات كثيرة، منها دورته الفقهية الواسعة (منتهى مقاصد الأنام في نكت شرائع الإسلام) وقد طبعت بعض أجزائها، و(نهاية المقال في تكملة غاية الآمال) ورسالته الفقهية الموسّعة (مناهج المتقين) وكتاباه في الأخلاق والآداب (مرآة الرشاد) و(مرآة الكمال)، وكتاباه الشهيران الجليلان في الدراية والرجال: (مقياس الهداية في علم الدراية) و(تنقيح المقال في علم الرجال)، هو من بلدة مامقان: بلدة في شمال جمهورية إيران الإسلامية، تقع جنوب البلدة الشهيرة (تبريز) تبعد عنها بخمسة فراسخ: ٢٥ كم، يسكنها الترك وغالبهم من أتباع المذهب الشيعي، والمامقاني بيت علم وشرف وفضيلة وتقى وزهد وقد تخرّج منهم في كربلاء والنجف عدة من المجتهدين والمراجع عُرفوا بالتقى والزهد، يشهد لهم سلوكهم في علم الدنيا وعلاقتهم بالخالق والمخلوقين.

(١) تنقيح المقال في علم الرجال، ج٦، ص٣٤٠.

(٢) تنقيح المقال في علم الرجال، ج٣، ص٢٣٠.

(٣) تنقيح المقال في علم الرجال، ج٣، ص٢٢٥.

الإثنى عشرية في عهد الأئمّة عليهم السلام إلى عصر الغيبة شيء، وبعد الغيبة شيء آخر، ثُمَّ بعد الدولة الصفوية شيء ثالث (كما سيأتي لاحقًا)، ولا شك ولا ريب في قدسيّة أهل البيت عليهم السلام، لكن الكلام منحصر فيما يُنسب إليهم من أفعال وأقوال وأوصاف، فقد تكون تلك الأقوال والأفعال والأوصاف صادرة، وقد لا تكون...!!

إذ لا يجوز أن نختلق أفكارًا وعقائد لم يتحدّث عنها القرآن الكريم، ولا يجوز أن نقبل أية فكرة أو عقيدة يناقضها القرآن الكريم، فهل من المعقول أن نبني عقائد بعيدة كل البعد عن القرآن والمستمدة من الأحاديث الضعيفة أو المُختلقة؟!

لا يجوز الخلط بين العقائد الإسلامية الثابتة كالتوحيد والنبوة والمعاد، وبين النظريات المذهبية الخاصة والخُرافات والأساطير المتسرّبة في التراث، واعتبارها من المُسلَّمات العقائدية التي لا يجوز التشكيك فيها، واتهام كل نقد بنّاء لها، بأنه «شُبهة».

إنَّ كل عقيدة نُقلت إلينا بالتواتر وإجماع المسلمين لا خلاف عليها طالما أنّها ضمن الموازين العلمية، أما إذا كان فيها خلاف، فكيف يُقال عنها عقيدة؟!

ثم عندما يُطالب بمراجعتها لأنها لا تحمل الشروط العلمية، يُقذف المُطالبون بالزندقة والضلال والتشكيك أو بالوهابية المقنّعة وهي بالأصل لا إجماع عليها قد تصُح وقد لا تصُح، لذا يجب عدم إطلاق اسم عقيدة عليها، بل إعتقاد، وكل فرد حرٌ بما يعتقد طالما لم يخرج عن دائرة الدليل الشرعي لديه.

والطريف أنَّ هؤلاء الذين يرمون الرأي الآخر بالضلال وبالوهابية المقنّعة يترحّمون ويجُلّون السيد محسن الأمين صاحب «أعيان الشِّيعة»، لكنهم يحاربون أفكاره الإصلاحية فيما يخُص عاشوراء، وما يُقال عن أهل البيت عليهم السلام عبرَ تضليل من يتبنّى أفكاره اليوم! ولو كان المجتهد الأكبر السيد محسن الأمين رحمه الله لا يزال حيًا، لوجدناهم يضعونه في خانة الوهابية المُقنّعة كما وضعها أسلافهم من حراس الغُلّو والتخلُّف والخُرافة!

ألَا يدعو هذا إلى الاستغراب والضحك والتعجّب؟! هؤلاء أصحاب القداسة والتباكي، لا يجدون من يمنعهم عن الطعن ورمي الرأي الآخر «بالضلال» بل حتى تكفيرهم قبل قراءة ما كتبوا ـ بشكل دقيق ـ أو الاستماع إلى أحاديثهم.

ونحن اليوم نواجه حركة سلفية شيعية أخذت تنتشر كالنار في الهشيم، تحت

مظلة الولاية وإحياء شعائر الأئمة ﷺ! مكتفين بالاستناد إلى المعلومات والأخبار القادمة عن مصدر مشكوك ومجهول وموهوم اسمه «قالوا»!

عندما تنتهي القطيعة مع الكتاب نستطيع أن نحرر عقولنا من أُميّة الفكر وجهالة الاستلحاق! ولكن ـ وللأسف ـ إننا قومٌ لا نقرأ! وإذا قرأنا لا نفهم، إلّا ما نُريد! ونحن قومٌ لا نجيد الاستماع إلّا بأُذن واحدة بالرُغمّ أنَّ الله أعطانا أُذنين، ونحنُ قومٌ لا نرى إلَّا بعين واحدة بالرغم أنَّ لدينا عينين اثنتين! وعلى الرغم أنَّ لدينا وجهًا واحدًا إلَّا أننا بوجهين!

إنَّ سياسة «التكفير والارتداد» كانت ولا زالت سياسة معاوية، لأنَّ أهل الشام كانوا جميعًا ضحايا لإعلام معاوية المُضلّل، وكانوا قد أخذوا إسلامهم من أجهزته الدعائية والتي كانت تبلّغ للإسلام والشخصيات والحوادث الإسلامية بالشكل الذي تقتضيه مصلحة معاوية ونظامه وطبقته، وهذا هو السبب الذي جعل الناس يتساءلون بدهشة عندما أُخبروا بمقتل علي ﷺ، في المسجد؟ ماذا كان يفعل علي في المسجد؟ أكان يصلي؟!

على مرّ التاريخ كُلّما ظهرت شخصية دينية بارزة تريد الاصلاح في التشيُّع وتنقيته من الشوائب التي علقت به، كانت التهمة جاهزة وإعلام ـ معاوية ـ جاهزًا «الكفر والارتداد»، لأنها أسهل طريقة للتخلّص منه. كما أنَّ أفضل تُهمة في المجتمع الشِّيعي هي أن يتهموا الشخص بأنه ليس شيعيًا بل هو من السُّنّة والوهابيين!

وبالرُغم من تدوين الآلاف من الصفحات والتحدُّث آلاف الساعات في إثبات التشيُّع والإمامة والولاية، وإصدار مئات الكتب العلمية والعقائدية والتاريخية في موضوع عظمة علي والأئمّة ﷺ وأصالة مدرستهم، فإنها لا تدلّ بمكان ما على انتماء هذه الشخصية أو تلك للمذهب الشِّيعي طالما أنه لا يعتقد بتلك الخُرافات والأكاذيب ولا يُغالي في أهل البيت ﷺ!!

إنَّ البعض يحكم على الرأي الآخر فقط لأنه يتبنى نظرة أُخرى ومفاهيم أُخرى وهؤلاء يستندون في أحكامهم ـ عادة ـ على وكالة أخبار (قالوا)!

وكالة (قالوا) ـ الدينية ـ هدفها إسقاط أي شخص يسعى للإصلاح في التشيُّع وكل من يحاول سيكون عُرضة للإرهاب الفكري، واستخدام كل الأساليب لقمعه مستلهمين قاعدة «الغاية تبرر الوسيلة»!

السبب يعود إلى خوف هؤلاء من الإصلاح والتجديد، لأن الإصلاح يعني جلوس معظم هؤلاء في بيوتهم لأنهم يعتاشون على فتات الغُلوّ والخُرافة والتحريض!

إنَّ الاختلاف في العقائد شيء طبيعي، فقد وجدنا أنَّ السيد المرتضى اختلف مع أستاذه الشيخ المفيد في خمسٍ وتسعين مسألة عقيدية، ووجدنا الشيخ المفيد يختلف مع الشيخ الصدوق في أكثر من أربعين مسألة عقيدية، وأفردَ كتابًا خاصًا بهذا الجانب أسماهُ «**تصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد أو شرح عقائد الصدوق**»،[1] فعلى هذا ـ كما يقول أصحاب القداسة والتباكي ـ فالشيخ المفيد أول المخالفين لاعتقادات الشيخ الصدوق، والتي يعتقد الصدوق أنّها عقائد أهل البيت عليهم السلام فهل نستطيع اتهام الشيخ المفيد بأنه مُشكك ضال وهابي مقنّع لمجرد الاختلاف، ولا نصغي إليه أو إلى الرأي الآخر رأي الصدوق؟! وفي موضوع كسر ضلع السيدة الزهراء عليها السلام وجدنا الشيخ المفيد لا يثبت وجود المحسن[2]، وهو ـ الشيخ المفيد ـ شيخ الطائفة، فهل يجرؤ أحد على الطعن فيه لذلك؟!

وهنالك ـ من المتأخرين ـ رأي للعلّامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله يخالف فيه كل عُلماء الإمامية ـ تقريبًا ـ في موضوع «**سلطة التشّريع الاجتهادي في مجالات الفراغ التشّريعي**»، **حيث يقول:**

(لا ريب في ثبوت سلطة التشّريع الاجتهادي في مجالات الفراغ التشّريعي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللإمام المعصوم عليه السلام، لكن لا باعتباره نبيًّا موحى إليه، ولا باعتباره إمامًا معصومًا مُبلّغًا للوحي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. بل باعتباره صاحب «الولاية والحاكمية = السلطة السياسية» على الأُمّة والمجتمع. وقد ذكرت أمثلة لهذا التشّريع الاجتهادي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعض الأئمّة المعصومين عليهم السلام...

والاعتراض على ذلك، والمتمثل بأنَّ المرتكز في الأذهان أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنّما هو حسب النص القرآني: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[3].

مدفوع: بأنَّ التشّريع الاجتهادي من النبي صلى الله عليه وآله وسلم باعتباره حاكمًا وولي الأمر،

---

(١) تأليف المفيد، المتوفى سنة ٤١٣هـ، دار الكتاب الإسلامي، بيروت/لبنان (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

(٢) كتاب الإرشاد، ج١، ص٣٥٥، والطبرسي في «أعلام الورى بأعلام الهدى» ج١ مؤسسة آل محمد، إيران، ١٤١٧هـ، ص٣٩٥.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

ليس «نُطقًا عن الهوى» قطعًا، وكونه ليس وحيًا لا يقتضي كونه نُطقًا عن الهوى لوضوح عدم الانحصار في غير النص القرآني بالوجدان. وذيل الآية قرينة على أنّها واردة في الرد على المشركين الذين اتهموا النبي ﷺ بأنَّ النص القرآني سحر أو شعر أو تعليم بشر، كما حكى الله تعالى ذلك في القرآن.

ولكون علم النبي غير منحصر بالوحي بالمعنى الخاص أو لكون الوحي في الآية الكريمة بمعنى أعمّ، فيشمل العلم الحاصل بالإلهام أو التفريع على الوحي وهو ما يظهر من قوله تعالى: ﴿...أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾[1].

وبهذا يكون حكم النبي ﷺ وتشريعه ـ حسب رأيه ونظره ـ عملًا بما خوله الله ليس نُطقًا عن الهوى كما أنه ليس وحيًا يوحى بل هو تفريع على ما أنزل في الكتاب من الأصول العُليا للتشّريع. وإذا ثبتت سلطة التشّريع الاجتهادي للنبي ﷺ في مجالات الفراغ التشّريعي، فلا ريب في ثبوتها للإمام المعصوم عليه السلام بما هو حاكم وولي أمر الأُمة)[2]!

وأخيرًا، هل يجوز لنا أن نرمي الآخر المخالف بالتشكيك والضلال والشبهة؟

جوابًا: تُقسّم الشبهات إلى أربع في علم الكلام:

١ ـ قد تكون الشُبهة ممن يؤمن بالدين والعقيدة، وهو من يتفق بالمذهب.

٢ ـ شبهة ممن يتفق في الدين، كما في أخواننا السُنّة.

٣ ـ شبهة ممن يختلف في الدين، ويتفق في المبدأ كالمسيحيين.

٤ ـ شبهة ممن ينكر المبدأ والدين، كالماديين.

فإذا ما قيل شبهة، فنحن ضمن القسم الأول، ممن نتفق في الدين والمذهب. وعليه، لا بد أن يكون رد شبهاتنا بما نتفق عليه، وما نتفق عليه القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام، فالاستدلال لا بد أن يكون (هل قال الإمام ذلك؟ وهل هذا سنده صحيح أم أنه موضوع؟) فلا بد أن يكون الاستدلال النقلي من مروياتهم عليهم السلام الصحيحة المُعتبرة، لا الموضوعة من قِبل الغُلاة والوضاعين الذين اندسوا بين شيعة الأئمّة عليهم السلام.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

(٢) «الاجتهاد والتجديد»، العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ط١ (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م) ص١١٤، ١١٥.

الفصل الثاني
نقد كتاب مفاتيح الجنان

❖ **مُقدّمة**

❖ **بعض الأدعية والزيارات الموضوعة في كتاب مفاتيح الجنان**

١ ـ زيارة النبي ﷺ من البعد

٢ ـ زيارة أمير المؤمنين عليه السلام

❖ **هل الأنبياء والأولياء يسمعون ويعلمون ما يجري لأتباعهم بعد موتهم؟**

٣ ـ الزيارة الجامعة الكبيرة

٤ ـ زيارة آل ياسين

٥ ـ أعمال شهر رجب

٦ ـ أعمال يوم الجمعة

٧ ـ دعاء كل يوم من أيام رجب

٨ ـ في أعمال نهار الجمعة

٩ ـ فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام

١٠ ـ ضمن أعمال يوم الجمعة

١١ ـ يوم النصف من شهر رمضان

١٢ ـ أعمال شهر ربيع الأول

١٣ ـ أعمال النوروز، وأعمال الأشهر الرومية وعامة الشهور

١٤ ـ دعاء العديلة

١٥ ـ الزيارة المطلقة للأمير عليه السلام

١٦ ـ أعمال جامع الكوفة

١٧ ـ في فضل زيارة الحُسين عليه السلام

١٨ ـ زيارة النصف من شعبان

١٩ ـ الزيارة المطلقة للأمير عليه السلام

٢٠ ـ في فضل زيارة إمام الإنس والجن المدفون بأرض الغُربة

٢١ ـ دعاء الفرج للحجة (عج)

٢٢ ـ أعمال شهر رجب

٢٣ ـ دعاء التوسل

٢٤ ـ آداب الزيارة

٢٥ ـ زيارة وارث

٢٦ ـ زيارة ليلة المبعث ويومه

٢٧ ـ دعاء المجير/الحُبي

٢٨ ـ دعاء الندبة

٢٩ ـ زيارة صاحب الزمان ودعاء العهد

٣٠ ـ في أعمال شهر صفر

٣١ ـ دعاء السمات/ الناحية المُقدّسة

❖ **قصص غريبة عجيبة**

❖ **دور السلاطين بإبعاد الناس عن حقائق الدين**

❖ **الخلاصة**

الفصل الثاني:

نقد كتاب مفاتيح الجنان

مقدّمة

مما لا شك فيه أن الدُّعاء هو أحد أهمّ الوظائف الروحية والعاطفية التي توثّق المناجاة بين العبد وربه، إذ يخَلُق حالة من الرابط الوجداني بين العابد والمعبود، تتجلى طمعًا برحمة اللَّه في الأزمات والمُلمّات. وتبعث في الروح الأملَ باللَّه وعفوه.

وقد جرى الأنبياء والأولياء على ذلك، فكانوا يدعون اللَّه ويتوجهون إليه بدعائهم ومسكنتهم، وقد ترك لنا أئمتنا عليهم السلام من الأدعية الشيء الوافي للإستفادة والتزوّد من هذه الثروة.

ومما وصل إلينا ولا غبار عليه من ناحية السند والمتن هي «الصحيفة السجّادية» للإمام علي بن الحُسين زين العابدين عليه السلام، التي تكاد تخلو من الأدعية المكذوبة والموضوعة.

«إنَّ الشيء الملاحظ في أدعية الصحيفة السجادية أنَّ الإمام عندما يريد التكلم عن العجز والمسكنة والذل والفقر الذاتي وأمثال هذه الحالات في الداعي يستخدم ضمير المتكلم ـ أنا ـ وعندما يُريد من الله شيئًا ما مثل النجاة والفلاح والصلاح أو الخير والتوفيق إلى النعم يستخدم كلمة (لنا).

وعندما يطلب من الله الإحسان والفضل الوافر والكثير يستخدم كلمة وضمير (هم، المسلمين) أي أنه يُخرج نفسه جانبًا. وقد يكون هذا الأمر دالٌ على الظرف الحياتي والاجتماعي الخاص الذي عاش فيه الإمام، خصوصًا ذلك المنظر المُهيب والفظيع، الذي وقع أمام عينيه في كربلاء»[1].

«ولو نظرنا إلى أوّل أدعية الصحيفة السجادية وتأملناها من بدايتها إلى نهايتها، ودققنا في الأمور التي أكَّدَ عليها الدعاء وأرادها الإمام من الله، لوجدنا الإمام يركز

(١) نقلاً عن كتاب «الإمام السجاد أجمل روح عابدة» الدكتور علي شريعتي، دار الأمير/ بيروت، ط٢ (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م) ص١١٦، ١١٧.

على الجانب التعليمي أكثر من طلب الحاجات والمسائل، يعني أن كتاب الدعاء هذا لم يكن وسيلة لطلب الحاجات وإنما كان كتاب تعليم وتربية، كتابًا فلسفيًا، لتبيين حقيقة الإنسان والخالق وعلاقة الإنسان بهذا الخالق وعلاقة هذا الإنسان بكل العالم من حوله ولما يجب أن تكون عليه حركة الإنسان في هذه الحياة. أي وضعي أنا الإنسان وسط هذه العوامل والظروف التي أحيا فيهما»[1]. وهذا ما لن تجده في معظم الأدعية (المروية) التي جُمعت في كتاب «مفاتيح الجنان»؟!

«فقد قام بعض العلماء بجمع مجموعات من الدَّعوات، والزِّيارات، وغيرها خلطوا فيها المأثور بالملفَّق المجعول، ونشروها بين النَّاس وهذه المجموعة تُسمى (مفتاح الجنان) وهؤلاء بعيدون عن العلم، بعيدون عن الدين وعن معارف الدراية والحديث، وقد تداولته المطابع والأيدي، فأصبحت المرجع العام الوحيد في المساجد والمزارات ـ بعد أن أُهمل كتاب الصحيفة السجادية. لكن (مفتاح الجنان) قد حوى في مطاويه من غث الأدعية والزيارات المدسوسة، كما يصرّح بذلك الشيخ عباس القمّي في مقدمة مفاتيح الجنان ـ[2] ما يربأ عنه كل عقل سليم، والخطب الأعظم أنَّها نسبت بما لفَّقت لها من الفضل الذي يبهت العقول إلى الأئمّة الميامين عليهم السلام.

وقد عُني بخطورة الموقف الشيخ عباس بن محمد رضا القمّي المولود بقُمّ سنة (١٢٩٤ هـ) فوضع كتابه الشهير «مفاتيح الجنان» الذي حوى أهم الصلوات والأدعية والزيارات الواردة، وكرّس جهودًا قيّمة لمجانبة شوائب الدس والتحريّف، والأخذ عن أهمِّ المصادر والأصول المُعتمد عليها»[3] إلَّا أنه وقع بنفس المطب، والمشكلة تتلخص في ثلاث نقاط:

١ ـ الروايات التي اعتمد عليها، والتي لعبت فيها أيادي المنحرفين من الوضاعين والكذابين.

٢ ـ قاعدة التسامح في أدلة السنن.

٣ ـ أصحاب المصالح المادية من مطابع ودُورْ.

---

(١) نقلاً عن كتاب «الإمام السجاد أجمل روح عابدة»، د. علي شريعتي، دار الأمير/ بيروت، ط٢ (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م) ص١١٩.

(٢) راجع: مقدمة مفاتيح الجنان، السيد محمد رضا النوري النجفي، دار إحياء التراث/ بيروت ط١ (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) ص٦، ٧.

(٣) مقتبسة من مقدّمة كتاب «مفاتيح الجنان».

ونتيجة لذلك فإنَّ الضرر العقائدي والفساد الذي لحق بالمذهب من جرّاء هذه الروايات الموضوعة والتي تحمل في طيّاتها الغُلوّ والخُرافة باسم الدين والمذهب، هذا الشيء كان أكبر معول هدّام للدين من الداخل وقد تبَيّن أثره في الأديان السابقة والمذاهب المنصرمة حيث قضى على رونقها وقوتها وأصبحت محل استهزاء لأكثر العقلاء وها هو الآن يفتك بالمذهب ولا رادع أو زاجر..!!

وما كان محل خوف عند الشيخ عباس القمّي من كتاب «مفتاح الجنان» انتقل إلى كتابه «مفاتيح الجنان»، فأُدخلت بعض الأدعية والزيارات التي تلامس الكُفْر والشرك. أدخلها الوضاعون في فترات الضغط السياسي على أئمتنا ﷺ وأيام الحروب المبيدة للمسلمين وسيطرة الظالمين ومع هذا فقد تصدى أئمتنا ﷺ على كشف الأكاذيب والتزوير في هذه الأحاديث الموضوعة، ولم يألوا جُهدًا أن يكشفوا ما تمكنوا عليه أو كانت الفرصة سانحة لهم كما كانَ الإمام الباقر والإمام الصادق ﷺ في حياتهما وقد حذّرا من تلك الموضوعات ووجوب رد كل المرويات عند تعارضها أو ضعفها إلى القرآن. فما خالف القرآن فليُضرب به عرض الحائط. وفي زماننا والتطور الحاصل أصبح العالم كله قرية واحدة فلم يعد هناك شيء لا يظهر إلى الناس، فوجد أصحاب العلم والتحقيق الكثير ممّا يحتويه كتاب «مفاتيح الجنان» ما يخالف القرآن الكريم، والجميع يقرأهُ على أساس أنه صادر عن أئمتنا ﷺ ويثقون به على ثقة القيّمينَ على هذا الدين وهم رجال الدين.

ورجال الدين لم يعيدوا تمحيصه بسبب الهالة والقداسة التي أُحيط بها هذا الكتاب. وأخذ الجيل ينقله إلى غيره ويتداوله من زمان إلى آخر وهو موهوم أنَّ هذا الكتاب يُعتبر ذا قدسية كبيرة قد تقارب قدسية القرآن الكريم وأنَّ كل ما ورد فيه صحيح!!

لا مقدّس في الكتب إلّا القرآن الكريم ولا يوجد كتاب صحيحٌ من الجلدِ إلى الجلدِ سواه. وكل ما دون ذلك فهو محل نقد واستقصاء وبحث.

إن النقد البنّاء العلمي المَبْني على الأدلة والقرائن هو ما نسعى إليه، حتى نصل لإخراج المدسوس وما لعبت فيه أيادي الشر، هدفنا الأساس تنقية وغربلة هذا الكتاب ممّا علق فيه من شوائب عقائدية وفكرية نسعى بذلك إلى رضى اللّه عزَّ وجلَّ، واللّه ولي التوفيق.

الشهيد السيد محمد باقر الصدر(قده) دعا إلى تنقية كتاب مفاتيح الجنان:

كان الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قُدِّس سرُّه) يحضّر لمشروع أوكله إلى تلميذه السيد محمد الغروي عبر رسالة وجهها السيد الصدر إليه، يسلّط فيه الضوء على الأدعية والزيارات والصلوات والأذكار، يركّز على النصوص الصحيحة السند والمشهورة الصحيحة المتن في كتاب مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمّي متجاوزًا ما يثير المسلمين.

يقول السيد الصدر(قده) في هذه الرسالة:

«كان لدينا مشروع كلّفنا به، بعض تلامذتنا، وهو كتاب تأسيسي في الأدعية فإنْ تهيأ ذلك فهو، وإلّا فلا بد في نظري من إدخال التعديلات على المفاتيح الموجودة، وكانت الفكرة في الكتاب التأسيسي تقوم على أساس جمع ما صحّ سنده من الأدعية والزيارات ويُضاف إليه المشهورالصحيح المتن، وإن لم يكن صحيح السند، مع إجراء التهذيب بحذف بعض الجمل إذا اقتضى الأمر بالتهذيب والحذف»[1].

إن الشهيد السيد محمد باقر الصدر رأى أنَّ من الواجب تعديل كتاب مفاتيح الجنان لما رأى فيه من زيادات وتحريف بعض من أدعيته وزياراته وهو البديل الاضطراري الذي اختاره السيد الصدر وإلّا فالأصل جمع الصحيح من الأدعية والتي لا إشكال فيها ولا تثير المسلمين[*].

رأي السيد محمد حسين فضل الله في كتاب مفاتيح الجنان

(في كتاب «مفاتيح الجنان» و«مفتاح الجنّات» أدعية ضعيفة وفيها أدعية صحيحة، وليس عندنا كتاب مُغَرْبَلٌ ومحقق ما عدا «الصحيفة السجادية» التي يمكن للإنسان أن يطمئن إلى أنّها أدعية صحيحة أو قريبة من الصحة، أمّا باقي الكتب فلا

---

(١) انظر أرشيف رسائل المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، رسالة خطية رقم (٦٠).

(*) تجدر الإشارة هنا إلى أن سماحة الشيخ ياسر عودي قام بجمع الصحيح من الأدعية في كتاب عنونه بـ «صحيح الدعوات»، إصدار المركز الإسلامي الثقافي، بيروت/ حارة حريك.

نستطيع أن نقول أنّها صحيحة ١٠٠٪ أو غير صحيحة ففيها الصحيح وفيها غير الصحيح)[١].

رأي السيد محسن الأمين في أكثر كتب الأدعية:

في كتاب (مفتاح الجنّات) للسيد محسن الأمين العاملي (١٩٥٢ م) يعتقد بوجود تحريف وتصحيف في أكثر كتب الأدعية، حيث يقول رحمه الله:

«وبعد فهذا كتاب (مفتاح الجنّات) في الأدعية والأعمال والصلوات والزيارات جمعناه من الكتب المعتبرة المروية عن سيد الكائنات وآله الأئمّة الهُداة عليه وعليهم أفضل الصلوات والتسليمات، ورتبناه أحسن ترتيب وهذبناه أكمل تهذيب، إجابة لالتماس جماعة من أخوان الدين وصُلحاء المؤمنين، وذلك لعدم وجود كتاب عربي وافٍ بجميع ما يحتاج إليه مع سهولة المأخذ وحسن الترتيب، **مُضافًا إلى تطرق التحريّف والتبديل والتصحيف إلى أكثر كتب الأدعية والأعمال والزيارات، في ألفاظها وشكلها وإعرابها مما يغيّر المعنى ويؤدي خلاف المقصود،** لا سيّما كتاب (مفتاح الجنان) المتداول بين العرب والفرس، فإنه مع كونه فارسي العبارة لا يكاد ينتفع به العرب، وجملة محتوياته غير معلوم السند وقد تعاوره التحريف والتصحيف..»[٢].

ولكن الشِّيعة اليوم قد لا يخلو بيت من بيوتهم من هكذا كتب التي وجّه لها قسم من علمائنا هذا النقد، بل إن بعضهم يأخذ بكل ما فيها ويعتقد ويطبق ما جاء فيها كأنه قول مرجعه الفقهي هذا اليوم.

إن محاولات إصلاح الفكر الديني ـ الشِّيعي ـ من خلال التراث المروي الذي هو المورد للمعرفة الدينية في تصاعد مستمر، ولقد قام بعض عُلماء وفضلاء الحوزة العلمية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية[*] بنقد علمي لمجموعة من الأدعية

---

(١) كتاب الندوة (سلسلة ندوات الحوار الإسبوعية بدمشق) إعداد عادل القاضي، دار الملاك/لبنان، ط ٥، ج١ (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨م) ص ٦٥٥.

(٢) انظر مفتاح الجنّات ج١: مقدمة المؤلف، ص٧،٨.

(*) ومنهم آية الله العظمى المرجع السيد أبو الفضل بن الرضا البرقعيّ القُمّي، هو: عالم مجتهد، يرجع نسَبه إلى السيد أحمد بن موسى المبرقع ابن الإمام محمد التقي (الجواد) ابن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي حلَّ في قُمّ قبل ثلاثين جيلًا من ولادة السيد البُرقعي، ولد «أبو الفضل=

والزيارات وقد تُرجمت إلى العربية وسننقل بعضها كما سيأتي، على أنَّ النقد

= البرقعي» في مدينة قُمّ سنة ١٣٢٩هـ أو ١٣٣٠هـ (حوالي ١٩٠٨م)، بدأ طلب العلم الشرعيّ وعمره اثنتا عشرة سنة في المدرسة الرضوية إحدى مدارس الحوزة العلمية في قمّ، ترقى في المراتب العلمية فكان من أشهر أساتذته في قُمّ **آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي وآية الله العظمى حُجّت كون كمره اي، وقد أُجيز من كليهما**، ثم رحل إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته العلميّة العُليا فيها وتتلمذ على أيدي أكابر علمائها لا سيما **الشيخ عبد النبي النجفي العراقي وآية الله السيد أبو الحسن الأصفهاني فحصل على إجازات الإجتهاد منهما ومن عدد من المراجع الآخرين مثل آية الله أبو القاسم الكاشاني وآغا بزرگ الطهراني وآية الله السامرائي وآية الله وحيد الدين المرعشي النجفي وغيرهم.**

في أواخر الأربعينيات ألّف كتاب «درسي ازولايت» أي «درسٌ عن الولاية» الذي ردَّ فيه ردًّا مفصّلًا ومدلَّلًا على فكرة «الولاية التكوينية» التي كان يروِّجها بعض المشايخ في عصره، فقد أثار كتاب «البرقعي» هذا ردود أفعال مختلفة ومعركة من الآراء بين مخالف وموافق، وكُتِبَت الكتابات وألقيت الخطب في الردّ عليه من قبل المراجع لا سيما المرجع الميلاني الذي أصدر فتوى تعتبر كتاب «درس عن الولاية» كتاب ضلالة وصاحبه ضالًا، وبعد سلسلة من الأحداث انتهى الأمر باجتماع عدد من مشايخ قُمّ بزعامة أحد المراجع آنذاك وهو آية الله كاظم شريعة مداري وأرسلوا إلى الشاه ستة آلاف توقيع بأن هذا «المنحرف» يريد هَدْمَ مذهب أهل البيت ﷺ**!! فأُخذ إلى المحكمة فلم يجدوا فيه ما** اتهموه به فأطلقوا سراحه وعاد إلى مسجده حيث كان إمام وخطيب مسجد «وزير دفتر» أحد المساجد المعروفة في شارع «شاهبور» جنوب طهران، لكنه لم يسلم منهم إذ هاجموا مسجده فيما بعد وأغروا به الأوباش والعوام فاستولوا على مسجده وطردوه منه.

بعد ذلك انصرف البرقعي للمزيد من البحث والتحقيق وبدأت تظهر كتاباته التي ينقد فيها الموضوعات للتشيُّع الاثني عشري ويقول في هذا الصدد: «**وفي تلك الأعوام كنت أجد فراغًا في الوقت ساعدني على المطالعة والبحث والتأليف والتدبر في كتاب الله، فتبين لي أنني وجميع علماء مذهبنا غارقون في الخُرافات، وغافلون عن كتاب الله، وتُخالف آراؤهم صريح القرآن وتعارضه..**» (راجع كتاب: «الخرافات الوافرة في زيارات القبور» مقدمة الكتاب، ترجمه إلى العربية سعد محمود رستم).

أهداف البرقعي من مشروع نقد مصادر الحديث الشيعي:

١) تطهير الإسلام من الخُرافات والإضافات التي علقت به عبر الزمن ليغدو مقبولًا في العصر الحاضر.

٢) تصحيح سمعة المذهب الشيعي ورفع الطعون عنه.

٣) تحقيق الوحدة الإسلامية العامة إذ الفرقة سببها هذه الأحاديث الموضوعة.

٤) الدفاع عن القرآن الكريم إذ لعبت هذه الأحاديث بمعانيه وتعاليمه، فلا بدَّ من تعريتها ونقدها.

٥) الدفاع عن أئمة أهل البيت ﷺ وتصحيح صورتهم في أذهان المسلمين.

٦) الكشف عن بعض من أظهر الاعتقاد بأهل البيت ﷺ ثم دسّ الروايات الكاذبة عنهم، وبهدف تحطيم الدولة العباسية، أسَّس هذا الفريق من الرواة مذهبًا خاصًا به مليئًا بالأوهام والخُرافات، ثم جاء من بعدهم فأُحسِنَ الظن بهم، وأُخذ عنهم ما نقلوه ورووه.

(نقلًا عن المترجم في كتاب «عرض أخبار أصول الكافي على القرآن والعقل» بتصرف يسير).

سيكون تارة «**في السند وتارة في المتن وأحيانًا في الدلالة**». وسنلاحظ تعارض القرآن الكريم والعقل السليم لمعظم هذه الروايات الموضوعة والمدسوسة من قبل أعداء أهل البيت عليهم السلام.

بعض الأدعية والزيارات «الموضوعة» في كتاب مفاتيح الجنان

الأولى: زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من البعد:

«قال العلّامة المجلسي في زاد المعاد في أعمال عيد الميلاد، وهو اليوم السابع عشر من ربيع الأول، قال الشيخ المفيد والشهيد والسيد ابن طاووس (رحمهم اللّه): إذا أردت زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ما عدا المدينة الطيبة في البلاد فاغتسل ومثّل بين يديك شبه القبر واكتب عليه اسمه الشريف ثمَّ قف وتوجه بقلبك إليه وقل: أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له... إلخ»[1].

ونرى في هذه الزيارة أنّها من صنع لفيف من العلماء كما يقول المجلسي، فلم ترد عن الأئمة عليهم السلام، بل إن الكثير ممّا أورده المجلسي في باب الزيارات إنّما وجده ـ حسب قوله ـ في كتاب قديم لا يعلم أصله. أو يقول:

«**وجدت في نسخة قديمة من مؤلفات أصحابنا هذه الزيارة**» أو «**زيارة أخرى له صلى الله عليه وآله وسلم أملاها عليّ النصير أدام اللّه عزه**» وفي باب زيارة أئمة البقيع عليهم السلام يقول: «**وجدت في نسخة قديمة من أصحابنا زيارة لهم**»[2]! ولكن بالتدريج وعندما تنقل إلى كتاب آخر مثل «**مفاتيح الجنان**» أو غيره يتمّ حذف هذه الفقرة من بداية الزيارة فيقرأها الزائر وهو يظن أنّها من إمام معصوم ويتعبّد بكل ما ورد فيها حتى لو كانت مخالفة للقرآن الكريم كما سوف نرى.

هذا وكل من يقرأ ما تقدّم من الكيفية المقترحة لزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بعيد يكاد يُدهش! وندعو اللّه تعالى أن لا تقع مثل هذه الزيارات بيد الآخرين من غير الشّيعة لتكون مُبررًا للتشنيع والتشهير ضدنا، فماذا يعني أن يصنع الإنسان شبيه القبر في بيته

---

(١) كتاب مفاتيح الجنان، دار إحياء التراث العربي (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م) ط ١، ص ٣٦١.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٢٢. وجاءت بصيغة ثانية: «**وجدت في نسخة قديمة من مؤلّفات أصحابنا زيارة لهم عليهم السلام فأوردتُها كما وجدتُها**». المصدر: بحار الأنوار، ج٩٧/٦، باب زيارة الأئمة بالبقيع عليهم السلام، ص٢٠٦، حديث رقم: ٨.

ويكتب عليه أنه قبر رسول اللّه ﷺ ثمَّ يزوره وهو يعلم أنه ليس بقبر إنّما هو من صنع يده؟! ألا يتداعى إلى الذهن من هذا العمل ما كان المشركون يصنعونه من التماثيل ثمّ يعبدونها؟ ولماذا لا يتوّجه الزائر جهة القبلة والمدينة المنوّرة ويزور النبي ﷺ من بعيد لتكون زيارة معقولة على الأقل؟ ثمَّ هل صَنَعَ مثل ذلك أهل البيت عليهم السلام في زياراتهم للنبي ﷺ من بعيد حتى نقتدي بهم ونزور بزيارتهم؟ ولماذا يقتصر هذا النمط من الزيارة على النبي ﷺ وحده ولا يمتد ليشمل زيارة كل إمام من بعيد؟!

الثانية: ما ورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام:

فقد ذكر الشيخ عباس القمّي في فضيلة زيارة أمير المؤمنين عليه السلام عن محمد بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في حديث له: «**من زار أمير المؤمنين عليه السلام عارفًا بحقه أي وهو يعترف بإمامته ووجوب طاعاته وأنه الخليفة للنبي ﷺ حقًا غير متجبّر، ولا متكبر، كتب اللّه له أجر مائة ألف شهيد وغفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر وبُعث من الآمنين وهوّن عليه الحساب واستقبله الملائكة، فإذا انصرف إلى منزله فإن مرض عادوه وإن مات تبعوه بالاستغفار إلى قبره**»[١].

وأنت ترى أن مثل هذه المثوبات، وإن كان كرم اللّه غير محدود، إلّا أنّها تتنافى مع الثوابت القرآنية والحكمة الإلهية في خلق مقولة الثواب والعقاب، وأن الجزاء بقدر العمل، فمعلوم أن الشهيد الذي يجاهد في سبيل إعلاء كلمة الدين والدفاع عن المسلمين ويضحّي بنفسه في سبيل سعادة الآخرين له من الأجر والثواب بحيث قرَنهُ اللّه في قرآنه الكريم مع الأنبياء والصدّيقين ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ...﴾[٢] والإمام علي عليه السلام نفسه كان يتمنى الشهادة وقد حزِن على عدم نيله لهذا المقام العظيم في معركة أُحُد فرأى النبي ﷺ ذلك في وجهه فلما سأله عن سبب ذلك، أجابه بأن الشهادة فاتتني، فقال: «أبشر فإنَّ الشهادة من ورائك»[٣]. فهل يُعقل أن يحصل أي إنسان شيعي على أعلى من هذا

---

(١) مفاتيح الجنان (المعرّب)، الفصل الرابع في فضل زيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وكيفيتها، ص ٣٣٧ وطبعة دار إحياء التراث العربي (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) ط١، ص ٣٧٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٣) شرح نهج البلاغة: لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م) ط٢، ج٩، ص٢٠٥، خطبة (١٥٧).

المقام بمائة ألف مرة لمجرد زيارة يقوم بها لمرقد الإمام علي عليه السلام ويعترف له بالإمامة غير متجبر ولا متكبر؟ ومعلوم أن جميع الشِّيعة حتى الفُسّاق منهم يعترفون له بالإمامة غير متكبريّن ولا متجبريّن!! والأعجب من ذلك أن اللّه يغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فعلى فرض أن اللّه يغفر له ما تقدّم من ذنوبه، فكيف يغفر له ما تأخر من الذنوب والمعاصي إلى أن يحين أجله وقد يرتكب الكبائر والموبقات والذنوب العظام؟ أليس في ذلك ما يدعو للجرأة على الذنوب والمعاصي إلى أن يحين أجله؟! ثمَّ إن الراوي يقول في هذا الحديث: وإن مات تبعوه (الملائكة) بالاستغفار إلى قبره!! ومعلوم أن الكذّاب مصاب بداء النسيان كما يُقال، فهذا الراوي كان يقول قبل قليل إن اللّه قد غفر للزائر ما تقدّم من ذنبه وما تأخر: إذن فعلام تستغفر الملائكة لهذا الميت؟!

إذا قبلنا بمضمون مثل هذه الزيارة ـ وما أكثرها في كتب الزيارة ـ فلا يحتاج الإنسان بعدها لأن يُتعب نفسه بتحمّل مشاق الجهاد في سبيل اللّه ولا الحج والعمرة بل يكفي أن يزور في عمره أمير المؤمنين عليه السلام مرة واحدة وليفعل ما يفعل بعدها فقد كُتب في أعلى عليين!!

أما مضمون الزيارات: فقد أورد الشيخ عباس القمّي، نقلًا عن المجلسي وابن طاووس والمفيد وغيرهم، زيارات (مطلقة وخاصة) تتنافى في أكثر عباراتها مع القرآن الكريم والتوحيد وأصول الدين والمذهب، على سبيل المثال يقول:

ـ السلام على... مُقلّب الأحوال[1].

ومعلوم أن هذه الصفة من مختصات الذات الإلهية المُقدّسة، فحتى الأنبياء لا يملكون ذلك لأنفسهم فضلًا عن الآخرين كما تقول الآية الشريفة: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾[2] ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾[3] وهذا يعني أن أحوال العباد بيد اللّه (تعالى) لا غير، فهو مقلّب القلوب والأحوال كما جاء في دعاء تحويل السَنة، ويقول الله تعالى أيضًا:

(١) مفاتيح الجنان، ص ٣٨٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٨.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٩.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[١] فإذا كان النبي ﷺ غير قادر على التصرّف في أحوال الناس، فكيف الإمام؟!

ـ ومن العبارات الواردة في هذه الزيارة: «وسامع السرّ والنجوى»[٢]

القرآن الكريم يصرّح بأن هذه الصفة مختصة باللّه تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾[٣] و﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٤] و﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾[٥] إلى غير ذلك من الآيات الشريفة التي تقرر هذه الصفة للّه تعالى.

وهنا يتبادر إلى الذهن هذا السؤال: هل الإمام علي عليه السلام هو اللّه تعالى حتى يعلم أسرار الناس؟! أو أن هذه الكلمات من وضع الغُلاة والمتصوّفة القائلين بالإتحاد والحلول، وأمثال ذلك من العقائد الباطلة والأفكار المزيّفة؟!

كيف نصدّق هذه الزيارة والإمام علي عليه السلام نفسه كان يُرسل الجواسيس ويضع العيون على ولاته لينقلوا له أعمالهم كما ورد ذلك في نهج البلاغة: **«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَيْنِي بالْمَغْرِب**[٦] **كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُني»**[٧].

ويكتب الإمام علي عليه السلام إلى **«الْمُنْذِرِ بنِ الْجَارُودِ»** عامله على جباية الصدقات بعد أن جمع المنذر الصدقات وهرب إلى معاوية:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلاحَ أَبِيكَ غَرَّني مِنْكَ وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ»[٨].

وهكذا عندما نصّبَ **«مَصْقَلَةَ بْنَ هُبَيْرَةَ»** عاملًا له على **«أَرْدَشِيرَ خُرَّه»**[٩] ولكنه خان

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٣.

(٢) مفاتيح الجنان، ص ٣٨٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣.

(٤) سورة هود، الآية: ٥.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٧٨.

(٦) عيني أي رقيبي في البلاد الغربية.

(٧) شرح نهج البلاغة: لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ط٢، ج١٦، ص١٣٨، خطبة (٣٣)..

(٨) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، ج١٨، ص٧١، كتاب (٧١).

(٩) أردشيرخُره: بضم الخاء وتشديد الراء: بلدة من بلاد العجم تسمى الآن: خوزستان.

الإمام وقسّمَ بَيت المال بين أقربائه[1]، وكذلك عندما عزل محمد بن أبي بكر عن ولاية مصر بعد أن تبيّن له عجزه عن تدبير الأُمور وافتقاده للحنكة السياسية اللّازمة. أو عندما ولّى عبد اللّه بن عباس على ولاية البصرة وسرق بيت المال وهرب به إلى الحجاز... وغير ذلك من الأُمور الكثيرة المتواترة التي تدل على عدم علم الإمام بأسرار الناس وخفايا باطنهم، ولا يمكن القول بأنه كان يعلم بذلك ومع ذلك عيّنهم في مناصب مهمّة فهذا يعني (والعياذ باللّه) خيانة للأمّة والمشاركة في فساد المجتمع.

- **ومنها: «أشهدُ أنك تسمع كلامي وترد سلامي»**[2].

وهنا يرد سؤال مهم جداً...

هل الأنبياء والأولياء يسمعون ويعلمون ما يجري لاتباعهم بعد موتهم؟

إن محور الإنحراف الخطير في الزيارت هو أن الزائر يتصوّر الحياة وإمكانية التصرّف في عالم الشهود والدنيا للشخص المَزور. وهذا التصوّر الباطل يتمّ تغذيته بعبارات مجعولة في مضامين الزيارات الواردة في تراثنا الشِّيعي، كما في العبارة المذكورة آنفًا. إلّا أنَّ مضمون مثل هذه العبارات مخالف للقرآن الكريم قطعًا، وقد أوصانا أهل البيت عليهم السلام بعرض رواياتهم على القرآن الكريم فما وافق القرآن فخذوا به وما خالفه فاضربوه عرض الجدار، وهذا هو مضمون حديث الثقلين أيضًا حيث قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: (إني تارك فيكم الثقلين، كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض).

ومعلوم أنَّ المراد من عدم الافتراق ليس هو الافتراق المادي الفيزيقي حيث يموت الإمام ويبقى القرآن بل المراد هو عدم الافتراق بالمنهج والمفاهيم والتعاليم السماوية الواردة في كل من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة. فكلماتهم عليهم السلام لا يمكن أن تتعارض مع تعاليم الوحي ومعارف القرآن. فإذا رأينا ثمة تناقضًا بينهما علمنا بأن الرواية موضوعة وغير صادرة من الإمام وينبغي ضربها عرض الجدار، ومنها الزيارة التي نحنُ بصددها حيث تقول: (أشهد أنك تسمع كلامي وترى مقامي) فهل يؤيد القرآن الكريم هذا المعنى والمضمون، أم لا؟

---

(١) شرح نهج البلاغة: لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ) ط٢، ج١٦، ص١٧٥، خطبة (٤٣).

(٢) مفاتيح الجنان، الفصل الرابع. فضل زيارة أمير المؤمنين، زيارته عليه السلام يوم ميلاد النبي صلى الله عليه وآله، ص٤١٥.

الآية الكريمة ٢٥٩ من سورة البقرة تتحدّث عن واقعة موت أحد الأنبياء وهو (عُزَيْر) حسبما ورد في الروايات[*] وتقول: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ﴾[١].

فهنا نرى أن الآية الشريفة تصرّح بأن اللَّه (تعالى) أمات (عُزَيْرًا) ثمَّ لمّا بعثه سأله عن مُدّة لبثه فتصور أنه لم يلبث أكثر من نهار واحد أو أقل. وهذا يعني أنه لم يكن يعلم بما جرى له في هذه المُدّة الطويلة. فلو كان نبيًا عظيمًا كعُزَيْر الذي يقدّسه اليهود أكثر من جميع الأنبياء حتى من موسى وهارون وقد رفعوا مكانته إلى القول بأنه إبن اللَّه كما يدّعي النصارى أن المسيح ابنُ اللَّه:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ﴾[٢] لأن (عُزَيْرًا) هو الذي كتب لهم التوراة من جديد بعد أن تعرضت للتلف أثناء عملية هدم الهيكل وسبي اليهود على يد البابليين. وعلى أية حال فإنَّ عُزَيْرًا وهو نبي عظيم من أنبياء بني إسرائيل لم يكن يعلم بشيء ممّا كان يدور حوله في مُدّة موته. فكذلك الحال في الأئمّة وأبناء الأئمّة والشهداء الذين لا ينبغي الشك في أنهم أحياء ولكن «عند ربهم يُرزَقون» ومقام العندية هذا لا يعني أنهم أحياء في الدنيا أو أن أرواحهم جالسة على قبورهم تسمع وترى الزائرين بل إنهم عند ربهم في جنات الخلد يُرزَقون، كما قالت الآية الكريمة على لسان آسية زوجة فرعون:

﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾[٣].

(*) جاء في «الكامل في التاريخ» لابن الأثير ج١ ص١٥٢: إن الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه كان عُزَيْرًا، فلمَّا عاشَ قصد منزله من بيت المقدس على وهم منه فرأى عنده عجوزًا عمياء زمنة كانت جارية له ولها من العمر مائة وعشرون سنة فقال لها: هذا منزل عُزَيْر؟ قالت: نعم وبكت، وقالت: ما أرى أحداً يذكر عُزَيْرا غيرك، فقال: أنا عُزَيْر، فقالت: إن عُزَيْرا كان مجاب الدعوة، فادعُ الله لي بالعافية، فدعا لها فعاد بصرها، وقامت ومشت ولما رأته عرفته، وكان لعُزَيْر ولد وله من العمر مائة وثلاث عشرة سنة، وله أولاد شيوخ، فذهبت إليهم الجارية، وأخبرتهم به فجاؤوا، لما رأوه عرفه إبنه بشامة كانت في ظهره. (راجع أيضًا تفسير الأمثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢، ص١٧١. وتفسير البيان للطبرسي، ج١، ص٦٣٩ ـ ٦٤١).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة التحريم، الآية: ١١.

أو قوله تعالى:

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[١]

فمقام العندية يعني في الجنة فلا يُعقل أن يعيش النبي أو الإمام في أعلى درجات النعيم الخالد متلذذًا بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثمَّ يُدْرِك ما يعرضه عليه الزوار من حاجاتهم ويلبي لهم طلباتهم التي تثير الحزن والأسى في غالب الأحوال أو يُدْرِك ما يجري على المؤمنين من بلايا ومحن ولا يقدر على رفعها عنهم وهل يُعقل أن يُدْرِك النبي الأكرم أو الإمام علي أو الزهراء ما جرى على الحُسين وعلى أهله وأطفاله من مصائب وقتل وعطش ثمَّ لا يحزنون له ولا يبكون من أجله؟

فإذا قلنا بأنهم يحزنون على هذه المصائب كما نقرأ ونسمع من أهل المنبر مثل هذه المفاهيم الموهومة، فهذا يتعارض مع قوله تعالى بأن هؤلاء الأولياء والشهداء ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[٢].

الآية الأخرى قوله تعالى في محادثته مع عيسى بن مريم:

ـ ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[٣].

وهذا يعني بصريح العبارة أن عيسى وهو من أنبياء أولي العزم لم يكن يعلم ما جرى على أتباعه بعد وفاته فليس هو المسؤول عن انحرافات قومه بعد وفاته لعدم علمه بهم، والله تعالى هو الرقيب عليهم لا هو. ثمَّ إننا لا نجد ولا آية واحدة تؤيد هذا المعنى الزائف الوارد في بعض الروايات والمترسخ في أذهان العوام حتى في أذهان الفُقهاء التقليديين وأصحاب التشيُّع التقليدي المشغولين دومًا بالدفاع عن هذه

(١) سورة القمر، الآية: ٥٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ٦٢.

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ١١٦، ١١٧.

العقائد المنحرفة وحراسة التصوّرات المشوّهة باسم الدفاع عن دين العوام من شبهات الوهابية ومنزلقات العلمانية. فلو كان لهذه المفردة المُهمّة من عقائد الشِّيعة أصل في الدين والوحي لأيدها القرآن الكريم بأكثر من آية من آياته الكريمة.

أين توجد أرواح الأنبياء والأولياء بعد وفاتهم؟

انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾[1]. للروح مكان وليست مُجَرّدةً من الزمان والمكان ومكان الروح هو البدن الدنيوي أو القالب المثالي البرزخي. والبدن هو مرْكَب الروح وهذا الأمر واضح ومحسوس ولا يحتاج إلى البرهان وهذه الروح المحدودة لما كانت محدودة ذاتًا فإنَّ صفاتها كالعلم محدودة أيضًا لأن حدود العوارض هي حدود المعروض ذاتها ولا يمكن أن تزيد عليها.

فروح الكائن الحي لا تعلم كلَّ شيء وليست مطَّلعة على جميع الأشياء ولا جميع الأمكنة بل إنّما تستطيع بواسطة تحصيل العلم أو بواسطة الوحي الإلهي أن تكسب العلم كما قال الله لرسوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[2]. وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[3]، وقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[4]. ونحوها من الآيات الكثيرة.

وهذا عندما تكون تلك الروح في الدنيا، أما عندما تخرج من البدن بالوفاة وتدخل القالب المثالي البرزخي فإنَّ حقيقتها تبقى كما هي ولا تتغيّر.

فالصالحون والأولياء يذهبون من هذا المكان إلى عالم أرفع وأسمى من هذا العالم وإلى قالب ألطف من الجسم الدنيوي، يقول الحق تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ [أي المحتضر] مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[5].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٤) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٥) سورة الواقعة، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

وقال كذلك: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾[1].

في هذه الآيات نقاط وأمور تحرِّر الإنسان من الأوهام والخُرافات لذا نلفت نظر القُرّاء الكرام إليها: عندما يقول الحقُّ عزَّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾[2] فمعناه أنهم أحياء ـ أي الشهداء ـ واعين تمامًا ولكن في عالم آخر، لا يسمعون الأحياء، وقوله: ﴿...عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ يدل على أنهم في الواقع نالوا حياةً أفضل في مكان أسمى وأرفع.

فالجملة الأخيرة تدل على أنه رُغم قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[4]، وقوله في سورة الأنبياء: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾[5]، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ﴾[6]، وقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ﴾[7] التي اثبت الله تعالى أن النبي يموت مثل سائر البشر، والكل يعلم بأنه مات ودفن، إلَّا أنَّ المقرَّبين من الله ينالون عنده ـ بعد رحيلهم من هذه الدنيا الفانية ـ حياةً ونعيمًا لا يعلم كيفيتها سوى الله، في حين أن الكُفَّار والفجار ينالون الألم والعذاب بعد موتهم.

إذا عرفنا ذلك فيجب أن نعلم أين هو المكان الذي يشير إليه قوله: ﴿...عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾؟ إن قوله: ﴿...عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يفيد أنهم عند الله وليس عند الخلق ولا عند القبر، فأين يكونون عندما يكونون عند الله؟ تبيَّن الآية الكريمة: ﴿۞ لَهُمْ دَارُ

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٦٩ ـ ١٧١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٣) سورة الرحمن، الآية: ٢٦.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٠.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

﴿السَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[1]، والآية الكريمة: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓا إِلَىٰ دَارِ السَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[2]، إنَّ «**عند الله**» هو «**دار السلام**» فهو غير «**عند الخلق**» وغير «**عند القبر**» أو الدنيا، كما قال سبحانه: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوٓا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[3]. فلا شك أن الرزق الذي يرزقونه ليس مثل الرزق والطعام الدنيوي.

وفي الجزء الآخر من الآية المذكورة يقول الله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[4]، فما يؤتيه الله لهم من فضله ليس هو الدنيا لأنه كانت لديهم الدنيا ثم أُخذت منهم ليعطوا بدلًا منها مكانًا أوسع وأفضل.

أما الذين لا علم لهم بالقرآن فيتصوَّرُون أنَّ الشهداء لهم ارتباط بهذه الدنيا. في حين أن جملة: ﴿...وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾[5] تدلُّ على أن الشهداء يذهبون إلى عالم يصبحون فيه بعيدين عمَّن خلّفوه وراءهم من الأحياء، آملين أن يلحق بهم أولئك الذين من خلفهم. فلو كان الشهداء لا يزالون في هذه الدنيا وكان لهم طريق إلى أقربائهم ومعارفهم لما كانت تلك الجملة صحيحة.

إذًا فالشهداء منفصلون عن أهل الدنيا. أضف إلى ذلك أن الله تعالى بيَّن في آخر تلك الآيات أن جميع المؤمنين سينالون ذلك النعيم والثواب: ﴿...وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾[6].

هل الأنبياء والأولياء يطَّلعون على زوَّارهم؟

بعد أن أثبتنا أن الأرواح تذهب بعيدًا عن الدنيا إلى عالم البرزخ نجيبُ فيما يلي عمَّا يقوله الذين يقرُّون بأن الشهداء أحياءٌ في عالم آخر غير عالم الدنيا، إلَّا أنهم يقولون: لمَّا كان الشهداء أحياءً فإنهم يطَّلعون على أحوالنا [حتى ولو كانوا في «**دار السلام**» وفي عالم آخر غير عالم الدنيا]!

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٠.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٧١.

فنقول: من الواضح أن قولهم هذا غير صحيح لأن حياة الشهداء لا علاقة لها بعلمهم ومعرفتهم بأحوالنا، لأنه ليس هناك تلازم بين الحياة وبين العلم بكل شيء والإحاطة بكل مكان، فرسول الله ﷺ لم يكن له علم بما يجري لجيرانه ومجاوريه إلَّا إذا أعلمه الله أو أخبره الناس بذلك كما حصل عندما قُتل عددٌ كبيرٌ من أصحابه في بئر معونه ولم يدرِ بذلك. وفي معركة أُحُد، أُصيب بحجر في جبينه وشفته وفكّه ولو كان له علم مسبق بذلك لأبعد رأسه عن الضربة وانحرف بعيدًا عن الضارب حتى لا يُصاب بذلك الحجر. وقال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾[1].

ممّا يدلُّ على أن النبيَّ الأكرم ﷺ لم يكن له علم بنفاق بعض أتباعه، بل كان يعجبه كلام بعضهم دون أن يعلم بذات صدورهم وحقيقة نفاقهم كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾[2]، فإذًا لم يكن رسول الله ﷺ حالَ حياته عالمًا بكلِّ مكان ولا مطَّلعًا على كلِّ شيء، فالشهداء أيضًا لا يلزم أن يطَّلعوا وهم في حال **الحياة البرزخية** على كلِّ مكان وكلِّ شيء، وبالتالي فالحياة الأخروية مثلها مثل الحياة الدنيوية لا تستلزم العلم بكلِّ شيء، فاطّلاع الذاهبين على أحوال الباقين يحتاج إلى برهان ودليل.

أضف إلى ذلك أن تلك الآيات التي مرَّت ذَكَرَت أنَّ الشهداء، ﴿...فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ مما يدل على أن الشهداء لا اطلاع لهم على كل مكان، بل يذهبون إلى مكان لا خوف فيه ولا حزن ولا غمّ ولو اطَّلعوا على آلام وعذاب ومعاناة زُوَّارهم لماتوا كمدًا وغصَّة عليهم. فمثلًا لو اطَّلع الرسول ﷺ أو أحد الأئمّة عليهم السلام على آلام ومصائب ومشاكل الناس لاكتأبوا وأصابهم الحزن والغمّ وغدت «**دار السلام**» بالنسبة إليهم دار غصَّةٍ وحزن، ولسُلبت منه الراحة في عالم البرزخ وتبدَّل نعيمه إلى ألم وعذاب!

فلاحظوا افتراء ذلك الكذَّاب الذي وضع زيارةً نسَبها إلى الإمام قال فيها:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

«**أشهد أنك ترى مقامي وتسمع كلامي وتردُّ جوابي**» هذا مع أنه لم يسمع جواب صاحب المقام، ولكنه يشهد على ذلك كذبًا! وسنثبت في هذا المختصر أن أولياء الله بعد وفاتهم ليس لهم أي خبر عن الدنيا وأنهم في العالم الآخر، (**البرزخ**) ليس لهم أي معرفة بأحوال عباد الله في الدنيا.

كما ذُكر في الآيات التي استشهدنا بها في الفقرة السابقة ما يدل قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝١٧٠ ۞يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٧١﴾[(١)]، على أن الله ينعم على المؤمنين الصالحين ولا يضيّع أجرهم ويمنّ عليهم بمقام كريم في جنة دار السلام ثوابًا على أعمالهم وحياةً أفضل آلاف المرات من الحياة الدنيا لا أنه يجعلهم يعيشون في حزن دائم ويعانون من غصص أخبار الدنيا.

فاتضح أن عبارة «**عند الرب**» تعني ذلك المكان الذي أشارت إليه آسيا زوجة فرعون حين قالت: ﴿...رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١﴾ فعند الله وعند الرب عالم غير هذه الدنيا الفانية. فإن قال قائل: إن الله لا يحدّه مكان وتستوي إليه جميع الأمكنة فمن كان عند الله أو عند ربه فإنه يكون في كل مكان.

قلنا: إن كان الأمر كذلك لصار كل كافر ومنافق وظالم بعد موته عند الله أيضًا حتى ولو كان يُعذَّب في قبره، لأن الله محيط بالجنة كما هو محيط بالنار، وعندئذٍ لا تبقى هناك خصوصية للشهداء بأنهم «عن ربهم» مع أن هذه العنديّة مقام قرب اختصهم الله به، ويُقصد به أنهم في الواقع في عناية الرب وعند رحمته وهو المقام الذي سماه الله بـ «**دار السلام**» تمييزًا له عن «**دار العذاب**» فلم يقل الله أن الشهداء والصلحاء سيصيرون إلى دار العذاب عند ربهم!

بناء على ما ذُكر فإنَّ أرواح الأنبياء والصلحاء والشهداء لا علم لها بالدنيا، كما أن تلك الآية تدل على أن أرواحهم ليست في قبورهم في الدنيا ولا حولها.

الذي يُستفاد من كتاب الله «**القرآن الكريم**» أنه ليس للإنسان مؤمنًا كان أم كافرًا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧١.

سوى حياتين كاملتين الأولى: «**الحياة الدنيوية**» والثانية: «**الحياة الأخروية**» أما عالم «**البرزخ**» ويُقال له أيضًا: «**عالم القبر**»، فهو عالم الصمت والسُبات وانعدام الوعي بالدنيا، وهو حياة غير كاملة وبلا حركة وفي الواقع تشبه الغفوة في قاعة انتظار دخول يوم القيامة، والبرزخ فاصل بين حياتين كاملتين. فالحياة التي ذُكرت للأموات بعد الدنيا سواء الصالحون أم الطالحون حياةٌ ناقصة قبل يوم القيامة.

ويجب أن نعلم أن «**عالم البرزخ**» يبدو بالنسبة إلى أهل المحشر بعد بعثهم ونشورهم وكأنَّه لم يكن أو ما يشبه ذلك، أي أن ذلك الفاصل الزمني يكون غير مفهوم بالنسبة إلى أهل الحشر ويبدو لهم ـ بعد بعثهم ـ وكأنه حلم أو كأن حشرهم وقع مباشرة بعد موتهم في الدنيا!

والنقطة التي ينبغي أن ننتبه إليها هنا أن القرآن المجيد يذكر أحيانًا جميع مراحل أمر ما وأحيانًا يحذف الوسائط ويذكر بداية الموضوع ونهايته على نحو الإجمال فقط، فمثلًا يقول عن خلق الإنسان ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠﴾[1].

ولكن يذكر في آية أخرى جميع مراحل هذا الخلق واحدة واحدة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ﴾[2].

كذلك يقول عن تحريك السحب ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾[3]. والتي تدلُّ بظاهرها على أن الله يحرّك الغيوم مباشرة، ولكن الله يُفصّل الأمر في موضع آخر فيقول: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾[4].

وكلام القرآن الكريم حولَ «**عالم البرزخ**» يسير على نفس ذلك المنوال، فغالبًا

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٠.
(٢) سورة الحج، الآية: ٥.
(٣) سورة النور، الآية: ٤٣.
(٤) سورة الروم، الآية: ٤٨.

ما يبيّن القرآن الكريم المصير النهائي للإنسان بعد الموت دون أن يذكر فترة عالم البرزخ، كما قال في شأن قوم نوح مثلًا: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا﴾[1] والذي يبدو من ظاهره وكأنَّ قوم نوح الكُفَّار أُدخلوا النار فور غرقهم، ولكننا نفهم تفصيل هذه الآية من آية أُخرى تحدَّثت عن آل فرعون وهي قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[2]، والتي تدل على أن الأشقياء يعانون من الغصص والآلام قبل أن يدخلوا نار جهنم يوم القيامة.

يمكننا أن ندرك من مثل هذه الآيات أن هناك بعد الحياة الدنيوية نوعين من الجزاء: الجزاء البرزخيّ وجزاء يوم القيامة.

الثاني يتمّ بصورة وافية وكاملة في الحياة الأخروية والأوَّل نوع من السرور واللذة أو الكدر والآلام في فترة الحياة البرزخية التي هي في الواقع شبه حياة وليست حياة كاملة أجملت معظم آيات القرآن ذكرها وأعرضت عن تفصيلها، لأن القرآن أراد في معظم الموارد أن يجسّم مسألة المعاد أمام الإنسان إذ إنَّه عندما سيُبعث في الآخرة سيشعر أن فترة عالم البرزخ كانت قصيرة جدًا وحتّى لو طالت فترة «**عالم البرزخ**» آلاف آلاف السنين فإنها ستبدو للإنسان بعد حياته الجديدة يوم القيامة وكأنها يوم أو بعض يوم أو ساعة من نهار شأن الإنسان في ذلك شأنه عندما ينام نومًا عميقًا بعد سفر طويل ويرى رؤيا مفرحة أو كابوسًا محزنًا تمرّ عليه فيه أحداث كثيرة ولكنه إذا استيقظ أحسّ كأنه نام لِتوِّه!

من هنا يقول القرآن الكريم عن الذين يبعثون يوم القيامة: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾[3]، ويقول: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾﴾[4] ويقول: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾[5]، أو ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾

---

(١) سورة نوح، الآية: ٢٥.

(٢) سورة غافر، الآيتان: ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٥.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٢.

(٥) سورة الروم، الآية: ٥٥.

﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾[1] أو ﴿...كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[2]. أو ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾[3].

تقول إحدى الآيات المتعلقة بـ «**عالم البرزخ**» ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[4]. وتقول آية أخرى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾[5]، ونحوها في سورة محمد الآية: ٢٧.

من الواضح أن الميّت يبقى جسمه في الدنيا وأما روحه فلا وجه لها ولا ظهر حتى تُضرب عليه، فلا بد أن يكون المراد بالآية الأخيرة القالب البرزخي للميت.

ومثلها قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾[6]، فهذه جنة برزخية وليست بجنة الآخرة وإلّا لو كانت كذلك لعلم قومه بدخوله فيها.

وعلى كل حال فمن الواضح أن هناك بعد الموت نَوْعًا من الراحة والهناء أو نَوْعًا من الكدر والمرارة أو بعبارة أخرى هناك نعيم وعذاب برزخي لا يتمتع الإنسان من خلاله بحياة كاملة وتشبه حالة الإنسان في حالة الجنين في رحم أُمّهُ قبل خروجه إلى الحياة الدنيوية الذي يعيش حياة غير كاملة إذ لا يدري بما يجري خارج رحم أمّه، فالحياة البرزخية حياة غير كاملة يمضي فيها الإنسان الفترة السابقة على الحياة الأخروية.

ولا يختص «**عالم البرزخ**» بالصالحين والشهداء بل يشمل المجرمين والكفار أيضًا، والكل مشترك في انقطاع الارتباط بالدنيا، وبناء عليه فليس المجرمون هم الذين تنقطع صلتهم في الدنيا فقط بل الشهداء والصالحون أيضًا يفقدون كل وعي

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٢، ١١٣.
(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.
(٣) سورة النازعات، الآية: ٤٦.
(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٥٠.
(٦) سورة يس، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

واطلاع على الدنيا وأهلها والأخبار الوحيدة التي يمكن للأنبياء والصلحاء والشهداء أن يعرفوها عن الدنيا بعد وفاتهم هي ما يخبرهم به الصلحاء الآخرون الذين ماتوا بعدهم والتحقوا بهم.

وهذا كله لأنه لا توجد حياة كاملة في «**عالم البرزخ**» بل شبه حياة أو بعض حياة، حياة فاقدة لكثير من الصفات مثل السمع والبصر، وبعبارة أخرى إنها عالم اللاوعي الذي يفقد فيه البشر صالحين كانوا أم طالحين السمع كما قال القرآن الكريم عن الأموات أنهم لا يسمعون شيئًا حتى يُبعثوا ويُحشروا يوم القيامة: ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾[1]، حيث شبّه الله تعالى في هذه الآية الكُفّار بالأموات الذين لا يسمعون شيئًا وقال أيضًا: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾[2]. ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾[3].

أضف إلى ذلك أنَّ الله شبّه الحياة يوم القيامة والخروج من القبر بحياة النباتات في الدنيا، فكما تكون الأشجار والأعشاب في الشتاء بلا حياة ولا حركة ثم تدب فيها الحياة والحركة مُجددًا في الربيع كذلك يكون البشر في «**عالم البرزخ**» في حالة سُبات وبلا حراك حتى إذا بعثوا يوم القيامة تحرّكت أجسادهم وحُشروا يهرعون إلى المحكمة الإلهية الكبرى.

من هنا نفهم قول القرآن الكريم: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾[4]. وقوله: ﴿...وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾[5].

إذا علمنا أن الأرواح في عالم آخر فنقول لو فرضنا على سبيل المحال أن

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٦.
(٢) سورة الروم، الآية: ٥٢.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٢.
(٤) سورة الروم، الآية: ١٩.
(٥) سورة ق، الآية: ١١.

الأرواح تطّلع على حوائج زوار قبورها فهل تحضر على الفور وترجع إلى الدنيا وتستجيب لعرائض الزوّار وطلباتهم؟ من الواضح أن القرآن والعقل يقولان إن الأنبياء والأولياء لا اطلاع لهم على أبدانهم، فضلًا عن أن يكون لهم علم بغيرهم كما ذكرنا سابقًا قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾[1]، ولما استيقظ أصحاب الكهف بعد ٣٠٩ سنوات من النوم في الكهف لم يدروا كم لبثوا وقال بعضهم: ﴿...لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[2] مع أنَّ أصحاب الكهف من أولياء الله! فإذا لم يكن للأنبياء والأولياء علمٌ بحالهم فكيف يكون لهم علم بغيرهم؟

فإن قيل: إن قوله تعالى: ﴿...وَهُمْ رُقُودٌ﴾ دليلٌ على أن أصحاب الكهف لم يموتوا بل كانوا نائمين...

قلنا: إن القرآن يعبّر أحيانًا عن الموت بالرقود، كما قال تعالى عن الموتى الذي يبعثون يوم القيامة: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾[3]!

من كلام الإمام علي عليه السلام عن حال الأموات ومفارقتهم الدنيا وانقطاع صلتهم بالأحياء:

قال عليه السلام: «**تَحمِلُهُ حَفَدَةُ الوِلْدَانِ وحَشَدَةُ الإخْوَانِ إلَى دَارِ غُرْبَتِهِ ومُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ**[4]»[5] وقال: «**فَهُم جِيرَةٌ لا يُجيبُونَ دَاعِيًا ولا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ولا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً إن جِيدُوا لَم يَفرَحُوا وإن قُحِطُوا لَم يَقْنَطُوا جَمِيعٌ وهُم آحَادٌ وجِيرَةٌ وهُم أَبْعَادٌ مُتَدَانُونَ لا يَتزَاوَرُونَ**»[6]!

كلامُ أمير المؤمنين عليه السلام يفيد أن عالم ما بعد الموت خالٍ من حركات الحياة ومقام تنقطع فيه الصلة والارتباط بالدنيا فلا يعلم الراحل عن الدنيا أي شيء عمَّا يجري فيها.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٩.

(٣) سورة يس، الآية: ٥٢.

(٤) زورته: منقطع الزورة حيث لا يزار.

(٥) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ط٢، ج٦، ص٢٧٠، خطبة (٨٢).

(٦) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، خطبة (١١٢).

وقال عليه السلام لأبنائه وسائر من حوله وهو يحتضر على فراش الموت:

«أَنَا بالأَمْسِ صَاحِبُكُم وأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُم وغَدًا مُفَارِقُكُمْ»[1].

يبدو أن مُدَّعِي التشيُّع لا يقبلون كلام الإمام بل يعتبرونه حاضرًا لديهم وحاضرًا بشكل خاص في حرَمه لذا يذهبون إلى لقائه وطلب الحاجات منه من وقت إلى آخر!

وقال عليه السلام أيضًا: **«وأَصْبَحَت مَسَاكِنُهُم أَجْدَاثًا**[2] **وأَمْوَالُهُم مِيرَاثًا لا يَعْرِفُونَ مَن أَتَاهُم ولا يَحْفِلُونَ**[3] **مَن بَكَاهُم ولا يُجِيبُونَ مَن دَعَاهُمْ»**![4].

وكما يذكر في التاريخ أنَّ أمير المؤمنين وقف يتأوَّه أمام قبر الزهراء عليها السلام وقال:

ما لي وقفت على القبور مسلِّمًا   قبر الحبيب فلم يَرُدَّ جوابي
أحبيبُ ما لك لا تردُّ جوابنا   أنسيت بعدي خُلَّةَ الأحبابِ؟[5].

هذا ما يقوله الإمام عليه السلام فكيف يتوقّع مُدَّعو التشيُّع له الإجابة من الإمام أو ابنه أو حفيده لمن وقف أمام قبره وقال:

«أشهد أنك تسمع كلامي وتشهد مقامي... وتردّ جوابي؟!»

وقد نقل الرواة أن «جابر بن عبد الله الأنصاري» ذهب بعد أربعين يَوْمًا من شهادة الإمام الحُسين إلى زيارة قبره فسلّم عليه قائلًا: «يا حسين ثلاث مرات ثم قال: حبيبٌ لا يجيب حبيبَه، ثم قال: **وأنَّى لك الجواب وقد شُحطت أوداجك على أثباجك**[6]**، وفُرِّق بين بدنك ورأسك! فأشهد أنك ابن النبيين وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى وخامس أصحاب الكساء..»**[7]!

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ط٢، ج٩، ص١١٦، خطبة (١٤٩).

(٢) أجداثًا: القبور.

(٣) يحفلون: يبالون.

(٤) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، ج١٣، ص٦، خطبة (٢٢٥).

(٥) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٧، ص٢١٧. ونسَبه إلى الديوان المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام.

(٦) أثباجك: جمع ثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر.

(٧) بحار الأنوار، المجلسي، ج٦٥، ص١٣٠، وج٩٨، ص١٩٥ - ١٩٧، نقلًا عن كتاب «بشارة المصطفى لشيعة المرتضى» لعماد الدين الطبري ٥٢٥هـ وهو موجود فيه ص٧٤، طبعة النجف الأشرف الثانية سنة ١٣٨٣هـ.

نعم. أصل الزيارة لا ريب فيه، وأنا أزور أضرحة الأئمة عليهم السلام وأدعو اللَّه تعالى وأُصلّي عندها لكن لا على أساس أن صاحب القبر يراني ويستجيب لي إذا دعوته ويسمعني إذا ناديته بل اعترافًا مني بحق أهل البيت عليهم السلام علينا وأننا مدينون لهم بالنعمة وبقاء الدين وتعاليم الوحي، وعندما أدعو اللَّه تعالى في ذلك المكان الشريف فلاعتقادي بأن صاحب هذا القبر له حرمة ومكان عند اللَّه تعالى والدّعاء عند قبره أقرب إلى الاستجابة من الأماكن الأخرى. ولكن الدُّعاء إنّما يكون صحيحًا في هذا المكان الشريف إذا كان متوجهًا للَّه تعالى لا لصاحب القبر الشريف مباشرة كما هو السائد في زيارة عامة الناس ودعائهم وطلبهم من صاحب القبر: يا علي أطلب منك قضاء حاجتي، ويا عباس شافني من مرضي، ويا علي بن موسى الرضا ساعدني على حل مشكلتي في زواجي أو بناء بيتي أو نجاح إبني في الامتحان أو إطلاق سراحه من السجن وأمثال ذلك!!

والطريف المحزن في الوقت نفسه أن اللَّه تعالى لو استجاب لهذا الزائر وشافاه من المرض أو رزَقه المال لنسَبَ ذلك فورًا إلى صاحب الضريح وأخذ يُبشّر الناس بأن الإمام قد شافاني ولكن إذا حصل العكس كما لو مات ابنه الذي دعا الإمام لشفائه فإنه ينسب ذلك إلى اللَّه ويقول هذا من قضاء اللَّه وقدره، وهنا تتجلى مظلومية اللَّه في هذه العقائد المزيّفة أكثر!!

أقول هذا وأعلم أن هذا المطلب عسير الهضم لدى العوام من الناس لا سيّما وأن بعض رجال الدين وأهل المنبر من أصحاب الدكاكين الذين يرتزقون من دم الحُسين وظلامات أهل البيت، الذين نصّبوا أنفسهم شرطة على عقائد الناس لا يروقهم هذا الكلام الذي يعمل على تعرية مواقفهم وفضح نياتهم التي تقف خلف مفاهيم دينية لا تمثّل أي بعد عقلاني وشرعي في سلوكياتنا الأخلاقية والدينية، ولكن إلى متى نُداهن هؤلاء الأحبار والكهنة على ديننا؟ وإلى متى نسكت عن انحرافاتهم ودكاكينهم؟!

فلا بد من قول الحق وإماطة اللثام عن جوهر الدين وإزاحة ما تراكم عليه من رواسب تاريخية وأفكار بشرية حوّلت العقيدة الصحيحة والدين السماوي العظيم إلى قشور سلوكية وأوهام ذهنية لا تُسمن ولا تغني من جوع معنوي لدى العوام والخواص، ولهذا نرى أنَّ معظم الشِّيعة رُغم أنهم أكثر الناس زيارةً لمقامات الأئمّة

والأولياء وأكثر الناس إقامة للمآتم على مصائب أهل البيت عليهم السلام وأكثر الناس سماعًا للمواعظ والتعاليم الدينية من أهل المنابر وحضور المساجد إلَّا أنّهم مع الأسف أكثر الناس بُعدًا عن قيم الإسلام والدين الحنيف وأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاقتداء بالأئمّة عليهم السلام وهذه حقيقة مُرةٌ يؤسف لها، ولكنها تظهر واضحة للعيان، وكل منّا يستطيع تلمّس ذلك(*)...!

ـ ومنها: «**السلام على من شرفت به مكة ومنى**»!

هذا في حين أن الإمام نفسه كان يذهب إلى زيارة الكعبة لنيل الثواب وكسب الدرجات وكان أبناؤه الكرام يذهبون مشيًا على أقدامهم إلى مكة لنيل الشرف بزيارتها والطواف في الكعبة المشرّفة، وقام إبراهيم الخليل عليه السلام برفع قواعد البيت لكسب الثواب والتقرّب إلى الله فأثنى الله عليه بقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾(1)، هذا وقد قال الله تعالى كذلك: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾(2). فأوجب على جميع خلقه بما في ذلك النبيّ والإمام والمأموم أن يعظّموا شعائر الله. ومناسك الحج والذهاب إلى مكة، والطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله ومن تشريع رب العالمين لا من تشريع الخلق، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ﴾(3)، وقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ﴾(4)، وبالتالي فقد كان تعظيم شعائر الله وأدائها واجبًا على أمير المؤمنين عليه السلام أيضًا، ولا يوجد مسلم يقلل من شأن تلك الشعائر سوى وضّاعي متون أمثال هذه الزيارة الغُلاة مجهولي المذهب!

ـ ومنها: «**السلام على صاحب الدلالات الذي ذكره الله في محكم الآيات**»(5) **فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾**»

فنرى كيف أن هؤلاء الغُلاة والوضّاعين يتلاعبون بالآيات القرآنية ويُحَرِّفونها

(*) انتهى هنا بحث «هل الأنبياء والأولياء يسمعون ويعلمون ما يجري لأتباعهم بعد موتهم؟».

(1) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

(2) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(3) سورة الحج، الآية: ٣٦.

(4) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(5) مفاتيح الجنان، ص ٣٩٥.

عن معناها الأصلي: حيث أراد الله تعالى بهاتين الصفتين «عليّ حكيم» وصف القرآن الكريم بذلك فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾[1]، إلَّا أنهم حملوها على أمير المؤمنين عليه السلام!

ـ ومنها: «**السلام على من ردّت له الشمس فقضى ما فاته من الصلاة**»[2].

حيث نرى أن هذا الراوي الجاهل يقول «فقضى» بدل «أدّى» لأن هذه الحادثة ـ أي ردّ الشمس لعلي عليه السلام بعد أن فاتته صلاة العصر ـ إنّما قصد بها أن يُصلّي الإمام صلاة العصر أداء لا قضاء، والزيارة تقول «فقضى ما فاته من الصلاة» إضافة إلى أن أصل الواقعة مخالف للعقل والمبادىء الدينية ويتضمن إهانة لمقام النبي الأكرم حيث نام هو عن الصلاة أيضًا، لأنه من غير المعقول أن تفوت الصلاة عن الإمام علي دون النبي إلَّا أن يُقال بتهاون الإمام عن صلاة العصر حتى نهاية وقتها. وعلى فرض وقوع هذه الواقعة فإنَّ هذا لا يعني سقوط الصلاة الفائته. غاية الأمر أنه بظهور الشمس من جديد تجب صلاة جديده غير تلك الصلاة الفائتة!

بل إن نفس كلمة «ردّ الشمس» تحكي عن جهل هؤلاء الرواة الوضاعين بأمور الطبيعة والكون، لأن الشمس في الحقيقة ليست هي التي تدور حول الأرض حتى يقال برجوعها وردّها، بل إن الأرض هي التي تدور حول الشمس ممّا يعني أن الأرض هي التي رجعت عن دورانها.. إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة.

ـ ومنها: «**السلام على من عنده تأويل المحكم والمتشابه وعنده أمّ الكتاب**»[3].

هنا نلاحظ أيضًا أن الراوي المغالي ينسب تأويل المحكم والمتشابه إلى الإمام علي عليه السلام في حين أن الإمام علي عليه السلام نفسه يصرّح في نهج البلاغة باختصاص ذلك باللّه تعالى وعجز الراسخين في العلم بالإحاطة بذلك، فيقول في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾[4].

«**وَاعْلَم أَنَّ الرَّاسِخِينَ في الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُم عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ**[5] **الْمَضْرُوبَةِ**

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٣، ٤.

(٢) مفاتيح الجنان ص ٣٩٩.

(٣) مفاتيح الجنان ص ٣٩٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٥) السدد جمع سدة: باب الدار، والإقرار فاعل أغناهم.

دُونَ الْغُيُوبِ، الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللَّهُ ـ تَعالى ـ اعْتِرَافَهُم بِالْعَجْزِ عَن تَنَاوُلِ مَا لَم يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَم يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَن كُنْهِهِ رُسُوخًا»[1]. ثمّ إن اللَّه تعالى يصف نفسه في القرآن الكريم بأنه ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾[2] فالآية تدل على أن من عنده أم الكتاب هو اللَّه سبحانه وتعالى لا غير بينما في هذه الرواية يقول الراوي الدّجال بأن الإمام علي عليه السلام (وعنده أم الكتاب)!

فهل أصبح الإمام علي عليه السلام في نظر هؤلاء الغُلاة هو اللَّه تعالى!!؟

ـ ومنها: «**السلام على حبل الله المتين**»

هذا مع أن الإمام عليًّا عليه السلام ذاته اعتبر مرارًا أن حبل الله المتين هو القرآن الكريم، وقال في ذلك: «**وَعَلَيْكُم بِكِتَابِ الله فَإِنَّهُ الحَبْلُ المَتِينُ...**»[3] وقال: «**وَإِنَّ الله سُبْحَانَهُ لَم يَعِظ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا القُرآنِ فَإِنَّهُ حَبْلُ الله المَتِينُ..**»[4].

فالإمام يعتبر القرآن الكريم حبل الله المتين الذي يجب على الإمام ذاته كما يجب على جميع المسلمين أن يتمسّكوا به ويعتصموا به، ولكن واضع تلك الزيارة لفّق كل ما أراد ولو كان مخالفًا لكتاب الله ومخالفًا لكلام أمير المؤمنين عليه السلام ذاته!

ومن هنا ندرك مقدار إيمان أمثال هؤلاء الغُلاة بكلام عليٍّ عليه السلام وحقيقة دعوى محبّتهم له وتعلّقهم بالأئمّة عليهم السلام.

ـ ومنها أيضًا: «**السلام على** ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾﴾[5]».

حيث يوحي الراوي للقارىء بأن المُراد من «النبأ» في هذه الآية الشريفة هو الإمام علي عليه السلام في حين أن هذه السورة نزلت في مكة المُكرّمة حيث كان المشركون مختلفين في أمر المعاد ويوم القيامة، ولا يُعقل أن يختلف المشركون في

(١) شرح نهج البلاغة، لإبن ابي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م) ط٢، ج٦، ص٤٠٣، ٤٠٤، خطبة (٩٠) وتسمى خطبة الأشباح.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، مصدر سابق، ج٩، ص٢٠٣، خطبة (١٥٦).

(٤) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، مصدر سابق، ج١٠، ص٣١، خطبة (١٧٧).

(٥) سورة النبأ: ٢، ٣ وجاءت في مفاتيح الجنان ص ٣٩٩.

إمامة أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك الوقت، ويؤيد ذلك قوله تعالى في سورة (ص): ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾(١) بعد أن ذكر النار وعذاب جهنم في الآيات السابقة لها.

ـ ومنها: «**السلام على صاحب الدلالات والآيات الباهرات... والمُنجي من الهلكات الذي ذكره اللّه في محكم الآيات**»(٢).

جملة «والمنجي من الهلكات» لم نقف لها على معنى معقول خصوصًا وأن العبارة أعلاه تستشهد لذلك بالقرآن الكريم وتقول: «الذي ذكره اللّه في محكم الآيات» ولا نعلم أين ذكره اللّه في محكم الآيات؟ وأيّ آية في القرآن تؤيد أن أمير المؤمنين عليه السلام هو المُنجي من الهلكات، بل كل ما ورد في القرآن بهذا المعنى يخُص هذه الصفة باللّه تعالى لكن هذه الزيارة سرَقت ما للّه وجعلته لأمير المؤمنين عليه السلام ولم يكتف الراوي الكذّاب حتى استدل لذلك بالقرآن الكريم! مع أن صريح القرآن يؤكد على أن اللّه تعالى هو المُنجي:

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾(٣).

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا﴾(٤).

﴿...وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾(٥).

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾(٦).

﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(٧).

إلى غير ذلك من الآيات الشريفة التي تصرّح بأن اللّه تعالى هو المُنجي والمنقذ للأنبياء والمؤمنين من الأخطار والهلكات، فأين ورد في محكم الآيات أن الإمام علي عليه السلام هو المنجي كما يدّعي هذا الراوي الدجّال؟!

---

(١) سورة ص، الآيتان: ٦٧، ٦٨.
(٢) مفاتيح الجنان، ص ٣٩٥.
(٣) سورة هود، الآية: ٥٨.
(٤) سورة هود، الآية: ٦٦.
(٥) سورة طه، الآية: ٤٠.
(٦) سورة الصافات، الآية: ٧٦.
(٧) سورة يونس، الآية: ١٠٣.

ـ ومنها «في الزيارة ٢٨» من البحار: «أشهد أنك مجازي الخلق»

حيث تفوح من هذه العبارة رائحة الشرك بكل جلاء، حيث يقول القرآن الكريم:

﴿... لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾[1].

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾[2].

فكما ترى أن القرآن الكريم ينسب فعل الجزاء إلى اللّه مباشرة، وقد يذكر سبب الجزاء أيضًا وهو الأعمال التي يقوم بها الإنسان في الدنيا:

﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾[3].

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾[4].

فأين ولماذا وكيف صار أمير المؤمنين عليه السلام هو المجازي للخلق؟!

ـ ومنها «في الزيارة ٣٠ من البحار»: «السلام عليك يا وارث إبراهيم الخليل في نبوته ويا وارث موسى الكليم في رسالته».

تصرّح هذه العبارة بوراثة النبوة والرسالة ولا معنى لذلك إطلاقًا، لأنه إذا كان المراد وراثة النبوة كما هو صريح العبارة، فهذا يعني أن الإمام علي عليه السلام نبي وهو باطل قطعًا، وإن كان المُراد العلم فأنه من غير المعقول وراثة العلم نفسه لأن الإنسان يولد صفحة بيضاء وقد يرث الاستعداد والقابلية والذكاء فحسب وهذا لا يختص بالإمام دون غيره، وعلوم الأئمّة (عليهم السلام) إنّما كانت بتعليم الرسول صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام وليس بالوراثة «**علّمني رسول اللّه صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب**»[5] وكل إمام يعلّم الإمام الذي يليه أو يقرأ ما ورد في الكتب التي دونها الأئمّة من قبله، وعلى كل الأحوال لا معنى لوارثة العلم، أو النبوة، إلّا عند طائفة الغُلاة.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٥١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

(٤) سورة النبأ، الآية: ٣٦.

(٥) أصول الكافي، ج١، ص٢٣٩، رواية: ١.

هذه نماذج قليلة ممّا ورد في زيارات أمير المؤمنين عليه السلام من الكفريّات والموهومات التي وضعها الغُلاة في كتب الشِّيعة، ونقلها العلماء والمحدثون من دون تدبر في كتبهم، وكان لها الدور الكبير في تزييف عقائد العوام من الناس بل نرى أن بعض مراجع الشِّيعة وعلمائهم يستشهد على عقائد الشِّيعة بمثل هذه الزيارات الموضوعة والأراجيف المبتدعة بحيث وصل بنا الحال أن الشِّيعي يتمسك بالإمام أكثر من اللَّه ويطلب منه حاجاته الدنيوية والأخروية أكثر ممّا يطلب من اللَّه، ويستعين به ولا يستعين باللَّه، ويعتقد بأن الإمام متصف بصفات اللَّه كما تقول صريح الزيارة: «**لا فرقَ بينكَ وبينهم سوى أنّهُم عِبادُكْ**»[1]!

وأخيرًا أسأل: واضع هذه الزيارة هل كان يعبد الله أم أمير المؤمنين علي عليه السلام؟!

الثالثة: الزيارة الجامعة الكبيرة

ذكر الشيخ القمّي في كتاب «مفاتيح الجنان» زيارة بعنوان «زيارة الجامعة الكبيرة»[2] نقلها عن الشيخ الصدوق، ورُغم اشتهار هذه الرواية وكذلك قيام بعض الغُلاة «كالشيخ أحمد الأحسائي»[*] بكتابة شروح على هذه الزيارة، لكن بعض عباراتها مخالفة بصراحة للقرآن الكريم. ولا بد قبل التعرض للمفاهيم الواردة في هذه الزيارة من استعراض رجال السند فيها:

أما السند: فالمجلسي ينقل هذه الزيارة في البحار (ج ٢٢) نقلًا عن كتاب المزار عن «**الدقاق**» و«**السنائي**» و«**الوراق**» و«**الأسدي**» و«**البرمكي**» و«**النخعي**» عن الإمام علي الهادي عليه السلام. أما «الأسدي» فيقول عنه النجاشي: «**محمد بن جعفر الأسدي كان ثقة صحيح الحديث إلّا أنه يروي عن الضعفاء وكان يقول بالجبر والتشبيه**»[3]، وقد

---

(١) مشارق أنوار اليقين ص ١٣٤، الإنسان الكامل ص ١٢٨، الرسائل الثمانية ص ٨٨.

(٢) كتاب مفاتيح الجنان، ص٥٧٦ ـ ٥٨١.

(*) هو: أحمد بن زين الدين بن ابراهيم الإحسائي المولود عام ١١٥٧ هـ ـ (١٧٣٤م) مؤسس فرقة الشيخية (المغالية المعاصرة) واستند الوهابيون إلى كتاب (شرح الزيارة) الذي كان ألّفه الشيخ الإحسائي حيث غالى فيه في أئمة أهل البيت وأجاز لعن الخلفاء الثلاثة (أي أبي بكر وعمر وعثمان) وسبّهم، وتكفيرهم وتكفير من لم يكفِّرهم، فاستصدر بعض علماء أهل السنّة فتاوى بجواز قتل الشِّيعَة، وتكفيرهم وهكذا حتى سمحت الدولة العثمانية للوهابيين بالغارة على العتبات المقدّسة في العراق وحصول الذي حصل في النجف وكربلاء ومعاملة أهالي هاتين المدينتين على إنهم (مشركون) و(كفار)!!

(٣) راجع كتاب «رجال النجاشي» شركة الأعلمي، بيروت ط١ (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م) ص٣٥٧، رقم١٠٢٠.

وضعه ابن داوود في رجاله في عداد الضعفاء والمجروحين. ويقول المامقاني في تنقيح المقال عن هذا الرجل: «**وقوله بالجبر والتشبيه فإنه لو كان على حقيقته لأوجب فسقه بل كفره**»[١].

ويروي الأسدي هذه الزيارة عن البرمكي وهو كما قال عنه ابن الغضائري: «**محمد بن إسماعيل بن أحمد بن بشر البرمكي أبو جعفر المعروف بصاحب الصومعة، ضعيف**»[٢] وعدّه «**طه نجف**» **في رجاله من الضعفاء**.

البرمكي يروي هذه الزيارة عن النخعي، وهو «**موسى بن عمران النخعي**» حيث لم يرد له اسم في كتب الرجال ولا يُعلم من هو؟ وكيف كان؟ ولكن المامقاني يقول في «تنقيح المقال» في ذلك ترجمته له: «**إهمالهم ذكره في كتب الرجال غير قادح فيه**» وهناك نخعي واحد في الرواة وهو الذي قال له الإمام الرضا عليه السلام:

«**أُخرج عني لعنك اللَّه ولعن من حدّثك**» ولا شك أن هذا الرجل الذي يروي الزيارة الجامعة من الغُلاة. حيث يتبيّن ذلك ممّا يرويه في كتب الأخبار والزيارات كما في الرواية التي يرويها الصدوق في توحيده[٣] عن هذا الرجل (عن موسى بن عمران النخعي) عن عمه حسين بن يزيد... عن علي بن الحُسين عمّن حدثه عن عبد الرحمن بن كثير[٤] عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «**قال أمير المؤمنين** عليه السلام: **أنا علم اللَّه، أنا قلب اللَّه ولسان اللَّه الناطق وعين اللَّه وجنب اللَّه وأنا يد اللَّه**»[٥].

ولا شك في أن الإمام علي عليه السلام لم يتكلم بمثل هذه الكلمات المجسّدة والمشبّهة وهو الذي رفع لواء التوحيد وأفضل من استنّ بسنة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله **فهل**

---

(١) تنقيح المقال، عبدا لله المامقاني، القسم الثاني، ج٢، ص٩٥.

(٢) راجع كتاب «رجال الحلي» دار الذخائر، قم/ إيران (١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م) ط٢، ص١٥٥، باب محمد، رقم٨٩.

(٣) طبع بومبي، ص١٥٤.

(٤) راجع كتاب «رجال النجاشي» مصدر سابق، ص٢٢٥، رقم (٦٢١)، و«رجال الحلي» ص٢٣٩، حيث قالا فيه: «**كان ضعيفاً غمز أصحابنا عليه وقالوا: كان يضع الحديث**».

(٥) جاءت بصيغة قريبة في كتاب مفاتيح الجنان ص ٤١٤، دار إحياء التراث، زيارة أمير المؤمنين يوم ميلاد النبي صلى الله عليه وآله، على الشكل التالي: «السلام عليك يا عين اللَّه الناظرة ويده الباسطة ولسانه المعبّر عنه في بريته أجمعين».

سمعنا يومًا أن رسول اللَّه كان يدّعي لنفسه مثل هذه الإدعاءات أو أنه كان يؤكد على عبوديته للَّه وأنه بشر مثل الناس؟!

هذا من حيث السند، وقد رأينا أن راوي هذه الزيارة إما مجهول وإما مغال.

أما المضمون: فنلاحظ ما يلي:

١ ـ من البعيد جدًا، إن لم يكن ممتنعًا، أن يقوم الإمام الذي يعتبر نموذجًا للتواضع ونكران الذات بتلقين الشِّيعة بهذه العبارات المشحونة بالغُلوّ والمدح بما يقترب من مقام الإله مع العلم أنه لم يُؤْثَر عن جدهم رسول اللَّه ﷺ أن قال للمسلمين: زوروني بهذه العبارات، وكذلك لم يُنقل هذا المعنى عن أمير المؤمنين أو الحسن أو الحُسين عليهم السلام إضافة إلى مخالفة الكثير من عباراتها للقرآن الكريم.

٢ ـ نحنُ نعلم أن سلاطين الصفوية ومن أجل حسابات سياسية كانوا يثيرون بين الناس روح الغُلوّ والمبالغة في تمجيد الأعاظم والأكابر منهم، والإفراط في التذلل وتعظيم الشخصيّات، وعلى هذا الأساس نرى أن الحكومات الصفوية سعت لترويج هذا المسلك في نفوس الناس بالنسبة إلى السلاطين والأمراء، وهذا ما نراه بوضوح في كتب عُلماء الشِّيعة كالمجلسي لسلاطين الوقت[*]، وفي مقدّمات كتبهم التي يهدونها للسلاطين، ومثل هذه الزيارات الواردة في حق الأئمّة عليهم السلام تمنح السلاطين مشروعية أن يكون لهم مثل هذه الصفات والألقاب، أي تمهّد الطريق في أذهان العوام لتقبل مثل هذه النعوت والأوصاف في شأن السلاطين فلا يعترض بعدها معترض على أن هذه العبارات مخالفة للشرع والدين.

٣ ـ تقول الزيارة: **وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَة وَمَهْبِطَ الوَحْي**»[1] في حين أن هذا الوصف مختص برسول اللَّه ﷺ فإذا كان المقصود أنه في بيتهم هبط الوحي، فمعلوم أن أهل البيت عليهم السلام لم يكونوا يقيمون في بيت النبي ﷺ بل في بيوت أخرى ولم يكن الوحي يهبط في بيت النبي بالضرورة بل في كل مكان مناسب سواء كان في البيت أو المسجد أو ميدان القتال، وإن كان المراد أنهم عليهم السلام من

(*) راجع مقدمة «زاد المعاد» للمجلسي، ص٩، ١٠، وفي هذا الكتاب، ص٦٠٠ ـ ٦٠١.

(١) مفاتيح الجنان ص ٥٧٦، ٥٧٧.

ذرية من هبط عليه الوحي فلا يصح وصفهم بأنهم «مهبط الوحي» لمجرد هذا المعنى إلّا بتأويلات تعسفية وتمحلات غير متعارفة.

٤ ـ يقول واضع الزيارة واصفًا مقام الأئمّة: «**حَيْثُ لا تَلْحَقُهُ لاحِق وَلا يَفُوقُه فائِقٌ ولا يَسْبِقُهُ سابِقٌ ولا يَطْمَعُ في إدْراكِهِ طَامِعٌ**».(١)!

فلنا أن نسأل: هل كان مقام الأئمّة الرفيع نتيجة إيمانهم وعلمهم الصالح وجهادهم وكدحهم إلى الله أم كان فضلًا إلهيًا وجبرًا من عنده؟ إذا كان فضلًا وجبرًا من الله فلن يكون عندئذٍ للأئمة أي فضل، لأنهم ـ حسب هذا الفرض ـ لم يصلوا إلى هذا المقام بفضل إيمانهم وعملهم بل لأن الله جعلهم كذلك شأنهم في ذلك شأن سائر المخلوقات من الأنهار والجبال والنباتات التي جعلها الله مطيعةً لأمره لا تملك إلّا الانصياع لمراد الله وطاعته، أما إذا كان وصولهم إلى تلك المقامات العالية والقرب الإلهي منوطًا ـ كما يقول الأئمّة عليهم السلام أنفسهم ـ بعلمهم وسعيهم فعندئذٍ يجب أن نقول: إنَّ كلَّ من سعى وأطاع الله ورسوله بإخلاص سيصل إلى مقام القرب الإلهي وينعم به، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾(٢).

وعندما قال رجل للإمام الرضا عليه السلام: «**والله ما على وجه الأرض أشرف منك أبًا، فقال: التقوى شرفهم وطاعة الله أحظتهم، فقال له آخر: أنت والله خير الناس، فقال له: لا تحلف يا هذا، خيرٌ منّي من كان أتقى لله تعالى وأطوع له، والله ما نُسِخَت هذه الآية**: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾(٣)»(٤)!.

٥ ـ جاء في الزيارة: «**حَتّى لا يَبْقَى مَلَكٌ مُقرَّبٌ، وَلا نَبيٌّ مُرْسَلٌ، وَلا صَدِّيقٌ، وَلا شَهيدٌ، وَلا عَالِمٌ، وَلا جاهِلٌ، وَلا دَنيٌّ، وَلا فاضِلٌ، وَلا مُؤْمِنٌ صالِحٌ، وَلا**

---

(١) مفاتيح الجنان ص ٥٧٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٤) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ٥٨ ـ باب قول الرضا لأخيه زيد بن موسى، ج١، الحديث رقم (١٠)، ص٢٦١، ٢٦٢.

فاجِرٌ طالِحٌ، وَلا جَبّارٌ عَنيدٌ، وَلا شَيْطانٌ مَريدٌ، وَلا خَلْقٌ فِيما بَيْنَ ذلِكَ شَهِيدٌ؛ إلَّا عَرَّفَهُم جَلالَةَ أمْرِكُم وَعِظَمَ خَطَرِكُم وكِبَرَ شَأنِكُم وَتَمامَ نُورِكُمْ»(1).

فنقول هل السلاطين الجبابرة العنيدون مثل «**جنكيزهان**» و «**تيمورلنك**» و «**لينين**» و«**ستالين**» و«**هتلر**» وغيرهم عرفوا شأن الأئمّة وتمام نورهم وثبات مقاماتهم، كما عرف كل شيطان مريد مقامات الأئمّة ومنزلتهم؟!

هذه الجمل لا مستند لها ولا دليل على صحّتها، بل الدليلُ على خلافها لأن كلَّ إمام لا بدَّ عليه أن يؤمن بالمرسلين ويكون تابعًا للأنبياء. وأمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام ذاتُهُ كان يقول: «**نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللهِ ومَا وَضَعَ لَنَا وأَمَرَنَا بِالحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ ومَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ** صلى الله عليه وآله **فَاقْتَدَيْتُهُ**»(2) وبعد أن ضربه ابن ملجم قال في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: «**أَمَّا وَصِيَّتِي: فالله لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ومُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله فَلا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ وخَلاكُم ذَمٌّ**»(3).

وبالتالي فلا يمكن أن يكون التابع أعلى مقامًا من المتبوع ولا أدري لماذا يلزم علماؤنا الصمت أمام هذه الزيارات المغالية، في حين أنهم يجمعون جميعًا على أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أعلى رتبة من الأئمة عليهم السلام؟!

ونسأل كذلك: كيف يمكن أن تكون منزلة الإمام أعلى وأرفع من جميع الملائكة المقرَّبين مع أن كل المؤمنين وفي مقدمهم الإمام يجب أن يؤمنوا بالملائكة كما تقول الآية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾(4)! علمًا أنَّ أحد الملائكة المقرَّبين هو جبريل عليه السلام، الذي وصفه ربه بصفات مثل: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾(5). وجعله مُعلِّمًا لخاتم النبيِّين صلى الله عليه وآله فقال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾(6). فبناء على هذه الآيات كان

---

(1) مفاتيح الجنان ص ٥٧٩.
(2) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ط٢، ج١١، ص٧، خطبة (١٩٨).
(3) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج٩، ص١١٦، خطبة (١٤٩).
(4) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(5) سورة التكوير، الآيتان: ٢٠، ٢١.
(6) سورة النجم، الآية: ٥.

جبريل عليه السلام مُعلّمًا للنبيِّ صلى الله عليه وآله، والنبيُّ كان معلّمًا لعليٍّ بإقرار أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام نفسه، فكيف يكون مقام تلميذ النبيِّ الأكرم أعلى مقامًا من معلِّم معلِّمِه؟! ثم من أي آية أو دليل شرعي استنبط واضع هذه الزيارة أن وصي النبي الأكرم أرفع وأعلى مقامًا من جميع الملائكة والأنبياء؟!

إن لم يكن كذلك فما هذه الدعاوي أو الأكاذيب الفاقعة؟!

٦ ـ تقول الزيارة: «**وَإِيابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُم وحِسابُهُم عَلَيْكُمْ**»[١].

هذه الفقرة مخالفة للقرآن، فلقد تأسس في العقل الشِّيعي أنَّ حساب الخلق على أهل البيت عليهم السلام وهذه العقيدة يتناولها الفكر الشِّيعي بشكل دائم عند قراءة الزيارة الجامعه المستحبة، وهذه الزيارة وغيرها من الزيارات تحاول أن تُعطي ما للَّه من الصفات لأهل البيت بحُجّة أنهم حُجج اللَّه على خلقه، وهذه العبارة في القانون النبوي تخالف صريح القرآن ـ الظاهر ـ وظاهر القرآن حُجّة كما يقولون في علم الأصول ومن الواضح أن هذا الوصف مختص باللَّه تعالى كما وردت الآيات القرآنية في تقرير هذا المعنى، من قبيل قوله تعالى:

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[٢] وعندما يغيب النص القرآني تكون هذه الثقافة، فالنص القرآني يؤكد أن لا حساب للنبي على الناس كما في قوله تعالى:

﴿...مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾[٣].

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾[٤].

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٥].

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[٦].

---

(١) مفاتيح الجنان ص ٥٧٨.
(٢) سورة الغاشية، الآيتان: ٢٥، ٢٦.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٤٠.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.
(٦) سورة الشعراء، الآية: ١١٣.

بعد هذا كيف تدّعي هذه الزيارة بأن إياب الخلق إلى أهل البيت عليهم السلام وحساب الناس عليهم؟!

وقد تصدى البعض لرفع هذا التعارض وأجاب بأن الناس يعودون بإذن اللّه إلى النبي والأئمّة ويكون حسابهم عليهم كما أن قبض النفوس عند الموت نُسِبَ في القرآن الكريم إلى اللّه تعالى وإلى الملائكة أيضًا، أي أن الملائكة يقبضون أرواح الناس بإذن اللّه.

والجواب: إذا كان اللّه قد أذن للنبي الأكرم والأئمّة عليهم السلام في حساب الناس فلا معنى لأن يذكر في كتابه الكريم مخاطبًا رسول اللّه: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[1] وهكذا في مسألة قبض النفوس فلو أن القرآن الكريم لم يصرّح بأن قبض النفوس من شأن الملائكة ففي هذه الصورة لا يحق لنا أن ننسب هذا العمل إليهم. وقد أوصانا الأئمّة أن لا نقبل الروايات المخالفة للقرآن الكريم، ولا نعلم أنه إذا كانت جملة «**حسابهم عليكم**» غير متعارضة مع الآية الشريفة ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[2] إذًا فماذا يكون معنى «**الرواية المخالفة للقرآن**»؟

إننا إذا سمحنا لأنفسنا تأويل أية عبارة في القرآن الكريم وتأويلها حسب المزاج والذوق ففي هذه الصورة هل يبقى كلام مخالف للقرآن أساسًا؟ إذن فماذا تعني توصية الرسول الأكرم وأهل البيت المُتقدّمة؟ ولمن تكون؟ وما هو موضوعها؟

٧ ـ أسأل: هل يعتقد العلماء الذين يروّجون لهذا الدعاء أو هذه الزيارة ويوصون العامة بقراءتها بمفادها حقيقةً؟ فقد جاء في هذه الزيارة: «**وَمَن جَحَدَكُم كافِرٌ**»[3]! إذًا فجميع مسلمي العالم باستثناء الشِّيعة كُفّار؟! فإن كانوا كذلك فكيف تَدْعون في أغلب الأحيان إلى الوحدة الإسلامية والاتفاق مع سائر المسلمين؟ فهل تريدون التوحّد مع الكفّار؟!

يقول الإمام الصادق عليه السلام «**عودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، واشهدوا لهم وعليهم، وصلّوا معهم في مساجدهم**»[4]، ويقول الإمام الكاظم عليه السلام: «**صلى حسنٌ**

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٣) مفاتيح الجنان، ص٥٧٨.

(٤) وسائل الشِّيعة، ج٥، ص٣٨٢، حديث رقم (٨).

وحسينٌ خلف مروان ونحن نُصلّي معهم»[1]، والإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام - الذي تُنسب إليه هذه «الزيارة الجامعة»- هو ابن الإمام «محمد بن علي التقي»، المعروف بالإمام الجواد عليه السلام الذي قَبِلَ مصاهرة الخليفة العباسي «المأمون» وتزوج من ابنة الخليفة «أم الفضل»، فكيف يمكن لابنه الإمام الهادي عليه السلام أن يعتبر من جَحَدَ الأئمّة كافرًا؟ هل تُراه كان يعتقد أن أباهُ صاهر كافرًا؟!

رأي السيد محمد حسين فضل الله في هذه الزيارة:

«المسألة هي أن التعارض موجود فعلًا، وقياس الأمر بملك الموت نسبة قبض الروح تارة إلى اللَّه وتارة إلى ملك الموت، لا توجب رفع المعارضة في مورد الزيارة الجامعة. وذلك لأن قبض الروح يصح نسبته إلى اللَّه تعالى من حيث أن له الأمر والنهي، ويصح نسبته إلى الملك الموكل بايجاد ذلك في الخارج، لأن هذه هي مهمته واقعًا، ولذلك سمي ملك الموت. وأما مسألة الحساب والعقاب فهي من مختصات اللَّه وهذا ما أكدت عليه الآيات القرآنية، وليست من وظيفة أهل البيت عليهم السلام حساب الناس وعقابهم إلَّا فيما يتصل بإقامة الحدود والنظام العام لحياة الناس بما لهم من ولاية على الناس، وليس من وظيفتهم ذلك في الآخرة، ولذلك فالتعارض والمخالفة موجودان، وكل ما خالف القرآن لا يمكن اعتباره لأن الأئمّة عليهم السلام لا يقولون ما يخالف القرآن.. مع أن السند غير صحيح أيضًا، فإنَّ إطلاق صحة السند من خلال أن علوّ المضامين يغني عن ذلك ليس كلامًا صحيحًا، وما دام أن الراوي لهذه الرواية هو الشيخ الصدوق في كتاب «من لا يحضره الفقيه» وكل من أوردها نقلها عن الشيخ الصدوق، **وطريق الصدوق إلى موسى بن عبد اللَّه الجعفي راوي هذه الزيارة ضعيف، كما ذكر السيد الخوئي (قده) في «معجم رجال الحديث»** ولذلك فلا يمكن اعتبارها من خلال المتن حجَّة لإثبات العقائد المتصلة بالأئمّة عليهم السلام، واللَّه العالم»[2].

ونسأل أخيرًا: هل من الممكن أن يكون أئمة الهدى من آل الرسول عليهم السلام قد علَّمونا تلك الزيارات المملوءَةَ بالغلوّ في حقِّهم والمبالغة في المديح والإطراء والثناء عليهم

---

(١) وسائل الشِّيعة، ج٥، ص٣٨٣، حديث رقم (٩).

(٢) نقلًا عن جريدة «بينات» العدد ٣٩٣، صفر ١٤٣٣هـ كانون الثاني (يناير) ٢٠١٢م، ص٢٢.

ويخالفون بذلك تعاليم آيات القرآن الكريم التي تقول: ﴿...فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾[1]، وأيضًا: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[2].

ويخالفون أيضًا كلام الإمام علي بن أبي طالب، حينما قال:

«**الشيءُ الذي لا يحسُنُ أنْ يُقالَ وإن كان حقًّا، مدحُ الإنسانِ نفسَهُ**»[3]!؟ فأيهما نصدق هذه الزيارة المملوءَةَ بالمدح ذات السند الضعيف، أم هذه المقولة الصغيرة حجمًا لكن الكبيرة معنىً ومضمونًا والتي تتناسب وتواضع الأئمة وابتعادهم عن مدح أنفسهم؟!

الرابعة: زيارة آل ياسين

جا في كتاب «الصافي في تفسير القرآن» للفيض الكاشاني في ذيل الآية: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾[4]: «عن الصادق عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام في هذه الآية قال: **ياسين محمد ونحن آل ياسين**».

وكما نُلاحظ أنَّ الفيض الكاشاني لم يذكر جميع سند هذه الرواية عن الإمام الصادق بل بدأ عن الإمام الصادق ولكن أصل السند ورد في كتاب «**معاني الأخبار**» بهذه الصورة: «**حدّثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني (رضي اللّه عنه) قال: حدّثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي البصري، قال: حدّثنا محمد بن سهل قال: حدّثنا الخضر بن أبي فاطمة البلخي، قال: حدثنا وهب بن رافع، قال: حدثني كادح (وفي بعض النسخ: قادح) عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عن علي** عليه السلام»[5].

وفي هذا السند نرى أشخاصًا مجهولين لدى عُلماء الرجال، فلم يرد أبدًا اسم «**الخضر بن أبي فاطمة البلخي أو كادح أو قادح**» وبالطبع فمثل هذا السند لا يكون

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ط٢، ج٢٠، ص٢٩٧، حكمة (٤٠٦).

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٣٠.

(٥) معاني الأخبار، أثر الصدوق، ص ١٢٢.

موثوقًا وقابلًا للاعتماد لا سيّما أن متن الرواية مخالف للقرآن الكريم لأن الوارد في سورة الصافات هو «**سلام على إل ياسين**»[1] لا سلام على آل ياسين، وإل ياسين هو إلياس النبي حيث تُلفظ هذه الكلمة بصورتين مثل كلمة «طور سيناء». و«طور سنين» حيث ورد بكلا الصورتين في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾[2] ﴿وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾[3] وإل ياسين بإضافة الياء والنون هو للتعظيم، أي لتعظيم إسم النبي إلياس وكذلك فصل اللام عن الياء في إلياس حيث جاءت إل ياسين.

والشاهد الجلي على هذا الموضوع هو أن الوارد في سورة الصافات في بداية هذا المقطع الشريف قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾[4] ثمَّ نقرأ بعد ذلك ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾﴾[5] فلو كان المقصود من «إل ياسين» هو آل محمد عليهم السلام لكان اللازم أن يعود إليهم ضمير الجمع لا ضمير المفرد فتكون الآية «إنهم من عبادنا المؤمنين» وسياق سورة الصافات أيضًا ينبغي أن يكون المراد من «إل ياسين» هو إلياس النبي لأن السورة المذكورة ابتدأت بذكر رسالة بعض الأنبياء الإلهيين ثمَّ دعوتهم التوحيدية وفي الخاتمة تسلّم على ذلك النبي، ولا دليل على أن الآيات عندما تصل إلى إلياس النبي تغيّر من سياقها وتسلّم على آل النبي محمد بعد ذكر إلياس النبي.

الخامسة: أعمال شهر رجب

جاء في فضل شهر رجب وأعماله ـ العمل الثامن[6]: روى السيد ابن طاووس وأصله مذكور في كتاب «الاقبال» لابن طاووس وهو:

علي بن محمد البرسي قال: أخبرنا الحُسين بن أحمد بن شيبان، قال: حدثنا حمزة بن القاسم العلوي العباسي، قال: حدثنا محمد بن عبد اللّه بن عمر البرقي، عن محمد بن علي الهمداني قال: أخبرني محمد بن سنان، عن محمد السجاد في حديث طويل قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: جُعلت فداك هذا رجب علمني دعاء

(١) سورة الصافات، الآية: ١٣٠.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٢٠.
(٣) سورة التين، الآية: ٢.
(٤) سورة الصافات، الآية: ١٢٣.
(٥) سورة الصافات، الآيتان: ١٣٠، ١٣١.
(٦) مفاتيح الجنان ص ١٧٣.

ينفعني اللّه به قال: فقال لي أبو عبد اللّه عليه السلام: أكتب «بسم اللّه الرحمن الرحيم وقل في كل يوم من رجب صباحًا ومساءً وفي أعقاب صلاتك في يومك وليلتك:

«**يا مَن أرجوه لكل خير وآمن سخطه من كل شر. . . . إلخ**»[1].

ونلاحظ على هذا الدعاء، أنه بلحاظ السند غير موثوق ولا ينبغي الاعتماد عليه وكذلك بالنسبة إلى المتن والدلالة لأنه:

أولًا: إن من بين رواة هذا الحديث «**محمد بن سنان**» حيث يقول عنه ابن الغضائري بنقل العلّامة الحُلّي: «**إنه ضعيف غالٍ لا يُلتفت إليه**»[2]، ويقول النجاشي في حقه: **هو «رجل ضعيف جدًا لا يُعَوَّل عليه ولا يُلتفت إلى ما تفرّدَ به»**[3].

ويقول الشيخ أبو عمرو الكشّي في رجاله (ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩):

عن أيوب بن نوح أنه كان يقول: «**لا استحلّ أن أروي أحاديث محمد بن سنان**» وفي الصفحة ٣٦٠ يقول: «**روى حمدويه بن نصير عن أيوب بن نوح أن «محمد بن سنان» قال حين وفاته: «كل ما أحدثكم به لم يكن لي سماعًا ولا رواية، إنما وجدته»**»!.

وقال ابن داوود في رجاله (ص٥٠٥) بعد ذكره لمحمد بن سنان في قسم الضُعفاء: «إن محمد بن سنان كان يقول: **لا تَرْووا عنّي مما حدّثتُ شيئًا، فإنّما هي كُتُبٌ اشتريتُها من السوق**»! والغالب على حديثه الفساد وعلماء الرجال متّفقون على أنه من الكذّابين.

إذن فالحديث الذي يتفرّد محمد بن سنان في نقله عن محمد السجاد عن الإمام الصادق **غير موثوق**.

والملاحظ أنَّ الشيخ عباس القمّي لم يذكر أو يورد «محمد بن سنان» عند نقله لهذه الرواية في كتابه «مفاتيح الجنان» والمؤكد أنه يعلم أنه ضعيف غالٍ لا يلتفت إليه. وكل من سيقرأ هذا الدُّعاء دون وجود هؤلاء الرواة الغُلاة لن يُشكل على هذه الرواية، هذا عدا أنه سيعتقد وسيجزم أن هذا الدعاء صادر عن أئمتنا عليهم السلام. . .!

---

(١) إقبال الأعمال، ص ١٤٣.

(٢) رجال الحلي، دار الذخائر/ قمّ، ط٢ (١٣٨١ ـ ١٩٦١م) ص٢٥١.

(٣) رجال النجاشي الأعلمي/ بيروت، ط١ (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م) ص٣١٣.

ثانيًا: إن الجملة الثانية الواردة في الدعاء مخالفة للقرآن الكريم، حيث وردت العبارة في هذا الدُّعاء في مفاتيح الجنان «**وآمن سخطه عند كل شر**» ولكن في الاقبال يقول: «**وآمن سخطه من كل شر**» وفي مصباح المتهجّد «**وآمن سخطه عند كل عثرة**» وعلى أية حال فإنَّ هذه العبارات الثلاث تُعطي مفهومًا واحدًا وهو أن الإنسان يأمن مكر اللّه وغضبه عندما يرتكب الخطأ والشر، وهذا المعنى مخالف لما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾[١] أجل فإنَّ المؤمن بمجرد أن يصدر منه الشرّ ويرتكب الخطيئة يشعر في قرارة نفسه بالخوف من غضب اللّه تعالى ويدعوه هذا الخوف إلى الاستغفار والتوبة لا أن يعيش بأمن وطمأنينة بعيدًا عن سخط اللّه تعالى عند ارتكاب الخطأ والشرّ. والعجيب أن الشيخ الطوسي مع أنه ضعّف «**محمد بن سنان**» وهو نفسه من جملة المفسّرين للقرآن الكريم في تفسيره «**التبيان**» ومع ذلك أورد هذا الدعاء المزيّف في كتابه «**مصباح المُتهجّد**» وليس ذلك سوى نتيجة الغفلة والتسرع والأخذ بالقاعدة المشهورة «**التسامح في أدلة السنن**» في حين أن السُنن المنقولة هي كالفرائض المأثورة يجب أن توافق القرآن الكريم، ولا شك أنّها تسقُط عند تعارضها مع تعاليم القرآن، بل يثبت بذلك بطلانها وكذبها.

السادسة: أعمال يوم الجمعة:

جاء في أعمال يوم الجمعة العمل الرابع والعشرون[٢]: وروى عنه (أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام): «**من قال بعد صلاة الفجر أو بعد صلاة الظهر: اللّهُمَ اجعل صلاتك، وصلاة ملائكتك ورُسُلك على محمد وآلِ محمد لم يُكتب عليه ذنب سنة**»[٣].

وقد نقلها الشيخ عباس القمّي نقلًا عن الشيخ الطوسي، أما سند الشيخ الطوسي لهذه الرواية فلم يذكره ليتمكن الباحث من التحقيق فيه، ولكن فساد المتن وبطلانه ممّا لا غُبار عليه لأنه يدل على أن الصلاة على محمد وآلِ محمد تُبيح للإنسان ارتكاب الخطايا والذنوب لمدة سنة كاملة وبذلك يتجرأ الناس على المعاصي خلافًا لمقاصد الشريعة وغايات الدين الإلهي في خلق روح التقوى لدى

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٩.

(٢) مفاتيح الجنان، ص ٧٨.

(٣) مصباح المتهجد، ص ٢٦٣.

الإنسان وحثّه على مجاهدة نفسه وتهذيبها، فكيف الحال إذا صلى الإنسان في كل سنة مرة واحدة إلى آخر العمر؟ فهذا يعني أنه لا يكتب من ذنوبه شيء. إذن فالدّعاء والصلاة على النبي يُعتبر ناسخًا للمحرّمات، واعتقد أن مقام الإمام الصادق عليه السلام أسمى من أن يقرر فضيلة للصلاة على محمد مثل هذه.

إن تأثير الدعاء المزيّف في وجدان الإنسان وقلبه يخدعه ويجعله يتصوّر أنه في مأمن من عذاب اللَّه وسخطه عند ارتكاب المعصية والشرّ فلا يتحرك في خط التوبة والاستغفار طالما أنه يوجد مثل هذا العمل البسيط، إذا قام به فلن يُكتب له ذنب سنة، وذلك هو الخسران المبين..!

السابعة: دعاء كل يوم من أيام رجب:

روى الشيخ أنه خرج هذا التوقيع الشريف من الناحية المقدَّسة على يد الشيخ الكبير أبي جعفر محمَّد بن عثمان بن سعيد (رضي الله عنه)، ادع في كل يوم من أيام رجب[1]: ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعٰانِي جَمِيعِ مٰا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاٰةُ أَمْرِكَ ٱلْمَأْمُونُونَ عَلَىٰ سِرِّكَ ٱلْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ، ٱلْوٰاصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ ٱلْمُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ أَسْأَلُكَ بِمٰا نَطَقَ فِيهِم مِن مَشِيئَتِكَ فَجَعَلْتَهُم مَعٰادِنَ لِكَلِمٰاتِكَ وَأَرْكٰانًا لِتَوْحِيدِكَ وَآيٰاتِكَ وَمَقٰامٰاتِكَ، **ٱلَّتِي لاٰ تَعْطِيلَ لَهٰا فِي كُلِّ مَكٰانٍ** يَعْرِفُكَ بِهٰا مَن عَرَفَكَ، **لاٰ فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهٰا إِلاَّ أَنَّهُم عِبٰادُكَ** وَخَلْقُكَ فَتْقُهٰا وَرَتْقُهٰا بِيَدِكَ، ... إلى أن يقول: وَمُوجِدَ كُلِّ مَوْجُودٍ وَمُحْصِيَ كُلِّ مَعْدُودٍ، **وَفٰاقِدَ كُلِّ مَفْقُودٍ**... إلخ».

أولاً: أقول: ولد الشيخ الطوسي بعد مائتي عام من وفاة محمد بن عثمان، ولم يعاصره قط، فمن هم الرواة الذين بينه وبين محمد بن عثمان؟

ثانياً: لقد صوّر الراوي الله تعالى كعبد ضعيف من عباده، فإنه يقول: «بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك»، ثم يقول: «وأنت الذي جعلت هؤلاء الولاة معادن كلماتك وأركان توحيدك ومقاماتك».

فهل لله تعالى مقامات يرتقي فيها المرء من الأدنى إلى الأعلى؟! وكيف جعل ولاته أركان مقاماته؟! «سبحانك إن هذا بهتان عظيم» فليس الله بحاجة إلى ولاة لأمره، ولن يكون البشر أركان مقامات ربه! فليس لمثل هذا الهراء معنى.

---

(1) كتاب مفاتيح الجنان، دار إحياء التراث العربي/ بيروت (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م) ط ١، ص ١٧١.

ثم يتمادى فيقول: «لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك».

ولنا أن نتساءل: أهذا كلام عاقل! لا فرق بين الخالق والمخلوق؟!

فالخالق واجب الوجود، قائم بذاته في حين أن العبد ممكن الوجود ويحتاج إليه وفقير بين يديه، والله هو الغني بذاته؟!

ما هذا الرب الذي يقدمونه إلينا، لا فرق بيننا وبينه! ثم فيما يبدو لم يكن الراوي عربيًا، أو لم يكن يجيد العربية جيدًا، فقد ذكر الولاة مرة بصيغة التذكير وأخرى بصيغة التأنيث، فقد عدهم في جملته «بينك وبينها» من الإناث، في حين أن ذكرهم في جملته «إلا أنهم» بضمير «هم»!

ثم قال: «أعضاد وأشهاد ومناة وأزواد وحفظة ورواد».

فقد قدم لنا هذا الراوي المجنون ربًا ضعيفًا يعتمد على عبيده، فالعباد له أعضاد يدافعون عنه وحفظة يحفظونه!!

يقول الشيخ محمد تقي التستري في كتابه «**الأخبار الدخيلة**» أن هذا الدُّعاء «**موضوع**» والذي يدل على وضعه نعدد بعضها:

١ ـ قوله: «**التي لا تعطيل لها في كل مكان**» هذا الموصول واقع على أي شيء هل على (**ولاة أمرك**)؟ مثل (**المأمونون... إلى المعلنون**) فلا يستقيم اللفظ بل والمعنى أيضًا، أو على (**وآبائك ومقاماتك**)؟ فلا يستقيم المعنى بل اللفظ أيضًا.

٢ ـ قوله: (**لا فرق بينك وبينها إلَّا أنهم عبادك وخلقك**) فإنه يقتضي تساوي الملائكة ـ فهم المرادون من قوله (**وآياتك**) وإن كان اللفظ قاصرًا عنه، لأن الملائكة لم يكونوا مقاماته تعالى بل يكون لكل منهم مقام منه تعالى، قال تعالى حاكيًا عنهم (**وما منّا إلَّا له مقام معلوم**) مع اللَّه تعالى في جميع صفاته تعالى غير عنوان الخالقية والمخلوقية، فيكون نظير أن يُقال: **فلان كالسلطان غير أنه ليس له سلطنة أي أنه مثله في كمالاته سوى سلطنته وهو كفرٌ محض**.

٣ ـ قوله: (**وفاقِدَ كُلِّ مفقودٍ**) فإنَّ معناه أنه تعالى لم يجد ما فقده وهو كفر فإنَّ معنى (**فقد الشيء**) ذلك، قال تعالى: ﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ۝٧٢﴾؟ ولو كان بلفظ (**وواجد كل مفقود**) كان له معنى.

هذه بعض ملاحظات التستري على هذا الدُّعاء مع أن هذا الدُّعاء كما يقول التستري ضعيف الخبر بابن عياش، حيث قال عنه النجاشي: «**سمعت منه شيئًا كثيرًا ورأيت شيوخنا يضعّفونه فلم أروِ عنه وتجنبته**»، وخبير بن عبد اللَّه الذي روى عنه ابن عياش، عن محمد بن عثمان **ليس له إسم في الرجال**.

وبالجملة فلو لم يكن في هذا الدعاء إلَّا عبارة (لا فرق بينك وبينها إلَّا أنهم عبادك وخلقك) لكانت دليلًا كافيًا على أن هذا الدُّعاء موضوع».

يقول آية الله العظمى الإمام الشيخ محمد الخالصي:

«يجب على المجتهدين أن يُحَرِّموا رواية وقراءة أحاديث الغُلاة وأدعيتهم الموضوعة، من جملتها الأذواد والذي وردت فيه العبارة التالي: (لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك) الوارد في بعض الكتب في أدعية شهر رجب، وقد قال المجلسي في بحار الأنوار إنَّ هذا الدعاء من اختلاقات الصوفية، ويستند الشيخية إلى هذا الدعاء كثيرًا، وحسبما قمت به من تحقيق بخصوص هذا الدعاء الموضوع فقد تبيّن أنه من اختلاقات المجوس لا الصوفية»[1].

ويعلّق على ذلك المحقق الشيخ هادي الخالصي فيقول:

«الوضع جلي في هذا الدعاء إذ القول فيه إلى الله أنه لا فرق بينك وبينهم (النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام) هو بحد ذاته أمر واضح البطلان، إذ كيف لا يكون فرق بين رب العالمين سبحانه وتعالى وبينهم وهم عبيد له وهو خالقهم، وإذا كانت العبودية هي كل الفرق فما معنى القول أنه لا فرق بينك وبينهم»؟![2]

الثامنة: في أعمال نهار الجمعة:

جاء في أعمال نهار الجمعة[3] في الفقرة السابعة: «**إعلم أن بقراءة آية الكرسي على التنزيل في يوم الجمعة فضلًا كثيرًا**».

فما معنى آية الكرسي على التنزيل؟

يُجيب الشيخ عباس القمّي على ذلك في الحاشية تحت بهذا الجواب:

---

(١) (٢) نقلًا عن كتاب «علماء الشِّيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين» دار ومكتبة الهلال/ بيروت، ط١ (٢٠٠٩م) ص٤٨.

(٣) مفاتيح الجنان، دار إحياء التراث العربي/ بيروت (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) ط ١، ص ٦٣.

قال العلّامة المجلسي: آية الكرسي على التنزيل على رواية علي بن إبراهيم والكليني هي كما يلي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾[(١)] ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦﴾[(٢)]. ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾[(٣)] ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ﴾ . . . إلى - ﴿...وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾[(٤)].

وكما نرى فإنَّ هذه الرواية تواجه خللًا أساسيًا غير قابل للإصلاح، وهو أنّها تدّعي أن آية الكرسي قد حُرّفت في القرآن الكريم وأن الآية الصحيحة هي ما وردت في هذه الرواية، وهذا الإدّعاء يزلزل أساس الإسلام ويسقط القرآن الكريم من مرتبة الحُجّية، والعبارات الواردة في هذه الرواية في ضمن آية الكرسي هي كلمات واردة في مواضع أخرى من القرآن الكريم، مثلًا ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦﴾ هي الآية السادسة من سورة طه نفسها، وكذلك ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢﴾ هي قسم من الآية الثانية والعشرين من سورة الحشر.

وقد ثبت في محلّه أن القرآن الكريم مصون عن أي تحريف وتبديل ولا تمسُّه أيدي المحرّفين والجاعلين والوضّاعين، ومثل هذه الروايات غير قابلة للاعتماد إطلاقًا كما أن علماء الفرقة الإمامية كالشريف المرتضى والشيخ الطوسي والشيخ الطبرسي وآخرين ذهبوا جميعًا إلى عدم تحريف القرآن، ومن جملة أدلتهم على هذا الأمر ما ورد في المتواتر عن رسول اللّه وأهل البيت بعرض الأحاديث والروايات على القرآن الكريم لمعرفة الحق من الباطل فيها، فلو كان القرآن الكريم قد أصابته يد التحريّف في هذه السورة وغيرها فلا يمكن اعتباره معيارًا للحق والباطل وميزانًا لتشخيص الحديث الصحيح من السقيم، والدليل الأقوى قول اللّه تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾[(٥)] أي حافظون له من التحريّف والضياع.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة طه، الآية: ٦.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ٢٥٥، ٢٥٧.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩.

التاسعة: فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام

جاء في فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام[1] عن الشيخ المفيد **قصة هارون الرشيد وخروجه إلى الصيد وعثوره على قبر أمير المؤمنين عليه السلام من خلال لجوء الظباء إلى المكان الشريف وامتناع الصقور والكلاب عن التحرُّش بها وصيدها**، وهذا يعني أن القبر كان مجهولًا حتى عصر هارون الرشيد (أي في زمن الإمام الكاظم عليه السلام) ولكن الشيخ عباس القمّي نفسه بعد سبع صفحات تقريبًا يروي أيضًا عن الإمام الباقر عليه السلام (والإمام الباقر طبعًا كان قبل عصر الإمام الكاظم عليه السلام) أنه زار القبر الشريف مع والده الإمام زين العابدين عليه السلام ثمَّ أوصى الشِّيعة أن يزوروه بتلك الزيارة وقال: «**ما قال هذا الكلام ولا دعا به أحد من شيعتِنا عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، أو عند قبر أحد الأئمّة إلَّا رفع دُعَاءُهُ في درج من نور وطبع عليه بخاتم محمد صلى الله عليه وآله، وكان محفوظًا كذلك حتى يُسلّم إلى قائم آل محمد عليهم السلام فيلقى صاحبه بالبشرى والتحية والكرامة إن شاء اللَّه تعالى**» ـ الزيارة الثانية المعروفة بأمين اللَّه[2].

ومرة ثالثة يروي الشيخ عباس القمّي في المفاتيح ـ الزيارة السادسة ـ أن سيف بن عميرة قال: «**خرجت مع صفوان الجمّال وجماعة من أصحابنا إلى العزي فزرنا أمير المؤمنين عليه السلام فلما فرغنا من الزيارة صرف صفوان وجهه إلى ناحية أبي عبد اللَّه عليه السلام وقال: نزور الحُسين بن علي عليه السلام من هذا المكان من عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام وقال صفوان: وردت ههنا مع سيدي الصادق عليه السلام ففعل مثل هذا ودعا بهذا الدُّعاء ثمَّ قال لي: يا صفوان تعاهد هذه الزيارة. . .**»[3].

فنلاحظ أن الرواية الأولى لو صحّت، فهذا يعني بطلان الرواية الثانية والثالثة، لأنهما تدلان على أن قبر أمير المؤمنين عليه السلام كان معروفًا لدى الشِّيعة قبل ذلك بمدة طويلة، إضافة إلى أن من البعيد جدًا أن يكون القبر معروفًا في زمان الإمام زين العابدين عليه السلام كما تقول الرواية الثانية لأن الإمام زين العابدين عليه السلام كان معاصرًا لحكومة مروان وعبد الملك بن مروان وكان بنو أميّة يلعنون أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر ولا يؤمن معها أن يقوموا ـ في حال عثورهم على القبر ـ بالاعتداء على القبر

---

(١) مفاتيح الجنان، ص ٣٧٩.

(٢) مفاتيح الجنان، ص ٣٩٠، ٣٩١.

(٣) مفاتيح الجنان، ص ٣٩٤.

ونبشه أو يقوم بذلك الخوارج، وهذا ما يتنافى مع الحكمة من وصية أمير المؤمنين عليه السلام بأن يبقى قبره مجهولًا. أما الرواية الثالثة فتُقرر أن الإمام الصادق عليه السلام زار القبر ومعه صفوان الجمّال، ومعلوم أن الإمام الصادق كان مُعاصرًا لبداية الحكم العباسي وقد جاء إلى بغداد مرة عندما استدعاه المنصور إليه، ولكن لم يُذكر مجيء الإمام الصادق عليه السلام لزيارة القبر الشريف في النجف في الكتب المعتبرة.

ولمعرفة من هو صفوان الجمّال سأعرض عليكم رواية منقولة عنه:

«عن صفوان الجمّال قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام لما أتى الحيرة: هل لك في قبر الحُسين؟ قلت: وتزوره جعلت فداك؟ قال: وكيف لا أزوره والله يزوره في كل ليلة جُمعة يهبط مع الملائكة إليه والأنبياء والأوصياء ومحمد أفضل الأنبياء ونحن أفضل الأوصياء. فقال صفوان: جعلت فداك! فنزوره في كل جمعة حتى ندرك زيارة الرب؟ قال: نعم يا صفوان...»[1].

قلتُ: لعلَّ الله تعالى ـ والعياذ بالله ـ يُريد أيضًا أن ينال ثواب الزيارة!!!

وهل هذا الحديث إلاَّ تجسيم لله تعالى؟! وكيف يهبط الله تعالى مع أنه ليس مُتحيزًا حتى يتحرَّك وينزل ويصعد!!

ثمَّ نأخذ على الآخرين قولهم بالتجسيم وكتب الحديث عندنا مليئة بالأحاديث التي تروي نزول الله من عرشه إلى الأرض!![2]

هذا بعض من أحاديث صفوان الجمّال، وإذا عرفنا ما يروي نعرف من هو صفوان الجمّال؟!

العاشرة: ضمن أعمال يوم الجمعة

ورد ضمن أعمال يوم الجمعة هذه الرواية: «**أكل الرمّان على الرّيق، وأكل سبعة أوراق من الهندباء قبل الزوال**»، وعن موسى بن جعفر عليه السلام قال: «**من أكل رمّانة يوم الجمعة على الرّيق نورّت قلبه أربعين صباحًا، فإنْ أكل رمانتين فثمانين**

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٩٨، ص٦٠، ٧٧، ١٣٠، ونقلها المجلسي عن كتاب «كامل الزيارات» لابن قولويه.

(٢) راجع: وسائل الشِّيعة، الحر العاملي، ٩٦٢٠، الحديث٣، ج٦ الباب٤٠، أصول الكافي، الكليني، ج١، كتاب التوحيد(باب الحركة والانتقال) ص١٢٦، الحديث ٤، فروع الكافي، الكليني، المجلد الثالث، رواية رقم (٦).

يومًا فإنْ أكل ثلاثة فمائة وعشرين يومًا وطردت عنه وسوسة الشيطان ومن طردت عنه وسوسة الشيطان لم يعص اللّه ومن لم يعص اللّه أدخله اللّه الجنة»[1].

ترى هذه الرواية تقرر في مضمونها قضية تجريبية لا غيبيّة وهي أن من يأكل الرمّان يوم الجمعة فإنه ينوّر قلبه ويطرد عنه وسوسة الشيطان ولم يعص اللّه، وكل إنسان بإمكانه تجربة هذا الأمر عملًا للتأكد من صدقه أو كذبه، وليت الشيخ عباس القمّي جرّب واقعية هذه الرواية قبل أن يسردها في كتابه المذكور، ولو كان قد جرّبها فلا أظنه يجرؤ على نقلها، ولكن عقلية التبعية والالتزام الحرفي بالنصوص يورث الإنسان هذا الجمود الذهني والتحجّر العقلي.

والعجيب أن هذه الرواية تذكر في مضمونها معادلة مركبة من أن كل من أكل رمانة واحدة فإنه يسلم من الوسوسة ويكون قلبه نورانيًا وبعيدًا عن الشيطان وكل من كان كذلك فإنه لا يعصي اللّه وسوف يدخل الجنة، إذن «**فكل من يأكل رمانة فسيدخل الجنة**» فهذه الرواية سهلت للناس دخول الجنة إلى هذا الحد، فهل ينسجم ذلك مع تعاليم الإسلام السامية؟ أو أن هذه الرواية قد وضعها بقّال المدينة، الذي يبيع الرمّان والهندباء ليكتسب بهذه المجعولات؟

ومثل هذه الروايات تذكرنا برواية أبي هريرة: من أكل من ثوم (بصل) عكا كأنه حجَّ مكة؟

فكما نأخذ على الآخرين روايات تكون محل استهزاء وسخرية فإننا مبتلون بمثلها وبأعظم منها!

وقد ورد في أعمال ليلة الجمعة ما يشبه رواية الرمّان ولكن بطريقة أخرى حيث جاءت: أن يأكل الرمّان كما كان يعمل الصّادق عليه السلام في كل ليلة جمعة ولعلّ الأحسن أن يجعل الأكل عند النوّم، فقد روى: «**أنّ من أكل الرمّان عند النوم، أمن في نفسه إلى الصباح، وينبغي أن يبسط لأكل الرمّان منديلًا يحتفظ بما يتساقط من حبّه، فيجمعه ويأكله، وكما ينبغي أن لا يُشرك أحدًا في رمانته»**[2].

السؤال: كيف يكون أكل الرمان أمان للنفس إلى الصباح؟! والظاهر من هذا

---

(١) مفاتيح الجنان، أعمال نهار الجمعة، الرابع عشر، ص ٦٤.

(٢) مفاتيح الجنان، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ص ٦٠.

البقّال أنه كان يبيع المناديل أيضًا فجعلها ضمن الرواية ولضمان كثرة البيع قال: «**كما ينبغي أن لا يشرك أحدًا في رمانته**» فهكذا يسوّق لبضاعته أكثر. . .

إن هذه الروايات وأمثالها توجّه إهانة كبيرة للإمام الذي يتعالى عن الأنانيات، فهل من المعقول من الإمام عليه السلام أن يدعو إلى صفة سيئة وهي الأنانية. . .!؟

الحادية عشر: يوم النصف من شهر رمضان

جاء في الليلة الخامسة عشرة من أعمال يوم النصف من شهر رمضان:

عن الصادق عليه السلام: «**إنّه قيل له ما ترى لمن حضر قبر الحُسين عليه السلام ليلة النصف من شهر رمضان؟ فقال: «بخ بخ، من صلّى عند قبره ليلة النصف من شهر رمضان عشر ركعات، من بعد العشاء، من غير صلاة الليل، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ عشر مرات، واستجار باللّه من النار، كتبه اللّه عتيقًا من النار، ولم يمت حتى يرى في منامه ملائكة يبشّرونه بالجنة، وملائكة يؤمنونه من النار**».

طبعًا هناك الكثير من زوار قبر الحُسين عليه السلام في ليلة النصف من شهر رمضان، قد قاموا بتلك الأعمال، إلّا أنهم ماتوا ولم نسمع أحدًا منهم قد رأى هؤلاء الملائكة يبشّرونهم بالجنة ويؤمنونهم من النار؟!

ولكم الحكم على هذه الرواية من خلال تجربة ذلك. . .!؟

الثانية عشر: أعمال شهر ربيع الأول

جاء في اليوم التاسع في الفصل التاسع من أعمال شهر ربيع الأول:

«**عيد عظيم، وهو عيد البَقر، وشرحه طويل مذكور في محلّه، وروي أن من أنفق شيئًا في هذا اليوم غفرت ذنوبه، وقيل يستحب في هذا اليوم إطعام الإخوان المؤمنين وإفراحهم، والتوسّع في نفقة العيال، ولبس الثياب الطيبة، وشكر اللّه (تعالى) وعبادته، وهو يوم زوال الغموم والأحزان، وهو يوم شريف جدًا**»[1].

(لم يُعرف منشأٌ واضحٌ لهذه المناسبة، وقد تصدّى البعض لإثبات أصل لها لكن محاولتهم غير مقنعة ولا يساعد عليها الدليل، فذكروا لأصل هذه المناسبة عدة وجوه، منها وجهان ذكرهما الشيخ عباس القمي:

(١) مفاتيح الجنان، ص ٣٣٤.

الأول: إن التاسع من ربيع الأول يمثّل أول يوم من إمامة الإمام المهدي عليه السلام باعتبار وفاة أبيه العسكري عليه السلام في الثامن من ربيع الأول ولمّا كان الإمام المنتظر عليه السلام هو الذي على يديه يسود العدل وينتصف المظلوم من الظالم فيكون يومًا مفرحًا للزهراء عليها السلام حيث يعود إليها حقها، وهذا الوجه غير صالح لتفسير المناسبة لأن الإمام اللاحق تبدأ إمامته الفعلية ويقوم بالأمر بمجرد وفاة السابق لأن الأرض لا تخلو من حجّة ولا يُنتظر بهذا المنصب الإلهي خاليًا حتى تتم مراسيم (التنصيب) ثمَّ إنَّ قيام المهدي عليه السلام بالأمر هو فرحة لكل مظلوم ومستضعف ولكل محب للخير والعدل والسلام ولكل من يرنو لإعلاء كلمة الحق وسيادة التوحيد الخالص ولا تختص الفرحة بالزهراء عليها السلام، مع مخالفته لظاهر العنوان من كون الفرحة حالة عاشتها الزهراء عليها السلام فعلًا.

الثاني: إنَّهُ يوم طُعن فيه أحد الذين ظلموا الزهراء عليها السلام واعتدوا عليها وماتت وهي غاضبة عليه، ففي مثل هذا اليوم بُقرت بطنه لذا سمّاه البعض[1] (عيد البَقْر) وهذا الوجه وإن كان هو الظاهر من أفعال المحتفلين إلَّا أنه أيضًا غير صحيح لعدة أمور: ـ

١ ـ إن هذه الحادثة وقعت في أواخر ذي الحجة كما تشهد به التواريخ[2] وليس في ربيع الأول.

٢ ـ إنها وقعت بعد وفاة الزهراء عليها السلام والمفروض أنّها فرحة عاشتها الزهراء عليها السلام في حياتها وليست تخيّلية.

٣ ـ إن هذا الفهم غير لائق بأخلاق أهل البيت عليهم السلام البعيدين عن الشماته والتشفّي والأنانية لمجرد التشفّي والانتقام فإنهم لم يفرحوا ولم يحزنوا لأنفسهم وإنما كانت كل أعمالهم ومشاعرهم وأحاسيسهم للّه وحده لا شريك له وإذا فرحوا لموت أو مقتل أحد ـ كعبيد اللّه بن زياد قاتل الحُسين عليه السلام ـ فلأن فيه إجراءً لسُنّة اللّه تعالى في الظالمين وموعظة للناس، ويبدو أن هذا الوجه من صنع أهل التعصّب والعاطفة المذهبية.

الثالث: إن في هذا اليوم وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هجرته إلى مسجد قبا في ضواحي المدينة وبذلك فرحت الزهراء عليها السلام بسلامة أبيها من طلب مشركي قريش.

---

(١) ذُكر أيضاً في كتابه (وقائع الأيام).

(٢) راجع كتاب (وقائع الأيام: ١٤٣).

أقول: صحيح إن أرباب السير ذكروا أن دخول النبي ﷺ المدينة كان في هذا التاريخ[1] إلَّا أنَّ هذا الوجه لا يرتضيه المحتفلون بعيد الزهراء لأن مرادهم معنى آخر، ثمَّ إن هذا الحدث لو كان عيدًا يُحتفل به لاحتفلت به الزهراء عليها السلام نفسها في حياتها وقد تكررت ذكراه إحدى عشرة مرة إلى حين وفاتها عليها السلام)[2].

الثالثة عشر: أعمال النوروز، وأعمال الأشهر الرومية وعامة الشهور

ذُكر في هذا الفصل[3] عدة أعمال عديدة ولكن قبل أن نعرض بعض ما جاء بها، علينا أن نعرف ما هو «عيد النوروز»؟

«عيد النوروز هو من أشهر الأعياد التي عرفها الشرق وأقدمها، ويصادف قدومه مع بداية شهر الربيع في (٢١ آذار) في أول السَنة الشمسية عند الكرد والفُرس.

التصق عيد النوروز في الوعي واللاوعي المشرقي القديم بالأسطورة التي كرّستها خيالات تلك الثقافات سيّما الكردية والفارسية التي كانت تتماشى مع الذوق الديني الأسطوري العام في الثقافات الإنسانية المنحرفة عن الديانات السماوية، والتي كانت تمثّل للصراع بين قوى الظلام والنور، أو الخير والشر، أو الفضيلة والرذيلة، فالأسطورة الفارسية تقول: أن ملكًا اسمه «جمشيد بن طهمورث» أحد ملوك إيران القدماء، وقد سُخّر للملك جمشيد من المُلك ما لم يكن لأحد من قبله، فتنقل بمركبته في أطراف الأرض، ووضع الجن تحت إمرته، وطار إلى كل الممالك على سرير مرصّع بالجواهر، حمله الجن في أول يوم من السَنة وقت حلول الشمس في برج الحمل، فسرَّ سرورًا عظيمًا، وانتشى بأقداح الخمر الصوفي الإلهي، فعُرف ذلك اليوم بـ«النوروز» ليبقى عُرفًا مقدّسًا لدى شعوب إيران[4].

إذًا هو عيد يحتفل به الإيرانيون والأكراد بمناسبة بداية الربيع كما يوافق رأس العام الفارسي، وإذا أحسنَّا الظن فإنه ليس ضد الإسلام إنّما هو عيد قومي يختص

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٩٨.

(٢) من دروس آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي، بتاريخ ٩/ ربيع الأول/ ١٤٢١هـ، المصادف ١٢/ ٦/ ٢٠٠٠ م.

(٣) الفصل الحادي عشر، مفاتيح الجنان، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(٤) نقلاً عن كتاب («عيد نوروز» الأصل التاريخي والأسطورة) دار الزمان، ٢٠٠٨ م، عبد الكريم شاهين.

بالفرس، وعندما قامت وتأسست الجمهورية الإسلامية الإيرانية لم يتمّ وقف العيد، بل إن كبار القادة الدينيين يحتفلون به باعتباره من تقاليد الأُمّة الإيرانية.

والخلاصة أنه لا علاقةَ لنا نحنُ المسلمين العرب بهذا العيد، لا من قريب ولا من بعيد...!!

سُئل السيد محمد حسن الكشميري(*) عن هذا العيد فقال:

(إنَّ هذه الأمور هي من الإرث الساساني (الزرتشتية) وقد محاها الإسلام. حتى أن الإمام الكاظم عليه السلام أنكر على المنصور الدوانيقي لما طلب منه الجلوس في ديوانه يوم النوروز لاستلام الهدايا فقال له الإمام منكرًا عليه: «**أن هذا أمرٌ محاه الإسلام...**»[1] إن تسمية يوم النوروز بالعيد خطأ فادح. وقد كتبت رسالة مفصلة في العام الماضي حول هذا الأمر إلى قائد الثورة الإمام الخامنئي (دام ظلّه) وأشرتُ في الرسالة إلى أن الإمام الخميني (رضوان الله عليه) لم يسمِّ هذا اليوم بالعيد طوال حياته وحتى أيام مسؤولياته وإنما كان يسميّه بيوم الطبيعة أو اليوم الجديد. كما طلبتُ من سماحته أن يحوّل عطلة النوروز إلى عيد الأضحى فيجعل عطلة عيد الأضحى أربعة أيام أُسوةً بباقي الدول الإسلامية وتكون عطلة النوروز يومًا واحدًا على الأقل خصوصًا وإنَّ الجمهورية الإسلامية أولى من عامة الدول الإسلامية بمراعاة ذلك.

(*) السيد محمد حسن الكشميري: ابن آية الله السيد علي تقي الرضوي، مواليد ١٣٦٦هـ، (حفيد المقدّس السيد مرتضى علم الهدى الثاني الرضوي الكشميري) مفكر إسلامي، أكمل التحصيلات الحوزية في سن الثالثة عشرة وهو الآن من أساتذة الحوزة العلمية، خبير في التاريخ، خطيب منبري، دخل حلبة الخطابة متتلمذًا على أيدي فحول خطباء النجف كاليعقوبي والوائلي وشبّر والكاشي، والجابري، تعرّض في الثمانينات إلى الاعتقال والتعذيب من قبل سلطة البعث الجائرة، يقوم الآن بالإشراف على مركز بيت الزهراء عليها السلام للخدمات الإغاثية، مارس الخطابة في معظم الحسينيات المهمة في الخليج وأوروبا والدول الاسكندنافية وفي بيوت معظم مراجع النجف الأشرف طوال ثلاثة عشر عامًا كبيت الإمام الخميني، وفي الحسينية النجفية في مدينة قمّ، لديه وثائق تمثيل في الأمور الحسبية والحقوق الشرعية من خمسة عشر مرجعًا كبيرًا من النجف وقمّ منهم المراجع: ناصر مكارم الشيرازي، الميرزا جواد التبريزي، الشيخ المنتظري، الشيخ اللنكراني، الشيخ بهجت، السيد الخامنئي، السيد السبزواري، الشيخ الأراكي السيد الكلبكاني، من مؤلفاته: مع الصادقين ج١، ٢، ٣، ٤، تحفة المطالع في مختلف الوقائع، القلم المنتضى في أحوال جدنا المرتضى (راجع: بين قوسين «جولة في دهاليز مظلمة» مسائل ورسائل تهم الجيل الجديد، دار النصر/ بيروت).

(١) المناقب، ابن شهرآشوب، ج٣، ص٣١٨.

وطبعًا لا مانع شرعًا من الاحتفال به كمناسبة وطنية أو حالة تراثية، كما تسمّيه الدول الأُخرى بعيد الشجرة أو يوم الشجرة، وإني أتأسف بألم أن أرى المجتمع الإيراني يتبادلون التهاني وباقات الزهور يوم ميلاد السيد المسيح عليه السلام وتمرّ مناسبة ميلاد النبي محمد صلى الله عليه وآله فلا نجد له في المجتمع أي أثر واهتمام إلّا عند الدولة رسميًا وبعض الشباب المتفاعل بالثورة وأفكار الإمام الخميني الراحل رحمه الله. ثم يستقبلون النوروز قبل شهر ويسمّونه (شب عيد أي ليلة العيد) في حين لا أثر يُذكر للأعياد الإسلامية! وأُؤكد أنَّ الثقافة الإسلامية تشجّع استعمال كل مناسبة للتزاور والتواد وصلة الرحم وتقديم الهدايا.

ويروى في هذا الإطار أن (زوطي جدّ أبي حنيفة) وكان من الفُرس وهو من العبيد الذين اشتراهم الإمام علي عليه السلام وأعتقهم. قدّم للإمام علي يوم النوروز طبقًا من حلوى الفالوذج وسأله الإمام عليه السلام عن المناسبة فقال: إنها النوروز فأكل الإمام علي مستحسنًا ذلك وهو يقول نوروزنا كل يوم.

إنَّ الإسلام جاء قبل أربعة عشر قرنًا وألغى ذلك كله ولكن الغريب أن نرى بعد هذه القرون لا يزال الإهتمام بهذه العادات والتقاليد قائمًا وربما يزداد عامًا بعد عام وخصوصًا في إيران. لهذا فإني عشت في إيران ثلاثة عقود وأنا مُتعجّب من هذا التعصُّب القومي والتفاخر بالموروثات الجاهلية ـ فتراهم ـ يتركون أسماء أهل البيت ويطلقون الأسماء المجوسية على أولادهم مثل (شايوا) و (پورشا) و (أناهيّتا) و(كوروش) و(هرمز) و(شيدا) وأمثال ذلك.

ولا بدّ أن أُشير هنا إلى روايات جاءت في البحار بخصوص هذا اليوم، وإن الإمام الصادق عليه السلام قال كذا وكذا. فهذه روايات لا اعتبار لها وأسانيدُها ضعيفة أو مجهولة ولربما سطّرها المجلسي رحمه الله مسايرة للوضع السياسي الذي كان يعيشه.

وهنا اتساءل أين دور علمائنا ومراجعنا والخُطباء وأئمة الجماعات من تفشّي هذه الظواهر الجاهلية والرجعية وما معنى سكوتهم وتسامحهم على هذا الوضع المؤسف وما هو إذًا دور المراجع والمُصلحين والخُطباء.

أليست؟؟؟؟ هذه بدع وسفاسف تزحف وتتسع رويدًا رويدًا وتتحدّى ثوابتنا

الدينية وتمسخ حضارة الإسلام وأين هؤلاء من حديث النبي ﷺ «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يُظهر علمه وإلّا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[1])[2].

أما في ما جاء من أعمال:

(الأول): ....

(الثاني): قراءة الحمد سبع مرات، لدفع وجع العين...!

(الثالث): أكل شيء من الجبن...!...

ولكم التعليق...!!؟

ثم ذكر رواية من أعمال النوروز: فهي ما علّمها الصادق عليه السلام معلّى بن خنيس، قال: «**إذا كان يوم النوروز، فاغتسل والبس أنظف ثيابك، وتطيب بأطيب طيبك، وتكون ذلك اليوم صائمًا...**»[3].

ألا يدعو هذا الحديث إلى الاستغراب حيث استطاع هؤلاء الوضاعون أن يضعوا ما يحلو لهم باسم الأئمّة عليهم السلام فتارةً باسم الإمام الباقر وتارةً أُخرى باسم الإمام الصادق وكلُّهُ إفتراء وبهتان على الأئمّة عليهم السلام، ثمَّ جاء علماؤنا ووضعوها في كتبهم وأصبحت لاحقًا من الشريعة والدين!؟

ثم يأتي إلى أعمال الشهور الرومية:

روى السيد الجليل علي بن طاووس (رحمه الله) أن قومًا من الأصحاب كانوا جلوسًا، إذ دخل عليهم رسول اللّه ﷺ فسلّم عليهم فردّوا عليه السلام، فقال: ألا أعلّمكم دواءً علّمنيه جبرائيل عليه السلام حيث لا أحتاج إلى دواء الأطبّاء؟ قال علي عليه السلام وسلمان وغيرهم: وما ذاك الدواء؟ فقال النبي ﷺ لعلي: تأخذ من ماء المطر بنيسان، وتقرأ عليه كُلًّا من فاتحة الكتاب وآية الكرسي... وتصلي على محمد وآلِ محمد سبعين مرة، وتشرب من ذلك الماء غدوة وعشية سبعة أيام متواليات، والذي بعثني بالحق نبيًا إنّ جبرائيل عليه السلام قال: إن اللّه يرفع عن الذي يشرب هذا الماء كل داءٍ في جسده ويعافيه... ثمَّ قال عليه السلام: «وإن كان به صداع فشرب من ذلك يسكن عنه الصداع بإذن

(١) بحار الأنوار، ج٢، ص٧٢.

(٢) نقلًا عن كتاب «بين قوسين، جولة في دهاليز مظلمة» السيد محمد حسن الكشميري، دار النصر/ بيروت، سؤال رقم (٣٨) ص١٨٤ ـ ١٨٧.

(٣) مفاتيح الجنان، ص ٣٣٨.

اللَّه، وإن كان به وجع العين يقطر من ذلك الماء في عينيه، ويشرب منه، ويغسل به عينه، ويشدّ أصول الأسنان، ويطيب الفم، ولا يسيل من أصول الأسنان اللعاب ويقطع البلغم، ولا يتخم إذا أكل وشرب، ولا يتأذى بالريح ـ من القولنج وغيره ـ ولا يشتكي ظهره، ولا ينجع بطنه، ولا يخاف من الزكام، ووجع الضرس، ولا يشتكي المعدة، ولا الدود، ولا يحتاج إلى الحُجامة، ولا يصيبه البواسير ولا يصيبه الحكة، ولا الجِدَري، ولا الجنون، ولا الجذام، ولا البرص، ولا الرعاف ولا القيء، ولا يصيبه عمى، ولا بكم، ولا خرس، ولا صَمَمٌ، ولا مقعد، ولا يصيبه الماء الأسود في عينيه، ولا يصيبه داء يفسد عليه صومه وصلاته. . .ألخ، ثمَّ قال جبرائيل عليه السلام: والذي بعثك بالحق، من يقرأ هذه الآيات على هذا الماء، فيشرب منه ملأ اللَّه (تعالى) قلبه نورًا وضياءً، . . . وهو الشفاء من كل داء»[1]!!

أقول إن الجميع يعلم أن آيات القرآن مباركة، لكن هل من المعقول أن تقوم آيات القرآن بوظيفة الدواء وتُصبح مجمعًا طبِّيًا للشفاء. . . !!

ولكن للأسف إن هذه الأحاديث نقرأها عند كتب الشِّيعة والسُّنّة، روي أنَّ رجلًا يُسمى «**نوح بن مريم المروزي**» المتوفى عام ١٧٣ هـ سُئل عن حديث رواه **عكرمة عن ابن عباس** في ثواب السور القرآنية التي ينقلها **نوح بن مريم** هذا وأنه عمّن سمعها ومن أين جاء بها؟ فقال نوح بن مريم: «**إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة** (أي لطلب الثواب)».

ويقول الشهيد الثاني «**زين الدين العاملي**»: إن الأحاديث التي وردت في تفسير **الواحدي والثعلبي والزمخشري** في ثواب قراءة السور القرآنية «**جميعها من هذا القبيل والواضع لها قد اعترف بوضعه لهذه الأحاديث**».

ومع الأسف أن هذه الأحاديث موجودة في تفاسيرنا ومنها «**تفسير التبيان**» للشيخ الطّوسي، وتفسير «**مجمع البيان**» للشيخ الطبرسي، وتفسير «**روض الجنان**» و«**روح الجنان**» للشيخ أبي الفتوح الرازي، حيث يذكر الشهيد الثاني وآخرون أن أحد متصوّفة عبادان قد جعل هذه الأحاديث، وتُنسب هذه الأحاديث الموضوعة إلى الصحابي المشهور «**ابن أبي كعب**» أنه سمعها عن رسول اللَّه.

---

(١) أعمال الشهور الرومية، مفاتيح الجنان، ص ٣٣٩، ٣٤٠.

وعلى كلٍ فإنَّ الشيخ عباس القمّي يستدرك فيقول: «**هذه الرواية المشهورة، ينتهي سندها إلى عبد اللّه بن عمر، ولأجل ذلك يكون السند ضعيفًا**»[١] . . .

أقول: أيها الشيخ الجليل إذا كانت الرواية ضعيفة السند وأنت تعرف ذلك فلماذا وضعتها في الكتاب!؟ وهل تعلم ياشيخنا أنَّ معظم الطبعات الجديدة لكتاب مفاتيح الجنان يُحذف منه السند، فيعتبره القارئ وكأنه صادر فعلًا عن الأئمّة عليهم السلام!

فما هو العذر غدًا . . .؟!

الرابعة عشر: دعاء العديلة

جاء في المفاتيح دعاء إسمه العديلة[٢] وبعد أن ينقل الدُّعاء يقول: «. . . وأمّا هذا الدعاء فهل هو عن المعصوم عليه السلام أم هو إنشاء من بعض العلماء؟ يقول في ذلك، جامع أخبار الأئمّة عليهم السلام العالم المتبحّر، الخبير والمحدّث الناقد البصير مولانا الحاج ميرزا حسين النوري (نوّر اللّه مرقده):

«**وأما دعاء العديلة المعروف فهو من مؤلفات بعض أهل العلم ليس بمأثور، ولا موجود في كُتُب حَمَلَة الأحاديث ونقّادها**»[٣].

أقول: يظهر أن الشيخ عباس القمّي قد نسى أنه في صفحات أُخر في «آداب الزيارة» في الفصل الأول ـ الفقرة السادسة عَشْرَةَ ـ قد نهى عن الزيارات المخترعة فقال: «**أن يزور بالزيارات المأثورة المروية، عن سادات الأنام عليهم السلام ويترك الزيارات المخترعة التي لفقها بعض الأغبياء من عوام الناس إلى بعض الزيارات فأشغل بها الجهال**، روى الكليني (رحمه الله) عن عبد الرحيم القصير، قال: **دخلت على الصادق** عليه السلام **فقلت جُعلت فداك قد اخترعت دعاءً من نفسي، فقال** عليه السلام: «**دعني عن اختراعك، إذا عرضتك حاجة فلذ برسول اللّه** صلى الله عليه وآله **وصل ركعتين وأهدهما إليه**»[٤] فأعرض عليه السلام عن اختراعه، ولم يسمح أن يُعرض عليه، ثمَّ أنعم عليه بتعليمه عملًا ينبغي أن يؤديه[٥] .؟!

---

(١) انظر: مفاتيح الجنان، أعمال النيروز وأعمال الأشهر الرومية، ص٣٤٠.

(٢) دعاء العديلة، مفاتيح الجنان، ص ١١٨.

(٣) دعاء العديلة، المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٤) كتاب مفاتيح الجنان، ص ٣٤٩.

(٥) انظر: مفاتيح الجنان، النهي عن التصرف في الأدعية، ص ٤٧٠.

مع أن الشيخ القمي أقرّ بهذا الجعل، ذكر الدعاء في كتابه، بل وذكر دعاء آخر لم يثبت عن رسول الله ﷺ من جعل **محمد بن سليمان الديلمي، قال فيه جميع** علماء الرجال أنه كان **ضعيف جدًا لا يُعوَّل عليه في شيء**[1].

وها هم هؤلاء المفسدون صنعوا لأمتنا مذهبًا في ثوب الأدعية، والكتّاب من بعده ظنوا أن هذه العقائد أتى بها إمام من أهل البيت! ولم يدركوا أن هذه العقائد نسجها الرواة الكذابون الذين ما كانوا يخافون الله تعالى ويعرفونه.

هذا إضافة إلى بعض فقراته المخالفة للقرآن كالتي تربط الرزق وبقاء الأرض بوجود الحُجّة عليه السلام، فقالوا: «**ببقائه بقيت الدنيا**»، في حين أن الروايات الشيعية نفسها تنقض هذا المعنى إذ تصرح بأن الدنيا ستبقى بعد وفاة المهدي.

وفيه كذلك: «**بيمينه رزق الورى**»، وهذا افتراء على الله وغلوٌّ كبيرٌ أن يزعموا أن الله لم يكن يرزق عباده، لو لم يكن الإمام!

ثم يقول: «**بوجوده ثبتت الأرض والسماء**»، في حين أن السماوات والأرض ثبتت قبل أن يكون هناك رسول أو إمام!

الخامسة عشر: الزيارة المطلقة للأمير عليه السلام

جاء في الزيارة المطلقة للأمير عليه السلام ـ الزيارة السادسة ـ **روى محمد بن خالد الطيالسي**، عن سيف بن عميرة، عن الصادق عليه السلام أنه دعا بهذا الدُّعاء:

«**. . . السَّلامُ عَلَيْكَ يا بابَ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يا عَيْنَ اللَّهِ النَّاظِرَةَ وَيَدَهُ الْباسِطَةَ وأُذُنَهُ الْواعِيَةَ وَحِكْمَتَهُ البالِغَةَ ونِعْمَتَهُ السَّابِغَةَ ونِقْمَتَهُ الدَّامِغَةَ، السَّلامُ على قَسِيمِ الْجَنَّةِ والنَّار السَّلامُ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ عَلَى الأَبْرارِ ونِقْمَتِهِ عَلَى الْفُجَّارِ، السَّلامُ عَلَى سَيِّد الْمُتَّقِينَ الأَخْيارَ، السَّلامُ عَلَى أَخِي رَسُولِ اللهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَزَوْجِ ابْنَتِهِ وَالمَخْلُوقِ مِن طِينَتِهِ. . .**»[2].

من ناحية السند:

جاء في رواة هذا الحديث محمد بن خالد الطيالسي، يقول عنه النجاشي:

---

(١) انظر: رجال النجاشي، ص٣٤٩، رقم (٩٨٧)، ورجال الحلي، ص٢٥٥، رقم٥٠.

(٢) مفاتيح الجنان، ص ٣٩٥.

مجهول الحال[1] وكذا الطوسي وضعه ضمن خانة «**في من لم يرو عن الأئمة** عليهم السلام»[2]. وذكره المجلسي في رجاله ص **٣٠١** برقم **١٦٤٣** ووضع عليه رمز **مجهول الحال**. كما ذكره السيد الخوئي في المعجم ج١٧ ص٧٥، ٧٦ وج٢٣ ص**١١٩** **ولم ينص أحد منهم على توثيقه.**

من ناحية المضمون:

إن عظمة الله تعالى أخذت بقلوب أوليائه فكان حضور الله ورقابته شاغلًا لهم عن الإهتمام بمدح الناس أو ذمِّهم، بل كانوا يكرهون أن يقوم الناس بتمجيدهم وإطرائهم خشية أن يُفتنوا بالغرور والعُجب بالنفس، وينهَوا على الإطراء وكثرة المديح كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيْسَى بْنَ مَرْيَمَ فإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ**»[3].

وهكذا قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لمن كان يبالغ في مدحه والثناء عليه:

«**وَإِنَّ مِن أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاتِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنَّ يُظَنَّ بِهِم حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُم عَلَى الْكِبْرِ وَقَد كَرِهْتُ أَن يَكُونَ جَالَ في ظَنِّكُم أَنِّي أُحِبُّ الْإِطْرَاءَ وَاستِمَاعَ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللهِ كَذَلِكَ لَو كُنْتُ أُحِبُّ أَن يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا للهِ سُبْحَانَهُ عَن تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ فَلا تُثْنُوا عَلَيَّ ثَنَاءً لإِخْرَاجِي نَفْسي إِلَى الله سُبْحَانَهُ وإِلَيكُم مِنَ التَّقِيَّة في حُقُوقٍ لَم أَفْرُغ مِن أَدَائِهَا وفَرَائِضَ لا بُدَّ مِن إِمْضَائِهَا، فَلا تُكَلِّمُوني بِمَا تُكَلَّم بِهِ الجَبَابِرَةُ ولا تَتَحفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ ولا تُخَالِطُوني بالمُصَانَعَة ولا تَظُنُّوا بي اسْتِثْقَالًا في حَقٍّ قِيلَ لي ولا الْتِمَاسَ إِعْظَام لِنَفْسي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الحَقَّ أَن يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَن يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ، فَلا تَكُفُّوا عَن مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَو مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ فَإِنِّي لَسْتُ في نَفْسي بِفَوقِ أَن أُخْطِيءَ وَلَا آمَنُ ذَلِكَ**

(١) رجال النجاشي، الأعلمي/ بيروت (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م) ص٢٢٤، رقم (٦١٩).

(٢) رجال الطوسي، منشورات المكتبة والمطبعة الحيدرية في النجف (١٣٨١هـ - ١٩٦١م) ط١، ص٤٩٩.

(٣) خلاصة عبقات الأنوار للسيد حامد النقوي (١٣٠٦هـ) قم: مؤسسة البعثة، ١٤٠٥هـ، ج٣، ص٣٠١، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء.

مِن فِعْلِي إِلَّا أَن يَكفِيَ الله مِن نَفسي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَنا وَأَنْتُم عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِربٍّ لَا رَبَّ غيرُهُ يملِكُ منَّا ما لا نملِكُ من أنفُسنا وأَخْرَجَنا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنا بَعْدَ الضَّلالَةِ بِالهُدَى وأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى...»[1].

يروى أنَّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال وقَد لقيهُ عند مسيرهِ إلى الشَّام دَهَاقينُ الأنبار (أي جماعة من القرويين) في منطقة الأنبار في (العراق) فَتَرَجَّلُوا لَهُ (أي نزلوا من على خيولهم) واشْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ فقال: «**مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟ فَقَالُوا: خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا! قَالَ: وَاللهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أُمَرَاؤُكُم وإِنَّكُم لَتَشُقُّونَ عَلَى أَنْفُسِكُم في دُنْيَاكُم وَتَشْقَوْنَ بِهِ في آخِرَتِكُم وَمَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الأَمَانُ مِنَ النَّارِ**»[2]!

وفي الكوفة لما أَقْبَلَ رَجُلٌ اسْمُهُ «حَرْبٌ» يَمْشي مَعَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ **رَكِبٌ فَقَالَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**ارْجِع فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالي ومَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ**»[3].

ولَمَّا مَدَحَهُ قَوْمٌ في وَجْهِهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِن نَفْسِي وأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسي مِنْهُم اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ واغْفِر لَنا مَا لَا يَعْلَمُونَ**»[4].

فالأئمة أنفسهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نهوا عن مثل هذا الغُلوّ بحقِّهم ولم يكونوا معجبين بأنفسهم على الإطلاق، حتى أنَّ الإمام عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول في وصيته للإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**واعْلَم أَنَّ الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الأَلْبَابِ**»[5].

ولنا أن نسأل: كيف تتفق هذه الزيارات التي تُثني وتطري وتمدح الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وآيات القرآن الكريم التي تقول: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾[6]!؟

ومن خطبة له عَلَيْهِ السَّلَامُ يشير فيها أنه لا يستحق المدح والثناء والمحامد والممادح

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ط٢، ص١٠١، خطبة (٢١٠).

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء التراث الإسلامي (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ط٢، ج١٨، ص١٥٦، الحكمة (٣٧).

(٣) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، ج١٩، ص٢٣٤، حكمة (٣٢٨)..

(٤) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، ج١٨، ص٢٥٦، حكمة (٩٦).

(٥) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، ج١٥، ص٨٤، خطبة (٣١).

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٨.

سوى الله حيث قال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ... اللَّهُمَّ وَقَد بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الخَيْبَةِ وَمَواضِعَ الرِّيبَةِ**[1]. **وَعَدَلْتُ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الآدَمِيِّينَ وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِين... اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامُ مَن أَفْرَدَكَ بالتَّوْحِيدِ الَّذي هُوَ لَكَ وَلَم يَرَ مُسْتَحِقًّا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ**»[2].

فهل من المعقول أن يأتي أحد أحفاده ـ الإمام جعفر الصادق ـ ليقوم بما يقوم به المدّاحون والتجاوز في مدحه والمبالغة في تمجيده ونسبة الصفات الإلهية إليه؟!! وتجاوز نهي القرآن الكريم والنبي ﷺ والإمام علي عليه السلام في ذلك..؟!!

الجواب: حاشا للإمام الصادق عليه السلام أن يفعل ذلك، إذًا ما جاء في مضمون هذه الزيارة في الإغراق في مدح الإمام لغوٌ لا طائل تحته ومخالف للقرآن ولنهج الشرع لا سيّما أن رسول الله ﷺ قال: «**أحثوا في وجوه المدّاحين التراب**»[3].

السادسة عشر: أعمال جامع الكوفة

جاء في أعمال جامع الكوفة ـ الأسطوانة الرابعة[4] فقال: «سرّ إلى الأسطوانة الرابعة، الواقعة إلى جانب باب الأنماط، بحذاء الخامسة، وهي أسطوانة إبراهيم عليه السلام فصلّ عندها أربع ركعات، ركعتين بالحمد والتوحيد ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[5] وركعتين بالحمد والقدر ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[6] فإذا فرغت منها، فسبّح تسبيح الزهراء عليها السلام وقل:

«السلام على عباد اللّه الصالحين الراشدين الذين أذهب اللّهُ عنهمُ الرجس وطهرهم تطهيرًا **وجعلهم أنبياء مرسلين** وحُجَّةً على الخلق أجمعين وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين ذلك تقدير العزيز العليم. وقل سبع مرات: سلام على نوح في العالمين».

---

(١) هم المخلوقون.

(٢) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء التراث الإسلامي (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م) ط٢، ج٧، ص٣١، خطبة(٩٠) وتسمى خطبة الأشباح.

(٣) وسائل الشِّيعَة، الحُرّ العاملي، ج١٢، ص١٣٢، الحديث الأول.

(٤) مفاتيح الجنان، ص٤٢٣.

(٥) سورة الإخلاص، الآية: ١.

(٦) سورة القدر، آية: ١.

أقول: طبعًا كُلنا يعرف أن الذين طهرهم اللّه تطهيرا وأذهب عنهم الرجس هم أهل البيت عليهم السلام ولكن كُلنا يدرك ويعرف أن أهل البيت عليهم السلام ليسوا أنبياء بالطبع، فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أبرأ ممن قال: إنا أنبياء**»[1] والضمير في كلمة (أنبياء) في جملة (**وجعلهم أنبياء مرسلين**) يعود إلى عباد اللّه الصالحين الذين أذهب اللّهُ عنهم الرجس...!؟ فهل هذا صحيح؟!

إذا كان المقصود من ذلك أنبياء الله وليس أهل البيت عليهم السلام، فالواضح - إذا أحسن الظن - أنه يوجد التباس بقرينة أنه من أعمال جامع الكوفة - جامع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - فيُرجى رفع هذا الالتباس..!

وإذا لم يكن فيها التباس أسأل هل هذه العقائد الموضوعة لغرزها في عقول عوام الناس تمت إلى التشيُّع الصحيح والدين الإسلامي بصلة....!؟

السابعة عشر: في فضل زيارة أبي عبد اللّه الحُسين عليه السلام[2]

جاء في الفصل السابع في فضل زيارة أبي عبد اللّه الحُسين عليه السلام - المقصد الأول: إعلم أن فضل زيارة الحُسين عليه السلام ممّا لا يبلغه البيان، وفي روايات كثيرة: «**أنّها تعدل الحجّ والعمرة والجهاد، بل هي أفضل بدرجات، تورث المغفرة...**».

أقول: الحج ركن الإسلام العظيم تتجلى فيه عبودية المرء واستسلامه لأمر الإله الواحد الأحد المتفرّد بالجلال والجمال والكمال والعظمة ومشهد الحجيج يوم عرفه يُظهر مدى هذا الانقياد والإذعان التام الذي يُدين به الموحدون للّه عزَّ وجلّ ولقد تحدّث القرآن الكريم كثيرًا عن الحج إلى بيت اللّه وفضله ووجوبه، وذكَرَ أحكامه ومناسكه وشعائره ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[3] ونوّه بالكعبة المعظّمة ومكة المكرّمة وسُميّت سورة من القرآن الكريم باسم (الحج) تضمنت آيات كثيرة عن الحج وأحكامه ومناسكه...

---

(١) رجال الكشي، مؤسسة الأعلمي/ بيروت (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) ط١، رقم (١٢٥) ترجمة عبد الله بن أبي يعفور، ص١٨٠.

(٢) مفاتيح الجنان، ص٤٤٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٢.

لذا فالحج فريضة إلهية وهي من أركان الدين وأما زيارة الإمام الحُسين عليه السلام وما لها من قيمة كبرى وشأنٌ عظيمٌ إلَّا أنّها لا تعدو كونها مستحبة.

فهل يُعقل أن نفضّل ونقدم المستحب على الواجب الديني لمجرد وجود رواية أو عدة روايات قد يثبت صحتها وقد لا يثبت، وضعت لتحريف عقائد الدين باتجاهات أخرى!؟

وعلى كُلٍ توجد أحاديث معارضة لتلك الأحاديث التي تقول بأن زيارة الإمام الحُسين تعادل ألف حجّة وألف عمرة أو أنها تعدل الحجّ والعمرة والجهاد، ومن ذلك رواية رواها «**الْحِمَيريّ**» في كتابه «**قرب الإسناد**» ورواها «**الحُرّ العاملي**» أيضًا، لم تعتبر زيارة الإمام الحُسين حتى بمقدار حجٍّ واحدٍ، ونص الرواية هو: «**عن حَنان بن سَدِيْر**[*] **قال: قلت لأبي عبد الله** عليه السلام: **ما تقول في زيارة الحُسين؟ فإنه بلَغَنا عن بعضكم أنه قال تعدل حجّة وعمرة؟ قال فقال: ما أصْعَبَ هذا الحديث! ما تعدل هذا كله، لكن زوروه ولا تجفوه وإنه سيد شباب الشهداء وسيد شباب أهل الجنة...**»[1]!

في ذلك يقول السيد هاشم معروف الحسني:

«ومهما كان الحال فلا أكون مُغاليًا إذا قلت أن الكثير من المتدينين من عوام الشِّيعة والسُّنّة يفعلون الكثير من المُنكرات والمعاصي، ويعتقدون بأن زيارة الحُسين عليه السلام والبكاء أو التباكي عليه كما جاء في بعض المرويات، والأعمال المأثورة في رمضان وغيره توفّر عليهم ممارسة الالتزام بالطاعات واجتناب الشهوات اعتمادًا على مرويات الوعّاظ والقصّاصين وأحاديث من بلغه ثواب على عمل»[2]!.

وعودًا على فضل زيارة أبي عبد الله الحسين...

ـ ثمَّ يكمل روايته فيقول: **وأنّ ما يصرف في زيارته** عليه السلام **يكتب بكل درهم منه ألف درهم، بل عشرة آلاف درهم، وأن الزائر إذا توجّه إلى قبره** عليه السلام **استقبله أربعة**

(*) هو: ابن حكيم بن صُهَيْب أبو الفضل الصيرفيّ كوفيّ، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام، له كتاب في صفة الجنة والنار (راجع رجال النجاشي، رقم ٣٧٨، ص١٤٣). يقول عنه الحلي نقلًا عن الشيخ الطوسي: «**أنه ثقة**» (راجع رجال الحلي، ص٢١٨).

(١) وسائل الشِّيعَة، باب استحباب اختيار زيارة الحسين على الحج والعمرة المندوبين، ج١٠، الرواية ١٥.

(٢) نقلاً عن كتاب «الموضوعات في الآثار والأخبار» ص ١٧٤.

آلاف ملك، فإذا رجع منه شايعته، وأنّ الأنبياء والأوصياء والأئمّة المعصومين والملائكة (سلام اللّه عليهم أجمعين) **يزورون الحُسين** عليه السلام **ويدعون لزوّاره ويبشّرونهم بالبشائر، وأن اللّه (تعالى) ينظر إلى زوار الحُسين** عليه السلام **قبل نظره إلى من حضر عرفات...** ثمّ في السطر الرابع والعشرين يقول: **واللّه لقد تمنيت أني كنت زرته، ولم أحجّ....**»[1].

الظاهر أن الراوي لهذا الحديث لم يستطع أن يُخفي ما يريده فعلًا، والسبب الأساسي من وضع هذه الروايات وهو الكسب المادي، فأخذ يقول لهم من آخرها ماذا يريد «كل درهم يُصرف يُكتب منه ألف درهم، بل عشرة آلاف درهم» والخطير أنه يتمنى أنه لو زار الحُسين ولم يحج وهذا تصريح واضح منه أن زيارة الإمام الحُسين عليه السلام أفضل من الحج وهي دعوة للشّيعة للاحتذاء حذوه..!!

ثمَّ جاء في المقصد الثاني ـ في ما على الزائر مراعاته

الجزء الأول من الآداب: «**وروي أن اللّه يخلق من عرق زوار قبر الحُسين** عليه السلام **من كل عرقه سبعين ألف ملك، يسبّحون اللّه، ويستغفرون له، ولزوار الحُسين** عليه السلام **إلى أن تقوم الساعة**»[2].

أقول: إذا كل زائر من زوار قبر الإمام الحُسين عليه السلام نزلت منه عرقة واحدة والمعلوم أنه في المناسبات وخاصة في عاشوراء يصل عدد الزائرين إلى ما يُقارب الخمسة ملايين زائر في اليوم فعلينا أن نضرب خمسة ملايين عرقة في سبعين ألف ملك فتكون النتيجة ثلاثمائة وخمسين بليون ملك يُخلق يوميًا...!!

هذا على أقل احتمال وهو أن تنزل عرقة واحدة لكل زائر، والمعلوم أن أرض العراق أرض هواؤها صحرواي والرطوبة والحرارة شديدة، فإنَّ الزائر من المؤكد أنه سيعرق بشدة وسيكون العدد أكثر من ذلك بألاف البليونات!!

فهل هذا يعقل؟!

الجزء الثاني من الآداب: عن الصادق عليه السلام قال: **إذا زرت أبا عبد اللّه** عليه السلام

(١) مفاتيح الجنان، ص ٤٤٦.
(٢) مفاتيح الجنان، ص ٤٤٧.

فزره وأنت حزين مكروب، شعث مغبر جائع عطشان، فإنَّ الحُسين عليه السلام قُتل حزينًا مكروبًا، شعثًا مغبرًا، جائعًا عطشانًا...».

أقول: أن نزور أبا عبد اللّه عليه السلام ونحن حزينون فهذا ممّا لا شك فيه، أما أن يطلب الإمام الصادق عليه السلام من زوار الحُسين عليه السلام أن يأتوا وهم شعث مغبرون فهذا ليس من الطبيعي لأن شُعث تعني: المغبر الرأس والمنتّف الشعر والمتلبد شعره فهل يُعقل أن نذهب إلى قبر الحُسين عليه السلام ونحن كذلك... تخيّلوه!

وعلى كُلٍ فهذا الراوي سرق ما للبيت الحرام من وصف ووضعه في زيارة الإمام الحسين عليه السلام حيث يقول الإمام علي عليه السلام في وصف البيت الحرام: «...أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِن لَدُن آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ إِلَى الآخِرِينَ مِن هَذَا الْعَالَم بأحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ فَجَعَلَها بَيْتَهُ الحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا. ثم وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَرًا، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ الأَرض مَدَرًا... تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ، مِن مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَمَهاوي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُم ذُلُلًا يُهلُّونَ للهِ حَوْلَهُ. **وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِم شُعْثًا غُبْرًا لَهُ.** قَد نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، إِبْتِلَاءً عَظِيمًا وامْتِحَانًا شَدِيدًا وَإِخْتِيَارًا مُبِينًا...»[1]!

الجزء الثالث: أن لا يتخذ الزاد في سفر زيارته عليه السلام ممّا لذَّ وطاب من الغذاء كاللحم المشوي، والحلاوة، بل يغتذي بالخبز واللبن، عن الصادق (صلوات اللّه وسلامه عليه) قال: «**بلغني أن قومًا إذا زاروا الحُسين عليه السلام حملوا معهم السفرة فيها الجداء والأخبصة وأشباهه...**».

أقول: يظهر أن راوي هذه الرواية لديه استراحة لشواء اللحم وبيع الحلاوة، فالكل يعلم أن مطاعم شواء اللحم لا تبعد أمتارًا عن مقامات الأئمّة عليهم السلام، فإذا كانت المشكلة في أصل الأكل فلِمَ يُسمح لهذه المطاعم بأن تشوي؟ ولكن يبدو أن المشكلة هي في أن يتخذ زاده ويأتي به إلى المقامات، عندئذٍ لن يستفيد من ذلك أصحاب

---

(١) نهج البلاغة، خطبة القاصعة، تتضمن ذم إبليس على استكباره، وتركه السجود لآدم، دار البلاغة/ بيروت، ط٢ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). خطبة رقم (١٩٢) ص٤٢٦ـ ٤٢٨.

المطاعم والدكاكين وإلَّا فالآداب ليست إنتقائية، فواضع هذه الرواية هدفه هو التجارة والكسب المادي. . . !!

الجزء الرابع: قد روي في آداب زيارته عليه السلام عن الصادق عليه السلام قال: «**من أتى قبر الحُسين (صلوات اللّه وسلامه عليه) ماشيًا، كتب اللّه له بكل خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، فإذا أتيت الفرات فاغتسل، وعلّق نعليك وامش حافيًا، وامشِ مشي العبد الذليل**»[1].

يظهر من هذا الراوي أنه يبيع النعال فوضع هذه الرواية، ليترك الزائر نعله عند الفرات، ثمَّ يمشي حافيًا، ويبتاع نعلًا جديدًا قرب المقام عندما يصل. . . !

ويدعونا الإمام الصادق عليه السلام كما الرواية أن نمشي أذلاء: «**وامشِ مشي العبد الذليل**» الظاهر من هذا الراوي أنه قد نسى أنّ الإمام الحُسين عليه السلام قد استشهد ليكون الإسلام والمؤمنين أعزّاء أقوياء لا أذلاء ضعفاء. . . !

الجزء الثامن: أن يغتسل بماء الفرات، فالروايات في فضله كثيرة، وفي رواية عن الصادق عليه السلام قال: «**من اغتسل بماء الفرات، وزار قبر الحُسين عليه السلام كان كيوم ولدته أُمّهُ صفرًا من الذنوب ولو اقترفها كبائر**»[2].

هذه الرواية الموضوعة خطيرة جدًا فهي تقول إنّ الإنسان مهما فعل من ذنوب ولو كبائرها، فإن اغتسل بماء الفرات وزار قبر الحُسين عليه السلام فهو مغفور له ولا ذنوب عليه كيوم ولدته أُمّهُ صفرًا. . . إذًا فلا مشكلة يستطيع كل منّا أن يسرق ويزني ويشرب الكحول وكل ما هو من صغائر الذنوب وكبائرها ثمَّ يذهب ويغتسل بماء الفرات ويزور الحسين عليه السلام وكأن شيئًا لم يكنْ. . . !

ينبغي أن نعلم أنَّ الحج وحده يغسل الذنوب ويرجع الحاج كيوم ولدته أُمهُ إلَّا من حقوق الناس عليه فالحج تشريع سماوي كان أمير المؤمنين علي وأئمتنا عليهم السلام يشقوْنَ ويعانونَ للوصول إلى مكة المكرّمة للحج ليقوموا بتلك الشعائر المشرّعة من الله لا البشر. . . !

---

(١) مفاتيح الجنان، ص ٤٤٩.

(٢) مفاتيح الجنان، ص ٤٥٠.

ثم هل من المعقول أن تكون مياه الفرات أعظم وأطهر من ماء زمزم؟ ورُغم ذلك فإنَّ ماء زمزم ليس لها دور في محو الذنوب بل الاستغفار والتوبة المخلصة هي التي تمحي الذنوب. . . !!

الثامنة عشر: زيارة النصف من شعبان

جا في الزيارة الثالثة[1]: اعلم أنه قد وردت أحاديث كثيرة في فضل زيارته في النصف من شعبان ويكفيها فضلًا أنّها رويت بعدة أسانيد معتبرة عن الإمام زين العابدين، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قالا: «**من أحب أن يصافحه مئة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، فليزر قبر أبي عبد اللَّه الحُسين بن علي عليه السلام في النصف من شعبان فإنَّ أرواح النبيين عليهم السلام يستأذنون اللَّه في زيارته فيؤذن لهم، فطوبى لمن صافح هؤلاء وصافحوه، ومنهم خمسة أولو العزم من الرسل، هم نوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد (صلى اللَّه عليه وآله وعليهم أجمعين)**[2].

أقول: من يقرأ هذا الحديث فإنه سيخرج بعقيدة أنَّ الحُسين عليه السلام هو أفضل من المئة والأربعةِ والعشرين ألفَ نبيٍّ الذين أرسلهم اللَّه وأن كل الشهداء الذين استشهدوا قبل الإمام الحُسين في سبيل التوحيد وبعد الإمام الحُسين عليه السلام في سبيل إعلاء كلمة اللَّه والوحدانية هم طبقة ثانية والإمام الحُسين عليه السلام طبقة أولى فهل هذا المعيار موجود في ميزان القرآن الكريم؟!

بالطبع لا فالقرآن الكريم عندما تحدّث عن الشهداء لم يقدّم أحدًا على أحد، فكل الشهداء سواسية في الشهادة إذا كانت خالصة للَّه أما التفاضل يكون خارج موضوع الشهادة، يقول اللَّه تعالى: ﴿...وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[3] و﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[4] فأين هي المفاضلة بين الشهداء؟!

ثمَّ إنَّ ما ورد ذكره في الأحاديث والروايات المعتبرة أنه روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه

---

(١) مفاتيح الجنان، ص ٤٧٨.

(٢) مفاتيح الجنان، ص ٤٧٩.

(٣) سورة الحديد، الآية: ١٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

قال: «**من زارني ولم يزر عمّي حمزة فقد جفاني**» والغريب أن الشيخ عباس القمّي قد ذكر ذلك في ص ٣٧٤ ضمن زيارة قبور الشهداء بأُحُد، ثمَّ يقول: إنّي قد ذكرت في كتاب بيت الأحزان في مصائب سيدة النسوان، أنَّ فاطمة (صلوات اللَّه عليها) كانت تخرج يومي الاثنين والخميس، من كل أسبوع بعد وفاة أبيها إلى زيارة حمزة وباقي شهداء أُحُد، فتُصلّي هناك، وتدعو إلى أن تُوفيّت».

وقال محمود بن لبيد: **إنّها كانت تأتي قبر حمزة، وتبكي هناك، فلمّا كان في بعض الأيام، أتيت قبر حمزة فوجدتها تبكي هناك، فأمهلتها حتى سكنت، فأتيتها وسلّمتُ عليها، وقلت يا سيدة النسوان، قد واللَّه قطعت أنياط قلبي من بكائك، فقالت: «يا أبا عمرو يحق لي البكاء، فلقد أصبت بخير الآباء...»**.

وقال الشيخ المفيد: **وكان رسول اللَّه ﷺ أمر في حياته بزيارة قبر حمزة عليه السلام، وكان يلمّ به وبالشهداء، ولم تزل فاطمة عليها السلام بعد وفاته تغدو إلى قبره وتروح، والمسلمون يتنابون على زيارته، وملازمة قبره**»[(١)].

إذًا فالنبي شدّد على زيارة عمّه حمزة والسيدة الزهراء عليها السلام كانت تخرج يومي الإثنين والخميس، بعد وفاة أبيها لزيارة حمزة وباقي شهداء أُحُد، وكانت تُصلّي هناك، وتدعو، ـ وكانت تبكي ـ وأن النبي أمر بزيارة قبر حمزة والمسلمون ينتابون على زيارته وملازمة قبره، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدل على مكانة وعِظم حمزة وشُهداء أحد، ورُغم ذلك لا نجد في المرويات تقدّم حمزة على باقي الشهداء، ولا نجد هذا الحشد المغالي لمقامه...!

إن نقد هذه الأحاديث بكونها غير صحيحة لا تنقص من مقام الإمام الحُسين وعظمة شهادته وأهمية ملحمة كربلاء الخالدة، فالحق قوي بنفسه ولا يحتاج إلى هذه البهارات فكل ما زادَ عن حده نقص...!

وأخيرًا هل مقام الإمام الحُسين عليه السلام مُتقدّم حتى على مقام النبي محمد ﷺ؟!

أظن أنه لا خلاف في أنَّ النبي مُتقدّم على جميع الأنبياء والأولياء، فهل هذا الحديث يتماشى وهذه العقيدة أم أنّهُ يُخالفها...؟!

---

(١) مفاتيح الجنان، ص ٣٧٤.

التاسعة عشر: الزيارة المطلقة للأمير عليه السلام

جاء في الزيارة السابعة لأمير المؤمنين عليه السلام:

«... السلامُ على سيد السادات، **السلام على صاحب المعجزات...**»[1].

«**السلامُ عليكَ يا صاحب المعجزات...**»[2].

«... السلامُ على صاحب الدلالات... **والمعجزات القاهرات...**»[3].

أقول: لقد أجمع عُلماء الإسلام على أن المُعجزة لا تكون إلَّا للأنبياء، وما عداهم فقد يُظهِر اللَّه على يدهم بعض الكرامات بحسب ما تقتضيه مصلحة اللَّه من بيان فضل. والظاهر أن هؤلاء الوضاعين يجهلون الفرق بين المعجزة والكرامة، ويجهلون أنَّ «المعجزة» فعلُ الله لا فعل البشر كما يقول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴿٢٠﴾﴾[4].

فما هو الفرق بين المعجزة والكرامة؟ وأيهما يصح أن يطلق على الأئمّة؟

قال خواجة نصير الدين الطوسي: «المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة وقال: إنّما قلنا (أمر) لأن المعجز قد يكون إتيانًا بغير المعتاد وقد يكون منعًا من المعتاد.

وإنما قلنا (خارق للعادة) ليتميّز به المُدّعي عن غيره.

وإنما قلنا (مقرون بالتحدي) لئلا يتخذ الكاذب معجزة من مضى حجّة لنفسه وليتميّز عن الإرهاصات والكرامات». وقال أيضًا: لإثبات النبوة ثلاثة طرق أولها: أنه ادعى النبوة وأظهر المعجزة على يده وكل من كان كذلك فهو نبي ورسول.

وحيث أن الأئمّة عليهم السلام ليسوا أنبياء قطعًا فلا يصدر منهم المعجز.

وما لم تكن المعجزة مثبتة لمنصب إلهي فهي كرامة كخوارق العادات الصادرة من أولياء اللَّه الذين جعلوا أهواءهم تابعة للتكاليف الدينية الإلهية مع عدم ادعائهم شيئًا من المناصب الربانية وهي قطعية للنقل المتواتر ولدلالة القرآن عليها كما في

---

(١) مفاتيح الجنان، ص ٣٩٩.

(٢) مفاتيح الجنان، ص ٤١٣.

(٣) مفاتيح الجنان، ص ٣٩٥.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٠.

قصة آصف بن برخيا ومريم بنت عمران فلا مجال للتشكيك في صحة الكرامة المذكورة وصدورها عن الصالحين. فهي كما قال المحقق الطوسي: الفعل الخارق الذي يظهر على يد أحد من غير تحدي. وهي ـ الكرامة ـ تأتي من حكمة اللّه تعالى في مقام إكرام أنبيائه وأوليائه.

والسؤال: هل يوجد معجزة لرسولنا محمد ﷺ غير القرآن الكريم؟

لكل نبي مرسل معجزة، ومعجزة الرسول محمد ﷺ القرآن الكريم ولم يثبت أن هناك معجزة أخرى له حيث يقول اللّه تعالى في محكم آياته: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾[1].

يجيب السيد محمد حسين فضل الله على هذا السؤال بالنفي قائلًا:

«القرآن الكريم يقول ذلك: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا﴾[2] ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾[3] ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾[4] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣﴾[5]. واللّه سبحانه وتعالى إنّما ينزل المعجزة في مقام الحاجة إليها، ولذلك ورد عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أن اللّه عندما أنزل على موسى معجزة العصا واليد البيضاء، فذلك لأن المجتمع كان مجتمع سحر، فأراد أن يبطل سحرهم، وأيضًا في معجزة عيسى عليه السلام، حيث كان مجتمعه، مجتمع الطب فجاءهم بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والنبي ﷺ جاء في مجتمع تغلب عليه الفصاحة، فجاءهم بالقرآن، ولذلك أطلب من الإخوان أن يقرأوا القرآن بشكل دقيق جدًا، وأن لا يسمعوا من هذا وذاك، لأن القرآن هو النور الذي يضيء للإنسان سبيله ويعرّفه حقائق الأُمور»[6].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٧.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩٠.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.

(٦) نقلاً عن موقع بيّنات، الموقع الإلكتروني لسماحة العلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل اللّه، معجزة النبي محمد ﷺ.

والمتحصّل من ذلك: أن المعجزة تصديق لدعوى النبي، والكرامة تكريم لشأن الولي. وعليه فإنَّ هذه المضامين الموجودة في هذه الروايات من وجود معاجز لأهل البيت عليهم السلام غير صحيحة وموضوعة من قبل أناس لا يفقهون من الدين في شيء، وطبعًا هي غير صادرة عن إمام يدرك الفرق بينها...!

والمفارقة أن «**المجلسي**» ذاته الذي أورد تلك الزيارات المليئة بالعبارات الخُرافية بيِّنة الغُلوّ، والتي نقلها عنه «**الشيخ عباس القمي**» في كتابه «**نفي الغُلوّ**» في المجلد السابع من الطبعة القديمة لبحار الأنوار عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «**لم تكن المعجزات فعل الأنبياء بل فعل الله**»، فيا ليت وضاعي تلك الزيارات الذين يدّعون حُبَّ الأئمّة عليهم السلام ذهبوا وقرؤوا كلمات الإمام الرضا عليه السلام كي لا يخترعوا هذه الأكاذيب!.

العشرون: في فضل زيارة إمام الإنس والجن المدفون بأرض الغربة

جاء في فضل زيارة الإمام الرضا في الفصل التاسع الحديث الرابع: بأسانيد صحاح عن ابن أبي نصر، قال: قرأت كتاب أبي الحسن الرّضا عليه السلام: «**أبلغ شيعتي أن زيارتي تعدل عند اللّه (عزَّ وجلَّ) ألف حجَّة**» فرويت الحديث عند الإمام محمَّد التّقي (صلوات اللّه عليه) قال: **أي واللّه ألف ألف حجّة لمن زاره عارفًا بحقّه**»[1].

وفي ص ٥٤١ تحت عنوان: رحلة الرضا عليه السلام إلى خُراسان الأمر الثاني: حكى العلّامة المجلسي (رحمه الله) عن خطّ الشّيخ الجليل الشيخ حسين بن عبد الصّمد، والد الشيخ البهائي، أن الشيخ أبي الطيّب حسين بن أحمد الفقيه الرّازي (رحمه الله) ذكر أنّه: «**من زار الرّضا عليه السلام أو غيره من الأئمّة عليهم السلام فصلّى عنده صلاة جعفر كُتب له بكل ركعة أجر من حجَّ ألف حجَّة، واعتمر ألف عُمرة وأعتق في سبيل الله ألف رقبة، ووقف للجهاد مع نبيّ مرسل ألف مرّة، وكان له بكل خطوة يخطوها أجر مئة حجّة، ومئة عمرة، وعتق مئة رقبة في سبيل اللّه (تعالى) وكتب له مئة حسنة، ومحي عنه مئة سيئة**»[2].

قلت: إذا كان الزائر ينال بكل خطوة يخطوها نحو الضريح ثواب جهاد مع نبيّ

---

(١) مفاتيح الجنان، ص ٥٣٢.

(٢) مفاتيح الجنان، ص ٥٤١.

مرسل ألف مرّة، فإنَّه عندما يصل إلى الضريح يكون كأنه قد جاهد آلاف آلاف المرات وبالتالي يكون مقام الزائر أكبر من مقام الإمام المَزور لأن الإمام لم يستشهد سوى مرَّة واحدة!

وعلى هذا الأساس يلزم من ذلك أن الشهداء قد خسروا خسرانًا مُبينًا لأنهم لو استبدلوا بالذهاب إلى جبهات القتال والاستشهاد في سبيل اللَّه بأن يتوجهوا لزيارة الإمام الرضا عليه السلام ويصلّوا عنده صلاة جعفر، حيث ينالون من الثواب أكثر بكثير من ثواب الشهادة في كل مرة.

ألا يوحي هذا الحديث في نفوس المؤمنين بتفاهة أجر الشهداء والحج والجهاد في سبيل اللَّه والعمرة، حيث إن ثواب زيارة واحدة لمرقد الإمام الرضا عليه السلام تعدل آلاف الآلاف من أجر الشهداء والمرسلين والحج والعمرة، رُغم أن كل هذه الأُمور من الواجبات والزيارة مستحبة، إضافة إلى أن الحاج يجب عليه في كل حجّة أن يزور مرقد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فهل بلغت زيارة قبر ابن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم من الأهمية أن تفضل زيارة قبر النبي نفسه ألف ألف مرة؟!

أليس ذلك من قبيل صكوك الغفران التي ابتدعتها الكنيسة؟ وماذا تؤثر زيارة واحدة لقبر الإمام الرضا عليه السلام في نفس الإنسان وروحه بحيث أنّها تعادل تأثير ألف ألف حجّة إلى بيت اللَّه الحرام وألف جهاد وقتل في سبيل اللَّه؟!

أليست هذه الرواية موضوعة ومن افتراء الكذابين المغالين؟

إن كل عاقل منصف يجزم بأن مثل هذه الروايات قد وضعها أصحاب المطامع الذين ينتفعون ماديًا من كثرة الزوار إلى مقامات الأئمّة عليهم السلام كما ورد في الحديث المعروف عن بصل عكا أو لأهداف سياسية وصراعات مذهبية[1]..!

الواحد والعشرون: دعاء الفرج للحجة (عج)

جاء في دعاء الفرج للحجة (عج)، دعاء الفرج ـ الحادي عشر:

«... اللّهُمَ صل على محمد وآلِ محمد أولي الأمر الذين فرضت علينا طاعتهم، وعرفتنا بذلك منزلتهم، ففرّج عنّا بحقهم فرجًا عاجلًا قريبًا كلمح البصر

(١) انظر: فصل «الدولة الصفوية وأثرها في الشِّيعة والتشيُّع»، ص٥٩٦ من هذا الكتاب.

أو هو أقرب يا محمد يا علي يا علي يا محمد إكفياني فإنكما كافيان وانصراني فإنكما ناصران يا مولانا يا صاحب الزمان...»[1].

نسأل هنا هل محمد وعلي كافيان وهل هُما ناصران؟

الجواب لا، لأن هذا المضمون يخالف آيات القرآن الكريم حيث يقول اللّه تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾[2].

يقول السيد الخوئي:

تدل الآيات المباركات على أن الله سبحانه وتعالى هو الكافل بأمور عبيده، وأنه الذي بيده الأمر، يدبر شؤون عبده ويوجهه إلى كماله برحمته، وهو قريب منه، يسمع نداءه ويجيب دعاءه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ... ﴿٣٦﴾﴾[3].

وعلى هذا فليس لمخلوق أن يستشفع بمخلوق مثله، ويجعله واسطة بينه وبين ربه، ففي ذلك تبعيد للمسافة، بل وفيه إظهار للحاجة إلى غير الله وماذا يصنع محتاج بمحتاج مثله؟[4].

إنَّ السؤال الذي هو في أول الآية والذي هو من أربع كلمات ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ... ﴿٣٦﴾﴾[5] يتحدّى اللّه به الإنسان بكل أنواع العتب والغضب والكرم والكفاية والتمنين أو الإهلاك والإسعاد أو الإشقاء، هذه الحقيقة تجهلها الأكثرية الساحقة من البشر وهي أنه إذا أراد أحد من عباد اللّه أن يكتفي باللّه، يعني أن يكون اللّه وحده، وأن يكون اللّه وحده إلهه، وأن يكون اللّه وحده رازقه.

وأن يكون اللّه وحده حصنه، وأنه يكون اللّه وحده طبيبه، وأن يكون اللّه وحده مدبّره ومدبر من له بهم عناية، وباختصار شديد أن يكون اللّه سبحانه وتعالى وليّه في

---

(١) مفاتيح الجنان، ص ١٥١.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٦.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٦.
(٤) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، دار الزهراء/ بيروت (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) ط٨، ص٤٨٠.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

جميع شؤون حياته ومماته وآخرته، فإنَّ اللَّه تعالى يكفيه كل ذلك. بما يشاء وكيف يشاء بالأسباب وهو سبحانه مُسبب الأسباب، أو بكلمة كن فيكون بشرط حسن التوكل.

كم وكم من الناس الذين يلجأون لغير اللَّه ويعتمدون على غير اللَّه ويستجيرون بغير اللَّه ويدعون غير اللَّه من البشر، يدعون الأنبياء والأولياء أمواتًا وأحياء وهم يقرأون ويقرأون في جملته قوله عَزَّ وجلّ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ... ﴿٣٦﴾﴾[1] ولكنهم عند هذه الآيات يصمّون آذانهم وتعمى عيونهم، هؤلاء يضلهم اللَّه تعالى بضلالهم، هم اختاروا الضلالة والغواية والتكذيب ولكي لا تسبق مشيئتهم مشيئة اللَّه سبحانه وتعالى لأن له الكبرياء وحده في السماوات والأرض لذلك يكون له السبق دائمًا في الفعل وفي الحكم وفي التنفيذ، ولذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾[2].

السيد الطباطبائي يفسر الآية قائلًا:

الأصل في معنى الصمد القصد أو القصد مع الاعتماد يقال: صمده يصمده صمدًا من باب نصر أي قصده معتمدًا عليه، وقد فسّروا الصمد ـ وهو صفة ـ بمعاني متعددة مرجع أكثرها إلى أنه السيد المصمود إليه **أي المقصود في الحوائج**، إذا أُطلق في الآية ولم يقيد بقيد فهو **المقصود في الحوائج على الإطلاق**.

وإذا كان الله تعالى هو الموجد لكل ذي وجود مما سواه يحتاج إليه فيقصده كل ما صدق عليه أنه شيء غيره في ذاته وصفاته وآثاره قال تعالى: ﴿...أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[3]، وقال وأطلق: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾[4]، فهو الصمد في كل حاجة في الوجود لا يقصد شيئًا إلا وهو الذي ينتهي إليه قصده وينجح به طلبته ويقضي به حاجته. **ومن هنا يظهر وجه دخول اللام في الصمد وأنه لإفادة الحصر فهو تعالى وحده الصمد على الإطلاق...**[5].

ويفسرها المرجع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي:

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٤) سورة النجم، الآية: ٤٢.

(٥) تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، ج٢٠، ص٣٦٢.

وهو وصف آخر لذاته المُقدّسة. وذكر المفسّرون واللغويون معاني كثيرة لكلمة «صمد». الراغب في المفردات يقول: الصمد، هو السيد الذي يُصمد إليه في الأمر، أي يقصد إليه، وقيل: الصمد الذي ليس بأجوف.

وفي معجم مقاييس اللغة، الصمد له أصلان: «أحدهما القصد، والآخر: الصلابة في الشيء... والله جلّ ثناؤه الصمد؛ **لأنه يَصمِدُ إليه عباده بالدعاء والطلب**»[1].

وقد يكون هذان الأصلان اللغويان هما أساس ما ذكر من معاني لصمد مثل: الكبير الذي هو في منتهى العظمة، **ومن يقصد إليه النّاس بحوائجهم...**[2].

وأما النصر فكيف يستقيم هذا المعنى (وانصراني فإنكما ناصران) مع قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[3] ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ۝٣١﴾[4] ﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾[5]؟!.

والغريب أن الشيخ عباس القمّي قبل صفحتين من هذا الدُّعاء في ص ١٤٧ يذكر توسل آخر فيقول: يجدي أيضًا للفرج ورفع الغموم والبلايا المواظبة على هذا الذكر المروي عن الجواد عليه السلام: «**يا مَن يكفي من كل شيء ولا يكفي منه شيء إكفني ما أهمني**»!. ومن دعاء الإمام الحُسين يوم عرفة: «**اللهم فأعطنا في هذه العشية ما سألناك واكفنا ما استكفيناك فلا كافي لنا سواك...**»[6].

وهذا المعنى يخالف ما ذكره الشيخ عباس القمي في الدُّعاء الأول من أنَّ «محمدًا وعليًّا كافيان»، فالمعنى هنا أن اللّه سبحانه هو الكافي من كل شيء، فأيهما الصحيح وأيهما نلتزم؟!.

ويرد هنا سؤالٌ هل يجوز الاستعانة بأنبياء اللّه وأوليائه؟

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٣، ص٣٩.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، العلامة ناصر مكارم الشيرازي، ج٢٠، ص٣٢٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥.

(٥) سورة الروم، الآية: ٥.

(٦) مفاتيح الجنان، دار إحياء التراث/ بيروت، دعاء الإمام الحسين يوم عرفة، ص ٣٠٩.

الجواب جاء في الآية الكريمة من سورة الفاتحة حيث يقول اللّه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[1].

يقول السيد الخوئي في تفسير هذه الآية:

«**الإعراب: «إياك»: في كلا الموردين مفعول قدّم على الفعل لإفادة الحصر،** وفي الآية التفات من الغيبة إلى الخطاب، والسر في ذلك أحد أمرين:

الأول: أن سابق هذه الآية الكريمة قد دلَّ على أنَّ الله سبحانه هو المالك لجميع الموجودات، والمُربّي لها والقائم بشؤونها، وهذا يقتضي أن تكون الأشياء كلها حاضرة لديه تعالى، وأن يكون ـ سبحانه ـ مُحيطًا بالعباد وبأعمالهم ليجازيهم يوم الدين بالطاعة أو بالمعصية، واقتضى ذلك أن يظهر العبد حضوره بين يدي ربه ويخاطبه.

الثاني: أن حقيقة العبادة خضوع العبد لربه بما أنه ربه والقائم بأمره والربوبية تقتضي حضور الرب لتربية مربوبه، وتدبير شؤونه، وكذلك الحال في الاستعانة فإنَّ حاجة الإنسان إلى إعانة ربه وعدم استقلاله عنه في عبادته تقتضي حضور المعبود لتتحقق منه الإعانة، فلهذين الأمرين عدّل السياق من الغيبة إلى الخطاب فالعبد حاضر بين يدي ربه غير غائب عنه.

التفسير: بعد أن مجّد الله نفسه بالآيات المُتقدّمة لقّن عباده أن يتلوا هذه الآية الكريمة وأن يعترفوا بمدلولها وبمغزاها، فهم لا يعبدون إلّا الله **ولا يستعينون إلّا به، فإنَّ ما سوى الله من الموجودات فقير في ذاته، عاجز في نفسه، بل هو لا شيء بحت.** إلَّا أن تشمله العناية الإلهية[2]، ومن هذا شأنه لا يستحق أن يُعبد أو يُستعان. **والممكنات كلها ـ وإن اختلفت مراتبها بالكمال والنقص ـ تشترك في صفة العجز اللازم للامكان، وفي أن جميعها تحت حكم الله وإرادته:** ﴿...أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾[3]. ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٤٢﴾[4].

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٢) يقول السيد الخوئي: «من شملته العناية الإلهية والنعم القدسية، فاهتدى إلى الصراط المستقيم، فسلكه إلى مقصده المطلوب وغايته القصوى، ولم ينحرف عنه يمينًا ولا شمالًا» مصدر سابق، ص٤١٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٤) سورة النور، الآية: ٤٢.

من ذا الذي يُعارضه في سلطانه وينازعه في أمره وحكمه، وهو القابض والباسط، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، **فالمؤمن لا يعبد غير الله، ولا يستعين إلّا به، فإنَّ غير الله ـ أيًّا كان ـ محتاج إلى الله في جميع شؤونه وأطواره والمعبود لا بد وأن يكون غنيًا، وكيف يعبد الفقير فقيرًا مثله؟!**

وعلى الجملة: الإيمان بالله يقتضي أن لا يعبد الإنسان أحدًا سواه، **ولا يسأل حاجته إلّا منه، ولا يتكل إلّا عليه، ولا يستعين إلّا به، وإلّا فقد أشرك بالله وحكّم في سلطانه غيره:** ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1]»[2].

«. . . والمقصود بالآية تلقين المؤمن أن يُظهِر توحيده في العبادة، وحاجته وافتقاره إلى إعانة الله عزَّ وجلّ في عباداته وسائر أعماله، وأن يعترف بأنه وجميع المؤمنين لا يعبدون غير الله **ولا يستعينون بأحد سوى الله، بل يعبدونه وحده ويستعينون به**»[3].

لكن لا مانع من استعانة الإنسان في مقاصده بغير الله من المخلوقات أو الأفعال، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[4]، ﴿...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[5]، ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾[6])[7].

وفي تفسيرها يقول الشيخ الطبرسي:

«أدل على الاختصاص من أن نقول نعبدك ونستعينك لأن معناه **نعبدك ولا نعبد سواك ونستعينك ولا نستعين غيرك** كما إذا قال الرجل إياك أعني فمعناه لا أعني غيرك. . . ومعنى قوله إياك نستعين إياك نستوفق ونطلب المعونة على عبادتك وعلى أمورنا كلها»[8].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٢) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، دار الزهراء/ بيروت(١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م) ط٨، ص٤٥٩، ٤٦٠.
(٣) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، مصدر نفسه، ص٩٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٥.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٢٢.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٩٥.
(٧) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، مصدر سابق، ص٤٧٨.
(٨) مجمع البيان، الطبرسي، ج ١، ص ١٠١.

ويفسرها السيد محمد حسين فضل اللَّه قائلًا:

«وقد نحتاج إلى الإطلالة على خصوصية **التعبير عن الالتزام بعبادة اللَّه والاستعانة به، بطريقة تقديم المفعول به على الفعل والفاعل الذي ينفصل فيه الضمير فيتحول من ضمير متصل في ما يتمثّل في كلمة «نعبدك» و«نستعينك» إلى ضمير منفصل يتقدم على الفعل وذلك في جملة (إياك نعبد وإياك نستعين) وهذه الخصوصية هي الحصر الذي يدل عليه تقديم المفعول على الفعل ليكون المعنى هو حصر العبادة باللَّه، والاستعانة به، وذلك من أجل التعبير عن التوحيد العملي الذي هو التجسيد الواقعي للتوحيد الفكري العقيدي** فقد لا يكفي في الإسلام، كما في كل الرسالات التوحيدية، أن يعيش الإنسان العقيدة في دائرتها التصوّرية، بل لا بد له من أن يعيشها في دائرتها العملية، فيما هي حركة العبادة في الذات، وفيما هي مسألة الارتباط باللَّه، المشدود إليه في أوضاع الحياة، بل ربما نجد أن هناك نوعًا من الوحدة بين الجانب النظري والجانب العملي في دعوة الرسالات، بحيث يكون التوحيد في العبادة هو الواجهة للدعوة في ما تختزنه من التوحيد في العقيدة»[1].

وأما السيد عبد اللَّه شبر فيقول:

«**قُدّم المعمول للحصر** ولتقدّمه تعالى في الوجود والإشعار بأنَّ العابد والمستعين ينبغي أن يكون نظرهما بالذّات إلى الحق وكرر الضمير للتنصيص على تخصيص كلٍّ منهما به تعالى»[2].

ولقد كان السيد محمد حسين فضل اللَّه دائمًا ما يردد ذلك حيث كان يقول:

«كنا نؤكد دائمًا أن لا نطلب حاجتنا إلَّا من اللَّه، لأن اللَّه هو ولي كل حاجة وكل نعمة، وصاحب كل حسنة، ولا يجوز أن نقول يا محمد اقضِ لي حاجتي، أو يا علي اشفني، أو يا حسين ارزقني... كلهم عباد اللَّه وهم يسألون اللَّه قضاء حاجاتهم ولذلك نحنُ لا نوافق ما هو مشهور في دعاء الفرج: «يا علي يا محمد، يا محمد يا علي، إكفياني فإنكما كافيان وانصراني فإنكما ناصران». إن اللَّه وحده

(١) تفسير «من وحي القرآن»، ج ١، ص ٥٤.
(٢) تفسير القرآن الكريم، السيد عبد اللَّه شبر، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ص ٣٩.

هو الكافي، ونحن ماذا نقول في الدُّعاء: «يا كافيًا من كل شيء، ولا يكفي منه شيء» اللَّه وحده هو الكافي، ليس النبي ﷺ هو الكافي، ولا الإمام علي عليه السلام هو الكافي، لأن اللَّه هو الذي يملك الأمرَ كلَّهُ، وهو الذي يملك حوائج السائلين ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾[1] ومعناه ألّا تدعوا غير اللَّه لطلب الحاجة، اللَّه فقط، لا نبي ولا ولي، وبدون واسطة، هذا هو معنى التوحيد الخالص للَّه»[2].

الشيخ عبد الكريم آل شمس الدين[*] أشار إلى ذلك فقال:

(فما للإنسان يصدّ عن هذا الإله العظيم، ذي العرش المجيد الكريم، ويستجير بغيره، ويستغيث بسواه؟ كدعائهم يا محمد يا علي أنصراني إنكما ناصران واكفياني أنكما كافيان، أو يا مهدي أدركنا، أو يا مسيح نجّنا وارزقنا، أو يا موسى ملّكنا رقاب العالمين، واللَّه سبحانه يدمغ هؤلاء جميعًا ببيّناته وحججه وآياته، يزرعها في عيونهم ويجعلها أغلالًا في أعناقهم يقول (عزَّ وجلّ): ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾[3])[4].

والسؤال: من هو صاحب العصر والزمان؟

(والأعجب من هذا كله، إني عاشرت أناسًا هُم في موقع المسؤولية الدينية، يحصرون المصير والمستقبل وحتى تفاصيل الأمور الدوَلية تحت عمامة مخلوق من عباد اللَّه، وينتظرون بفارغ الصبر مُنقذًا من الخلق وناصرًا من الخلق وهاديًا من

---

(١) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٢) نقلاً عن إحدى المحاضرات في مسجد الحسنين عليهما السلام حارة حريك، وقد بثت على إذاعة البشائر بتاريخ ٢٠١٠/٩/١٠م.

(*) هو الشيخ عبد الكريم بن الشيخ محمود بن الشيخ محمد أمين بن الشيخ أمين بن الشيخ جواد... **ابن الشهيد الأول**، ولد في عربصاليم سنة ١٩٣٨م (وهي بلدة عاملية في جنوب لبنان، تقع في إقليم التفاح، ذات طبيعة خلّابة) من كتبه: العقل الإسلامي، دعوة إلى الله، مفتاح المعرفة للدخول إلى عالم العرفان الإسلامي، الحكمة الإسلامية.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٨٤، ٨٩.

(٤) نقلًا عن «العقل الإسلامي» ط١ (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م) دار الأضواء/ بيروت، ص٢٥٤.

الخلق، بينما المُنقذ والناصر والهادي أقرب إليهم من دمائهم، وهو معهم أينما كانوا وهو اللّه الذي لا إله إلّا هو العزيز الحكيم، ينسونه سبحانه ويتوكّلون على عباده، وإن نوقشوا في الأمر، لفّوا وداروا ثمَّ ادعو الزُلْفَى ورجاء الشّفاعة، اللتين بريء اللّه منهما إذا كانتا في واقع شرك أو جحود: ﴿...مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[1].

ليس هذا الكلام تنكُرًا أو إنكارًا للمهدي المنتظر عجّل اللّه فرجه الشريف، فإنَّ معظم كلامنا الذي دار حول وعود اللّه عزّ وجلّ بنصر الإسلام في هذا الزمان، وبميراث الأرض وبالفتح المبين الذي تزول معه دولة بني إسرائيل، كان إشعارًا وإشارة إلى قرب موعد بعثه عليه السلام ولكن الطامة الكبرى، التي طمَّ بها أكثر الذين ينتظرون بعثته الميمونة، هي أنهم نسوا اللّه، وتعبّدوا لعبده المهدي المنتظر، الذي ناصيته بيد اللّه، والذي لا حول له ولا طول ولا قوّة إلّا باللّه، فأخذوا ينادونه ويدعونه، ويسألونه حاجاتهم، ويشكُون له الزمان والأيام والأقوام الظلَمة، وهو إذا كان بعيدًا لا يسمع، وإذا كان قريبًا لا يستجيب، والدليل على ذلك كثرة دعائه وندائه من قِبلهم، وعدم الإجابة من قبله، ذلك عبر مئات السنين، بمصائبها وملمّاتها وكوارثها، وظلم الظالمين وغدر الغادرين، وكثرة الوقعات التي شاب ويشيب لها الأطفال. ثمَّ إذا هم قوّموا الحصاد والمحاصيل، رجعوا بخفي حنين. ومع ذلك ما يزدادون إلّا دُعاءً ونداءً وكتابة لافتات: يا مهدي أدركنا، ويا صاحب الزمان أدركنا ولا مُجيب...

فيا أللّه، يا ربنا وربهم، يا رب العالمين، أدركنا وأدركهم ولا تجازهم بأقوالهم وأعمالهم فإنهم لا يعلمون. ربنا واشرح صدر عبدك المهدي عليه السلام، ويسّر أمره، وانصره على أعدائك وأعدائه نصرًا عزيزًا، وفرّج به كربات هذه الأُمّة، فإنَّ وعدك الحق، وأنت أرحم الراحمين **وأنت صاحب الزمان، والأزمنة والأمكنة** ﴿...مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[2])[3].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٣) نقلاً عن كتاب «العقل الإسلامي» ط ١ (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م) دار الأضواء/ بيروت، ص ٢٥١ ـ ٢٥٣.

وقد فنّدَ آية الله العظمى الإمام الشيخ محمد الخالصي هذا الدعاء المعروف بدعاء الفرج في رسالته العملية «إحياء الشريعة، الجزء الأول» فقال:

«وقد تداول في زماننا هذا الدعاء المعروف بدعاء الفرج بين العوام استنادًا إلى رؤيا رؤيت في المنام وفيه العبارة التالية: (يا محمد يا علي، يا علي يا محمد اكفياني فإنكما كافياني، وانصراني فإنكما ناصراني)، وظاهر هذه الكلمات كفر ومناف لنصوص القرآن، كقوله تعالى في سورة الجن: ﴿...فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ وكقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾. أو كقوله تعالى في سورة سبأ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، وكقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾. وهكذا آيات كثيرة من القرآن مما يأمر التوحيد الخالص وينهى عن دعاء غير الله، والرؤيا لا تقاوم العقائد الحقّة والقرآن الكريم، والدين لا يثبت بالرؤيا... وقراءة هذا الدعاء حرام قطعًا على كل حال... وإذا قرأه الداعي بقصد الورود شرعًا فقد ارتكب حرامًا آخر لأن الرؤيا لا تثبت شرعيتها ما لم يرد بها نص»[1].

يعلّق على ذلك الشيخ المحقق هادي الخالصي فيقول:

«وواضح أن هذا الدعاء فيه إعراض عن الله ودعاء إلى غيره، والدعاء عبادة والعبادة لا تجوز إلَّا لله تعالى، كما وأن تتمة الدعاء وانصراني فإنكما ناصراني تخالف الآية الكريمة في سورتي آل عمران والأنفال: ﴿...وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وأمور النصر والكفاية والخلق والرزق والشفاء فإنَّها من مختصات الله تعالى جلّ شأنه ولا يقدر عليها أحد غيره وطلبها من غيره سبحانه شرك بيِّن. ومن المؤسف رؤية بعض كبار المعممين وهم يرددون هذا الدعاء الموضوع»[2].

---

(١) نقلاً عن كتاب «علماء الشِّيعَة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين» دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١(٢٠٠٩م) ص٤٠٨.

(٢) نقلاً عن كتاب «علماء الشِّيعَة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين» مصدر نفسه، ص٤٠٨.

سئل السيد محمد حسن الكشميري: بعض الناس ومن المؤمنين يردّد الاستغاثة بالأئمّة من قبيل: يا علي ارحمني، يا صاحب الزمان ارزقني، أو يا فاطمة المعصومة أطلب منكِ ذرية صالحة، فما توجيه ذلك؟

«**الجواب**: إنَّ الاستغاثة بأي أحد حتى وإن كان من المعصومين عليهم السلام **فهي غير صحيحة مبدئيًا فالاستغاثة فقط بالله عزَّ وجلّ وهي من خصائص الرب عزَّ وجلّ**، ولكن دأب بعض فقراء الذهن والمساكين على النداء: يا علي، أو يا صاحب الزمان، **وهذا غير صحيح وربما يعطي معنى الشرك الخفي**. . .»[١].

إنَّ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبقية الأئمّة من أهل البيت **كانوا في حياتهم محدودي القدرة ضمن أُطر الزمان والمكان ولم يكونوا يخترقون الحُجُب ولا يمتلكون قدرة خارقة على نصرة أتباعهم أو المستغيثين بهم**، وقد تعرّضوا هم إلى أشدّ ألوان العذاب واستغاثوا بالله تعالى وطلبوا منه النصر والعون.

ولعل الاستغاثة العادية من جَهَلة الناس بالأئمّة والأولياء أو بالإمام المهديّ لا تحمل معنى الشرك الصريح، ولكنها عندما تقترن بتصور أن «**الإمام رب الأرض، وأنه فاعل ما به الوجود**» أي أن الأمر سيّان بين الله وبين سبيل الله «**من منه الوجود**» و «**من به الوجود**» فإنها تُعطي للإمام دورًا من أدوار الله تعالى، يُريد الله عزَّ وجلّ أن يحصره بنفسه، ويطلب من الناس أن يوحّدوه ويدعوه وحده لا شريك له في السّراء والضرّاء[*].

وهنا يبرز سؤال مهم وهو: ما هو دور الإمام؟ قيادة الأُمّة؟ أم إدارة الكون؟

للأسف عند هؤلاء الغُلاة الوضاعين للأحاديث أنَّ الإمام هو الذي يتصرف في الدنيا، والآخرة، كما جاء في أصول الكافي: محمّد بن يحي، عن محمّد بن أحمد، عن أبي عبد الله الرّازي، عن الحسن ابن عليّ بن أبي حمزة، عن أبيه، عن

---

(١) نقلاً عن «كتاب بين قوسين ـ جولة في دهاليز مظلمة» السيد محمد حسن الكشميري، دار النصر/ بيروت، ص٤٧.

(*) يقول ـ المرجع الشيخ ـ وحيد الخرساني: «**إن إمام العصر صار عبدًا ولمّا صار عبدًا صار ربًّا، فالعبودية جوهرة كنهها الربوبية**»! (مقتطفات ولائية ـ آية الله العظمى الشيخ ـ الوحيدي الخرساني، منشورات الحكمة، قُمّ/إيران، مطبعة أمير، طبعة سنة (١٩٩٦م) ص ٣٩، ٤١، ٩١).

أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء**»[1]!

الثاني والعشرون: أعمال شهر رجب

جاء في أعمال شهر رجب في العمل السابع:

«والسلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويّض، وعليكم التعويض فبكم يجبر المهيض ويشفى المريض، وما تزداد الأرحام وما تغيض، **إني بسركم مؤمن** ولقولكم مُسلِّمٌ...»[2].

وجاء أيضًا في زيارة الحُسين عليه السلام في عيدي الفطر والأضحى:

«أنت مولاي حُجَّةُ اللَّهِ على الخلق أجمعين **آمنت بسركم** وعلانيتكم وبظاهركم وباطنكم وأولكم...»[3].

وغيره من الأدعية التي توحي أن لأهل البيت عليهم السلام أسرارًا يجب أن نؤمن بها ولكن السؤال **هل لأهل البيت** عليهم السلام **أسرارٌ كما يريد الراوي أن يوحي؟**

أقول: ليس من المعلوم ماهية أسرارهم! ولم نقرأ أنَّ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الأصل قد صرّح بوجود أسرار فكيف ظهرت عند أئمتنا عليهم السلام وهم الفروع من ذاك الأصل صلى الله عليه وآله وسلم؟!

وإذا سلّمنا جدلًا بوجودها فهي على احتمالين:

الاحتمال الأول: أن تكون أمورًا دينية أي من عقائد الدين وأحكامه فإذا كانت كذلك فإنَّ كتمانها حرام وكل من يكتم أحكام اللَّه فإنه يستوجب اللعن من اللَّه كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾[4] إضافة إلى أن أحكام الدين ليست من الأسرار بل لا بد من إبلاغها على نحو متساو لجميع الناس

---

(١) أصول الكافي، باب: أن الأرض كلها للإمام عليه السلام، ج١، ص٤٠٨، ٤٠٩.

(٢) مفاتيح الجنان، ص ١٧٣.

(٣) مفاتيح الجنان، ص ٤٨٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

كما قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾[1] أي أعلمتكم جميعًا على حد سواء، فلم يجعل بعض مطالب دينه أسرارًا اختصَّ بها بعض عباده فقط!.

الاحتمال الثاني: أن تكون هذه الأسرار على نحو العلاقة الروحية والإيمانية والوجدانية بينهم عليهم السلام وبين اللَّه سبحانه وتعالى، فإذا كان الأمر كذلك فكل عباد اللَّه الصالحين وأوليائه المتقين لديهم أسرار مع اللَّه سبحانه وتعالى فكُلّهم يبغون الطاعة والتقرب إليه عزَّ وجلّ.

ولا توجد خصوصية لأحد على أحد في هذا الاحتمال لأن اللَّه يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2] وهذا ليس سرًا بل هذا ما أَمَرَنا اللَّه به وحثّنا أن نسعى إليه ونجتهد فيه ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[3] فواضع هذه الزيارات أراد أن يُبعد الناس عن التفكر بعظمة هذا الكون وأسراره وبدل أن نُدهش بما فيه من الأفلاك والسموات والأرضين وكل ما يحتوي من إنسان وحيوان ونبات في البر، وحيتان ومخلوقات في البحار والأنهار وكل ما لا يستطيع أن يتخيّله فكر مخلوق، أرادنا أن نتلهى بأسرار موهومة وضعها لننشغل بها ونبتعد عن البوصلة الصحيحة للأسرار الحقيقية!

ثمَّ نسأل: هل من الجائز أن يبقى هذا السرّ مستورًا مخفيًا أم لا بُدّ من كشفه؟ إذا كان الجواب هو الأول فما علاقة الناس بمثل هذا السرّ وما فائدته لهم؟ إذن عليهم أن لا يكونوا فضوليين كما لا يحق للأنبياء والأئمة أن يفشوا تلك الأسرار، أما إذا كان المطلوب أن تُنقل تلك الأسرار في الكتب وتُعلّم للناس فلماذا تُسمّى أسرارًا إذًا؟

الثالث والعشرون: دعاء التوسل

جاء في الفصل السابع ـ الدُّعاء الثاني: التوسّل: قال العلّامة المجلسي (رحمه الله) عن بعض الكتب المعتبرة، إنَّهُ روى محمد بن بابويه هذا التوسل، عن الأئمّة عليهم السلام وقال: ما توسلت لأمر من الأُمور إلَّا ووجدت أثر الإجابة سريعًا وهو:

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ بِنَبِيِّكَ نَبِيِّ ٱلرَّحْمَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، يا أَبا ٱلْقاسِمِ يا رَسُولَ ٱللَّهِ يا إِمامَ ٱلرَّحْمَةِ، يا سَيِّدَنا وَمَوْلاَنا إِنَّا تَوَجَّهْنا وَٱسْتَشْفَعْنا وَتَوَسَّلْنا بِكَ إِلَىٰ ٱللَّهِ وَقَدَّمْناكَ بَيْنَ يَدَي حاجاتِنا، يا وَجِيهًا عِنْدَ ٱللَّهِ ٱشْفَع لَنا عِنْدَ ٱللَّهِ. يا أَبا ٱلْحَسَنِ. . . إلخ[1].

أولًا: التفسير اللغوي

وَسَلَ: الوسيلة المنزلة عند الملك والوسيلة الدرجة، القربة. ووسَلَ فلان إلى اللّه وسيلة إذا عمل عملًا تقرّب به إليه والواسل الراغب إلى اللّه، والوسيلة ما يتقرب به إلى الغير والجمع الوسل والوسائل والتوسيل والتوسل واحد[2].

ثانيًا: التفسير الديني

يفسّرها السيد الطباطبائي:

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾[3]، وحقيقة الوسيلة إلى اللّه تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة وإذا كانت نوعًا من التواصل وليس إلَّا توصلًا واتصالًا معنويًا بما يوصل بين العبد وربه ويربط هذا بذاك، **ولا رابط يربط العبد بربه إلَّا ذلة العبودية، فالوسيلة هي التحقق بحقيقة العبودية وتوجيه وجه المسكنه والفقر إلى جنابه تعالى**[4].

عند الشيخ الطبرسي:

وابتغوا إليه الوسيلة أي: **اطلبوا إليه القربة بالطاعات** وعن الحسن، ومجاهد، وعطا والسدي، وغيرهم، فكأنه قال: **تقرّبوا إليه بما يرضيه من الطاعات**[5].

---

(١) مفاتيح الجنان، ص ١٤٣.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثير، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، بيروت: المكتبة العصرية، مادة (وسل)، لات والراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، بيروت: دار الكتب العلمية، لات.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٤) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٥، ص ٣٢٨.

(٥) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، ج ٣، ص ٣٢٧.

وجاء في مستدرك الوسائل ـ الميرزا النوري:

وقال ﷺ: «**نعم الوسيلة الاستغفار**»[1].

ويقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي عند شرحه للآية الكريمة:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾[2].

«ما هي الوسيلة؟

هذه الكلمة استخدمت في موضعين في القرآن الكريم، الموضع الأول في هذه الآية: والآخر في الآية ٣٥ من سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾[3] فكلمة «الوسيلة» في الأصل بمعنى نشدان التقرُّب أو طلب الشيء الذي يؤدي إلى التقرُّب للغير عن ميل ورغبة، وعلى هذا الأساس فإنَّ كلمة «الوسيلة» الواردة في هذه الآية لها معان كثيرة واسعة، فهي تشمل كل عمل أو شيء يؤدي إلى التقرُّب الى الله سبحانه وتعالى، **وأهم الوسائل في هذا المجال هي الإيمان بالله وبنبيه ﷺ والجهاد في سبيل الله، والعبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج إلى بيت الله الحرام وصلة الرحم والإنفاق في سبيل الله سرًّا وعلانية وكذلك الأعمال الصالحة ـ كما يقول الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب** عليه السلام **في خطبة له وردت في «نهج البلاغة»** كما أنَّ شفاعة الأنبياء والأئمة والأولياء الصالحين تُقرّب ـ أيضًا ـ إلى الله وفق ما نقرأ في الآية (٦٤) من سورة النساء قوله تعالى: ﴿...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ كما نقرأ في الآية (٩٧) من سورة يوسف، إنَّ أُخوة يوسف طلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم الله، فقبل يعقوب هذا الطلب ونفذه، والآية (١١٤) من سورة التوبة تشير إلى موضوع استغفار إبراهيم لأبيه، وهذا دليل على تأثير دعاء الأنبياء في حق الآخرين.

وهذه الشّفاعة ـ شفاعة الأنبياء والأئمة والأولياء الصالحين ـ داخلةٌ في المفهوم الواقع لكلمة «الوسيلة» ـ وكذلك إتّباع النّبي والإمام والسير على نَهْجِهِما، كل ذلك

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٢، ص ١٢٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

يوجب التقرب إلى الساحة الإلهية المُقدّسة. وحتى عندما نقسم على الله بمقام الأنبياء والأئمة والصالحين فإنه يدل على حبّنا لهم والاهتمام بالدين الذي دعوا إليه، هذا الْقَسَمُ يُعتبر ـ أيضًا ـ واحدًا من المعاني الداخلة في المفهوم الواسع لكلمة «الوسيلة».

وينبغي هنا عدم التباس الأمور، إذ أنَّ التوسُّل بالمقربين من الله تعالى لا يعني أنَّ الإنسان يريد شيئًا من النّبي أو الإمام بشكل مستقل، أو أنّهم يقومون بحل مشاكله بشكل مستقل عن الله، بل الهدف هو أن يضع الإنسان نفسه في خطّهم ويطبق برامجهم، ثمَّ يطلب من الله بحقهم، حتى يعطي الله، إذن الشّفاعة لهم... أو أن يقسم بجاههم وبدينهم (وهذا يعتبر نوعًا من الإحترام لمنزلتهم وهو نوع من العبادة) ويطلب من الله بذلك حاجته، وليس في هذا المعنى أيّ أثر للشرك، كما لا يخالف الآيات القرآنية الأُخرى.

ملاحظات ضرورية:

نرى من الضروري ـ هنا ـ الإشارة إلى عدة أمور:

١ ـ لقد أسلفنا القول بأنَّ التوسل ليس معناه طلب الحاجة من النّبي أو الإمام، بل المراد منه جعل النّبي أو الإمام شفيعًا إلى الله في قضاء الحاجة، وهذا الأمر ـ في الحقيقة ـ توجه إلى الله، لأن احترام النبي ﷺ إنّما هو من أجل أنّه رسول الله والسائر على هداه...)[1].

يقول السيد الخوئي رافضًا «وسائط الفيض»:

«فالإيمان بالله تعالى لا يجتمع مع عبادة غيره، سواء أَنَشَأَت هذه العبادة عن اعتقاد التعدد في الخالق وإنكار التوحيد في الذات، أم نشأت عن الاعتقاد بأنّ الخلق معزولون عن الله فلا يصل إليه دعاؤهم، وهم محتاجون إلى إلٰه، أو آلهة أخرى تكون وسائط بينهم وبين الله يقربونهم إليه، وشأنه في ذلك شأن الملوك وحفدتهم، فإنَّ الملك لما كان بعيدًا عن الرعية احتاجت إلى وسائط يقضون حوائجهم، ويجيبون دعواتهم.

---

(١) نقلًا عن «تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل» العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، ط١ (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م) ج٣، تفسير الآية ٥٧ من سورة الإسراء، ص٢٥، وج٩: تفسير الآية ٣٥ من سورة المائدة، ص٤١٧.

وقد أبطل الله سبحانه كلا الاعتقادين في كتابه العزيز، فقال تعالى في إبطال الاعتقاد بتعدد الآلهة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1] ﴿...وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2].

وأما الاعتقاد الثاني ـ وهو إنّما ينشأ عن مقايسته بالملوك والزعماء من البشر فقد أبطله الله بوجوه من البيان. فتارة يطلب البرهان على هذه الدعوى، وأنها مما لم يدل عليه دليل، فقال: ﴿...أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[3] ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾[4].

وأُخرى بإرشادهم إلى ما يدركونه بحواسهم من أنَّ ما يعبدونه لا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا، والذي لايملك شيئًا من النفع والضر، والقبض والبسط، والإماتة والإحياء لا يكون إلَّا مخلوقًا ضعيفًا، ولا ينبغي أن يُتخذ إلهًا معبودًا.

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[5]. وهذا الحكم عقلي نظري شاءت الحكمة أن تنبه العباد عليه في هذه الآيات المباركة، وهو سارٍ في كل موجود ممكن محتاج، وإن كان نبيًا: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ﴾[6].

وأبطل هذا الاعتقاد مرة ثالثة، بأن الله قريب من عباده يسمع نجواهم ويجيب

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٤.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ٧١.
(٥) سورة الأنبياء، الآيتان: ٦٦، ٦٧.
(٦) سورة المائدة، الآيتان: ١١٦، ١١٧.

دعواهم وأنه القائم بتدبيرهم وبتربيتهم، فقال تعالى: ﴿...وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[1]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[2]، ﴿...ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3].

فالله سبحانه وتعالى غير معزول عن خلقه، وأمورهم كلها بيده، **ولا يفتقر العباد إلى وسائط تبلغه حوائجهم**، ليكونوا شركاء له في العبادة، بل الناس كلهم شرع سواء في انَّ الله ربهم وهو القائم بشؤونهم: ﴿...إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾[4]، ﴿... كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾﴾[5]»[6].

ولقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك حين قال:

«فَاسْتَفْتِحُوهُ وَاسْتَنْجِحُوهُ[7]، واطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ فَمَا قَطَعَكُم عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُم دُونَهُ بَابٌ وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ»[8].

بعض الملاحظات على تفسير البعض للآية الكريمة: ﴿...وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ بالأئمّة من أهل البيت عليهم السلام:

(يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾[9].

أولًا: الخطاب في الآية ـ كما هو ظاهر ـ موجّه إلى المؤمنين، وطبقًا للآية ٢٨٥ من سورة البقرة النبيّ صلى الله عليه وآله مشمولٌ بخطاب الله للمؤمنين، وبالطبع أئمة أهل البيت عليهم السلام أيضًا مشمولون بالخطاب! فلنا أن نسأل إذًا ما هي الوسيلة التي كان

---

(١) سورة ق، الآية: ١٦.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٦.
(٣) سورة غافر، الآية: ٦٠.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.
(٦) البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء/ بيروت (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) ط٨، ص٤٦٣ ـ ٤٦٦.
(٧) استنجحوه: اسألوه النجاح في أعمالكم واستمنحوه: التمسوا منه العطاء.
(٨) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٦هـ) ط٢، ج١٠، ص١٧٠، خطبة (١٨٨).
(٩) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

يبتغيها النبيُّ ﷺ وأئمة الهدى عليهم السلام للتقرّب إلى الله تعالى: هل كانت شيئًا سوى الإيمان والتقوى والعمل الصالح؟

هل الوسيلة التي يجب على الإمام كما يجب على المأمومين أن يطلبوها ويتوسلوا بها إلى الله أم لا؟ هل يوجد في الدين فرق بين أحكام الإمام وأحكام المأموم؟! بالطبع لا، لذا يجب أن نقول إنَّ على المأمومين أن يقتدوا بالإمام ويتَّبعوه ويتأسَّوا به في كلِّ وسيلة توسَّل بها إلى الله.

في الواقع لقد ذكرت الآية الكريمة في آخرها ـ بعد الأمر بابتغاء الوسيلة ـ نموذجًا للوسائل التي يجب ابتغاؤها فقالت: ﴿...وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣٥﴾[1]. فأوضح الله تعالى المقصود بابتغاء الوسيلة فورًا، ولعلَّ هذا يفسّر لماذا يجتزئ ـ أكثر ـ العلماء الآية المذكورة في خطبهم وكُتُبهم فلا يكملونها حتى آخرها ويقفون قبل قوله تعالى: ﴿...وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ثانيًا: لم تقل الآية الكريمة: «ادعوا الوسيلة» بل قالت: «ابتغوا إليه الوسيلة» ومن البديهيّ أن الابتغاء غير الدعاء.

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ٥٧﴾[2]. يفسّر ويبيّن بوضوح معنى «الوسيلة» ولفظ «أقرب» في الآية المذكورة قرينة على أن المراد من الوسيلة هو «المنزلة» التي تتحصّل بالالتزام بأوامر الشرع ونواهيه فالذين هم عند الله يبتغون القرب والمنزلة منه.

ثم إن الآية تقول على نحو ضمني إنَّ الذين تدعونهم هم أنفسهم يبحثون عن وسيلة تقرِّبهم من الله ولا شك أن الذي يبحث عن الوسيلة بنفسه لا يمكن أن يكون هو ذاته وسيلة!)[3]

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

(٣) انظر كتاب «إشعاع من القرآن» للسيد أبو الفضل بن الرضا البرقعي القمي، وكتاب «العدل الإلهي» للشهيد مطهري.

ثالثًا: أنواع التوسل:

قبل الشروع في أنواع التوسل وجب التوضيح أننا لسنا ضد التوسل بل نحنُ مع التوسل؛ إنّما علينا أن نعرف كيفية هذا التوسل؟!

لمعرفة ذلك نقول: يوجد نوعان من التوسل: توسل مشروع وتوسل غير مشروع، وما نسعى إليه هو تصويب الطريقة في التوسل، لا إلغاء التوسل أو ادعاء بطلانه كُليًّا، لأنه هناك فرق بين ما هو مشهور لدينا من طريقة التوسل وما بين طريقة أهل البيت في ذلك!

الأول: التوسل المشروع:

وهو طلب المعونة من الله بطريقة غير مباشرة، يتكئ بها الداعي تقربًا وهو على قسمين:

القسم الأول: ما ضمّن فيه أهل البيت عليهم في التوسل ومن ذلك ما جاء في الأدعية الصحيحة الواردة عنهم كما يلي:

١ ـ اللَّهُمَ إني أسألك بحق محمد وآلِ محمد أن تصلي على محمد وآلِ محمد...

٢ ـ اللَّهُمَ إني أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحُسَيْن عليهم السلام...

٣ ـ اللَّهُمَ إني أسألك بالمولودين في رجب محمد بن علي الثاني وابنه علي بن محمد المنتجب، وأتقرب إليك خير القُرب.

٤ ـ اللَّهُمَ صلِّ على محمد وعلى ابنته وعلى ابنيهما وأسألك بهم أن تعينني على طاعتك ورضوانك...

٥ ـ اللَّهُمَ إني أسألك بحق وليك علي بن أبي طالب عليه السلام...

القسم الثاني: تضمين بعض المقدّسات في التوسل

١ ـ اللَّهُمَ إني أسألك بحق المشعر الحرام أن تحرّم شعري وبشري على النار...

٢ ـ اللَّهُمَ إني أسألك بحق القرآن العظيم الذي نزل به الروح الأمين...

٣ ـ اللَّهُمَ إني أسألك بحق العرش وعظمته، وبحق الكرسي وسعته...

٤ ـ اللَّهُمَ بحق من أرسلته إلى خلقك، وحق كل آية فيه، وبحق كل من مدحته فيه عليك.

٥ ـ اللَّهُمَ بحق العرش ومن علاه، وبحق الوحي ومن أوحاه وبحق النبي ومن نبّاه وبحق البيت ومن بناه...

إذًا لو نظرنا إلى أدعية أهل البيت عليهم السلام وتوسلهم أنفسهم إلى اللَّه، لوجدنا تضمينهم أنفسهم ضمن الدُّعاء الموجه إلى اللَّه تعالى.

الثاني: التوسل غير المشروع:

وهو طلب المعونة من الإمام بطريقة مباشرة كما جاء في دعاء التوسل المشهور (يا أبا الحسن يا أمير المؤمنين يا علي بن أبي طالب يا حجّة اللَّه على خلقه يا سيدنا ومولانا إنَّا توجّهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى اللَّه وقدمناك بين يدي حاجاتنا، يا وجيهًا عند اللَّه اشفع لنا عند اللَّه...الخ

وهذه الطريقة بالتوسل جاء النهي عنها من جهتين (القرآن الكريم والسُّنّة المتمثّلة بأهل البيت عليهم السلام).

أولًا: القرآن الكريم وهي على جهتين:

الجهة الأولى: الآيات الواردة بخصوص حثَّ الناس على دعوة اللَّه وحده دون غيره:

١ ـ أمرنا اللَّه بإخلاص الدين في الدعاء والعبادة:

قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾[1].

لا شك أننا مأمورون بالإخلاص في عبادة اللَّه، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[2] وفي آية أخرى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ﴾[3] يفسّر الشيخ الطبرسي هذه الآية فيقول: «أي مخلصين في دعائه وعبادته»[4].

(١) سورة غافر، الآية: ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٥.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج٨، ص ٨٢٥.

وقال اللّه تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾[١]. وتفسيرها: «أي إن خافوا الغرق والهلاك فأخلصوا في الدُّعاء للَّه فلما خلّصهم (فمنهم مقتصد) أي عدل في الوفاء في البرّ بما عاهد اللَّه عليه في البحر من التوحيد له»[٢] وماذا يعني التوحيد هنا؟ أي الدعاء للواحد القهار دون غيره فالإخلاص بالدعاء يكون بالوحدانية بالتوجه للَّه. وهذه الآيات تأمرنا بالإخلاص للَّه في الدُّعاء وتبيّن التلازم بين الدُّعاء والعبادة، وتفيد بوجوب الإخلاص في العبادة وفي الدعاء، فمَن دعا غير اللَّه فيما يختص به اللَّه من الدُّعاء فقد نقص إخلاصه وإن قال لا إله إلّا اللَّه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[٣].

وتفسيرها كما ورد عند الطبرسي: «خافوا الهلاك فأخلصوا الدُّعاء للَّه مستيقنين أنه لا يكشف السوء إلّا هو وتركوا شركاءهم فلم يطلبوا منهم إنجاءهم. فلمّا خلّصهم إلى البرِ وأمنوا الهلاك عادوا إلى ما كانوا عليه من الإشراك في العبادة»[٤].

٢ ـ النهي عن الدعاء من دون اللَّه

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[٥] فهذا نهي يفيد العموم.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾﴾[٦] وتفسيرها: «أي من أضل عن طريق الصواب ممن يدعو من دون اللَّه شيئًا، لو دعاه إلى يوم القيامة لم يجبه ولم يغثه والمراد لا يستجيب له أبدًا»[٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٢.
(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ج٨، ص ٥٠٦.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.
(٤) مجمع البيان، ج٨، ص٤٥٨.
(٥) سورة الجن، الآية: ١٨.
(٦) سورة الأحقاف، الآية: ٥.
(٧) مجمع البيان، ج٩، ص ١٢٥.

إن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾[1] وتفسيرها: «أي أتدعون فيها لكشف ذلك عنكم هذه الأوثان التي تعلمون أنّها لا تقدر أن تنفع أنفسها ولا غيرها أو تدعون اللَّه الذي هو خالقكم ومالككم لكشف ذلك عنكم»[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾[3] فهؤلاء المشركون كانوا يدعون بشرًا مثلهم، وتأمل كيف وصف اللَّه دعاء غيره بالشرك وموضوع الآيات كان الدُّعاء وليس الصلاة أو السجود، يقول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[4] فاللَّه وحده القادر والقاهر فوق عباده، فإذا كان الخلق أمثالكم فلماذا تخضعون لهم وتدعون لهم من دون الله؟ والآية الكريمة تقول: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٠﴾﴾[5].

٣ ـ اللَّه يقول لعباده إدعوني بلا واسطة

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[6] فهو كافيكم فلا تلتجئوا لغيره مهما علا شأن هذا الشخص إن كان نبيًّا أو وليًّا أو إمامًا (وهذا رفض تام لما يقوله البعض أنَّ أهل البيت وسائط الفيض). لذا يقول اللَّه تعالى وهو استفهام إنكاري: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾[7] وهل غير اللَّه يكشف الضر...؟!

الجواب في هذه الآية قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[8] البعض يقول: أن هناك بعض الأولياء يجيبون المضطر إذا دَعَاهُمْ ويكشفون السوء عَنْهُ وهذا يتعارض مع الآيات القرآنية بأنَّ اللَّه (عزَّ وجلَّ) جعل ذلك خاصًا به وحده فيقول تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾[9] وأما غيره مهما علا شأنهم

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٠.
(٢) مجمع البيان، ج٤، ص ٤٦٤.
(٣) سورة النحل، الآية: ٨٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٩٤.
(٥) سورة الجن، الآية: ٢٠.
(٦) سورة غافر، الآية: ٦٠.
(٧) سورة الزمر، الآية: ٣٦.
(٨) سورة النمل، الآية: ٦٢.
(٩) سورة الأنعام، الآية: ١٧.

وقدرهم فلا يكشفون ولا يستجيبون، قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾[1] إن اللّٰه قريبٌ منّا بما لا يتخيّله العقل، يقول اللّٰه تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[3] وفي هذه الآية لفتة كريمة إلى نفي أي وساطة بين العبد وربه حتى إن اللّٰه لم يقل: فقل لهم يا محمد ﷺ إني قريب وإنما قال: فإني قريب. . . !

وقال تعالى: ﴿...قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾[4] ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[5].

٤ ـ لا تدعوا مع اللّٰه أحدا. . .

يقول **الشيخ عبد الكريم آل شمس الدين** في هذا الجانب:

«أنَّ أيَّ ولي من أولياء اللّٰه، لا يضر ولا ينفع إلَّا بعناية من اللّٰه وتوفيق من اللّٰه، وإذنٍ من اللّٰه، وتسديد منه سبحانه، وأنه لا يجوز أن ندعو مخلوقًا من دون اللّٰه ولا نناديه ولا أن نناجيه، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾[6]. وواضح معنى الآية الأخيرة، قل يا محمد، أنك لا تملك لهم ضرًا ولا نفعًا، فاللّٰه سبحانه هو المالك لكِ ولهم، بيده ناصيتك ونواصيهم.

وكذلك في وجوب أن لا يُدعى مخلوق من دون اللّٰه، قوله تبارك وتعالى: ﴿...ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٤.
(٢) سورة ق، الآية: ١٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٨.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.
(٦) سورة الجن، الآية: ١٨، ٢١.

﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[1]. والتوجه بالدّعاء لعباد اللَّه، أو طلب النجدة، أو المساعدة منهم، أو قضاء الحاجات، نجده أكثر ما يكون عند اليهود والنصارى، ناهيك عن أصحاب الديانات الوثنية في أقطار الأرض. وللأسف أيضًا، نجده عند كثرة من عوام المسلمين، حيث يقدمون على ذلك ـ على إمكانية أن يستجيب المخلوق الوليّ، لمن يدعوه ـ أدلةً، فيها من ابتلاء اللَّه لهم ولسمّاعهم العجب العجاب، فكلما دعا داع عبدًا من عباد اللَّه، نبيًا كان أو إمامًا أو وليًّا، وأجيبت حاجته كان اللَّه سبحانه وتبارك وتعالى، هو المجيب وليس عبده الصالح، ويفسّر هذه الأُمور بجلاء، هذه الواقعة التي يقبل معانيها القرآن الكريم. إذ نحنُ ملزمون، بعرض كل حديث على القرآن الكريم للتأكّد من سلامته: عندما صنع السامريّ عجلًا لبني إسرائيل، سجد له الفريق الذي طلب إلهًا مجسّمًا يعبده، وتردّد آخرون، فأخذ العجل يخور، فحسم المتردّدون أمرهم وسجدوا مع الساجدين وكان أن رجع موسى من ميعاده مع ربّه تبارك وتعالى، ونسف العجل في البحر، وأبلغ أمر اللَّه سبحانه بأن يقتلوا أنفسهم تكفيرًا عمّا وقعوا فيه. وبعد أن هدأ غضبه، أخذ يفكّر في الأمر من بدايته، حتى وصل إلى أن العجل كان يخور، فمن أين الخوار؟!

وسأل ربّه تبارك وتعالى قائلًا: يا ربِّي أمَّا العجل، فصنعه السامريّ وساعده بنو إسرائيل، وأما الخوار فممن وهو الأمر الذي فتنهم أيما فتنة؟ قال له تعالى: منِّي يا موسى لأزيد في فسقهم وإضلالهم، بعد الذي أبديتُ لهم من نعمي ورحمتي وآياتي، فأبوا إلّا أن يعبدوا إلهًا مزعومًا غيري.

فإذا كان بنو إسرائيل، في ذاك الزمن، قادهم خيالهم الفاسد، إلى صناعة عجل معدني، نصبوه وعبدوه، فإنَّ هذا الخيال بعينه، ما زال موجودًا في هذا الزمان، وإنما بشكل متطّور، تطّورت معه كذلك نسبة الكفر، والإقبال على ما هو مادي ومجسّم، لكأن أكثر الناس في التاريخ، يرتاحون إلى الكساح، ويفضلّونه على التحليق وبذل الجهد فيه، لمعرفة الحق الأزليّ الأبدي. لذلك نجد أكثر الناس من أصحاب الملل، استبدلوا تماثيل بشرية، بتلك الحيوانية. والذين ترقوا في كفرهم أكثر فأكثر، استعاضوا عن التماثيل الحيوانية والبشرية، بأولياء للَّه يعبدونهم أحياء أو أمواتًا. ومن هنا قوله فيهم عزّ شأنه:

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٣، ١٤.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾[1]

وغاية الأمر أن يكون اللّه من وراء القصد في اتبّاعهم أولياء اللّه، بأن لا ينسى المتولي لعبد من عباد اللّه، نبيًا كان أو وليًا أو إمامًا، أو عبدًا صالحًا، أو أحد والديه أو كليهما، أنه إنّما يتولّى عبد اللّه الذي لا إله إلّا هو الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وإن كان إمامًا وصيًا أو وليًا فالأمر كذلك. يُضاف إلى ذلك وجوب الحذر الشديد من الشرك الخفيّ. ويكون ذلك بأن يتذكر الإنسان دائمًا أن اللّه سبحانه هو الحيّ القيوم، السميع البصير، وهو وَحْدَهُ على كل شيء قدير يقول اللّه تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[2] وقوله عزّ شأنه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ﴾[3].

وبعد، أفلا يستحي المخلوق أن يدعو غير اللّه، واللّه أقرب إليه من حبل وريده، أقرب إليه من دمه الجاري في أعراقه، أفلا يخجل الإنسان أن يكون اللّه ربّه العظيم أقرب ما يكون إليه، ثمَّ يصيح ويستنجد بعبد من عباد اللّه، حيًا كان أو ميتًا، سامعًا أو غير سامع كأن يقول يا فلان أدركنا، ويا تمثال أرزقنا، أو يا وليّ أو يا نبيّ أو يا شفيع أنصرنا واكفنا»[4].

٥ ـ إلى من توجّه الأنبياء في دعائهم؟

بما أنَّ الأنبياء والرسل هم قدوتنا وأسوتنا في الحياة كما قال اللّه تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[5] فلننظر ماذا كان يفعل الأنبياء عند المُلمّات وبمن كانوا يستعينون ولمن كانوا يتوجهون؟

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾[6]

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة ق، الآية: ١٦.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٤) كتاب العقل الإسلامي، دار الأضواء/ بيروت، ط ١ (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م) ص ٢٤٩ ـ ٢٥١.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾[1] فالله تعالى وليس غيره، سميع الدُّعاء، مجيب لكل داعٍ . . . !!

قال النبي لوط عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾[2].

ودعا النبي إبراهيم عليه السلام ربه فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[3].

وعن النبي سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾[4].

ونادى أيوب عليه السلام ربه قائلًا: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾[5].

يقول الطبرسي: «ثمَّ ذكر سبحانه قصة أيوب عليه السلام فقال (واذكر) يا محمد (عبدنا أيوب) شرَّفه اللَّه سبحانه بأنه أضافه إلى نفسه واقتدِ به في الصبر على الشدائد (إذ نادى ربه) أي حين دعا ربه رافعًا صوته يقول يا رب لأن النداء هو الدُّعاء بطريقة يا فلان ومتى قال اللَّهُمَ افعل بي كذا وكذا كان داعيًا ولا يكون مُناديا»[6].

فهل توجّه الأنبياء والرسل في دعائهم إلى غير اللَّه وهل توسلوا بأحد؟ الجواب واضح!

وعندما يمُسّ الإنسان ضرٌ فإلى من يتوجه؟ الجواب في هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾[7] **يفسّرها الطبرسي**: «﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ من شدة ومرض وقحط وغير ذلك ﴿...دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ **أي راجعًا إليه وحده لا يرجو سواه**»[8] ثمَّ تكمل الآية ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[9].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٩.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠٠.
(٤) سورة ص، الآية: ٣٥.
(٥) سورة ص، الآية: ٤١.
(٦) مجمع البيان، الطبرسي، ج ٨، ص ٧٤٤.
(٧) سورة الزمر، الآية: ٨.
(٨) مجمع البيان: الطبرسي، ج ٨، ص ٧٦٦.
(٩) سورة الزمر، الآية: ٨.

فعندما ندعو مع اللَّه أحدًا مهما كانت عظمته فهو ندٌ للَّه ونتيجة هذه الأنداد التي وضعها الناس، ضلال عن سبيله سبحانه وتعالى.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾[1].

والآيات كثيرة نكتفي بهذا القدر، وهذه الآيات بيّنت أن الدعاء يكون للَّه مباشرة والاستجابة منه.

لكن البعض استشهد بجواز التوجه إلى النبي ﷺ بهذه الآية الكريمة:

﴿...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[2] **فهل ذلك صحيح؟**

لمعرفة ذلك نقول: (إنَّ الله تعالى لم يقل أبدًا بجواز التوجه لغيره لأجل غفران ذنوبهم والآية التي ذُكرت لا علاقة لها بهذا المعنى، لأن سياقها الكامل كالتالي: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[3]، فهذه الآيات تتعلق بالمنافقين الذين تخاصموا مع اليهود فقال اليهودي: أنا أقبل بحكم محمَّد ولكن المنافق قال: أنا لا أقبل بحكمه، كما أشارت إلى ذلك الآيات التي جاءت قبلها أي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾[4]، ثمَّ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

(١) سورة الرعد، الآية: ١٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٣) سورة النساء، الآيتان: ٦٤، ٦٥.
(٤) سورة النساء، الآية: ٦١.

يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾﴾[1]، وذلك أن المنافقين الذين كانوا يدّعون الإسلام كانوا مستعدِّين للقبول بحكم «كعب بن الاشرف» اليهودي ولكنهم غير مستعدين للقبول بحكم نبيِّ الإسلام الأكرم ﷺ!! وهذا معناه أنهم لم يكونوا يعتبرون رسول الله ـ والعياذ بالله ـ عادلًا، وهذا أوضح دليل على كفرهم، وإهانتهم لنبيِّ الإسلام ﷺ، وبناء على ذلك فالآية تقول إن علامة الإيمان قبولُ حكم الشرع، وتقول: إذا أراد هؤلاء القوم أن يكفّروا عما ارتكبوه من إهانة وظلم بحقِّ النبيِّ الأكرم ﷺ وعن اتِّهامهم له بالحيف وعدم العدل فعليهم أن يأتوا إليه ويطلبوا رضاه، وعلى الرسول الأكرم ﷺ أن يطلب من الله المغفرة لهم علامةً على عفوه عنهم ورضاه، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، لذا قال الله تعالى لرسوله في هذه الآيات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾﴾[2]، ثم قال في الآية التالية: ﴿...وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾﴾ فهذا الاستغفار وطلب الاستغفار من الرسول هو بالنسبة إلى الظلم والإهانة التي فعلوها بحق النبي ﷺ وليس بالنسبة إلى جميع الآثام، فلاحظوا أنَّ هذه الآية لا تعود للمؤمنين أصلًا بل تتعلق بالمنافقين)[3]!

الجهة الثانية: الآيات الواردة على لسان النبي بخصوص عدم قدرته ﷺ على دفع الضر وجلب المنفعة لنفسه ولغيره والواردة من الله لعموم الناس والتي منها:

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[4].

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾[5].

وبين الآيتين تشابه لفظي مع اختلاف تقديم (النفع) في الأولى وتأخيرها في الثانية.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٣) مقتبسة من كتاب «الخرافات الوافرة في زيارة القبور» آية الله العظمى السيد أبو الفضل البُرقعيّ، ترجمة سعد محمد رستم، ص١١١، ١١٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٥) سورة يونس، الآية: ٤٩.

﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾[(١)].

في تفسير هذه الآية الكريمة تحدّث المرجع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي قائلًا:

«في هذه الآيات يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول لهم (الجن) بأنّي لو خالفت أمر الله تعالى فسوف يحيق بي العذاب أيضًا ولن يستطيع أحد أن ينصرني أو يدفع عنّي عذابه: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾[(٢)]. وعلى هذا الأساس لا يستطيع أحد أن يجيرني منه تعالى ولا شيء يمكنه أن يكون لي ملجأ وهذا الخطاب يشير مِنْ جهة إلى الإقرار الكامل بالعبودية لله تعالى. وإلى نفي كلّ أنواع الغلّو في شأن النبي ﷺ من جهة أُخرى، ويشير من جهة ثالثة إلى أنّ الأصنام ليس فقط لا تنفع ولا تحمي، بل إنّ نفس الرسول ﷺ أيضًا مع ما له من العظمة لا يمكنه أن يكون ملجأ من عذاب الله، وينهي من جهة الذرائع والآمال للمعاندين الذين كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يريهم المعاجز الإلهية، ويثبت أنّ التوسل والشّفاعة أيضًا لا يتحققان إلّا بإذنه تعالى»[(٣)].

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾[(٤)] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[(٥)] فالأنبياء والأولياء بشر وعباد للّه مثلنا من ناحية المسكنة والضعف البشري، كانوا عند الشدائد والمصائب والصعوبات يرفعون أيديهم ويدعون اللّه مثلهم مثل باقي البشر.

يقول رسولنا الأكرم ﷺ في معرض رده على الكفار: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[(٦)]. وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[(٧)].

إن نوع شرك المشركين السابقين كما هو الواضح في الآية الكريمة هو شرك

---

(١) سورة الجن، الآية: ٢١.
(٢) سورة الجن، الآية: ٢٢.
(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الأميرة للتوزيع والنشر/ بيروت ط١ (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م) الآية ٢٢، ج ١٩، ص٦٠.
(٤) سورة سبأ، الآية: ٤٢.
(٥) سورة فصلت، الآية: ٦.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.
(٧) سورة يونس، الآية: ١٨.

تشفّع ليقربوهم إلى اللّه زلفى، **يقول الطبري**: «كانت العرب تقر بوحدانية اللّه غير أنّها كانت تشرك به في عبادته»[1].

ويقول الشهيد مرتضى المُطهّري: «إن النوع الخاطئ من الشّفاعة الذي اعتُبر مرفوضًا لدلائل عقلية ونقلية هو أن يستطيع المذنب الآثم أن يحرّض وسيلة ما على أن تتدخل في الحكم الإلهي بما لها من نفوذ وتمنع من ذلك الحكم، أي تمامًا كما يحصل في الوساطات والمحسوبيات التي تتمّ في المجتمعات البشرية المنحطّة. كثيرٌ من عامَّة الناس يتوهَّم أنَّ شفاعة الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام هي كذلك؛ إذ يظنون أن النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وحضرة الزهراء سلام الله عليها والأئمّة الأطهار لا سيما الإمام الحُسين عليه السلام أصحاب نفوذ في حكومة الله فهم يُعْمِلون نفوذَهُم ويغيِّرون إرادة الله وينقضون قوانينه، وهذا هو التصوّر ذاته الذي كان للعرب زمن الجاهلية تجاه أصنامهم التي جعلوها شركاء لله، إذ كانوا يقولون إنَّ الخلق منحصر بيد الله ولا شريك له فيه، أما في إدارة العالم فالأصنام تشارك الله، فشرك عرب الجاهلية لم يكن شركًا في «الخالق» أو «الخالقية» بل كان شركًا في «الرب» أو «الربوبيَّة». أحيانًا يحصل في حياة المجتمعات البشرية أن يقوم أحد الناس بإنشاء مؤسَّسة ثمَّ يَكِلُ إدارتها إلى شخص آخر. أو يقوم بإدارتها بنفسه بالمشاركة مع آخرين، كانت عقيدة المشركين في الله والعالم وإدارته على ذلك النحو، وقد حارب القرآن الكريم هذا الشرك بشدَّة وأعلن مرارًا أنه ليس لله شريك في الخلق والإيجاد كما لا شريك له في الأمر والتدبير والربوبية، فهو وحده ربّ العالمين. كان المشركون الذين يتصورون أن «ربوبية العالم» موزعة بين الله وغيره لا يشعرون أنهم ملزمون بالسعي للحصول على رضا «الله»، ويقولون يمكننا بتقديم القرابين للأصنام وعبادتها أن نحصل على رضا «أرباب» آخرين وتأييدهم لنا، حتى ولو كان ذلك مخالفًا لرضا «الله»، إذ أننا لو استطعنا الحصول على رضا تلك الأصنام الآلهة فإنها تستطيع أن تدبِّر لنا الأمر وترتِّب لنا وضعنا مع «الله»!

إذا وجد بين المسلمين من يعتقد مثل هذا الاعتقاد بأنه توجد إلى جانب نظام السلطة الربوبية، سلطة أُخرى تمتلك القدرة على التصرف مثلها فإنَّ هذا لن يكون سوى شرك محض، وإذا ظنّ رجل أن طريق الحصول على رضا الله تعالى هو غير

---

(١) تفسير الطبري: ج ١، ص ١٢٨.

طريق الحصول على رضا الإمام الحُسين عليه السلام مثلًا وأن كلًّا من الإثنين يمكنه أن يؤمِّن سعادة الإنسان، فهو واقعٌ في ضلال كبير»[1].

قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾[2]. فهل بعد هذا يصح أن ندعو أهل البيت ونتوسل بهم مباشرة (يا أبا الحسن يا أمير المؤمنين يا علي بن أبي طالب... إنَّا توجّهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى اللّه) ونترك ما أُمرنا به وما جرى عليه أنبياؤنا ورُسُلنا وأولياؤنا (أئمتنا) لمجرد وجود هذا الدُّعاء في مفاتيح الجنان!؟

ثانيًا: السُّنّة النبوّية وهي في جهتين:

روايات أهل البيت عليهم السلام والأدعية الواردة عنهم

الجهة الأولى: روايات أهل البيت

في الحديث القدسي: يا عيسى إبغني عند وسادك تجدني وادعني وأنت لي محب فإني أسمع السامعين أستجيب للداعين إذا دعوني[3].

وعن الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: ما من عبد يسلك واديًا فيبسط كفيه فيذكر اللّه ويدعو، إلّا ملأ اللّه ذلك الوادي حسنات، فليعظم ذلك الوادي أو ليصغر[4].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ما فتح لأحد باب دعاء إلّا فتح اللّه له فيه باب إجابة فإذا فتح لأحدكم باب دعاء فليجهد، فإنَّ اللّه لا يملّ حتى تملّوا[5].

قال أبو الطيب: الملل من الإنسان الضجر والسّآمَةُ، ومن اللّه على جهة الترك للفعل.

روى حفص بن غياث قال: قال أبو عبد اللّه: إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه

---

(١) «العدل الإلهي» الشهيد الشيخ مرتضى المطهري الطبعة العاشرة، انظر ص٢٨٣ أو ما يقاربها حسب الطبعة.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٤.
(٣) الكافي، الكليني، ج ٨، ص ١٢٠.
(٤) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٩٠، ص ٢٩٢.
(٥) وسائل الشّيعة (آل البيت)، الحُرّ العاملي، ج ٧، ص ٢٨.

شيئًا إلَّا أعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء إلَّا من عند اللَّه عزَّ ذكره، فإذا علم اللَّه عزَّ وجلّ من قلبه لم يسأله شيئًا إلَّا أعطاه، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها فإنَّ للقيامة خمسين موقفًا كل موقف مقداره ألف سنة ثمَّ تلا: «في يوم كان مقداره ألف سنة ممّا تعدون»[1].

وروي عن أبي عبد اللَّه عليه السلام **قال:** قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: «رحم اللَّه عبدًا طلب من اللَّه عزَّ وجلّ حاجة فألح في الدُّعاء اسْتُجِيب له أو لم يُسْتَجب [له] وتلا هذه الآية ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾[2]»[3].

ومن الروايات التي تصرّح أنهم عليهم السلام **لا يملكون ضرًا ولا نفعًا وأنَّ لكل إنسان عمله:**

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«... فواللَّه ما نحنُ إلَّا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، **ما نقدر على ضر ولا نفع** وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا...»[4].

ذكره عنده ـ عند أبي عبد اللَّه ـ جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب، فقيل: إنَّهُ صار إلى نمرود، وقال فيهم: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، قال، هو الإمام. فقال أبو عبد اللَّه عليه السلام لا واللَّه لا يأويني وإياه سقف بيت أبدا، هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، واللَّه ما صغّر عظمة اللَّه تصغيرهم شيء قط... واللَّه لو أن عيسى أقرَّ بما قالت النصارى لأورثه اللَّه صمما إلى يوم القيامة، واللَّه لو أقررتُ بما يقول فيَّ أهل الكوفة لأخذتني الأرض، **وما أنا إلَّا عبدٌ مملوك لا أقدر على شيء ضر ولا نفع**[5].

وعن ابن المغيرة قال: سمعت عليا عليه السلام يقول: اتقوا اللَّه ولا يخدعنّكم إنسان، ولا يكذبنكم إنسان، فإنما ديني دين واحد، دين آدم الذي ارتضاه اللَّه، وإنما أنا عبد مخلوق، **ولا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلَّا ما شاء اللَّه وما أشاءُ إلَّا ما شاء اللَّه**[6].

---

(١) الكافي، الكليني، ج ٨، ص ١٤٣.
(٢) سورة مريم، الآية: ٤٨.
(٣) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٤٧٥.
(٤) اختيار معرفة الرجال، الطوسي، ج ٢، ص ٤٩١.
(٥) اختيار معرفة الرجال، م. س، ص ٥٨٩، ٥٩٠.
(٦) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ج ١، ص ١٤٨.

الجهة الثانية: الأدعية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام

من أدعية الإمام زين العابدين الواردة في الصحيفة السجادية:

١ ـ **وَمَن تَوَجَّهَ بِحَاجَتِهِ إِلَى أَحَدٍ مِن خَلْقِكَ** أَو جَعَلَهُ سَبَبَ نُجْحِهَا دُونَكَ **فَقَد تَعَرَّضَ لِلْحِرْمَانِ**، وَٱسْتَحَقَّ مِن عِنْدِكَ فَوْتَ الإِحْسَانِ. أَللَّهُمَّ وَلِي إِلَيكَ حَاجَةٌ قَد قَصَّرَ عَنْهَا جُهْدِي، وَتَقَطَّعَت دُونَهَا حِيَلِي، **وَسَوَّلَت لِي نَفْسِي رَفْعَهَا إِلَى مَن يَرْفَعُ حَوَائِجَهُ إِلَيكَ**، وَلاَ يَسْتَغْنِي فِي طَلِبَاتِهِ عَنْكَ، **وَهِيَ زَلَّةٌ مِن زَلَلِ ٱلْخَاطِئِينَ، وَعَثْرَةٌ مِن عَثَرَاتِ ٱلْمُذْنِبِينَ**، ثُمَّ ٱنْتَبَهْتُ بِتَذْكِيرِكَ لِي مِن غَفْلَتِي وَنَهَضْتُ بِتَوْفِيقِكَ مِن زَلَّتِي، وَنَكَصْتُ بِتَسْدِيدِكَ عَن عَثْرَتِي وَقُلْتُ: **سُبْحَانَ رَبِّي كَيفَ يَسْأَلُ مُحْتَاجٌ مُحْتَاجًا؟!، وَأَنَّى يَرْغَبُ مُعْدِمٌ إِلَى مُعْدِمٍ؟**[١]

٢ ـ وَلاَ تَفْتِنِّي بِٱلاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا ٱضْطُرِرْتُ، وَلاَ بِٱلْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا ٱفْتَقَرْتُ، وَلاَ بِٱلتَّضَرُّعِ إِلَىٰ مَن دُونَكَ إِذَا رَهِبْتُ، فَأَسْتَحِقَّ بِذَٰلِكَ خِذْلاَنَكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ.[٢]

٣ ـ اللَهُمَّ إِنِّي أَخْلَصْتُ بِٱنْقِطَاعِي إِلَيكَ[٣]، وَأَقْبَلْتُ بِكُلِّي عَلَيكَ، وَصَرَفْتُ وَجْهِي عَمَّن يَحْتَاجُ إِلَى رِفْدِكَ، وَقَلَبْتُ مَسْأَلَتِي عَمَّن لَم يَسْتَغْنِ عَن فَضْلِكَ، [إنظروا ماذا يقول الإمام (عليه السلام) لمن يطلب من غير الله] **وَرَأَيتُ أَنَّ طَلَبَ ٱلْمُحْتَاجِ إِلَى ٱلْمُحْتَاجِ سَفَهٌ مِن رَأيِهِ وَضَلَّةٌ مِن عَقْلِهِ، فَكَم قَد رَأَيتُ يَا إِلٰهِي مِن أُنَاسٍ طَلَبُوا ٱلعِزَّ بِغَيرِكَ فَذَلُّوا، وَرَامُوا الثَّرْوَةَ مِن سِوَاكَ فَٱفْتَقَرُوا، وَحَاوَلُوا الاٌرْتِفَاعَ فَٱتَّضَعُوا... فَأَنْتَ يَا مَوْلاَيَ دُونَ كُلِّ مَسْؤُولٍ مَوْضِعُ مَسْأَلَتِي وَدُونَ كُلِّ مَطْلُوبٍ إِلَيهِ وَلِيُّ حَاجَتِي. أَنْتَ ٱلْمَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بِدَعْوَتِي لاَ يَشْرَكُكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي، وَلاَ يَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي**، [هل توجد عبارات أوضح من ذلك؟! ونحن يا إمامي ندعوكم مع الله ونتوسل إليكم؟!] **وَلاَ يَنْظِمُهُ وَإِيَّاكَ نِدَائِي**، لَكَ يَا إِلٰهِي وَحْدَانِيَّةُ ٱلعَدَدِ، وَمَلَكَةُ ٱلْقُدْرَةِ الصَّمَدِ، وَفَضِيلَةُ ٱلْحَوْلِ وَٱلْقُوَّةِ، وَدَرَجَةُ ٱلْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ وَمَن سِوَاكَ مَرْحُومٌ فِي عُمْرِهِ، مَغْلُوب عَلَى أَمْرِهِ، مَقْهُورٌ عَلَى شَأنِهِ، مُخْتَلِفُ ٱلْحَالاَتِ، مُتَنَقِّلٌ فِي

---

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث عشر (من دعائه في طلب الحوائج إلى الله تعالى)، ص ٦٩.

(٢) الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق، ص٩١.

(٣) أي توجهت إلى جناب قدسك موليًا وجهي عن غيرك.

الصِّفَاتِ، فَتَعَالَيت عَنِ الأشْبَاهِ وَالأضْدَادِ، وَتَكَبَّرْتَ عَنِ الأمْثَالِ وَالأنْدَادِ، فَسُبْحَانَكَ لاَ إلهَ إلّا أنْتَ...)[1].

والشاهد هنا قوله عليه السلام (رَأيتُ أنَّ طَلَبَ الْمُحْتَاجِ إلَى الْمُحْتَاجِ سَفَهٌ من رَأيِهِ) فالإمام يوضح أن طلب الحاجة من غير الله سفه أي جهل، «يا رب لقد خلقت لنا العقل وزوّدته بالعناصر الكفيلة بالوصول إلى الحقيقة، وقد فكرت بعقلي، أنَّ الإنسان إذا عاش تحت ضغط حاجته فلا بدَّ له أن يرفعها إلى مصدر القوة الذي يمنح القوة للضعفاء، وإلى مصدر الغنى الذي يعطي المال للفقراء، لأن ذلك هو الذي ينسجم مع الواقع الطبيعي للأمور المتصلة بحياته وحاجاته، وأدركت من خلال ذلك الخطأ الكبير الذي يقع فيه الناس في استغراقهم في مظاهر القوة للأقوياء من عبادك، أو في مواقع الثروة لدى الأغنياء منهم، فيخيل إليهم أنهم يملكون حقيقة القوة والغنى من الموقع الذاتي في شخصياتهم، ولو فكروا بدقةٍ وعمقٍ، لعرفوا أنهم الضعفاء الذين لا قوة لهم إلاّ بك، وأنهم الفقراء الذين لا غنى لهم إلّا منك، ولهذا فإنَّ رجوعهم إليهم واستمدادهم الحاجة منهم، يشبه طلب المحتاج الذي لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، وهذا من سفه الرأي وضلال العقل، فإنَّ السداد في الرأي والرشد في العقل، يفرضان على الإنسان أن يضع ثقته في مواقع القوة المطلقة والغنى الذاتي، التي لا تنفذ خزائنها في كل شيء مهما بلغت كثرة العطاء... وتلك هي الفكرة في حسابات العقل في ما هو الصواب والخطأ من المسألة في هذا الموضوع»[2].

والشاهد الثاني قوله عليه السلام (لَا يَشْرَكُكَ أحَدٌ في رَجَائي، وَلَا يَتَّفِقُ أحَدٌ مَعَكَ في دُعَائي، وَلَا يَنْظِمُهُ وَإيَّاكَ نِدَائِي) «[يا رب] فإذا دعوت في كل ما يهمني أمره، فأنت المخصوص بدعوتي، إليك أتوجه، ومنك أطلب، وبك أستغيث، وإياك أرجو، ولك أدعو، فإذا رجوت فإني أرجوك ـ وحدك ـ من دون أن أشرك بك غيرك في رجائي، واذا دعوتُ فإنك المخصوص بدعائي، فلا يتفق أحد معك فيه، وإذا ناديت، فإنك المطلوب في ندائي، فلا يجتمع أحد معك فيه، فأنت الغاية في كل شيء يا رب العالمين»[3].

---

(1) الصحيفة السجادية، الدعاء الثامن والعشرون، من دعائه متفزعاً إلى الله، ص ١٢٢، ١٢٣.

(2) آفاق الروح في أدعية الصحيفة السجادية، ج٢، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك/ بيروت، ط١ (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م) ص٨٣، ٨٤.

(3) آفاق الروح في أدعية الصحيفة السجادية، مصدر سابق، ص٨٦.

٤ ـ وَلاَ تَرُدَّ دُعٰائِي عَلَيَّ رَدًّا، (لماذا لن يرد الدُّعاء على الإمام؟!)، فَإِنِّي لاَ أَجْعَلُ لَكَ ضِدًّا، وَلاَ أَدْعُو مَعَكَ نِدًّا[1].

٥ ـ فَإِنّا بِكَ وَلَكَ، وَلا وَسِيلَةَ لَنا إِلَيكَ إِلَّا أَنْتَ...[2]

٦ ـ فَقَدِ ٱنْقَطَعَت إِلَيكَ هِمَّتِي، وَٱنْصَرَفَتْ نَحْوكَ رَغْبَتِي، **فَأَنْتَ لاَ غَيرُكَ مُرادِي، وَلَكَ لا لِسِواكَ سَهَرِي وَسُهادِي**، وَلِقاؤُكَ قُرَّةُ عَينِي، وَوَصْلُكَ مُنى نَفْسِي، وَإِلَيكَ شَوْقِي، وَفِي مَحَبَّتِكَ وَلَهِي، وَإِلى هَواكَ صَبابَتِي، وَرِضاكَ بُغْيَتِي...[3]

٧ ـ **إِلهِي لَيسَ لِي وَسِيلَةٌ إِلَيكَ إِلاَّ عَواطِفُ رَأفَتِكَ**، وَلا لِي ذَرِيعَ إِلَيكَ إِلاَّ عَوارِفُ رَحْمَتِكَ، **وَشَفاعَةُ نَبِيِّكَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ**، وَمُنْقِذِ الأُمَّةِ مِنَ ٱلْغُمَّةِ، فَٱجْعَلْهُما لِي سَبَبًا إِلى نَيلِ غُفْرانِكَ، وَصَيِّرْهُمَا لِي وُصْلَةً إِلَى ٱلْفَوْزِ بِرِضْوانِكَ...[4].

٨ ـ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أُنٰادِيهِ كُلَّمٰا شِئْتُ لِحٰاجَتِي وَأَخْلُو بِهِ حَيْثُ شِئْتُ لِسِرِّي بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِي لِي حٰاجَتِي، **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لاَ أَدْعُو غَيْرَهُ وَلَو دَعَوْتُ غَيْرَهُ لَم يَسْتَجِب لِي دُعٰائِي، وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لاَ أَرْجُو غَيْرَهُ وَلَو رَجَوْتُ غَيْرَهُ لأَخْلَفَ رَجٰائِي**، وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَكَلَنِي إِلَيْهِ فَأَكْرَمَنِي وَلَم يَكِلْنِي إِلَىٰ ٱلنَّاسِ فَيُهِينُونِي...[5]

٩ ـ إِلَىٰ مَن يَذْهَبُ ٱلْعَبْدُ إِلاَّ إِلَىٰ مَوْلاٰهُ **وَإِلَىٰ مَن يَلْتَجِىءُ ٱلْمَخْلُوقُ إِلاَّ إِلَىٰ خالِقِهِ**...[6]

١٠ ـ وَأَنْزِل يَقِينَكَ فِي صَدْرِي وَرَجٰاءَكَ فِي قَلْبِي حَتَّىٰ لاَ أَرْجُوَ غَيْرَكَ...[7].

١١ ـ **ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ أَقْرَبُ مَن دُعِيَ وَأَسْرَعُ مَن أَجٰابَ** وَأَكْرَمُ مَن عَفا وَأَوْسَعُ مَن أَعْطَىٰ وَأَسْمَعُ مَن سُئِلَ يٰا رَحْمٰنَ ٱلدُّنْيٰا وَٱلآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمٰا لَيْسَ كَمِثْلِكَ مَسْؤُولٌ وَلاَ

---

(١) الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق، ص ٩٤.

(٢) الصحيفة السجادية، مناجاة المطيعين، ص ٢٩٤.

(٣) الصحيفة السجادية، مناجاة المريدين، ص ٢٦٩.

(٤) الصحيفة السجادية، مناجاة المتوسلين، ص ٢٧٢.

(٥) مفاتيح الجنان، ـ دعاء أبي حمزة الثمالي ـ دار إحياء التراث/ لبنان، ط ٢ (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م) ص٢٢٢.

(٦) كتاب مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي، مصدر نفسه، ص ٢٢٧.

(٧) مفاتيح الجنان، المصدر نفسه، دعاء ليلة عرفة، ص ٢٩٦.

سِواكَ مَأْمُولٌ دَعَوْتُكَ فَأَجَبْتَنِي وَسَأَلْتُكَ فَأَعْطَيْتَنِي وَرَغِبْتُ إِلَيْكَ فَرَحِمْتَنِي وَوَثِقْتُ بِكَ فَنَجَّيْتَنِي وَفَزِعْتُ إِلَيْكَ فَكَفَيْتَنِي...[1].

١٢ ـ **وَٱجْعَل تَوَسُّلِي بِهِ شافِعًا يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ نافِعًا، إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**[2].

١٣ ـ أَنْتَ ٱلَّذِي أَشْرَقْتَ ٱلْأَنْوارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيائِكَ حَتّىٰ عَرَفُوكَ وَوَحَّدُوكَ وَأَنْتَ ٱلَّذِي أَزَلْتَ ٱلْأَغْيارَ عَن قُلُوبِ أَحِبَّائِكَ حَتّىٰ لَم يُحِبُّوا سِواكَ **وَلَم يَلْجَأُوا إِلَىٰ غَيْرِكَ** أَنْتَ ٱلْمُؤْنِسُ لَهُم حَيْثُ أَوْحَشَتْهُمُ ٱلْعَوالِمُ وَأَنْتَ ٱلَّذِي هَدَيْتَهُم حَيْثُ ٱسْتَبانَت لَهُمُ ٱلْمَعالِمُ ماذا وَجَدَ مَن فَقَدَكَ وَما ٱلَّذِي فَقَدَ مَن وَجَدَكَ **لَقَد خابَ مَن رَضِيَ دُونَكَ بَدَلًا وَلَقَد خَسِرَ مَن بَغىٰ عَنْكَ مُتَحَوِّلًا كَيْفَ يُرْجىٰ سِواكَ وَأَنْتَ ما قَطَعْتَ ٱلْإِحْسانَ وَكَيْفَ يُطْلَبُ مِن غَيْرِكَ وَأَنْتَ ما بَدَّلْتَ عادَةَ ٱلامْتِنانِ...**[3].

١٤ ـ ... فَإِلَيكَ أَفِرُّ، ومِنْكَ أَخافُ، **وَبِكَ أَسْتَغِيثُ، وَإِيَّاكَ أَرْجُو، وَلَكَ أَدْعُو، وَإِلَيكَ أَلْجَأُ، وَبِكَ أَثِقُ، وَإِيَّاكَ أَسْتَعِينُ**، وَبِكَ أُؤمِنُ، وَعَلَيكَ أَتَوَكَّلُ، وَعَلَى جُودِكَ وَكَرَمِكَ أَتَّكِلُ...[4].

١٥ ـ **كَيفَ أَرْجُو غَيرَكَ؟! وَٱلْخَيرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ وَكَيفَ أُؤَمِّلُ سِوَاكَ؟! وَٱلْخَلْقُ وَالأَمْرُ لَكَ؟!...**[5].

١٦ ـ وكان الإمام الرضا عليه السلام يقول في دعائه:

... اللَّهُمَ إِنَّا عَبِيدُكَ وأبناء عبيدك **لا نملك لأنفسنا نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورا**[6].

١٧ ـ ومن دعاء الإمام السجّاد في صحيفته:

... وَلاَ أَنَالُ مَا عِنْدَكَ إلاَّ بِطاعَتِكَ وَبِفَضْلِ رَحْمَتِكَ. إِلهِي أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة، ص ٣٠٨.

(٢) الصحيفة السجادية، دعاء يوم الخميس، ص ٢٥٠.

(٣) الصحيفة السجادية، دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة، ص ٣١٢.

(٤) الصحيفة السجادية، دعائه في الإلحاح على الله تعالى، الدعاء الثاني والخمسون.

(٥) الصحيفة السجادية، مناجاة الراجين، ص ٢٦١.

(٦) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٢٥، ص ٣٤٣.

عَبْدًا دَاخِرًا لَكَ، لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إلاَّ بِكَ، أَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِي وَأَعْتَرِفُ بِضَعْفِ قُوَّتِي وَقِلَّةِ حِيلَتِي...[1].

وكان أميرِ المؤمنين علي عليه السلام يقول إذا فَرَغَ من الزوال:

«اللّهُمَّ إني أَتَقَرَّبُ إليكَ بِجُودِكَ وَكرمِكَ، وأتقرّبُ إليك بمحمدٍ عَبدِكَ ورَسولِكَ، وأتقرّبُ إليك بملائكتِكَ المقربين وأنبيائك المرسلين وبك، اللَّهُمَّ لك الغنى عني وبي الفاقة إليك أنت الغني وأنا الفقيرُ إليك، أَقلني عَثْرتي واسْتُر عليَّ ذنوبي واقضِ اليومَ حَاجتي، وَلا تُعذّبْني بِقَبيحِ مَا تَعْلَم بهِ منّي بلْ عَفوكَ يَسعُني وَجُوْدُكَ»[2].

الخلاصة:

على أساس ما تقدّم وما ذكرناه وما نقلناه من آيات وروايات وأدعية يبطل جواز توجيه الدُّعاء لهم عليهم السلام أو التوسل إليهم مباشرة وإلّا لكانت هذه الآيات لغوًا ـ والعياذ باللّه ـ فالآيات القرآنية تقرر أن الدُّعاء ـ لاحظ ـ لا يكون إلّا للّه والاستجابة لا تكون إلّا منه، والتوسل يكون مباشرًا إلى اللّه بلا وساطةٍ، وتُقرر أن النبي لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًا ولا نفعًا، وكذلك الحال في روايات أهل البيت والمأثور عنهم من الأدعية الصحيحة، فهم يحثّون الناس على الدُّعاء والدّعاء للّه فقط ولم يرد في رواياتهم وأدعيتهم حثٌّ على توجيه الناس للتوسل المباشر لهم بل جاءت الروايات والأدعية منددة بالذي يقوم بذلك. إلّا أنه لا إشكال أن نتوسل إلى اللّه بهم كما (**اللهم بحق النبي وآله، اللَّهُمَ بحق علي بن أبي طالب...**). فهذا التوسل والتشفّع الصحيح كما ثبت. **ويبقى أربعة أسئلة:**

أولًا: إذا كان أئمتنا عليهم السلام فعلًا من روى هذا الدُّعاء فهل يُعقل أن يتوسل الإمام المهدي المنتظر بنفسه بحيث وهو يدعو هذا الدعاء أن يقول:

«يا وصيَّ الحسن والخلف الحجَّة أيها القائم المنتظر المهدي يابن رسول الله ياحجة الله على خلقه يا سيدنا ومولانا إنّا توجّهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله وقدمناك بين يدي حاجاتنا يا وجيهًا عند الله اشفع لنا عند الله»؟!...

---

(١) الصحيفة السجادية للإمام السجاد، دعاؤُهُ إذا أحزنه أمر وأهمته الخطايا، الدعاء الحادي والعشرون.

(٢) من لا يحضره الفقيه، رواية رقم (٩)، ج ١، ص ٢١٣، ٢١٤.

وعلى فرضية أنَّ كل إمام يستطيع أن يتوسل بالإمام الذي قبله أو الأئمّة الذين قبله فهذا ممكن ولكن ما معنى أن يتوسل آخر إمام وهو (الإمام المهدي المنتظر) بنفسه؟!

معناه أن هذا الدُّعاء من اختراع البعض! وعلى كُلٍ فالمجلسي يعترف أنه وجده في بعض الكتب ولم يذكر لِمَنْ هذه الكتب سوى إنّه روى محمد بن بابويه هذا التوسل! فهل بهذه الطريقة (الأحادية) توثَّقُ الروايات والأدعية. . .!؟ أم أنها قاعدة (التسامح في أدلة السنن)!؟

ثانيًا: هل من المعقول والجائز أن يخالف الإمام المهدي (والذي يُنسب إليه هذا التوسل) وصايا الإمام علي عليه السلام للأئمة من بعده؟ فكيف يتوافق هذا الدعاء (التوسل) وما أوصى به الإمام علي ولده الحسن عليه السلام **بِحاضِرينَ مُنْصرِفًا من صِفِّينَ؟!** حيث قال له وأوصاه:

«مَنَ الْوَالد الْفَانِ. المُقِرِّ لِلزَّمَانِ[1] . . إلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّل. . [إلى أن يقول له] واعْلَم أنَّ الَّذي بِيَدِهِ خَزَائُن السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قَد أَذِنَ لَكَ في الدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجابَةِ، وَأَمَرَكَ أَن تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحمَكَ، **وَلَم يَجْعَل بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَن يَحْجُبُهُ عَنْكَ، وَلَم يُلْجِئْكَ إلَى مَن يَشْفَعُ لَكَ إلَيْهِ**، وَلَم يَمْنَعْكَ إن أَسَأتَ مِنَ التَّوْبَةِ. . **فَإذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ**، وَإذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ[2] **فَأَفْضَيْتَ إلَيْهِ بِحَاجَتِكَ**[3] وأَبْثَثْتَهُ[4] ذَاتَ نَفْسِكَ[5] وَشَكَوْتَ إلَيْهِ هُمُومَكَ، واسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ[6]، **وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِن خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِن زِيَادَةِ الأَعْمَارِ وَصِحَّةِ الأَبْدَانِ وَسَعَةِ الأَرْزَاقِ. . .**»[7]!

---

(١) المعترف له بالشدّة.

(٢) المناجاة: المكالمة سرًا، والله يعلم السر كما يعلم العلن.

(٣) أفضيت: ألقيت.

(٤) أبثثته: كاشفته.

(٥) ذات النفس: حالتها.

(٦) طلبت كَشْفَها.

(٧) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ط٢، ج١٦، ص ٨٦، ٨٧، خطبة (٣١) من وصية له عليه السلام كتبها إليه بحاضرين منصرفين من صفين.

ثالثًا: لم نَرَ في نهج وأسلوب أدعية أهل البيت عليهم السلام توجيه الدُّعاء لبعضهم البعض دون ذكر اللّه؟! (سالبة بانتفاء الموضوع).

رابعًا: أين سيرة المتشرّعة من هذا العمل فلم نجد رواة الشِّيعة ـ والذين يمثّلون المتشرّعة ـ أي سلوك من هذا النوع للدلالة على صحة هذا العمل وإلّا لكان ذلك بارزًا في الكتب؟!

والمعلوم أن سيرة المتشرّعة معاصرة للإمام عليه السلام ممّا ينبىء عن موافقة الإمام لهذا العمل والحال أن هذه الطريقة من التوسل ـ إن صح التعبير ـ غير معروفة سابقًا عند المتشرّعة، بل مرفوضة من قبل الإمام.

سئل السيد محمد حسين فضل اللّه: عدّة أسئلة في هذا الجانب وهي:

١ ـ ما هي الملاحظة الأساسية في دعاء التوسل حيث أغلب العلماء يوصون بالمداومة عليه وهو محل آثار عجيبة، وما هي ميّزة ليلة الأربعاء لهذا الدُّعاء؟

ج: لم نرَ أغلب العلماء يوصون به، وهو من ناحية السند غير ثابت، ومن ناحية المضمون يلاحظ عليه التوجّه بالخطاب لغير اللّه تعالى، وهذا ليس راجحًا وإن كان المراد الاستشفاع بالنبي وأهل بيته عليهم السلام لكن أسلوبه غير معهود في أدعيتهم عليهم السلام ولا ميّزة لليلة الأربعاء فيه فإنَّ ذلك ليس ناشئًا من السُّنّة والمأثور.

٢ ـ هل يجوز التوسل والدّعاء إلى الأئمّة بقصد أنهم الوسيلة إلى اللّه؟ وإذا كانت الإجابة سلبية، فما هو رأيكم بهذا الأمر وبهذه الآية (وابتغوا الوسيلة إلى اللّه)؟

ج: لا بد أن يكون الدُّعاء للّه سبحانه وحده، وهذا هو الأدب المأثور عن الأئمّة عليهم السلام وأما الآية فالمقصود بها الوسائل التي تدل على اللّه، والأئمّة عليهم السلام هم الهُداة إلى اللّه، من حيث هم العلماء باللّه وبدينه ورسالته، فلا يستفاد منها توجيه الدُّعاء إليهم لا إلى اللّه سبحانه وعلا[1].

وبما أننا نوالي أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام ونقتدي به فلنقرأ ماذا يقول عليه السلام في أفضل ما يُتوسَّل به:

---

(١) نقلاً عن الموقع الإلكتروني لسماحة السيد محمد حسين فضل اللّه (رضوان الله عليه)، بيّنات بتاريخ ١١/٦/٢٠٠٥م.

«إنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إلى اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ والجِهادُ في سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الإِسْلاَمِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ. وَإِقَامُ الصَّلاةِ فَإِنَّها الْمِلَّةُ. وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبةٌ. وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ. وَحِجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ[1] وَصِلَةُ الرَّحِمِ، فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ في الْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ في الأَجَلِ[2]. وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّر الْخَطِيئَةَ. وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّها تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ. وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوف فَإِنَّها تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ.

أَفِيضُوا في ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ. وارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ. واقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُم فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ. واسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ. وَتعلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ. وَأَحْسِنُوا تَلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْقَصَصِ. فَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائرِ الَّذي لَا يَسْتَفِيقُ مِن جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ[3]»[4].

لقد نبهنا أئمة أهل البيت عليهم السلام أن نتوجّه إلى اللّه لقضاء حوائجنا وطلب رزقنا والاستعانة به ومن لم يتوجّه إلى اللّه فإلى الخسران المبين، وأبلغ ما ورد في ذلك ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام، **عن الحُسين بن علوان قال**: «كنّا في مجلس نطلب فيه العلم وقد نَفَدَت نفقتي في بعض الأسفار فقال لي بعض أصحابنا: من تُؤمّل لما قد نزل بك؟ فقلت: فلانًا، فقال: إذًا واللّه لا تُسْعف[5] حاجتُك ولا يَبلُغك أملُكَ ولا تنجح[6] طلبتُك، قلت: وما علمُكَ رحمُك اللّه؟ قال: إنَّ أبا عبد اللّه عليه السلام حدَّثني أنه قرأ في بعض الكتب أنَّ اللّه تبارك وتعالى يقول: وعزَّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطَعنَّ أمل كلّ مؤمّل [من النّاس] غيري

---

(١) يرحضان، رحضه: كمنعه، غسله.

(٢) منسأةٌ: مطال فيه ومزيد.

(٣) ألوم: أشد لوماً لنفسه بين أيدي اللّه لأنه لا يجد منها عذراً يقبل أو يرد.

(٤) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ) ط٢، ج٧، ص٢٢١، خطبة(١٠٩).

(٥) أسعف حاجته أي قضاها له وفي بعض النسخ [لا يسعف] وفي أكثرها [لا تسعف].

(٦) [ولا تنجح] بالتاء على بناء المعقول وبالياء على بناء الفاعل، والنجاح: الفوز وفي بعض النسخ [لا يبلغ أملك].

باليأس ولأكسونّه ثوب المذلّة عند النّاس ولأنحّينّه[1] من قربي ولأبعّدنّه من فضلي أيؤمّل غيري في الشدائد؟! والشدائد بيدي[2] ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري[3]؟! وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقةٌ وبابي مفتوحٌ لمن دعاني فمن ذا الذي أمّلني لنوائبه فقطّعته دونها؟! ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه منّي؟!

جُعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي وملأت سماواتي ممّن لا يملُّ من تسبيحي وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي[4].

ألم يعلم [أنَّ] من طرقته نائبة من نوائبي أنّه لا يملك كشفها أحدٌ غيري إلّا من بعد إذني فمالي أراه لاهيًا عنّي، أعطيته بجودي ما لم يسألني ثمَّ انتزعته عنه فلم يسألني ردَّه وسأل غيري: أفيراني[5] أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثمَّ أسأل فلا أجيب سائلي؟! أبخيلٌ أنا فيبخّلني عبدي[6] أوليس الجود والكرم لي؟! أوليس العفو والرَّحمة بيدي؟! أوليس أنا محل الآمال؟! فمن يقطعها دوني؟ أفلا يخشى المؤمّلون أن يؤمّلوا غيري، فلو أنَّ أهل سماواتي وأهل أرضي أمّلوا جميعًا ثمَّ أعطيت كلَّ واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرَّة وكيف ينقص ملك أنا قيّمه، فيا بؤسًا[7] للقانطين من رحمتي ويا بؤسًا لمن عصاني ولم يراقبني»[8].

ومع هذا التراث الذي يوجّهنا نحو اللّه لا نرى من العلماء ـ ليس كلهم طبعًا ـ من يوجّهنا لأهل البيت عليهم السلام ونسينا ربهم وخالقهم! لذا فإننا نوجّه الدُّعاء والتوسل لهم...!

لمّا ظهر دين الإسلام، دين التوحيد الخالص، كان العالم غارقًا في ظلمات

---

(١) أي لأبعدنه وأزيلنه.

(٢) أي تحت قدرتي.

(٣) تشبيه الفكر باليد مكنية وإثبات الفرع له تخييله وذكر الباب ترشيح.

(٤) أي وعدي الإجابة لهم.

(٥) في بعض النسخ [أفتراني].

(٦) بخله بالتشديد أي نسبه إلى البخل.

(٧) البؤس والبأساء: الشدة والفقر والحزن.

(٨) أصول الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٦٦، ٦٧.

الجهل والأوهام لذا بدأ بمحاربة الأوهام منذ فجر دعوته وأمرَ المؤمنين أن لا يتّكلوا على أحد سوى الله سبحانه وألا يعتبروا أحدًا سوى الله مؤثرًا في تقدير الأمور، وألّا يعتبروا أي أحد قاضي الحاجات وباب الحوائج سوى الله تعالى، وأن يعلموا أن لا وسيلة توجب النجاة سوى العلم والإيمان والعمل الصالح.

وإنَّ أحد أهم أسباب محن الطائفة الشِّيعيّة على مرّ التاريخ، والظلم الواقع، والعواصف التي تعصف بالطائفة إن كانت سياسية أو إقتصادية أو أمنية أو اجتماعية، أسبابها عدم التوجّه لله مباشرة واستصغار قدْرِه تعالى واسْتِعْظام غيره...!

وأخيرًا نقول نحن لسنا ضد التوسل، لكننا نريد تصحيح طريقة التوسل كما تعلّمناها من أهل البيت عليهم السلام فنخلص إلى أنَّ التوسل الصحيح والمشروع أن يبتدئ من فوق أي من عند الله عزَّ وجلّ ثم ينزل إلى تحت ـ إلى النبي أو الولي ـ أما التوسل غير الصحيح وغير المشروع أن يبتدئ من عند النبي أو الولي ويصعد إلى الله.

ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام من نهج البلاغة:

«إنَّ أبغَضَ الخلائقِ إلى اللَّهِ رَجُلانِ: رَجُلٌ وَكَلهُ اللَّهُ إلى نَفْسِهِ[1] فَهُوَ جائرٌ عَن قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ[2] **بِكَلامِ بِدْعَةٍ**[3]. **وَدُعَاءِ ضَلاَلَةٍ. فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَن افْتَتَنَ بهِ.** ضَالٌّ عَن هدْيِ مَن كَانَ قَبْلَهُ. مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بهِ في حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وفاتهِ. حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ[4] وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا[5]»[6].

---

(١) وكله اللّه إلى نفسه وهو كناية عن ذهابه خلف هواه فيما يعتقد لا يرجع إلى حقيقة من الدين ولا يهتدي بدليل من الكتاب، فهذا جائر عن قصد السبيل وعادل عن جادته.

(٢) المشغوف: المولع به.

(٣) كلام البدعة: ما اخترعته الأهواء ولم يعتمد على ركن من الحق ركين.

(٤) هذا الضال المولع بتنسيق الكلام لتزيين البدعة، الداعي إلى الضلالة قد غرر بنفسه وأوردها هلكتها فهو رهن بخطيئته لا مخرج له منها وهو مع ذلك حامل لخطايا الذين أضلهم وأفسد عقائدهم بدعائه كما قال تعالى ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

(٥) قمش جهلاً: جمعه والجهل هنا بمعنى المجهول وكما يُسمّى المعلوم علما بل قال قوم أن العلم هو صورة الشيء في العقل وهو المعلوم حقيقة كذلك يسمى المجهول جهلاً بل الصورة التي اعتبرت مثالاً لشيء وليست بمنطبقة عليه هي الجهل حقيقة بالمعنى المقابل للعلم بذلك التفسير السابق فالجهل المجموع هو المسائل والقضايا التي يظنها جامعها تحكي واقعاً ولا واقع لها.

(٦) شرح نهج البلاغة: لإبن أبي الحديد (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ج ١، ص٢٨٣، خطبة (١٧).

الرابع والعشرون: آداب الزيارة

جاء في فضل زيارة الإمام الحُسين عليه السلام المقصد الثاني في ما على الزائر مراعاته[1] في الأدب التاسع عشر:

روى الشيخ الأجل الكامل أبو القاسم جعفر بن قولويه القمّي (رحمه الله) عن الصادق (صلوات اللَّه عليه) أنه قال: «إذا زرتم أبا عبد اللَّه الحُسين عليه السلام فالزموا الصمت، إلَّا عن الخير، وإن ملائكة الليل والنهار من الحفَظة يحضرون عند الملائكة الذين هم في الحائر، ويصافحونهم فلا يجيبهم ملائكة الحائر من شدّة البكاء، وهم أبدًا يبكون ويندبون، لا يفترون إلَّا عند الزوال، وعند طلوع الفجر، فالحَفَظَة ينتظرون حين يحين الظهر، أو يطلع الفجر، فيكالمونهم، ويسألونهم عن أمور من السماء عن الدُّعاء والبكاء فيما بين هاتين الفترتين» وروى أيضًا عنه عليه السلام إنَّ اللَّه (تعالى) قد وكل على قبر الحُسين (صلوات اللَّه عليه) **أربعة آلاف من الملائكة، شعث غبر على هيئة أصحاب العزاء، يبكون عليه من طلوع الفجر إلى الزوال، فإذا زالت الشمس عرجوا، وهبط مثلهم يبكون عليه من طلوع الفجر،** والأحاديث في ذلك كثيرة...».

إن مضمون الحديثين المرويين يخالفان القرآن الكريم والسُّنّة النبويّة وهذا المضمون يخالف دور الملائكة وصفاتهم وعلى هذا فالكلام على قسمين:

القسم الأول: القرآن الكريم

الملائكة مجبولون على طاعة اللَّه ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[2].

وهم خلق لا يأكلون ولا يشربون وإنما طعامهم التسبيح والتهليل كما أخبر اللَّه عنهم ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠﴾[3].

(١) مفاتيح الجنان، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ص ٤٥٦.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

وقد شهد الملائكة بوحدانية اللَّه كما قال سبحانه ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[(١)].

وفي مقام التشريف اصطفى اللَّه من الملائكة رُسلًا كما اصطفى من الناس رُسلًا ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾[(٢)].

ولما خلق اللَّه آدم وأراد تشريفه أمر الملائكة بالسجود له:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[(٣)].

والملائكة خلق عظيم ولهم أعمال متعددة وهم طوائف كثيرة لا يعلمهم إلَّا اللَّه فمنهم حمَلَة العرش: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[(٤)].

ومنهم من ينزل بالوحي على الرسل وهو جبريل عليه السلام الذي نزل بالقرآن على محمد ﷺ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[(٥)].

ومنهم ميكائيل الموكل بالمطر والنبات وإسرافيل الموكل بالنفخ بالصور عند قيام الساعة.

ومنهم الحَفَظَة الموكلون بحفظ بني آدم وأعمالهم ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[(٦)].

ومنهم الموكلون بكتابة الأعمال كلها خيرًا كانت أو شرًا ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[(٧)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٢) سورة الحج، الآية: ٧٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٤.
(٤) سورة غافر، الآية: ٧.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.
(٦) سورة الانفطار، الآيات: ١٠، ١٢.
(٧) سورة ق، الآيتان: ١٧، ١٨.

ومنهم الموكلون بقبض أرواح المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1].

ومنهم الموكلون بقبض أرواح الكافرين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾[2].

ومنهم خزنة جهنم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ﴾[3].

ومنهم المجاهدون مع المؤمنين: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾[4].

وفي ليلة القدر من شهر رمضان تنزل الملائكة ليشهدوا الخير مع المسلمين كما قال سبحانه: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾[5].

والأيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان ومن جحدهم فقد كفر: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[6].

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[7].

وهو الاعتقاد الجازم بوجودهم، وأنهم مخلوقون للّه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[8].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٢.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٠.
(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ١٢.
(٥) سورة القدر، الآية: ٣، ٤.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٣٦.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٨) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

ثانيًا: السُّنّة النبويّة

من خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في صفة الملائكة ودورهم عليهم السلام:

«ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لإِسْكَانِ سَموَاتِهِ وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ[1] الأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقًا بَدِيعًا مِنْ مَلاَئِكَتِهِ مَلأَ بِهِم فُرُوجَ فِجَاجِهَا. وَحَشَى بِهِم فُتُوقَ أَجْوَائِهَا[2]. وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ[3] المسَبِّحِينَ مِنْهُم في حَظَائِرِ[4] الْقُدْسِ وَسُتُرَاتِ[5] الحُجُبِ وَسُرَادِقَاتِ[6] الْمَجْدِ. وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ[7] الذي تَسْتَكُّ[8] مِنهُ الأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ[9] تَرْدَعُ الأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا. فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا.

وَأَنْشَأَهُم على صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ. أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلاَلَ عِزَّتِهِ لا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ في الخَلْقِ من صَنْعَتِهِ. ولَا يَدَّعُونَ أَنَّهُم يَخْلُقُونَ شَيْئًا مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ. بَل عِبَادٌ مُكْرَمُونَ «لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» جَعَلَهُم فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ. وَحَمَّلَهُم إلى المُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ. وَعَصَمَهُم مِن رَيْبِ الشُّبُهَاتِ فَمَا مِنْهُمْ زائِغٌ عَن سَبيلِ مَرْضَاتِهِ.

وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ. وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُم تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ[10] السَّكِينَةِ وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا ذُلُلًا إلى تَمَاجِيدِهِ. وَنَصَبَ لَهُم مَنَارًا[11] واضِحَةً عَلَى أَعْلاَمِ[12] تَوْحِيدِهِ. لَم

---

(١) الصفيح: السماء.
(٢) أجوائها: جمع جو.
(٣) زجَلُ: رفع الصوت.
(٤) حظائر: جمع حظيرة موضع يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل توقياً من البرد والريح، وهو مجاز هنا عن المقامات المُقدّسة للأرواح الطاهرة.
(٥) الستراتُ: جمع سترة ما يستتر به.
(٦) السرادقات: جمع سرادق وهو ما يمد على صحن البيت فيغطيه.
(٧) الرجيج: الزلزلة والاضطراب.
(٨) تستك منه: أي تصم منه الآذان لشدته.
(٩) سبحات: أي طبقات نور وأصل السبحات الأنوار نفسها.
(١٠) الاخبات: الخضوع والخشوع.
(١١) مناراً: قال بعض أهل اللغة أن منارة تجمع على منار وان لم يذكره صاحب القاموس. وأرى أن مناراً ههنا جمع منارة بمعنى المسرجة وهي ما يوضع فيه المصباح.
(١٢) أعلام: ما يقام للاهتداء على أفواه الطرق ومرتفعات الأرض والكلام تمثيل لما أنار به مداركهم حتى انكشف لهم سر توحيده.

تُثْقِلْهُم مُوصِرَاتُ الآثَام[1]. وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ[2] عُقَبُ[3] اللَّيَالي والأَيَّام[4]. وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا[5] عَزِيمَةَ إيمَانِهِمْ. وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ[6] يَقِينِهِمْ. وَلاَ قَدَحَت قَادِحَةُ الإِحَنِ[7] فِيمَا بَيْنَهُمْ. وَلاَ سَلَبَتْهُمُ الحَيْرَةُ مالاَقَ[8] مِنْ مَعْرفَتِهِ بِضَمَائِرِهِم. وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ في أَثْنَاءِ صُدُورهِمْ. وَلَم تطْمَع فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ[9] بِرَيْنِها[10] عَلَى فِكْرِهِمْ.

مِنْهُمْ مَن هُوَ في خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّح[11] وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ وَفِي قَتْرَةِ[12] الظَّلاَمِ الأَبْهَم[13] وَمِنْهُمْ مَن خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ[14] تُخُومَ الأَرْضِ السُّفْلَى. فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نفَذَت في مَخَارِقِ الْهَوَاءِ. وتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُها على حَيْثُ انْتَهَت مِنَ الحُدُودِ المُتَنَاهِيَةِ. قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ[15]. وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ الإيمَانِ بَيْنَهُم وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ. وَقَطَعَهُمُ الإيقَانُ بِهِ إلَى الْوَلَهِ إلَيْهِ[16] وَلَمْ تُجَاوِز رَغَبَاتُهُم مَا عِنْدَهُ إلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ.

قَدْ ذَاقُوا حَلاوَةَ مَعْرِفَتِهِ وشَرِبُوا بالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ[17] مِنْ مَحَبَّتِهِ وَتَمَكَّنَت مِنْ

---

(١) مثقلاتها.

(٢) ارتحله وضع عليه الرحل ليركبه.

(٣) العقب: جمع عقبة هي النوبة.

(٤) والليل والنهار [عقيبان] لتعاقبهما، أي لم يتسلط عليهم تعاقب الليل والنهار فيفنيهم أو يغيرهم.

(٥) النوازع جمع نازعة وهي النجم أو القوس، وعلى الأول المراد منها الشهب وعلى الثاني تكون الباء في بنوازعها بمعنى من.

(٦) جمع معقد محل العقد بمعنى الاعتقاد.

(٧) الأحن: جمع أحنة هي الحقد والضغينة.

(٨) لاقَ: لصق.

(٩) تقترع: من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة.

(١٠) برينها: الرين بفتح الراء الدنس وما يطبع على القلب من حجب الجهالة.

(١١) الدُّلح: جمع دالح وهو الثقيل بالماء من السحاب.

(١٢) القترة هنا الخفاء والبطون ومنها قالوا أخذه على قترة أي من حيث لا يدري.

(١٣) الأبهم: بباء موحدة بعد الهمزة أصله من لا يعقل ولا يفهم، وصف به الليل وصفاً للشيء بما ينشأ عنه، فإن الظلام الحالك يوقع في الحيرة ويأخذ بالفهم عن رشاده.

(١٤) مواضع ما خرقت أقدامهم.

(١٥) جعلتهم فارغين من الاشتغال بغيرها.

(١٦) شدة الشوق إليه.

(١٧) الروية التي تروى وتطفىء العطش.

سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ[١] وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ[٢] فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ. وَلَم يُنْفِد طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ[٣] ولا أَطْلَقَ عَنْهُم عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ[٤] وَلَم يَتَوَلَّهُمُ الإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ. وَلَا تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَةُ[٥] الإِجْلَالِ نَصِيبًا في تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ. وَلَم تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِم عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ[٦] وَلَم تَغِض رَغَبَاتُهُم فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ وَلَم تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسَلاَتُ أَلْسِنَتِهِمْ[٧] وَلَا مَلَكَتْهُمُ الأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ[٨] الْجُؤَارِ[٩] إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُم وَلَمْ تَخْتَلِفْ في مَقَاوِمِ[١٠] الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ. وَلَم يَثْنُوا إِلى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ في أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ.

وَلَا تَعْدُو[١١] عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِم بَلاَدَةُ الْغَفَلاَتِ وَلاَ تَنْتَضِلُ في هِمَمِهِم خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ[١٢].

قَدِ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْم فَاقَتِهِمْ[١٣] وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ[١٤] بِرَغْبَتِهِمْ لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ. وَلَا يَرْجِعُ بِهِم الاِسْتِهْتَارُ[١٥] بِلُزُومِ طَاعَتِهِ إِلَّا إِلى مَوَادَّ[١٦] مِنْ قُلُوبِهِم غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنَ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ. لَمْ تَنْقَطِع

---

(١) محل الروح الحيواني من مضغة القلب.

(٢) الوشيجة أصلها عروق الشجرة أراد منها هنا بواعث الخوف من اللَّه.

(٣) أي أن شدة رجائهم لم تفن مادة خوفهم وتذللهم.

(٤) رِبَق: جمع ربقة بالكسرة والفتح وهي العروة من عرى الربق بكسر الراء وهو حبل فيه عدة عرى تربط فيه إليهم.

(٥) الاستكانة: ميل للسكون من شدة الخوف ثم استعملت في الخضوع.

(٦) دؤوبهم: دأب في العمل (بالغ في مداومته حتى أجهده).

(٧) لم تنقص. وأسلة اللسان طرفه أي لم تيبس أطراف ألسنتهم فتقف عن ذكره.

(٨) الهمس: الخفي من الصوت.

(٩) الجؤار: رفع الصوت بالتضرع أي لم يكن لهم عن اللَّه شاغل يضطرهم للهمس والإخفاء وخفض جؤارهم بالدعاء إليه.

(١٠) المقاوم جمع مقام، والمراد الصفوف.

(١١) لا تعدو: لا تسطو.

(١٢) انتضلت الإبل ورمت بأيديها في السير بسرعة. وخدائع الشهوات للنفس أي لم تسلك خدائع الشهوات طريقاً في هممهم.

(١٣) فاقتهم: حاجتهم.

(١٤) يَمَّمُوهُ: قصدوه بالرغبة والرجاء عندما انقطعت الخلق سواهم إلى المخلوقين.

(١٥) الاستهتار: التولع.

(١٦) مواد جمع مادة: أصلها من مد البحر إذا زاد، وكل ما أعنت به غيرك فهو مادة، ويريد بها البواعث المعينه على الأعمال، أي كلما تولعوا بطاعته زادت بهم البواعث عليها من الرغبة والرهبة.

أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ[1] مِنْهُم فَيَنُوا[2] في جِدِّهِم وَلَم تَأْسِرْهُمُ الأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ[3]. وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ. وَلَو اسْتَعْظَمُوا ذلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءَ مِنْهُم شَفَقَاتُ وَجَلِهِمْ[4]. وَلَم يَخْتَلِفُوا في رَبِّهِم باسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَم يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ. وَلاَ تَوَلاَّهُم غِلُّ التَّحَاسُدِ. وَلاَ شَعَبَتْهُمْ[5] مَصَارِفُ الرَّيْبِ وَلَا اقْتَسَمَتْهُم أَخْيَافُ[6] الهِمَمِ. فَهُم أُسَرَاءُ إيمَانٍ. لَم يَفُكَّهُم مِن رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلاَ عُدُولٌ وَلَا وَنىً[7] ولا فُتُورٌ. وَلَيْسَ في أَطْبَاقِ السَّمَوَاتِ مَوْضِعُ إِهَابٍ[8] إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ. أَو سَاعٍ حَافِدٌ[9] يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا. وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِم في قُلُوبِهِم عِظَمًا»[10].

ومن خطبة أخرى له ﷺ في قدرة اللّه ثمَّ يصف بها الملائكة:

«. . . (مِنْهَا) مِنْ مَلاَئِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ وَرَفَعْتَهُمْ عَن أَرْضِكَ؛ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ؛ وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ؛ لَمْ يَسْكُنُوا الأَصْلاَبَ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا الأَرْحَامَ، وَلَم يُخْلَقُوا مِن ماءٍ مَهِينٍ[11]، وَلَم يتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ المنُونِ[12]؛ وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِم عِندَكَ؛ وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ؛ لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ ما خَفَى عَلَيْهِمْ مِنْكَ؛ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ؛ وَلَزَرَوْا عَلَى

---

(١) الشفقة: الخوف.

(٢) ونى، ينى، تأنى.

(٣) وشيك السعي مقاربه وهينه، أي أنه لا طمع لهم في غيره فيختارون هين السعي على الاجتهاد الكامل.

(٤) الشفقات: تارات الخوف وأطواره، وهو فاعل نسخ والرجاء مفعول. والوجل الخوف أيضاً.

(٥) شعبتهم: فرقتهم صروف الريب جمع ريبة وهي ما لا تكون النفس على ثقة من موافقته للحق.

(٦) جمع خيف بالفتح وهو في الأصل ما انحدر عن سفح الجبل، والمراد هنا سواقط الهمم، فإن التفرق والاختلاف كثيراً ما يكون من انحطاط الهمة بل أعظم ما يكون منه ينشأ عن ذلك. وقد يكون الخيف بمعنى الناحية أي متطرفات الهمم.

(٧) ونى مصدر ونى كتعب أي تأنى.

(٨) جلد حيوان.

(٩) خفيف سريع.

(١٠) شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ج٦، ص٤٢٣، خطبة (٩٠) وتسمى خطبة الأشباح ـ في صفة الملائكة.

(١١) المهين: الحقير، يريد النطفة.

(١٢) المنون: الدهر. والريب صرفه. أي لم تفرقهم صروف الزمان.

أَنْفُسِهِمْ،[1] وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ...»[2].

وعلى ما تقدّم لم نجد بين هؤلاء الملائكة (عليهم السلام) ما وظيفته أن يبكي ويندب وهم شعث غبر على هيئة أصحاب العزاء، لا يفترون إلّا عند الزوال، وهم لا يمسكون عن الدُّعاء والبكاء...!

والسؤال هنا هل من أدبياتنا نحنُ البشر إذا أراد أحد أن يصافحنا ولو كنّا في أشد الحزن والبكاء، أن لا نصافحه؟! فكيف وهؤلاء ملائكة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾[3] وقد أمر اللّه سبحانه وتعالى نبي الهدى مُحَمَّدًا ﷺ أن لا يكون فظًا غليظًا ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[4] ولا أحد يشك أن هذا السلوك يدخل ضمن الفظاظة...!

فهل هذا يصح على الملائكة..؟!

وألا يستدعي أن نسأل أنفسنا لِمَ هذه الأحاديث والروايات لم تظهر، إلّا في زمن الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام في الوقت الذي نشط فيه الوضّاعون والدسّاسون في ذلك الزمان...؟!!

وهل من المعقول أن تخالف الملائكة أدبيات القرآن وتعاليمه؟ فالقرآن يدعونا إلى الصبر عند المصائب والأحزان حيث يقول اللّه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦﴾[5] فأين ومتى دُعينا أن نبكي ونبقى نبكي كل يوم على فقيدٍ لنا أو عزيز لنا أو شهيد لنا مهما عظم هذا الفقيد ومهما كانت فاجعته؟!

وهل استشهد الإمام الحُسين عليه السلام حتى نقيم له العزاء والبكاء فقط! أم استشهد في سبيل قضية عظيمة ليستلهم كل أحرار العالم نهجه في مقارعة الظالمين المنحرفين عن خط الإسلام الأصيل!؟

---

(١) زرى عليه كرمى: عابه.

(٢) شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ج٧، ص٢٠٠، خطبة (١٠٨).

(٣) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

في هذا الجانب يقول السيد محمد حسين فضل الله:

«إن ما نريده هو أن نَكْبُرَ بعاشوراء، فلا نرى فيها مجرد قيادة تنزف الدماء منها، دماء الكارثة دماء المصيبة ودماء الجسد، ولكننا نريدها أن تكون قضية فنتمثّل الشخص وجه القضية وروح القضية، لا أن ننفذ إلى الشخص وننسى القضية وهذا ما نفعله الآن، والزمن في مسيرته قطع الأجيال ووصل إلينا فأصبحت المسألة: كيف نبكي الحُسين عليه السلام بالتاريخ أكثر ممّا نبكي الإسلام في الواقع، وأصبحت المسألة هي كيف نبكي هؤلاء الذين استشهدوا مع الحُسين عليه السلام قبل أن نبكي المجتمع الذي يتخبط في واقعنا.

إننا عندما نستمع إلى أكثر مجالس العزاء في العالم الإسلامي فماذا نجد؟ نجد أن المسألة هي كيف نستنزف الدمعة ولو بالخُرافات؟ لقد حوّلنا الخُرافة إلى ما يشبه الحقيقة التي نُدخلها في عقول الأجيال على أنّها هي التاريخ، والتاريخ لا علاقة له فيها لا من قريب ولا من بعيد»[(١)].

لقد صدقَ سماحة السيد (رضوان الله عليه) عندما وصّفَ الواقع فهذا ما نفعله الآن! فنتيجة هذه المرويات الموضوعة من قبل بعض المستفيدين من عاطفة الموالين، نشأت لدينا ثقافة الحزن والعزاء والنوح التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وآله.

نقل صاحب «وسائل الشيعة» عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: **«النياحة من عمل الجاهلية»**[(٢)]. وذكر في نفس الصفحة قوله: **«نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرنة عند المصيبة، ونهى عن النياحة والإستماع إليها»**[(٣)]. وقال في نفس الموضع: **«قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة حين قتل جعفر بن أبي طالب: لا تدعي بذلٍ ولا ثكلٍ ولا حزنٍ»**[(٤)]. أي لا تَقُلْ: واذلاه، أو واويلاه، أو واحزناه»!

أورد أيضًا: **«إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: إذا أنا مت فلا تخمشي على وجهك، ولا ترخي عليَّ شعرًا، ولا تنادي بالويل، ولا تقيمين عليَّ نائحة»**[(٥)]!!

ونهى يومئذٍ عن النوح.

---

(١) نقلاً عن محاضرة بقاعة الجنان، ٧ محرم ١٤٢٣ هـ ـ ٢٣ آذار ٢٠٠٢ م.

(٢) (٣) (٤) وسائل الشِّيعَة، الحر العاملي، ج٢، ص٩١٥.

(٥) وسائل الشِّيعَة، المصدر نفسه، ص٩١٦.

ثمَّ يذكر الشيخ عباس القمّي آداب للزيارة وعددها سبعة وعشرون أدبًا:

فيذكر في الأدب الخامس والعشرين:

«الإنفاق على سدنة المشهد الشريف، وينبغي لهؤلاء أن يكونوا من أهل الخير والصلاح والدين والمروءة، وأن يحتملوا ما يصدر من الزوّار فلا يصبّوا سخطهم عليهم، ولا يحتملوا عليهم...».

أقول: هذا مع أَنَّهُ طبْقًا للأحاديث التي جاءت في كتاب «الوسائل» باب ٢٢ من أحكام الطواف أَنَّ أئمّة الإسلام قالوا: كل من نَذَرَ أو أوصى للكعبة أو المسجد الحرام فلا يجوز أن يعطي هذا النذر أو الوصية لخدّام الحرم أو حجّاب الكعبة حتى لا يحوّل حرم الله إلى مركز للتسوّل»!!

لقد وُضعت في كتب الدعاء والزيارة نصوص استئذان للدخول إلى الحرم والأروقة وآداب للزيارة منسوبة إلى الإمام كذبًا، وأوضح دليل على كذبها أنه لم تكن في زمان الأئمّة عليهم السلام قباب وأروقة وحرم للقبور فلم تكن مثل تلك الأشياء قد بُنيت بعد بمال السلاطين.

والسؤال هنا لماذا أضاف ابن طاووس والمجلسيّ والقمّيّ هذه الآداب والأحكام التي ما أنزل الله بها من سلطان إلى دين الله؟ وهم أنفسهم نقلوا في كتبهم عن «**محمد بن علي الشيباني**»: أنه قال:

«**ذهبتُ أنا وأبي وعمّي ليلًا خفيةً سنة ٢٦٠هـ إلى زيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ورأينا القبر وسط البادية قد وُضِعَ حوله عددٌ من الأحجار السوداء، ولم يكن عليه بناء**»[1].

إذًا حتى سنة ٢٦٠هـ التي توافق سنة وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام لم يكن لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام حَرَمٌ ولا قُبَّةٌ ولا رُواقٌ ولا فناءٌ ولا صحنٌ، فلنا أن نسأل السادة الشيخ الطوسي وابن طاووس والمجلسي والقُمّي، لماذا أوردتم هذه الروايات المنسوبة إلى الأئمّة عليهم السلام حول الرواق والحَرَم؟

(١) انظر: مفاتيح الجنان، دار إحياء التراث/ بيروت (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م) ط١، ص٣٧٨، الفصل الرابع في فضل زيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وكيفيّتها في المطلب الأول.

وقد رُويَ في كتابَي «بحار الأنوار» و«مفاتيح الجنان» في الزيارة المطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام أنه إذا ظهرت قبّة الإمام فَقُل كذا، وإذا وصلتَ إلى باب النجف فاقرأ الدعاء الفلاني، وإذا وصلتَ إلى صحن الحرم، فقل كذا، وإذا وصلت إلى الرواق فقل: «يا أمير المؤمنين»!! فما معنى هذه التعليمات في الوقت الذي لم يكن في زمن الإمام فناء ولا باب ولا قبّة؟

فهل يجوز للسادة الشيخ الطوسي وابن طاووس والمجلسي والكفعمي والشهيد والقمّيّ أن يضيفوا أشياء حسب ذوقهم إلى دين الإسلام سواء كان ذلك الأمر مستحبًا أو غير مستحب؟

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله: «**حلالُ محمدٍ حلالٌ إلى يوم القيامة وحرامُهُ حرامٌ إلى يوم القيامة**»؟[1] وفي حديث آخر: «**لا رأيَ في الدين، إنَّما الدين من الربِّ أمرُهُ ونَهْيُهُ**»[2].

وقال الإمام عليٌّ عليه السلام: «**ما أحدٌ ابتدع بدعةً إلا ترك بها سُنةً**»[3].

مما يعني أنه لا يحق لأحد أن يزيد على آداب وأحكام الدين أو ينقص منها؟

لقد تمَّ إبعاد الناس ـ للأسف ـ عن سُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وَشَغْلِهِم بالبدع وجَعْلِهِم يغتَرُّون بها، وقد رُوي عن الإمام علي عليه السلام قوله:

«**السُّنّة ما سنَّ رسول الله والبدعة ما أُحدث بعده**»[4].

وللأسف اخترع العلماء والمتقدّسون هذه الآداب لإظهار محبتهم للأئمة عليهم السلام وظنُّوا، مخطئين، أنهم يُحسنون صُنعًا.

وظنَّ اللاحقون استنادًا إلى حسن ظنهم بهؤلاء السابقين أن تلك الأعمال هي فعلًا من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وآله وجزءًا من الدين!

---

(١) رواه الكليني في الكافي بسنده عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام فقال: «**حلال محمد حلال أبدًا إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبدًا إلى القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره**»، ج١، ص٥٨، ح١٩.

(٢) وسائل الشِّيعَة، ج١٨، ص٤٠.

(٣) الكافي: كتاب فضل العلم، باب البدع والرأي والمقائيس، ج١، ص٥٨، حديث ١٩.

(٤) بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج٢، ص٢٢٦، حديث٢٣.

وأخيرًا يستوقفني سؤال وهو: لِمَ بنوا هذه القباب الذهبية والمنارات والأبواب والأبنية المصنوعة من الذهب والفضّة والجواهر الثمينة والفُسيفساء وهم يعلمون أنَّ الإمام علي عليه السلام كان ينام على التراب حتى خاطبه رسول الله صلى الله عليه وآله بأبي تراب؟!

الخامس والعشرون: زيارة وارث

إن الشيخ عباس القمّي يقول وبصريح العبارة أن زيارة وارث قد طالها الدس، فهو قد أفردَ عنواناَ رئيسياَ تحت اسم (الدس في زيارة وارث) حيث يقول:

«ثم عد إلى عند رأس الحُسين عليه السلام وأكثر من الدعاء لك ولأهلك ولوالديك ولإخوانك فإنَّ مشهده لا ترد فيه دعوة داع(*)، ولا سؤال سائل، أقول: تُعرف هذه الزيارة باسم زيارة وارث، وهي مأخوذة من كتاب مصباح المتهجّد للطوسي، وهو من أرقى الكتب المعتبرة المشهورة في الأوساط العلمية، وقد اقتطفت هذه الزيارة نصًا عن ذلك المأخذ الشريف، من دون واسطة أتكل عليها، فكانت كلمة الختام لزيارة الشهداء هي:

(فيا ليتني كنت معكم فأفوز معكم) فالعبارةُ التي ذُيِّلَتْ بها هذه الزيارة هي (في الجنان مع النبيين والصدّيقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقًا، السلامُ على من كان في الحائر منكم وعلى من لم يكن في الحائر معكم ـ إلى آخره ـ) إنّما هي خروج عن المأثور، ودسّ في الحديث، قال شيخنا في كتابه الفارسي (لؤلؤ ومرجان) إن هذه الكلمات التي ذيلت بها هذه الرواية، إنّما هي بدعة في الدين، وتجاسر على الإمام عليه السلام بالزيادة فيما صدر منه، وفوق ذلك فهي تحتوي على أباطيل وأكاذيب بيّنة الكذب، والغريب المدهش أنّها تنبث بين الناس وتذيع [تذاع] حتى تهتف بها في كل يوم وليلة عدّة آلاف مرّة في مرقد الحُسين عليه السلام وبمحضر من الملائكة المقرّبين، وفي مطاف الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ولا منكر ينكرها، أو رادع يردع عن الكذب والعصيان، قال: الأمر إلى أن تدوّن هذه الأباطيل وتطبع في مجاميع من الأدعية والزيارات يجمعها الحمقى من عوام الناس، فتزعمها كتابًا، لها أسْمٌ من الأسماء، ثمَّ تتلاقفها المجاميع فتسري من مجموعة أحمق إلى مجموعة

(*) علمًا أن نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله بقيَ دهرًا من الزمن يدعو بصلاح قومه وهدايتهم عندما كان يردد دائمًا: «اللهم اهدِ قومي...» ورغم ذلك لم يهتدوا جميعًا، ولم تُسْتَجَب دعوته، بينما أن تدعو الله عزَّ وجلّ وتسأله حاجتك عند رأس الإمام الحسين عليه السلام فإنها لن تُرد!

أحمق آخر، وتتفاقم المشكلة، فيلتبس الأمر على بعض طلبة العلم والدين، وإنّي صادفت طالبًا من طلبة العلم والدين، وهو يزور الشهداء بتلك الأباطيل القبيحة، فمسست كتفه، فالتفت إليّ، فخاطبته قائلًا: ألا يشنع من الطالب أن ينطق بمثل هذه الأباطيل في مثل هذا المحضر المقدّس؟ قال: أليست هي مروية عن الإمام عليه السلام؟ فتعجّبت لسؤاله وأجبته بالنفي، قال: فإني قد وجدتها مدوّنة في بعض الكتب، فسألته عن الكتاب فأجاب كتاب «مفتاح الجنان»، فسكت عنه، فإنّه لا يليق أن يكلم المرء رجلًا أدت به الغفلة والجهل إلى أن يعدّ المجموعة التي جمعها بعض العوام من الناس كتابًا من الكتب، ويستند إليه مصدرًا لما يقول، ثمَّ بسط الشيخ (رحمه الله) كلامه في هذا المقام، وقال: **إنّ عدم ردع العوام عن نظائر هذه الأُمور غير الهامة، والبدع الصغيرة. . . التي لم يردع عنه رادع، ولم ينكره منكر، قد أورثت الجرأة والتطاول، ففي كل شهر من الشهور، وفي كل سنة من السنين، يظهر للناس نبي أو إمام جديد فترى الناس يخرجون من دين اللّه أفواجًا**، انتهى[1].

أقول: إن الشيخ عباس القمّي قد تحدّث بداية عن الدس في زيارة وارث ثم نقل عن أستاذه حسين النوري ما جرى على الأدعية من دس وزيادات وإنما هي بدع في الدين وهي فوق ذلك تحتوي على أباطيل وأكاذيب بيّنة، فتنتشر وتتلاقفها المجاميع فتُدوّن ثمَّ تُذاع وتُطبع ويهتف بها عوام الناس ولا مُنكر يُنكِرُها، وتتفاقم المشكلة، وبعدها تُصبح عقيدة من العقائد الواجب ممارستها والإيمان بها وكل من يخالفها يصبح مخالفًا لنهج أهل البيت ويُنعت بالضلال والمروق والكفر والتشكيك. . !!

السادس والعشرون: زيارة ليلة المبعث ويومه[2]

يقل الشيخ عباس القمّي «زيارة ليلة المبعث ويومه وهو اليوم السابع والعشرون من رجب، وقد وردت فيه ثلاث زيارات:

الأولى: الزيارة الرجبية: **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَشْهَدَنَا مَشْهَدَ أَوْلِيَائِهِ**. . . وهي زيارة يُزار بها كل من المشاهد في شهر رجب، وقد عدّها صاحب كتاب المزار القديم، والشيخ محمد بن المشهدي وقال: صلِّ بعدها للزيارة ركعتين. . .

(١) كتاب مفاتيح الجنان، ص ٤٦٦، ٤٦٧.

(٢) مفاتيح الجنان، ص٤١٦.

الثانية: زيارة **ٱلسَّلَامُ عَلَىٰ أَبِي ٱلْأَئِمَّةِ وَمَعْدِنِ ٱلنُّبُوَّةِ** التي قد جعلها العلّامة المجلسي الزيارة السابعة من الزيارات المطلقة، في كتاب التحفة، قال صاحب المزار القديم: إنها تخص الليلة السابعة والعشرين من رجب. . .

الثالثة: زيارة أوردها الشيخ المفيد، والسيد، والشهيد، بهذه الكيفية: إذا أردت زيارة الأمير عليه السلام في ليلة المبعث أو يومه فقف على باب القبّة الشريفة، مقابل قبره عليه السلام وقل: **أَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ ٱللَّهِ وَأَخُو رَسُولِهِ وَأَنَّ ٱلْأَئِمَّةَ ٱلطَّاهِرِينَ مِن وُلْدِهِ حُجَجُ ٱللَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ.**

ثم ادخل وقف عند القبر مستقبلًا القبر، والقبلة بين كتفيك، وكبّر الله مائة مرة، وقل:

ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ خَلِيفَةِ ٱللَّهِ ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ صفْوَةِ ٱللَّهِ ٱلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ ٱللَّهِ. .

ثم قبّل الضريح وضع خدّك الأيمن عليه، ثم الأيسر، ومِلْ إلى القبلة وصلِّ صلاة الزيارة، وادع بما بدا لك بعدها، وقل بعدها:

ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ بَشَّرْتَنِي عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْتَ ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُم قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ. . إلى آخره»

أقول: بعد أن يملأ الشيخ عباس القمّي كتابه «مفاتيح الجنان» بمثل هذه الأعمال والزيارات نقلًا عن الشيخ محمد بن المشهدي، والشيخ المفيد، والسيد، والشهيد ولا يذكر أي سند، نرى المجلسي في البحار يقول:

«**أقول لم أطّلع على سند هذه الزيارة ولا على استحباب زيارته عليه السلام في خصوص هذا اليوم لكنه من المشهور بين الشّيعة والإتيان بالأعمال الحسنة في الأزمان الشريفة موجب لمزيد المثوبة**»[1]!.

وطبعًا قارئ كتاب مفاتيح الجنان لم يقرأ هذه الفقرة التي يُشير إليها المجلسي بسبب حذفها من المفاتيح عند نقلها!

---

(١) بحار الأنوار، المجلسيّ، ج٩٧، ص٣٨٣.

ولاحظوا كيف أن المجلسي أضاف كل هذه الآداب إلى الدين دون دليل أو مستند، وكيف تكون هذه الأعمال التي لا مستند شَرْعِيًا لها موجبةً للمزيد من المثوبة والأجر؟!

نعم، لقد قام أشخاص من قبيل «ابن المشهدي» و«أبو قرة» و«ابن طاووس» وأمثالهم بوضع زيارات لكل شخص وفي كل مكان ملؤوها بالدعاء والمديح وصنوف الإطراء الذي رفضه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حياته، ومن جملة ذلك أنهم اخترعوا لمسجد الكوفة عدَّة مصاطب أو دُكَكٍ فمصطبة (دكة) للإمام السجاد ومصطبة للإمام الصادق وأُخرى للأمير ووضعوا آدابًا خاصة لكل منها؟! ثمَّ جاء الشيخ عباس القمّي ليجمعها في كتاب «مفاتيح الجنان»!

هل يجوز أن نجعل أحكام الدين غير منضبطة بالأدلة الشرعية إلى هذا الحد؟!

وما أصدق كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي قال: «**وَمَا أُحْدِثَت بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ فَاتَّقُوا البِدَعَ وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ إِنَّ عَوازِمَ الأُمُورِ أَفْضَلُهَا وَإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا**»[1].

السابع والعشرون: دعاء المجير/الحُبي

معرّب كتاب مفاتيح الجنان السيد محمد رضا النوري النجفي يقول:

«أنا الفقير أُلاحظ هذا القول، وأنعم النظر فيه، إنّه القول الصادر عن عالم جليل، وأقف على ذوق الشريعة المُقدّسة، واتجاهاتها في سننها وأحكامها، وهو يبدي بوضوح مبلغ اهتمام هذا العالم الجليل بالأمر ويكشف عمّا يكظمه في الفؤاد من الكآبة والهمّ، فهو يعرف مساوئه وتبعاته على النقيض من المحرومين عن علوم أهل البيت عليهم السلام، المقتصرين على العلم، بضغث من المصطلحات والألفاظ، فهم لا يعبأون بذلك ولا يبالون بل تراهم بالعكس يصححونه ويصوّبونه، ويجرون عليه في الأعمال، فيستفحل الخطب ويُعاف كتاب مصباح المتهجّد، والإقبال ومهج الدعوات، وجمال الأسبوع ومصباح الزائر، والبلد الأمين، والجنّة الواقية، ومفتاح الفلاح، والمقباس، وربيع الأسابيع، والتحفة، وزاد المعاد، ونظائرها، فيستخلفها

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ) ج٩، ص٩٣، خطبة (١٤٥).

هذه المجاميع السخيفة، فيدس فيها دعاء المجير، وهو دعاء من الأدعية المأثورة المعتبرة، كلمة بعفوك في سبعين موضعًا، فلم ينكرها منكر.

ودعاء الجوشن الكبير الحاوي على مئة فصل يبدع لكل فصل من فصوله أثرًا من الآثار، ومع ما بلغتنا من الدعوات المأثورة ذات المضامين السامية، والكلمات الفصيحة البليغة، يصاغ دعاء سخيف غاية السخف، فيسمى دعاء الحُبي، فينزل من شرفات العرش، فيفترى له من الفضل ما يدهش المرء ويبهته، من ذلك، والعياذ باللّه، أنَّ جبرائيل، بلغ النبي مُحّمدًا ﷺ أن اللّه (تعالى) يقول: إنّي لا أعذب عبدًا يجعل معه هذا الدُّعاء، وإن استوجب النار وأنفق العمر كلّه في المعاصي، ولم يسجد لي فيه سجدة واحدة، إنني أمنحه أجر سبعين ألف نبي، وأجر سبعين ألف زاهد، وأجر سبعين ألف شهيد، وأجر سبعين ألف من المصلّين، وأجر من كسا سبعين ألف عريان، وأجر من أشبع سبعين ألف جائع، ووهبته من الحسنات عدد حصى الصحاري، وأعطيته أجر سبعين ألف بقعة من الأرض، وأجر إسماعيل ذبيح اللّه، وموسى كليم اللّه، ويعقوب نبي اللّه، وآدم صفي اللّه، وجبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، والملائكة، يا محمد من دعا بهذا الدُّعاء العظيم دعاء الحُبي، أو جعله معه غفرت له، واستحييت أن أعذبه ـ إلى آخره ـ.

وجدير بالمرء أن يستبدل الضحك على هذه المفتريات الغريبة بالبكاء على كُتُب الشِّيعة ومؤلفاتهم، الكتب القيمة التي بلغت الرتبة السامية ضبطًا وصحة وإتقانًا، فكانت لا يستنسخها في الغالب إلّا رجال من أهل العلم والدين، فيقابلونها بنسخ نسختها أيدي أهل العلم، وصححها العلماء، وكانوا يلمّحون في الهامش إلى ما عساه يوجد من الاختلاف بين النسخ. ومن نماذج ذلك، أنَّ نرى في دعاء مكارم الأخلاق كلمة وبلغ بإيماني، فيرد في الهامش أنّ في نسخة ابن أشناس وأبلغ بإيماني وفي رواية ابن شاذان اللّهُمَ أَبْلِغ إيماني، وقد نرى الإشارة إلى أن الكلمة وجدت بخطّ ابن سكون هكذا، وبخط الشهيد هكذا، فهذه هي المرتبة الرفيعة التي نالتها كتب الشِّيعَة ضبطًا وإتقانًا، وهذا مبلغ ما بذلوه من الجهد في مدى دقّتها وتصحيحها، والآن نجدها قد عيفت وتركت، فاستخلفها كتاب مفتاح الجنان الذي وقفت على نزر من صفته، فيكون هو الكتاب الوحيد الذي تتداوله الأيدي ويرجع إليه العوام والخواص، والعرب والعجم، **وما ذلك إلّا لأن أهل العلم والدين لا**

يبالون بالأحاديث والروايات، ولا يراجعون كتب عُلماء أهل البيت الطاهرين وفقهائهم، ولا ينكرون على أشباه هذه البدع والزوائد، وعلى دسّ الدساسين والوضاعين، وتحريف الجاهلين، ولا يصدّون من لا يرونه أهلًا، ولا يردعون الحمقى، فيبلغ الأمر حيث تُلفّق الأدعية بما تقتضيه الأذواق، أو يصاغ زيارات ومفجعات وصلوات، ويطبع مجاميع عديدة من الأدعية المدسوسة، وينتج أفراخًا بكتاب المفتاح وتعمّ المشكلة، فيروّج الدسّ والتحريف، ونراهما يسيران من كتب الأدعية إلى سائر الكتب والمؤلفات، فنجد مثلًا كتابي الفارسي المسمى «منتهى الآمال» المطبوع حديثًا، قد عبث فيه الكاتب بما يلائم ذوقه وفكره ومن نماذج ذلك أنّ الكاتب دسّ كلمة الحمد للّه في أربعة مواضع خلال سطرين من الكتاب، فقد كتب في حال مالك بن يسر اللعين أنّه قد شلّت يداه بدعاء الحُسين عليه السلام الحمد للّه فكانتا في الصيف كخشبتين يابستين الحمد للّه، وفي الشتاء يتقاطر منهما الدم الحمد للّه، فكان عاقبة أمره خسرًا الحمد للّه، ودس أيضًا في بعض المواضع كلمة السيِّدَة (خانم) عقيب اسم زينب، وأمّ كلثوم تجليلًا لهما واحترامًا، وكان الكاتب لحميد بن قحطبة، فحرّف اسمه إلى حميد بن قحبة. ثمَّ احتاط احتياطًا، فأشار في الهامش إلى أنّ في بعض النسخ حميد بن قحطبة، واستصوب أن يكتب الإسم عبد اللّه عوض عبد ربّه، والإسم زحر بن القيس وهو بالحاء المهملة، التزم أن يسجله بالجيم أينما وجده، وخطأ كلمة أم سلمة فسجلها أم السلمة، ما وسعه ذلك، والغاية التي توخيتها بعرض هذه النماذج من التحريف هي بيان أمرين:

أولًا: لاحظَ هذا الكاتب أنّه لم يجر ما أجراه من الدس والتحريف، إلّا وهو يزعم بفكره وذوقه، أنّ في الكتاب نقصًا يجب أن يزال، وليس النقص والوهن إلّا ما يجريه من التحريف، فلنقس على ذلك الزيادات التي يبعثنا الجهل على إضافتها إلى الأدعية والزيارات والتغييرات والتصرفات التي تقتضيها طباعنا، وأذواقنا الناقصة، زعمًا أنّها تزيد الأدعية والزيارات كمالًا وبهاءً، وهي تنتزع منها الكمال والبهاء، وتسلبها الاعتبار عند أهلها العارفين، فالجدير أن نتحافظ على نصوصها المأثورة فنجري عليها، لا نزيد فيها شيئًا، ولا نحرّف منها حرفًا.

ولنلاحظ ثانيًا: الكتاب الذي تكلمنا عنه، **أنّه كتاب لمؤلف حي يراقب كتابه ويترصد له، يجري فيه من التحريف والتشويه نظائر ما ذكرت، فكيف القياس في**

سائر الكتب والمؤلفات، وكيف يجوز الاعتماد على الكتب المطبوعة، إلّا إذا كانت من المؤلفات المشهورة للعلماء المعروفين، وعرضت على عُلماء الفن فصدقوها وأمضوها وقد روي في ترجمة الثقة الجليل، الفقيه المقدم في أصحاب الأئمّة عليهم السلام **يونس بن عبد الرحمن أنّه كان قد عمل كتابًا في أعمال اليوم والليلة، فعرضه أبو هاشم الجعفري على الإمام العسكري عليه السلام فتصفّحه عليه السلام كلّه**، قال: «**هذا ديني ودين آبائي كلّه وهو الحق كلّه**». فهذا أبو هاشم الجعفري الجري على كتاب يونس فلم يعتمد على سعة علم يونس وفقاهته وجلاله والتزامه بدينه، حتى عرض الكتاب على الإمام عليه السلام واستعلم رأيه فيه.

وروي أيضًا عن بورق الشنجاني الهروي، وكان معروفًا بالصدق والصلاح والورع، أنّه وافى الإمام العسكري عليه السلام في سامراء، وعرض عليه كتاب اليوم والليلة الذي ألّفه الشيخ الجليل فضل بن شاذان، وقال: جعلت فداك أردت أن تطالع هذا الكتاب وتتصفحه، قال عليه السلام: «هذا صحيح ينبغي أن نعمل به». إلى غير ذلك من الروايات في هذا الباب، **وإنّي قد أَقْدَمْتُ على تأليف هذا الكتاب**، وإني واقف على طباع الناس في هذا العصر، وعدم اهتمامهم لنظائر هذه الأُمور، وإنّما ألّفته إتمامًا للحجّة عليهم، فجددت واجتهدت في أخذ الأدعية والزيارات الواردة في هذا الكتاب عن مصادرها الأصيلة، وعرضها على نسخ عديدة، كما بذلت أقصى الجهد في تصحيحها واستخلاصها من الأخطاء كي يثق به العامل، ويسكن إليه إن شاء اللّه، **ولكن الشرط هو أن لا يحرّفه الكاتب والمستنسخ، وأن يتخلّى القارىء، عمّا يقتضيه طبعه وذوقه من التغيير**.

روى الكليني (رضي اللّه عنه) عن عبد الرحمن القصير، قال: دخلت على الصادق (صلوات اللّه وسلامه عليه) فقلت: جعلت فداك، إنّي اخترعت دعاء، قال دعني من اختراعك، فأعرض عليه السلام عن اختراعه، ولم يسمح أن يُعرض عليه، ثمَّ أنعم عليه بتعليمه عملًا ينبغي أن يؤدّيه.

وروى الصدوق (عطّر اللّه مرقده) عن عبد اللّه بن سنان، قال: قال الصادق عليه السلام: «سيصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يُرى، ولا إمام هدى، ولا ينجو منها إلّا من دعا بدعاء الغريق، قلت: وكيف دعاء الغريق؟ قال: تقول:

يا اللّهُ يا رحمٰنُ يا رحيمُ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثبِّت قلبي على دينك فقلت: يا مُقلِّبَ القلوبِ والأبصار ثبِّت قلبي على دينك، فقال: إنّ اللّه عزّ وجلّ مقلب القلوب والأبصار. ولكن قل كما أقول: يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك» وحسب

العابثين بالدعوات إضافة وتحريفًا بما يقتضيه أذواقهم وطبائعهم، التأمّل في هاتين الروايتين والله العاصم (انتهى)[١].

الثامن والعشرون: دعاء الندبة[٢]

دعاء الندبة، هو دعاء ليس له أي سند ولا أي دليل في كتاب الله ولا في روايات أهل البيت، بل ويعارض صريح القرآن والسنة النبوية والعقل والتاريخ. ومن ذلك:

الأول: عبارة «**وَأَوْدَعْتَهُ عِلْمَ ما كانَ وَما يَكُونُ إِلَى ٱنْقِضاءِ خَلْقِكَ**».

تعارض عشرات الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[٣].

وقوله سبحانه في سورة لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾[٤].

فقد جعل الله تعالى علم هذه الأمور الخمسة خاصة به سبحانه، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة ١٢٨ من نهج البلاغة بأنه لا يعرف الأمور الخمسة التي وردت في سورة لقمان إلا الله تعالى.

وخاطب رسوله في سورة الأحقاف: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾[٥].

وكثير من الآيات الأخرى تشير إلى هذا المعنى: فلو كان الرسول يعرف كل شيء لما تردد في الجواب فيما يطرح عليه من الأمور، ولم ينتظر الوحي. فهذه العبارة تخالف التاريخ وسيرة الرسول.

---

(١) مفاتيح الجنان، ص٤٦٧ ـ ٤٧٠.

(٢) مفاتيح الجنان، ص٥٦٥ ـ ٥٧٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٩٠.

الثاني: جملة «**وجَعَلْتَ أَجْرَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَوَدَّتَهُمْ فِي كِتابِكَ فَقُلْتَ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ ٱلْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**».

يزعم مؤلف دعاء الندبة أن أجر رسالة الرسول ﷺ هو: محبة أهل بيت الرسول ﷺ ومودة أقاربه.

وهذا يخالف القرآن، لأن مؤلف دعاء الندبة استشهد بقوله تعالى: ﴿...قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، وقد خانه علمه في ذلك، فالآية مكية، نزلت في مكة يوم أن لم يقبل المشركون رسالته، فكيف يطلب الرسول ﷺ ممن لا يؤمن برسالته ولا يعترف به أجرًا على رسالته وهو المودة في القربى! كيف يطلب أجرًا ممن لا يقبله ولا يرضى به أبدًا؟!.

ثم إنه أخطأ بين «**في القربى**» وظنّه «**ذي القربى**»، فكلمة «**ذي القربى**» تعني الأقارب، ولكن «**في القربى**»، لا تعني ذلك، و«**القربى**» تعني «**الزلفى**»، أي ما يوجب التقرب. والآية تعني: قل، لا أطلب منكم أجرًا إلا المحبة والمودة فيما يقرّب بعضنا إلى بعض، أو يقربنا إلى الله تعالى. أي لا أريد منكم أجرًا، وإنما أريد أن تصادقوني في سبيل الله، أو فيما يجمع بيننا ويقربنا إلى بعضنا البعض. وقد اعتبر المحققون من المفسرين كلمة «**إلا**» بمعنى «**بلى**»: انظر إلى تفسير مجمع البيان وتفسير فخر الرازي ولم ترد في اللغة كلمة «في القربى» بمعنى «ذي القربى» قط.

ولطالما ردد الرسول ﷺ على مسامع القوم أنني لا أريد منكم جزاءً ولا شكورا ولا أجرًا كما جاء في سورة الأنعام: ﴿...قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[2]. فلو قال مرة أنني أطلب أجرًا على رسالتي، وهو أن تحبوا أهل بيتي، لكان هذا منافيًا لعدم قبول الأجر أو عدم طلب الأجر، ولأصبح في الكلام تناقض، وأصبحت آخر العبارة تخالف أولها.

ما أعجب أمر مؤلف هذا الدعاء الذي لم يستطع أن يفرق بين «**ذي القربى**» و«**في القربى**» كيف تجرَّأ أن يصنع دعاء من عنده فيستهزئ بالآيات القرآنية، ويلوي أعناقها إلى ما يهواه.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٨.

الثالث: عبارة «**فَكَانُوا هُمُ السَّبِيلَ إِلَيْكَ**».

يقصد أن أولاد الرسول كانوا هم السبيل إليك، وهذا يخالف القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم بعد أن قال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾[1].

يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾[2].

إذن وضحت الآيات القرآنية بأن السبيل إلى الله هو التوحيد وترك المُحَرَّمات والعمل بالواجبات، وقد اتَّبعَ الأئمة عليهم السلام هذا السبيل، ولم يعتبروا أنفسهم السبيل إلى الله، فهم من سالكي السبيل وليسوا السبيل نفسه. لكن مؤلف هذا الدعاء اتبع هواه وترك عنان لسانه لينطق ما يحلوا له.

الرابع: وصف الإمام علي بقوله: «**وَحَبْلَ اللَّهِ الْمَتِينَ**».

وضرب بكلام رب العالمين وبكلام أمير المؤمنين علي في نهج البلاغة عرض الحائط، فقد قال عليه السلام ما قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[3]، وإن حبل الله هو القرآن، والله تعالى أمرنا بالاعتصام بحبل الله، ولا بد أن يكون هذا التكليف مقدورًا للناس في كل زمان ومكان، في حين أن عليًا ليس بيننا، فلا نستطيع أن نعتصم به الآن، ولا شك أن الله تعالى لا يأمر الناس إلا بما يظل موجودًا بين الناس وهو؛ القرآن الكريم. وقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة له في نهج البلاغة: «**وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ**»[4]. وقال في خطبة أخرى: «**وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَسَبَبُهُ**

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٤) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م - ١٣٨٧هـ) ج٩، ص٢٠٣، خطبة (١٥٦).

الأمينُ»[1]. ولا بد على الإمام علي عليه السلام نفسه أن يعتصم بحبل الله المتين كذلك، لا أن يكون هو الحبل؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾[2]. فقد عَدّت الآية المتمسكين بالكتاب من المصلحين، فيجب على من يسعى للإصلاح أن يتمسك بكتاب الله تعالى.

الخامس: يصف مؤلف الدعاء أمير المؤمنين عليًا ويقول:

«وَصِراطَهُ الْمُسْتَقِيمَ»!

في حين أن الإمام علي عليه السلام كان يقوم الليل والنهار بين يدي ربه يصلي أكثر من خمسين ركعة ـ على أقل التقادير ـ وهو يقرأ سورة الحمد فيها خاشعًا متضرعًا بين يدي الله تعالى، ويقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فإن كان هو؛ «**الصراط المستقيم**» فما كان ينبغي له أن يطلب من ربه أن يهديه إلى الصراط المستقيم، ولكان كلامه هذا مهملًا.

ثم إن الله تعالى وضح في كتابه المجيد ﴿...الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وبين أنه هو طريق الله والدين الإبراهيمي الخالص، كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾[3]. وقال جلا وعلا: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾[4]. وقد تكون هناك بعض الروايات المجعولة من وضع الكذابين على لسان أمير المؤمنين أنه قال: «**أنا الصراط المستقيم**»! وكما تلاحظ فقد لعب هؤلاء بكلام الله تعالى.

ولا ينبغي للمسلم أن يترك العمل بسورة الحمد التي تواترت روايتها وثبتت باليقين الجازم أنها من كتاب الله تعالى ومن قول المولى سبحانه، ويأخذ بما رواه الكذابون من الروايات الموهومة.

---

(١) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج١٠، ص٣١، خطبة (١٧٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٠.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٥٢، ٥٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦١.

السادس: عبارة «**أَيْنَ بَقِيَّةُ اللَّهِ**».

تريد أن تقول بأن الإمام المهدي هو «**بقية الله**» وترى في مدننا لوحات ضخمة صرفت في صناعتها الأموال الطائلة وعلقت في الطرقات خدمة للإمام المهدي واحترامًا له وقد كتبوا عليها قوله سبحانه: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

ولعبوا بالقرآن وحاولوا أن يحرقوا الآية القرآنية لتخدم أهواءهم. فهذه الآية وردت في سورة هود، حيث قال نبي الله شعيب لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾﴾[1].

ولم يكن الإمام المهدي في زمن نبي الله شعيب، والآية أساسًا لا تشير لا إلى إمام ولا إلى مأموم، وإنما تشوّق الناس لعمل الخير وما يبقيه الله للمرء مما يقدِّمهُ الإنسان بين يدي ربه من الخيرات.

السابع: عبارة «**أَيْنَ الْمُعَدُّ لِقَطْعِ دابِرِ الظَّلَمَةِ**».

تعارض القرآن الكريم وتخالف أوامر الإمام أمير المؤمنين عليا عليه السلام حيث أمر أن يسعى كل مؤمن لقطع دابر الظلمة والقضاء على سلطانهم، فقد وصى عليه السلام أولاده وقال لهم: «**كونوا للظالم خصمًا وللمظلوم عونًا**»، ولم يأمرنا الدين والشرع المبين أبدًا أن نجلس وننتظر من يأتي ويقطع دابر الظلمة، فمثل هذه الأوامر الواهية تجرُّ الأمة إلى الإنحطاط والهوان وتخدم الأشرار والظلمة.

ثم لماذا لم يقم سائر الأئمة بهذا الواجب وعجزوا عن ذلك؟!

الثامن: «**أَيْنَ ٱلْمُنْتَظَرُ لِإِقَامَةِ ٱلْأَمْتِ وَٱلْعِوَجِ**».

تدعو إلى الركون والخنوع وعدم السعي لإقامة الاعوجاج وتصحيح المسار، وإلى الجلوس صامتين ليأتي من ينجينا مما نحن فيه.

وهذه العبارات سرت كالسموم القاتلة في جسم الأمة ودعتها إلى الخنوع والذل، وجرّتها إلى الانحطاط والدونية وأصبحت سببًا لسيطرة الأعداء علينا، وأصبحنا في ذيل الأمم وعبيد لهم، في حين أن ذلك يخالف روح القرآن ويخالف

---

(١) سورة هود، الآيتان: ٨٥، ٨٦.

شخصية هذا الدين وبرنامجه الإصلاحي، فقد أمرتنا الآيات القرآنية على اصلاح أنفسنا ثم إصلاح المجتمع من حولنا، ومن ثم قيام دولة الإسلام على معايير الصلاح. فقد قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)﴾(١).

وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)﴾(٢).

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦)﴾(٣).

وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)﴾(٤).

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣)﴾(٥). وكثير من الآيات الأخرى...

التاسع: عبارة «**أَيْنَ الْمُرْتَجى لإزالَةِ الْجَوْرِ وَالْعُدْوانِ**».

هذه العبارة تدعوا الأمة إلى السكون وتخدير قوتها وثورتها ضد كل الظالمين وعدم السعي لدفع الطغيان، وإنما الإنتظار. وكأن التكليف قد رفع عن الأمة، وانحصر واجبها في البكاء والعويل وإقامة مجالس الندبة.

فقد أراد هؤلاء الذين صنعوا مثل هذه الأدعية خدمة الاستعمار بطمس مشاعر الشباب وقتل أحاسيسهم وإرضاء ضمائرهم بمثل هذا الهراء.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ١٣.

وما أسعد الاستعمار أن يجد شعبًا مستسلمًا، ترك عنانه لمن يسوقه دون أن يحرّك ساكنًا، ويظل ينتظر الإمام المهدي لينجيهم مما هم فيه؟

ولهذا إذا سألت الذين يقرأون دعاء الندبة وسائر أدعية التوسل والزيارات التي تخالف القرآن وروح الدين؛ ماذا عسى أن نفعل لإزالة الكفر والظلم عن العالم ولرد الطغاة؟ فلا شك أنهم سوف يردون: لا بد وأن ننتظر الإمام المنتظر، فإن جاء سوف يصلح كل شيء.

وما أشبه اليوم بالبارحة! فكلامهم هذا يشبه مقولة اليهود لسيدنا موسى حيث قالوا له: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

العاشر: عبارة «أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الْأَوْلِياءُ»

جعل الإمام المنتظر وجه الله وهذا هو نفس الذي يتفوه به المتصوفة حيث يقولون: من يعبد الله لا بد وأن يتوجه إلى المرشد وإلى وجهه ويتصور طلعته، فهي صورة الله ـ العياذ بالله ـ كما قال صفي علي شاه في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ من سورة الفاتحة ما معناه: تنتج العبودية من العشق والحاجة والطاعة دون العشق ليست إلا مكرًا أو مجازًا. والعشق لا يتحقق دون السبب، والسبب هو أن تلاحظ صورة. وصورة الحق هو سيدنا الرسول وسيدنا علي أو الولي الذي هو صورة منهما.

ويقول في مقام آخر: لمّا أنطِقُ بقوله ﴿ٱهْدِنَا﴾ أقصد بذلك المرشد.

فتعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، والقرآن يقول عكس ذلك تمامًا، فقد قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[2]، وهذا لا ينحصر على فرد من أفراد البشر فحسب.

الحادي عشر: عبارة «أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلاء».

فيا ليت شعري! ألم يفكر هذا المؤلف أن المنتظر إن حضر فَمِمَّنْ يطالب دمَ الحسين عليه السلام؟ فَقَتلةُ الإمام الحسين عليه السلام لم يُخلّدوا، وليسوا أحياء ليطالَبوا بدمه.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

هؤلاء يزعمون بأن الإمام المهدي رجل دموي، فإن جاء فسيقتل من الناس حتى تخوض الأرض في الدماء، وتغرق أرجل فرسه في الدماء، فيقتل ملايين البشر بسيفه، ولا يكف عن قطع الرقاب حتى لا يبقى على وجه الأرض إلا مائة وعشرين شخص أو أكثر بقليل!!

فلو سلمنا جدلًا أن ذلك حصل، والإمام لو قتل يوميًا ألف شخص بسيفه، فيظل أكثر من ألف عام وهو يقتل ولا يفرغ من قتل الملايين من البشر، فلا بد وأن يقضي مئات السنين في عمله الدموي هذا...

في حين أن الروايات تقول أنه لا يبقى على الإمامة إلا سبع سنين، ثم تقتله امرأة ملتحية!

فهل تقبل هذه الروايات من أوتي شيئًا من العقل؟! ولسنا ندري ماذا نفعل بهذا الكم الهائل من الروايات المكذوبة التي نسجها الكذابون والدجالون.

وهل تتحقق العدالة وتنتشر أحكام الإسلام وقوانين الله بحد السيف وبقطع رقاب الناس وبث الهرج والمرج والقتل والدماء؟! أو لا تستطيع العدالة أن تَثْبُت ولا تَسْتَقر قوانين الإسلام إلا لمدة بضعة أعوام، وذلك عن طريق القتل والهدم والدمار؟!...

الثاني عشر: ثم قال: «**أَيْنَ الْمُضْطَرُّ الَّذِي يُجابُ إِذَا دَعَا**»

وللمرء أن يتساءل: لماذا أصبح المنتظر مضطرًا، ولماذا لا يدعو لرفع الإضطرار عن نفسه، وإن الله تعالى لم يعاهد الناس أنه لا يرد دعاءهم ويقبل كل أدعيتهم، فالله تعالى ليسَ تابعًا ومطيعًا لأهواء عبيده، وإنه لم يستجب كثيرًا من أدعية أنبيائه ورسله، وقد رأينا سيدنا نوح عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل يتضرع بين يدي الله تعالى يطلب نجاة ابنه فإذا بالحق سبحانه يقول له: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٤٦﴾[1].

وها هو رسول الله ﷺ قد دعا ربه أن يهدي المشركين، لكن الله تعالى لم يستجب لدعائه. نقرأ ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.

﴿تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾[1].

الثالث عشر: يخاطب الإمام المنتظر بقوله: «**يابْنَ النَّبَأِ الْعَظِيم**»

فقد اعتبر الإمام علياً عليه السلام بناء على الأخبار الكاذبة بأنه هو «**النبأ العظيم**»، وأن إمام الزمان ابنه. زعمًا منه بأن قوله تعالى في سورة النبأ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾﴾[2].

وكذلك قوله تعالى في سورة ص: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾[3]. يعد سيدنا عليًا بأنه هو «**النبأ العظيم**».

إن هاتين السورتين نزلتا في مكة، في دحض المشركين الذين اختلفوا في أمر الساعة وأعرضوا عنها، فقال تعالى ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾[4]، وذلك: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾[5].

ولم يكن المشركون في مكة يختلفون على الإمام علي عليه السلام لتنزل الآيات فيه.

ثم استمع إلى الإمام علي عليه السلام في الصحيفة العلوية في دعاء يوم الإثنين حيث يقول: «**الحمد لله الذي عرّفني النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون**... إلخ». أي: يحمد الأمير ربُّه على أن عرّفه بالقيامة، فهو يقول صراحة أنه يؤمن بالنبأ العظيم، أي: يؤمن بالقيامة وأخبارها.

الرابع عشر: يخاطب الإمام المنتظر بقوله:

«**يابْنَ مَنْ هُوَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَى اللَّهِ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**»

فقد اعتبر وصف علي في الآية بمعنى «**علي بن أبي طالب**»، وأن إمام الزمان ابن له. فيوم أن صنع الغرب أقوى الأسلحة واخترع أعجب الطائرات وأغرب

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٠.
(٢) سورة النبأ، الآيات: ١ ـ ٣.
(٣) سورة ص، الآيتان: ٦٧، ٦٨.
(٤) سورة النبأ، الآية: ٤.
(٥) سورة النبأ، الآية: ١٨.

الأجهزة، لم يجلس قومنا سدى وأخذوا ينافسونهم في الاختراع! وها هم الآن اخترعوا من علي الوصفي، عليًا اسميًا!!

هذه العبارة وردت في بداية سورة الزخرف، فقد قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾[1].

فالآية تتحدث عن القرآن الكريم، وعلي وحكيم في الآية صفتان للقرآن الكريم، وليستا اسمين للإمام علي بن أبي طالب، ولا يشيران إليه لا من قريب ولا من بعيد، وإذا قلنا أنهما للإمام علي، فلا بد وأن نقول أن القرآن ينطق كلامًا مهملًا، على غير لغة العرب. وبذلك نكون قد استهزءنا بعقولنا، وتلاعبنا في كتاب ربنا ـ ونعوذ بالله من ذلك ـ.

الخامس عشر: قال عن الإمام «**يابْنَ الْحُجَجِ الْبالِغاتِ... طَهَ وَالْمُحْكَماتِ**».

في حين أن القرآن الكريم صرّح بأن لا حُجَّة بعد الرسل، فليس أحد حُجَّة بعد الأنبياء مهما كان؛ عالمًا أو جاهلًا، إمامًا أو مأمومًا، فقد قال سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾[2].

وقد صرّح أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة بأن القرآن الكريم حُجَّة كافية فقال: «**حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ حُجَّتُهُ...**»[3] وليس أحد بعده حجة.

فالحُجَّة مهما قصدت به المعاني فلا حُجَّة إلا الأنبياء عليهم السلام ويجب على الإمام أن يكون تابعًا لقول الله تعالى وداعيًا إليه، ومُتَّبعًا لسُنّة رسوله وناقلًا لها.

أما عبارة «**يا بن طه والمحكمات**» فلا معنى لهذه العبارة. فهل الآيات المحكمات أنجبت ابنًا لها، في حين ظلت المتشابهات عقيمة؟! ولعل مؤلف الدعاء لم يقصد إلا إقامة السجع ومراعاة القافية في كلامه!

---

(١) سورة الزخرف، الآيات: ١ ـ ٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ج٧، ص٣، خطبة (٩٠) وتسمّى خطبة الأشباح.

السادس عشر: عبارة «**يابْنَ الطُّوْرِ وَالْعٰادِياتِ**».

ماذا تعني هذه العبارة أهي مدح وثناء أم هجاء وإهانة؟ وكيف للإمام أن يكون ابنًا لجبل الطور وأحجاره أو للأحصنة العادية؟!

وإذا قال أحدهم: ما المانع أن يَنْسِب الإمام المهدي نفسه إلى جبل الطور كما نَسَبَ الإمام السجَّاد؛ علي بن الحسين عليه السلام في مجلس يزيد إلى مكة حيث قال: «**أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا**»؟

نقول جاز للإمام السجاد أن يقول ذلك لأنه قضى فترة طويلة من عمره في مكة ومنى، بين بئر زمزم والصفا. كما يقول من يعيش في طهران أو القاهرة أو بغداد؛ أنا ابن طهران أو أنا ابن القاهرة، أو أنا ابن بغداد، لكن الإمام المهدي ما ترعرع في جبل الطور، ولا نشأ والده أو والدته على جبل الطور.

ثم وإن حاول البعض تأويل «**ابن الطور**» فماذا عساهم أن يصنعوا «**بابن العاديات**»، هل يعد فخرًا للمرء أن يقال له: إنه ابنٌ للحصان أو الفَرَسِ؟!

السابع عشر: عبارة «**بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا**».

أما هذا الكلام فهو في غاية القبح ومهما حاولنا أن نلتمس لمؤلف الدعاء العذر لا تجد له مهربا. فالمعاني التي يمكن أن نحمل العبارة عليها لا تخرج مما نذكرها هنا، وأحلاها مر:

١ ـ الإمام من الأشخاص الذين غابوا ولم يغيبوا عنا. أي أنه يسكن أذهاننا دومًا. وهذا لا يصح، فالمفروض ألا يكون في قلب المرء وذهنه إلا المولى تعالى، وينبغي للمرء أن يكون دائمًا في ذكر الله، ولا ينبغي أن يكون كعُبَّاد الصنم الذين دائمًا يظل غير الله في أذهانهم.

٢ ـ وأما المعنى الثاني: قسمًا بنفسي(*) إنك ممن غابوا، ولكنك لم ترحل من بيننا! وهذا كلام لا معنى له، لأنه إن لم يرحل من بين فئة فلم يغب عنهم. إلا إذا قصد الإنحراف، وهذا نوع من الكذب.

(*) القسم بغير الله لا يجوز شرعاً.

٣ ـ وأما المعنى الثالث: قسمًا بذاتي أنك ممن غابوا لكنك لم تفارقنا. أي: وجودنا ووجودك واحد، بمعنى ما يعتقده المتصوّفة من وحدة وجود الخالق والمخلوق، والصالح والطالح، والسماء والأرض. وهذا من أشنع صور الكفر وأقبح الشرك.

الثامن عشر: وعبارة «**عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيكَ وَيَخْذُلُكَ الْوَرَى**».

بكل معانيها خطأ، لأن الله تعالى لا يرضى من بكاء من يصعب عليه البكاء، ولا الإمام يعجبه ذلك، فقد قال تعالى: ﴿...يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(١).

وأما قوله: يخذلك الورى، كأن لا يبكوا عليك. فليعلم بأن الذل والعز بيد الله وليس بيد الناس، ثم ما الجدوى من بكاء الناس أو عدم بكائهم، فدين الإسلام ليس دين النياح والبكاء والعويل، إلا على مذهب النائحين والبكائين من تجار الدين.

والله تعالى لم يطلب من المسلمين البكاء والعويل، وإنما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾(٢).

وإنما قال للكفار والمنافقين أن يبكوا على نفاقهم وشقائهم: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾(٣).

الإسلام دين الشجاعة والإقدام والرجولة والثبات والاعتزاز بالمبادئ، وليس دين البكاء والعويل واللطم وشق الجيوب والضرب بالسلاسل والفؤوس، وما قام به الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء صورة صادقة لبطولية الإسلام.

التاسع عشر: وخاطب الله تعالى بقوله: «**خَلَقْتَهُ لَنَا عِصْمَةً وَمَلاذًا**».

وهذا كذب وافتراء؛ لأنهم من جهة يؤمنون بأن الله تعالى لم يخلق الأرض والسماوات والأكوان إلا من أجل الإمام كما نسجوا ذلك في حديث الكساء، وهنا يقولون شيئًا مغايرًا ويزعمون أن الإمام خُلِقَ عصمة وملاذًا لنا، في حين أن الله

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٢.

تعالى في كتابه الخالد يعارض كل ذلك، فيقول المولى تعالى خطابًا لرسوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾[(١)].

وفي آية أخرى يوضح بأنه خلق السموات والأرض للناس جميعًا، وليس لبضعة أشخاص مخصوصين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[(٢)].

وفي آية أخرى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾[(٣)].

ثم هذه العبارة التي تزعم بأن الإمام خُلِقَ للحفاظ علينا وليكون ملجأ وملاذًا لنا عبارة تخالف العقل والمنطق السليم؛ لأنه يجب علينا أن نحافظ على كرامتنا ونصون مقامنا بسعينا وعَمَلِنا لا أن نطلب من الإمام أن يعصمنا ويحمينا. ثم إن هذه العبارة تخالف ما نص عليه القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾[(٤)].

فإذن لا ملجأ ولا منجي من الله إلا إليه، فحفظ الإمام ولوذه وإجارته لنا يخالف القرآن الكريم الذي يقول: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾[(٥)].

العشرون: ومن العبارات الغريبة في هذا الدعاء قوله:

«أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّماءِ»؟!.

قرأت هذه العبارة على أحد العلماء فضحك، وقال: أظن أن الذي صنع هذا الدعاء أراد أن يستهزئ بالشيعة، أو على أقل التقادير أراد أن يمتحنهم في قبول كل ما هَبَّ ودَبَّ، دون النظر والتمعن فيه.

هل الإمام حبل ليخيط بين السماء والأرض؟! كيف له أن يتصل بين السماء

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٣) سورة الرحمٰن، الآية: ١٠.

(٤) سورة الجن، الآية: ٢٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠٧.

والأرض؟! لماذا لم يفعل الله تعالى ذلك بنفسه، ولماذا قال في كتابه شيئًا آخر يغاير هذا التصور تمامًا؟ فقد قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)﴾[(١)]!!.

التاسع والعشرون: زيارة صاحب الزمان ودعاء العهد

جاء في مفاتيح الجنان زيارة أطلق عليها زيارة صاحب الزمان ودعاء اسمه العهد على الشكل التالي:

الأمر الثاني: ما يُزار به مولانا صاحب الزمان (صلوات الله وسلامه عليه) كل يوم بعد فريضة الفجر:

«اللَّهُمَّ بَلِّغْ مَوْلانَا الْإِمامَ الْهادِيَ الْمَهْدِيَّ الْقائِمَ بِأَمْرِكَ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبائِهِ الطَّاهِرِينَ عَنْ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ فِي مَشارِقِ الْأَرْضِ وَمَغارِبِهَا... ألخ»[(٢)].

أخي القارئ، لاحظ التخبط؛ من جهة يزعمون بأن الإمام حاضر في كل مكان، ويسمع كل شيء، وينادونه «**بالسلام عليك**» ويزعمون بأنه يجيبهم، ومن جهة أخرى يقولون: يا ربي أبلغه سلامنا. أي أنه ليس بيننا ولا يسمعنا، فنطلب من الله تعالى أن يبلغه تحياتنا، أرأيتم تخبطًا وتضاربًا وتضادًا في الكلام أكثر من هذا؟!

يزيد في هذه الزيارة وفي دعاء العهد الذي يليها أن يبايع الإمام الغائب، ويقول: إذا مت وأدركني الموت ودفنت «**فَأَخْرِجْنِي مِنْ قَبْرِي**» وعليّ كفني وقد أخرجت السيف من غمده، يريد أن يقول: يمكن للمرء أن يعود إلى الدنيا مرة أخرى، في حين أن الرجوع إلى الدنيا لا يمكن، وقد أجاب الله تعالى من حلِمَ بمثل ذلك بقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾[(٣)].

ثم يقول: «**اللَّهُمَّ وَسُرَّ نَبِيكَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِرُؤْيَتِهِ**»؛ نطلب من المولى

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٢) مفاتيح الجنان، ص٥٧٠، ٥٧١.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.

تعالى أن يسعد ويسر النبي ﷺ برؤية الإمام، والله تعالى قال لنبيه في القرآن الكريم: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾[1]!!

الثلاثون: في أعمال شهر صفر

ذكر عن الإمام العسكري رواية يقول فيها بأن «**علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين** (الفرائض والنوافل اليومية)، **وزيارة الأربعين، والتَّختُّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر بـ بسم الله الرحمٰن الرحيم**».

أي: من لم يقم بهذه الأمور لا يُعدُّ مؤمنًا! فمثلًا من لم يلبس الخاتم في اليمين لا يعد مؤمنًا.

إن القرآن يعارض مثل هذه الروايات وينبذها فقد ذكر المولى تعالى في مطلع سورة الأنفال وسورة المؤمنين علامات المؤمن وليس من بينها شيء من هذه الأمور الخمسة!! . . .

يقول المولى تعالى موضحًا علامات المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[2].

كما يقول سبحانه في نفس الموضوع: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝١٥﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤﴾[4].

الواحد والثلاثون: دعاء السمات/ الناحية المُقدّسة

يسمى هذا الدعاء بدعاء البوق، وقد صرح المجلسي في البحار أن هذا الدعاء من صنع اليهود[5]!

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٢، ٣.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٤) سورة المؤمنون، الآيات: ١ ـ ٤.

(٥) بحار الأنوار، المجلسي، ج٩٠.

ولم يذكر الشيخ عباس القمي في «مفاتيح الجنان» سندًا لروايته ليدرك العلماء من كان هؤلاء الضلال الذين نسجوا هذا الدعاء!

أما رواة دعاء السمات ذكرهم المجلسي في البحار[1] كالآتي:

أولهم: أحمد بن محمد عياش؛ «يقول عنه العلّامة الحلي في رجاله «**إختل واضطرب في آخر عمره**»[2].

وقال النجاشي: «**رأيت هذا الشيخ وكان صديقًا لي ولوالدي وسمعت منه شيئًا كثيرًا ورأيت شيوخنا يضعفونه، فلم أروِ عنه وتجنبته**»[3].

وهو روى عن عبد العزيز بن أحمد، «**وكان مهملًا، مجهول الحال**»، وهو بدوره روى عن محمد بن علي بن الحسن الراشدي، وهو كذلك «**كان مهملًا مجهول الحال**».

بعبارة أخرى: روى هذا الدعاء رجل مختل العقل وضعيف عن مجهول مهمل عن مثله.

فليحكم القارئ بنفسه من أين أخذنا ديننا؟!

والدعاء يحتوي على كلمات ومفردات صعبة وركيكة، أقرّ صانعه بها خلال دعائه حيث قال: «**اللَّهُمَّ بِحَقِّ هذَا الدُّعٰاءِ، وَبِحَقِّ هذِهِ الْأَسْمٰاءِ الَّتِي لا يَعْلَمُ تَفْسِيرَها وَلا يَعْلَمُ باطِنَها غَيْرُكَ**»[4].

فقد نسج المؤلف في دعائه كلمات لم يكن يفهمها هو، ولا يقدر على فهمها غيره.

أليس لنا أن نتساءل: لِمَ يدعوا الرجل بدعاء لا يعرف معناه، أو لا يُعَدُّ ذلك لغوًا وباطلًا.

الأعجب في الأمر أن الدعاء صرح بأنه لن يفهم أحد معناه إلا الله، ثم نرى المجلسي في المجلد (٩٠) يخصص ثلاثين صفحة (من ص٩٦ إلى ص ١٢٦) في شرح هذا الدعاء!

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٩٠.
(٢) رجال الحلي، دار الذخائر، قم/ إيران، باب أحمد، ص٢٠٤، رقم (١٥).
(٣) رجال النجاشي، شركة الأعلمي/ بيروت، باب أحمد، ص٨٤، رقم(٢٠٧).
(٤) مفاتيح الجنان، ص١٠٦.

يا سلام على هذا الأمر! نسج لنا مجموعة من الخرافيين والجهلة دعاءً مشبوهًا، وها هم أعلم العلماء يحاولون شرحه وبسط غموضه وكشف أسراره وتصويب كل هراء وخرافة فيه!.

سئل السيد محمد حسن الكشميري عن دعائي السمات والناحية المُقدّسة فأجاب: (قبل خمسين عامًا كان بعض عُلماء النجف الأشرف يمنع قراءة دعاء السمات ويقول: أنه من أدعية اليهود وتسلل إلى تراث الشيّعة، ورُغم أنَّ الشيخ عباس القمّي يرويه في المفاتيح فهذا لا يعني أنه ذو سند لأن الشيخ القمّي رجل صوفي المسلك ويكتب كل ما يقع بيده ثم أنه لم يكن يريد أن يؤلف في ذلك كتابًا لولا أنَّ أحد أصدقائه أخذه منه ونشره على صورة كتاب «مفاتيح الجنان».

[وقد سئل السيد الخوئي عن «زيارة الناحية المقدسة»] وأنا كنت حاضرًا عنده فقال لا يوجد لها سند معتبر. أما المرحوم الإمام المجلسي فيرويها في البحار ومصدره هكذا: يقول خرج إلينا من الناحية المُقدّسة (ولم أعرف ما يعني بهذه الجملة ولعلّه يعني صاحب الأمر عليه السلام) في سنة ٢٥٢ ويعني آنذاك أن قبل ميلاد الحُجّة عليه السلام بثلاث سنوات ثمَّ يربط السند بالسيد المرتضى. ولكن أنا أشك في ذلك لأن السيد المرتضى لم يكن له نفَسٌ أدبي كما كان الشريف الرضي ولعلّ المجلسي في اشتباه بين السيدين، وقد ألحقها بعض الناشرين بكتاب السيد ابن طاووس مما أوهم على الناس بأنها مروية في اللهوف وأُشير هنا إلى نقطة مهمّة أنّ في هذه الزيارة وردت عباراتٌ يصعب قبولها ولا تتفق مع مبادئ الأئمّة عليهم السلام مثل هذه الجملة: **(فخرجن من الخدور ناشرات الشعور بالعويل داعيات)** ومعاذ الله أن تقوم حرائر الأئمّة بهذه السلوكيات وإنَّ هذا مستنكر من عائلة عالم من العلماء فكيف بنساء أهل البيت. وهذا تقوّل وافتراء على الإمام عليه السلام!!؟

وهذه الأدعية والزيارات تزداد يومًا بعد يوم. وفي الحال الحاضر لا يجرؤ أحد من المحققين أن يجري تمشيطًا عليها خوفًا من الإرهاب الفكري والاستبداد في المعتقدات ولا حول ولا قوّة إلّا بالله)[1].

إذًا: بعد كل ما تقدّم ألا يجدر بنا مراجعة كل هذا الكم الهائل من الأدعية

(١) نقلاً عن كتاب بين قوسين «جولة في دهاليز مظلمة» السيد محمد حسن الكشميري، دار النصر/ بيروت، سؤال رقم (٥) ص٩٥ ـ ٩٧.

والزيارات؟ ألا يستدعي منّا أن ندق ناقوس الخطر ونعلن حالة الطوارىء على كل هذه الموروثات وننزع هالة القداسة عنها حتى نُخرج منها المدسوس والموضوع والمكذوب. . . .؟؟!

ألم يقل الله تعالى: ﴿...لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾(١) وقال تعالى أيضًا: ﴿...تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾(٢)؟ فلماذا تُقْرَأُ مثل هذه الافتراءات عند مقامات الأئمة الطاهرين؟

لقد لام الله تعالى في مواضع عديدة من القرآن من ينسبون إلى الله شيئًا دون دليل ونهاهم عن هذا العمل وحرّمه فقال مثلًا: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾(٣).

لقد اختلق هؤلاء الغُلاة الذين وسوس لهم الشيطان هذه الأدعية والزيارات لطمس معالم وخط أهل البيت عليهم السلام وقد تلقفها الشِّيعة عن حسن نوايا لكنها كانت أكبر معول هدّام للتشيُّع وأوقعتنا في مهاوي الغُلوّ والخُرافة، وساهم في ذلك جُلّ العلماء، فهم لا يقومون بواجبهم تجاه عامة الناس ولم يرتقوا إلى مستوى المسؤوليَّة التي ألقاها الله على عاتقهم في هذا الصدد، ومن الجهة الأخرى فإنَّ العوام الجهلة يقبلون كلَّ ما يسمعونه من الشيوخ المعمّمين والمتلبّسين بلباس أهل العلم دون أن يتأمّلوا فيه، مع أنَّ القرآن الكريم أمر الناس بالتفكّر والتأمّل ودعاهم إلى تدبّر كتاب الله، ومن الواجب على العلماء ومن مسؤوليتهم أن يعوّدوا الناسَ على التفكير وطلب الدليل، لكن كثيرًا منهم لا يقومون بهذه المسؤولية خوفًا على جاههم ومقامهم لدى العوام ويلزمون الصمت ولا يخالفون خُرافات العوام وانحرافاتهم إلَّا قليلًا.

وشيئًا فشيئًا سرت إلى المسلمين روح عبادة الأوهام وعادت إليهم العادات الشركية وانطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم

---

(١) سورة طه، الآية: ٦١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

﴿مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾[1]، وقد قال الله العليم بعباده: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٥﴾[2]!!

قصص غريبة عجيبة؟!

إن ما يلفت الانتباه في كتاب «مفاتيح الجنان» أنه يحوي قصصًا غريبة عجيبة، تساعد على نشر الخُرافة بين الناس باسم الدين تحت عنوان (المعاجز والكرامات).

أنا هنا لن أقوم بالتعليق عليها وسأكتفي بنقلها تاركًا لكم خيار الحكم عليها.

١ ـ أعمال شهر شعبان:

«روى علي عليه السلام ما كان من أمر الجيش الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكُفَّار فوثب الكفّار عليه ليلًا وكانت ليلة ظلماء دامسة، والمسلمون نيام ولم يك فيهم يقظان، سوى زيد بن حارثة، وعبد اللّه بن رواحة، وقتادة بن نعمان، وقيس بن عاصم المنقري، وكل منهم يقظان في جانب العسكر، يصلّي الصلاة أو يتلو القرآن، وكاد المسلمون أن يهلكوا، لأنهم في الظلام لا يبصرون أعداءهم ليتَّقوهم، **وإذا بأضواء تسطع من أفواه هؤلا النفر الأربعة تضيء معسكر المسلمين، فتورثهم القوة والشجاعة**، فوضعوا السيوف على الكفار، فصاروا بين قتيل أو جريح أو أسير، فلما رجعوا قصّوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ هذه الأنوار قد كانت لما عمله إخوانكم هؤلاء من الأعمال في غرّة شعبان»[3]!!؟.

٢ ـ أعمال دكة القضاء وبيت الطست

وبيت الطست هو المكان الذي برزت فيهِ معجزة لأمير المؤمنين عليه السلام في بنت عزباء، كانت قد غاصت في ماء فيه العلق، فولجت علقة في جوفها، فنمت وكبرت ممّا امتصَّته من الدم، فعلا بذلك بطن البنت، فَحَسِبَها أُختُها حبلى، فراموا قتلها فأتوا أمير المؤمنين عليه السلام ليحكم بينهم، فأمر عليه السلام بستار، فضرب في جانب من المسجد، وجعلت البنت خلفه، وأمر بقابلة الكوفة ففحصتها، وأعلنت رأيها،

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٥.

(٣) مفاتيح الجنان، ص ١٩٨.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّها حبلى تحمل جنينًا في جوفها، فأمر عليه السلام بطست من الحمأة، فأجلست البنت عليه، فأحست العلقة بذفر الحمأة فانسَّلت من جوفها نحو الطست، وفي بعض الروايات: **أنه عليه السلام مدّ يده، فأتى بقطع من الثلج، من جبال الشام، وجعله عند الطست، فانسلت العلقة**[1]!!؟

٣ ـ آداب الزيارة:

عن أبي محمد قاسم بن علاء، عن الصفي خادم الإمام علي النقي عليه السلام قال: استأذنته في الزيارة إلى طوس، فقال لي: يكون معك خاتم فصّه عقيق أصفر، عليه: ما شاء اللّه لا قوة إلّا باللّه أستغفر اللّه وعلى الجانب الآخر. محمد وعلي، فإنّه أمانٌ من القطع، وأتم للسلامة، وأصون لدينك، قال: فخرجت وأخذت خاتمًا على الصفة التي أمرني بها، ثمَّ رجعت إليه لوداعه، فودّعته وانصرفت، فلمّا بعدت أمر بردّي، فرجعت إليه فقال يا صافي، قلت لبيّك يا سيدي، **قال ليكن معك خاتم آخر من فيروزج فإنّه يلقاك في طريقك أسد بين طوس ونيشابور، فيمنع القافلة من المسير، فتقدم إليه وأره الخاتم، وقل له مولاي يقول لكَ تنحَّ عن الطريق** ثمَّ قال: ليكن نقشه: اللّه المَلِكُ وعلى الجانب الآخر: المُلْكُ للّهِ الواحد القهار فإنّه خاتم أمير المؤمنين عليه السلام كان عليه، اللّهُ المَلِكُ فلمّا وليّ الخلافة نقش على خاتمه المُلْكُ للّهِ الواحد القهار وكان فصّه فيروزج، وهو أمان من السباع خاصة، وظفر في الحرب، **قال الخادم فخرجت في سفري ذلك، فلقيني واللّه السبع، ففعلت ما أُمرت به،** فلما رجعت حدّثته. . . الخ»[2]!!؟

٤ ـ فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام:

روى السيد عبد الكريم بن طاووس، عن محمد بن علي الشيباني، قال: «خرجت أنا وأبي وعمي حسين ليلًا متخفين إلى الغري، لزيارة أمير المؤمنين (صلوات اللّه وسلامه عليه) وكان ذلك سنة مائتين، وبضع سنين، وكنت طفلًا صغيرًا، فلما وصلنا إلى القبر الشريف، وكان يومئذ قبرًا حوله حجارة سود، ولا بناء عنده فبينا نحنُ عنده، بعضنا يقرأ، وبعضنا يصلّي، وبعضنا يزور، **إذ نحنُ بأسد مقبل**

(١) مفاتيح الجنان، ص٤٢٤.
(٢) مفاتيح الجنان، ص٣٤٤.

نحونا، فلمّا قرب منّا قدر رمح، تباعدنا عن القبر الشريف، فجاء الأسد فجعل يمرغ ذراعيه على القبر، فمضى رجل منّا فشاهده فعاد، فأعلمنا فزال الرعب عنّا فجئناه جميعًا **فشاهدناه يمرغ ذراعه على القبر، وفيه جراح** فلم يزل يمرغه ساعة، ثمَّ انزاح عن القبر، ومضى فعدنا إلى ما كنّا عليه، لإتمام الزيارة والصلاة وقراءة القرآن»[1] !!؟.

٥ ـ عن الصادق عليه السلام «إذا كانت ليلة الجمعة رفعت حيتان البحور رؤوسها ودواب البراري ثمَّ نادت بصوت طلق: ربنا لا تعذبنا بذنوب الآدميين[2]. !!؟

دور السلاطين بإبعاد الناس عن حقائق الدين

عندما كانت أوروبا مشغولة بالأبحاث والاختراعات وإعداد القوات المسلّحة وصناعة المدافع والطائرات هل كان من الجدير بسلاطين الدولة الصفوية أن يصرفوا البلاد على بناء القباب والمنارات الذهبية فوق مقامات الأئمّة عليهم السلام؟ هل كان أولئك الملوك والعلماء مطيعين للعقل والشرع أم للهوى، والهوس؟ هل مجرد قيام أولئك الملوك والعلماء بإظهارهم الحب لمقامات الأئمّة عليهم السلام وأولاد الأئمّة كافٍ لمحو ما ارتكبه أولئك الملوك من الجرائم وقتل المخالفين سياسيًا للتكفير عن أعمالهم السيئة؟

لقد شغل السلاطين الظالمون المسلمين بالخُرافات كي يبعدوهم عن حقائق دينهم ويستطيعوا الركوب على أكتافهم، كما قام وُعّاظ السلاطين والمتلبّسون بلباس أهل العلم والمحترفون للدين الذين يتخذونه حانوتًا يستأكلون به الدنيا بترويج مثل تلك الأعمال. ومن الجهة الأخرى عُطِّلَت أحكام الإسلام الحياتية والضرورية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ووحدة المسلمين والمساواة والأخوَّة والعدالة، وتمَّ ترويج أحاديث تعطي وعودًا جُزافًا مبالغًا بها على زيارة مرقد إمام وأنها تساوي مئة الف حجّة، أو ألف حجّة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يحجَّ بعد هجرته إلى المدينة سوى حجَّة واحدة، أمّا زائر مقام الإمام الفلاني فكأنه حجَّ ألف حجة! أو له أجر مائة ألف شهيد!

---

(١) مفاتيح الجنان، ص٣٧٨.

(٢) مفاتيح الجنان، ص٥٦.

لأجل تضعيف الإسلام وزعزعة أعمدة الشرع والاستهزاء بقوانين الله عزَّ وجلّ، كي يغترّ الذين يحسبون حسابًا للقيامة وعذاب الآخرة فينشغلون بهذه الأعمال التي لا طائل تحتها ويتصورون أنها ستُنجيهم من العذاب يوم الحساب، ويتجرَّؤون على المعاصي ولا يجدون حاجة إلى تعلّم حقائق الدين الإلهي وبذل الأنفس والأموال في سبيل الله بل يَقْنعون بتلك الأعمال التي لا تعدو ـ بمُعْظَمِها ـ أنها موضوعة ولا ينتج عنها سوى التخلُّف والانحطاط ويأملون مع ذلك أن ينهض الأئمّة عليهم السلام ليشفعوا لهم يوم القيامة ويدافعوا عنهم. لقد أرادوا بمثل تلك الأحاديث الموضوعة والزيارات المخترعة أن يقلِّلوا من شعائر الإسلام الحقيقية التي كان يقوم بها نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأئمتنا والمسلمون جميعًا ويجعلوا زيارة ولي أو إقامة مأتم أهم من جميع السُنن الشرعية!

روى المجلسيُّ وآخرون عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**تقول عند قبر الحسين عليه السلام ما أحببت**»[1]!! هنا يُنسب إلى الإمام إجازته للزائر أن يقول كل ما أحبَّ قوله! وبناء على هذا فجميع الزيارات التي نسجها الغُلاة ووضعوا ألفاظها المخالفة للشرع تستمد مشروعيتها من هذه الجملة التي تسمح للزائر أن يقول ما حلا له وما أحبَّ قوله ولو كان كلامه يتضمن عقائد خُرافية تضلّ الناس وتجعل الأجيال اللاحقة تظن أن زيارتهم مسندة وموثّقة، وهذا منشأ الفساد.

أيًّا كان الهدف فقد كانت تلك السياسة مفيدة لأعداء الإسلام وأثّرت أثرها حتى أصبح أهم عمل ديني في نظرنا اليوم، الذهاب إلى زيارة الأئمّة أو عقد مجالس العزاء التي لا تزيد معارف شعبنا سوى الابتعاد عن تطبيق الالتزام الديني الصحيح أكثر فأكثر..!

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٨، ص٢٨٤، نقلًا عن «كامل الزيارات» لابن قولويه.

الفصل الثالث
صحة زيارة عاشوراء

- **هل زيارة عاشوراء من العقيدة؟**
- **أقسام الزيارات ليوم عاشوراء (المحقق الشيخ حسين الراضي)**
- **سند زيارة عاشوراء**
- **رأي القدماء في صحة السند وضعفه**
- **التزوير التاريخي في زيارة عاشوراء**
- **بحث في متن زيارة عاشوراء**
  - أخلاق النبي والأئمّة عليهم السلام وثقافة السب واللعن
  - النشأة التاريخية للسب واللعن
  - زواج أم كلثوم من عمر
  - الأئمّة سمّوا أبناءَهُم بأسماء الصحابة
  - أسلوب التعامل مع الكافر
  - من حِكَمِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :
    «أحْصُدِ الشَّرَّ مِن صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِن صَدْرِكَ»
- **أين ابتداء ما يُسمّى البراءة من مخالفي أهل البيت عليهم السلام**
- **كل من يُناقش علميًا ومنطقيًا زيارة عاشوراء وغيرها يُحكم بالضلال!**
- **دور العلماء في حفظ خط أهل البيت عليهم السلام**
- **الخلاصة**

الفصل الثالث

هل زيارة عاشوراء من العقيدة؟

كثر الكلام في الآونة الأخيرة عن قضايا وأُمور أُعتبِرت هي من أصل العقيّدة أو أصل التشيُّع وأنَّ مَن لا يقول بها ولا يعمل بها يكون خارجاً عن العقيدة أو خارجًا عن التشيُّع، ومعظم هذه الأُمور، إن لم نقل كلها، لا تعدو كونها مستحبة هذا إذا ثبت استحبابها بالطرق المُعتبرة ومن هذه الأُمور (زيارة عاشوراء) التي أُعطيت لها قداسة تفوق حتى قداسة الأُمور العقدية، وكانت ـ زيارة عاشوراء ـ ولا زالت مثار جدل وموضع صب الزَّيْتِ على النار بين السُنّة والشِّيعة لاحتوائها على مقطع لعن الخلفاء أو المؤوّل بلعن الخلفاء (**اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني وابدأ به أولًا. . .**) والذي يعتقد أهل السُنّة بأن الشِّيعة يسبُّون ويلعنون الخلفاء الثلاثة ما أدى إلى العداء، والعداء المضاد بين الطائفتين نتيجة تمسُّكنا بها وقراءتها في عاشوراء الحُسين عليه السلام بل وفي كل محفل.

كما أنَّ بعض العلماء المتحمّسين لخط أهل البيت عليهم السلام اعتبرها تمثّل (روح التشيُّع) ومَن يُشكك فيها يُعَدُّ منحرفًا وضالًا فاسقًا، وقد رويت فيها القصص والكرامات والمنامات التي تحذّر تاركها أو المتهاون بها وتدعوه لقراءتها والناس تصدق كل هذا الكلام. . !

فالسؤال: هل زيارة عاشوراء من الشريعة وهل هي من الأُمور العقائديّة أو الفقهية؟

بالطبع هي ليست من العقائد لأن الأُمور العقائدية لا بُدَّ لها من أدلّة قطعية وحيث أنه لا تتوفر فيها الأدلّة القطعية، فهي ليست قضية عقائدية وليست أيضًا مسألة فقهية وإلَّا لعُوملت حسب مدارك الأحكام واختلاف مباني الفقهاء. . .

أقسام الزيارات ليوم عاشوراء

قام سماحة المحقق الشيخ حسين الراضي(*) بدراسة لزيارة عاشوراء سندًا ومتنًا وما طرأ عليها من تزوير وتحريف، حيث يقول في كتابه: «**زيارة عاشوراء في الميزان**»[1]: «في هذه الفقرة نتحدّث عن أقسام الزيارات ليوم عاشوراء حيث وقع الكلام في نص الزيارة في ذلك اليوم فبعض العلماء لم يعيّن نصًّا خاصًا لذلك اليوم كالشيخ المفيد في مزاره وغيره كثير، والبعض الآخر عيّن نصًّا خاصًّا، وبعض هذه النصوص مروي عن أحد الأئمّة عليهم السلام.

(*) هو رجل دين (شيعي) سعودي، ولد بالإحساء سنة ١٩٥١م الموافق ١٣٧٠هـ، التحق بالكتاتيب وهو لم يتجاوز عمره خمس سنوات، ثم ذهب إلى النجف الأشرف في عام ١٩٦٧م والتحق بالحوزة العلمية ضمن المدرسة الشبّرية التي أسّسها السيد علي شبّر وبعدها فتح السيد محسن الحكيم الدورة الدينية فالتحق بها لتنظيم دروسه في هذه الدورة حيث كان السيد الشهيد محمد باقر الصدر هو المشرف عليها فَدَرَسَ المقدّمات والسطوح فكان من أبرز أساتذته في هذه الدورة وغيرها: آية الله محمد صادق الصدر، آية الله السيد محمد باقر الحكيم، السيد عبد المجيد الحكيم، السيد عبد الصاحب الحكيم، الشيخ أحمد البهادلي، آية الله السيد محمود الهاشمي، الشيخ محمد تقي الجواهري، السيد محيي الدين الغريفي، الشيخ هادي عرفة، آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر، آية الله العظمى السيد الخوئي، آية الله السيد عبد الأعلى السبزواري.
ثم انتقل إلى قُمّ عام ١٩٨٠م واستكمل دراسته في البحث الخارج أيضًا عند كل من: آية الله الشيخ حسين منتظري، آية الله السيد كاظم الحائري، آية الله السيد علي الفاني، العلّامة حسن زاده آملي، آية الله الشيخ جواد آملي والسيد الكُلبيكاني.
قام بتحقيق وبتأليف عدة كتب وله تقريرات لدروس أساتذته في النجف الأشرف وقُمّ المُقدّسة، فالكتب المحققة هي: المراجعات، النص والاجتهاد، الفصول المهمّة، وجميعها للسيد عبد الحسين شرف الدين، وله تحقيق علمي لكتاب نهج البلاغة كمقارنة بين النسخ المختلفة المخطوطة، وله ملاحظات وتعليقات على الكتب التالية: جواهر الكلام والحدائق والكافي لتحقيق الأحاديث من حيث صحة السند وتعليق على معجم رجال الحديث للسيد الخوئي وأيضًا ميزان الإعتدال للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجر، ومن مؤلفاته: مشكلة الزنا، تاريخ علم الرجال، الزواج بناء المجتمع وسمو الحياة، بحث أين قبر فاطمة (مكة) أحب البقاع إلى الله، أصالة التذكية، نجوم السماء وأعلام الإحساء وهو تاريخ علماء وأدباء الإحساء، وغيره من الكتب والمؤلفات العديدة. . .

(١) نقلاً عن كتاب «زيارة عاشوراء في الميزان» ط ١ (١٤٢٩ ـ ٢٠٠٨ م) دار المحجة البيضاء/ بيروت ص٥٩، ٦١.

والحاصل أن مجموع الزيارات ليوم عاشوراء أربع زيارات:

الأولى: زيارة الإمام الحُسين عليه السلام المتداولة، والتي رواها علقمة بن محمد الحضرمي عن الإمام الباقر عليه السلام وتوجد هذه الزيارة في المصادر التالية:

١ ـ كامل الزيارات لابن قولويه

٢ ـ مصباح المتهجّد الكبير للشيخ الطوسي

٣ ـ مصباح المتهجّد الصغير للشيخ الطوسي

٤ ـ ذخيرة المعاد: للتميمي عاش في القرن الخامس الهجري

٥ ـ نقلها السيد ابن طاوس في مصباح الزائر عن مصباح المتهجّد الكبير

٦ ـ ذكرها ابن المشهدي في المزار الكبير مرسلة، ثمَّ نقلها المتأخرون عنهم. وهذه الزيارة هي المتعارفة المتداولة ـ وهي موضع البحث والنقاش كما سوف يأتي.

الثانية: زيارة عاشوراء التي رواها عبد اللّه بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام وتوجد في المصادر التالية:

١ ـ مصباح المتهجّد الكبير للشيخ الطوسي

٢ ـ الإقبال للسيد ابن طاوس بسند صحيح على مبناه

٣ ـ المزار الكبير لابن المشهدي بسند صحيح عنده

الزيارة الثالثة: ذكرها السيد ابن طاوس في الإقبال.

الزيارة الرابعة: ذكرها ابن طاوس في مصباح الزائر.

فمجموع ما ذكره السيد ابن طاوس ليوم عاشوراء أربع زيارات:

ذكر اثنتين منها في مصباح الزائر، واثنتين أخريتين في الإقبال روى بعضها عن الأئمّة عليهم السلام[1].

(١) وكذلك روى الميرزا عبد الحسين النائيني في كتابه دثار المؤمنين وشعار المتقين باللغة الفارسية أربع زيارات ليوم عاشوراء.

أربع زيارات ليوم عاشوراء:

نؤكد هنا على هذا العدد من الزيارات حتى لا يتصوّر عوام الناس أن من يناقش في سند أو نص واحدة من هذه الزيارات فهو ينفي زيارة الإمام الحُسين عليه السلام في يوم عاشوراء ويؤدي به ذلك أن يخرج من المذهب!! كما يشيعه التسقيطيون على أذهان العوام.

ويؤكد السيد ابن طاوس أن نصوص الزيارات في يوم عاشوراء أربع زيارات حيث قال في الإقبال: (وقد كنا ذكرنا في كتاب مصباح الزائر زيارتين له صلوات اللَّه عليه في يوم عاشوراء، وروينا فيها فضلًا جليلًا وثوابًا جزيلًا، وسنذكر هنا زيارتين، فيهما زيادات وفي إحداهما فضل عظيم في الروايات، ونقدّم أمامها حديثين في فضل زيارته في يوم عاشوراء)[1].

والنتيجة: أن بحثنا ينصب على الزيارة الأولى من هذه الزيارات.

زيارة عاشوراء المتداولة ـ بحث في سندها

نتحدّث في هذا الفصل عن سند زيارة عاشوراء المتداولة بشكل مفصّل وعلى كل الاحتمالات من تعدد أسانيدها، ونخلص بالقول إلى عدم صحة سندها.

هذه الزيارة المروية عن الإمام الباقر عليه السلام، والتي قيل عنها إنّها المشهورة، وهي موضع البحث، فقد روى هذه الزيارة عدد من العلماء منهم ابن قولويه مسندة والشيخ الطوسي وابن طاوس والكفعمي مرسلة والظاهر أنَّ لها سندًا واحدًا فقط وربما قيل بتعدد أسانيدها وعلى هذا ندرس تلك الأسانيد:

١ ـ ابن قولويه: روى هذه الزيارة أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمّي المتوفى ٣٦٨ هـ في كتابه كامل الزيارات ص ٣٢٥ باب ٧١ ثواب من زار الحُسين عليه السلام يوم عاشوراء حديث ٥٥٦ طبع دار السرور، تحقيق نشر الفقاهة ١٤١٨هـ بسندين:

---

(١) إقبال الأعمال، السيد ابن طاوس، ج ٣، ص ٦٣، ٦٤.

السند الأول:

حكيم بن داود بن حكيم وغيره، عن محمد بن موسى الهمداني، عن محمد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة وصالح بن عقبة جميعًا، عن علقمة بن محمد الحضرمي.

السند الثاني:

ومحمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة عن مالك الجهني عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

دراسة السند الأول

١ ـ حكيم بن داود بن حكيم. ثقة.

قال المولى حبيب اللّه الكاشاني المتوفى ١٣٤٠ هـ في شرحه لزيارة عاشوراء: مجهول لم أقف على حاله من الرجال[١] ولكن الصحيح أنه ثقة لأنه من مشايخ ابن قولويه.

٢ ـ محمد بن موسى الهمداني ـ ضعيف.

ترجمته:

قال النجاشي في رجاله تحت رقم ٩٠٤: (محمد بن موسى بن عيسى أبو جعفر الهمداني السمَّان، ضعّفه القميّون بالغلوّ، وكان ابن الوليد يقول إنَّهُ كان يضع الحديث، واللّه أعلم، له كتاب ما روي في أيام الأسبوع، وكتاب الرد على الغُلاة).

وقال ابن الغضائري: محمد بن موسى بن عيسى، السَّمان، أبو جعفر، الهمداني.

ضعيف، ويروي عن الضعفاء، ويجوز أن يخرج شاهدا. تكلّم القميّون فيه بالرد، فأكثروا[٢]، واستثنوا من كتاب «نوادر الحكمة» ما رواه[٣][٤].

---

(١) شرح زيارة عاشوراء ص ٢٧.

(٢) قوله: «فأكثروا» من خلاصة الأقوال ولم يذكر كلمة «بالرد».

(٣) نقله نصاً العلّامة في خلاصة الأقوال (ص ٢٥٥، رقم ٤٤) وعنونه في رجال ابن داود من القسم الثاني (رقم ٤٨٦) واقتصر على قوله: «قريب القصة» وقال السيد في التحرير الطاوسي (ص ٢٢٥، رقم ١٧٣): «ضعفه الغضائري».

(٤) رجال ابن الغضائري، أحمد بن الحسين الغضائري الواسطي البغدادي، ص ٩٥.

الهمداني والسمّان واحد

فمحمد بن موسى الهمداني هو نفسه محمد بن موسى بن عيسى السمَّان أبو جعفر الهمداني.

رأي الشيخ الصدوق وابن الوليد في الهمداني:

قال الشيخ الصدوق في كتابه (من لا يحضره الفقيه):

(وَأَمَّا خَبَرُ صَلاَةِ يَوْمِ غَدِيرِ خُمٍّ وَالثَّوَابُ الْمَذْكُورُ فِيهِ لِمَن صَامَهُ فَإِنَّ شَيْخَنَا مُحَمَّدَ بْنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ كَانَ لاَ يُصَحِّحُهُ وَيَقُولُ إِنَّهُ مِن طَرِيقِ مُحَمَّد بْنِ مُوسَى الْهَمْدَانِيِّ وَكَانَ كَذَّابًا غَيْرَ ثِقَةٍ وَكُلُّ مَا لَم يُصَحِّحْهُ ذَلِكَ الشَّيْخُ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَلَم يَحْكُم بِصِحَّتِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ فَهُوَ عِنْدَنَا مَتْرُوكٌ غَيْرُ صَحِيحٍ)[1].

وقال الشيخ الطوسي في كتاب الفهرست في ترجمة سعد بن عبد اللّه الأشعري تحت رقم (٣٠٦) وبعد أن عدّدَّ كتب سعد بن عبد اللّه قال: وكتاب المنتخبات نحو ألف ورقة، ثمَّ ذكر طريق الصدوق قال: قال ابن بابويه ـ يعني الصدوق ـ إلَّا كتاب المنتخبات فإني لم أروها عن محمد بن الحسن إلَّا أجزاء قرأتها عليه وأعلمت على الأحاديث التي رواها محمد بن موسى الهمداني، وقد رويت عنه كل ما في كتاب المنتخبات ممّا أعرف طريقه عن الرجال الثقاة).

فالشيخ الصدوق لم يرو من كتاب المنتخبات لسعد بن عبد اللّه الروايات التي رواها ووقع محمد بن موسى الهمداني في طريقها، اللَّهُمَ إلَّا أن يرويها غيره من الثقاة.

رأي ابن داود[2]:

قال في ترجمة ـ زيد النرسي بالنون. ق، [ست، كش] ق، م، مهمل هو وزيد

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج: ٢ ص: ٩١ باب صوم التطوع وثوابه من الأيام ذيل حديث ١٨١٧ والحديث الذي أشار إليه الصدوق ذكره مفصلاً الطوسي في تهذيب الأحكام ج: ٣ ص: ١٤٤. وفي سنده الهمداني.

(٢) ذكر ابن داود في مقدمة كتابه الرجال هذه الاختصارات لأنها تتكرر كثيراً فقال: وضمنته رموزاً تغني عن التطويل وتنوب عن الكثير بالقليل. وبينت فيها المظان التي أخذت منها واستخرجت عنها فالكشي [كش] والنجاشي [جش] وكتاب الرجال للشيخ [جخ] والفهرست [ست] والبرقي [قي] وعلي بن أحمد العقيقي [عق] وابن عقدة [قد] والفضل بن شاذان [فش] وابن عبدون [عب] والغضائري [غض] ومحمد بن بابويه [يه] وابن فضال [فض].

وبينت رجال النبي والأئمة عليهم السلام فكل من أعلمت عليه برموز واحد منهم فهو من رجاله ومن روى عن=

الزراد لهما أصلان لم يروهما محمد بن علي بن بابويه وقال في فهرسته: لم يروهما محمد بن الحسن بن الوليد وقال: هما موضوعان، وكذلك كتاب خالد بن عبد اللّه بن سدير، وضع هذه الأصول محمد بن موسى الهمداني[1].

وقال في ترجمة: خالد بن عبد اللّه بن سدير [ست] له كتاب ذكر أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه عن محمد بن الحسن بن الوليد أنه قال لا أرويه لأنه موضوع وضعه محمد بن موسى الهمداني[2].

وقال في ترجمة: زيد النرسي، وزيد الزراد [ست] لهما أصلان لم يروهما محمد بن بابويه وقال في فهرسته: هما موضوعان وكذلك كتاب خالد بن عبد اللّه بن سدير وضع الأصول محمد بن موسى الهمداني[3].

وقال في ترجمة: خالد بن عبد اللّه بن سدير.

قال: الشيخ الطوسي (ره) له كتاب ذكر أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه عن محمد بن الحسن بن الوليد أنه قال لا أرويه لأنه موضوع وضعه محمد بن موسى الهمداني، وهذا لا يدل على جرح الرجل، إلَّا أنَّ كتابه المنسوب إليه لا يعتمد عليه[4].

يعني أن وضع محمد بن موسى الهمداني الكتاب على خالد بن عبد اللّه بن سدير لا يدل على جرح خالد بل الذي يتحمّل المسؤولية هو الهمداني الوضَّاع.

رأي العلّامة الحلّي:

قال: محمد بن موسى بن عيسى أبو جعفر السمَّان الهمذاني ضعيف، يروي عن

= أكثر من واحد ذكرت الرمز بعددهم فالرسول ﷺ [ل] وعلي عليه السلام [ي] والحسن عليه السلام [ن] والحسين عليه السلام [سين] وعلي بن الحسين عليه السلام [ين] ومحمد بن علي الباقر عليه السلام [قر] وجعفر بن محمد الصادق عليه السلام [ق] وموسى بن جعفر الكاظم عليه السلام [ظم] وعلي بن موسى الرضا عليه السلام [ضا] ومحمد بن علي الجواد عليه السلام [د] وعلي بن محمد الهادي عليه السلام [دي] والحسن بن علي العسكري [كر] ومن لم يرو عن واحد منهم [لم]. وهذه لجة لم يسبقني أحد من أصحابنا رضي اللّه عنهم إلى خوض غمرها وقاعدة أنا أبو عذرها.

انظر: رجال ابن داود ص: ٣.

(١) رجال ابن داود، ص ١٦٥ رقم (٦٥٧).

(٢) رجال ابن داود، ص: ٤٥١ رقم (١٦٧).

(٣) رجال ابن داود رقم (١٩٠ و١٩١).

(٤) الخلاصة، ص ٢٢٠.

الضعفاء، وضعّفه القميّون بالغلوّ، وكان ابن الوليد يقول أنه كان يضع الحديث والله أعلم. قال ابن الغضائري إنَّهُ ضعيف يروي عن الضعفاء ويجوز أن يخرج شاهدًا، تكلّم القميّون فيه فأكثروا واستثنوا من كتاب نوادر الحكمة ما رواه[1].

العلماء يضعفّون الهمداني

ضعّفه عُلماء الرجال كما تقدّم وغيرهم كما ضعّفه الفُقهاء في الكتب الفقهية في مقام الاستدلال وأسقطوا الروايات التي رواها ولم يفتوا بها وإليك ما اطلعنا عليه:

١ ـ أبو جعفر محمد بن الحسن بن الوليد المتوفى ٣٤٣ هـ شيخ الصدوق. وصف الهمداني أنه كذاب، ووافقه الشيخ الصدوق.

٢ ـ أبو العباس أحمد بن علي بن العباس بن نوح السِّيرافي شيخ النجاشي؛ فإنه تابع محمد بن الحسن بن الوليد في القائمة التي استثناها من كتاب نوادر الحكمة ومن ضمنها الهمداني واستثنى من هذه القائمة محمد بن عيسى بن عبيد الذي لم يتابعه فيها.

٣ ـ الشيخ الصدوق المتوفى ٣٨١ هـ في كتابه (من لا يحضره الفقيه).

٤ ـ أحمد بن علي النجاشي المتوفى ٤٥٠ هـ في رجاله.

٥ ـ أحمد بن الحُسين بن عبيد الله الغضائري المتوفى حدود ٤٥٠ هـ.

٦ ـ الشيخ الطوسي المتوفى ٤٦٠ هـ في الفهرست.

٧ ـ ابن داود المتوفى بعد ٧٠٧ هـ. في رجاله.

٨ ـ العلّامة الحلّي المتوفى ٧٢٦ هـ في الخلاصة.

٩ ـ المحقق أحمد بن محمد الأردبيلي المتوفى ٩٩٣ هـ في مجمع الفائدة ج١٠ ص٤٤٠.

١٠ ـ الشيخ حسن صاحب المعالم المتوفى ١٠١١ هـ في التحرير الطاوسي في ترجمة زيد الشحام ص ٢٢٣ وص ٤٤٤.

(١) الخلاصة ص ٤٠١.

١١ ـ محمد بن علي الأردبيلي في جامع الرواة ج ٢ ص ٢٠٥.
١٢ ـ المحقق السبزواري (المتوفى ١٠٩٠ هـ) في ذخيرة العباد ج ٢ ص ٣٠٦.
١٣ ـ المحقق الخونساري (المتوفى ١٠٩٩ هـ) في مشارق الشموس ج ٢ ص ٤٥١.
١٤ ـ السيد الحكيم في المستمسك ج ١ ص ٤٢٧.
١٥ ـ المحقق الشيخ محمد تقي التستري (المتوفى ١٤٠٥ هـ) في قاموس الرجال ج ٩ ص ٦١٢ برقم ٧٣١٣ قال: (وضعفه اتفاقي، قال به ابن الوليد، وابن بابويه وابن نوح والشيخ ـ في الفهرست ـ والنجاشي وابن الغضائري).
١٦ ـ السيد الخوئي (المتوفى ١٤١٣ هـ) قال: (الذي يظهر من مجموع الكلمات أن الأساس في تضعيف الرجل هو ابن الوليد وقد تبعه على ذلك الصدوق وابن نوح وغيرهما وهذا يكفي في الحكم بضعفه)[١].

وضعّفه في كتاب الطهارة من موسوعة السيد الخوئي ج ٢ ص ١٢٧ وج٩ ص٣٢٨ وغير هؤلاء كثير.

والخلاصة: أن ضعفه ممّا لا إشكال فيه.

الهمداني من الوضّاعين

قال الشيخ الصدوق كما نقله عنه الشيخ الطوسي في الفهرست ص: ٢٠١ تحت رقمي (٢٩٩ ـ ٣٠٠) في ترجمتي: زيد النَرسي. وزيد الزَرّاد، لهما أصلان. لم يروهما محمد بن علي بن الحُسين بن بابويه وقال في فهرسته: لم يروهما محمد بن الحسن بن الوليد وكان يقول: هما موضوعان، وكذلك كتاب خالد بن عبد اللّه بن سدير وكان يقول: وضع هذه الأصول محمد بن موسى الهمداني.

وقال الطوسي في الفهرست رقم ٢٦٧ في ترجمة خالد بن أبي إسماعيل له أصل. . . . ـ إلى أن قال ـ ذكر أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمّي عن محمد بن الحسن بن الوليد أن قال: لا أرويه، موضوع، وضعه، محمد بن موسى الهمداني.

وقال الوحيد البهبهاني: في زيدَي الزراد والنرسي وخالد بن عبد اللّه: إن كتبهم من وَضْعِ هذا[٢].

---

(١) انظر معجم رجال الحديث ج ١٨ ص ٢٩٨ في ترجمته.
(٢) قاموس الرجال ج ٩ ص ٦١٥.

وقال المحقق التستري: (لا إشكال في اتحاده كما في ضعفه، إنّما الإشكال في وضعه لكتابي الزيدين. . . . ـ إلى أن قال ـ ثمَّ إن كان وضعه لكتابهما غير معلوم، فأصل وضّاعيته غير بعيد، فورد في طريق ثواب زيارة عاشوراء وفيه شرح منكر متناقض)[١].

الهمداني من الغُلاة:

رماه القميّون بالغُلوّ كما تقدّم في كلام النجاشي حيث قال (ضعفه القميّون بالغُلوّ).

وكذلك وصفه ابن الغضائري وابن داود والعلّامة الحلّي وبالرغم من أن له كتاب الرد على الغُلاة إلّا أنَّ المحقق التستري قال (وكتابه الرد على الغُلاة لا ينافي نسبة الغُلوّ إليه، فللغلوّ درجات)[٢].

٣ ـ الطيالسي

محمد بن خالد الطيالسي المتوفى ٢٥٩ هـ. مجهول الحال.

ترجمة النجاشي تحت رقم ٩١١ فقال: محمد بن خالد بن عمر الطيالسي التميمي أبو عبد اللَّه كان يسكن بالكوفة، في صحراء جرم، له كتاب نوادر ـ إلى أن قال ـ مات محمد بن خالد الطيالسي ليلة الأربعاء لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة تسع وخمسين ومائتين وهو ابن سبع وتسعين[٣].

وذكره الشيخ الطوسي في الفهرست برقم ٦٤٨ وفي رجاله في أصحاب الكاظم عليه السلام برقم ٢٦ وفي باب من لم يرو عنهم برقم ١١ وبرقم ٥٤.

وذكره العلّامة المجلسي في رجاله ص ٣٠١ برقم ١٦٤٣ ووضع عليه رمز مجهول الحال.

كما ذكره السيد الخوئي في المعجم ج ١٧ ص ٧٥ و٧٦ وج ٢٣ ص ١١٩ ولم ينقل توثيقا له.

والحاصل: أنه لم ينص أحد من عُلماء الرجال على توثيقه.

---

(١) قاموس الرجال ج ٩ ص ٦١٦.

(٢) قاموس الرجال ج ٩ ص ٦١٢.

(٣) رجال النجاشي ج ٢ ص ٢٢٩.

وطريق الشيخ الطوسي إليه ضعيف. لأن فيه أحمد بن محمد بن يحيى وهو لم يوثق.

٤ ـ سيف بن عميرة ثقة.

٥ ـ وصالح بن عقبة: مجهول الحال. كما سوف يأتي.

٦ ـ علقمة بن محمد الحضرمي: مجهول الحال.

وهو أخو أبي بكر الحضرمي ذكره العلّامة المجلسي في رجاله برقم ١١٨٩ ووضع عليه علامة أنه مجهول.

وقال حبيب اللّٰه الكاشاني لم أر من صرّحَ بتوثيقه.

وحاول البعض أن يستدل على وثاقته بما رواه الكشي: في ترجمة أبي بكر الحضرمي وعلقمة تحت رقمي (٢٨٩ و٢٩٠) (عن علي ابن محمد بن قتيبة القتيبي، قال: حدثنا الفضل بن شاذان، قال: حدثني أبي، عن محمد بن جمهور، عن بكار بن أبي بكر الحضرمي، قال: دخل أبو بكر وعلقمة على زيد بن علي، وكان علقمة أكبر من أبي، فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، وكان بلغهما أنه قال: (ليس الإمام منّا من أرخى عليه ستره، وإنما الإمام من شهر سيفه، فقال له أبو بكر وكان أجرأهما: يا أبا الحُسين أخبرني عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أكان إمامًا وهو مرخ عليه ستره، أو لم يكن إمامًا حتى خرج وشهر سيفه؟

قال: فسكت فلم يجبه، فرد عليه الكلام ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبه بشيء.

فقال له أبو بكر: إن كان علي بن أبي طالب عليه السلام، إمامًا فقد يجوز أن يكون بعده إمام مرخ عليه ستره، وإن لم يكن إمامًا وهو مرخ عليه ستره فأنت ما جاء بك هاهنا؟

قال: فطلب إلى (من أبي) علقمة أن يكف عنه فكف عنه).

ورواها عن محمد بن مسعود، قال: كتب إلي الشاذاني أبو عبد اللّٰه يذكر عن الفضل، عن أبيه مثل سواء.

وجه الاستدلال: أن دخولهما على زيد ومناقشتهما له في الإمامة دليل على وثاقتهما.

وهذا ليس فيه أي دلالة على التوثيق لا من قريب ولا من بعيد. وأما من جهة السند فهي ضعيفة فقد قال السيد الخوئي تعليقًا على هذه الرواية:

أقول: محمد بن جمهور ضعيف، وبكار مجهول، فلا اعتماد على الرواية[(١)].

فالمتحصل: أن هذا السند غير تام لأن الهمداني ضعيف والطيالسي والحضرمي مجهولان.

دراسة السند الثاني

... ومحمد بن إسماعيل والمراد به ابن بزيع: ثقة.

ومحمد بن إسماعيل معطوف على محمد بن خالد الطيالسي[(٢)] وحينئذ فيسبقه في سلسلة السند محمد بن موسى الهمداني وحكيم بن داود ابن حكيم.

وقد تقدّم الكلام فيهما حيث عرفنا ضعف محمد بن موسى الهمداني.

صالح بن عُقْبَة

وهو صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ذبيحة [رُبَيْحَة]، من أصحاب الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام مجهول، وإن وقع في أسانيد تفسير القمّي وكامل الزيارات.

ذكره الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب الباقر برقم ١٤٥٩ والصادق عليه السلام رقم ٣٠٧٠ وفي أصحاب الكاظم رقم ٥٠٣٧.

وقال ابن الغضائري: صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ذبيحة[(٣)]، مولى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم).

---

(١) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي ج ٨ ص ٣٦٢.

(٢) كما ذكر ذلك صاحب سماء المقال ج ١ ص ٥٣١ عن جده جازماً به وهو الصحيح خلافاً للحفيد الذي ادعى أنه معطوف على حكيم بن داود وأنه منقول عن كتاب لعدم الشاهد عليه.

(٣) كذا في خلاصة الأقوال وكان في «عش»: «ربيحة» بالراء، وفي هامشه عن نسخة: «يحه»، وعن أخرى: رينجه»، وفي مجمع الرجال: «رتيحه».

روى عن أبي عبد اللَّه عليه السلام. غال، كذاب، لا يلتفت إليه[1][2].

وقال العلّامة في الخلاصة ص ٢٣٠ رقم ٤ صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ذبيحة مولى رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: روى عن أبي عبد اللَّه عليه السلام: كذاب، غال، لا يُلتفت إليه.

وقال ابن داود في رجاله: (ليس حديثه بشيء، كذّاب، غالٍ كثير المناكير) انظر رجال ابن داود القسم الثاني رقم ٢٣٧ وفي فصل آخر: أنه ليس بشيء.

وقال المحقق الشيخ محمد تقي التستري: وقول ابن الغضائري (غال كذاب، لا يُلتفت إليه) يمكن تأييده بوقوعه في طريق ثواب زيارة عاشوراء، وفي شرحه أمورًا منكرة، وإن كان (محمد بن موسى) أيضًا واقع في طريقه، وهو مُتفق على ضعفه)[3].

وهنا بعض الملاحظات:

١ ـ العجب من بعض العلماء أنه لم يكترث بتضعيف ابن الغضائري والعلّامة وابن داود وحاول أن يسقط تضعيف ابن الغضائري بأمور لا تصمد أمام البحث العلمي خصوصًا على مبناه ولم يتعرض لتضعيفي العلّامة وابن داود.

٢ ـ حاول أن يوثّق صالح بن عقبة بتوثيقات عامة وأن محمد بن الحُسين بن أبي الخطاب المتوفى ٢٦٢ هـ وابن بزيع رويا عنه. أليس هذا من المفارقات العجيبة الغريبة؟

وإذا كان كذلك لماذا لا تكون جميع مشايخ الكليني والصدوق والشيخ الطوسي من الثقات؟!!

٣ ـ نِعْمَ ما قال المحقق التستري حينما شك في رواية ابن أبي الخطاب عنه فقال: هذا وقول النجاشي (روى عنه محمد بن الحُسين بن أبي الخطاب)، في غير محلّه بعد كونه طريق نفسه (محمد بن الحُسين، عن محمد بن إسماعيل، عنه) ومثله أخبار أخر[4].

---

(١) نقله العلّامة كاملاً في خلاصة الأقوال (ص ٢٣، رقم ٤) من دون نسبة. وعنونه ابن داوود في رجاله، وقال: «ليس حديثه بشيء، كذاب غال كثير المناكير». لاحظ رجال ابن داوود، القسم الثاني (رقم ٢٣٧)، وفي آخره في فصل «من قبل فيه: إنه ليس بشيء (رقم ٧)».

(٢) رجال ابن الغضائري، أحمد بن الحسين الغضائري الواسطي البغدادي، ص ٦٩ رقم (٧٠).

(٣) قاموس الرجال ج ٥ ص ٤٦٦.

(٤) قاموس الرجال ج ٥ ص ٤٦٦.

٤ ـ أن السيد الخوئي ذكر طبقة محمد بن الحُسين بن أبي الخطاب ولم يذكر له رواية واحدة عن صالح بن عقبة.

والحاصل: لم تثبت وثاقته بوجه من الوجوه، وما ذُكر لتوثيقه غير صالح له.

مالك الجهَني

وهو مالك بن أعين الجهني: مجهول الحال.

ذكره عدد من العلماء ولم يوثّقه أحد منهم.

ذكره الطوسي في رجاله في أصحاب الباقر عليه السلام برقم ١٥٨٠ فقال: مالك بن أعين الجهني.

وذكره في أصحاب الصادق عليه السلام برقم ٤٤٣٣ ـ فيَ حرف الميم برقم ٤٥٨ فقال: مالك بن أعين الجهني الكوفي مات في حياة أبي عبد اللَّه.

وهذا الشخص لم يكن أخ زرارة فإنه كوفي وهذا بصري كما نصَّ على ذلك الكشي حيث قال: في مالك بن أعين الجهني حمدويه بن نصير قال سمعت علي بن محمد بن فيروزان القمّي يقول: مالك بن أعين الجهني هو ابن أعين وليس من إخوة زرارة وهو بصري(١).

قال ابن داود: مالك بن أعين الجهني، قر، ق [كش] إن القمّي كان يقول: هو ابن أعين وليس من أخوة زرارة وهو بصري(٢).

وقال العلّامة: أن مالك بن أعين ليس من هذا الأمر في شيء.

وقال علي بن أحمد العقيقي عن أبيه عن أحمد بن الحسن عن أشياخه أنه كان مخالفًا(٣).

فهذا السند ضعيف كالسند الأول.

والخلاصة: أن سند زيارة عاشوراء هذه في كتاب (كامل الزيارات) ضعيف لا يمكن الإعتماد عليه.

---

(١) رجال الكشي ص: ٢١٦ رقم (٣٨٨).

(٢) رجال ابن داود ص: ٢٨٣ رقم (١٢٣١).

(٣) في الخلاصة ص ٢٦١.

٢ ـ سند الزيارة في مصباح المتهجّد الكبير:

قد وردت زيارة عاشوراء في مصباح المتهجّد الكبير للشيخ الطوسي المتوفى ٤٦٠ هـ وبناء على تعدد سندها نقول:

السند الأول: للشيخ الطوسي

محمد بن إسماعيل بن بَزِيع عن صالح بن عُقْبَة عن أبيه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

دراسة السند:

١ ـ محمد بن إسماعيل بن بزيع: ثقة.

٢ ـ صالح بن عُقْبَة:

وهو صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ذبيحة، من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام مجهول الحال ـ كما تقدّم ـ.

٣ ـ عقبة والد صالح:

وهو عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ذبيحة، والد صالح بن عقبة كوفي، ذكره الشيخ الطوسي في أصحاب الباقر عليه السلام وقال مثيله[١]، أي مجهول الحال لأن الذين قبله كانوا مجهولين وذكره في أصحاب الصادق عليه السلام رقم ٦٢٦.

وقال العلّامة في الخلاصة ص ٢٤٣ عقبة بالقاف ابن قيس من أصحاب الباقر عليه السلام. مجهول.

أقول: ولا ينقضي عجبي ممن أراد أن يوثّقه لأن الشيخ الطوسي ذكره في أصحاب الباقر عليه السلام وكونه من أصحاب الباقر عليه السلام يدل على أنه إمامي ولم يظفر الشيخ بشيء من الذم فيه. وذلك لما يلي:

١ ـ وهل أوضح من أن الشيخ صرّح بكونه مجهولًا كما تقدّم. ويبدو ـ ممن يريد أن يوثّقه ـ أنه لم يراجع كتاب الرجال للشيخ الطوسي.

انظر ص ١٣٢ من الطبعة الأولى رقم ٧٤. وبرقم ١٥٣٩ الطبعة المحققة.

٢ ـ هل أن كل من ذكره الشيخ في رجاله من أصحاب الأئمّة هم إماميون؟

---

(١) كما في الطبعة الأولى من رجال الطوسي وفي الطبعة المحققة لجواد القيومي برقم ١٥٣٩ فيها (مثله).

فهل شبث بن ربعي الذي قاتل الإمام الحُسين عليه السلام في يوم عاشوراء من الإمامية؟ بينما الطوسي ذكره ضمن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

وهل أنَّ عبد اللَّه بن محمد بن علي بن عبد اللَّه بن العباس: (أبا جعفر المنصور الدوانيقي) هو من الإمامية؟. بينما ذكره الطوسي ضمن أصحاب الصادق عليه السلام.

وهل زياد ابن أبيه وابنه عبيد اللَّه بن زياد من الإمامية؟. وقد عدّهما في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

ويوجد مئات الأشخاص من الغُلاة والمنحرفين عنهم قد ذكرهم الطوسي ضمن أصحاب الأئمّة عليهم السلام فلم يرد الطوسي في رجاله أن يذكر الإمامية من أصحاب الأئمّة عليهم السلام.

قال المحقق التستري حول منهجية الطوسي في رجاله: (أنه أراد في رجاله استقصاء أصحابهم ومن روى عنهم مؤمنًا كان أو منافقًا إماميًا كان أو عاميًا ـ إلى أن يقول ـ فالاستناد إليه ما لم يحرز إمامية الرجل غير جائز حتى في أصحاب غير النبي وأمير المؤمنين فكيف في أصحابهما).

السند الثاني: للشيخ الطوسي

محمد بن إسماعيل بن بزيع عن صالح بن عقبة وسيف بن عميرة عن علقمة بن محمد الحضرمي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

١ ـ محمد بن إسماعيل بن بزيع. ثقة.

٢ ـ صالح بن عقبة. مجهول كما تقدّم.

٣ ـ وسيف بن عميرة. ثقة.

٤ ـ علقمة بن محمد الحضرمي. مجهول كما تقدّم.

فالسند غير تام حتى على فرض صحة طريق الشيخ إلى ابن بزيع.

السند الثالث: للشيخ الطوسي

قال وروى محمد بن خالد الطيالسي عن سيف بن عميرة قال خرجت مع صفوان بن مهران الجمال وعندنا جماعة من أصحابنا بعد ما خرج أبو عبد اللَّه عليه السلام....

الطيالسي:

محمد بن خالد الطيالسي المتوفى ٢٥٩ هـ مجهول الحال. كما تقدّم.

فسند الطوسي في المصباح الكبير إلى هذه الزيارة وثوابها غير تام.

والنتيجة: أن سند زيارة عاشوراء سند ضعيف بأي طريق من الطرق المُتقدّمة ولا يمكن الاعتماد عليه.

السيرة العقلائية دليل على خبر الثقة:

من الأدلة التي طرحت على العمل بخبر الواحد الثقة وحجّيته هي السيرة العقلائية، بل يرى السيد الخوئي أن السيرة العقلائية هي الدليل الأقوى والسالم من الإشكالات يقول:

(فتحصل ممّا ذكرناه في المقام أن العمدة في حجّية الخبر هي السيرة، ولا يرد على الاستدلال بها شيء من الإشكال.

ولا يخفى أنَّ مقتضى السيرة حجّية الصحيحة، والحسنة، والموثقة، فإنها قائمة على العمل بهذه الأقسام الثلاثة، فإذا بلغ أمر المولى إلى عبده بنقل عادل، أو بنقل إمامي ممدوح لم يظهر فسقه ولا عدالته، أو بنقل ثقة غير إمامي، لا يكون العبد معذورًا في مخالفة أمر المولى في نظر العقلاء)[1].

السيرة العقلائية تشجب العمل بالخبر الضعيف:

بما أن السيرة العقلائية دليل على العمل بخبر الثقة هي في نفس الوقت قائمة على عدم العمل بالخبر الضعيف بل وتشجب العمل به ولو عمل شخص به فإنَّ العقلاء يلومونه ولا يقبلون منه العذر لو اعتذر خصوصًا إذا وقع خلاف الواقع يقول السيد الخوئي:

(نعم الخبر الضعيف خارج عن موضوع الحجّية، لأن العقلاء لا يعملون به يقينًا، مع أن الشك هي قيام السيرة على العمل به كاف في الحكم بعدم حجّيته.

وأما توهم: إن إطلاق آية النفر يشمل الخبر الضعيف أيضًا، حيث أن مفادها

(١) مصباح الأصول، تقرير بحث الخوئي، للبهبودي، ج ٢ ص ٢٠٠.

وجوب الحذر عند الإنذار بلا تقييد بكون المنذر عادلًا أو ثقة فمدفوع: بأن الآية الشريفة منزلة على المتعارف بين العرف والعقلاء، وهم لا يعملون بخبر الفاسق الكاذب.

هذا على تقدير كون الآية واردة في مقام جعل حجّية الخبر.

وأما على تقدير كونها كاشفة عن حجّية الخبر قبل نزولها، وأن تفريع وجوب الحذر عنه الإنذار إنّما هو من باب التطبيق كما تقدّمت الإشارة إليه حين الاستدلال بالآية فالأمر واضح، إذ ليس مفادها حينئذ جعل الحجّية ليتمسك بإطلاقها، بل مفادها كون حجّية الخبر مفروغًا عنها قبل نزول الآية بمقتضى السيرة العقلائية الممضاة من قبل الشارع، فالمتبع في توسعه موضوع الحجّية وضيقه هي السيرة وقد تقدّم أن السيرة لم تقم على العمل بخبر الضعيف)[1].

خلاصة الدراسة:

فسند زيارة عاشوراء ضعيف بلا إشكال خصوصًا على مسلك الوثاقة وبما أن خبر الضعيف غير حجّة فالنتيجة أنَّ زيارة عاشوراء هذه غير حجّة فلا يمكن الإحتجاج بها لا في الفقه ولا في العقائد.

رأي القدماء في صحة السند وضعفه

ربما يتصوّر البعض أنه لا حاجة إلى البحث في أسانيد الأحاديث وما ينقل لنا من قضايا عقائدية خصوصًا فيما إذا كانت موجودة في كتب مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم المتعارفة فلا حاجة إلى دراسة سندها ـ كما يشيعه البعض ـ ولكن هذا التصوّر خاطىء إلى أبعد حد فإنَّ من المسَالم عليه بين العقلاء قديمًا وحديثًا أن الخبر إذا كان مهمًا جدًا فلا بد من التأكد من صدق الناقل له أو كذبه وهل يؤخذ بقوله ويعتمد عليه أو أنه من الكذابين المزورين؟ وهذا ما قامت عليه سيرة العقلاء ومدرسة أهل البيت وأتباعهم من زمان الرسول الأعظم صلى اللّه عليه وآله وسلم وإلى يومنا هذا.

---

(١) مصباح الأصول، تقرير بحث الخوئي، للبهبودي ج ٢ ص ٢٠٠.

رأي الشيخ المفيد والسيد المرتضى في خبر الواحد:

يقول الشيخ المفيد: «ما روي من خبر واحد. . . ولو رواه ألف إنسان وألف ألف ما جاز أن يجعل ظاهره حجّة في دفع الضرورات وارتكاب الجهالات بدفع المشاهدات»[1].

وقد وقف الشريف المرتضى الموسوي المتوفى ٤٣٦ هـ أحد علمائنا الأعلام رافضًا بشدة العمل بأخبار الآحاد التي لا تفيد العلم مُدَّعِيًا ومتعجبًا من أولئك الأشخاص الذين يستدلّون به في أصول الدين مثل التوحيد والعدل والنبوة والإمامة، منوّهًا أنَّ أخبار الجبر والتشبيه دخلت علينا من طريق أخبار الآحاد، مُدَّعِيًا أننا لسنا بحاجة إليها مع وجود التواتر في أخبارنا. حيث قال:

«فالعلماء الذين عليهم المُعوَّل ويَدْرُون ما يَأتون وما يَذَرُون، لا يُجَوّزون [لا يجوز خ ل] أن يحتجّوا بخبر واحد لا يوجب علمًا، ولا يقدر أحد أن يحكي عنهم في كتابه ولا غيره خلاف ما ذكرناه.

فأما أصحاب الحديث فإنهم رووا ما سمعوا وحدّثوا به ونقلوا عن أسلافهم، وليس عليهم أن يكون حجّة ودليلًا في الأحكام الشرعية، أو لا يكون كذلك.

فإن كان في أصحاب الحديث من يحتج في حكم شرعي. بحديث غير مقطوع على صحته، فقد زل وزَوَّر، وما يفعل ذلك من يعرف أصول أصحابنا في نفي القياس والعمل بأخبار الآحاد حق معرفتها، بل لا يقع مثل ذلك من عاقل وربما كان غير مكلف.

ألا ترى أنَّ هؤلاء بأعيانهم قد يحتجون في أصول الدين من التوحيد والعدل والنبوة والإمامة بأخبار الآحاد، ومعلوم عند كل عاقل أنها ليست بحجّة في ذلك.

وربما ذهب بعضهم إلى الجبر وإلى التشبيه، اغترارًا بأخبار الآحاد المروية، ومن أشرنا إليه بهذه الغفلة يحتج بالخبر الذي ما رواه ولا حدث به ولا سمعه من ناقله فيعرف بعدالة أو غيرها، حتى لو قيل له في بعض الأحكام: من أين أثبته وذهبت إليه؟

---

(١) الشيخ المفيد، الفصول المختارة، ص٢٤٩.

كان جوابه: لأني وجدته في الكتاب الفلاني، ومنسوبًا إلى رواية فلان بن فلان.

ومعلوم عند كل من نَفَى العلم بأخبار الآحاد ومن أثبتها وعمل بها، أن هذا ليس بشيء يُعتمد ولا طريق يُقصد، وإنما هو غرور وزور.

فأمَّا الرواية بأن يعمل بالحديثين المتعارضين بأبعدهما من مذهب العامة، فهذا لعمري دوري فإذا كُنَّا لم نعمل بأخبار الآحاد في الفروع، كيف نعمل بها في الأصول؟ التي لا خلاف بيننا في أن طريقها العلم والقطع»[1].

هكذا كان موقف السيد المرتضى من أخبار الآحاد في الفروع والأصول وأيّده في رأيه ابن إدريس الحلّي المتوفى ٥٩٨ هـ.

رأي الشيخ الطوسي في خبر الثقة:

ولكن جاء بعد السيد المرتضى تلميذه الشيخ الطوسي المتوفى ٤٦٠ هـ، مدافعًا عن حجّية خبر الواحد الثقة ضمن شروط معينة مُدَّعِيًا إجماع الطائفة عليه فقال: «إجماع الفرقة المحقّة، فإني وجدتها مجمعة على العمل بهذه الأخبار التي رووها في تصانيفهم ودونوها في أصولهم، لا يتناكرون ذلك ولا يتدافعون حتى أنَّ واحدًا منهم إذا أفتى بشيء لا يعرفونه، سألوه من أين قلت هذا؟

فإذا أحالهم على كتاب معروف، أو أصل مشهور، **وكان رواية ثقة لا ينكر حديثه**، سكتوا وسلموا الأمر في ذلك وقبلوا قوله، وهذه عادتهم وسجيتهم من عهد النبي ﷺ ومن بعده من الأئمّة ومن زمن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام الذي انتشر العلم عنه وكثرت الرواية من جهته، فلولا أن العمل بهذه الأخبار كان جائزًا لما أجمعوا على ذلك ولأنكروه، لأن إجماعهم فيه معصوم لا يجوز عليه الغلط والسهو»[2].

ومع هذا فلم تكن مدرسة الشيخ الطوسي آخذة بأخبار الآحاد مطلقًا حتى وإن كان ضعيفًا بل اشترطت الوثاقة كما في نصّه المتقدّم.

---

(١) رسائل المرتضى، الشريف المرتضى، ج ١ ص ٢١١، ٢١٢.

(٢) عدة الأصول (ط. ج)، الطوسي، ج ١، ص ١٢٦.

وحصل الصراع العلمي بين المدرستين حتى تغلّبت مدرسة الشيخ الطوسي على مدرسة السيد المرتضى إلى يومنا هذا ما عدا ابن إدريس ـ كما أشرنا له ـ هكذا كانت الصورة باختصار بين المدرستين قديمًا.

موقف الطوسي من الأخبار الضعيفة:

أما الأخبار الضعيفة فغير معوّل عليها في الأحكام الشرعية. وأمّا في أصول الدين فإجماع الشِّيعة الإمامية قائم على عدم العمل فيه بخبر الواحد مطلقًا كما تقدّم في كلام السيد المرتضى. والشيخ الطوسي وإن روى الروايات الضعيفة في كتبه الروائية لكنّه لم يعمل بها في كتبه الاستنباطية وضعَّف جملة منها ورد بعضها حتى في كتبه الروائية كما في التهذيب والاستبصار وهو يعلن رأيه بكل صراحة في كتابه (العدة) حيث يقول:

«إنا وجدنا الطائفة ميّزت الرجال الناقلة لهذه الأخبار، ووثّقت الثقات منهم، وضعّفت الضعفاء، وفرّقوا بين من يعتمد على حديثه وروايته، ومن لا يعتمد على خبره، ومدحوا الممدوح منهم، وذمّوا المذموم، وقالوا فلان متهم في حديثه، وفلان كذّاب، وفلان مخلط، وفلان مخالف في المذهب والاعتقاد، وفلان واقفي، وفلان فطحي، وغير ذلك من الطعون التي ذكروها وصنّفوا في ذلك الكتب، واستثنوا الرجال من جملة ما رووه من التصانيف في فهارسهم، حتى أنَّ واحدًا منهم إذا أنكر حديثًا نظر في إسناده وضعفه بروايته، هذه عادتهم على قديم الوقت وحديثه لا تنخرم، فلولا أنَّ العمل بما يسلم من الطعن ويرويه من هو موثوق به جائز، لما كان بينه وبين غيره فرق، وكان يكون خبره مطروحًا مثل خبر غيره، فلا يكون فائدة لشروعهم فيما شرعوا فيه من التضعيف والتوثيق وترجيح الأخبار بعضها على بعض، وفي ثبوت ذلك دليل على صحة ما اخترنا»[1].

هذه مدرسة الشيخ الطوسي التي تربّعت على مسارح الحياة العلمية لأكثر من ٩٥٠ سنة وهي تشجب العمل بخبر الواحد الضعيف مطلقًا في الأصول والفروع.

---

(١) عدة الأصول (ط ج)، الطوسي، ج ١ ص ٣٦٦، ٣٦٧، تحقيق محمد مهدي نجف.

الصورة الجديدة:

أما اليوم فتوجد صورة جديدة أخرى عند البعض، تنادي بحجّية الأخبار الضعيفة وجعلها مصدرًا من مصادر التشّريع للشّيعة إلى جنب المصادر الأخرى ليس في الأحكام الفقهية فحسب[1] بل قد لا نكون مبالغين إذا قلنا أن الأمر وصل في الاعتماد عليها حتى في أصول الدين[2].

وكم هو فارق كبير بين هذا الرأي المتساهل في الاعتماد على مطلق الأخبار وبين رأي السيد المرتضى الرافض للخبر الواحد ما لم يفيد العلم. أمَّا بقية الموارد التي تقل فيها الروايات الصحيحة مثل التاريخ والسِّيَر والأخلاق والمواعظ والأدعية والزيارات والفضائل والشعائر الحُسينية فكثيرًا ما تكون الروايات الضعيفة هي المصدر الوحيد للمطلب وتتحوّل إلى دليل شرعي وحيد كالقرآن الكريم لا يمكن مناقشته فضلًا عن رده، ومن تصدّى لذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه وعليه أن يتوقع كل شيء حتى وإن كان من أكبر المراجع وأعلمهم.

هذا الاتجاه قد لا يكون هو السائد في الحوزات العلمية ولكن خلفه مجموعات متعدّدة متنوعة لها تأثيرها العلمي والإعلامي والاجتماعي وتوحي للآخرين أنَّ هذا هو مذهب أهل البيت ومدرستهم ومن يخالف ذلك فهو خارج عن العلم والتقوى والورع بل خارج عن المذهب والدين.

وهذا الفريق يعمل على هذا الاتجاه ويجب أن تكون هذه الفكرة هي الفكرة السائدة حتى يتمكن أن يمرر الكثير من العقائد المرفوضة قديمًا وحديثًا والتي تعتمد على الروايات الضعيفة. هذا الاتجاه الذي رفضه الشيخ الطوسي ومن باب أولى رفضه من قبله الشيخ المفيد والسيد المرتضى بل الطائفة الشِّيعيّة الإمامية كلها كما هو نص كلام الطوسي المتقدّم «**إنّا وجدنا الطائفة مَيَّزتِ الرِّجالَ الناقلة لهذه الأخبار، ووثّقت الثقات منهم، وضعّفت الضعفاء، وفرقوا بين من يعتمد على**

---

(١) إن من يراجع الاستدلال على الأحكام يجد الشيء الكثير وبالأخص في الأمور المستحبة.

(٢) كما في الاعتماد في جانب العقائد على كتب بلا سند كما في كتاب الاحتجاج والمختلف في مؤلفه من هو؟ . .

حديثه وروايته، ومن لا يعتمد على خبره، ومدحوا الممدوح منهم، وذموا المذموم، وقالوا فلان مُتَّهم في حديثه، وفلان كذاب، وفلان مخلط» وهكذا استمر الحال في دراسة السند للروايات سواء لصحة صدورها أو عدم صحّتها إلى يومنا هذا سواء أكان في الفقه وأصوله أو العقيدة أو علم الدراية والرجال أو التاريخ أو غيرها(*).

ونخلص إلى أنَّ موقف أكثر العلماء قديمًا وحديثًا من أسانيد الروايات وحول خبر الواحد الثقة والضعيف هو رفض الحديث الضعيف، وحيث أنَّ زيارة عاشوراء سندها ضعيف حسبما تقدّم إذًا فهي مردودةٌ ولا تستعمل في استنباط الحكم بحسب القواعد العلمية.

وحتى المسألة الفقهية الخلافية لا يُتحمّس لها بهذا المقدار، فالأمر لا يتعدى أنّها رواية كبقية الروايات الضعيفة التي تتحدّث عن زيارة أو عمل في المستحبّات...!! وقد اعترف كثر ممن تعرّضوا لسندها منهم المولى حبيب اللّه الشريف الكاشاني المتوفى ١٣٤٠ هـ في شرحه لهذه الزيارة بضعف سندها حيث قال: «**وبالجملة سند هذه الزيارة ضعيف**»[1]. وإن حاول أن يثبتها بانجبارها بالشهرة وقاعدة التسامح في أدلة السُنن وهما غير تامتين.

وأخيرًا نسأل عدة أسئلة:

إذا كان في السند الكليني وابن قولويه والصدوق والمفيد، فلماذا لم يروها الكليني في الكافي مع أنه ذكر بعض الزيارات للإمام الحُسين عليه السلام؟!

ولماذا لم يروها الصدوق في كتبه؟ مع أنه ذكر في (من لا يحضره الفقيه) أصح الزيارات للإمام الحُسين عليه السلام عنده؟!

ولماذا لم يروها الشيخ المفيد في أحد من كتبه ومنها المزار؟!

ولماذا هذا الحشد الإعلامي والتعصّب الأعمى فيها؟

(*) نقلًا عن كتاب «زيارة عاشوراء في الميزان» سماحة المحقق الشيخ حسين الراضي ط١ (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) ص٣٩ - ٤٥.

(١) شرح زيارة عاشوراء ص ٢٨.

الجواب واضح: لأنَّ البعض يعوم على إثارة النعرات المذهبية والفتنة بين (السُنّة والشِّيعة) وكسب عواطف الموالين باستفزاز أحاسيسهم ومشاعرهم الجيّاشة بحب أهل البيت عليهم السلام.

التزوير التاريخي في زيارة عاشوراء

من الأمثلة التي دخل فيها الدس والتزوير والزيادة والتحريف زيارة عاشوراء، والمراد بها الزيارة المتداولة بين عموم الناس المحتوية على الفصل الثالث من الزيارة «**ٱللَّهُمَّ خُصَّ أَنْتَ أَوَّلَ ظَالِمٍ بِٱللَّعْنِ مِنِّي وَأَبْدَأْ بِهِ أَوَّلًا ثُمَّ ٱلْعَنْ ٱلثَّانِيَ وَٱلثَّالِثَ وَٱلرَّابِعَ**» فالمصادر الموجودة فيما بين أيدينا من مصباح الطوسي الكبير المطبوع المنتشر والكتب التي أخذت عنه مثل (مفاتيح الجنان) وبقية كتب الأدعية المنتشرة التي نقلت هذه الزيارة عن المصباح فتشتمل على عبارة اللعن الواردة ومهما أُوِّلَت فإنَّ الواضع لها أراد منها الخلفاء الثلاثة بل والخليفة الرابع أيضًا وهو لا يؤمن بالجميع وقد لا يكون مسلمًا نهائيًا.

لقد ظهرت هذه الزيارة المتداولة في بداية القرن الرابع الهجري فأول من روى هذه الزيارة فيما بأيدينا هو: أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمّي المتوفى ٣٦٨ هـ في كتابه (كامل الزيارات) ص ٣٢٥ باب ٧١ ـ ثواب من زار الحُسين عليه السلام يوم عاشوراء حديث ٥٥٦ طبع دار السرور تحقيق نشر الفقاهة ١٤١٨ هـ. وكذلك حققه العلّامة الشيخ عبد الحُسَيْن الأميني (صاحب الغدير) على عدة نسخ خطية.

والمؤلف من الثقات الأثبات المعتمدين وكذلك كتابه المذكور من الكتب المعتمدة عند الشِّيعة الإمامية بشكل عام ـ وإن كان يحتوي على روايات ضعيفة ليست قليلة ـ ومع هذا فلا يوجد في زيارة عاشوراء التي رواها المقطع المزّور في الزيارة. (**انظر الصورة نقلًا عن المصدر الأصلي**).

عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي ٱلدُّنْيا وَٱلآخِرَةِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي ٱلْمَقامَ ٱلْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ ٱللّٰهِ وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثارِي مَعَ إِمامٍ مَهْدِيٍّ ناطِقٍ لَكُمْ.

وَأَسْأَلُ ٱللّٰهَ بِحَقِّكُمْ وَبِٱلشَّأْنِ ٱلَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصابِي بِكُمْ أَفْضَلَ ما أَعْطى مُصاباً بِمُصِيبَتِهِ، أَقولُ إِنّا لِلّٰهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، يا لَها مِنْ مُصِيبَةٍ ما أَعْظَمَها وَأَعْظَمَ رَزِيَّتَها فِي ٱلْإِسْلامِ وَفِي جَمِيعِ ٱلسَّماواتِ وَٱلْأَرَضِينَ.

ٱللّٰهُمَّ ٱجْعَلْنِي فِي مَقامِي هٰذا مِمَّنْ تَنالُهُ مِنْكَ صَلَواتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ ٱللّٰهُمَّ ٱجْعَلْ مَحْيايَ مَحْيا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمَماتِي مَماتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

ٱللّٰهُمَّ إِنَّ هٰذا يَوْمٌ تَنَزَّلَتْ فِيهِ ٱللَّعْنَةُ عَلَى آلِ زِيادٍ وَآلِ أُمَيَّةَ وَٱبْنِ آكِلَةِ ٱلْأَكْبادِ ٱللَّعِينِ ٱبْنِ ٱللَّعِينِ عَلَى لِسانِ نَبِيِّكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ نَبِيُّكَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ٱللّٰهُمَّ ٱلْعَنْ أَبا سُفْيانَ وَمُعاوِيَةَ وَعَلى يَزِيدَ بْنِ مُعاوِيَةَ ٱللَّعْنَةُ أَبَدَ ٱلآبِدِينَ ٱللّٰهُمَّ فَضاعِفْ عَلَيْهِمُ ٱللَّعْنَةَ أَبَداً لِقَتْلِهِمُ ٱلْحُسَيْنَ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ.

ٱللّٰهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ فِي هٰذا ٱلْيَوْمِ وَفِي مَوْقِفِي هٰذا وَأَيّامِ حَياتِي بِٱلْبَراءَةِ مِنْهُمْ وَٱللَّعْنَةِ عَلَيْهِمْ وَبِٱلْمُوالاةِ لِنَبِيِّكَ وَأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

ثم تقول مائة مرة: ٱللّٰهُمَّ ٱلْعَنْ أَوَّلَ ظالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَآخِرَ تابِعٍ لَهُ عَلى ذٰلِكَ ٱللّٰهُمَّ ٱلْعَنِ ٱلْعِصابَةَ ٱلَّتِي جاهَدَتِ ٱلْحُسَيْنَ

وَشايَعَتْ وَبايَعَتْ أَعْداءَهُ عَلى قَتْلِهِ وَقَتْلِ أَنْصارِهِ اَللّهُمَّ اَلْعَنْهُمْ جَمِيعاً.

ثم تقول مائة مرة: اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا أَبا عَبْدِ اللّهِ وَعَلى الْأَرْواحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنائِكَ وَأَناخَتْ بِرَحْلِكَ عَلَيْكُمْ مِنِّي سَلامُ اللّهِ أَبَداً ما بَقِيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَلا جَعَلَهُ اللّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيارَتِكُمْ السَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ وَعَلى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَعَلى أَصْحابِ الْحُسَيْنِ صَلَواتُ اللّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

ثم تقول مرة واحدة: اللَّهُمَّ خُصَّ أَنْتَ أَوَّلَ ظالِمٍ ظَلَمَ آلَ نَبِيِّكَ بِاللَّعْنِ، ثُمَّ الْعَنْ أَعْداءَ آلِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، اللّهُمَّ الْعَنْ يَزِيدَ وَاباهُ وَالْعَنْ عُبَيْدَ اللّهِ بْنَ زِيادٍ وَآلَ مَرْوانَ وَبَنِي أُمَيَّةَ قاطِبَةً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ.

ثم تسجد سجدة تقول فيها: اللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدَ الشّاكِرِينَ عَلى مُصابِهِمْ الْحَمْدُ لِلّهِ عَلى عَظِيمِ رَزِيَّتِي فِيهِمْ اللّهُمَّ ارْزُقْنِي شَفاعَةَ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْوُرُودِ وَثَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ.

قال علقمة: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: إن استطعت أن تزوره في كل يوم بهذه الزيارة من دهرك فافعل، فلك ثواب جميع ذلك إن شاء الله تعالى.

الباب الثاني والسبعون

ثواب زيارة الحسين عليه السلام في النصف من شعبان

(٥٥٧) ١ - حدثني أبي وعلي بن الحسين ومحمد بن يعقوب رحمهم الله جميعاً، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن هارون ابن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

إذًا وكما تبيّن لكم أنَّ مقطع (**اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني وابدأ به أولًا ثمَّ العن الثاني والثالث والرابع...**) غير موجود..!!

لقد لعبت الأيدي الأثيمة في هذه الزيارة لعبا أخرجتها عن بقية الزيارات المروية عن أهل البيت عليهم السلام المعروف كلامهم ببلاغته وفصاحته، وقد زادَ فيها هؤلاء ما لم يكن فيها.

بحث في متن زيارة عاشوراء

أما موضوع متن الزيارة ألا وهو اللعن ارتأيت أن أناقشه من عدة جوانب وهي:

أولًا: أخلاق النبي والأئمّة وثقافة السَّبّ واللعن.

ثانيًا: النشأة التاريخية للسبّ واللعن.

ثالثًا: زواج أم كلثوم من عُمَر.

رابعًا: الأئمّة سموا أبناءهم بأسماء الصحابة.

خامسًا: أسلوب التعامل مع الكافر.

سادسًا: من حِكَم أمير المؤمنين:

«أحصُدِ الشَّرَّ من صدرِ غيركَ بقلعه من صدرك».

سابعًا: أين ابتداء ما يسمى البراءة من مخالفي أهل البيت عليهم السلام؟

أولًا: أخلاق النبي والأئمّة عليهم السلام وثقافة السَّبّ واللعن

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾[1].

(ذكر عُلماء الأخلاق جملة من الألفاظ من آفات اللسان، منها[*]:

١ ـ الفُحش

وهو في الأصل الزيادة والكثرة ثمَّ غلب في التعدّي في القول والجواب والمراد

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(*) نقلاًعن دراسة للشيخ المحقق حسين الراضي (بالتصرف).

التصريح بالذمايم التي يُسْتَحَي منها ويجري أكثر ذلك في ألفاظ الوقاع وما يتعلّق به فإنَّ للسفهاء عبارات قبيحة صريحة يستعملونها فيه، وأهل الحياء والصلاح يستهجنونها ويكنون عن معانيها بعبارات أخر كما كنى اللّه عن مباضعة النساء بملامستهن[1].

وورد عن علي بن الحُسين ومحمد بن علي عليهما السلام أنهما ذكروا وصية علي عليه السلام وفيها: ولا تتكلموا بالفحش فإنه لا يليق بنا ولا بشيعتنا وإن الفاحش لا يكون صديقا... الخبرَ[2].

وسبب الفحش إما قصد الإيذاء أو الاعتياد الحاصل من مخالطة الأرذال[3].

٢ ـ السَّبّ

وهو الشتم كقولك يا شارب الخمر، يا آكل الرّبا، يا ملعون، يا خائن، يا فاجر، يا فاسق، يا حمار، يا كلب، يا ابن الكلب ونحو ذلك أو يا أعور، يا أعمى، يا أجذم، يا أبرص، ونحوها ويشمل القذف أيضًا مثل يا ابن الزانية، يا ابن الحرام، ومثل ذلك.

والسَّبّ: من عادة الأراذل أو السفهاء وهو كالفحش وأفحش.

٣ ـ اللَعَن

وهو فرد من أفراد السب كما ذكره عُلماء الأخلاق[4] واللغة، وهو آفة من آفات اللسان[5].

فاللعن في اللغة فُسّر بأنه فرد من أفراد السب، وعلماء اللغة فرّقوا بين اللعن الصادر من اللّه وقالوا هو الطرد والإبعاد عن رحمته، واللعن الصادر من الناس وقالوا: هو السَّبّ، وقد يستعمل بمعنى الدُّعاء، قال ابن الأثير في النهاية:

وأصل اللَّعْن: **الطَّردُ والإبعاد من اللّه، ومن الخلق السَّبّ والدّعاء.**

---

(١) التحفة السنية (مخطوط) السيد عبد اللّه الجزائري، ص ٣٢٢.
(٢) مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ٨٢، ح ١٣٥٧٥.
(٣) التحفة السنية (مخطوط) السيد عبد اللّه الجزائري، ص ٣٢٢.
(٤) التحفة السنية، المصدر نفسه.
(٥) المحجة البيضاء.

وقال ابن منظور في لسان العرب:

اللَّعْنَ: **الإبْعادُ والطرد من الخير، وقيل: الطَّرْدُ والإبعادُ من اللَّه، ومن الخَلْق السَّبُّ والدُّعاء**[1].

اللعن أصله: الطَّردُ والإبعاد، فإذا قيل لعن اللَّه فالمعنى الإبعاد عن الخير والرحمة وورد عن نبيّنا محمد ﷺ قال: «**إن اللَّه يبغض من عباده: اللعّان، السبّاب، الطعّان، الفاحش، المستخف، السائل المُلحف، ويحب من عباده، الحييَّ، الكريمَ، السَّخيَّ**»[2].

وقد يقول قائلٌ إنَّ معنى «**لَعَنَ**» قد تغيّر أو تبدّل عبر الزمن ولم يعد يعني «**السَّبّ**»؟

جوابًا نقول: لمعرفة ذلك علينا مراجعة معاجم اللغة العربية المُعَاصِرة ومن ذلك «**المُنْجِد في اللغة العربية المُعاصرة**» وهو كتاب لمجموعة من ذوي الاختصاص في هذا المجال حيث جاء فيه:

«**لَعَنَ: = لَعْنًا: دعا على فلان، أخْزاه وسَبَّه وأَبْعَدَهُ من الخير**»[3].

إذًا فالمعنى لم يتغير ولا زال كما هوَ، بل إنَّ اللعن أصبح في زماننا أشدَّ وطأةً من السَّبّ!!

وعودًا على سَّبّ اللَّه:

تحدثت الآية: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٠٨﴾[4].

أن حقائق الدين قائم على المنطق السليم والعقل النيّر والدليل والبرهان ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۝١٠٤﴾[5].

---

(١) لسان العرب، مادة لعن، دار صادر، ط٤ (٢٠٠٥م) طبعة جديدة محققة، ج٨، ص٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) مستدرك الوسائل، حسين النّوري، ج ٩، ص ١٣٩.

(٣) دار الشرق/ بيروت، ط١ (٢٠٠٠م) ص١٢٨٨، مادة لعن.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤.

فالدين ليس بحاجة إلى أسلوب السَّبّ والشتم لإقناع الطرف الآخر أو التشفّي منه، بل أكثر من ذلك أن هذا الأسلوب سوف يعرّض المقدسات إلى الإهانة فعندما تسبّون آلهة المشركين ورموزهم فسوف يسبّون اللّه سبحانه وتعالى ويسبون رسول اللّه ويسبون أولياءكم، والسبب المباشر هو سبكم لآلهتهم ورموزهم.

يقول السيد الطباطبائي: «الآية تذكر أدبا دينيًا تصان به كرامة مقدّسات المجتمع الديني وتتوّقى ساحتها أن يتلوّث بدرن الإهانه والإزراء بشنيع القول والسَّبّ والشتم والسخرية ونحوها فإنَّ الإنسان مغروز على الدفاع عن كرامة ما يقدّسه، والمقابلة في التعدّي على من يحسبه متعدّيًا إلى نفسه، وربما حمله الغضب على الهجر والسَّبّ لما له عنده أعلى منزلة العزة والكرامة فلو سبّ المؤمنون آلهة المشركين حملتهم عصبية الجاهلية أن يعارضوا المؤمنين بسبّ ما له عندهم كرامة الألوهية وهو اللّه عزَّ اسمه ففي سبّ آلهتهم نوع تسبيب إلى ذكره تعالى بما لا يليق بساحة قدسه وكبريائه.

وعموم التعليل المفهوم من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[1] يفيد عموم النهي لكل قول سيئ يؤدي إلى ذكر شيء من المقدسات الدينية بالسوء بأي وجه أدّى[2].

فالسيد الطباطبائي يستفيد من عموم التعليل في الآية عموم النهي لكل ما يؤدي إلى استفزاز الطرف الآخر والتعدّي على مقدّساته مثل السَّبّ والشتم واللعن والسخرية وما شابهه فإنه في المقابل سوف يسبّ المولى سبحانه وتعالى.

سبب نزول الآية:

علينا أن نستفيد من سبب نزول الآية المباركة في ذلك الوقت ومقارنتها بوضعنا الراهن، تقول بعض الروايات التفسيّرية أنَّ سبّ آلهة المشركين سوف يؤدي إلى سبّ اللّه سبحانه وهو على حد الشرك حتى وإن لم تكن قاصدًا للشرك، فإن منه ما هو ظاهر ومنه ما هو خفي ومن طريق غير مباشر بل أنت المسبب له.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث/ بيروت (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م) ط١، ج ٧، ص ٢٦٧.

روى علي بن إبراهيم قال: حدثني أبي، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، قال: «إنَّهُ سئل عن قول النبي عليه السلام: (إن الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة[1] سوداء في ليلة ظلماء).

فقال: كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون اللّه، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون، فنهى اللّه المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكي لا يسبّ الكُفَّار إله المؤمنين، فيكون المؤمنون قد أشركوا باللّه تعالى من حيث لا يعلمون، فقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2]»[3].

الروايات تمنع من اللعن والسَّبّ:

وردت روايات كثيرة في المنع من اللعن والسَّبّ والتنديد بهما مطلقًا وفي أي حال من الأحوال خصوصًا إذا كانتا تؤدّيان إلى نتائج عكسية وخيمة مثل سبّ اللّه أو سبّ الرسول صلى الله عليه وآله أو سبّ أحد الأئمّة عليهم السلام أو هتك أحد المقدّسات أو سفك دم حرام أو هتك عرض أو سلب مال أو تغلّب ظالم على المؤمنين والمسلمين، من هذه:

١ ـ **في الصحيح عن أبي حمزة عن أبي جعفر [الباقر]** عليه السلام قال: خطب رسول اللّه صلى الله عليه وآله الناس فقال: ألا أخبركم بشراركم؟

قالوا بلى يا رسول اللّه.

قال: الذي يمنع رفده ويضرب عبده ويتزوّد وحده فظنوا أن اللّه لم يخلق خلقًا هو شر من هذا.

ثم قال: ألا أخبركم بمن هو شرٌّ من ذلِكَ؟

قالوا بلى يا رسول اللّه.

قال: الذي لا يرجى خيره ولا يؤمن شره فظنّوا أنَّ اللّه لم يخلق خلقًا هو شر من هذا.

ثمَّ قال: ألا أخبركم بمن هو شرٌ من ذلك؟

---

(١) المعنى: الصخرة الملساء.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٣) وسائل الشِّيعة، ج١٢، ص٢٩٧، ح ٣٦١٧.

قالوا بلى يا رسول اللّه.

قال: المتفحّش اللّعّان الذي إذا ذكر عنده المؤمنون لعنهم وإذا ذكروه لعنوهُ[1].

٢ ـ وعن المعلّى، عن أحمد بن غسّان، عن سماعة قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي مبتدئًا: يا سماعة ما هذا الّذي كان بينك وبين جمّالك؟! إيّاك أن تكون فحّاشًا أو صخّابًا[2] أو لعّانًا، فقلت: والله لقد كان ذلك إنّه ظلمني، فقال: إن كان ظلمك لقد أربيت[3] عليه إن هذا ليس من فعالي ولا آمر به شيعتي، استغفر ربّك ولاتعد، قلت: أستغفر الله، ولا أعود»[4].

٣ ـ ما جاء في الصحيح عن أبي بصير عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام قال: «إن رجلًا من تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أوصني فكان فيما أوصاه أن قال لا تسبّوا الناس فتكسبوا العداوة لهم»[5].

٤ ـ عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفّلي، عن السكونّي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة»[6].

٥ ـ وأنه نهى صلى الله عليه وآله وسلم أن يُسب قتلى بدر من المشركين وقال: «لا تسبّوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء ممّا تقولون وتؤذون الأحياء ألا إن البذاء لوم»[7].

٦ ـ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوّب، عن عبد الله بن بكير، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه»[8].

---

(١) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الكفر وأركانه، ج٢، ص٢٩٠، ح٧.

(٢) الصخاب بالصاد والسين: الشديد الصوت.

(٣) أربيت: إذا أخذت أكثر مما أعطيت.

(٤) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب البذاء، ج٢، ص٣٢٦، ح١٤.

(٥) وسائل الشّيعة، ج١٢، ص٢٩٧، ح١٦٣٤٨.

(٦) أصول الكافي، ج ٢، ص ٣٥٩، ح ١.

(٧) ذكره العيني في عمدة القاري، ج ٨.

(٨) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب السباب، ج٢، ص٣٦٠، ح٢.

مما تقدّم يتبيّن لنا:

١ ـ أن القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام نهونا عن السبّ والشتم واللعن.

٢ ـ أن اللعن هو فردٌ من أفراد السبّ كما فسّره عُلماء الأخلاق واللغة، لا كما يحاول البعض أن يفرّق بينهما.

٣ ـ إن مفاعيل اللعن لرموز الطرف الآخر أقسى وأشد وطأة من ردة فعل السبّ. . .)[*].

قال رسول اللّه ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» فالسب واللعن والشتيمة تتناقض وأخلاقيات الأنبياء والأولياء حيث يقول اللّه تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾[2] فمن يتحلى بالرحمة والمودّة والمحبّة والخُلق للآخرين فلا بد أن يتخلى عن الحقد والضغينة والكراهية والبغضاء وبالتالي يكون قلبه خالِيًا من العداوة للآخر المخالف، وإلَّا ماذا يعني أن يكون الرسول ﷺ والأئمّة عليهم السلام مُطَهَّرين من الرجس؟! فالرسول ﷺ والأئمّة عليهم السلام يتمتّعون بأعلى درجات الطهارة، والطهارة لا يمكن أن تحمل العداوة والكره وهم عليهم السلام لا يتحرّكون من خلال الفعل وردة الفعل الشخصي بل يتحرّكون من خلال مرضاة اللّه وفي اللّه وإلى اللّه (عزَّ وجلّ).

كم وكم عانى رسولنا الأكرم ﷺ مع الكُفَّار والمشركين، ورُغم ذلك لم يلعن أو يسبّ!.

ففي معركة أحد لمَّا كُسرت رباعيته وشج في وجهه ﷺ قيل له: ألا تدعو عليهم!، قال: «**إني لم أُبعث لعانًا ولكني بُعثتُ داعيًا ورحمة، اللَّهُمَ اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**»[3]. وهذا إن دلَّ على شيء فهو يدل على عظمة أخلاق النبي.

وهذا ما أُشير إليه في «سلسلة الفكر والنهج الخميني» حيث جاء:

(كما كان نبي الإسلام ﷺ رحمة ورحيمًا بالمؤمنين، كان كذلك للكافرين، بمعنى

(*) انتهى هنا بحث سماحة الشيخ حسين الراضي (بالتصرف).

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٢١، ص ١١٩، أعلام الورى بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار مكتبة الحياة (١٩٨٥ م) ص ١١٣، صحيح الترمذي، الشمائل المحمدية ص ٣٣، صحيح مسلم، ٤/٢٠٠٦، ح٢٥٩٩.

أنه كان يحزن على الكفّار لبقائهم على كفرهم، الذي سيؤدي بهم إلى جهنّم، فهو قد أُرسل لينجّي هؤلاء الكفّار وهؤلاء العُصاة والله قد خاطبه بسبب حزنه هذا فقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾[1]. كأنّك تريد أن تهلك نفسك بسبب أنّهم لم يؤمنوا ولم ينالوا حظّ النجاة، يروي لنا التاريخ أنه عندما مرَّ جمعٌ أُسروا في إحدى الحروب بالنبيّ ﷺ يُجّرون بالسلاسل، قال النبيّ ﷺ إنَّ هذه السلاسل يجب أن يُجرّوا بها إلى الجنّة، لذلك علينا الآن أن نأتي بهم ونهديهم. لقد كان نورًا للهداية، سموحًا مع المؤمنين ومع الآخرين إلّا الذين كانوا يشكّلون غدّةً سرطانية، فكان عليه استئصالها من المجتمع»[2].

لنرَ رسول الإسلام الكريم ﷺ في حرب أُحُد، ففي الوقت الذي شُقَّت فيه جبهته المباركة وكُسرت أسنانه، والدماء تسيل من جراحاته من رأسه ووجهه، كان نفس ذلك الأب الرحيم الذي أراد دائمًا الخير والصلاح لأولاده، حيث رفع يديه في تلك الحالة بالدعاء وقال: «**اللّهُمّ اهدِ قومي فإنّهم لا يعلمون**»[3].

وروي أنَّ أصحاب النبي ﷺ طلبوا منه أن يلعن المشركين ليحلّ عليهم العذاب كما دعا نبيّ الله نوح عليه السلام على قومه[4] فهلكوا، فأجابهم النبيّ ﷺ: «**إني لم أُبعث لَعّانًا، ولكنّي بُعثتُ داعيًا ورحمةً...**»[5]. فالنبيّ ﷺ لم يُبعث لهلاك الناس حتّى وإن ضلّوا، وإنّما لأجل دعوتهم إلى الهداية والرفق لهم، لذلك نراه في تلك الحالة يرفع يديه ليدعو الله لهم أن يهديهم فهم لا يعلمون.

في حوادث فتح مكّة، عندما دخلها المسلمون في أوج عزّتهم واقتدارهم، كان سعد بن عبّاده الخزرجي حامل لواء الأنصار يردّد بصوتٍ عالٍ: «**اليوم يومُ الملحمة، اليوم تستحلُ الحُرمة**»[6] فاليوم يوم سفك الدماء واليوم يوم الانتقام وإباحة الدم والمال.

سمع النبيّ ﷺ هذا النداء، فاضطرب اضطرابًا عظيمًا وأمر الإمام عليًّا عليه السلام أن يأخذ الراية ويمسك بزمام الأمور وعزل سَعْدًا عنها.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٦.

(٢) النبوة في رؤية الإمام الخميني، ص٣٩٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، ج١، ص١٩٢.

(٤) ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [سورة نوح، الآية: ٢٦].

(٥) سنن النبي ﷺ، السيد محمد حسين الطباطبائي، ص٤١٣.

(٦) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢١، ص١٠٥.

على الرغم من كل الأذى والألم الذي ألحقه كفّار قريش في حقّ النبي ﷺ وأصحابه، كان الجميع يتوقّع أن ينتصر هؤلاء لمظلوميتهم وينتقموا ممّن ظلمهم من أهالي مكة، لكنّ النبيّ الأعظم ﷺ أمر المسلمين أن يدخلوا مكّة بمظهر الرحمة والرأفة، وأصدر عفوًا عامًا وقال مقولته المشهورة: «**اليوم يوم المرحمة**»[1])[2].

إن ما قامَ به الخلفاء من إقصاء أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الخلافة وغصب فدك وظلامات أخرى، من الأُمور المُشينة والمُعيبة، إلَّا أنّها لا تُخرجهم من الإسلام، فأمير المؤمنين علي عليه السلام لم يخرجهم منه! ولا يستطيع أحد إخراج أحد من الإسلام طالما أنه يشهد أن لا إله إلَّا اللّه محمد رسول الله، وقد ورد من الأحاديث والمواقف الدّالة على النهي الشديد على تكفير أهل القبلة وأهل الشهادتين وقتالهم، **نذكر جملة منها**:

قال النبي ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلَّا اللّه، فمن قال لا إله إلَّا اللّه فقد عصم مني نفسه وماله إلَّا بحقه، وحسابه على اللّه»، «الإسلام شهادة أن لا إله إلَّا الله والتصديق برسول الله ﷺ، به حقنت الدّماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس...» «الإيمان ما استقرَّ في القلب وأفضى به إلى الله عزَّ وجلّ وصدَّقه العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره والإسلام ما ظهر من قول أو فعل وهو الذي عليه جماعة النّاس من الفرق كلّها وبه حقنت الدّماء وعليه جرت المواريث وجاز النكاح واجتمعوا على الصّلاة والزكّاة والصّوم والحجّ، فخرجوا بذلك من الكُفْر وأضيفوا إلى الإيمان...» «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك مسلم، الذي له ذمة اللّه وذمة رسوله، فلا تخفروا اللّه في ذمته»، «إذا أكفر الرجل أخاه فقد باءَ بها أحدهما»، «لا تكفّروا أهل ملتكم وإن عملوا الكبائر»، «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فهو كَقَتْلهِ، وَلعْنُ المؤمنِ كقتلِهِ»[3].

---

(١) المغازي، الواقدي، ج٢، ص٨٢٢.

(٢) سلسلة الفكر والنهج الخميني ـ الرسول الأكرم ﷺ ـ مركز نون للتأليف والترجمة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية (أيلول ٢٠١١م ـ ١٤٣٢هـ) ص ٤٦ـ ٥١.

(٣) هذه الأحاديث باختلاف صيغها وتشابه مضامينها موجودة في الكافي ج٢ ـ كتاب الإيمان والكفر ص ٢٣ـ ٢٥ (جامع الأصول: ١ و١٠ و١١) كما أنها مجموعة بأسرها في (كنز العمال/ للمتقي الهندي: ج١٠) (صحيح النسائي، الرقم ٣٠٩٥، ٣٩٨٦، خلاصة حكم المحدث: صحيح).

وإذا انتقلنا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام نرى أنَّهُ أوصاهم عندما ضربه ابن ملجم وقبيل موته أن يعفو عنه، قال عليه السلام:

«وَصِيَّتِي لَكُمْ... إن أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإن أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإن أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَهُوَ لَكُم حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا «أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»[1].

فإمامنا عليه السلام رُغم عظم المصيبة وسوء فعل ابن ملجم إلَّا أنه تحرّك برحمته ومن خلال أخلاق القرآن التي جسّد آياتها: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[2].

ألم نرَ إمامنا عليه السلام كيف عاين أعداءه وأعني به الإمام الحُسين عليه السلام ويشفق عليهم لأنهم سيدخلون النار بسببه؟ **في هذا يخاطبه الشيخ أحمد الوائلي** رحمه الله **قائلًا**:

وَرَأَيْتُكَ العِمْلاقَ جِيدًا مُتْلَعًا ... تَنْعى عَلى الأَقْزامِ تَهْطَعُ جيدا
وَرَأَتْكَ النَفْسُ الكريمةُ لم تَكُنْ ... حَتّى عَلى مَنْ قَاتَلوكَ حَقُودا
فَعَلِمْتُ أنّكَ نَائِلٌ مَا تَبْتَغِي ... حَتْمًا وإنْ يكُ جِسْمُكَ المَقْدُودَا

فالحسين عليه السلام لم يتعامل بمفهوم الأحقاد، والإساءة من سبّ ولعن، بل كان روحًا أريحية الشمائل، تنضح نُبلًا وكرمًا ورأفة!!

أهل البيت عليهم السلام إذن، كانوا يمثّلون الواجهة الصحيحة للإسلام، وأخلاقهم هي التي تمثّل أحكام الدين وروحهُ الحقّة، قدوتهم في ذلك النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي نهل منه أئمة الهدى: علمَهُم وفضْلَهم وأخلاقهم وسلوكهم.

وهذا ما تحدَّث عنه الشهيد مُطهري قائلًا:

«في صباح اليوم العاشر من محرم، عندما قرر شمر بن ذي الجوشن ـ هذا المخلوق الذي قد لا يكون في الدُّنيا أكثر منه خسّة ونذالة ـ أن يحادث الحسين قبل بدء الحرب، لم يكن يدري أنَّ الحسين عليه السلام كان قد فكر في ذلك فأمر بالخيام أن تقام متقاربة على شكل نصف دائرة، وأن يحفروا خندقًا ويملأه بالقصب الجاف وأن يشعلوه حتى لا يستطيع العدو أن يهجم من الخلف.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ج١٥، ص١٤٣، خطبة (٢٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

عندما جاء شمر ورأى ذلك أخذ يسبّ ويلعن، فردَّ عليه بعض أصحاب الحسين، بغير السبّ واللعن طبعًا. وقال أحد كبار الأصحاب للحسين عليه السلام: أجزني في أن أنهي أمره بسهم واحد. فرفض الحسين، فظن أنَّ الحسين لا يعرف شمرًا، فقال: يا أبا عبد الله، إنَّ هذا هو الشمر بعينه، فقال الحسين: أعلم ذلك، فقال: إذن لماذا لا تأذن لي؟ فقال: لأنِّي لا أُريد أن أكون البادئ بالحرب، وما دامت الحرب لم تشرع بعد بيننا، فإنَّنا فريقان مسلمان متقابلان، فإذا لم يبدأوا هم بالحرب وإراقة الدماء، فلن أبدأ أنا»[1].

إن الشفقة والحنو على المخلوقين في الأُمّة، وحمل هموم المنحرفين منهم، هي من أخلاقهم السامية والرفيعة، هذه الأخلاق لم ولن تكونَ يومًا لتلعن أحدًا، وهذا ما قد نهى عنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما سمع قومًا من أصحابه يسبُّونَ أهل الشَّام أيَام حربهم بصفّين فقال لهم:

«إنِّي أَكْرَهُ لَكُم أن تَكُونُوا سَبَّابِينَ [ورواها ابن الأكثم الكوفي في كتابه ـ الفتوح ـ بالصيغة التالية: كرهتُ لَكُم أن تَكُونُوا لعَّانينَ شتامِينَ][2] وَلكِنَّكُم لَو وَصَفْتُم أَعْمَالَهُم وَذَكَرْتُم حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ في القَوْلِ وَأَبْلَغَ في الْعُذْرِ، وَقُلْتُم مَكَانَ سَبِّكُم إيَّاهُم: اللَّهُمَّ احْقِن دِمَاءَنَا ودِمَاءَهُمْ، وَأصْلِحَ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنهُمْ، وَاهْدِهِم مِن ضَلَالَتهم حَتَّى يَعْرِفَ الحَقَّ مَن جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ والْعُدْوَانِ مَن لَهِجَ بِهِ، لكانَ أَحَبُ إليَّ وخيرًا لكم، فقالوا: يَا أَميرَ المُؤْمِنِين نَقْبَلُ عِظَتَكَ وَنَتَأَدَّبُ بِأَدَبِكَ»[3].

وهناك حديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يخاطب فيه بعض المسلمين الشِّيعة قائلًا:

«ما أيسر ما رضي الناس عنكم، كفوا ألسنتكم عنهم»[4].

هذه المواقف تعكس عظمة الإسلام وقادته الأبرار، وروح التسامح والعفو التي

---

(١) نقلًا عن كتاب «السيرة النبوية» الشهيد مُطهري، دار الإنتشار/ بيروت، ص٦٩، ٧٠.

(٢) كتاب الفتوح، لأحمد بن أكثم الكوفي، ج ٢، ص ٥٤٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ج١١، ص٢١، خطبة (١٩٩).

(٤) فروع الكافي، ج ٨، ص ٢٨٢، الحديث رقم (٥٣٧).

طبعت سلوكهم في المواقف جميعها، بما في ذلك حالة القدرة، فهم لا يستفيدون من قدرتهم لظلم المقابل وإيذائه، بل تزيدهم قدرتهم رحمة وشفقة.

وهنا قد يُطرح سؤال: إن اللعن موجود في القرآن الكريم؟ ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾[1] الجواب نعم ولكنّهُ لم يُحدّد أشخاصًا أو يخصّص أسماء معينة بل جاء عامًا وشاملًا لكل الذين يستأهلون الخروج من رحمة الله وهذا الأمر منوط بالله عزَّ وجلّ وحده فقط، وعندما عُيّنَ الإسم لم نجد اللعن كما الآية الكريمة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾[2].

ومعناها: خسرت أو هلكت يدُ أبي لهب ورُغم أنه ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾[3] إلَّا أننا لم نجد اللعن! فاللَّه تعالى أعلم من يستأهل اللعن ومن لا يستأهل، فقد تنظر إلى فلان على أنه أفضل خلق اللَّه، إلَّا أنَّهُ قد يكون عند ربه من الفاسدين فتحل عليه اللّعنة والعكس تمامًا، إنَّ اللَّه سبحانه وتعالى أدرى بعباده حيث يقول في محكم كتابه: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[4] **هذا أولًا**.

أما ثانيًا: فاللعن الصادر من الله هو الطرد والإبعاد عن رحمته، وأمَّا اللعن الصادر من الناس هو السبُّ كما ذكر عُلماء اللُغة.

إذًا هناك فرق بين اللعن الصادر من الله (عزَّ وجلّ) واللعن الصادر من الناس.

وإذا كُنّا فعلًا نحب اللَّه ورسوله ونوالي أمير المؤمنين، يجب علينا أن نتبع القرآن فنكون قرآنيين في دعوتنا، محمديين في رسالتنا، علويين في فكرنا، حسنيين في إخلاصنا، حسينيين في مواجهتنا، محبّين خلوقين كما أئمتنا عليهم السلام.

ونطرح في هذا المقام سؤالًا: هل من المعقول أن يخالف الإمام الباقر عليه السلام التي تُنقل عنه هذه الزيارة سلوك وآداب أبيه وأجداده خاصةً رسول الله صلى الله عليه وآله! فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحُسين وحديث الحُسين حديث الحسن وحديث الحسن

(١) سورة هود، الآية: ١٨.

(٢) سورة المسد، الآية: ١.

(٣) سورة المسد، الآية: ٣.

(٤) سورة غافر، الآية: ١٩.

حديث أمير المؤمنين عليه السلام وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله قول الله عزَّ وجلّ"[1] حيث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقبل بلعن حتى الكافرين، وأمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفين قال: «**كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين...**» فهل من المعقول أن يخالف الإمام الباقر سلوك رسول الله وأمير المؤمنين علي عليهما السلام...؟!.

ثالثًا: أسأل هل سيُحاسب الله الناس بعدله أم برحمته؟ وهل سيغفر الله سبحانه وتعالى الذنوب؟ الجواب على ذلك جاء في الآيات الكريمات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[2] و﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾[3].

و﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[4] وقد قُدِّمت صفة الرحمة على جميع صفاته عزَّ وجلّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾[5].

في هذا الجانب يتحدث سماحة الشيخ حسين الخشن في كتابه «هل الجنة للمسلمين وحدهم؟» فيقول:

(ولا شك أن أبلغ وأعمق معاني الرحمة الإلهية هي الرّحمة الأخروية التي ادّخرها اللّه لأوليائه والصالحين من عباده وكل من ينالهم عفوه وغفرانه، ورد في الحديث عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «**إن للّه عزّ وجل مائة رحمة وإنّه أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسّمها بين خلقه، بها يتعاطفون ويتراحمون، وأخّر تسعًا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة**»[6].

إن رحمته تعالى يوم القيامة تبلغ حدًا تمتد لها عنق إبليس، ففي الحديث عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «**يا رب شفعني في مَن وقع في النار... ولا يبقى أحد له شفاعة**

---

(١) أصول الكافي، الكليني، ج١، ص٥٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٣.
(٦) الفضل بن الحسن الطبرسي «تفسير مجمع البيان» مؤسسة الأعلمي/ بيروت، ط ١، ج ١، ص ٥٤، صحيح البخاري (١٩٨١ م) ط ١، ج ٨، ص ١٧٦.

إلّا شُفّع، حتى أنّ إبليس يتطاول ممّا يرى من رحمة اللّه عزّ وجلّ رجاء أن يشفع له»[1] وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إذا كان يوم القيامة نشر اللَّه تبارك وتعالى رحمته حتى يطمع إبليس في رحمته»**[2]. وأمَّا سعة رحمته تعالى فلا ينبغي أن نعجب كيف ينجو الإنسان، بل لا بدّ لنا أن نعجب كيف لا ينجو، وقد قيل لعليّ بن الحُسين زين العابدين عليه السلام: **«قال الحسن البصري: ليس العجب ممّن هلك كيف هلك، إنّما العجب ممنّ نجا كيف نجا! فقال** عليه السلام: **«أنا أقول: ليس العجب ممّن نجا كيف نجا، إنّما العجب ممّن هلك كيف هلك! مع سعة رحمة اللّه»**[3])[4].

في أسلوب أهل البيت عليهم السلام تحدّث المؤرخ المُحقق السيد هاشم معروف الحسني (رضوان الله عليه) فقال:

(إن عظمة الأئمّة من أهل البيت مستمدّة من سيرتهم وتفانيهم في سبيل الحق وخير الناس أجمعين لا من سيئات خصومهم، والتاريخ وحده هو الذي يكشف هذه الحقيقة ويضع الإنسان إما في صفوف عباقرة العصور والمصلحين، وإمَّا في صفوف الأبالسة والشياطين، هذا بالإضافة إلى أنَّ الآثار الصحيحة تؤكد أنهم كانوا يحرصون أشد الحرص على أن يترفّع أصحابهم عن لغة السَّبّ والشتم وكشف العيوب، لقد سمع أمير المؤمنين عليه السلام جماعة من أصحابه يشتمون معاوية، فأنكر عليهم ذلك وقال: **«إِنِّي أَكْرَهُ لَكُم أَن تَكُونُوا سَبَّابِينَ»**، في حين أن معاوية قد عمل بما تقتضيه طبيعته فأمر بلعن علي وشتمه على المنابر وفي النوادي والحلقات وأعدَّ القصاصين لهذه الغاية، مع العلم بأنَّ الذين حكموا قبل معاوية كانوا أنزه منه وأحرص منه على مصلحة الإسلام بعشرات المرّات، ومن الثابت أن الرواية التي رواها بعض المؤرخين والمحدّثين والتي تنص على أن عليًّا عليه السلام قد أمر أصحابه بلعن معاوية

---

(١) الطبراني، الأحاديث الطوال، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان ط ١ (١٤١٢ هـ) ص ١٠١.

(٢) الصدوق، الآمالي ص ٢٧٤.

(٣) علي بن الحسين المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) الآمالي، مكتبة آية اللّه المرعشي، قم/ إيران، (١٤٠٣ هـ) ج١، ص١١٣.

(٤) من كتاب «هل الجنة للمسلمين وحدهم؟» إصدار المركز الإسلامي الثقافي، الشيخ حسين الخشن، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م) ص٥٤، ٥٥.

وقنت بلعنه في صلاته. هذه الرواية من موضوعات معاوية وأتباعه وضعوها ليبرّروا بها شتمَ علي ولعنه على منابر المسلمين، بل وحتى في الصلاة وجميع الطاعات.

وذكر جماعة من المحدّثين وكتاب الفِرَق أن جماعة ممن بايعوا زيدًا في الكوفة قالوا له، في الوقت الذي استعد لمواجهة أتباع الأمويين: «**ما تقول رحمك اللّه في أبي بكر وعمر، فقال: غفر اللّه لهما ما سمعت أحدًا من آبائي تبرأ منهما وأنا لا أقول فيهما إلّا خيرًا، فقالوا له: فلِمَ تطالب إذن بدم أهل البيت، فقال: إنَّ أشدَّ ما أقول فيمن ذكرتم، إنَّا كنَّا أحق الناس بهذا الأمر ولكن القوم استأثروا علينا به ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا كفرًا، فقد ولُّوا فعدلوا وعملوا بالكتاب والسُّنّة، قالوا: فلِمَ تقاتل إذن؟ قال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم، وإني أدعو إلى كتاب اللّه وإحياء السُنن وإماتة البدع، فإنَّ سَمِعوا يكن خيرًا لكم ولي وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل، فرفضوه وانصرفوا ونقضوا بيعته**»[(١)].

لو صح ما ينسب إلى الأئمّة عليهم السلام من أنهم كانوا يشتمون، أو يرضون بالسَّبّ والشتم لا يمكن أن ينفي زيد هذا الأمر نفيًا قاطعًا ويصر على موقفه، وهو يعلم أنَّ جماعة ممن بايعوه سينفضّون من حوله وهو في أمس الحاجة إلى الأنصار والأتباع.

وجاء عن الإمام علي بن الحُسين عليه السلام: «أنه أنكر على جماعة من الشِّيعة شتمهم للخلفاء وقال لهم: «**أيها الناس أحبونا حُبَّ الإسلام فما برح حبكم لنا حتى أصبح علينا عارًا وحتى بغَّضْتمونا إلى الناس**»[(٢)].

وجاء عنه أن جماعة من الشِّيعة نالوا من أبي بكر وعمر في مجلسه فقال لهم: «**أخبروني أأنتم من المهاجرين الأولين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من اللّه ورضوانًا وينصرون اللّه ورسوله؟ قالوا كلا، قال: أفأنتم من الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم؟ قالوا: لا، فقال لهم: أما أنتم فقد أقررتم على أنفسكم وشهدتم بأنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال اللّه فيهم**: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ

---

(١) ناسخ التواريخ للميرزا تقي الدين خان تحت عنوان «أحوال الإمام زين العابدين» ج ٢، ص ٥٩٠.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٦، ص ٧٣، وعن إرشاد المفيد، ص ٢٧١.

﴿ءَامَنُوا﴾[1] **قوموا عني لا بارك اللّه فيكم ولا قرب دوركم أنتم مستهزئون بالإسلام ولستم من أهله»**[2].

وروى جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**أنه قال له وهو يودّعه: أبلغ أهل الكوفة أني بريء ممن تبرّأ من أبي بكر وعمر، ولمن لم يعرف فضلهما فقد جهل السُّنّة»**[3].

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أن عروة بن عبد اللّه سأله عن حلية السيوف، فقال: **لا بأس بها، فقد حلى أبو بكر الصدّيق سيفه، قال له: أتقول الصدّيق فوثب واستقبل القبلة ثمَّ قال: نعم الصدّيق فمن لم يقل له الصدّيق فلا صدّق اللّه له قولًا»**[4] إلى غير ذلك من المرويات المنتشرة هنا وهناك وهذه المرويات على تقدير صدورها ولو لأي جهة من الجهات تلمح إلى أن لغة السباب والشتائم ليست مألوفة للأئمة عليهم السلام ولا هي من منطقهم، ولا تساعدهم الظروف على استعمالها، وبالإمكان أن تكون تلك المرويات من صنع الدساسين وأعداء الأئمّة، حسبما يتفق مع مصالحهم وأغراضهم الدنيئة، وأنا لا أريد أن أبرّىء بعض المتشيّعين من الطعن على الخلفاء وإلصاق بعض الصفات المشينة بهم، فقد وضع بعضهم عددًا من المرويات حول هذا الموضوع ونسبوها إلى الأئمّة إلى جانب ما وضعه أعوان الحكام من المرتزقة وأعداء أهل البيت عليهم السلام، كما جاء في رواية إبراهيم بن أبي محمود عن الإمام الرضا عليه السلام، ولكن الذي أريده أن الأئمّة الهداة عليهم السلام مع حرصهم الأكيد على التمسك بالحق الذي جعله اللّه لهم والذين هم أولى به من أي إنسان آخر مهما كانت منزلته وصفته، كانوا عندما يحاولون إظهار حقهم وظلامتهم لا يتعدون أسلوب القرآن الكريم من التنديد بالظالمين والغاصبين، ذلك الأسلوب الذي يتناسب مع مقامهم الرفيع وحرصهم على تماسك الأُمّة في مقابل أعداء الإسلام الذين يكيدون للّه ورسوله وكتابه)[5].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٢) كشف الغمة للأربلي، طبعة تبريز، إيران، ج٢، ص٧٨.

(٣) المناقب لابن الجوزي، محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص ٢٤٥.

(٤) كشف الغمة للأربلي، مصدر سابق، ج ٢، ص ١.

(٥) نقلاً عن كتاب «الموضوعات في الآثار والأخبار»، المؤرخ المحقق السيد هاشم معروف الحسني، دار التعارف/ بيروت (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م) ص ١٧٨.

ثانيًا: النشأة التاريخية للسَّبّ واللعن

على ما تقدّم تبيّن لنا أن السَّبّ واللعن لم يصدر عن أئمتنا عليهم السلام بل ورد عنهم النهي، إلَّا أنه يوجد بعض المرويات عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام فيها حثٌّ على اللعن، فهل هذه المرويات صحيحة؟ وما الذي حدث في التاريخ؟

إذا عدنا إلى التاريخ سنجد أن الأئمّة عليهم السلام تحدّثوا عن تلك الحقبة التاريخية من الزمن ولقد لخص الإمام الباقر عليه السلام موقف الحكام الأمويين من الشِّيعة الذين يتهمهم أهل السُّنّة بأنهم أوّل من فتح باب الكذب في تلك الفترة من التاريخ فيقول عليه السلام:

«لم نزل ـ أهلَ البيت ـ نُسْتذَلّ ونُستضام ونُقصَى ونُمتهَن ونُحرَم ونُقتَل ونَخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون بكذبهم وجحودهم موضعًا يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء في كل بلد، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورَووْا عنّا ما لم نَقلْهُ وما لم نفعلْه ليبغّضونا إلى الناس، وكان عُظْمُ ذلك وكُبره زمنَ معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقُتِلَت شيعتُنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظِّنَّةِ، وكان مَن يُذكَرُ بحبنا والانقطاع إلينا سُجن أو نُهِبَ ماله أو هُدِمت داره، ثمَّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد، إلى زمان عُبيْدِ اللَّه بن زياد قاتل الحُسين عليه السلام ثمَّ جاء الحجّاج فقتَلهم كلّ قِتْلة وأخذهم بكلّ ظِنَّةٍ وتهمة، حتى إنَّ الرجل ليُقال له: زنديق أو كافر، أحبُّ إليه من أن يقال: شيّعة عليّ، وحتى صار الرّجل الذي يُذكر بالخير ـ ولعله يكون ورعًا صدوقًا ـ يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سَلَف من الولاة ولم يخلق اللَّه تعالى شيئًا منها، ولا كانت ولا وقعت، وهو يحسب أنّها حقٌّ لكثرة من قد رواها ممّن لا يُعْرَفُ بكذب ولا بقلّة ورع»[1].

وهذه الصورة الإجمالية التي أعطاها الإمام الباقر عليه السلام لذلك العصر المشحون بالفتن والكذب والافتراء على الرسول وأهل البيت يمكن لأي باحث مجرّد أن ينتهي إليها من خلال الحوادث التي رافقت حكم الأمويين وبخاصة في المرحلة الأولى من حكمهم بقيادة سليل البيت الأموي معاوية بن أبي سفيان الذي قادَ الأحزاب والمعارضة ضد الدعوة الإسلامية منذ مطلع فجرها، كما وأن رواية

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ط٢ (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م) ج١١، ص٤٣، ٤٤.

علي بن محمد بن أبي سيف المدائني في كتابه «**الأحداث**» تدل دلالة قاطعة على الدور البارز الذي قام به معاوية وأتباعه في التشويش على سنّة الرسول وطمس أضوائها لكثرة ما أدخله هو وأتباعه عليها من الموضوعات في مختلف المواضيع في الوقت الذي كان فيه الشِّيعة يتستّرون في تشيُّعهم خوفًا على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

وجاء فيها أن معاوية بعد عام الجماعة وهو العام الذي استتب له فيه الأمر كتب كتابًا وجهه إلى جميع عمّاله جاء فيه: «**أن برئت الذمّة ممن روى شيئًا في فضل أبي تراب وأهل بيته، فقام الخُطباء في كلّ كُورة وعلى كلِّ منبر يلعنون عليًّا ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشدَّ الناس بلاء حينئذٍ أهل الكوفة لكثرة مَن بها من شيعة عليّ** عليه السلام **، فاستعمل عليهم زياد بن سُمَيّة، وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشِّيعة وهو بهم عارف؛ لأنّه كان منهم أيّام علي** عليه السلام **، فقتلهم تحت كلّ حَجَر وَمَدَر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسَمَل العيون، وصَلَبهم على جُذوع النّخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق؛ فلم يبق بها معروف منهم، وكتب إلى عُمّاله ـ ليكثروا من فضائل عثمان ومناقبه ـ ففعلوا ذلك**»[1].

«وقد روى ابنُ عرفة المعروف ـ بنفطويه وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم ـ في تاريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: **إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افْتُعلت في أيام بني أميّة تقرُّبًا إليهم بما يظنّون أنهم يُرغمون به أنوف بني هاشم**»[2].

ومجمل القول أن الحزب الأموي الذي ظل يعمل في الخفاء نحوًا من أربعين عامًا لتقويض دعائم الإسلام بعد أن عجز عن مقابلة الدعوة الإسلامية وجهًا لوجه بشكل علني حينما توفّرت له أسباب القوة والحكم، لم يهمّه شيء أكثر من تحطيم الجبهة التي كانت بنظر المتدينين من المسلمين صاحبة الحق والأولوية المطلقة في قيادة الأُمّة، وكان علي وأبناؤه في الطليعة بين المسلمين يوم ذاك.

ومضى على سيرة معاوية وولاته كل من جاء من بعده من الحُكّام والولاة، وفي ظل هذه الظروف القاسية التي استمرت عشرات الأعوام، انتشر القصاصون ودُعاة

---

(١) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، ط٢ (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م) ج١١، ص٤٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، مصدر سابق ص٤٤.

الأحزاب والفِرَق كالخوارج والمرجئة والقدرية وغيرهم، فأضافوا إلى تلك الموضوعات مجموعة أخرى في مختلف المواضيع، وهكذا توالت المناسبات، وتعددت الدوافع والأغراض إلى الكذب في الحديث، وأصبح كل من يحاول أن يثبت رأيًا أو يؤيد حزبًا، أو مذهبًا أو ينتقض إنسانًا يوّد أن يتيسّر له حديث ينسبه إلى الرسول ولو بأغلى الأثمان ليعتمد عليه.

ومن ذلك ما جاء عن أئمة المذاهب وأتباعهم في مختلف العصور حيث كان أتباع كل مذهب يضعون الأحاديث في فضله وذم المذاهب الأخرى، وفي الغالب كانوا يخترعون سندًا يتصل بالنبي، أو أحد الصحابة، فقد روى ابن الجوزي عن علي بن إسماعيل أنه قال: «**رأيت أنَّ القيامة قد قامت ووقف الناس عند قنطرة لا يجوزها إلَّا من يحمل ورقة، ورأيت رجلًا يختم للنّاس أوراقًا يجوزون بها، فسألت عنه فقيل لي هذا أحمد بن حنبل**»! إلى كثير من أمثال هذه المرويات التي تفضّله على جميع الأولياء والفقهاء.

ورووا لغير هؤلاء من الفضائل والكرامات ما يثير الدهشة والاستغراب ويبعث على الأسف والألم لهذا الإسفاف والإفراط في الحب والبغض إلى حدود الخروج عن دائرة التصّور.

لقد اعتمدت الأحزاب والفِرَق وغيرهما هذا الأسلوب في ترويج أفكارها وآرائها ونزعاتها، وكان الحزب الأموي في الطليعة من بين أولئك المخرِّبين، في الكذب على الرسول ووضع الأحاديث، لأن المسلمين لا يرون لهم فضلًا يرفع من شأنهم في تاريخ الإسلام فوجدوا أنفسهم في أمسّ الحاجة إلى هذا النوع من المرويات، وبلا شك أن الشّيعة بعد أن أحسّوا بالفرج عندما دبَّ الضعف في جسم تلك الدولة ووجدوا تلك الكميات الهائلة من الموضوعات بين المرويّات عن الرسول تتحدّث بها الأجيال في مختلف المناسبات وحيثما اتجهوا، وسمعوا خطباء المنابر وعوام الناس في النوادي والأسواق يسبّون عليًّا وبنيه بدون تحرّج أو تأثّم، حتى أصبح ذلك وكأنه من أفضل السُنن التي رغب فيها الإسلام ووُعِدَ عليها بالثواب والأجر العظيم.

لما أحسَّ ضعفاء الشِّيعة بالفرج بعد الشدّة، وكانت أسماعهم قد ملّت شتمَ علي الذي حاول الأمويون أن يُصوِّرهُ وكأنه من ألدّ أعداء الإسلام والإنسانية تطوَّع منهم

من لا يملك من الدين والصبر ما يعصمه من الانحدار إلى هذا المستوى وتبنّى هذا الأسلوب الرخيص الذي يترفّع عنه العظماء من الأتقياء والصلحاء إلى مقابلة الكذب بمثله والشتم والسباب بلونه ولغته ونسبوا أكثره إلى الأئمّة ليكون أقرب إلى التصديق وأكثر شيوعًا وانتشارًا بين الناس، **في ذلك يقول السيد هاشم معروف الحسني مُعلّقًا:**

«على أني أشك في صدور تلك المرويات بما فيها المرويات التي تسيء إلى الخلفاء من الشِّيعة بالرغم من تداولها بينهم منذ زمن بعيد وتدوين أكثرها في بعض مجاميع الحديث الشِّيعيّة، وأكاد أجزم بأنَّ أعداء أهل البيت قد حاولوا بكل الأساليب أن يحدثوا فجوة بين السُّنّة والشِّيعة وأئمتهم فوضعوا تلك المرويات ونسبوها إلى الأئمّة، وقد ألمح إلى ذلك الإمام الرضا عليه السلام في حديث له مع بعض أصحابه (يا بن محمود إن مخالفينا وضعوا أخبارًا في فضائلنا. . . إلخ) ومن بين هؤلاء جماعة كانوا يعتقدون بالتشيُّع لينفذوا منه إلى بث سمومهم وأهدافهم كالمغيرة بن سعيد وصائد النهدي وبيان بن سمعان وأبي زينب وغيرهم من العشرات الذين وضعوا آلاف الأحاديث بين المرويات عن الإمامين الباقر والصادق ونسبوها إليهما، وقد نبّه على ذلك أئمة الشِّيعة في أكثر من مناسبة، وهؤلاء وأمثالهم كانوا أحيانًا يروون الصحيح من أحاديث الأئمّة ليستروا به كذبهم، واستطاعوا بذلك أن يخدعوا نقَلة الحديث فدوّنوا ما وجدوه بين أيديهم، وجاءت الطبقات المتأخّرة فأخذته مع غيره، وبالرغم من تلك الجهود المضنية التي بذلها نقّاد الحديث الذين درسوا الرواية وأحوال الرواة بقصد تصفية الحديث من المكذوب، فلم يوفّقوا لاستئصال الفاسد من جسم الحديث، وظلت المجاميع الشِّيعيّة حتى الكتب الأربعة منها تضم بين مروياتها عددًا كبيرًا من الأحاديث الموضوعة»[1].

ونقل ابن أبي الحديد في «شرح النهج» فيما وضع الشِّيعة والبكرية من الأحاديث فقال:

(فإنهم ـ الشِّيعة ـ وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم، نحو حديث «السطل» وحديث «الرّمانة» وحديث

(١) من كتاب «الموضوعات في الآثار والأخبار» السيد هاشم معروف الحسني، دار التعارف/ بيروت (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م) ص ١١٤ إلى ص ١٢٣.

غزوة البئر التي كان فيها الشياطين، وتُعرف كما زعموا بـ «ذات العلَم»، وحديث غَسْل سلمان الفارسيّ، وطيّ الأرض، وحديث الجمجمة، ونحو ذلك. فلمّا رأت البَكْريّة ما صنعت الشِّيعة، وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث، نحو «لو كنت متّخذا خليلا»، فإنهم وضعوه في مقابلة حديث الإخاء، ونحو سدّ الأبواب؛ فإنّه كان لعليّ عليه السلام فقلبته البكرية إلى أبي بكر، ونحو «ائتوني بدواة وبياض أكتب فيه لأبي بكر كتابًا لا يختلف عليه اثنان». ثمَّ قال: «يأبَى الله تعالى والمسلمون إلَّا أبا بكر»، فإنهم وضعوه في مقابلة الحديث المرويّ عنه في مرضه: «ائتوني بدواةٍ وبياض أكتب لكم ما لا تضلّون بعده أبدًا»، فاختلفوا عنده، وقال قوم منهم: «لقد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله» ونحو حديث: «أنا راضٍ عنكَ فهل أنتَ عنّي راضٍ!»، ونحو ذلك فلمّا رأت الشِّيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا في وضع الأحاديث، فوضعوا حديث الطوق الحديد الذي زعموا أنه فتله في عُنق خالد، وحديث اللّوح الذي زعموا أنه كان في غدائر الحنفيّة أم محمد، وحديث: «لا يفعلنّ خالد ما آمر به»، وحديث الصحيفة التي علّقت عام الفتح بالكعبة، وحديث الشيخ الذي صعد المنبر يوم بويع أبو بكر، فسبق النّاس إلى بيعته، وأحاديث مكذوبة كثيرة تقتضي نفاق قوم من أكابر الصحابة والتابعين الأولين وكفرهم، وعليٌّ أدون الطبقات فيهم، فقابلتهم البكرية بمطاعن كثيرة في عليّ وفي ولديه، ونسبوه تارة إلى ضعف العقل، وتارة إلى ضعف السياسة، وتارة إلى حبّ الدنيا والحرص عليها، ولقد كان الفريقان في غُنْيَةٍ عمّا اكتسباه واجترحاه، ولقد كان في فضائل عليّ عليه السلام الثابتة الصحيحة، وفضائل أبي بكر المحقّقة المعلومة ما يغني عن تكلّف العصبيّة لهما، فإنّ العصبية لهما، أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل، ومن تعديد المحاسن إلى تعديد المساوئ والمقابح، ونسأل الله تعالى أن يعصمنا من الميل إلى الهوى وحب العصبيّة، وأن يجريَنا على ما عوّدنا من حبّ الحقّ أين وجد وحيث كان، سخط ذلك من سخط، ورضى به من رضى، بمنّه ولطفه!»[1].

هذا باختصار ما جرى في التاريخ، والواضح أولًا: سهولة وضع الأحاديث في ذلك العصر، ثانيًا: أنَّ التعصب الأعمى لدى الفريقين هو الذي كان يسيطر على طريقة

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) ط ٢، ج١١، ص٤٨ - ٥٠.

تعاملهما مع بعضهما البعض، ما ولّد حالة من العداوة والكراهية، أدّت إلى وضع أحاديث تلعن الصحابة وفي المقابل أحاديث تقلل من شأن عليّ وأهل البيت عليهم السلام، **وبعد كل ما تقدَّم هل من شك أن كل مرويات اللعن والسَّبّ لم تصدر عن الأئمة؟!**

بل لقد نهانا أئمتنا عليهم السلام عن جميع الممارسات التي تؤدّي إلى الكراهية والتنافر والتقاطع كالسباب واللعن والشتم والبغضاء، فأين نحنُ من تعاليم القرآن ورسولنا الأكرم وأئمتنا (عليهم السلام)..؟!

والسؤال: ماذا نفعل عندما نُظلم؟

الجواب: نفعل كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام نهضَ في تلك الأحداث التي أبعدته عن الخلافة ونصرَ الإسلام حتى زاح الباطل وزهق... فلم يكن عليه السلام أقل تألُّقًا وهو خارج الحكم منه، ووقف موقفه المعارض النزيه الذي صار حُجّةً ودلالة على عظمة هذه الشخصية العظيمة الخالدة فأطلق صرخته:

«لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّني أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي. وَوَاللهِ لأُسَالِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاسًا لأَجْرِ ذلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرفِهِ وَزَبْرِجِهِ»[1].

وهذه الصرخة تعني أنّ المعارض العادل يبقى دائمًا صاحب الموقف الأكثر طهارةً، بل هو الشاهد على الحاكم وممارساته، رُغم مشاعر الألم على خطوات انحراف ربما لا يقدر عليها تقويمًا! وكما فعلت السيدة الزهراء عليها السلام فقد خطبت ضد من ظلموها، وكذلك فعل الإمام زين العابدين والسيدة زينب عليهما السلام فاعتراضهم كان بالتنديد الإعلامي للطرف الآخر وتبيانًا للحقوق المغصوبة والظلم الواقع دون الإساءة لهم. ولو تأملنا خطبهمْ عليهم السلام فلن نجد مفردة واحدة أو كلمة أو كناية عن اللعن أو السَّبّ أو الشتم! إنّما توصيف للأمور وللأحداث كما هي!! فهذا يتناسب ومقامهم، وهذا واضح من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام التي تُسمى بـ(الشقشقية) عندما قال: «**أَمَا واللهِ لقد تقمَّصَها فُلانُ**[2]، **وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ**

(١) بحار الأنوار: ج٢٣، ص٥٦٥.
(٢) فلان: أبو بكر.

الرَّحا»... إلى أن يقول: «بَلى واللَّه لَقد سَمِعُوهَا وَوَعُوهَا، وَلَكِنَّهم حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِم وَرَاقَهُم زِبْرِجُهَا»... ثمَّ قال عليه السلام: «لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الحُجّةِ بِوُجُودِ النَّاصر. وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى العُلَماءِ أَن لَا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ. لَالْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِها وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا..»[1].

ولكنه لم يُلقِ حبلها على غاربها... لماذا؟

لأن تشيُّعه عليه السلام لم يكن تشيُّع التفرقة والتنازع وإنما تشيُّع الوحدة والتآخي والتأصيل للصحيح. إنّه تشيُّع المبادئ والقيم والأصول العظيمة، ورعاية المصالح السياسية والاجتماعية وليس تشيُّع المساومات والتراجع... ليس تشيُّع السَّبّ واللعن والإساءة... إنه تشيُّع الصفاء العقائدي والنقاء القيَمي، والثبات على الحق والدفاع عن الثوابت والحدود وليس تشيُّع التمييع والتسويف والشعارات والصراخ والنعيق والبكاء والعزاء..!

ومن خطبة له عليه السلام بعد فتح مصر، وقتْل محمد بن أبي بكر، يتحدّث فيه عمّا جرى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فيها: «**فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاس عَلى أبي بكرٍ، وإِجْفَالُهُمْ إليهِ لِيُبايعُوهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي**[2]**، حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةً من النَّاس رَجَعَت عَنِ الْإِسْلَامَ يَدْعُونَ إلى مَحق دِينِ الله وملة مُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله وسلم**، فَخَشِيتُ إن لم أَنْصر الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَن أَرَى فِيهِ ثَلْمًا وهَدْمًا يكونُ المصابُ بهما عَلَيَّ أَعْظَمَ مِن فَوْاتِ وِلَايَةِ أُمُورِكُمْ، الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّام قَلَائِلَ، ثم يَزُولُ مَا كَانَ مِنهَا كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، وكَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَمَشيتُ عندَ ذَلِكَ إلى أبي بكرٍ فبايعتُهُ، ونَهَضْتُ فِي تِلْكَ الأَحْداثِ حَتَّى زَاغَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ**[3]**، واطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ**»[4].

فلم تكن القضية تنازلًا عن الحق ولكنها كانت تمثل حماية للإسلام وحفاظًا عليه.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٥م ـ ١٣٨٥ هـ) ط٢، ج١، ص١٥١، ٢٠٠، ٢٠٢، (خطبة) ٣.

(٢) كففتها عن العمل وتركت الناس وشأنهم حتى رأيت الراجعين من الناس قد رجعوا عن دين محمد بارتكابهم خلاف ما أمر الله، وإهمالهم حدوده، وعدولهم عن شريعته.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م) ط٢، ج٦ ص٩٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج١٧، ص١٥١، خطبة (٦٢) وقد جاءت بصيغة أخرى.

فيا أيها الشِّيعة المحبون لعلي عليه السلام، إن كان أمير المؤمنين قد أولى مصلحة الإسلام واطمئنان الدين عن فوت الولاية، وخوفًا من أن يهدم الإسلام أو يرى فيه ثلمًا، فلماذا أيها الموالون المحبون تريدون هدم ما لم يَرد أمير المؤمنين عليه السلام أن يهدمه بالصراع لأجل الخلافة! ولو تأمّلنا في جملته «**حتى زاح الباطل وزهق..**» فهو يرى أن الصراع بين المسلمين باطل وهو هدم للدين الإسلامي، أي لا يجوز ولا يصح.

أليس عليٌّ عليه السلام الساكت عن إقصائه عن الخلافة، أسكت عن جُبْنٍ؟ أم عن ضَعْفٍ؟ أم خشي على الإسلام...!؟

فهل نحنُ نخشى على ديننا اليوم ونحيطه كما فعل إمامنا أم نبقى نلعن ونشتم فلانًا وفلانًا؟ فإن كنَّا نفعل ذلك لأنه حق علي عليه السلام فهو صاحب الحق الذي آثر السكوت عنه وعاون الخلفاء الذين سبقوه حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين.

فهل الدين اليوم والمسلمون غير معرّضين للفتن حتى نبقى نلعن ونبث التفرقة فيما بيننا؟

وهنا أذكر كلمة كنت قد سمعتها على إحدى القنوات الفضائية لأحد شيوخ السلفية يقول فيها للشيِّعة ما معناه: «لا واللَّه لن نكف عنكم حتى تكفّوا عن سبّ الصحابة وأمهات المؤمنين فهؤلاء أعزُّ علينا من أمهاتنا وآبائنا».

وهنا فكّرت في كلمته فكيف ندعو لوحدة المسلمين ومن ثمَّ نلعن ما يقدّسون..؟!

هذه الزيارة وغيرها فيها ما فيها من عبارات الطعن واللعن لمخالفي عليّ عليه السلام رغم أنه مضت على تلك الخلافات قرون متمادية واليوم جميع المسلمين يحترمون عليًا عليه السلام ولا يعاديه أحد فلا فائدة من تلك العبارات المشحونة باللعن سوى إثارة الفتن وبثّ الفرقة بين المسلمين!

إنَّ المنهج في التعاطي الذي تعاطى فيه الإمام عليّ عليه السلام أدّى إلى السمّو الروحي لهذه الشخصية العظيمة والسبب لأنه انطلق من خلال رسالة أمَّا نحنُ فننطلق من خلال عقدة!

أنظروا ماذا قال أمير المؤمنين بعد أن ضربه ابن ملجم مخاطبًا بني عبد المطلب:

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُلْفِيَنَّكُم تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا تَقُولُونَ قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي»[1].

هذا هو خط عليّ ﵇ هذا الخط الإسلامي الأصيل الذي لا يحمّل خطأ فرد أو بعض الأفراد وزرَ مجتمع بأكمله، الخط الإسلامي الذي يرتفع بالمسلم عن الحقد والكراهية!

إلى كل مسلم عاقل فكّر. . . كيف تصل إلى فكر الآخر وعقله وقلبه وأنتَ لا همَّ لكَ ولا شُغل لكَ إلَّا اللعن والشتم والإساءة. . .؟!

هل هكذا أوصانا أئمتنا. .؟! هل هكذا أوصانا رسولنا. .!!؟

أبهذه الطريقة نُهدي المخالف إلى التشيُّع ونقرّبه إلى أهل البيت . .؟

أبهذه الطريقة نعطي انطباعًا عن أخلاق أئمتنا وخطّهم وشيعتهم. . .؟!

فهل ما يقوم به البعض من سَبّ ولعن ينهض بالدين أم يهدّم الدين. . .!؟

ونرى البعض لا يأبه لفتاوى التحريم التي أفتى بها عدد من المراجع الكرام بحرمة سبّ الصحابة وسبّ أُم المؤمنين عائشة، بل تراهم أخذوا اللعن منهجًا وعقيدة للتشيُّع، والتشيُّع من أمثالهم براء. . .

والواضح لكل متتبع أن الإمام عليّاً ﵇ له موقف مبنيّ على التضحية من أجل مصلحة الإسلام العُليا وصالح المسلمين مقابل حقه الشخصي في الخلافة حينما قال: «**فَخَشِيتُ إن لَم أَنصُرُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَن أَرى فِيهِ ثَلْمًا أو هَدْمًا**» وكيف نصرَ الإسلام ﵇؟

نصرَ الإسلام حينما أبعد الفتنة فحُفظَ الدين، ثمَّ أشار ﵇ إلى أن هذه الخلافة أو الولاية «**إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ. . .**» فهو يريد أن يقول فليأخذوا هذه الخلافة ولكن مَآلَهَا إلى زوال وبعد ذلك ستموتون وسنموت ولكن سيأتي اليوم الذي لا حكم فيه إلَّا للَّه، فالله يُمهل ولا يُهمل، وأنا أوكل كل أمري إلى الله، وسأصبر وهذا الصبر ستكون نتائجه وعاقبته حسن الثواب، وهذا ما أشار

---

(١) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ط٢، من وصية له للحسن والحسين لما ضربه ابن ملجم، ص٦، خطبة (٤٧).

إليه حين قال عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنّ الله سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ نذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَمُهَيْمِنًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ[1]، فَلَمَّا مَضَى عليه السلام تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الأَمْرَ مِن بَعْدِهِ، فَوَاللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي[2] وَلَا يَخْطِر بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذا الأَمْرَ مِن بَعْدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ عَن أَهْلِ بَيْتِهِ، ولا أَنَّهُم مُنَحُّوه عَنِّي مِن بَعْدِهِ، . . . **وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ رَبِّي وَحُسنِ ثَوَابِه لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ**. . .»[3]. وفي كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري (عامله على البصرة) قال فيه: «بَلى كَانَت فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِن كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّت عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَت عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ. **وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ**»[4]، وكذلك مَوْقِفُهُ مع السيدة عائشة بعد معركة الجمل حيث قال عليه السلام: «وَأَمَّا فُلَانَةُ[5] فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ[6] وَلَو دُعِيت لِتَنَالَ مِن غَيْرِي مَا أَتَت إِلَيَّ لَم تَفْعَلْ، **وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الأُولَى والحساب على اللّه تعالى**»[7].

فيما حدث يوم الجمل من السيدة عائشة وكيف تصرف علي عليه السلام معها كما جاء في شرح نهج البلاغة:

«وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلما ظفر بها أكرمها، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس عمَّمهنّ بالعمائم وقلّدهنّ بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرتْه بما لا يجوز أن يُذكَر به، وتأفّفت وقالت: هَتَك ستري برجاله وجنده الذين وكَلَهم بي. فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهنّ، وقلن لها: إنما نحن نسوة.

---

(١) المهيمن: الشاهد، النبي شاهد برسالة المرسلين.

(٢) الروع ـ بضم الراء: القلب أو موضع الدرع منه ـ بفتح الراء ـ أي الفزع، أي ما كان يقذف في قلبي هذا الخاطر وهو أن العرب تزعج أن تنقل هذا الأمر أي الخلافة عن آل البيت عمومًا، ولا أنهم ينحونه أي يبعدونه عني خصوصًا.

(٣) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م) ط٢، ج١٧ ص٢٢٥، خطبة (٦٢).

(٤) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج١٦، ص٢٠٨، خطبة (٤٥).

(٥) فلانة: السيدة عائشة.

(٦) القين: ـ بالفتح ـ الحداد، أي أن ضغينتها وحقدها كانا دائمي الغليان كقدر الحداد فإنَّه يغلي ما دام يصنع. لأن حقدها كان عليَّ خاصة.

(٧) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م) ط٢، ج٩، ص١٨٩، خطبة (١٥٦).

وحاربه أهل البصرة، وضربُوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف، وشتموه ولعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: ألا لا يُتبَع مُوَلّ، ولا يُجهَزُ على جَرِيح، ولا يُقتل مستأْسَرٌ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن، ولم يأخذ أثقالهم، ولا سبى ذراريّهم، ولا غنم شيئًا من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، ولكنه أبى إلا الصفح والعفو؛ وتقيّل سنةَ رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، فإنه عفا والأحقاد لم تبرد، والإساءة لم تُنْسَ»[1].

وهذا يدل على أنه عليه السلام كان أحلم الناس عن ذَنْب، وأصفحَهم عن مسيء؛ عفوًّا مع لين، ونخلص إلى أنَّ الإمام عليًّا رغم ما قامت به السيدة عائشة إلا أنه تعامل معها بالصفح وكرّمها، فناهيك بذلك جمالًا وحسنًا، وهذا طبعًا يعود إلى دينه وورعه.

وأنه عليه السلام رغم كل الظلامات التي وقعت عليه إلا أنه أوكلها إلى الله، فالله هو الحاكم والقاضي.

لكننا وللأسف ما لم يقم به أميرالمؤمنين عليه السلام قمنا به نحنُ بحُجّة مظلومية أهل البيت. فنحن قاضيناهم وحاكمناهم وها نحنُ نطبق الأحكام الصادرة... لَعْنًا وعداوة وخروجًا عن الملّة..!.

هذه صورة موجزة عن ثقافة السَّبّ واللعن المرفوضة عند النبي وأهل البيت عليهم السلام وأنه لم يكن من سيرتهم ولا أخلاقهم ذلك وهو يتنافى كُليًّا مع مهمتهم التي جاؤوا في هذه الدنيا لأجلها، يقول اللّه في محكم آياته:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[2]. ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م) ط٢، الجزء الأول، ص٢٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٨.

فالرسول ﷺ والأئمة من بعده مهمتهم الدعوة إلى الله وهم مبشّرون ومنذرون بالتي هي أحسن كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1]!

ثالثًا: زواج أم كلثوم من عُمَر

إذا كانت علاقة الإمام علي عليه السلام بعُمَر مشحونة بالبغض والعداء كما يُريد البعض أن يوحي بذلك، إذًا لماذا زوّج أمير المؤمنين علي عليه السلام ابنته أم كلثوم (وهي ابنته من فاطمة الزهراء عليها السلام) من عُمَر بن الخطاب في زمن خلافته...!؟ البعض يريد نفي ذلك لأنها لا تساعده في إبقاء هذه المشاحنات والتحريض عليها ولكن هذه الواقعة وردت في أمّهات الكتب لدينا ومنها:

روى عن **سليمان بن خالد**[2] **أنه قال: سألت أبا عبد اللّه** عليه السلام **عن امرأة توفى زوجها أين تعتد؟ في بيت زوجها أو حيث شاءت؟ قال: بلى حيث شاءت، ثمَّ قال: إن عليًّا لمّا مات عُمَر أتى أم كلثوم فأخذ بيدها فانطلق بها إلى بيته»** ـ المصدر ـ فروع الكافي، الكليني، كتاب الطلاق/ باب المتوفى عنها زوجها ج ٦، ص ١١٥، ١١٦، وأورد هذه الرواية شيخ الطائفة الطوسي في كتابه (الاستبصار) أبواب عدة ـ باب المتوفى عنها زوجها ج ٣، ص ٣٥٢، رواية أولى عن معاوية بن عمار ورواية ثانية عن سليمان بن خالد، حديث رقم: ١٢٥٧، ١٢٥٨، وأوردهما في (تهذيب الأحكام) باب في «عدة النساء» ج ٨، ص١٦١ ح(٥٥٧، ٥٥٨)، وأيضًا بحار الأنوار ج ٤٢، ص ١٠٦، وفروع الكافي، الكليني ج ٥، ص ٣٤٦ باب تزويج أم كلثوم، ويذكر محمد بن علي بن شهر أشوب المازندراني: **فولد من فاطمة** عليها السلام **الحسن والحُسَيْن والمحسن وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى تزوجها عُمَر** (مناقب آل أبي طالب، ص ١٦٢ ج ٣) كذلك المؤرخ (الموالي) أحمد بن أبي يعقوب في تاريخه تحت ذكر حوادث سنة ١٧ من خلافة عُمَر بن الخطاب: «**وفي هذه السَنة خطب عُمَر إلى علي بن أبي طالب أم كلثوم بنت علي، وأمّها فاطمة بنت رسول اللّه فقال: إنها صغيرة! فقال: إني لم أرد حيث ذهبت، لكني سمعت رسول اللّه يقول: كل نسب**

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) يقول عنه النجاشي في رجاله: **كان قارئاً فقيهاً وجهاً، روى عن أبي عبد الله وأبي جعفر** عليهما السلام، رقم ٤٨٤، ص١٨٠، وكذا العلّامة الحلي، ص٧٧.

وسبب ينقطع يوم القيامة إلَّا سببي ونسبي وصهري فأردت أن يكون لي سبب وصهر برسول اللَّه فتزوجها وأمهرها عشرة آلاف دينار»[1] (تاريخ اليعقوبي ج٢، ص ١٤٩، ١٥٠) (شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد، ج٤، ص١٠، ١١).

وقد ذهب بعض عُلماء الشِّيعة كالشيخ المفيد إلى تضعيف هذه الحادثة وأنَّ سندها غير وارد إلّا من طريق أهل السُّنّة، ولكن المجلسي ردَّ على إنكار الشيخ المفيد قائلًا:

«إنكار المفيد رحمه اللَّه أصل الواقعة إنّما هو لبيان أنه لم يثبت ذلك من طريقهم وإلَّا فبعد ورود ما مرَّ من الأخبار إنكار ذلك عجيب وقد روى الكليني عن حميد بن زياد عن أبي سماعة عن محمد بن زياد عن عبد اللَّه بن سنان ومعاوية بن عمار عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: إن عليًّا لما توفي عمر أتى أم كلثوم فانطلق بها إلى بيته، وروي نحو ذلك عن محمد بن يحيى وغيره عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحُسين بن سعيد عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد عن أبي عبد اللَّه عليه السلام»[2].

لو كان عُمَرُ، فعلًا، ضرب بالباب على صدر فاطمة وكسر أضلاعها، كيف يقدم علي عليه السلام على تزويج ابنة فاطمة إلى قاتل أمها؟! وكيف كانت أم كلثوم ترضى بأن تكون زوجة لقاتل أمها؟! وهل كان الإمام الحسن والحسين، وهما شابان غيوران، يرضيان بمثل هذا؟!

البعض نفى أن تكون أم كلثوم ابنة الإمام علي عليه السلام وقالوا إنها ربيبته وهي ابنة الخليفة الأول أبي بكر، لكن هذا القول يتعارض ورواية أوردها الشيخ الصدوق في كتابه: «علل الشرائع»، باب ١٤٩، ـ العلة التي من أجلها دفنت فاطمة عليها السلام بالليل ولم تدفن بالنهار ـ رواية رقم (٢)، ص١٨٥، ١٨٦، حيث جاء في الرواية: «. . . . **فحمل النبي** صلى الله عليه وآله وسلم الحسن وحملت فاطمة الحسين وأخذت بيد أم كلثوم

---

(١) رواه البزار (كشف الأستار عن زوائد البزار (٣/ ١١١)). ورواه الحاكم المستدرك (٣/ ١٥٣)، وقال: «صحيح السند»، وتعقبه الذهبي في تلخيصه بقوله: «منقطع»، ورواه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٤٥)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٦٢٥).

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٠٩. ونقل المجلسي عن المفيد أن التناقض في قيمة المهر هو سبب تضعيف الرواية قائلاً: «**منهم من يقول: إن عمر أمهر أم كلثوم أربعين ألف درهم، ومنهم من يقول: مهرها أربعة آلاف درهم، ومنهم من يقول: كان مهرها خمسمائة درهم، وهذا الاختلاف مما يبطل الحديث**»!! (بحار الأنوار ج٣٨/ ١٠٨).

فانتهى إلى علي عليه السلام . . . ثم أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي فشبك أصابعه بأصابعه فحمل النبي صلى الله عليه وآله الحسن وحمل الحسينَ عليٌ **وحملت فاطمة أم كلثوم وأدخلهم النبي بيتهم** ووضع عليهم قطيفة واستودعهم الله ثم خرج وصلى بقية الليل. . . ».

إذًا أم كلثوم كانت في حياة السيدة فاطمة الزهراء أي قبل وفاة أبي بكر ولا يمكن أن تكون أم كلثوم تسكن في بيت علي والزهراء وأبوها أبو بكر لا يزال على قيد الحياة؟!.

أما الذين ادّعوا أنها ربيبة الإمام علي عليه السلام قالوا إنها بنت الخليفة الأول أبي بكر. وأمها أسماء بنت عميس، وكانت زوجة لجعفر بن أبي طالب، وبعد استشهاده في غزوة مؤته تزوجها أبو بكر ورزق منها ولدًا وبنتًا، وهما محمد وأم كلثوم، ولما مات أبو بكر تزوجها الإمام علي وكان محمد عمره ثلاث سنين، وأخته أم كلثوم عمرها سنة، ولما كبرت تزوجها عُمَر بن الخطاب!!

طبعًا هذا الادعاء يتناقض ورواية الشيخ الصدوق في أن أم كلثوم بنت الإمام علي والزهراء عليهما السلام، وعلى فرض أن أم كلثوم ربيبة الإمام علي، **فهل يقبل الإمام على ربيبته ما لا يقبله على ابنته؟!**

ثمّ هناك سؤال، كيف نقرأ في خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة مَدْحًا لعُمَر بن الخطاب حيث قال:

«لِلَّهِ بِلَادُ فُلَانٍ[1]، فَقَد قَوَّمَ الأوَدَ[2] وَدَاوَى الْعَمَدَ[3]، خَلَّفَ الْفِتْنَةَ[4]، وَأَقَامَ السُّنَّةَ. ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوبِ، قِلِيلَ العَيْبِ. أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا أَدَّى إِلَى اللهِ طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ. رَحَلَ وَتَرَكَهُم في طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ[5] لَا يَهْتَدِي فِيهَا الضَّالُّ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي»[6]!؟.

---

(١) ويُروى: «لله بلاءُ فلان» أي لله ما صنع! وفلان المكنّى يقول إبن أبي الحديد: عمر بن الخطاب؟ وقد وجدتُ النسخة التي بخط الرضيّ أبي الحسن جامع «نهج البلاغة» وتحت «فلان» عُمَر، راجع: ج١٢، ص٣، ٤.

(٢) قوّم الأود: عدل الإعوجاج.

(٣) داوى العمد: العمد ـ بالتحريك ـ: العلّة.

(٤) خلّف الفتنة: تركها خلفًا لا هو أدركها ولا هي أدركته.

(٥) متشعبة: عبارة عن الاختلاف.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م) ط٢، ج١٢، ص٣.

وهذه الخطبة قالها علي عليه السلام بعد وفاة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، و نحنُ نذم فيه ونلعنه ونسبُّه، ولو سلّمنا جدلًا بما يُقال ونسمعه من أصحاب المنابر ومعظم رجال الدين من أفعالٍ مشينة صدرت منه، بحق السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فهل نحنُ أكثر غيرةً وأشرف من الإمام علي حتى نقاضيه ثمَّ نحكم عليه بالكفر والخروج من الإسلام، ثمَّ نُبيح لعنه وسبّه وشتمه، أليس هذا غريبًا!؟

أليس غريبًا أن ندّعي أننا شيعة أمير المؤمنين ونحن لا نقتدي بأمير المؤمنين بل نمضي في عصبياتنا وعداوتنا وتجييش عواطف الموالين وتأجيجها؟!

هذا عدا أن أمير المؤمنين عليه السلام قال عنه: «**ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوبِ، قليلَ العِيْبِ... أَدَّى إِلَى الله طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ...**» فهل يُعقل أن يمدح الإمام علي عليه السلام شخصًا ظلم وأساء إلى زوجته ثم يصفه بالتقوى والطاعة لله!!؟

رابعًا: الأئمّة سمّوا أبناءهم بأسماء الصحابة

إذا كان الإمام الباقر عليه السلام هو الذي يلعن الخلفاء الثلاثة كما جاء في زيارة عاشوراء فهل من المعقول أن يأتي أحد أبنائه ويُكنى بكنية كان يلعنها ويكرهها الإمام الباقر عليه السلام وهي (أبو بكر) كما سيأتي...!؟

وإذا كانت العلاقة مع الصحابة علاقة عداوة وتَبَرُّؤ فكيف يُسمِّي الأئمّة عليهم السلام أبناءهم بأسماء الصحابة؟! والتسمية إن لم تكن من باب الموالاة فهي على الأقل من باب الرضا والقبول، **وإليكم هذه النبذة:**

الأول: ممن كنيته أبو بكر

١ ـ أبو بكر محمد بن علي بن أبي طالب

قُتل مع الحُسين في كربلاء وأمّهُ ليلى بنت مسعود النهشلية ذكره: الإرشاد للمفيد ص ٢٤٨ ـ ١٨٦، تاريخ اليعقوبي في أولاد علي، منتهى الآمال للشيخ عباس القمّي ١/ ٢٦١ وذكر أن اسمه مُحّمدًا وكنيته أبو بكر قال: «**محمد يُكنى بأبي بكر...**» ١/ ٥٤٤، وبحار الأنوار للمجلسي ج ٤٢، ص ١٢٠.

٢ ـ أبو بكر علي بن موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق

كانت كنية الإمام علي الرضا «أبو بكر»، وذكر ذلك: الطبرسي في كتابه «النجم

الثاقب في ألقاب وأسماء الحجَّة الغائب» قال: «**١٤ ـ أبو بكر وهي إحدى كُنى الإمام الرضا**» كما ذكرها أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيِّين.

٣ ـ أبو بكر بن عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب

ذكره صاحب أنساب الأشراف ص ٦٨ قال: «**ولد عبد اللَّه بن جعفر... وأبو بكر قتل مع الحُسين وأمهم الخوصاء...**» وذكره خليفة بن خيّاط في تاريخه ص ٢٤٠ في تسمية من قُتل يوم الحرّة من بني هاشم.

الثاني: ممن اسمه عُمَر

١ ـ عُمَر بن الأطراف بن علي بن أبي طالب

أمّهُ أم حبيب الصهباء التغلبية من سبي الردة، راجع: سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري (الموالي) ص١٢٣ في نسب عمر الأطراف، ومنتهى الآمال للشيخ عباس القمّي ١/ ٢٦١ قال: «**عمر ورقية الكبرى التوأمان**»، وبحار الأنوار للمجلسي ج٤٢، ص١٢٠.

٢ ـ عُمَر بن الحُسين بن علي بن أبي طالب

أمه «أم ولد» استشهد مع الحُسين في كربلاء، راجع: عمدة الطالب لابن عنبه هامش ص ١١٦، تاريخ اليعقوبي ص ٢٢٨ في أولاد الحسن وقال اليعقوبي في تاريخه «**وكان للحسن ثمانية ذكور وهم: زيد.. وعمر والقاسم وأبو بكر وعبد الرحمن لأمهات شتى وطلحة وعبد اللَّه...**».

٣ ـ عُمَر بن يحيى بن الحُسين بن زيد الشهيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب

ذكر اسمه محمد الأعلمي الحائري في تراجم أعلام النساء تحت ذكر اسم «بنت الحسن بن عبيد اللَّه بن جعفر الطيار» ص ٣٥٩.

الثالث: ممن اسمه عثمان

١ ـ عثمان بن علي بن أبي طالب

قُتلَ مع الحُسين في كربلاء وأمّهُ أم البنين بنت حزام الوحيدية، راجع الإرشاد للمفيد ص ١٨٦ ـ ٤٢٨، أعيان النساء للشيخ محمد رضا الحكيمي ص ٥١، تاريخ

اليعقوبي في أولاد علي، منتهى الآمال للشيخ عباس القمّي ١/ ٥٤٤، التستري في تواريخ النبي والآل ص ١١٥ في أولاد أمير المؤمنين.

٢ ـ عثمان بن عقيل بن أبي طالب

ذكره البلاذري في أنساب الأشراف ص ٧٠ قال: «**ولد عقيل مسلمًا.. وعثمان**».

الرابع: ممن اسمهن عائشة

١ ـ عائشة بنت الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق

هي من بنات الإمام موسى الكاظم وذكر ذلك الكثير من عُلماء الشِّيعة أنفسهم بِمَنْ فيهم الشيخ المفيد في الإرشاد ص ٣٠٣، وعمدة الطالب لابن عنبه هامش ص ٢٦٦ والأنوار النعمانية لنعمة اللّه الجزائري ١/ ٣٨٠ .**والغريب أن الإمام موسى الكاظم له من الولد سبعة وثلاثون ذكرًا وأنثى واحدة سمّاها عائشة!؟**.

٢ ـ عائشة بنت الإمام جعفر بن موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق

قال العمري في المجدي: «**ولد جعفر بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق يقال له الخواري، وهو لأم ولد ثماني نسوة وهي: حسنة وعباسة وعائشة، وفاطمة الكبرى فاطمة (أي الصغرى) وأسماء وزينب وأم جعفر...**» سر السلسلة العلوية ص ٦٣ الهامش الذي كتبه المحقق.

٣ ـ عائشة بنت الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم

ذكرها ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت قال: «**ولد الرضا خمسة بنين وابنة واحدة هم محمد القانع والحسن وجعفر وإبراهيم والحُسَيْن، والبنت اسمها عائشة**» تواريخ النبي والآل للتستري ص ١٢٨.

٤ ـ عائشة بنت الإمام علي الهادي بن محمد الجواد بن الإمام علي الرضا

ذكرها الشيخ المفيد في الإرشاد ص ٣٤٤ قال: «**وخلف من الولد أبا محمد الحسن ابنه هو الإمام من بعده والحُسَيْن ومحمد وجعفر وابنته عائشة...**».

والحاصل أن الأئمّة عليهم السلام كانوا يسمّون أبناءهم بأسماء الصحابة، فإذا لم نقل أنه من قِبَل الموالاة فإنه على الأقل من باب الرضى والقبول بهذه الأسماء وعدم

كراهة هؤلاء الجماعة، ونحن لسنا بوارد إسقاط التهم عن أحد إنّما لنقول إنّ الأئمّة عليهم السلام مهما اختلفوا مع الآخرين المخالفين فإنَّ الكره والحقد والسَّبّ واللعن لم يكن يومًا بقاموسهم الشريف وكان ديدنهم بث القيم الإنسانية والمحبّة والتوعية في نفوس المخالفين، وإذا كنّا على عقيدة أئمتنا، فأئمتنا سمّوا أولادهم بهذه الأسماء، وهذا يعني أنه لم تكن هناك تشنُّجات تصل إلى حد العداوة والكراهية والقطيعة رُغم أنه صدر ما صدر من الخلفاء، فقد كان ما كان ومضوا...! والمحصّلة هي أنَّ في العهود الأولى في عهد أبي بكر وعمر وبداية عهد عثمان لم تكن الفتن قد انتشرت، ولم تنشأ فكرة أن حب علي وأبنائه عليهم السلام قد توحي ببغض الشيخين، أما في العهود الأخيرة حين نشأت الفتنة في عهد عثمان ثمَّ في عهد معاوية، ظهرت بذرة تلك الأهواء والضلالات والكراهية والأحقاد.

وعلينا أن نفرّق بين الخلفاء الثلاثة والسيدة عائشة من جهة، ومعاوية وولده يزيد من جهة أُخرى، وهذا ما أشار إليه بعض علمائنا ومنهم الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري حيث يقول:

(صحيح أنّه ليس هناك فرق لدى عوام الشِّيعة بين يزيد وغير يزيد، ذلك أنَّ الجميع عندهم باطل، وغاصب، لكن الحقيقة هو أن هناك فرقًا بين هذا وذاك من الخلفاء، فعلى سبيل المثال، عندما أراد الناس من أمير المؤمنين عليه السلام أن يبايع عثمان، قال: «**لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاسًا لِأَجْرِ ذَلِكَ، وَفَضْلِهِ، وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ**»[1]. كما أنّه قال عليه السلام أثناء البيعة لأبي بكر: «**شُقّوا أمواج الفتن بِسُفُن النُجاة**»[2].

إذًا، هناك فرق بين غاصب يحافظ على الشأن العام حتى وإن كان السبب المصلحة الذاتية، وبين آخر لا يهُمُّه شيء، ويزيد هذا كان يختلف تمامًا عن أسلافه كافة...)[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ط٢، ج٦، ص١٦٦، خطبة (٧٣).

(٢) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج١، ص٢١٣، خطبة(٥).

(٣) الملحمة الحسينية، الدار الإسلامية (١٤١٣هـ، ١٩٩٢م)، ط٢، ج٣، ص٨٦.

وأخيرًا نسأل: كيف يُعقل أن يُلعن «**بنو أُميّة قاطبة**»؟! كما جاء في زيارة عاشوراء «**ولعن اللهُ بني أُميّة قاطبةً...**» والتاريخ يروي لنا كما روى الشيخ كمال الدين الدميري في كتابه «حياة الحيوان»: «أن معاوية بن يزيد [بن معاوية بن أبي سفيان] خَطَبَ المسلمين بعد توليه الخلافة فقال: **ألّا إن جدّي معاوية قد نازع هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره لقرابته من رسول الله ﷺ** وعظيم فضله وسابقته، أعظم المهاجرين قدرًا وأكثرهم علمًا وأولهم إيمانًا وأشرفهم منزلة وأقدمهم صحبة» إلى أن يقول: «فركب معه ما تعلمون وركبتم معه ما لا تجهلون، ثمَّ انتقلت الخلافة إلى أبي فتقلّد أمركم لهوى كان أبوه فيه **ولقد كان أبي يزيد لسوء فعله وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أُمّة محمد فركب هواه واستحسن خطاه وأقدم على من استحل حرمته من أولاد رسول الله ﷺ، فقلّت مدته وانقطع أثره وصار حليف حضرته رهين خطيئته وبقيت أوزاره وتبعاته** وحصل على ما قدم وندم، حيث لا ينفعه الندم وشغلنا الحزن له من الحزن عليه، فليت شعري ماذا أقول وماذا قيل له. هل عوقب بإساءته وجُوزيَ بعمله»[١].

إذًا فليس كل بنيّ أُمية كانوا ضد أهل البيت عليهم السلام، بل ويظهر عليه أنه من الموالين لعلي عليه السلام فكيف يُلعن الصالح بصدى الطالح..؟!

ونستذكر هنا الخليفة الصالح عُمَر بن عبد العزيز، فبعد أن سنَّ خلفاء بني أُمية مسبّة أئمة الشِّيعة وأعلامهم وأمروا ولاتهم بالأمصار بمسبتهم على المنابر كل يوم جمعة واتخذوا ذلك سُنَّة مشوا عليها، أمر الخليفة عُمَر بن عبد العزيز بترك اللعن فقالوا عنه أنه ترك سيرة السَلَف[٢].

فهل من العدل والتقوى أن نلعن بني أُمية قاطبة! وهل يجوز ذلك من الإمام الباقر عليه السلام..!!؟ بالطبع لا وحاشا للإمام الباقر عليه السلام أن يُقدم على ذلك..!!

والنتيجة أنَّ هذه الزيارة من وضع المغرضين، وأنّ التزوير والتحريف طالها ومنها ما يتصل بالصراع المذهبي الذي استغل الدين والمذهب لأغراض سياسية.

---

(١) كتاب «حياة الحيوان»، الشيخ كمال الدين الدميري، الجزء الأول، ص٦٩، من الطبعة البولاقية.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ط٢، ج٤، ص٥٦، ٥٨، ٥٩.

خامسًا: أسلوب التعامل مع الكافر (المخالف)

لقد أرسى القرآن الكريم أسلوب «**كيفية التعامل مع الكُفَّار والمشركين**» وأشار إلى الطرق التي ندعو بها هؤلاء الضالين إلى الإسلام، ولأن الطريقة هي التي تساهم في الهداية أو بقائهم بالضلال كان نبينا ﷺ الأسوة في ذلك، وإذا استقرأنا القرآن لن نجد غير كلامات «**التسامح**» وأخواتها «**العفو**»، «**الصفح**»، «**الإحسان**» «**دفع السيئة بالحسنة**» «**الإعراض عن الجاهلين**» وكل هذه المعاني لا تخرج عن عنوان رئيسي اسمه (**التسامح**) وفروعه.، وسنجد ذلك جليًا في آيات القرآن الكريم كما يلي:

١ - ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[(١)].

يقول الإمام الخُميني (قُدِّس سره) في خصوص رحمة ومحبة النبي ﷺ:

«... إن أعلى من مرتبة [غلبة العقل على جميع القوى] هو أن تصبغ القوّة العاقلة بالصبغة الإلهية وأن تتعلّق قوّة العشق بالكمال الإلهيّ المطلق، بحيث إنّ أيّ عمل يُعجن بالحبّ الإلهي ﴿...فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾[(٢)].

طبعًا إنَّ هذا المقام لا يتيسّر لأي كان إنّها مرتبة النبيّ الأكرم ﷺ مرتبة ﴿...رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[(٣)] بحيث لو نظر إلى الحجر لنظر نظرة عطوفة لأنّه سيجد فيه أثر المحبوب، حتّى نظرته لأبي جهل كانت نظرة الرحمة وقتله له كان رصاصة الرحمة، لأنّه كان يعلم أنّ بقاء أبي جهل في دار الدنيا يعني زيادة في خسرانه، لأنّ نظم الأمور ورعاية حقوق الآخرين يُلقي على النبي ﷺ مسؤولية قطع العضو الفاسد والّذي سيمتدّ فساده إلى الآخرين.

فالنبي الأكرم ﷺ كان يحزن لهؤلاء الكافرين لأنّهم لم يهتدوا إلى الإسلام وإلى الإيمان، وقد جاء في الآية الشريفة: ﴿...فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ﴾[(٤)]،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٨.

إنّك تريد أن يهتدي الجميع إلى نور الإيمان... أن يكون للجميع نور يمشون به، فلو كان الأمر كذلك لانتهت النزاعات في الأرض».

إن شدّة ارتباط ومحبة النبيّ الأعظم ﷺ للصديق والعدوّ كانت من أجل إرادة الخير والصلاح للمجتمع ولتأمين السعادة والطمأنينة للبشر، وإذا ما وجدنا في حالات خاصّة أنّ هذا العظيم اضطّر إلى استعمال القوّة «والسّلاح» فإنّما كان من أجل الدفاع عن كيان الأُمّة الإسلامية، والذي ينتهي في الحقيقة إلى إرادة الخير والصلاح للمجتمع.

«كما كان نبيّ الإسلام ﷺ رحمة ورحيمًا بالمؤمنين، كان كذلك للكافرين، بمعنى أنه كان يحزن على الكفّار لبقائهم على كفرهم الّذي سيؤدّي بهم إلى جهنّم، فهو قد أُرسل لينجّي هؤلاء الكفّار وهؤلاء العُصاة، والله قد خاطبه بسبب حزنه هذا فقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾. كأنك تريد أن تهلك نفسك بسبب أنّهم لم يؤمنوا ولم ينالوا خطّ النجاة...»[1].

وفي نفس السياق يقول السيد محمد حسين فضل الله في شرح الآية: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾:

«فمن خلال هذه الآية نرى كيف حدَّثنا القرآن الكريم عن شخصية الرسول ﷺ في خلقه العظيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾﴾[2] وفي طريقته في مواجهة السلبيات المتنوعة الموجّهة إليه من قِبَل الآخرين، فيما يحمله قلبه من وداعة ورقةٍ ورحمة، تحتوي كل ما حولها ومن حولها في عملية حب وحنان وفيما يفيض به لسانه من كلمات اللين والرفق لتنفذ إلى قلوب الآخرين بأقرب طريق، لتلقي بهم في الأجواء الخيّرة المنطلقة بكل إيجابيات الساحة وحركاتها، وهكذا تتوارد الآيات لتجعل من شخصية الرسول النموذج الأكمل في حركة قصة مشاعر وأحاسيس تجاه الآخرين، فيما يمثّله من مواقف تجسّد الروح وتفتق الأفق، وتحتوي الساحة بإيجابياتها

---

(١) نقلًا عن «سلسلة الفكر والنهج الخميني ـ الرسول الأكرم» ـ مركز نون للتأليف والترجمة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت/ لبنان (أيلول ٢٠١١م ـ ١٤٣٢هـ) ص٤١ ـ ٤٦.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

وسلبياتها، وتحبّ الناس فتجعل من الدعوة فعل محبّة وانفتاح، بدلًا من أن تكون فعل كره وانغلاق. . .

وذلك هو ما يجب أن يتمثّله الدعاة إلى اللّه والعاملون في سبيله في تربية شخصيتهم على الآفاق الروحية الجديدة للدعوة. . .»[1].

وقد يقول قائل أن النبي معصوم، ونحنُ لسنا كذلك؟

إذًا ما معنى أن نتأسى بالنبي محمد ﷺ وبأهل بيته الطيبين الطاهرين: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[2]؟!!.

٢ ـ ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[3].

عندما ندعو إلى طريق الهدى فيجب علينا أن تكون الحكمة هي الأساس في الدعوة، والحكمة تقتضي أن تكون لغتنا مع الآخر، لغة الموعظة الحسنة في الهداية والإرشاد، حتى نكسب أكبر عدد ممكن منهم إلى صف الدين والعقيدة، أما إذا كانت اللغة هي السَّبّ واللعن والشتيمة والعداوة فذلك هو إثارة للكافر بحيث توجّه له ضربة في كبريائه وكرامته في الصميم، عندها لن يكون هنالك جدال بالتي هي أحسن إنّما تخاصم وتقاتل. وهذا بالطبع ما لا يريده اللّه منّا كما جاء في الآية الكريمة.

٣ ـ ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[4].

٤ ـ ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾[5].

---

(١) أسلوب الدعوة في القرآن، دار الملاك/ بيروت، ١٣ رجب ١٤٠٢هـ، مقدمة الطبعة الرابعة.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٤.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

يقول السيد محمد حسين فضل الله:

«إنها دعوة اللّه إلى الإنسان، هذه الدعوة الصافية التي توحي إليه بأن مهمته في الحياة هي أن يثير في الإنسان عوامل الخير، ويلتقي بها في عملية استثارة واستثمار، بدلًا من عوامل الشر التي تهدم ولا تبني، وتضر ولا تنفع... وتدفعه ـ في الوقت نفسه ـ إلى أن يجعل «اختيار الأحسن» في كل شيء وفي كل جانب من حياته، شعاره الذي يرفعه في كل زمان ومكان»[1].

٥ ـ ﴿...وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)﴾[2].

٦ ـ ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)﴾[3].

٧ ـ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣)﴾[4] ولكن إذا هذا الكافر لم يَسْتَجِبْ إلى نداء الهداية فما هو الأسلوب الذي تتّبعه معه؟ الجواب في الآيات التالية:

٨ ـ ﴿...فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[5].

٩ ـ ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[6].

١٠ ـ ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[7].

١١ ـ ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)﴾[8].

١٢ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧)﴾[9].

---

(١) أسلوب الدعوة في القرآن، دار الملاك/بيروت، مقدمة الطبعة الرابعة (١٣ رجب ١٤٠٢هـ) ص٦٠.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٢.
(٣) سورة طه، الآيتان: ٤٣، ٤٤.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.
(٨) سورة المائدة، الآية: ١٣.
(٩) سورة الشورى، الآية: ٣٧.

١٣ ـ ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[١].

١٤ ـ ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾[٢].

١٥ ـ ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾[٣].

ونستخلص ممّا تقدّم ثلاثَ نقاط للتعامل مع الكافر:

أ ـ البحث عن الطرق الحسنة والسلمية والهادئة.

ب ـ بذل كل المجهود لإخراجه من الظلمات إلى النور.

ج ـ إن لم يَسْتَجِبْ ندعُ له بالهداية والصفح والاستغفار.

إذًا فالأسلوب الذي شرّعه اللّه في القرآن، ورسمه للنبي الكريم وللدعاة من بعده هو أسلوب اللين والجدال بالتي هي أحسن وهو الأسلوب الأنجع في أن يستقطب إنسانًا ضلَّ الطريق وكفر.

يقول السيد محمد حسن الكشميري في تكفير أبي بكر وعمر:

(إنَّ أبا بكر وعمر لا يمكن لأحد أن ينسب إليهما الكُفْر ولا التنصّب وقد كان السيد الإمام الخوئي رحمه الله واضحًا في ذلك حيث قال في بحوثه مرارًا في النجف الأشرف بأنّ أبا بكر وعمر ليسا بكافرين وليسا بناصِبِيَّيْن (لاحظ في بحوث الإمام الخوئي حول النجاسات) نعم إنهما نازعا عليًّا الخلافة والأُمرة» أمَّا ما ورد في البحار من أحاديث فلربما تكون مهزوزة السند أو موضوعة ولا يقيم لها الإمام الخوئي وزنًا أبدًا)[٤].

وهنا يحضرني سؤال: إذا كان الخلفاء كُفّارًا في نظر البعض، فكيف يطلب

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٤.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٤) نقلًا عن كتاب «بين قوسين ـ جولة في دهاليز مظلمة» دار النصر/ بيروت، سؤال رقم (٥٩) ص٢٤٣.

الإمام الحسن عليه السلام من معاوية في المعاهدة التي وقَّعها الفريقان في المادة الأولى العمل بكتاب الله وسُنة رسوله وبسيرة الخلفاء!؟ فقد جاء في المعاهدة:

«المادة الأولى: تسليم الأمر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم **وبسيرة الخلفاء** والصالحين»[1]؟!.

سادسًا: من حِكَمِ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تؤكد جانب الحُبّ والعفو والإحسان وردت في كتاب نهج البلاغة

١ ـ أَحْبِب حَبِيْبَكَ هَوْنًا مَّا عَسَى أَن يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَّا، وَابْغِض بَغِيضَكَ هَوْنًا مَّا عَسَى أَن يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَّا[2].

٢ ـ لا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَت مِن أَحَدٍ سُوءًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَها فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا[3].

٣ ـ إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلَ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ[4].

٤ ـ عَاتِب أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وارْدُد شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ[5].

٥ ـ خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِن مُتُّم مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وَإِن عِشْتُم حَنُّوا إِلَيْكُمْ[6].

٦ ـ إِحْصُدِ الشَّرَّ مِن صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِن صَدْرِكَ[7]:

هذا الحديث المروي عن حِكَم أمير المؤمنين علي عليه السلام، هو من أجمل الأحاديث تعليمًا وتربية، وفي بداية المعرفة يجب أن يتحلى به العبد تقديمًا، لأن الإنسان في الفطرة يُخلق طيّبًا يُحب الخير، ثمَّ تُدنّس الفطرة إن عاشر صاحبها

---

(١) نقلًا عن كتاب النهضة الحسينية، ـ مصادر وأخبار الأيام المدنية ـ السيد محمد حسن ترحيني العاملي دار الهادي، ط١ (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م) ص٢٠٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ط٢، ج١٩، ص١٥٦، حكمة (٢٧٤).

(٣) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، ج١٩، ص٢٧٧، حكمة (٣٦٦).

(٤) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، ج١٨، ص١٠٩، حكمة (١١).

(٥) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، ج١٨، ص٣٧٨، حكمة (١٦٠).

(٦) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، ج١٨، ص ١٠٧ حكمة: (١٠).

(٧) شرح نهج البلاغة، المصدر نفسه، ج١٨، ص٤١١، حكمة (١٨٠).

الأشرار أو مارس الشر ثمَّ تعوّد عليه، وقد يمارسه بكثرة فيظهر منه علمًا وعملًا وقولًا وفعلًا، والعياذ باللَّه منه.

وإلَّا لو كان هو شريرًا ويعمل الشر، ويظهر منه بين فترة وأخرى أعمال الشر، بل لو يضمر الشر وينويه للآخرين، لا يمكن أن يكون مصلحًا ولا يصدّق، لأن حاله تحكي عن خلاف قوله، ونيته الشريرة تنبىء عن حقيقته بروح منتنة تنشر روائح خبيثة من فحوى كلامه أنه غير صادق، لا يؤثّر فيمن يسمعه، لأنه لا يتمتع بحقيقة الموعظة الحسنة، والكلمة الطيبة والقول الحق. والداعي إلى الصلاح تنبع موعظته من القلب، فيؤثّر في قلب من يسمعه، وبعدها يؤثّر في غيره فيصدّقه فتكون النتيجة استجابة مِمَّن يسمعه.

فأول الأمر: يجب أن ينزع الإنسان من قلبه الشر بل على قول أمير المؤمنين عليه السلام أن يقتلعه من جذوره، ولا يجعل في نفسه أدنى نية في الشر ولا أثر في قلبه لعمل الشر ولو بمقدار ذرة، فإنَّ كان بهذه الصورة فتكون موعظته حسنة ومؤثّرة، بل يكون داعيةً للخير والصلاح بوجوده وبحركاته وسكناته وبكل تصرف له فضلًا عن قوله، بل يكون مصِلحًا بهيئته ورؤيته.

ومسألة أهمية التربية النفسية: اللَّه سبحانه وتعالى أكد عليها في كلامه في القرآن الكريم كثيرًا، وإن أهميتها قد تفوق العملَ نَفْسَهُ، ولذا لكي نتمكن من معرفة معنى الحديث الكريم وأهميته ومن ثمَّ تصديقه، والتحلي به بل والتجلي به، أنه يجب علينا أن نتخلّى عن الشر من أنفسنا، ثمَّ ننوي الخير ونعمله لنحصد وننزع الشر من الغير ونجعلهم يتخلون عنه، فنكون قد حققنا أهم وأغلى آداب الدين، وأول خُلق من أخلاق المؤمنين وأصل معارف الهدى والتحلّي بها.

قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾[1].

فأولًا: على المؤمن إصلاح نفسه والتخلّص من كل نية شرّ يضمرها للآخر؛ وبالتالي يظهر أمام الآخرين بمظهر المتقي الفاعل للخير قولًا وعملًا، لأن اللَّه لا

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

يرضى عمّن في نفسه شر، فضلًا عمّن يعمل الشر، وأحد هذه الشرور بغض الآخر ولعنه وسبه، ومن ثمَّ إن تحققت روح العبد بالخير، يمكن أن يقلعه من الآخرين وينزعه بقدر قوته المؤمنة الروحية، ولذا اللَّه سبحانه، ذمَّ من يأمر بالبر والخير، وهو ينوي الشر وخلاف الخير، فقال سبحانه وتعالى:

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]. فمن يعرف آداب اللَّه لا يمكنه أن يأمر بالبر ونفسه غير صالحة وتضمر الشر للغير.

فكما تنوي وتعامل الناس ينوون لك ويعاملونك، وهذه الحقيقة هي نفس ما ذكر الإمام علي عليه السلام، إن كنت تحب الخير فاقلع الشر من قلبك وانوِ الخير أبدًا، تصلح الآخرين، فإنه ما من إنسان إلَّا وله شيء من الحياء والمعامله بالمثل، فلا يضل أبدًا، أنت تعامله بالخير وهو يعاملك بالشر فلا بُد أن يأتي اليوم الذي يكف فيه.

جميل جدًا أن تجعل من عدوك صديقًا، والأجمل ألَّا يتسع قلبك للعداوة لينفجر يومًا ما فيك!

سابعاً: أين ابتدأ ما يُسمّى البراءة من مخالفي أهل البيت عليهم السلام

إن أوّل من أظهر البراءة من مخالفي الإمام علي عليه السلام هو عبد اللَّه بن سبأ: وهو يهودي أسلم ووالى عليًا وأخذه الغُلوّ لدرجة أنه أوّل من قال بألوهية وربوبية الإمام علي عليه السلام وادعى لنفسه النبوة.

جاء في تاريخ الطبري (ج ٤ ص ٤٨٠ ـ مؤسسة عز الدين ط ٢، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧) والكامل لابن الأثير (ج ٣ ص ٧٧) والبداية لابن كثير (ج ٧ ص ١٦٧) وتاريخ دمشق لابن عساكر (ج ٢٩ ص ٧، ٨) من كتب التاريخ ضمن أحداث سنة (٣٥ هـ):

«أن عبد اللَّه بن سبأ كان يهوديًا من أهل صنعاء، أُمّهُ سوداء فأسلم زمان عثمان بن عفان، ثُمّ تنقّل في بُلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثمّ البصرة ثمَّ الكوفة ثمَّ الشام يُريد إضلال الناس فلم يقدر منهم على ذلك فأخرجه أهل الشام فأتى مصر فأقام فيهم وقال لهم: إنَّهُ كان لكل نبي وصي وعلي وصي محمد فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ووثب على

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

وصيه وأن عثمان أخذها بغير حق فانهضوا في هذا الأمر وآبدَؤوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. . .».

وجاء في كتاب «**فِرق الشِّيعة**» للنوبختي (إمامي من أعلام القرن الثالث الهجري) أنَّ: «**عبد اللَّه بن سبأ**» كان أوّل من حثَّ على الغُلوّ وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال إنَّ عليًّا عليه السلام أمره بذلك فأخذه علي عليه السلام فسأله عن قوله هذا فأقرَّ به فأمر بقتله فصاح الناس إليه:

«يا أمير المؤمنين أتقتل رجلًا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك، فصيّره إلى المدائن، وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد اللَّه بن سبأ كان يهوديًا فأسلم ووالى عليًّا وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام وأظهر البراءة من أعداء أمير المؤمنين عليه السلام وكاشف مخالفيه، فمن هناك قال من خالف الشِّيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية ولمّا بلغ عبد اللَّه بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه؛ كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمُت ولم يُقتل ولا يموت حتى يملك الأرض»[1].

وقد أشار إلى ذلك المؤرخ والمحقق السيد هاشم معروف الحسني حيث قال:

«لقد حارب أمير المؤمنين فكرة الغُلوّ بشدة حينما ظهرت بوادرها بقيادة عبد اللَّه بن سبأ كما يدّعي الاخباريون والمحدّثون وعاقب عليها بالقتل والإحراق بالنار، وكان يحرص أشد الحرص على أن يبقى في الأذهان والأفكار صورة للإنسان المخلوق الذي لا يستطيع أن يفعل شيئًا ما لم تمده القُدرة الإِلهية بعنايتها ورعايتها، ولم يقدم على أي عمل تضيق به عقول العامة ويستغله المشعوذون لتنفيذ مخططاتهم وأغراضهم التي تستّروا بالتشيُّع والولاء لتحقيقها»[2].

---

(١) انظر «فِرق الشِّيعة» للنوبختي ص ٢٢، ٢٣، الملل والنحل، للشهرستاني، ١: ١٥٤، ١٥٥، ورجال الكشي ص ١٠١، مؤسسة الأعلمي بكربلاء، وتنقيح المقال في أحوال الرجال للمامقاني طبعة المرتضوية في النجف ١٣٥٠ هـ ـ وقاموس الرجال ٥/ ٤٦٢، شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، الجزء الثامن، ص١٢٠.

(٢) الموضوعات في الآثار والأخبار، ص٢٧٩، ٢٨٠.

وقد قال البعض أن عبد اللَّه بن سبأ شخصية وهمية(*)، حتى يبعدوا عن المذهب أي موضوعات من قبله، لماذا؟! يجب علينا أن نعترف أن هنالك موضوعات في المذهب بسبب أحقيته وقد حورب من قبل هؤلاء الغُلاة الوضاعين، واستطاعوا أن ينفذوا إلى المذهب بالكثير من الأفكار والشوائب التي يجب نزعها من المذهب لأنها بعيدة كل البُعد عن الدين وخط أهل البيت عليهم السلام..!!

وتأكيدًا على وجود عبد اللَّه بن سبأ نذكر بعض علماء الإمامية الذين يؤكدون ذلك:

يقول الشيخ الصدوق:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه إلى السماء وَلْيَنْصَبَّ في الدُّعاء، فقال ابن سبأ: يا أمير المؤمنين أليس اللَّه عزَّ وجلّ بكل مكان؟ قال: بلى قال: فلِمَ يرفع يديه إلى السماء، قال: أوما تقرأ (في السماء رزقكم وما توعدون) فمن أين يطلب الرزق إلَّا من موضعه وموضع الرزق وما وعد اللَّه عزَّ وجلّ السماء»[1].

ويؤكد ذلك الشيخ الطوسي قائلًا:

«عبد الله بن سبا، الذي رجع إلى الكفر وأظهر الغلو»[2].

يقول أبو عمرو الكشي:

عن أبي عبد اللَّه قال: «لعن الله عبد اللَّه بن سبأ، إنَّهُ ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام وكان واللَّه أمير المؤمنين عليه السلام عبدًا للَّه طائعًا، الويل لمَن كذّب علينا، وإن قومًا يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى اللَّه منهم»[3].

(*) حاول السيد مرتضى العسكري في كتابه «عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى» التشكيك بوجوده، فأثبت ضعف الراوي سيف بن عمر التميمي المتوفى بعد عام ١٧٩ هـ، المصدر الرئيسي للطبري، والذي يضخّم دور ابن سبأ في الفتنة الكبرى، وينسب إليه كثيراً من الأعمال، ليقول العسكري: إن ابن سبأ أسطورة مفتعلة ورجل مختلق، ولكن العسكري لم يتطرق إلى الروايات الشيعية الكثيرة التي تؤكد وجود ابن سبأ، وتنسب إليه القول بالغلو، وتلعنه على لسان الأئمة من أهل البيت، كما سترون، وليس في أحدها رواية عن سيف بن عمر، كما نفى الدكتور علي الوردي والدكتور طه حسين، والدكتور كامل مصطفى الشيبي، وجود عبد الله بن سبأ بناءً على تضعيف رواية سيف بن عمر المشحونة بالخيال الواسع..

(١) من لا يحضره الفقيه، دارالأضواء/ بيروت، ج١، ص٢١٣.

(٢) رجال الطوسي، مؤسسة النشر الإسلامي/ قم، ص٧٥.

(٣) «معرفة أخبار الرجال» الكشي، ص٧٠، ٧١.

ويروي الكشي في (رجاله): بسنده إلى أبي جعفر: «أن عبد اللَّه بن سبأ كان يدّعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو اللَّه تعالى»[1].

يقول المامقاني: «عبد اللَّه بن سبأ الذي رجع إلى الكفر، وأظهر الغُلوّ: غالٍ ملعون حرّقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار، وكان يزعم أن عليًّا إله، وأنه نبي»[2].

وكذلك العلّامة الحلي حيث يقول:

«عبد الله بن سبا، غال ملعون حرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار، كان يزعم أن عليًا عليه السلام إلٰه وأنه نبي، لعنه الله»[3].

وأيضًا سعد بن عبد الله الأشعري القمي، الذي يقول عن السبئية:

«وقالوا بعد ذلك في علي أنه إلٰه العالمين»[4].

فالواضح أن أوّل من أظهر الطعن هو عبد اللَّه بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام إلَّا أنه بقي على يهوديته ليفتك بالدين الإسلامي وخط أهل البيت عليهم السلام عن طريق بث الغُلوّ والتحريض والفتنة ومنها التبرؤ من أبي بكر وعمر وعثمان وكل من خالف أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام من الصحابة وادعاؤه حب أمير المؤمنين حتى يصدّقه الناس، وهذا ما حدث، فتلقفها بعض الشِّيعة وأخذت تسري في المذهب حتى أصبحت كما يقولون من العقيدة!

وقد يقول البعض أنه يوجد عندنا روايات كثيرة تنسب اللعن والسَّبّ أو الحث على البراءة والوقيعة، فهل يمكن قبول هذه الروايات كما الرواية التالية: «عن داود بن سرحان عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قالَ قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي، فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس، ولا يتعلموا من بدعهم، يكتب اللَّه لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»[5].

---

(١) «رجال الكشي» الكشي طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ كربلاء، ص ٩٨.

(٢) تنقيح المقال في علم الرجال (٢/ ٣٨٣، ١٨٤).

(٣) رجال الحلي، دار الذخائر/ قم، ص٢٣٧.

(٤) الأشعري القمي، المقالات والفِرق، ص٢١.

(٥) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب مجالسة أهل المعاصي، ج٢، ص٣٧٥.

فبالرغم من أن هذه الرواية من حيث السند تامة إلَّا أنَّ متنها لا يمكن قبوله والأخذ به لأنها تصطدم وتتعارض مع الآية الكريمة ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1] فالآية تنهي عن السَّبّ مطلقًا حتى لآلهة المشركين، بينما هذه الرواية تقول أكثروا من سبّ أهل البدع: (وأكثروا من سبهم) ولا شك أن السبب الذي حُرّم من أجله السَّبّ في الآية موجود هنا بالإضافة إلى إشكالات أخرى في الرواية فتسقط أمام القرآن الكريم.

فالخلاصة أن الطعن والتبرؤ لم يأتِ من الأئمّة عليهم السلام إنّما جاء من المغالين. . !!

ولو تأملنا قليلًا إلى ألقاب الأئمّة عليهم السلام لوجدناها، المرتضى، المجتبى، الشهيد، السجّاد، الجواد، الكاظم، الرضا، الصادق، الباقر. . . فكل هذه الألقاب تحمل قيمة أخلاقية كبرى يستحيل على أصحابها أن يبثوا الفرقة والكراهية والعداوة ضد من يخالفهم. بل إنَّه يتداعى إلى أذهاننا لدى سماعنا هذه الألقاب على أنها خصائص تميّز أئمتنا عليهم السلام عن الآخرين، وهي خصائص تنطوي على معانٍ دقيقة ولطيفة وعميقة ورائعة، البعض يريد أن يُلبس أئمتنا عليهم السلام ثوب اللعن والعداوة وهم عليهم السلام ليسوا كذلك وهم براءٌ منه. . .

ويبدو أن الولاء أصبح يُقاس بمدى حقدك على الآخرين وليس بمدى سعة صدرك لنشر رسالة الإسلام التي جسّدها أهل البيت عليهم السلام وبمدى أخلاقك وتسامحك وعفوك. . . !!

من يقم بالطعن سيصل إلى مرحلة يصبح قلبه ممتلئًا بالكراهية والغل والحقد، وهذا ما لا يتفق مع ما أنزله اللّه تعالى في محكم آياته: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[2] وما هو القلب السليم؟

هو القلب الذي لا يحمل الحقد والكراهية والغل، بل يحمل المحبّة والخُلق الرفيع والأدب والإحسان والهداية للصديق والمخالف على السواء!

لذا نخلص إلى أن: **متن زيارة عاشوراء من لعن لا يتوافق والدين الحنيف ونهج وسلوك النبي والأئمّة عليهم السلام.**

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

كل من يناقش علميًا ومنطقيًا زيارة عاشوراء وغيرها يُحكم بالضلال!

لماذا كل من يناقش في سند زيارة عاشوراء أو يضعِّفه أو يشكك في بعض فقراتها أو يدّعي التزوير فيها يُحكم عليه بالضلال. . .؟!

ثم من أين جاءت هذه الملازمة؟

وهل مذهب أهل البيت عليهم السلام بلغ من الضعف عند هؤلاء أنه قائم على زيارة عاشوراء فإذا سقطت سقط معها؟!

ومن أين جاءت الملازمة بين حب أهل البيت عليهم السلام ووجوب التبرؤ من مخالفيهم؟!

ثم من أين جاءت الملازمة بين المناقشة في ثبوت زيارة عاشوراء سندًا ومتنًا وبين نهضة الإمام الحُسين عليه السلام؟

فهل يسري هذا الحكم على مَن لم ينقلها في القرون الأولى وبالأخص القرن الثالث والرابع. . . كالشيخ الكليني والشيخ الصدوق والشيخ المفيد أم لا. . .؟

وهل يشمل هذا الحكم ابن قولويه الذي نقلها بدون اللعن للخلفاء؟

هل الحكم يشمل ابن طاووس الذي لم ينقلها في (الإقبال) ونقل الزيارة الأخرى برواية عبد اللّه بن سنان فقط؟

ولماذا لا يوجد اللعن للخلفاء في هذه الزيارة في (المصباح الصغير) المخطوط في القرن السادس الهجري بينما المنقول عنه في (مصباح الزائر) موجود فيه اللعن للخلفاء؟

فهل حُرِّفَ وزُوِّرَ في كلام ابن طاووس كما فُعل (بالمصباح المتهجّد الكبير)؟

وهل هذا الحكم يشمل مَن حقق كتاب (مصباح المتهجّد) وقال أن اللعن لا يوجد في النسخة الرضوية؟

وهل يشمل هذا الحكم الشيخ عباس القمّي عندما تكلّم عن الدس في زيارة وارث؟ أو مختص بزيارة عاشوراء. . .!![1]

وهل يشمل هذا الحكم صاحب كتاب (لؤلؤ ومرجان) حسين النوري حيث تكلّم عن التزوير في زيارة وارث والبدع التي خرجت في وقته!؟[2]

---

(١) (٢) راجع كتاب «مفاتيح الجنان» طبعة دار إحياء التراث (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م) ط ١، ص ٤٦٦ ـ ٤٧٠.

وهل هذا الحكم يشمل السيد الخوئي لمّا سُئل عن هذه الزيارة سندًا ومتنًا، ولكنه في الجواب لم يتعرّض للسند؟ فهل يرى صحته ومبانيه تساعد على ذلك؟ أم أنه تركه خوفًا من ضجة الآخرين وعدم رضاهم؟

وهل الحكم يشمل صاحب كتاب (مشرعة البحار) آية الله محمد آصف محسني القندهاري الأفغاني والذي بدوره ضعّف هذه الزيارة؟ بل ضعّف آلاف الأحاديث من كتاب (بحار الأنوار)...

وهل يشمل هذا الحكم عشرات العلماء الذين حكموا بضعف هذه الزيارة وتحدّثوا عن ذلك في دروسهم وأصدروا كتبًا في ذلك فكانت النتيجة أن هُدّدوا برميهم بالكفر والضلال...؟

دور العلماء في حفظ مذهب أهل البيت عليهم السلام

إن أي دين من الأديان لا بد له من مراقب ومحافظ على ما جاء به حتى لا يدخل فيه ما هو خارج عنه أو يخرج منه ما هو منه.

في وجود الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو المحافظ الأول عليه، وبعد رحيله إلى الملكوت الأعلى جاء الأئمّة الميامين وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ليحفظوا الدين، ولكن بعد ارتحالهم عليهم السلام من يتحمل هذه المسؤولية الكبيرة؟.

إن مَن يتحمّل المسؤولية بعد الأنبياء والرسل والأئمّة هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء في حمل الرسالة والمحافظة عليها.

إن مهمّة العلماء هي استمرار لمهمّة الأنبياء والمرسلين الذين يبلّغون رسالات اللّه ويخشون اللّه فقط: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩﴾[1] ويحافظون عليها من التحريف والتبديل والزيادة والنقيصة وصد مَن يريد إدخال ما ليس من الدين فيه فإنَّ أعداء اللّه كان شغلهم الشاغل هو التحريف والتزوير.

وإذا ظهرت البدع فحتى لا تتحول إلى جزء من الدين فلا بد للعالم من إظهار علمه وإلّا سوف يكون مؤاخذًا على تركه لمسؤوليته ومهماته. قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: **«إذا ظهرت البدعة في أمتي فليظهر العالم علمه...»**[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٢، ص ٧٢.

وأما من يداهن أو يخاف التشهير به أو تسقيطه من قبل بعض الجهَلة فإنه إذا نجى منهم فلن ينجو من المساءلة أمام اللّٰه.

والغريب أن بعض العلماء هم الذين يحرّضون الناس على قراءة هذه الزيارة بل ويقولون أنّها من أوجب الواجبات ويجب المحافظة على اللعن لأنها تندرج ضمن (التولي والتبري) تولي الأولياء والأئمّة والتبري من أعدائهم، نعم هذا صحيح ولكن هل التبري يعني أن ألعن. . .؟!

يقول الإمام علي عليه السلام:

«قَصمَ ظهريَ إثنان: عالمٌ مُتَهتكٌ وجَاهلٌ مُتنسّكٌ، فالجاهلْ يغشُّ الناسَ بتنسّكِهِ، والعالمُ يغرُّهم بتهتكِهِ. .»[1].

فالعالم المتهتك هو الذي ـ وإن كان لديه مقدار من العلم إلّا أنه بالإضافة إلى ذلك ـ تصدر منه المخالفات فهو لا يمتلك المقدار الكافي من التقوى فيكون بذلك فاسقًا ولما كان العالم محط أنظار عامة الناس لأنهم يعتبرونه القدوة لهم في تصرفاته وعلاقته مع الله ومع المجتمع فإذا صدرت منه تلك الأعمال وكانت غير مرضية عند الله مما يؤدي إلى أن يكون ذلك العالم سببًا لإغواء الآخرين لعمل القبيح من الاعمال. . .

وكذلك الجاهل المتنسك، فإنّه لما كان مطيعًا لله بطريق قد يكون خاطئًا لعدم إصابته للطريق الصحيح لكونه جاهلًا فإنّه يضّل غيره بهذا الطريق الخاطئ والإمام عليه السلام يُظهر مدى عنائِهِ من هذين لِكَوْنِ ضررهما كبيرًا.

لا بُدّ من التخلي عن ثقافة التفسيق والتضليل والتكفير واللعن التي انبثقت عن ثقافة المتعصّبين والغُلاة، واعتبار «اللعن» لأعداء أهل البيت شرطًا للولاء وللهدى والإخلاص.

يجب علينا أن نتخلّص نهائيًا من كل مخلّفات وتراكمات ورواسب تلك الفترة الزمنية المتطرّفة والعمل من جديد لترتيب البيت الإسلامي الواحد وتحطيم الجدران المذهبية. . .!

إنَّ من الأخطاء الكبيرة التي يقع بها كلا الطرفين (السُنّي والشِّيعي) أنهم

(١) بحار الأنوار: ج٢، ص١١١، ح٢٥.

يحاكمون حقبة زمنية وفق معايير حقبة زمنية أخرى، والصحيح هو أننا يجب أن ننظر إلى كل حقبة بالمنظار الخاص بها وبظروفها وخصوصياتها، لا أن نقاضي تاريخ الأمس بقوانين اليوم وظروفه المختلفة!!

وفي حديثٍ سابق عن الإمام الرضا عليه السلام في خطابه لابن أبي محمود[1] وتحذيره من دس الغُلاة والأعداء في أحاديثهم بقوله: (وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا) ثمَّ يركز الإمام في المقطع الثالث على مطب السَّب والشتم واللعن وذكر العيوب للآخرين والتصريح بالأسماء والتي تُسمّى قديمًا بالمثالب فإنها ألغام كبيرة وفتاكة، فإنَّ الراوي إذا رواها وهي تتحدّث عن أعدائهم ومخالفيهم بالأسماء فالشِّيعة يروونها على أنّها صادرة عن أهل البيت عليهم السلام فتكون ذريعة لأعدائهم أن يسبّوا ويلعنوا أهل البيت بأسمائهم، فيقول عليه السلام: (وإذا سمعوا مثالب[2] أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا).

في هذا الأمر تحدّث سماحة المحقق الشيخ حسين الراضي قائلًا:

«إن ما يجري الآن في الساحة من بعض المغفلين المنتسبين لمدرسة أهل البيت (وقد يكون لهم موقعهم الديني المتقدّم بين الناس والمجتمع) من السَّبّ واللعن والشتم لمن يخالفهم هو في الواقع مطب كبير لأهل البيت عليهم السلام ومدرستهم، ويراد الكيد بهذا المنعطف الخطير. بل دخلت الدول الكبرى الاستعمارية على خط الطائفية والمذهبية وإثارة النعرات المذهبية بين السُّنّة والشِّيعة بشكل سافر فصارت تضرب على هذا الوتر الحسّاس حيث رأت هذه النغمة لها مشترون كثر من مختلف الأطراف، لذا نهيب بالمسلمين عمومًا وبالمؤمنين خصوصًا أن يعوا واقعهم ويجعلوا كلام الإمام الرضا عليه السلام نصب أعينهم وكأنه يعيش بينهم الآن.

وفي المقطع الأخير نبه الإمام عليه السلام على أهمية الموضوع بقوله: (يا ابن محمود: احفظ ما حدثتك به فقد جمعتُ لك فيهِ خيرَ الدنيا والآخرة).

ولسائل أن يسأل: ما هو خير الدنيا والآخرة الذي جمعه الإمام الرضا عليه السلام لابن أبي محمود ومن يأتي بعده؟؟

---

(١) عيون أخبار الرضا ج ١، ص ٢٧٢، باب فيما جاء عن الإمام علي بن موسى، المقطع الأخير من حديث ٦٣ طبع الأعلمي، وبحار الأنوار ج: ٢٦ ص ٢٣٩ والرواية معتبرة.

(٢) الثلب: شدة اللوم والأخذ باللسان، وثلبه ثلباً: إذا صرح بالعيب وتنقصه، والمثالب: للعيوب، الواحدة مثلبة.

والجواب واضح: فإنَّ هذه القواعد التي وضعها الإمام عليه السلام لشيعته ونبههم على الأساليب القذرة التي استعملها أعداؤهم من الوضع والتزوير وإثارة الفتن المذهبية والطائفية باسم الدين والمذهب، وأن يتنبهوا لها ويبتعدوا عنها كل ذلك كفيل أن يحفظ كرامتهم وعزتهم ومنعتهم ودماءهم وأعراضهم في الدنيا وحسن المثوبة بالآخرة»[1].

وحيث أنَّ البعض يشدد على زيارة عاشوراء ويقول أنّها تحافظ على خط التشيُّع وخط أهل البيت ونتيجة لِقراءَتِها لأنها تمثّل شعيرةً من شعائر الحُسين عليه السلام، بل وإنها عقيدة يجب الاعتقاد بها! نرى ماذا يجري للشِّيعة كل عامٍ في عاشوراء من تفجير وتقتيل وعند زيارة المقامات؟!!

ثمَّ نقول إنهم حاقدون علينا ويكرهوننا ويكفروننا..!

نعم هم يكرهوننا لأننا نسب ونلعن رموزهم الدينية، ويكفروننا لأننا ببساطة نُخرج الخلفاء من الإسلام فلقد اجتهد ـ بعض ـ الفُقهاء وأخذ يطبّق مضمون الآية الكريمة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2] على أبي بكر وعُمَر وغيرهما، إذًا فالبعض يكفّر رموزهم، فمن الطبيعي نتيجة التكفير تكفير مقابل، ونتيجة العداء عداء مقابل...!!

يقول المجلسي:

«لا مجال لعاقل أن يشك في كفر عُمَر فلعنة الله ورسوله عليه وعلى كل من اعتبره مسلمًا وعلى كل من يكف عن لعنه»[3].

«إن أبا بكر وعُمَر كانا كافرين الذي يحبهما فهو كافر أيضًا»[4].

إذًا ليسَ أبو بكر وعُمَر، فقط، كفّارًا في نظر المجلسي بل كل من يعتبرهما مسلمين! والحاصل إنَّ كل السُّنّة وعموم جمهور المسلمين كفّار في نظره!!

---

(١) نقلاً عن بحوث سماحته عن الموقع الألكتروني «الهداية» الخاص به.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٣) جلاء العيون، المجلسي، ص٤٥.

(٤) حق اليقين، المجلسي، ص٤٢٢.

وكذا المحقق السيد نعمة الله الجزائري في كتابه «الأنوار النعمانية»[1] يرى الشيء نفسه!

والسؤال: ما الذي سيقوله هذا المرجع أو هذا الفقيه أو هذا المعمم عندما يأتي يوم القيامة ويكون هو السبب المباشر أو غير المباشر في سفك دماء هؤلاء الشِّيعة الذين يسقطون نتيجة التحريض على السَّبّ واللعن من قبل هؤلاء؟!

يقول آية الله العظمى الإمام الشيخ محمد الخالصي عن المتلبسين بلباس أهل العلم:

«لقد تحدثت مع مختلف الطبقات، ووجدت أن أكثر الناس جهلًا هم أولئك الذين تلبسوا بلباس أهل العلم، وأن أكثر الأشخاص ضلالًا هم المتصدون للإرشاد، وأبعد الطبقات بُعدًا عن الإسلام هم الذين يتظاهرون بالإسلام من أفراد وجمعيات... فإذا تحدَّث أحد ليوضح حقائق الإسلام فإنّ اللادينيين يصغون له ليعرفوا ما يقول، أما المتظاهرون بالتدين فإنهم ليسوا مستعدين حتى للإستماع، ومن المحالَ إفهام هذين القسمين من الناس أن العالم لا يمكن إدارته إلا بتطبيق تعاليم الإسلام، لأن كلا القسمين ليس لديهم استعدادً للتفكير في مزايا الدين الإسلامي»[2]!

جاء في أصول الكافي في «باب الاذاعة» أو (الإفشاء) حديث رقم (٥):

روى يونس، عن العلاء، عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **«يُحشر العبد يوم القيامة وما ندى[3] دمًا فيُدفع إليه شبه المحجمة (قارورة الحجام) أو فوق ذلك فيُقال له: هذا سهمك من دم فُلان، فيقول: يا ربّ إنك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دمًا فيقول: بلى سمعت من فلان رواية كذا وكذا، فرويتها عليه فنُقلت حتى صارت إلى فلان الجبّار فقتله عليها وهذا سهمك من دمه»[4]!**

---

(١) انظر «الأنوار النعمانية» باب ظلمة في أحوال الصوفية والنواصب، ج٢، ص٣٠٧.

(٢) نقلًا عن كتاب «علماء الشِّيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين» دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١ (٢٠٠٩م) ص٤١٠.

(٣) قال في مجمع البحرين، مادة (ندا): ، «فلان ما ندا دماءه قتل قتلاً: أي ما سفك دماً» وقد كتبت في جميع ما وجدناه من الكتب بالألف، وعسى أن تكون بالياء هكذا (ندى) كرضى واحتمل في الوافي أن تكون (ندى) بتشديد الدال وذكر احتمالات كثيرة أما الحديث المذكور فقد استشهدنا به من أصول الكافي.

(٤) أصول الكافي، الكليني، دار الأضواء/ بيروت، ج٢، ص ٣٧٠، ٣٧١.

هذه الزيادة في زيارة عاشوراء واللعن بشكل عام بحاجة إلى وقفة من عُلماء الدين القيمين على المذهب بعد أن دقّ ناقوس الخطر وهم بغفلة عن ذلك بعلمهم أو بعدم علمهم، وبعضهم يساهم في ذلك بقصد أو بدون قصد. . !

المطلوب وقفة علمائية موحّدة لأجل ترسيخ عقائد المؤمنين الصحيحة!

الباب مشرّع، ولا يوجد من يضبط الاجتهاد أو الاستنباط، وكل فريق يعتقد أنه على حق وأنه مسدَّد من قِبَل اللّه. . . !!

يجب العودة إلى القرآن، فإنَّ به ما يشفي الصدور، وهو محفوظ من اللَّه، ولا يأتيه الباطل ولا يمكن التلاعب به، يقول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[1]. فالقرآن يدعونا إلى التعاون على البر والتقوى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[2] ويدعو إلى الوحدة الإسلامية حيث يقول اللّه في محكم كتابه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[3] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[4].

الخلاصة

في الختام أقول: إذا كان علي بن أبي طالب عليه السلام قد توحّد مع الخلفاء لأجل الدين وقد كان الناصحَ لهم في ذلك قال عليه السلام متحدثًا عن تولي أبا بكر الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «فتولّى أبو بكر تلك الأمورَ، فيسَّرَ وسَدَّدَ، وقارَب واقْتَصَدَ، وصَحِبْتُه مُنَاصِحًا، وأطعتُهُ فيما أطاعَ اللهَ فيهِ جاهدًا، وما طَمِعْتُ ـ أن لوْ حَدَثَ به حادث، وأنا حيٌّ أن يُرَدَّ إليّ الأمرُ الّذي نازعتُه فيه ـ طَمَعَ مُستيقنٍ، ولا يئستُ مِنْهُ يَأْسَ مَنْ لا يرجوهُ، ولولا خاصّة ما كان بيْنَهُ وبين عمر، لظننتُ أنّهُ لا يَدْفَعُهَا عَنّي؛ فلما احْتُضِر بَعَثَ إلى عُمر فولاّهُ فسمِعْنَا وأطَعنَا وناصَحْنا. . .»[5]

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٥) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م) ط٢، ج٦، ص٩٥، من خطبة له بعد مقتل محمد بن أبي بكر، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٣٣، ١٣٤.

وهو الذي دافع عن الخليفة عثمان عندما تمَّ الهجوم على داره، لماذا لا نتعلم منه عندما كان عليه السلام يحوطهم إحاطة الحريص على الدين والأُمة وكان يوجّههم حتى لا يخطئوا وكلنا يعرف مقولة: «**لولا علي لهلك عمر**»[1].

وهذا ما أكد عليه الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري قائلًا:

«وعلي عليه السلام كان يتعاون مع خلفاء عصره، على مختلف الصُعد القضائية، والسياسية، والعلمية، ويُشير عليهم في كل حين، ويدعمهم ويُساندهم، وقضاء علي وأجوبته العلمية في هذا المجال مشهورة.

وفي هذه الناحية، لا بد من الأخذ بعين الاعتبار، موقف الناس، ونظرتهم وحكمهم على مثل هذا الموضوع»[2].

لماذا لا نتوحد مع بعضنا البعض ضد العدو الحقيقي للإسلام؟

يكفي أننا جميعًا نشهد أن لا إله إلَّا اللّه وأن مُحمّدًا رسول اللّه!

يكفي أننا جميعًا نقرُ بالإسلام..!

اليهود والنصارى جَمّدوا خلافاتهم رُغم أنّها كانت كبيرة، وصفُّوا حساباتهم وزالت عداواتهم، وهاهم اليهود يوجّهون سلاحهم ضدنا لتمزيقنا وتفريقنا، فهل اليهود والنصارى أفضل منّا ونحنُ ندين بالإسلام؟ ربنا واحد ونبينا واحد وكتابنا واحد وديننا واحد وقبلتنا واحدة فلماذا الخلاف..؟!

لماذا الخلاف؟ و﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾[3]. إنَّ أخطر أمر هو أن يُضْرَب المسلمُ بالمسلم، ليكون الرابح بالنهاية هو العدو، الذي تمثّله اليوم الصهيونيَّةُ العالمية.

إن تضخيم بعض رجال الدين عناصر الاختلاف المذهبي إلى حد إضفاء الصبغة الدينية عليها وتصويرها جزءًا من العقيدة الإسلامية وضروريات الدين، يؤدي إلى إشعال نار فتنة مذهبية عفنة تحرق الأخضر واليابس، وعلى الرغم من رفض البعض لهكذا فتنة، إلّا أن المُتطرّفين من الفريقين راح يكفّر بعضهم بعضًا، ويؤجّجون نارًا لا

---

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/١١٣.

(٢) الملحمة الحسينية، ج٣، ص١٠٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٤.

تحرقهم فقط، وإنما تحرق الكثير من الناس البسطاء الذين ليس لهم من الهوية المذهبية إلّا الاسم.

ومن الواضح أن هؤلاء المذهبيين يجانبون القرآن الكريم الذي يدعو إلى الوحدة حيث يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[1]، أو ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[2]، ويمزقون الوحدة الإسلامية بأحاديث واهية أو تأويلات تعسفية أو اجتهادات مريضة، يحاولون من خلالها تشكيل هويات مذهبية وعقائد متطرّفة منغلقة لا يمكن أن تتعايش مع المسلم الآخر.

وعلى ضوء بعض العقائد ـ الموضوعة ـ اتخذ الشِّيعة موقفًا متميّزًا من بقية المسلمين، كما اتخذ الآخرون موقفًا مضادًا منهم، وقد أدى ذلك إلى التقاتل وسفك الدماء بين الطرفين بداية لكنه ذاب عبر التاريخ حتى لم يعد له وجود أو مبرر أو معنى، إلَّا لدى المتطرفين الذين يتمسكون بعوامل الخلافات الفكرية، ويضخمونها إلى حد تأجيج الفتنة بين الشِّيعة والسُنّة اليوم، وخاصة عندما تتوافر ظروف حاضنة مناسبة.

وأبرز مثل على ذلك هو ما يقوم به البعض، من مجازر بشعة بحق الشِّيعة في العراق وباكستان وأفغانستان، بعد إعلان تكفيرهم، استنادًا إلى فتاوى قديمة من عُلماء السُنّة أفتوا بها ضد الشِّيعة في أيام الصراعات السياسية الطائفية الغابرة.

وفي المقابل نجد تيارًا شيعيًا متطرّفًا يضخم من درجة أفكاره ويرفعها إلى مستوى العقيدة الإسلامية التي من آمن بها نجا ومن رفضها كفر، ولا يكتفي بالإيمان بها لنفسه واحترام من لا يؤمن بها من سائر المسلمين!

فهل تُرانا نصبر على (**طخية عمياء**)، شاب عليها الوليد وهرَم الكبير، ونتوقف عن معارك وسجالات استنزفت منّا دموعًا ودماءً ولم نجنِ منها إلَّا المزيد من التمزُّق والتشرذم والضياع؟!

وهل سنتعامل مع بعضنا البعض كما تعامل أصحابها الفعليون وقضوا وتركوها لنا للعبرة والاعتبار وليس للمعارك والإحتراب؟ أو أننا سنواصل الطرْق على هذه الطخية العمياء فنكلّ وَنَعْيَا، وليتها انتهت بالكلل والإعياء...؟!

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

الفصل الرابع

حديث الكساء (الموضوع)

❖ **توضيح**
❖ **مقدّمة**
❖ **السند تاريخيًا**
❖ **موقف الشيخ عباس القمّي من حديث الكساء (الموضوع)**
❖ **التزوير في كتاب مفاتيح الجنان**
- تطور التحرّيف
- الملاحظة على ما ذُكِر
- نذكر السند ونورد إشكالين في السند
- الإدّعاء أن الحديث موجود في كتاب (عوالم العلوم)

❖ **قواعد الإمام الرضا عليه السلام في معرفة فضائل أهل البيت عليهم السلام**
❖ **بعض المراجع والعلماء والمحققين الذين يرفضون هذا الحديث الموضوع**
- آية الله حجّة الإسلام محمد محمدي الريشهري: **هذا الحديث مزوّر ولا أساس له**
- آية اللّه العظمى الشيخ صالحي نجف أبادي: **لا وجود لهذا الذيل الزائد**
- آية اللّه العظمى السيد محمد سعيد الحكيم الطباطبائي: **هذا الحديث بسند غير معتبر**
- آية اللّه العظمى الشيخ محمدالخالصي: **غيَّروا حديث الكساء بحديث موضوع آخر**
- المحقق السيد مرتضى العسكري: **هذا الحديث غير صحيح**
- رأي العلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل اللّه في هذا الحديث
- السيد مصطفى الطباطبائي: **التزوير في حديث الكساء**
- السيد محمد حسن الكشميري: **حديث الكساء لا مصدر له بهذه الصورة**

❖ **علّة الخلق: الشيخ الصدوق، الشيخ الطبرسي، السيد الطباطبائي، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، السيد محمد حسين فضل الله، الشيخ محمد مهدي شمس الدين**
- الشيخ ياسر عودي: **فقرات ذيل هذا الحديث تخالف القرآن الكريم**

❖ **خلاصة البحث**

الفصل الرابع

حديث الكساء (الموضوع)(*)

توضيح:

لكي لا يُفهم موضوع هذا البحث فهمًا خاطئًا، يجب الانتباه بداية إلى ثلاث نقاط مهمّة وهي:

١ - إن ما نناقش ونبحث فيه هو ذيل حديث الكساء (الموضوع) الموجود في كتاب «مفاتيح الجنان» وليس واقعة التطهير ونزول آية التطهير في أهل البيت عليهم السلام فهذه الواقعة صحيحة ومما استفاضت به الأخبار عند جميع فِرَق المسلمين ولا لُبسَ فيها والنقاش يدور خارج هذا الموضوع تمامًا.

٢ - لمّا وجدنا أن هذا الحديث (الموضوع) استشرى وأصبح له حيّزٌ أهم من حيّز القرآن بين عوام الناس وخاصة أن الناس تهوى هكذا نَوْعًا من القصص والأحاديث، وأصبح المؤمنون يجتمعون غالبًا لقراءة هذا الحديث دون الالتفات لدور وأهمية القرآن الكريم... !! وبعد أن أصبح من الصعب أن تُقنع الناس أن ما ورد في ذيل حديث الكساء (الموضوع) هو غلوّ في أهل البيت عليهم السلام وتزوير وتحريف إلّا بالدليل العلمي المنطقي والقاطع.

٣ - اعتمدتُ في تسمية الحادثة الصحيحة لأهل الكساء إسم: واقعة الكساء، وأما (الموضوع) اعتمدت إسم: حديث الكساء.

مقدّمة:

«لكل إنسان في هذه الدنيا هدف يعمل لأجله ولأجل تحقيقه، والبشرية وحتى الوجود بشكل عام له هدف وغاية، والخلق إنّما وجد لغاية وهدف أيضًا، فعندما يتعرف الإنسان حقيقة إلى هدفه الأصلي والنهائي يسعى لأجل تحقيقه والوصول إلى كماله.

(*) بعض فقرات هذا البحث مقتبسة من بحث لسماحة المحقق الشيخ حسين الراضي.

فالمدارس المادية من جهتها تعد أن الهدف النهائي هو الرفاهية في الحياة والتمتع بكل ما فيها من نعم، بغض النظر عن الوسيلة لذلك، لكن المدرسة الإلهية (مدرسة الإسلام) تعد أن الهدف النهائي هو التوحيد الذي يمر عبر التجذر بالدين والقيم الحقة السامية، ونشر الأمن والأمان وتحكم قواعد العبودية وأُصولها، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1]. فالعبادة «عبادة الله الواحد» هي الهدف من الخلق.

والعبادة هذه حاجة إنسانية والله غني عن عبادة البشر، لكن الإنسان يحتاجها في طي مسيره التكاملي للوصول إلى الكمال النفسي والجسدي، العبادة التي تربّي الإنسان وتهذبه وتؤدبه وتربي روحه وباطنه، العبادة الخالية من أي نوع من الشرك (العلني والخفي)، العبادة التي تنفي كل ما عدا الله عزَّ وجلّ، وتمحق كل قانون غير قانونه وحكم غير حكمه وتطرد حكم الشيطان ووساوسه وهوسه»[2].

السند تاريخيًا:

أما من حيث السند تاريخيًا فإنَّ هذا الحديث لم يُنقل في الكتب المعتبرة والروائية لا من السُنّة ولا من الشِّيعة، لا في الكتب الأربعة ولا المجاميع المتأخرة التي اعتنت بجمع الأحاديث في فضائل أهل البيت عليهم السلام مثل بحار الأنوار ولم يتضح له سند إلى حد الآن وما يمكن أن يُقال الاعتماد في سنده ينسب إلى جُملة من الكُتب غير المعتبرة.

وإن إمارات الوضع ظاهرة على سند هذا الحديث وإلَّا ما هو السبب الذي دعا هذا الحديث أن يختفي أكثر من ١٠٠٠ سنة ولم يخرج إلَّا في القرن العاشر ولم يروه أحد قبل هذا التاريخ في كتاب لا ممن ذُكر في سلسلة السند الموضوعة ولا غيرهم من العلماء.

موقف الشيخ عباس القمّي من حديث الكساء:

١ ـ عندما تعرّض له في كتابه (منتهى الآمال ج ١ ص ٧٨٨ في الباب الخامس)

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) نقلًا عن كتاب «أحسن القصص (١٤٢ قصة قرآنية)» إعداد ونشر: جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م) ط١، ص٣١٩، ٣٢٠.

حول حياة الإمام الحُسين عليه السلام في الفصل التاسع: في إرسال يزيد بن معاوية أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة الطيبة تحت عنوان تذييل: فبعد أن نقل زيارة الأربعين للإمام الحُسين عليه السلام وتوصيف جابر الحُسينَ بخامس أصحاب الكساء، أن هذا اللقب من ألقابه الشائعة المعروفة، وواقعة اجتماع الخمسة الطيبة من الأحاديث المعروفة المتواترة الذي رواها الخاصة والعامة وقد نزلت آية التطهير فيهم بعد اجتماعهم.. إلى أن قال: «**أما حديث الكساء المعروف عندنا الآن فإنه لم يورد في الكتب المعروفة المعتبرة في أصول الحديث والمجامع المتقنة للمحدثين بهذه الكيفية ويمكن القول بأن هذا من خصائص كتاب المنتخب**»[*].

راجع (منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل) للشيخ عباس القمّي ج ١ ص ٧٨٨ المعرّب، طبع مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ الطبعة الخامسة سنة ١٤٢٢ هـ، وكذلك الأصل الفارسي للكتاب.

ولكن البعض عرّب الكتاب وحذف هذا المقطع الأخير الطاعن في حديث الكساء (الموضوع)، أو أنَّ الناشرين والطابعين للكتاب قد حذفوه. راجع مثلًا: منتهى الآمال ج ١ ص ٦٢٣: ترجمة نادر التقي، طبع الدار الإسلامية، بيروت سنة ٢٠٠٣ ـ ١٤٢٣ هـ وكذلك منتهى الآمال ج ١ ص ٦٢٣ طبع سرور الطبعة الثالثة سنة ٢٠٠٦ م ـ ١٤٢٧ هـ قمّ، نشر: مكتبة فدك.

٢ ـ وفي كتابه الكنى والألقاب: قال الشيخ عباس القمّي ترجمة الديلمي: وله كتاب (غرر الأخبار ودرر الآثار) و(أعلام الدين في صفات المؤمنين) والظاهر أنه كان في عصر الشهيد الأول وينقل عنه الشيخ ابن فهد في «عدة الداعي» بعنوان الحسن بن أبي الحسن الديلمي قيل: «**إنَ حديث الكساء المشهور الذي يُعَدُّ من متفردات الطريحي في منتخبه لم ينقله غيره**»[1].

التزوير في كتاب مفاتيح الجنان:

ألّف الشيخ عباس القمّي كتابه مفاتيح الجنان في سنة (١٣٤٤ هـ) وطبع الطبعة

(*) المقصود كتاب «المنتخب» للشيخ فخر الدين الطريحي المتوفي سنة ١٠٨٥هـ، انظر: المنتخب للطريحي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت/لبنان، الطبعة المجدولة.

(١) الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي ج ٢، ص ٢٣٨.

الأولى في حياته ولمّا أراد أن يزيد عليه في الطبعة الثانية جعل له ملحقًا وقال في مقدّمة الملحق أنه بعد الطبعة الأولى احتاج أن يضيف بعض الزيارات والأدعية وحتى لا يفتح باب التحريف والزيادة في كتابه، من أهل الفضول والمحرّفين، لذلك جعل هذا الملحق ثمَّ لم يجز لأحد أن يزيد في كتابه وينسب إليه، ومن شدة حرصه على ذلك عيّنَ عدد المطالب التي أضافها على الطبعة الأولى وهي ثمانية مطالب ثمَّ دعا على كل مَن يتصرف في كتابه بكلمة واحدة أو حرف، وأن عليه لعنة اللّه ورسوله والأئمّة عليهم السلام على المتصرّفين، وهذا نص كلامه كما في الطبعة المعرّبة:

«لقد خطر بالبال بعد أن فرغت من تأليف كتاب مفاتيح الجنان وانتشرت نسخه في الأقطار أن أضيف إليه للطبعة الثانية إضافات تشتد الحاجة إليها. . . (إلى أن قال): ولكن الإضافة إلى الكتاب فيما رأيت كانت فتح الباب للتصرف في كتاب مفاتيح الجنان وهو باب قد يغتنم فتحه بعض الفضوليين متصرفين في الكتاب إضافةً أو حذفًا فينشرون ما عبث به الأهواء باسم مفاتيح الجنان كما هو مشاهد في كتاب (مفتاح الجنان)[*] ولأجل ذلك لم أغيّر من أصل الكتاب شيئًا، وإنما ذيّلته بملحق يحتوي على هذه المطالب الثمانية»[1].

ولم يذكر القمّي في هذه المطالب الثمانية حديث الكساء الموجود الآن فيه، ثمَّ إن خطاط الكتاب للنسخة الخامسة وباللغة الفارسية في سنة ١٣٥٩ هـ قد جعل له ملحقًا ثانيًا قال إن الشيخ عباس القمّي قد أشار إلى بعض الأدعية وتركها لطولها ثمَّ ذكرها هو كملحق ثانٍ وهي:

١ ـ دعاء بعد صلاة الإمام الحُسين عليه السلام.

٢ ـ ما يدعى به بعد صلاة زيارة الجواد عليه السلام.

٣ ـ زيارة أبناء الأئمّة عليهم السلام.

(*) مفتاح الجنان من كتب الأدعية المجهولة وقد لُعب فيه كثيراً وفيه أدعية وزيارات مكذوبة على أهل البيت، ومع أن النوري كان من المتساهلين في نقل الحديث ولكنه تعرّضَ لهذا الكتاب وانتقد بشدة الزيادة التي أضيفت في زيارة وارث للإمام الحسين عليه السلام وغيرها. (انظر اللؤلؤ والمرجان للنوري، ص١٣٤، طبع دار البلاغة/ بيروت).

(١) النسخة المعرّبة.

٤ ـ ما يدعى به في يوم عرفة.

٥ ـ دعاء مكارم الأخلاق.

والملاحظ أنه حتى في هذا الملحق لم يذكر فيه حديث الكساء هذا.

تطوّر التحريف:

لقد زُوِّر في مفاتيح الجنان أشياء كثيرة وأُضيف إليه ما لم يكتبه مؤلفه فيه ومنها هذا الحديث أُلحق بآخر الكتاب وقال واضعه: «**استجابة لطلبات كثيرة من المؤمنين وإتمامًا للكتاب ارتأينا بذكر حديث الكساء الشريف نقلًا عن كتاب عوالم العلوم للشيخ عبد اللَّه بن نور اللَّه البحراني بسند صحيح عن جابر بن عبد اللَّه الأنصاري عن فاطمة الزهراء**»[(١)].

وفي بعض الطبعات الحروفية، اعترف ناشروها أن هذا الحديث لم يكن من الكتاب وإنما الناشرون هم الذين تصرّفوا فيه ووضعوه.

قال بعض الطابعين في الهامش: «**أوردنا هذا الحديث (حديث الكساء) في نهاية طبعتنا نظرًا لوروده في نهاية الطبعة الحجرية المعرّبة حيث أضافها الناشر توخيًا للفائدة**». انظر طبعة النجف ص ٦٨١.

ثمَّ أخيرًا وفي الطبعات اللاحقة الفارسية والعربية وُضع هذا الحديث وأُضيف إلى كتاب مفاتيح الجنان على رُغم أنف مؤلفه وقال واضعه أنه بسند صحيح...!!

وأكثر من ذلك أن حديث الكساء بعد أن كان في آخر الكتاب نزل إلى داخل الكتاب لاحقًا، ففي طبعة الحروفية المؤرخة مقدمتها في بيروت ١٧/ ٤/ ١٤١٢ هـ ـ ٢٥/ ٩/ ١٩٩١م نُقل هذا الحديث من آخر الكتاب إلى وسطه ووضعه في ص ٢٨٨ تحت عنوان: حديث الكساء نقلًا عن كتاب عوالم العلوم للشيخ عبد اللَّه بن نور اللَّه البحراني بسند صحيح عن جابر بن عبد اللَّه الأنصاري عن فاطمة الزهراء...

وقال في الهامش: هذا الحديث الشريف ليس من أصل الكتاب بل ألحقه بعض

---

(١) انظر النسخة الحجرية المعرّبة والتي بهامشها الباقيات الصالحات وكثيراً من الطبعات التي تلتها. راجع: مفاتيح الجنان، دار إحياء التراث العربي/ بيروت (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م) ص ٣٥٩.

الناشرين به ونحن ارتأينا أن نذكره هنا تمامًا للفائدة ولكثرة تلاوة المؤمنين له في وقت الشدّة (الناشر)[1].

فهو يعترف أنه ليس من أصل الكتاب ولكن مع ذلك وضعه في أصل الكتاب.

كما أنه في ص ١١٣ نُقِل دعاء مكارم الأخلاق من الملحق الثاني بالأخير إلى أن قدّمه ووضعه في داخله.

الملاحظة على ما ذُكِر:

١ ـ أن الشيخ عباس القمّي لعلّه هو أول مَن أشار إلى عدم صحة هذا الحديث حين صرّح بذلك كما ذكرنا سابقًا[2].

٢ ـ إنَّ الشيخ عباس القمّي لم يجز فتح الباب للتصرّف في كتابه «مفاتيح الجنان» ولكننا نجد أن حديث الكساء وضع داخل الكتاب وهذا ضد إرادة مؤلفه ورغبته[3] وهنا أسأل هل يجوز قراءة هذا الحديث من خلال مفاتيح الجنان؟!

٣ ـ يصرّح الشيخ عباس القمّي أن هذا الحديث الشائع في عصره بهذا الشكل غير موجود في الكتب المُعتبرة؟!

٤ ـ إذا كان الشيخ عباس القمّي يرويه فلماذا لم يودعه في كتبه (مفاتيح الجنان) و(منتهى الآمال) وغيرهما...!

٥ ـ سلسلة السند قرابة ٤٠ راويًا وأكثرهم لهم مؤلفات تعرّضوا فيها لآية التطهير وواقعة الكساء ولم ينقل أحدهم هذه الرواية (بهذه الكيفية الموضوعة) فلم يذكرها النوري في مستدركه، ولا المجلسي الثاني في بحاره، ولا المجلسي الأول في شرحه على الفقه، ولا الصدوق في كتبه، ولا الكليني في الكافي، ولا علي بن إبراهيم في تفسيره، ولا غيرهم، ممّا ينبىء عن وضعه واختلاقه.

---

(١) انظر: كتاب مفاتيح الجنان، دار إحياء التراث العربي (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م) ط ١، ص ٣٥٩.

(٢) انظر (منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل) للشيخ عباس القمي ج ١، ص ٧٨٨، طبع جماعة المدرسين في قُمّ المُقدّسة، وانظر كتابه الكنى والألقاب ج٢، ص٢٣٨.

(٣) انظر كتاب مفاتيح الجنان في باب (النهي عن التصرف في الأدعية) ص٤٧٠ حيث قال: «**إني قد قدمت على تأليف هذا الكتاب ... ولكن الشرط هو أن لا يحرّفه الكاتب والمستنسخ، وأن يتخلّى القارىء، عمّا يقتضيه طبعه وذوقه من التغيير**»!.

نذكر السند ونورد إشكالين في السند أيضًا:

لم يذكر الطريحي في «المنتخب» سند الحديث، لكن سند الحديث موجود في حاشية بعض نسخ كتاب عوالم العلوم:

رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم، عن شيخه السيد ماجد البحراني عن الحسن بن زين الدين (الشهيد الثاني)، عن شيخه الأردبيلي، عن شيخه علي بن العالي الكركي، عن الشيخ علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ أحمد بن فهد الحلي، عن الشيخ علي بن الخازن الحائري، عن الشيخ ضياء الدين علي ابن الشهيد الأول عن أبيه عن فخر المحققين عن شيخه العلّامة الحلي، عن شيخه المحقق، عن شيخه ابن نما الحلّي عن شيخه محمد بن إدريس الحلي، عن ابن حمزة الطوسي صاحب «ثاقب المناقب» عن الشيخ الجليل محمد بن شهرآشوب، عن الطبرسي صاحب «الاحتجاج» عن شيخه الجليل حسن بن محمد بن الحسن الطوسي عن أبيه شيخ الطائفة، عن شيخه المفيد، عن شيخه ابن قولويه القمّي عن شيخه الكليني، عن علي بن إبراهيم، (عن أبيه إبراهيم) بن هاشم عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن **قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي، عن أبي بصير** عن أبان بن تغلب البكري، عن جابر بن يزيد الجعفي عن جابر بن عبد اللّٰه الأنصاري عن فاطمة الزهراء. . .»[1]

الإشكال الأول: (حول القاسم بن يحيى الجلاء الكوفي) لا يوجد راوٍ بهذا الاسم غير القاسم بن يحيى بن الحسن بن راشد مولى المنصور، وإن احتُمل أنّ المراد من القاسم بن يحيى هو الراشدي وأن الجلاء كانت مهنة أو لَقَبًا آخر له، فإنه وإن وثّقه بعض الرجّاليين إلَّا أنَّ هناك مَن ضعّفه[2] ومنهم السيد الخوئي وغيره[3].

الإشكال الثاني: روايته عن أبي بصير تعد في حكم المُرسل لأن القاسم من أصحاب الرضا عليه السلام بينما أبو بصير توفي بعد زمن الإمام الصادق عليه السلام بقليل كما نصّ صاحب المفيد، هذا بالإضافة إلى أنه يروي عن جده الحسن بن راشد كما هو الحال

(١) نقلاً عن كتاب عوالم العلوم: ٢/ ٩٣٠.

(٢) انظر رجال الحلي، الفصل التاسع عشر، الباب الأول، ص٢٤٨، رقم٦

(٣) راجع: الكافي في أصول الفقه، السيد محمد سعيد الحكيم، قُمّ/ إيران، ط٢ (١٤٢٢هـ) ج٢، ص٣٩٠.

في جميع الأحاديث في الكتب الأربعة فهو لا يروي عن أبي بصير إلَّا بواسطة جده، فيصبح الحديث ضعيفًا لوجود القطع فيه.

الإدعاء بأنَّ هذا الحديث موجود في كتاب (عوالم العلوم) للشيخ عبد اللَّه البحراني ولم يثبت ذلك للأسباب التالية:

١ ـ إنَّهُ قد أضيف هذا الحديث في كتاب (عوالم العلوم) في الحاشية وفي بعض النسخ دون النسخ الأخرى، ولم يُعلم مَن هو كاتب هذه القصة على حاشية عوالم العلوم!؟ فالشيخ عبد اللَّه البحراني بريء ممّا كُتب.

٢ ـ على فرض أن كاتب هذه الحاشية هو الشيخ عبد اللَّه البحراني وأن هذه الدعوى منه، مَن الذي يضمن أن ما رآه الشيخ عبد اللَّه البحراني هو خط السيد هاشم البحراني؟

٣ ـ وعلى فرض أنه خط السيد هاشم ووجده الشيخ البحراني فهذا لا يجدي نفعًا لأنه اطّلع عليه بالوجادة[1] لا بالرواية.

٤ ـ لماذا لم يطّلع على هذا الخط أحد من تلامذة السيد هاشم البحراني الملازمين له طيلة حياته؟.

٥ ـ إذا أردنا أن نعرف من هو السيد هاشم البحراني؟

هو السيد هاشم بن إسماعيل بن عبد الجواد بن علي بن سليمان بن ناصر الموسوي الكتكاني التوبلي البحراني، أُشكل عليه أنَّ «**كتبه لا تخلو من الغُلوّ والضعف والاعتماد على مصادر غير موثوقة**»[2].

٦ ـ لماذا لم ينقله السيد البحراني الحريص على جمع الأخبار في كتبه التي تعرّض فيها لواقعة الكساء مثل «غاية المرام» و«تفسير البرهان» وغيرهما؟!

٧ ـ إن واضع سلسلة السند لم تكن لديه خبرة كافية في الأسانيد؟

٨ ـ لم تثبت رواية السيد هاشم البحراني عن السيد ماجد البحراني.

---

(١) الرؤيا «رأيت بخط السيد هاشم البحراني» والوجادة عند أهل الاصطلاح لا توثق الكتب.

(٢) راجع: أعيان الشِّيعة: ٢٤٩/١٠، أمل الآمل: ٣٤١/٢، رياض العلماء: ٣١٠/٥، والعلامة سيد هاشم البحراني تأليف فارس تبريزيان.

٩ ـ إذا راجعت كتاب (المنتخب) للطريحي فستجد هذا الحديث في بعض النسخ[(١)] فلعله قد أضيف إليه.

١٠ ـ وعلى فرض وجوده في المنتخب فهو مرسل فقد عُبِّرَ عنه بعنوان روي عن فاطمة الزهراء[(٢)].

(انظر الصورة من كتاب المنتخب للطريحي)

(المجلس التاسع من الجزء الثاني) ٢٥٩

حديث الكساء

(وروى) عن فاطمة الزهراء «ع» قالت دخل على أبي رسول الله (ص) في بعض الأيام فقال لي يا فاطمة إني لأجد في بدني ضعفاً فقالت له فاطمة أعيذك بالله يا أبتي من الضعف فقال يا فاطمة إئتيني بالكساء اليماني وغطيني به قالت فاطمة فغطيته به وصرت أنظر اليه وإذا وجهه يتلألأ كأنه البدر في ليلة تمامه، قالت فاطمة فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسن قد أقبل وقال السلام عليك يا أماه فقلت وعليك السلام يا قرة عيني وثمرة فؤادي فقال لي يا أماه إني أشم رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله (ص) فقالت أن جدك نائم تحت الكساء فأقبل الحسن نحو الكساء وقال السلام عليك يا رسول الله أتأذن لي أن أدخل تحت هذا الكساء فقال له قد أذنت لك فدخل معه. فما كان إلا ساعة وإذا بالحسين «ع» الشهيد قد أقبل وقال السلام عليك يا أماه إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله (ص) فقالت نعم يا بني ان جدك وأخاك تحت الكساء فدنى الحسين «ع» وقال السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من اختاره الله أتأذن لي أكون معكما تحت هذا الكساء فقال له قد أذنت لك يا حسين فدخل معه قالت فاطمة «ع» فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب وقال السلام عليك يا بنت رسول الله فقلت وعليك السلام فقال كأني أشم رائحة أخي وابن عمي رسول الله؟ فقلت نعم هاهو مع ولديك تحت الكساء فأقبل نحو الكساء وقال السلام عليك يا رسول الله أتأذن لي ان أكون معكم تحت هذا الكساء قال: نعم قد أذنت لك فدخل علي عليه السلام تحت الكساء ثم أتت فاطمة «ع» وقالت السلام عليك يا أبتاه السلام عليك يا رسول الله أتأذن لي أن أدخل معكم تحت الكساء قال نعم أذنت لك فدخلت فاطمة معهم فلما اكتملوا تحت الكساء قال الله عز وجل يا ملائكتي وسكان سماواتي إني ما خلقت سماء مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً يدور ولا بحراً يجري ولا فلكاً يسري إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء فقال أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وهم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها فقال

---

(١) انظر: الذريعة، ج ٢٢، ص ٤٢٠.

(٢) المنتخب للطريحي (تأليف الشيخ فخر الدين الطريحي، ت١٠٨٦هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت/لبنان، ج٢ ص٢٥٩ـ٢٦٠، انظر: المنتخب للطريحي ص٢٥٣، منشورات الشريف الرضي، قُمّ المُقدّسة.

١١ ـ لم يثبت هذا الحديث مُسندًا في كتاب (غرر الأخبار) للديلمي.

١٢ ـ إنّما عُبِّر عن هذا الحديث (بالوضع) لأنه لم يثبت أنه روي في كتاب معتبر معتمد ولم يثبت أنه روي حتى بسند ضعيف فهو لا أصل له.

١٣ ـ إن كثيرًا من المحدّثين الكبار المذكورين في سلسلة السند كالكليني والطوسي والمفيد والطبرسي وابن شهرآشوب رووا في كتبهم حديث الكساء بالمتن المشهور وهو لا يتفق مع متن هذا الحديث المعني.

١٤ ـ قد أصبح كتاب (مفاتيح الجنان) للشيخ عباس القمّي من الكتب المحرّفة والتي قد لعبت يد المطابع فيه كثيرًا فقد أضيف إليه هذا الحديث وأمثاله وقُدِّم وأُخِّر في مطالبه.

١٥ ـ لا يصح أن يكون أهل البيت عليهم السلام أقل شأنًا من سائر الناس في نسبة الأخبار إليهم أو التحدّث عن سيرتهم وجعلها مرتكزات أساسية ممّا هبّ ودبّ، ومن أي قائل أو ناقل ومن أي كتاب أُخذ عنه فإنَّ هذه جناية على قدسية أهل البيت عليهم السلام وحط من قدرهم وشأنهم.

١٦ ـ هذا الحديث الموضوع أكبر دليل على ما ذكرناه في فصل «**الغلوّ في أهل البيت**» عن القاعدتين اللتين سهّلتا دخول هكذا موضوعات مكذوبة وهما قاعدتا «**التسامح في أدلة السنن**» و«**قولوا فينا ماشئتم ونزهونا عن الربوبية**»!

قواعد الإمام الرضا عليه السلام في معرفة فضائل أهل البيت عليهم السلام

ـ إن الإمام الرضا عليه السلام وضع لنا جملة قواعد في التعرّف والتميّز في فضائل أهل البيت عليهم السلام.

ومنها ما روى الشيخ الصدوق في [عيون أخبار الرضا عليه السلام] بسند صحيح عن إبراهيم بن أبي محمود قال:

«قلت للرضا عليه السلام: يا بْنَ رسول اللّه إن عندنا أخبارًا في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفضلكم أهل البيت وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها (عندكم)[1] أفَنَدين بها؟

(١) في البحار: عنكمْ.

فقال: يا بن أبي محمود، لقد أخبرني أبي، عن أبيه، عن جده عليه السلام أن رسول الله عليه السلام قال: «**مَن أصغى إلى ناطقٍ فقد عَبَدَهُ، فإنّ كان الناطق عن الله عزّ وجل فقد عَبَدَ الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عَبَدَ إبليس**» ثمَّ قال الرضا عليه السلام:

يا بن أبي محمود إن مخالفينا وضعوا أخبارًا في فضائلنا وجعلوها على (ثلاثة أقسام)[1]:

أحدُها: الغُلوّ.

ثانيها: التقصير في أمرنا.

وثالثها: التصريح بمثالب[2] أعدائنا.

فإذا سمع الناس الغُلوّ فينا: كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا.

وإذا سمعوا التقصير: اعتقدوه فينا.

وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم: ثَلَبونا بأسمائنا، وقد قال الله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3]

يا بن أبي محمود: إذا أخذ الناس يمينًا وشمالًا، فالزم طريقنا فإنه مَن لزمنا لزمناه ومَن فارقنا فارقناه، إن أدنى ما يُخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحَصَاةِ هذه نواةٌ ثمَّ يدينُ بذلك ويبرأ ممن خالفهُ.

يا بن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعتُ لك فيه خير الدنيا والآخرة»[4].

فالإمام يدعو إلى توثيق الأحاديث التي تُنقل عنهم سواء كانت في الفضائل أو الأحكام أو العقيدة، وأن لا يتساهلوا في نقلها بدعوى أنّها في فضائل أهل

---

(١) في البحار: على أقسام ثلاثة.

(٢) الثلب: شدة اللوم، والأخذ باللسان، وثلَبه ثلباً: إذا صرّح بالعيب، والمثالب: العيوب، الواحدة مثلبة.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٤) هذه الرواية رواها الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢، ص ٢٧٢ باب ٢٨ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى المقطع الأخير من حديث رقم (٦٣)، طبع الأعلمي، ورواها المجلسي في عدة مواضع من بحار الأنوار منها، ج ٢٦، ص ٢٣٩.

البيت عليهم السلام ومن طريق مخالفيهم وأن الفضل ما شهدت به الأعداء فإنَّ هذا التصوير غير صحيحٍ عند الإمام الرضا عليه السلام لأن أساليب الدس والوضع مختلفة ومتعددة.

فقد قامت سيرة المتشرّعة على وجوب التحرّز في حالة النقل مهما كانت تلك الجهة المنقول عنها فكيف حينئذٍ عن أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب اللَّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

بعض المراجع والعلماء والمحققين الذين يرفضون هذا الحديث الموضوع

آية الله حجّة الإسلام محمد محمدي الريشهري: هذا الحديث مزوّر ولا أساس له:

قام آية اللَّه حُجّة الإسلام محمد مهدي ري شهري ـ مبعوث السيد الخامنئي (دام ظلّه) في الحج ومتولي حرم السيد عبد العظيم الحسني في منطقة ري بجنوب طهران ـ بحذف «حديث الكساء» من جميع كُتُب مفاتيح الجنان الموجودة في الحرم، ففي قسم من مكتبة الحرم، وبأمر من حُجّة الإسلام ري شهري تمَّ إنشاء أجهزة التغليف وتمّ توظيف عدد من كوادر الحرم لكي ينقلوا جميع كتب مفاتيح الجنان الموجودة داخل الحرم، بعد أن يتمّ تمزيق صفحات حديث الكساء، ثمَّ يرمموا الكتاب ويعيدوه إلى الحرم.

وأرسل برسالة إلى الخُطباء والوعاظ قال فيه ريشهري: «**إن واقعة الكساء صحيحة وذات قيمة تاريخية ومذهبية وهي حادثة حدثت بالفعل، أما الحديث الوارد في مفاتيح الجنان مزوّر ولا أساس له**»[1].

وبعد ما قام به آية اللَّه حُجّة الإسلام محمد محمدي ري شهري، قررت الحكومة الإيرانية أن تحذف الحديث المذكور من طبعاتها المقبلة وأن تمزّق كذلك صفحات حديث الكساء من الطبعات القديمة والموجودة في المكتبات.

---

(١) ترجمة المعهد العربي للبحوث والدراسات الإستراتيجية (السيد علي الموسوي) نقلاً عن وكالة عارف نيوز http://WWW. aref news.com.

يقول آية اللّٰه محمد محمدي الريشهري في كتابه: «أهل البيت في الكتاب والسُّنّة» في الفقرة الخامسة:

(٥ ـ كلام حول ما اشتهر بحديث الكساء

استبان إلى هنا أن حديث الكساء قطعي لا يقبل الشك والترديد كما مرَّ بنا وهو يعبّر عن واحدة من أهم خصائص أهل البيت النبوي الكريم، ونريد بها خاصية الطهارة والعصمة، **لكن شاع أخيرًا حديث يحمل عنوان حديث الكساء، وهو واهٍ لا أساس له وكان المرحوم المحدّث القمّي رضوان اللّٰه تعالى عليه أوّل من نبَّه على ضعفه.**

ومن العجيب أنه لم يجز لأحد أن يزيد على كتابه (مفاتيح الجنان) شيئًا ودعا على من يقوم بذلك، لكن نلاحظ أن الحديث المذكور قد أُضيف إليه والأدلة على ضعف هذا الحديث كثيرة، نشير فيما يأتي إلى بعضها:

١ ـ لم يرد هذا الحديث في أي كتاب من الكتب المعتبرة للفريقين، بما فيها الكتب التي تعتمد على جمع الأحاديث المنسوبة إلى أهل البيت عليهم السلام كبحار الأنوار.

قال المرحوم المحدّث القمّي في كتاب (منتهى الآمال) حول الحديث الشائع، بعد أن أثبت تواتر حديث الكساء:

«أما الحديث المعروف بحديث الكساء الشائع في عصرنا بهذا الشكل فلم يُلْحَظْ في الكتب المعتبرة المعروفة وأصول الحديث والمجامع المُتْقَنَه للمحدثين وجاز لنا أن نقول: إنَّهُ من خصائص كتاب المنتخب».

٢ ـ إن أول كتاب فيما نعلم ـ نقل هذا الحديث بلا سند ـ كما أشار إليه المحدّث القمي ـ هو كتاب «المنتخب» وهذا يعني أن الحديث المذكور لا يُلاحظ له أثر في كتب الحديث منذ عصر صدر الإسلام حتى ألف سنة بعده!

٣ ـ من العجيب أن هذا الحديث غير مسند ورد في حاشية كتاب «العوالم» مسندًا كالآتي: [ويذكر السند سماحة آية اللّٰه ريشهري كما ذكرناه سابقًا].. رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم، عن شيخه السيد ماجد البحراني... إلى جابر بن عبد اللّٰه الأنصاري، عن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وآله [ثمّ يورد ملاحظاته حول السند فيقول] وفيما يأتي ملاحظاتنا حول السند:

أ ـ المستند الوحيد للسند المذكور هو كلام الشيخ عبد اللَّه نور الدين البحراني، إذ يقول، على فرض ثبوته: رأيت بخط السيد هاشم البحراني. . .» ولكن لا يعلم من ذا الذي يضمن صحة تشخيصه بأن الخط هو خط السيد هاشم البحراني حتمًا؟

ب ـ لم يذكر السيد هاشم البحراني المنسوب إليه السند هذا الحديث في كتابيه «تفسير البرهان» و«غاية المرام» مع اهتمامه بجمع الأحاديث لا تصحيحها في هذين الكتابين بل إن ما ذكره يخالف ما نسب إليه سندًا ومتنًا.

ج ـ إن كثيرًا من المُحدّثين المذكورين في سلسلة السند كالكليني والطوسي، والمفيد والطبرسي وابن شهرآشوب رووا في كتبهم حديث الكساء بالشكل الوارد في متن الكتاب وهو لا يتفق مع الحديث الشائع.

د ـ سلسلة السند المذكور لهذا الحديث في حاشية «العوالم» مليئة بالإشكالات حتى إن من كان له أدنى اطلاع على علم الرجال يدرك سقمه بوضوح.

هـ ـ متن الحديث يخالف جميع المتون المعتبره، ويضاف إليه أن فيه نقاط ضعف لا تخفى على المتأمل)[1].

آية اللَّه العظمى الشيخ صالحي نجف أبادي

هو عالم جليل في الحوزة العلمية تجاوز الـ(٨٠) عامًا، من أصفهان وهو أستاذ لجملة من العلماء منهم الشيخ رفسنجاني وله كتب قيمة عديدة، قد ذكر في كتابه «أحاديث موهومة في مجمع البيان» وكتب أخرى: «**لا وجود لهذا الذيل الزائد من حديث الكساء فيما كتبه الشيخ القمّي في مفاتيح الجنان ولمّا طبع في بيروت كتب صاحب المطبعة في آخر الكتاب، أحببنا أن نورد حديث الكساء تبرُّكًا وتيمُّنًا**».

آية اللَّه العظمى السيد محمد سعيد الحكيم الطباطبائي

سُئلَ سماحته بتاريخ (١٣/ذي الحجة/ ١٤٢٦هـ) هو ضمن الاستفتاءات، ما هو صحة حديث أهل الكساء وبالأخص في ما يتعلّق بآخر الحديث وأقصد به المقطع (ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضًا مدحية ولا قمرًا منيرًا ولا شمسًا مضيئة إلَّا لأجل هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء إلخ)؟ فكان الجواب (بتاريخ ١٦ محرم ١٤٢٧ هـ):

---

(١) كتاب «أهل البيت في الكتاب والسُنّة» الفقرة الخامسة ص٣٩ ـ ٤٢.

«أصل حديث الكساء مروي في المجاميع الحديثية وغيرها بأسانيد صحيحه وصرّح الخاصة والعامة بصحته حتى مثل ابن تيمية في كتابه (منهاج السُّنّة) ومجمل الحديث أن النبي ﷺ دعا أمير المؤمنين عليه السلام والزهراء والحسنين وأدخلهم تحت الكساء وأن النبي ﷺ قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي اللَّهُمَ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا) وأن جبرائيل قال للنبي ﷺ وأنا منكم يا محمد؟ فقال النبي ﷺ وأنت منّا يا جبرائيل.

وإنَّ أم سلمة أرادت الاشتراك معهم في ذلك فلم يوافق النبي ومدحها وأثنى عليها، هذا المضمون هو المروي عن الفريقين بأسانيد صحيحة وإن اختلفت ألفاظ الروايات إلّا أنّها مشتركة عمومًا في المعاني التي ذكرناها.

ولكن رُويَ حديثُ الكساء **بسند غير معتبر** فيه تفاصيل إضافية غير موجودة في الحديث الصحيح وأُلحق الحديث مع الزيارات ببعض كتب الأدعية من دون أن يكون في أصل الكتاب ومن هذه الفقرات الزائدة الفقرة المذكورة في السؤال»[1].

آية الله العظمى الإمام الشيخ محمد الخالصي

في كتابه «علماء الشِّيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين» يقول: «وعوضًا عن أن يسعى أهل المنبر والوعظ إلى إزالة الخرافات فإنهم يرددون على المنابر خرافات الأحاديث الكاذبة... مثل أحاديث زيد بن قعنب الذي يقول أن عليًا عليه السلام قرأ القرآن قبل بعثة النبي ﷺ **بثلاثة عشر عامًا، وغيّروا حديث الكساء بحديث موضوع آخر**، وغير ذلك من أمثال هذه الأمور، ولما رأى المفسدون الفوضى سائدة فإنهم انشغلوا بالتصيد في الماء العكر»[2].

المحقق السيد مرتضى العسكري

نُقل عن المحقق السيد مرتضى العسكري أنه قام بالتحقيق في عدة أمور كانت محل التباس وتساؤل طرح فيها عدة شبهات منها حديث الكساء (الموضوع) حيث قال:

---

(١) نقلًا عن الموقع الالكتروني الرسمي لسماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم الطباطبائي.

(٢) نقلًا عن كتاب «علماء الشِّيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين» دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١ (٢٠٠٩م) ص١٧٠.

«**إن هذا الحديث المذكور والمعروف في كتبنا غير صحيح**»[1].

ففي كتابه «حديث الكساء في مدرسة الخلفاء ومدرسة أهل البيت» يقول السيد مرتضى العسكري:

(حديث الكساء في رواية أخرى:

إتفقت الروايات السابقة في كتب الفريقين على أنَّ آية التطهير نزلت على رسول اللَّه في بيت أم سلمة وقد أجلس حوله أهل بيته وجلل نفسه وإياهم بالكساء **وعارضت تلكم الروايات واحدة غير معروفة السند** تذكر أن القصة وقعت في دار الزهراء عليها السلام بكيفية أخرى، غير أن هذه الرواية الواحدة لا تناهض تلك الروايات الكثيرة سندًا ومتنًا ولم نرَ حاجة للتعرض لذكرها ومناقشتها).

رأي العلّامة المرجع السيد محمد حسن فضل اللَّه في هذا الحديث:

«وهكذا نجد سؤالًا يفرض نفسه في الأحاديث التي تدل على أن اللَّه خلق الكون لأجلهم، فإننا لا نستطيع أن نجد له تفسيرًا معقولًا حتى على مستوى وعي المضمون في التصوّر الفكري، فهل القضية واردة في نطاق التشريف أو في نطاق الدور الرسالي. أو نطاق الهداية أو ما إلى ذلك؟

إن القضية ليست في الحديث عمَّا هو الممكن والمستحيل في الجانب التجريدي من حيث الحُكم العقلي، بل هي في إيجاد المبررات الواقعية للمضمون على أساس العلاقة بين النبوة أو الإمامة وبين هذه الأُمور وإذا كان البعض يتحدّث بأن ما لا نفهمه من هذه الأُمور لا بد أن يُردّ علمه إلى أهله، فإن ذلك يفرض علينا إهمالها وعدم اعتبارها من أصول العقائد باعتبار أن العقيدة لا بد أن تمثّل وعيًا في الفكر وقناعة في الوجدان»[2].

السيد مصطفى الطباطبائي(*): التزوير في حديث الكساء

(لا يوجد بين الشِّيعة من لم يسمع بحديث الكساء، والحقيقة أن هناك حديثين

---

(١) محاضرة لسماحته في المدرسة العلمية المعصومية بتاريخ ٢٩/ ٤/ ٢٠٠٤ م.

(٢) المعارج، ص ٣٢٧، ٣٢٨.

(*) السيد مصطفى حسين الطباطبائي: مجتهدٌ محقق، أكاديمي وباحث إسلامي من طهران، يعدّ من أبرز

للكساء: أحدهما حديث الكساء الأصلي وهو الصحيح، والذي نُقل بشكل مستفيض في المصادر الحديثية والتأريخية، والآخر حديث الكساء المزوَّر، الذي ليس له أي اعتبار، وهو الذي يُقرأ في مجالس التوسّل، ويتصورون أن وجود المتن العربي له يعطيه أصالة، ويكون موجبًا للتقرّب واستجابة الدُّعاء، ورفع الهمّ والغمّ، وجاء في هذا الحديث:

«إني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضًا مدحية ولا قمرًا منيرًا ولا شمسًا مضيئة ولا فلكًا يدور ولا بحرًا يجري ولا فلكًا يسري إلّا في محبّة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء... إلى أن يقول: ما قُرِىء خبرنا هذا في محفلٍ من محافل أهل الأرض وفيهم مغموم، إلّا فرّج اللَّه غمّه ولا مهموم إلّا رفع اللَّه همَّه... إلخ».

وذكر المحدّث القمّي في كتاب (منتهى الآمال) عند ذكره لقصة مجيء جابر الأنصاري لزيارة قبر الإمام الحُسين عليه السلام في يوم الأربعين، بمناسبة وصف جابر للإمام الحُسين عليه السلام: بأنه خامس أصحاب الكساء، قائلًا:

«وحديث اجتماع الخمسة الأطياب من الأحاديث المتواترة الذي رواهُ عُلماء الشِّيعة والسنّة...، وأما حديث الكساء المعروف عندنا الآن فليس له وجود في الكتب المعتبرة المعروفة، ولا أصول الحديث، ولا المعاجم المُتقنَة للمحدّثين. ويمكن القول بأنّ هذا من خصائص كتاب المنتخب»[1].

والحق مع المحدّث القمي، حيث ورد أصل حديث الكساء بشكله الصحيح في مصادر الحديث المعتبرة عند العامة والخاصة بشكلٍ مستفيض، أما حديث الكساء المزوّر فليس له وجود في أي مصدر حديثي، ومع الأسف فقد أُلحِق هذا الحديث المزوّر في آخر كتاب مفاتيح الجنان للمحدّث القمّي في بعض طبعاته.

= الداعين إلى العودة إلى القرآن وله اهتمام بالغ بعلوم القرآن الكريم وتحكيمه في حياة المسلمين وعقائدهم وأفكارهم بعد أن ابتعدوا عنه، وانشغلوا بالأخبار والروايات والفلسفة والتصوّف، درس الطباطبائي العلم الشرعي منذ صغره على علماء عصره في طهران حتى بلغ درجة الاجتهاد ثم تعمّقَ في أبحاثه حتى خرج بآراء تجديدية جذرية، كان من أبرز الدعاة إلى الوحدة الإسلامية الكاملة، ألّفَ عددًا كبيرًا من الكتب (بالفارسية) منها ١ـ حل الاختلاف بين الشِّيعة والسُّنّة في مسألة الإمامة. ٢ـ فتح البيان فيما روي عن علي من تفسير القرآن. ٣ـ نقد كتب الحديث....

(١) منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي، ج ١، ص ٧٨٨ تعريب السيد هاشم الميلاني، طبعة جماعة المدرسين. (المترجم).

وهذا العمل خلاف رضا صاحب المفاتيح بالتأكيد، وهو عمل غير أخلاقي وغير إسلامي، وينبغي رفعه من آخر المفاتيح، لأن صاحب المفاتيح غير راضٍ بذلك حتمًا.

إن إنشاء حديث الكساء المزوّر ضعيف في بيانه وغير معقول في مضمونه وأسلوبه ركيك وغير مرغوب، بل ويشمئز الإنسان منه.

واضح تمامًا أن واضع هذا الحديث شخص شيعي متطرّف مغالي المسلك، يريد ـ حسب توهّمه ـ أن يرفع من مقام أصحاب الكساء، وحين يرى هذا الحديث من له مهارة وخبرة في الأدب العربي سيعرف يقينًا أنه مزوّر موضوع، فقد جاء في هذا الحديث عن اللَّه عزَّ وجلّ أنه قال:

(إني ما خلقت سماءً مبنيةً ولا أرضًا مدحيّة ولا قمرًا منيرًا ولا شمسًا مضيئة ولا فلكًا يدور ولا بحرًا يجري ولا فلكًا يسري إلّا في محبّة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء).

إذ نرى هنا أنه لم يوضّح المقصود من عبارة (إلّا في محبّة هؤلاء الخمسة) إلى أن قال: . . . فقال علي: بأبي يا رسول اللَّه أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند اللَّه؟ فقال النبي: والذي بعثني بالحق نبيًا واصطفاني بالرسالة نجيًا ما ذُكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبّينا إلّا ونزلت عليهم الرحمة وحفّت بهم الملائكة واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا. . . وما ذُكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم إلّا فرّج اللَّه همّه ولا مغموم إلّا كشف اللَّه غمّه ولا طالب حاجة إلّا قضى اللَّه حاجته. . . . . إلى آخر الحديث. . !

ولا يخفى أنه قد ورد في المفاتيح طبعة المحدّث لسنة ١٣٧٨هـ ـ ش، وقبل أن يذكر هذا الحديث المزور عبارة:

(بسندٍ صحيح عن جابر بن عبد اللَّه الأنصاري) إذ يعني أنه ينقل هذا الحديث بسندٍ صحيح عن جابر بن عبد اللَّه الأنصاري، وهذا طبعًا كذب واضح، حيث لم يُنقل هذا الحديث بسند صحيح عن جابر أبدًا. وبما أن بعض الفئات المغالية تريد أن تروّج حديثًا ليس له اعتبار، فإنها تستخدم مثل أدوات الكذب هذه لتستفيد منها ومن الحديث!

إنه عمل سيّىء جدًا ولا يليق بأي باحث علمي أو رجل يحمل الحدّ الأدنَى من الورع أو التقوى بل لا حتى الحدّ الأدنى من الأمانة العلمية.

فلو كان هذا الحديث نقل بسند صحيح إلى جابر الأنصاري، لكان المحدّث القمّي عالـمًا به، ولـمّا قال (رحمه الله): «**لم نجد هذا الحديث في المصادر المتقنة والمعتبرة.**» إن ترويج هذا الحديث أو غيره من أمثاله لا يعني إلّا تلقين الناس المطالب الخيالية التي لا أساس لها، بدل ترويج المطالب العلمية والنافعة، وهذه خسارة كُبرى للدين والمذهب لأنها تدفع الناس إلى تعلّم المطالب المتهافتة التي لا قيمة لها، بل إن ذلك ضد القيم والدين وضد الحقائق العلمية، وهذا بطبيعة الحال سيجرّ المجتمع نحو الانحطاط الفكري والفقر العلمي والخِواء الروحي والثقافي)[1].

السيد محمد حسن الكشميري: حديث الكساء لا مصدر له بهذه الصورة

«إنَّ حديث الكساء لا مصدر له بهذه الصورة التي تُقرأ. نعم قصة الكساء ونزول آية التطهير فذاك أمر معروف ومشهور. لكن بما هوالآن متداول ليس له أي سند. مسألة الأدعية والزيارات فيها كلام كثير. وللعلم أوضّح أنه جرى التلاعب في كتاب «مفاتيح الجنان» أخيرًا، فقد قام ناشر في لبنان، إسمه الأعلمي بإضافة حديث الكساء إليه في الصفحات الأخيرة ثم تطاول أكثر في الطبعة التي بعدها فزجّه في وسط الكتاب وهذا خيانة للتأليف وللأمانة ولحقوق الطبع»[2].

علّة الخلق

روى الشيخ الصدوق في كتابه «علل الشرايع» باب علّة الخلق واختلاف أحوالهم»[3] عدة روايات منها:

«حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي اللّه عنه قال: حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه قال: سألت الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) فقلت له

---

(١) «نقد كتب حديث» السيد مصطفى الطباطبائي، نقلًا عن كتاب «تهذيب أحاديث الشيعة» ط١، دار الانتشار العربي/ بيروت (٢٠٠٩م) ص٢٦١ ـ ٢٦٥.

(٢) نقلًا عن كتاب (بين قوسين ـ جولة في دهاليز مظلمة) دار النصر/ بيروت، ص٩٥، ٩٦.

(٣) علل الشرايع، الصدوق، دار البلاغة، ص ٩ ـ ١٤.

لِمَ خلق اللَّه الخلق، فقال: إن اللَّه تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثًا ولم يتركهم سدى **بل خلقهم لإظهار قدرته، وَلِيكَلِّفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه**، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مَضَرَّةً **بل خلقهم لينفعَهَم ويوصِلَهُم إلى نعيم الأبد**».

«وعن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن محمد بن زيد قال: جئت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن التوحيد، فأملى عليّ الحمد للَّه فاطر الأشياء إنشاءًا ومبتدعها إبتداءً بقدرته وحكمته، لا من شيء فيبطل الاختراع، ولا لعلّة فلا يصح الابتداع، خلق ما شاء كيف شاء **متوحدًا بذلك لإظهار حكمته وحقيقة ربوبيته**، لا تضبطه العقولُ ولا تبلغُهُ الأوهامُ ولا تدركُهُ الأبصارُ ولا يحيطُ به مقدارٌ، عَجِزَت دونه العبارةُ، وكلّتْ دونَه الأبصارُ، وضلَّ فيهِ تصاريفُ الصفاتِ. إحتجبَ بغيرِ حجابٍ محجوبٍ، إستترَ بغير سترٍ مستورٍ، عُرِفَ بغيرِ رؤيةٍ، ووصِفَ بغيرِ صورةٍ، ونُعِتَ بغيرِ جسمٍ، لا إله إلَّا هوَ الكبيرُ المتعالُ».

لاحظوا معي أن محمد بن زيد عندما جاء إلى الرضا عليه السلام ليسأله عن التوحيد أجابه إمامنا الرضا عليه السلام عن ذلك بقوله أن اللَّه تعالى خلق ما شاء كيف شاء متوحدًا بذلك **لإظهار حكمته وحقيقة ربوبيته**، وهنا لدينا ملاحظتان:

أولًا: الجواب هنا واضح وضوح الشمس في سبب وعلّة الخلق ولو كانت علّة الخلق أو أنَّ خَلْقَ السماء والأرض والفلك والبحر والشمس والقمر خُلقت لأجلهم عليهم السلام لكان جواب الإمام الرضا عليه السلام «**نحنُ علّة الخلق**» ولكنه لم يقل ذلك..!

ثانيًا: من يقول أن الكون خُلقَ لأجل أهل البيت عليهم السلام **فهو يخالف التوحيد** لأن محمد بن زيد جاء إلى الإمام الرضا عليه السلام ليسأله عن التوحيد فمن يحرّف علّة الخلق إذا فهو خارج عن التوحيد والعبودية وحقيقة الربوبية...

وقد جاءت روايات كثيرة في سبب وعلّة الخلق منها:

«حدثنا محمد بن أحمد الشيباني رضي اللَّه عنه: حدثنا محمد بن أبي عبد اللَّه الكوفي قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي، عن عمه الحُسين بن يزيد النوفلي عن علي بن سالم عن أبيه عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد اللَّه عليه السلام عن قول اللَّه

عزَّ وجلّ: (وما خلقت الجن والإنس إلَّا ليعبدون) قال: **خلقهم ليأمرهم العبادة،** قال: وسألته عن قول اللَّه عزَّ وجلّ: (ولا يزالون مختلفين إلَّا من رحم ربك) ولذلك خلقهم؟ قال: **خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم**».

«حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي اللَّه عنه قال: حدثني محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن أبي عبد اللَّه البرقي عن عبد اللَّه بن أحمد النهيكي عن علي بن الحسن الطاطري قال: حدثنا درست بن أبي منصور عن جميل بن دراج قال: قلت لأبي عبد اللَّه عليه السلام جعلت فداك ما معنى قول اللَّه عزَّ وجلّ: (وما خلقت الجن والإنس إلَّا ليعبدون) فقال: **خلقهم للعبادة**».

نعم هكذا أجاب أئمتنا عليهم السلام عن سبب وعلّة الخلق ولم يقولوا أن هذه الدنيا خُلقت لأجلنا ولو كان كذلك فالأولى أن يصرّح الإمام بذلك لا أن نجد بعد زمن أئمتنا بما يُقارب السبعة قرون في سنة الألف للهجري هذا الحديث الذي يقول: «ما خلقتُ سماءً مبنية ولا أرضًا مدحية ولا قمرًا مُنيرًا ولا شمسًا مضيئة ولا فلكًا يدور ولا بحرًا يجري ولا فُلكًا يسري إلَّا في محبّة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء».

ويظهر هذا الحديث ويستشري بين الناس كالنار في الهشيم والسبب أن الشِّيعة يحبون أهل البيت عليهم السلام ويتقبلون أي شيء من هذا القبيل!

نعم إنَّ محبّة أهل البيت عليهم السلام من البديهيات ومودتهم مطلوبة وهم قدوتنا وأسوتنا وهم الأدلّاء على اللَّه، ولكن إكرامهم وتعظيمهم يكون بالصحيح ممّا ورد عنهم وعلينا ألّا ننسى أنهم ورُغم عظمتهم ومكانتهم إلَّا أنهم عليهم السلام كانوا عبادًا للَّه عزَّ وجلّ، فإنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله قد قال: «**لا ترفعوني فوق حقي: فإنَّ اللَّه تعالى اتخذني عبدًا قبل أن يتخذني رسولًا**»[1] لذلك جاءت أشهد أنَّ مُحمدًا عبدهُ ورسولهُ فقُدّمت العبودية على الرسولية وعندما نعرف دور الرسول والأئمّة فإنَّ كل هذه الأباطيل ستزول، يقول اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾[2] فدورهم عليهم السلام الدعوة إلى اللَّه وهم كانوا يتحرّكون في كل أعمالهم للَّه ومع اللَّه وفي سبيل اللَّه.

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥٨٢ عن آمالي الطوسي: ١/ ٨٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥، ٤٦.

يقول الطبرسي في تفسير آية ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾:

«أي لم أخلق الجن والإنس إلَّا لعبادتي والمعنى لعبادتهم إياي عن (الربيع) فإذا عبدوني استحقوا الثواب وقيل إلَّا لآمرهُم وأنهاهم وأطلب منهم العبادة عن (مجاهد) واللام لام الغرض **والمراد أنَّ الغرض في خلقهم تعريضهم للثواب وذلك لا يحصل إلَّا بأداء العبادات فصار كأنه سبحانه خلقهم للعبادة** أنه إذا لم يعبده قوم لم يبطل الغرض ويكون كمن هيّأ طعامًا لقوم ودعاهم ليأكلوه فحضروا ولم يأكله بعضهم فإنه لا ينسب إلى السفه ويصح غرضه فإنَّ الأكل موقوف على اختيار الغير وكذلك المسألة فإنَّ اللّه إذا أزاح علل المكلفين من القدرة والآلة والألطاف وأمرهم بعبادته فمن خالف فقد أتى من قبل نفسه لا من قبله سبحانه»[1].

ويفسرها السيد محمد حسين الطباطبائي قائلًا:

«قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ فيه التفات من سياق التكلم بالغير إلى التكلم وحده لأن الأفعال المذكورة سابقًا المنسوبة إليه تعالى كالخلق وإرسال الرسل وإنزال العذاب كل ذلك مما يقبل توسيط الوسائط كالملائكة وسائر الأسباب بخلاف **الغرض من الخلق والإيجاد فإنه، أمر يختص بالله سبحانه لا يشاركه فيه أحد.**

وقوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ استثناء من النفي لا ريب في ظهوره في **أنَّ للخلقة غرضًا وأن الغرض العبادة** بمعنى كونهم عابدين لله لا كونه معبودًا فقد قال: ليعبدون ولم يقل لأُعبد أو لأكون معبودًا لهم»[2].

وأمّا الهدف من خلق البشر يقول آية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في ذلك:

«وهكذا يتضح أنّنا خُلقنا لعبادة الله، لكن المهم أن نعرف ما هي حقيقة هذه العبادة؟! فهل المراد منها أداء المراسم أو المناسك (اليومية) وأمثالها كالركوع

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن (الطبرسي)، دار المعرفة/ بيروت ط ١ (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م) ص٢٤٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن (السيد محمد حسين الطباطبائي) بيروت (المجلد ١٨) ط١ (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م) ص٣١٤.

والسجود والقيام والصلاة والصوم، أو هو حقيقة وراء هذه الأمور وإن كادت العبادة الرسميّة كلها أيضًا واجدة للأهمية!؟

وللإجابة على هذا السؤال ينبغي معرفة معنى كلمة «العبد» والعبودية وتحليلهما!

«العبد»: لغةً هو الإنسان المتعلّق بمولاه وصاحبه من قرنه إلى قدمه!.. وإرادته تابعة لإرادته وما يطلب وما يبتغيه تبعًا لطلب سيّده وابتغائه، فلا يملك في قباله شيئًا وليس له أن يقصّر في طاعته.

وبتعبير آخر: إنَّ العبودية ـ كما تُبيّن معناها كتب اللغة ـ هي إظهار منتهى الخضوع للمعبود، ولذلك فالمعبود الوحيد الذي له حقّ العبادة على الآخرين هو الذي بذل منتهى الإنعام والإكرام، وليس ذلك سوى الله سبحانه!

فبناءً على ذلك فالعبودية هي قمّة التكامل وأوْجُ بلوغ الإنسان واقترابه من الله والعبودية منتهى التسليم لذاته المُقدّسة!

والعبودية هي الطاعة بلا قيد ولا شرط والإمتثال للأوامر الإلهية في جميع المجالات!

وأخيرًا فإنَّ العبودية الكاملة هي أن لا يفكر الإنسان بغير معبوده الواقعي أي الكمال المطلق ولا يسير إلّا في منهجه اللاحب وأن ينسى سواه حتّى (نفسه وشخصه).

وهذا الهدف النهائي من خلق البشر الذي أعدّ الله له الإمتحان والإختبار لنيله، ومنح الإنسان العلم والمعرفة، وجعل نتيجة كلّ ذلك فيض رحمته للإنسان»[1]

سُئل السيد محمد حسين فضل اللّه: إنَّ في الحديث «إنمّا خلق اللّه الخلقَ لِيُعْرَف» وفي الحديث القدسي أيضًا: «كنتُ كنزًا مخفيًا فأحببتُ أن أُعرف» فاللّه لم يخلقنا عبثًا، فما هي الحكمة من الخلق، وهل كان اللّه (سبحانه وتعالى) في مرحلة لم يكن معه خَلْق؟ فأجاب سماحته:

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل (الشيخ ناصر مكارم الشيرازي) الأميرة للطباعة والنشر/ بيروت المجلد١٧، ط١ (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م) ص٨٦، ٨٧.

«إن (اللام) في الحديث القدسي (لِيُعرَف) ليس المراد بها أنَّ اللَّه يعيش حاجة المعرفة ليعرفه النَّاس، كما يعيش بعضنا هذه الحاجة فيحاول أن يُظهرها بطريقة وبأخرى، ولكنّ اللَّه (تعالى) غنيٌّ عن ذلك وعن غير ذلك فالإنسان الذي يحب أن يُعرف يعيش نقطة ضعف، ويعيش وحشةً في نفسه، وإحساسًا بالسقوط والإحباط إذا لم يعرفه الناس، ولكنه (سبحانه) تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

ولكنَّ اللَّه يريد أن يحدّد للخلق مهمّة أساسية، وهي أن يعرفوا اللَّه خالقهم، والخطاب إلى الإنسان في هذه المسألة، يتحدّد على الشكل التالي: أيُّها المخلوق، لقد خلقتُكَ وأعطيتُكَ عقلًا، فدورك في خلقك هو أن تعرف اللَّه، كما أنَّ دورك هو أن تعبد اللَّه. والمقصود إذًا أنَّ الخلق إذا عرفوا اللَّه عرفوا أنفسهم، وإذا عرفوه استقامت أمورهم وانفتحوا عليه، وعرفوا كيف يتحرّكون مع أوامره ونواهيه، ولهذا، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[١]، إذ ليس معنى ذلك أنّ اللَّه بحاجة إلى عبادتنا، فاللَّه سبحانه لا تنفعه طاعةُ من أطاعه، ولا تضرّه معصية من عصاه، ولكنّ العبادة هي التي يستفيد منها الإنسان»[٢].

العلّامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين يقول:

«إنَّ الله سبحانه وتعالى بيّن أنه خلق الإنسان ليكون خليفة في الأرض من جهة، حيث قال عزَّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾[٤] وخلق جميع الكائنات العاقلة ذات الاختيار، الإنسان والجن، لأجل أن يعبدوه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[٥].

إن الهدف من خلق الإنسان هو العبادة والهدف من (جعله في الأرض) الخلافة فوجود الإنسان في الأرض هو وجود أخلاقي يراد منه إعمارها. والهدف من خلق

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) من كتاب «١٠٠ سؤال وجواب» (سلسلة حوارات عقائدية وفقهية وقرآنية ومفاهيم عامة مع العلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل اللَّه) إصدار المركز الإسلامي الثقافي، ط ١ (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م) ص٩، ١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

الإنسان العبادة، وهذان إنّما يتحققان على هدى ما يَنْصُبُه الله سبحانه وتعالى من الدلائل التي تكمل إدراك العقول الفطري لمناهج السلوك في هذه الحياة خلافةً في الأرض وعبادةً لله سبحانه وتعالى»[1].

الشيخ ياسر عودي(*): فقرات ذيل هذا الحديث تخالف القرآن

«إن ذيل هذا الحديث يخالف القرآن والعقل السليم وروح التوحيد حيث لم يُحدّثْ عن علّة خلق الكون لأجل أحد من المخلوقين كما تزعم بعض فقرات الحديث (ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضًا مدحية...)».

وهذا الأمرُ من الخطورة بمكان وقد ذكر القرآن أقلَّ منه رتبة فلِمَ لم يذكره؟ بل ما ذُكرَ على خلافه حيث يتحدّث اللّه تعالى عن خلق الجنِّ والأنس للعبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[2] فعلّةُ الخلقِ العبادة وليس أهل البيت عليهم السلام. وإن كانوا على رأس تلك العبادة والعباد وكانوا المصداق الأول والأرفع في تحقيق العبودية للّه عزَّ وجلّ ثمّ أنَّ القرآن كله يناقض ما جاء في ذيل حديث الكساء، فاللّه تعالى عندما يتحدَّثَ عن خلق بعض الأُمور وأنه خلقها للبشر لا لنفر دون غيرهم قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا... ﴿٢١﴾﴾[3] فنسب الخلق إليه ثمَّ فرّعه للبشرية كلها (خلق لكم) وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ... ﴿٤٠﴾﴾[4] فالخطاب لكلِّ البشر في الخلق والرزق وغير ذلك كما هو واضح بيّن، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾[5] وكذا قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾[6] وهكذا في آيات تسخير المخلوقات للبشر لم يوسّط أحدًا

---

(١) الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي، العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ط١ (١٤١٩هـ-١٩٩٩م) ص١١، ١٢.

(*) أستاذ حوزوي، أحد تلامذة السيد محمد حسين فضل الله منذ العام ١٩٨٤م، إمام مسجد السجّاد/ حي السلم، منذ العام ١٩٩٩م، داعية إسلامي، أُرسل إلى عدة بلدان بهدف التبليغ.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٤) سورة الروم، الآية: ٤٠.

(٥) سورة يّس، الآية: ٧.

(٦) سورة النحل، الآية: ٥.

ربنا سبحانه وتعالى في هذا المقام ولم يجعل أحدًا علّة لخلق هذه الأمور، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ... ﴿١٢﴾﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا... ﴿١٤﴾﴾[3] فهذه الآيات وأمثالها كثر في القرآن تدل بصراحة أن اللَّه خلق ذلك كلَّه للبشرية جمعاء لا لأجل أحدٍ فيها دون غيرهم».

خُلاصة البحث:

إن نزول آية التطهير في النبي ﷺ وفاطمة وعلي عليهما السلام والحسن والحُسَيْن ممّا استفاضت به الأخبار عن الحبيب المصطفى ﷺ عند فِرق المسلمين. وسُميّت هذه الواقعة بـ«حديث الكساء» فقد جاء في صحيح مسلم والترمذي أنه: «**خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرْط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمَّ جاء الحُسين فدخل معه، ثمَّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمَّ جاء علي فأدخله، ثمَّ قال:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[4]»[5].

أما حديث الكساء (الموضوع) زورًا وبهتانًا في كتاب مفاتيح الجنان عند فقرة: «ما خلقت أرضًا مدحية ولا سماءً مبنية... إلى آخره» غير صحيح وليس له سند أصلًا وملفّق لأجل التغطية على هذه الحادثة العظيمة الجليلة والفضيلة السامية وما اختص بها أهل البيت عليهم السلام، هذا أولًا، أما ثانيًا فهم يريدون تحريف علّة الخلق وسبب خلق الخلق والوجود، وحاول البعض أن يضع قصة خُرافية نسَبَها إلى السيدة فاطمة الزهراء باسم (حديث الكساء) لضرب أُسس آية التطهير وواقعة الكساء الصحيحة والإدّعاءِ أنّها موجودة في أكثر من كتاب وفي كتاب (عوالم العلوم) وهذا ما لم يثبت!؟ وإن وضع مثل هكذا أحاديث ملفّقة تعتبر من الكبائر ومن أكبر الجرائم بحق أهل البيت عليهم السلام ورسالتهم الخالدة.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٦٥.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٤.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٥) صحيح مسلم: ٤/ ١٨٨٣، صحيح الترمذي: ج ٥، ص ١٤٢.

يقول السيد محمد حسين فضل الله (رض):

«لعل المشكلة أن مجتمعاتنا التي يعيش الكثير منها حالة التخلّف الفكري تتحرك بفعل العاطفة، خاصة أن بعضهم يربط قضية تأصيل العلاقة بأهل البيت بالتقاليد والعادات والأكاذيب الموضوعة لأجل إثارة العاطفة، ومسألة العاطفة عندما تتجذر في أي مجتمع من المجتمعات التي عاشت حالة من الظلم ومن الاضطهاد التاريخي قد يصبح من الصعب جدًا عقلنة الطريق إليها، لخلق نوع من التوازن بينها وبين العقل، وكُنتُ دائمًا أعبّر عن إنّه لا بدّ من أن نعطي العاطفة جُرعة من العقل لتتوازن وأن نُعطي العقل جرعة من العاطفة ليرق ويلين»[١].

وأخيرًا وللأسف فإنَّ المذهب عندنا يتطوّر ويتبدّل ويتغيّر من زمان إلى آخر لأنه ليس عندنا ضابِطَةٌ تضبط البدع والأكاذيب التي تدخل على المذهب بل إن المذهب يتقبّل كل بدعة أو تزوير ويجد لها تبريرًا والناس تصدّقه وتمشي به.

جَزَى اللَّه آية الله حُجّة الإسلام الشيخ محمد محمدي الريشهري خيرًا عن الإسلام والمسلمين وحسنًا ما قام به من حذف هذا الحديث المزوّر لأن في الفقه قاعدة أساسية تقول: **(الزيادة في المذهب أسوأ من النقصان فيه)** ولكي لا يأتي بعدنا أناس بعدما بعُدت المسافة بيننا وبينهم فينسبون للشيخ عباس القمّي قولًا لم يقله ومن ثمَّ يعتبرونه من المُسلَّمات فيضللون غيرهم عليها ثمَّ لاحقًا يكفرونهم، وهذا ما يحصل اليوم، فإنَّ البعض يُكفّرنا لأنَّ لدينا هكذا نوع من القصص الخرافية الباطلة والمزوّرة والموضوعة.

وآجر اللَّه كل العلماء والمحققين الذين حققوا ليصلوا إلى الحقيقة، وكل المخلصين من العلماء والمثقفين على حرصهم الشديد وجرأتهم على رفض الباطل والتزوير والتحريف في زمن أصبحت هذه الأكاذيب والخزعبلات والخُرافات، هي من أُسس وأصول معتقداتنا وممارساتنا كما يقول بعض المعممين الأفذاذ...!

---

(١) من كتاب «١٠٠ سؤال وجواب» (سلسلة حوارات عقائدية وفقهية وقرآنية ومفاهيم عامة لسماحة العلّامة المرجع السيد حسين فضل الله، إصدار المركز الإسلامي الثقافي، ط ١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م) الحلقة الخمسون، ص ٣٠.



الفصل الخامس
النبوة والإمامة

- هل الإمامة تتقدّم على النبوة؟
- هل نيل الإمامة يكون بالتفضّل أم بالاستحقاق؟
- هل إمامة النبي إبراهيم عليه السلام في الآية كانت بالاستحقاق أم بالتفضّل؟
- تعريف الإمامة
- ملاحظات أُخرى
- نخلص إلى
- هل الأئمّة أفضل من الأنبياء؟
- ميثاق الله الغليظ
- الإمام الرضا عليه السلام يصرّح أن النبي أفضل من الوصي.
- خلاصة البحث

الفصل الخامس

النبوة والإمامة

* هل الإمامة تتقدّم على النبوة؟

بعض الفُقهاء يقولون أن الإمامة تتقدّم على النبوة وأنها أعلى شأنًا من النبوة، إذ النبوة هي: مقام تلقي الوحي فقط، ولكن الإمامة رتبة التصدي لقيادة الأُمّة على ضوء تعاليم الوحي، فالإمام هو خليفة اللَّه على الأرض، لعظم المسؤولية التي تقع على عاتقه، واستشهدوا بهذه الآية الكريمة:

﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[(١)].

وللبحث في هذا الأمر نسأل سؤالين:

أولًا: هل نيل الإمامة يكون بالتفضّل أم بالاستحقاق؟

إن نيل الشخص لمنصب النبوة أو الإمامة له حالتان هما:

الحالة الأولى: أن نيله لها متوقف على قيامه بأعمال وعبادات فإن قام بها وهبه اللَّه تعالى ذلك المنصب وهو ما يُسمّى بالاستحقاق.

الحالة الثانية: أن اللَّه تعالى وهب منصب النبوة والإمامة إبتداءً من دون توقف على صدور أعمال منه تكون كالسبب أو الشرط في نيلها وهو ما يُسمّى بالتفضّل.

لقد اتفق عُلماء الإمامية أن الإمامة التي حصل عليها الأئمّة عليهم السلام بالتفضّل وليس بالاستحقاق.

يروي الكليني في أصول الكافي في «**باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته**». عن الإمام الرضا عليه السلام في كلامه عن الإمامة يؤيد كونها بالتفضّل وليس بالكسب فيقول: «الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

مثلٌ ولا نظير **مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضّل الوهّاب**»[1].

يقول السيد المُرتضى:

«والذي نذهب إليه **أن الإمامة غير مستحقة بأعمال متقدّمة** على الوجه الذي رغبنا عنه». «وقد بيّنّا أنّا لا نذهب في الإمامة إلى أنّها مستحقة»[2].

يقول السيد محمد باقر الصدر:

«... والمرجع هو الإنسان الذي اكتسب بجهد بشري ومعاناة طويلة الأمد استيعابًا حيًا وشاملًا ومتحركًّا للإسلام ومصادره... ومن هنا كانت **المرجعية مقامًا يمكن اكتسابه بالعمل الجاد** المخلص للَّه سبحانه وتعالى **خلافًا للنبوة والإمامة** فإنهما رابطتان بين اللَّه تعالى والإنسان النبي أو الإنسان الإمام **ولا يمكن اكتساب هذه الرابطة بالسعي والجهد والترويض**»[3].

ويقول السيد كمال الحيدري:

«**فليست الإمامة مركزًا كسبيًا يصل إليه الإنسان بسعيه بل هي عهد من اللَّه يعهد به إلى غير الظالم**»[4].

ثانيًا: هل إمامة إبراهيم عليه السلام في الآية كانت بالاستحقاق لقيامه ببعض الأعمال أم بالتفضّل؟

إن الإمامة التي تتحدّث عنها الآية المباركة هي مستحقة بأعمال وتكاليف شاقة قام بها إبراهيم عليه السلام وهي الكلمات التي أتمها إبراهيم في ضوء التفسير الإمامي للآية ـ أي أنه استحق نيل تلك الإمامة بعد قيامه بتلك الأعمال الشاقة التي كلّف اللَّه تعالى بها، وهذا بعض من نصوص عُلماء الإمامية تُثبت هذه الحقيقة:

١ ـ يقول رئيس المحدّثين (الشيخ الصدوق) «ولقوله تعالى: (**وإذا ابتلى إبراهيم**

---

(١) أصول الكافي، دار الأضواء/ لبنان (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م) ج ١، ص ٢٠١.

(٢) الشافي في الإمامة، السيد مرتضى ج١، ص٣٢٦، ٣٢٧.

(٣) الإسلام يقود الحياة، السيد محمد باقر الصدر، ص١٧٣، ١٧٤.

(٤) بحث حول الإمامة، السيد كمال الحيدري، ص١٥٩.

ربه بكلمات) **وجه آخر** فإنَّ الإبتلاء على ضربين أحدهما مستحيل على اللّه تعالى والآخر جائز. فالمستحيل هو أن يختبره ليعلم ما تكشف الأيام عنه، وهذا ما لا يصح، لأنه سبحانه علّام الغيوب، والآخر **أن يبتليه حتى يصبر فيما يبتليه به، فيكون ما يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق**، ولينظر إليه الناظر فيقتدي به فيعلم من حكمة اللّه عزَّ وجلّ أنه لم يكل أسباب الإمامة إلّا إلى الكافي المستقل بها، الذي كشفت الأيام عنه»[1].

٢ ـ آية اللّه العلّامة محمد تقي المُدّرسي:

«**إبراهيم** عليه السلام **مرَّ باختبارات صعبة** فأُلقي في النار وصبر، وأُخرج من بلده وصبر، وابتلى بأمر اللّه له أن يذبح ابنه فلبى الأمر و... **وبعدئذ اختير إمامًا** ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾ فإبراهيم لم يحصل على الرسالة مجانًا بلا ثمن أو لأنه يملك عنصرًا أجود من غيره أو دمًا أذكى حتى يسري ذلك الدم في أبنائه، **بل أعطاه اللّه الرسالة بعد امتحان عسير**»[2].

٣ ـ يقول آية اللّه العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي:

«الآية الكريمة تقول أولًا: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾[3].

هذه الفقرة من الآية تشير إلى الاختبارات المتتالية التي اجتازها إبراهيم عليه السلام بنجاح، وتبَيّن من خلالها مكانة إبراهيم وعظمته وشخصيته **وبعد أن اجتاز هذه الاختبارات بنجاح استحق أن يمنحه اللّه الوسام الكبير** قال إنِّي جاعلك للناس إمامًا»[4].

وعلى ضوء ما تقدّم يتبيّن لنا أن الإمامة إذا كانت هبة إلهية ـ كالنبوة ـ مقدّرة أي (بجعل قدري) من الرب لا بسعي من العبد فهنالك تناقض لأن موقع الإمامة التي

---

(١) الخصال، ص٣٥ ومعاني الأخبار، ص١٢٧، الشيخ الصدوق، وقد نقله الطبرسي في تفسيره«مجمع البيان في تفسير القرآن»، دار المعرفة/لبنان (١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م) ط ١، ج ١، ص٣٧٩.

(٢) من هدي القرآن، آية الله العلّامة محمد تقي المدرسي، ج١، ص٢٥٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٤) الأمثل في كتاب الله المنزل، آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج١، ص٣٦٧.

حصل عليها إبراهيم عليه السلام حادثة، أي أن الإمامة ما تحققت لإبراهيم عليه السلام إلَّا بعد الابتلاء وهذا ينافي ويناقض مفهوم الإمامة.

وقد يقول قائل: إن الآية تشير إلى أن اللَّه قال: «إني جاعلك» أي أنه منصب مجعول من اللَّه عزَّ وجلّ؟

فالجواب: لكن هل الجعل هنا بعد الابتلاء أم قبله...؟!!

* تعريف الإمامة:

يقول الشيخ المفيد:

أن الإمام هو الإنسان الذي له رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1].

ويقول السيد محسن الأمين:

«إنها واجبة وإنها رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم».

وإن الإمام بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام لنصه عليه يوم الغدير بأمر اللَّه تعالى له وبعده ابنه الحسن ثمَّ أخوه الحُسين»[2].

إذًا تعريف الإمامة هي:

«الرئاسة العامة في أمور الدين والدنيا لشخص نصّبه اللَّه تعالى واختاره».

وإذا أسقطنا هذا **التعريف على لفظ إمام في هذه الآية:**

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾[3].

فتصبح الآية: «إني جاعلك للناس **أميرًا ورئيسًا، حاكمًا عليهم في أمور دينهم ودنياهم**» فهل هذا الإسقاط صحيح؟؟؟

طبعًا غير صحيح بسبب أن إبراهيم عليه السلام لم يكن أميرًا ولا رئيسًا ولا حاكمًا.

---

(١) النكت الاعتقادية، ص ٣٩.

(٢) أعيان الشِّيعة، ج ١، ص ١٠٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

وهنا نقول: إما أن نقول إن اللّه (سبحانه وتعالى) أراد جعل إبراهيم عليه السلام إمامًا بمعنى قدوة وليس إمامًا بالمعنى الاصطلاحي للإمامة عندنا، وهذا هو الأصوب.

إنَّ إبراهيم عليه السلام لم يكن خليفة وحاكمًا مطاعًا وإنما كان قدوة ونموذجًا للتأسي والإتّباع، والإمام عندنا هو الخليفة أو الحاكم المتصرف في أمور الناس بتعيين من اللّه وليس القدوة المجرد عن ذلك، ولو كان اللّه تعالى قصد بالإمامة التي جعلها له ما ذهبت إليه الإمامية لما تخلّف وعد اللّه له ولصار حاكمًا مطاعًا فعُلِم من ذلك أن اللّه تعالى لم يقصد بالإمامة، الحكم والتصرف ولذلك فرّق اللّه تعالى بين داود وإبراهيم في اللفظ فقال لداود عليه السلام ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] بينما قال لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[2] لأن داود كان خليفة وحاكمًا ومتصرفًا وإبراهيم لم يكن كذلك.

ملاحظات أخرى:

أولًا: لقد تخطى النبي إبراهيم من مرحلة النبوة إلى مرحلة الإمامة وهذا مالم يحدث للأئمة عليهم السلام فالأئمّة لم يكونوا أنبياء ويؤيد ذلك جملة من الروايات سننشير إليها بعد قليل...!

ثانيًا: قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾[3] ولم يقُل (النبوة والإمامة والكتاب) مع أنهم أئمة ممّا يدل على أنَّ النبوة أرفع رتبة من الإمامة.

ثالثًا: قول اللّه: ﴿جَاعِلُكَ﴾ تفيد المستقبل، وهذا المستقبل متعلق بمن سيأتون من البشر الذين سوف يقتدون بإبراهيم وليس معنى الآية سوف أعطيك منزلة الإمامة التي لم تحصل عليها بعد.

نخلص إلى:

أن نيل الإمامة يكون بالتفضّل من اللّه تعالى وليس بالاستحقاق المترتب على قيامهم بأعمال كانت السبب أو الشرط في نيلها، والإمامة التي أثبتتها الإمامية لـ(الأئمّة) قدرية كائنة مع الإمام منذ وجوده، ولكن إمامة إبراهيم عليه السلام حسب قول

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

الإمامية حادثة بعد أن لم تكن، فهي ليست قدرية تكوينية، فأما أن تكون الإمامة حادثة كإمامة إبراهيم عليه السلام فهي ليست الإمامة التي أثبتناها للأئمة وأما تكون غيرها وعندئذٍ فلا وجه للاحتجاج بها بإمامة إبراهيم عليه السلام.

*** هل الأئمّة أفضل من الأنبياء؟**

لقد رتب اللّه عباده الذين أنعم عليهم إلى مراتب تقدّمها الأنبياء أولًا ثمَّ الصدّيقين ثانيًا...

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾[(١)].

روى الكشي في (رجاله) بسنده عن أبي العباس البقباق عن الإمام الصادق عليه السلام رويات تصرّح أن الأئمة ليسوا أنبياء ولا يجب الشك في ذلك[(٢)] وقد تحاورَ ذات مرة رجل من أصحابه في المدينة، وهو معلّى بن خُنيس مع عبد الله ابن أبي يعفور، فقال معلّى: «الأوصياء أنبياء»، بينما قال ابن أبي يعفور: «الأوصياء علماء أبرار أتقياء» فدخلا على الصادق عليه السلام فلما استقر بهما المجلس بدأهما فقال: **يا عبد الله أَبْرَأُ ممن قال: «إنّا أنبياء»**[(٣)].

وروى الكشي في الصحيح عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**يا أبا محمد أبرءُ ممن يزعم أنّا أرباب، قلت برء الله منه. فقال: إبرء ممن يزعم أنا أنبياء. قلت: برء الله منه**»[(٤)].

وعن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد ابن معاوية، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال: «**قلت له: ما منزلتكم؟ ومن تشبهون ممن مضى؟ قال: صاحب موسى وذو القرنين، كانا عالمين ولم يكونا نبيين**»[(٥)].

فيبدو أن الخلافات الموجودة الآن حول أوصاف الآئمة عليهم السلام بين مقتصد معتدل

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) راجع: رجال الكشي: ٢/ ٥٩٠/ ٥٤٠ عن الحسن الوشاء عن بعض أصحابنا.

(٣) رجال الكشي، مؤسسة الاعلمي/ بيروت (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) ط١ ، رقم (١٢٥)، ترجمة عبد الله بن أبي يعفور، ص١٨٠.

(٤) رجال الكشي، ح٥٢٩.

(٥) الكافي، الكليني، ج١، ص٢٦٨.

ومتطرف غال، لم تكن حديثة عهد، بل قد كانت على عهد الأئمة عليهم السلام وبمسمع ومرأى منهم.

وروى الكشي في (رجاله) عن علي بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير قال: **قال أبو عبد الله** عليه السلام يومًا لأصحابه ـ لعن الله ـ المغير بن سعيد و ـ لعن الله ـ يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق، إنَّ المغيرة كذب على أبي عليه السلام، فسلبه الله الإيمان، وإنَّ قومًا كذبوا عليَّ ما لهم أذاقهم الله حرَّ الحديد؛ فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضرّ ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجَّة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون، ومقبورون، ومنشورون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسؤولون، ويلهم ما لهم، ـ لعنهم الله ـ، لقد آذوا الله، وآذوا رسول الله صلى الله عليه وآله في قبره، وأمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، صلوات الله عليهم، وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله صلى الله عليه وآله، أبيت على فراشي خائفًا وجلًا مرعوبًا يأمنون وأفزع، ينامون على فرشهم وأنا خائف ساهر وجل أتقلقل بين الجبال والبراري، أبرأ إلى الله مما قال في الأجدع البَّراد عبد بني أسد أبو الخطاب ـ لعنه الله ـ، والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب أن لا يقبلوه، فكيف وهم يروني خائفًا وجلًا أستعدي الله عليه وأتبرَّأ إلى الله منهم أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله ومامعي براءة من الله ، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذابًا شديدًا أو أشد عذابه»[1].

هذه الروايات وإن كانت تتحدث عن خطر الغلو فيهم ونفي كونهما أنبياء إلا أن في طياتها مطالب أخرى جليلة ومهمة، تدعو أتباعهم ومحبيهم ومشايعيهم إلى عدم التطرف والتشدد في أوصافهم ومقاماتهم. وأنه لا يوجد لديهم براءة من النار لمن عصى الله، بل لا بد من العمل الصالح وطاعة الله، والتقوى،، ولا يجوز لشيعتهم أن يتكلوا على مجرد النسبة إليهم والحديث عن محبتهم وشرح مقاماتهم عليهم السلام، فإن الأئمة أنفسهم لم ينالوا كرامة الله، إلا بالتقوى والعمل الصالح ـ كما تقدم ـ ويشهد لذلك ما ذكره في آخر الرواية بقوله عليه السلام: (أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله، إن أطعته رحمني، وإن عصيته عذبني عذابًا شديدًا أو أشد عذابه).

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٥، ص٢٩٠، رقم (٤٦).

وإذا كنا متفقين أن الأئمّة ليسوا أنبياء إذًا فهم يدخلون ضمن قسم الصديقين وبالتالي هم يندرجون في المرتبة الثانية التي رتبها اللّه عزَّ وجلّ.

في تفسير آية ﴿...وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يقول السيد الطباطبائي:

«وفي أمالي الشيخ، بإسناده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام قال: جاء رجل(*) من الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ما أستطيع فراقك، وإني لأدخل منزلي فأذكرك فأترك ضيعتي وأقبل حتى أنظر إليك حبًا لكَ، فذكرت إذا كان يوم القيامة فأُدخلت الجنة فرفعت في أعلى عليين فكيف لي بك يا نبيَّ الله؟ فنزل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾(١) فدعا النبي صلى الله عليه وآله الرجل فقرأها عليه وبشّره بذلك».

أقول: وهذا المعنى مروي من طرق أهل السُنّة أيضًا رواه الدر المنثور، عن الطبراني وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والضياء المقدسي في صفة الجنّة وحسّنه عن عائشة، وعن الطبراني وابن مردويه من طريق الشعبي عن ابن عباس، وعن سعيد بن منصور وابن المنذر عن الشعبي، وعن ابن جريد عن سعيد بن جبير»(٢).

ونخلص إلى أنَّ الأنبياء متقدّمون على جميع الناس وهم في أعلى عليين وفي أرفع الدرجات، ولا ينافسهم أحد في هذه المرتبة.

وأمَّا فيما جاء أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو نفس رسول اللّه من حديث المباهله، أنَّ الرسول قد عينَّ عليًّا بالنص والوصية والتعيين لا خلاف عليه ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾(٣) ولكن إطلاق كلمة أنفسنا على (علي) في الحديث لا يقتضي المساواة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وآله في القدر والمنزلة والرتبة، وإن كلمة «أنفس» قد تطلق من غير أن يقتضي ذلك المساواة بين من يندرج تحتها من الأفراد كما جاء في القرآن الكريم في قصة بني إسرائيل: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾(٤) وقوله تعالى:

(*) هو ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) تفسير «الميزان في تفسير القرآن» سورة النساء، الآية: ٦٩، ج٤ ص٣٥٢، والمضمون نفسه موجود في «مجمع البيان»، الطبرسي، دار المعرفة/ بيروت، ج٣، ص١١٠، ١١١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾[1] فلم يوجب ذلك تساوي الأنفس جميعًا في الآية الأولى: إذ تضمنت العصاة والمطيعين، ولا المساواة التامة بين المؤمنين في الآية الثانية، فالآية: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ﴾[2] تشير إلى فضل علي في قرابته النَسَبيّة من الرسول إذ أن النبي ﷺ دعا عليًّا وفاطمة وابنيهما لأنهم أهل بيته عليهم السلام وهذا تنفيذ لأمر اللّه في أن يدعو كل واحد من الفريقين أقرباءه من الأبناء والنساء والأنفس عندما سأل وفد نصارى نجران النبي ﷺ عن حقيقة المسيح عليه السلام، فنزل القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾[4] ثمَّ دعا الوفد النجراني إلى المباهلة (الملاعنة) إن لم يقتنعوا، قال تعالى: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾[5] فدعا النبي ﷺ عليًّا وفاطمة والحسن والحُسَيْن، وقال: هؤلاء أهلي ولكن الوفد النجراني انسحب ولم يقبل المباهلة.

وهنا يرد سؤال أنه قد جاء في سورة التوبة: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ فهل معنى هذا أننا مُساوون للرسول؟!

وقد ورد عدة معاني للنفس في القرآن الكريم منها:

﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[6] قال المحقق الأردبيلي: أي ولا يعيب بعضكم بعضا، فإنَّ المؤمنين كنفس واحدة»[7] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[8] أي لا يقتل بعضكم بعضا[9].

---

(١) سورة النور، الآية: ١٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٥٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٦) سورة الحجرات، الآية: ١١.
(٧) زبدة القرآن، الطريحي، ص ٢٩٤.
(٨) سورة النساء، الآية: ٢٩.
(٩) التبيان ج٢، ص١٣٨، الطوسي، الطبري، ج ٨، ص٢٢٩.

وأما القول أن الأئمّة أفضل من الأنبياء ما عدا نبينا مُحَمَّدًا ﷺ فهذا القول يعارض ما جاء في القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾[1] وتعني: أي على الناس أجمعين بالنبوة.

وقال اللّه تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾[2].

إذًا هذه الآيات تصرّح أنَّ الأنبياء فُضّلوا على العالمين وإصطفاهم اللّه على عباده.

يقول اللّه تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[3].

فلو كان الأئمّة أفضل من الأنبياء لماذا لم يتعلّق الكُفْر بعدم الإيمان بهم عليهم السلام بل باللّه والملائكة وكتبه والرسل واليوم الآخر ولم يرد ذكر للأئمة. فهم الأولى بالذكر وهذا ما لم نَرَهُ في الآية الكريمة!.

وأخيرًا نسأل إذا كان الأئمة أفضل من الأنبياء، فلماذا يسأل الإمام علي عليه السلام الله أن يكون في رفقة الأنبياء، وهو أعلى منهم مقامًا؟!

فقد قال عليه السلام:

«نَسْأَلُ الله مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ. وَمُعَايَشَةَ السُّعَدَاءِ ومُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ»[4]!

فهل من المنطق أن يطلب الأعلى مقامًا مرافقة الأقل مقامًا؟!!

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٨٣، ٨٧.

(٢) سورة صَ، الآيات: ٤٥، ٤٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ط٢، ج١، ص٣١٢، خطبة (٢٣).

* ميثاق الله الغليظ:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾[1].

هذه الآية توضّح أنَّ الله عزَّ وجلّ أخذا ميثاقًا من النبيين عامة وأنبياء أولي العزم خاصةً **يقول الطبرسي:**

«خصَّ هؤلاء بالذكر لأنهم أصحاب الشرائع ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ **أي عهدًا شديدًا على الوفاء بما حملوا من أعباء الرسالة وتبليغ الشرائع**»[2].

والعلّامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي يقول:

«**فإنَّ هذه الآيات تبيّن واجبات النبي ﷺ وسائر الأنبياء العظام الثقيلة العظيمة**، لأنّا نعلم أنَّ الصلاحيات تقترن دائمًا بالمسؤوليات، وحيثما وجد «حق» كان إلى جانبه «تكليف» ومسؤولية، فإنَّ هذين الأمرين لا يفترقان أبدًا. بناءً على هذا فإنَّ النبي ﷺ إن كان له حقّ وصلاحية واسعة، فإنَّ عليه في المقابل مسؤوليات ضخمة.

وعلى هذا فإنَّ ـ الآية السابقة ـ تذكر أولًا جميع الأنبياء في مسألة الميثاق، **ثم تخصّ بالذكر منهم خمسة أنبياء هم أولو العزم، وعلى رأسهم نبيّ الإسلام ﷺ لعظمته وجلالته وشرفه، وبعده الأنبياء الأربعة من أُولي العزم** حسب ترتيب ظهورهم، وهم: «نوح وإبراهيم وموسى وعيسى» عليهم السلام»[3].

أما العلّامة السيد الطباطبائي فيقول:

«قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ إضافة الميثاق إلى ضمير النبيين دليل على أن المراد بالميثاق ميثاق خاص بهم كما أنَّ ذكرهم بوصف النبوة مشعر بذلك فالميثاق

---

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٧.

(٢) «البيان»، الطبرسي، دار المعرفة، بيروت، ج٨، تفسير سورة الأحزاب، الآية: ٧، ط١ (١٤٠٦هـ ـ ١٩٦٨م) ص٥١٣.

(٣) «الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل» ج١٣، سورة الأحزاب، الآية: ٧، الأميرة للطباعة والنشر/ بيروت، ط١ (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م)، ص١١١.

المأخوذ من النبيين ميثاق خاص من حيث إنهم نبيون وهو غير الميثاق المأخوذ من عامة البشر الذي يشير إليه في قوله:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾(1).

وقد ذكر الميثاق من النبيين في موضع آخر وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا﴾(2).

والآية المبحوث عنها وإن لم تبيّن ما هوالميثاق المأخوذ منهم وإن كانت فيها إشارة إلى أنه أمر متعلق بالنبوة لكن يمكن أن يستفاد من آية آل عمران أنّ الميثاق مأخوذ على وحدة الكلمة في الدين وعدم الاختلاف فيه كما في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢﴾(3)، وقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾(4).

وقد ذكر النبيين بلفظ عام يشمل الجميع ثم سمّى خمسة منهم بأسمائهم بالعطف عليهم فقال: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ ومعنى العطف إخراجهم من بينهم وتخصيصهم بالذكر كأنه قيل: وإذا أخذنا الميثاق منكم أيها الخمسة ومن باقي النبيين.

ولم يخصّهم بالذكر على هذا النمط إلّا لعظمة شأنهم ورفعة مكانهم فإنهم أولو العزم وأصحاب شرائع وكُتب وقد عدهم على ترتيب زمانهم: نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ابن مريم عليهم السلام، لكن قدّم ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو آخِرُهم زمانًا لفضله وشرفه وتقدّمه على الجميع.

---

(1) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(2) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(3) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

(4) سورة الشورى، الآية: ١٣.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ تأكيد وتغليظ للميثاق نظير قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾[1]»[2].

إذًا فالواضح أنَّ الله أخذ عهدًا غليظًا من النبيين جميعًا وخصّصَّ بالذكر خمسة أنبياء هم أُولو العزم، وهذا الميثاق كما تقدّم يدل على عظم وثقل الواجبات التي أُلقيت على الأنبياء جميعًا، وبالتالي تخصيص الأنبياء بهذا الميثاق أو العهد دون غيرهم يدل على تقدمهم على باقي البشر لسعة وضخامة المسؤوليات من تأدية التبليغ والرسالة والقيادة وهداية الناس في كلّ الأبعاد والمجالات.

والسؤال هنا إذا كان الله عزَّ وجلّ قد أخذَ من الأنبياء هذا الميثاق، كما هو واضح في القرآن الكريم[*]، فلماذا لم يأخذ نفس هذا الميثاق من الأئمة عليهم السلام علمًا أنهم مُتقدّمون على الأنبياء كما يدّعي البعض!!؟

الإمام الرضا عليه السلام يصرّح أن النبي أفضل من الوصي

جاء في عيون أخبار الرضا في الباب (٤٠) «السبب الذي من أجله قبل علي بن موسى الرضا عليه السلام ولاية العهد من المأمون وذكر ما جرى في ذلك ومن كرهه ومن رضي به وغير ذلك» في الرواية رقم (١):

«حدثنا المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي السمرقندي رضي اللّه عنه قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مسعود العياشي، عن أبيه، قال: حدثنا محمد بن نصير، عن الحسن بن موسى، قال: روى أصحابنا عن الرضا عليه السلام: أنه قال له رجل: أصلحك اللّه كيف صرت إلى ما صرت إليه من المأمون؟ وكأنه أنكر ذلك عليه، فقال له أبو الحسن الرضا عليه السلام: **يا هذا أيهما أفضل النبي صلى الله عليه وآله أو الوصي؟ فقال: لا بل النبي**، قال: فأيهما أفضل مسلم أو مشرك؟ قال: لا بل مسلم، قال: فإنَّ

(١) سورة هود، الآية: ٥٨.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ط١ (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، دار إحياء التراث/ بيروت، ج١٦، ص٢٢٥، ٢٢٦.

(*) أما ما جاء في بعض المرويات أنَّ الله عزَّ وجلّ أخذ من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم الميثاقَ، فهي ضعيفة السند ومضمونها يعارض القرآن الكريم كما سيأتي لاحقاً في باب «نقد أحاديث الشيعة» من هذا الكتاب.

العزيز عزيز مصر كان مشركًا وكان يوسف عليه السلام نبيًا، وأن المأمون مسلم وأنا وصي، ويوسف سأل العزيز أن يوليه حين قال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾[1] وأنا أجبرت على ذلك، وقال عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾[2] قال: حافظ لما في يدي عالم بكل لسان»[3].

خلاصة البحث

مما تقدّم يتبيّن لنا أنَّ الإمامة لا تتقدّم على النبوة أبدًا بحسب المنظور القرآني والروائي بل إننا لم نجد رواية واحدةً تؤيد هذا الرأي أو هذه النظرية وبالتالي فهذا الرأي هو عبارة عن اجتهاد فقهاء نحترم رأيهم، إلّا أننا لا نؤيدهم.

نتمنى إعادة النظر فيه لما له من نتائج سلبية على العقائد الدينية والفكرية الصحيحة وهو مخالف لضروريات الإسلام (والله العالم).

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الصدوق، مؤسسة الأعلمي/ بيروت (١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م) ط ١، ج١، ص١٥٠.

الفصل السادس

الولاية التكوينية

بقلم الشيخ ياسر عودي

- تمهيد
- القسم الأول: الولاية
- القسم الثاني: أدلة الولاية التكوينية
- القسم الثالث: مناقشة أدلة الولاية التكوينية ومعانيها
  - الرد على المعنى الثالث
  - مناقشة الأدلة الروائية
- القرآن ينفي الولاية التكونية
- الخاتمة



تمهيد

من المواضيع المطروحة عند المسلمين موضوع الولاية التكوينية هل هي ثابتة للمعصومين من الأنبياء والأئمّة عليهم السلام أو لا هي خاصة باللّه سبحانه وتعالى؟ فقد نفاها كثير من عُلماء المسلمين، وأثبتها بعض عُلماء الشِّيعة من المتأخرين للنبي والأئمّة المعصومين صلوات اللّه عليهم أجمعين. وهي من النظريات الحديثة التي تخضع للدليل نفيًا وإثباتًا مع الملاحظة أنّها لم تكن في كلمات علمائنا القُدامى بل كانت كلماتهم توحي بأنَّ الكرامات والمعجزات هي من قبيل إجابة الدعاء لأنَّ الفاعل لكل الأمور هو الله سبحانه ولا في النصوص والآيات القرآنية «وقد أخذت نظرية الولاية التكوينية بُعدًا عقائديًا حاسمًا متنوّعًا في تصنيف المسألة لتبقى في دائرة المُعجزة وفي توسيعها لتشمل كل الكون حتى أن البعض تصوّر أن اللّه تعالى فوّض للأنبياء والأئمّة عليهم السلام أمر التصرّف بالكون في حركته الخفيّة والظاهرة بحيث أنهم يملكون القدرة على تغيير ما يريدونه... من دون أية قدرة ذاتية مُستقلة بل من خلال القدرة التي مكنّهم اللّه منها وأعطاهم إياها»[1].

وقد تصوّر هذا البعض أن التقيُّد بإذن اللّه الوارد في الآيات أو عدم الإستقلالية الذاتية أي عدم كونهم شرائط العلّة الفعليّة إذ فعليّته تعالى لا قصور فيها، تبعدهم عن الغُلوّ والشرك في المقام فالغرض من كونهم كما قالوا وسائط في الفيض أي أنهم وسائط قابلية المحل والموجودات للإفاضة بمعنى أن الموجودات فيها القصور فلا يكون الفيض إليها إلّا بتوسيط وجودهم لأنها ليست لها أهلية الصدور المباشر من المجرد لكونها مادة والمادة لا تصدر إلّا عن المادة فخلق اللّه تعالى العقل الأول أو النور المحمدي المنبسط الجامع لصور الموجودات ومنه ترشح الخلق. لا لقصور في شرائط الفعليّة إذ الفاعلية والعليّة للّه سبحانه وهذه في الحقيقة لها بعد فلسفي نتعرض له بإختصار خلال البحث. والولاية المبحوث عنها هنا وبمعنى

(١) من وحي القرآن، ج ٦، ص ٢٦.

السلطنة والتصرف المطلق وخرق ناموس الطبيعة وهذا ثابت للّه تعالى بلا كلام في البين قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾[1].

بمعنى ولاية التدبير الساري في كل شيء واشتقاقه، وكل شيء ملك تدبيره سبحانه ولمزيد من الإيضاح **نقول**:

القسم الأول: الولاية

عُرِّفت بأنها الإمارة والسلطنة لغةً كما عن السيوطي وغيره واصطلاحًا هي سلطنة على التصرّف بالشيء بنحو خاص كالتصرف بحال القُصّر والولاية عليهم لسد النقص عندهم وولاية الفقيه: تدير شؤون الأُمّة ممّا ليس لها أهلية الإستقلال فيه.

وولاية الحاكم: سلطنة وتدبير دولته ولا طائل من البحث اللغوي والإصطلاحي أكثر من هذا في المقام لنقول أن الولاية التكوينية تعني سلطة على هذا الكون يخضع جميع ذراته لمن له الولاية خضوعًا تكوينيًا بحيث يستطيع صاحبها تغيير أنظمة الكون وتبديل المغرب بالمشرق ورفع الرزق وإطالة العمر أو قصره وغير ذلك.

وقد تعني أيضًا أن المعجزات فعل ينسب إلى النبي ﷺ والأئمّة عليهم السلام وإن كان بإقدار من اللّه تعالى مع بقائه على التأثير والفاعلية كما هو الأحتمال الثالث للتفويض الذي يدور حوله النقاش والحاصل لا يتصوّر للولاية التكوينية إلّا معانٍ خمسة على حسب الإستقراء فإما أن تكون بمعنى التفويّض كما أشرنا لقول البعض في التمهيد والتفويّض أما مطلقًا معنى استقالة اللّه تعالى من إدارة الكون أو التفويّض بمعنى كف اليد عن إدارته واعطائها للمعصومين أو بمعنى إعطائهم القدرة على التصرّف مع بقائه على الفاعلية والتأثير هذا أول معنى.

إما الثاني: أن تكون بمعنى الوظيفة فكما أن الملائكة عليهم السلام هم موظفون عند اللّه تعالى في بعض خصائص الكون مثل قبض الأرواح وتقسيم الرزق وغير ذلك كما تشير إليه بعض الآيات... كقوله تعالى: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾[2] في سورة الذاريات. وقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤.

تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[2]. فكما هؤلاء موكلون من اللّه بتدبير بعض الأُمور كذلك المعصومون والأئمّة موكلون بتدبير الكون.

الثالث: أن تكون بمعنى الرتبة إذ أن اللّه جعل لهم هذه الرتبة العالية تشريفًا لهم أشبه بالحقائب الوزارية بلا وزارة إذا صح التعبير.

الرابع: وقد تعني أن اللّه تعالى ترك شيئًا ناقصًا في الكون وأرادَ سداد هذا النقص من خلال ولاية الأنبياء والأولياء عليه لسد النقص فيه كما في ولاية الأب على القاصرين من أولاده فدورهم دَوْرٌ تنفيذيٌّ وإداريّ.

الخامس: وقد يتصوّر لها معنى آخر وهو إجابة الدُّعاء والكرامة للنبي أو الولي وهذا لا خلاف فيه لكن المقصود من كلامهم غير ذلك ولو كان مقصودهم ذلك لما كان هناك خلاف معهم أبدًا لأن جميع العلماء من كل المسلمين بل من غير المسلمين يعتقدون بإجابة دعاء الأنبياء والأولياء وكرامتهم.

القسم الثاني: أدلة الولاية التكوينية

نستعرض في هذا المختصر أهم الأدلة بما يسع له المقام.

ـ الأول: قوله تعالى: في قصة عيسى عليه السلام من سورة آل عمران:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[3].

قد يدَّعى ظهور هذه الآية في صدور المعجزة منه من خلال جهده الذاتي الذي اكتسبه بإذن اللّه فنلاحظ في الآية أنه ينسب الخلق إلى نفسه بقوله: أني أخلق، وكذا في الباقي حيث تمَّ خلق الطير وإبراء الأكمه وإحياء الموتى ويُنَبِّئُهم بما عندهم بجهده الشخصي وفعله لكن بإذن اللّه.

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٢٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

وهذا دليل تصرّفه وقدرته وولايته على الأُمور تكوينًا.

ـ الثاني: ما ورد في قصة سليمان عليه السلام حينما طلب منهم أن يأتوه بعرش بلقيس فقال العفريت: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1] وقيل في بعض التفاسير بناءً على الروايات أن القائل هو آصف بن برخيا وزير سليمان ووجه الإستدلال أنه إذا كانت لآصف هذه القُدرة على نقل العرش بهذه السرعة الفائقة نقلًا تكوينيًا من مكان إلى مكان فبطريق أولى أن تكون هذه الولاية للأنبياء والمعصومين عليهم السلام خصوصًا أهل البيت لأنهم أفضل منه واستدلوا بآيات أخرى لا يسع المقام إليها وهي واضحة الدلالة على كونها دُعاءً أو لُطفًا إلهيًا كما استجاب اللَّه تعالى طلب إبراهيم وأمره بذبح الطيور وتقسيمها إلى أجزاء لتأتيه سعيًا ليشاهد قدرة اللَّه تعالى في الإحياء فدوره فقط هو الذبح والتقسيم وليس الإحياء وهذا لا يدل على الولاية ومثله في استجابة نوح عندما دعا على قومه ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾[2] وجاء الطوفان كما في قصة موسى كتحويل العَصَا إلى ثعبان وإخراج يده بيضاء من غير سوء فإنه لم يبد أي جهد في المقام بل نرى أنه مجرد واسطة ظاهرية والمؤثر الفعلي في جعلها بيضاء أو العَصَا ثعبانًا أو النار بردًا وسلامًا على إبراهيم أو إحياء الموتى أو تقسيم خلق الطين كهيئة الطير أو ما إلى ذلك هو اللَّه عزَّ وجلّ بلا استقلالية منهم في المقام أي لم يقدروا على فعل ذلك مُسْتَقِلِّين. فضلًا أن هذه معجزاتهم لإثبات نبوتهم أو استجابه لدعائهم وليس قدرة منهم على ذلك. وآيات أخرى تشابه مناقشتها هاتين الآيتين.

ـ الثالث: الدليل الروائي ما ورد في الزيارة الجامعة بكم فتح اللَّه وبكم يختم وبكم يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت... وبكم تنبت الأرض أشجارها وتخرج الأرض ثمارها وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها.

وجه الإستدلال: أن اللَّه تعالى إذا قدَّر أمرًا فإنه يهبط أولًا إليهم ويخرج من بيوتهم إلى الدنيا ومعنى هذا أنهم وسائط فيضه في جميع أموره سبحانه لما لهم من رتبة الولاية عنده.

---

(١) سورة النمل، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

(٢) سورة القمر، الآية: ١٠.

ـ الرابع: ما ورد عنهم من أن الأرض ملك لنا وأشباهها من الروايات المتناقضة في دلالتها والضعيفة السند.

فإذا كانت الأرض ملكهم ملكًا حقيقيًا لا اعتباريًا فإنَّ ذلك يؤدي إلى تصرفهم في ملكهم كما يشاؤون تصرف الملّاك في أملاكهم وليس هذا إلّا تسليطًا تكوينيًا.

ـ الخامس: ما ورد في كتاب الأمير عليه السلام لمعاوية (نحن صنايع اللّه والخلق صنايع لنا). وهذا واضح دلالته بظاهره على المطلوب في التصرّف بما صنعوا.

وهناك روايات أخرى تفيد نفس المعنى وتناقش بنفس الطريقة التي سنعرفها في الفصل الثالث تركناها هنا للإختصار ولأنها في وادٍ واحد.

ـ السادس: استدلوا بوقوعها فعلًا من المعصوم كحادثة رد الشمس لعلي عليه السلام وليس هذا إلّا تصرُّفًا بالكون وقوانينه وكقلع باب خيبر وما إلى ذلك.

القسم الثالث: مناقشة أدلة الولاية التكوينية ومعانيها

لا بد قبل البدء بالمناقشة إلفات النظر إلى ما ورد في كتاب (من وحي القرآن)[1].

وهذا مختصره حيث قال: المناقشة من ناحيتين.

الأولى جانب الإمكان: ولا إشكال في إمكان جعل الولاية التكوينية من ناحية المبدأ لأن اللّه القادر على الوجود كله يملك أن يمَكّن بعض خلقه بعض مواقع القدرة ووسائلها فهو الذي جعل لهم القدرة في دائرة إنسانيتهم وأوضاعهم من خلال ما أوكل إليهم من مسؤوليات ملقاة على عواتقهم والسعي في حاجاتهم فمن له هذه القدرة له أن يوسع دائرتها لمهمّة جديدة في الكون ويبقى اللّه تعالى مسيطرًا مهيمنًا على الأمر كله فلا يملك أحد إلّا ما يملكه اللّه تعالى لأنه المُعطي والمانع وليس في هذا المبدأ منافاة لتوحيده.

الثانية: جانب الحاجة والضرورة إلى ذلك لماذا يجعل اللّه تعالى الولاية التكوينية فهل هناك حاجة مهمّة متوقفة في إثباتها على ذلك بحيث يملكون القدرة

(١) من وحي القرآن، ج٦، ص٢٧.

الشخصية الفعلية ليصدر الفعل عنهم، أم هي قضية تشريف إلهي كما أسلفنا في الفصل الأول هذه الأسئلة تطوف في الذهن لكن ليس هناك ما يؤكدها فنحن نعلم أن دور الأنبياء تبشير وإنذار وتبليغ وإذا كان لهم دور تنفيذي فإنهم يتحرّكون من خلال الوسائل العادية فإذا جاء التحدي الكبير الذي يحول الموقف إلى خطر كبير على الرسالة والرسول فإنَّ المعجزة حينئذٍ تتحرك لتحفظ توازن الرسالة وموقع الرسول وتصدم واقع الكافرين صدمة قوية قاهرة ترد كيدهم وتودي بهم إلى الضعف والهزيمة كما في طوفان نوح عليه السلام ونار إبراهيم عليه السلام وعصا موسى عليه السلام أو يده البيضاء وفلق البحر، أو إبراء الأكمة والأبرص لدى عيسى عليه السلام وقرآن محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتنتهي المسألة عند هذا الحدّ وتعود الرسالة إلى مجراها الطبيعي فيتحمل النبي فيها الصراع ويعاني الألم ويواجه التحديّات.

الرد على المعنى الثالث:

أما التشريف فإنه لا يتمثّل في إعطاء القدرة من دون قضية أو توسيع السلطة من دون مسؤولية واللّه تعالى يشرّف أنبياءه من خلال رفع درجتهم عنده وتقريبهم إليه وعلو مقامهم في الآخرة أما الدنيا فلا قيمة لها عند اللّه سبحانه (فقد ورد في الحديث أنّها لا تساوي عند اللّه جناح بعوضة) ولذا لم يجعلها أجرًا لأوليائه بل أتاح الفرصة فيها لأعدائه.

فلا نجد ضرورة تفرض إعطاء الولاية التكوينية المطلقة لهم إلَّا بالمقدار الذي تحتاجه الرسالة (وهذه هي معجزات الأنبياء) في أصعب أوقات التحدي مع إحتمال أنّها ليست قدرتهم ولكنها قدرة اللّه بصورة مباشرة، ثمَّ ما معنى هذه الولاية التي لا دخل لها في حماية رسالتهم فلم يستعملوها في دفع الخطر عنهم ولم يتحركوا بها في الإنتصار لرسالتهم وذلك من خلال قراءة التاريخ الصحيح كله؟ هذا مع ملاحظة أنَّ الدنيا لا تساوي عند اللّه تعالى ولا عند أهل البيت شيئًا كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«وَلَو أَرادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُم أَن يَفْتَحَ لَهُم كُنوزَ الذُّهْبَانِ وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ وَأَنَّ يَحْشُرَ مَعَهُم طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الأَرْضِ لَفَعَلَ وَلَو فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاَءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ واضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ وَلاَ اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ (لأن المسألة تصبح بقوة ذلك النبي

في استطاعته بفعل أي شيء وحينئذٍ مضطرين مقهورين للإيمان به فأي أجرٍ في المقام للعامل والعابد بالقوة أو أي ثواب للمؤمن على إيمانه أو صبره على البلاء لأن ذلك النبي يرفع عنه البلاء بما أوتي من مال الأرض والشفاء من الأمراض وما إلى ذلك)... **وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِم** (أي في إيمانهم باللَّه تعالى الذي يدفعهم إلى تحمل المشاق في سبيل الدعوة إليه) **وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الأَعْيُنُ مِن حَالَاتِهِمْ** (لأنهم بشر)... **وَلَو كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ** (فلا يخضعون للبلاء ولا يعيشون الفقر والفاقه والألم) **وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ... لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الإِعْتِبَارِ وَأَبْعَدَ لَهُم فِي الاِسْتِكْبَارِ وَلَآمَنُوا عَن رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُم أَو رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ**»[(١)].

وكما ترى هذا الكلام يثبت بشريتهم وعدم إقدارهم من اللَّه على ما يُدّعى ثمَّ هل هذا التشريف يزيد في رتبتهم أو علو منزلتهم شيئًا حتى يجعله اللَّه لهم؟

أقول أننا لا نجد أهل البيت عليهم السلام قد استعملوا مثل هذه الولاية فقد خسر رسول اللَّه صلى الله عليه وآله أكثر من معركة وواجه أكثر من تَحدٍّ بالعقل والمنطق لا بالولاية وقضى أمير المؤمنين علي عليه السلام شهيدًا ولم يدفع عن نفسه كل الأخطار والأهوال التي حدثت له وإبعاده عن حقه وما إليه وكذا الحسن والحُسَيْن عليهما السلام وكربلاء أكبر شاهد فأين هي هذه الولاية؟ ويظهر من هذا فساد قول الثاني بمقارنتهم بالملائكة فإذا كانت بعض الملائكة موظفين لتصريف الرياح أو قبض الأرواح أو ما شاكل فبطريق أولى أن تكون لهم فإنَّ في ذلك إسقاطًا لمرتبتهم وتنزيلًا لشأنهم صلوات اللَّه عليهم إضافةً إلى عدم ورود ما يدل على أنهم كالملائكة بهذا المعنى فلا دليل في البين كما هو الدليل على وظيفة الملائكة بل إنَّ مهمتهم في تبليغ الرسالة أعظم وأشرف مهمّة موكولةً إلى مخلوق على أنَّ الكون يتحرك في ضوء السُنن المودعة فيه والتي أرادها اللَّه أن تحكم كل نظامِهِ وحركته كما يقول السيد الأستاذ فضل اللَّه (رض).

وأما القول بالتفويّض فهذا كفر محض وشرك باللَّه العظيم إذا كان من قبيل التفويّض المطلق أو بمعنى كف اليد عن التصرّف في الكون والمعنى الثالث

---

(١) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ط٢، وتُسمَّى الخطبة القاصعة وتعني: قصع فلان فلانا أي حقره لأنه عليه السلام حقَّر فيها حال المتكبرين، ج١٣، ص١٥٢ - ١٥٥، الخطبة (٢٣٨).

للتفويض محصور في دائرة المعجزة لأن هذا النحو من الإقرار لدرء المفسدة العظمى عن الرسالة والرسول، ولا قائل به في المسلمين والقرآن كله على خلافه فاللّه تعالى لم يَسْتَقِلْ من سلطانه بعد ما خلق الكون وفوّض أموره إلى بعض خلقه ليأخذوا دوره وهذا واضح الفساد عقلًا فلا نطيل. وأما نقلًا فالروايات كثيرة أورد لكم رواية عن الإمام الرضا عليه السلام رواها الاحتجاج عن يزيد بن عمير سائلًا له عن الجبر والتفويّض ـ الرواية طويلة ـ إلى أن قال من زعم أن اللّه فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه فقد قال بالتفويض والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مُشرك ولا نعلّق عليها لوضوحها.

ثم لماذا تكون هذه الولاية لهم ألقصور جعله اللّه في الكون أم لحاجة منه سبحانه؟!

والأول: باطل لأن اللّه أعطى كل شيء نظامه وهداه إليه. قال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[1] وكل شيء قدّرناه تقديرا، وكثير من الآيات التي تنفي أي قصور في الكون. فاللّه تعالى عندما أعطى الولاية للأب على القاصرين وللفقيه في بعض الشؤون إنّما هي من جهة سد النقص الموجود عند القاصرين والأمّة، والسؤال ما هو النقص في الكون ونظامه ليُعطوا مثل هذه الولاية وأما الثاني فواضح الفساد لنسبة النقص إليه تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

مناقشة الدليل الأول: يرد بأننا نستوحي من كلمة (بإذن اللّه) في الآية التي استدلوا بها ووجدوا فيها ضالتهم أكثر من أي دليل آخر أن هذه الكلمة توحي بأن دور عيسى عليه السلام هو دور الآلة التي تتحرك لصنع شيء كهيئة الطير وتنفخ فيه فيبعث اللّه فيها الحياة تمامًا كما نفخ الملك في مريم فجاء عيسى عليه السلام وهكذا يضع يده على الأبرص والأكمه والميت فتحدث العافية وتطلق الحياة في الأخير من خلال إرادة اللّه لا إرادته هو فهذه الكلمة لا تعني معناها الحرفي اللغوي بل معنى القوة التي تنطلق لتحقق النتائج التي لا يملك عيسى عليه السلام أية طاقة خاصة به فيها، ثمَّ أن هذه معجزته التي تدل على نبوته في تحدي الآخرين ولا تصلح المعجزة أن تكون دليلًا نتعدى بها إلى غيرها في إمكانية خرق النواميس الطبيعية متى شاء ولغير ضرورة تقتضيه لأن التعدّي عن المورد يحتاج إلى دليل وأما كلمة بإذن اللّه سواء

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢.

كان الإذن بمعنى الأمر منه سبحانه تكوينًا أو تشريعًا أو كان بمعنى الفعل أي بفعل اللّه سبحانه فإنهما يدلان على إنحصار الأمر والفعل به سبحانه وأن النبي مجرد آلة لتحقيق الهدف لا علّة في الإيجاد بإذنه بحيث يكونون علّة طولية فهذا ضربٌ من ضروب الشرك باللّه العظيم لأنه بمعنى التفويض كما أشرنا إليه!!

الدليل الثاني أما الآية الثانية: من أنَّ إسم اللّه الأعظم إذا كان عند آصف بن برخيا فاستعمله لنقل العرش فبشكل أوّليٍّ أن يكون مع أئمة الهدى عليهم السلام لأنهم أفضل الخلق بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم والرد من وجوه:

أولًا: هل يلتزم أحد بأنَّ للعفاريت ولاية تكوينية لأن العفريت استطاع أن يأتي بعرش بلقيس قبل أن يقوم من مقامه لأنه قال أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك.

ثانيًا: إنّما جاء آصف بالعرش لأنه دعا اللّه سبحانه وكان الدُّعاء سببًا في إتيان اللّه تعالى لعرشها فالذي جاء بالعرش هو اللّه بسبب دعاء آصف ليكون تكريمًا له على وصايته لسليمان فماذا يملك هذا الشخص هل إسم اللّه الأعظم أو علم الكتاب.. اللوح المحفوظ أو نَوْعًا آخر يوحي بالعلم الخفي الذي يملك أسرار الأشياء فيتيح له التصرّف فيها هو والعفريت أو غير ذلك فهذه من النعم التي أعطاها اللّه تعالى لسليمان ومن المُلْك الذي طلبه من اللّه لإقداره على هذه الأُمور فما قام به آصف ليس معجزة لخرق نواميس الكون وإنما هو دعاء استجابه اللّه في تلك الواقعة فقط، وإجابة الدُّعاء لا إشكال فيه فلا يمكن الإستدلال بهذه الآية على المُدّعى.

إضافةً إلى إثارة تساؤل وهو أن اللّه أعطى مُلكًا لسليمان لا ينبغي لأحد من بعده كما قال القرآن ـ ممّا لم يعطِ النّبيَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وسلم وهو أفضل الخلق وسليمان من الأنبياء العاديين وليس حتى من أولي العزم الذي منهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإذا كان لسليمان إقدارٌ على هذه الأُمور يكون دليلًا على أفضلية على سائر الأنبياء فهل يلتزم أحد بهذا النحو من الدليل ولذا إذا أعطى اللّه تعالى أحدًا من أنبيائه أو أوليائه إقدارًا معينًا على أمر في قضية، لا يعني أنه أعطاه ولاية عليها وتصرفًا متى يشاء ليستدل بذلك.

كما لا يدل ذلك على أفضليته على من لم يعطِ والعكس صحيح إذا لم يعطِ أحدًا من الأنبياء أو أهل البيت عليهم السلام ممّا أعطاه اللّه لآصف أو غيره لا يدل على دنو

منزلتهم والحاصل ما جرى مع آصف ليس من المعاجز ولا الولاية التكوينية وإنما هو طلب ودعاء وبمنّ اللّه ولطفه استجاب وهذا ممكن الحصول عليه عند أي ولي من أولياء اللّه أن يستجيب اللّه تعالى دعاءَهُ كرامة له وتفضلًا عليه. مع ملاحظة أن آصف وزير سليمان وإذا لم يكن له قدرات تفوق قدرة الجن وغيرهم فسيكون محل استهزاء ممن في مملكة سليمان عليه السلام فهي قضية في واقِعَةٍ لا يُتعدى بها إلى غيرها وثانيًا إذا كانت الولاية بمعنى استجابة الدُّعاء والكرامة كما في كلمات الماضين مِن علمائنا فالجميع متفقون على وقوعها وحينئذ لا تختص بالمعصومين بل تتعداهم إلى كل مؤمن كلٌ بحسبه.

مناقشة الأدلة الروائية:

بالنسبة لما استدل من فقرات الزيارة الجامعة يناقش فيها سندًا فلا يأخذ بها لضعف السند، ومتنًا حيث تعارض جملة من فقراتها القرآن الكريم والروايات من الصحاح حيث أن الآيات الكريمة أكدت أن اللّه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾(1) ﴿يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾(2) ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾(3) ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾(4).

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾(5) ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾(6). وغير ذلك لا بواسطة في البين. وإنما صححوا الاستدلال بها من جهة أنهم وسائط الفيض وهذه فلسفة يونانية أُدخلت إلى الإسلام وأُلبست ثوبه والقرآن على خلافها فاللّه تعالى هو الذي خلق كل شيء ثمَّ هداه إلى نظامه الذي وضعه له وقدر له قانونه الذي جعله فيه من المخلوقات وأما وسائط الفيض وعدم أهلية صدور المادة من المجرد مباشرةً وأنهم ليسوا وسائط في الفعلية أي عرضية ليثبت الشرك بل في الفاعلية أي الطولية فكله لعب على الكلام وخلاف القرآن والعقل والنقل إضافةً إلى فقرة وردت في هذه الزيارة تدل على مخالفة

---

(1) سورة الشورى، الآية: ٢٨.
(2) سورة الروم، الآية: ٥٠.
(3) سورة الرعد، الآية: ٣٩.
(4) سورة الحج، الآية: ٦٥.
(5) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.
(6) سورة الأنعام، الآية: ١٨.

القرآن صراحةً «وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم» والله تعالى يقول في آخر سورة الغاشية ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥﴾[1]، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾[2].

أما الروايات التي تتحدّث عن ملكيتهم للأرض:

أولًا: هذه الرواية ضعيفة السند:

ثانيًا: هذه الرواية معارضة بروايات أخرى تدل على ملكيتهم وولايتهم على الأنفال من الأرض فقط باعتبارهم رؤوس الدولة الإسلامية التي تمتد على الأرض كما تملك أي دولة مشاعاتها وآثاراتها ونفطها ومياهها وما إلى ذلك.

ثالثًا: إذا كانت الأرض لهم إذًا على من يبيعوها وقد ورد عن الرضا عليه السلام قوله لصاحبه في قضية مشابهة يسأله فيها صاحبه عبد السلام: يقولون أن الناس عبيد لكم فبعد دعائه وشكايته إلى اللّه يقول له إذا كان الناس عبيدًا لنا إذا على من نبيعهم؟ فضلًا عن معارضة القرآن والقانون الطبيعي في أن الناس مسلّطون على أموالهم وأن المُلْك للّه عزّ وجل.

أما رواية نحنُ صنايع اللّه:

فالرواية غير صحيحة وثانيًا فيها شرك صريح على ظاهرها من أنهم صنعوا الناس.

وعلى فرضية الأخذ بها فلا بد من تأويلها كما أوّلها السيد الخوئي (رحمه الله) وآخرون من أن اللّه صنعنا أي أدبنا بالإسلام ونحن علّمنا الناس الإسلام فالصنع بمعنى صنعونا أخلاقيًا وإسلاميًا وعلى هذا المعنى لا تدل على الولاية التكوينية بل التشّريعية الثابتة لهم من جهة كونهم خلفاء النبي وحَمَلة الرسالة. وهذا بعيد كل البعد عن المطلوب.

وكل الروايات التي استدلوا بها على الولاية التكوينية هي على خلاف الظاهر مخدوشة في سندها أو لا بد من تأويلها كما أن وجودهم حافظ للأرض من أن تسيخ أهلها فهي من قبيل ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[3] حتى لا تعارض القرآن إذا كان السند معتبرًا وهي: دائرة مدار الكرامة وإستجابة الدُّعاء والدلالة على

---

(١) سورة الغاشية، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الغاشية، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

مكانتهم لا على معاجزهم لأن المعجزة خرق لقانون الطبيعة وناموسها وهذه بيد اللَّه تعالى يقدر عليها أنبياءَهُ عند الضرورة والحاجة إليها لإثبات نبوتهم كما أشرنا إلى ذلك سابقًا. ولدفع المفسدة عن شريعتهم أمام التحدي الكبير وهذا ما أشارت إليه آيات عديدة تحصر وجود الآيات والمعاجز بيد اللَّه سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾[1].

أما الإستدلال بوقوعها فعلًا كحادثة رد الشمس ففيها نقاش طويل منها: أنه كيف يمكن للمعصوم أن يترك الصلاة حتى ترجع له الشمس ليصلي وهو الذي لم يترك الصلاة في أكثر الظروف صعوبة في حرب صفين فقالوا له أهذا وقت صلاة قال إذًا على ما نقاتلهم: فلأجل إثبات كرامةٍ ما. نجعله يرتكب الحرام! ليس هذا إلَّا إفتراء إنَّ كرامة علي عليه السلام أعلى وأرفع من الشمس والدنيا بأسرها فلا يحتاج من كانت أنفاسه كرامات ولحظات حياته كرامات إلى مثل هذه التُرّهات وأمّا باب خيبر فهو من الكرامات لا المعجزات، وهو القائل بعد سؤاله قلعتهُ بقوة الله تعالى.

ألم تشاهدوا بعض أصحاب القوة على التلفاز كيف يجرّون بأسنانهم سيارة الشحن الكبيرة فهل هذه معجزة وهل لهذا الرجل الولاية؟! لا بد أن نفتح عقولنا على الحقائق ونفكر جيدًا في الأُمور قبل أن نأخذ الموقف.

القرآن ينفي الولاية التكوينية

ثم إننا نجد القرآن في مسألة الولاية التكوينية خلاف تلك الولاية إذ أن اللَّه تعالى ينسب كل فعل إلى نفسه وفي الآيات التي يحكيها على نبيّه صلى الله عليه وآله تدل على أنه لا يملك الولاية أبدًا: جاء في سورة الإسراء ـ ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾[2]. ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾[3]... وكل هذه الطلبات ضمن دائرة من له الولاية لأنه تصرف بناموس الكون وقوانينه فأجابهم نافيًا ـ ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[4] قل

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩٠.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩١.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.

سبحان ربي وهل كنت إلّا بشرًا رسولا: أي ما تطلبونه مني هي لمن له ولاية الأُمور وتدبير الكون وهذه وظيفة ربي الذي أُنزهه عن البشرية التي أنا منها. إلى غيرها من الآيات الكثيرة النافية لولاية أي مخلوق على الكون وما فيه أو بعضه.

أيها القارىء العزيز علينا الرجوع إلى القرآن إلى الأصالة لننهل من معالم ديننا ولنفهم إسلامنا ونبتعد عن كل هذه الفوضى الثقافية ولنقف عند حدود اللّٰه.

وهكذا نرى عدم دلالة هذه الآيات على أن النبي يملك شيئًا من ذلك كله وأنَّ مهمته الأولى والأخيرة هي الرسالة في حركتها التبليغية من التبشير والإنذار وهداية الناس إلى طريق اللّٰه بل أنَّ القرآن يؤكد عناصر الضعف البشري في ذات الرسول ولكن في المستوى الذي لا ينافي العصمة. فهذا موسى أوجس في نفسه خيفة ولو كان له ذلك الإقدار ويعلم بأن ما معهم حبال لما خاف من حبالهم وعندما طلب اللّٰه منه الذهاب إلى فرعون قال: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾[1] فلو كان له ولاية تكوينية وهو القادر بها على قتل فرعون ومن معه بإشارة فلِمَ يخاف في المقام؟ وهل هذه الآيات إلّا دليلًا قاطعًا على نفي الولاية التكوينية. وإن قيل لِمَ ذهب إلى القول بالولاية التكوينية علماء كبار؟

الجواب: لأن منهاجهم العقلي واستغراقهم في الفلسفة والعقليات أبعدهم عن روح القرآن وفهمه فهمًا عميقًا.

وأي ولاية مع هذه الآية التي تدل على نفي الفعلية في وجود الطاقة التي تدفع عن الإنسان الشر وتجلب له الخير قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[2]. وكيف ينسجم القول بالولاية على الأُمور ونواميس الكون ومعرفة خصائصه ونفيها عنهم في القرآن ونسبة الغيب وعلمه إلى اللّٰه إنّما يعلمون ما علّمهم اللّٰه تعالى فقط، قال سبحانه في سورة الجن: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾[3].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٣) سورة الجن، الآيات: ٢٦، ٢٨.

مما يدل على حصر علم الغيب المعطى لهم في دائرة الرسالة فيما يحتاجونه لا مطلق الغيب وفي جو ملائكي يرصد حركة الوحي في الوصول إلى التبليغ به.

إلى غيرها من الآيات التي تبيّن ضعفهم البشري وعدم قدرتهم صلوات اللّه عليهم فهذا موسى عليه السلام كما أوردنا أوجس في نفسه خيفة وهذا غيره ينسب شفاءه ومرضه وطعامه إلى اللّه تعالى إلى غير ذلك ممّا لا يحصيه هذا المختصر.

وهذا خطاب اللّه للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كيف يُقدّم نفسه للناس ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[1]. ومن خلال هذه الآية نستطيع أن نخرج بالفكرة التي تنفي الولاية التكوينية بمعناها التكويني الذي منحه اللّه للأنبياء والأئمّة لأن الدليل لم ينهض عليها حسب فهمنا القاصر، ولكن يبقى أن اللّه يمنح الأنبياء الفرصة التي يواجهون فيها تحديات الكُفْر بالمعجزات عند الحاجة إليه.

وهناك نقطة مهمّة تنفي الولاية التكوينية جملة وتفصيلًا وتحصر ما أتى به الأنبياء في دائرة المعجزة وقد أشار إلى هذا المعنى السيد الأستاذ (رض) وهو من أروع الاستدلالات في كتابه (نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية) حيث جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾[2] فتدل دلالة واضحة على عدم امتلاك النبي صلى الله عليه وآله وسلم طاقة وقدرة تمكنه من التصرّف بالكائنات لأنه حتى في موقع التحدّي الذي ليس فيه خطر على الرسول والرسالة يطلبون منه آية أي معجزة فينفي قدرته على ذلك وينسب المعجزة إلى اللّه، أليس هذا دليلًا واضحًا على نفي الولاية التكوينية لهم وكذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٧﴾[3]. فهل يوجد أوضح وأصرح من هذا الدليل على أن الآيات أي المعاجز الخارقة للأسباب الطبيعية الكونية هي بيد اللّه وهو سبحانه قادر على أن ينزلها ولكن ساعة يشاء هو لا ساعة يشاء الناس وأن النبي وظيفته محصورة بالتبليغ للرسالة حتى أننا نشعر تبعًا لسيدنا الأستاذ (رض) أن لا معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم غير القرآن وما ثبت لا يعْدُو كونه كرامة أو إجابة دعاء ممّا توحيه هذه الآيات النافية لأي

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٧.

قدرة أو معجزة له غير القرآن الكريم وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾[1]. وظاهرها نفي الإرسال بالآيات بالرغم من كونها مطلبًا مُلحًا للمشركين وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾[2]. فالمسألة واضحة وضوح الشمس لأدنى تأمل في البين ممّا يجعلنا نستغرب كيف ذهب بعض العلماء الكبار إلى أن أهل البيت عليهم السلام لهم الولاية على الكون والقدرة على التصرّف فيه إيجادًا وإعدامًا واللّه ينفي أن لهم القدرة على الآيات حتى في مواقع التحدي العادي للرسالة والمطلب الملح ومع ذلك يأمر اللّه تعالى نبيه أن يقول إنَّ الآيات بيد اللّه والمعاجز بيد اللّه عزَّ وجلّ وأما دوري فهو محصور في الرسالة وتبليغها ومعجزتي هي ما أقدرني اللّه عليه مباشرة منه لإثبات دعوتي.

ولا يكتفي القرآن بإثبات بشرية الأنبياء ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[3] بل يتحدّث عن عناصر الضعف في شخصيتهم فهذا موسى يخاف من فرعون فلو كان يملك الولاية لِمَ يخاف؟ ولو حرّك يده لأزال فرعون وأتباعه قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾[4] هذا واللّه يقول له أني معك أسمع وأرى، وأيضًا خوفه في ساحة التحدّي مع السحرة فلو كانت له تلك القدرة التكوينية لماذا يخاف وهو يعلم أن الحيّات ليست إلّا حبالًا يخيّل إليه أنّها تسعى وأنه قادر على سحقها لأن معه الولاية لكن خوفه يؤكد عدم معرفته بالغيب وعدم ولايته على الأُمور فأوجس في نفسه خيفةً، موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى.

وهكذا في قصة إبراهيم عندما دخلت عليه الملائكة لتبشّره بإنزال العذاب على آل لوط خاف منهم لمَّا رأى أيديهم لا تصل إلى العجل الذي قدم لهم حيث قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾[5] ونظائر هذه الآيات عديدة في القرآن التي تنفي عنهم علم الغيب إلّا ما علّمهم الله وتنفي القدرات عن شخصيتهم إلّا ما أقدرهم الله في دائرة الرسالة. واللّه أعلم.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٩.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٤.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٢٨.

الخاتمة

لقد ورد في روايات كثيرة تؤكد على أن الميزان في معرفة الصحيح من الفاسد هو القرآن الكريم ويجب عرض الحوادث والأحاديث عليه ثمَّ رمي ما يُعارض من الكتاب لأن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هم حَمَلة القرآن والعاملون به والمجسدون لنهجه وأخلاقه وهم تحت القرآن وقوانينه لا فوقه والله يقول تهديدًا: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1]. (لأخذنا منه باليمين ثمَّ قطعنا منه الوتين) فمحمد تحت القانون لذا لا بد أن نرجع إلى القرآن ونستلهم تعاليمه التوحيدية الصافية والعقائدية الواعية والأخلاقية الزاكية لنكون القرآنيين في كل حركاتنا وفكرنا ووعينا لأننا المسؤولون عن كل هذه الأُمور ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[2]. ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[3]. لـكـي لا نُدخل في الإسلام ما ليس فيه كما في قوله تعالى: ﴿...ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾[4]. إضافة إلى أنهم أمرونا بترك الأحاديث التي تخالف القرآن «**إذا جاءكم الحديث عنّا فاعرضوه على كتاب الله فإنَّ وافق الكتاب فخذوا به وإلّا فهو زخرف أو فاضربوا به عرض الجدار**»[5].

مشكلتنا في هذا الزمن كثرة الجهل وحَمَلَتهُ مع تطور العلم ووسائله وتصدي بعض المتخلّفين والجهلة لمنابر الإسلام فهم رواد المعرفة وأهل الحق وخدمة الإسلام والمشكلة الأخرى أن كثيرًا ممن يملكون العلم خصوصًا إذا وصلوا إلى درجة الإجتهاد لا يتصدون لتعليم الناس وتوجيههم ولا يبحثون في عقائدنا ومفاهيمنا بحثًا دقيقًا كبحوث الفقه والأصول ليُخرِجوا الصحيح من الفاسد إلّا النذر اليسير. إنّ ترك الساحة لهؤلاء يشكل خطرًا كبيرًا على الأمّة وتمزيقها وتفريقها وتثقيفها ثقافة التخلّف والخُرافة والغلوّ بدل الإسلام الصحيح.

---

(١) سورة الحاقة، الآيات: ٤٤، ٤٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

(٤) سورة يونس، الآية: ٥٩.

(٥) أصول الكافي، كتاب فضل العلم ـ باب الأخذ بالسُنّة وشواهد الكتاب، ج١، ص٦٩.

الفصل السابع
روايات موضوعة فعقائد مغلوطة

❖ **الدس والكذب في روايات أهل البيت عليهم السلام**

ـ تاريخ المؤلّفين في الحديث

ـ تنقية التُراث المروي

ـ تنقية أحاديث الشِّيعة

ـ دوافع جعل الحديث

❖ **نقد أحاديث الشِّيعة**

ـ الشيخ الكليني: أصول الكافي

ـ الشيخ الصدوق:

١ ـ من لا يحضره الفقيه.

٢ ـ الخصال.

٣ ـ الأمالي.

٤ ـ معاني الأخبار.

٥ ـ كمال الدين وتمام النعمة.

٦ ـ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال.

٧ ـ علل الشرائع.

٨ ـ صفات الشيعة.

٩ ـ عيون أخبار الرضا.

ـ الشيخ المجلسي: بحار الأنوار

ـ الحُرّ العاملي: وسائل الشيعة

ـ أمثلة من الروايات في كتب مُختلفة

ـ مرويات الشيخ رجب البرسي

ـ حديث الفرقة الناجية

❋ **نماذج من التفسير الروائي**

ـ الخلاصة

❖ **آراء عُلماء الإمامية في كتب الشِّيعة الحديثية**
- تصنيف الشِّيعة لعلم الحديث
- عُلماء الإمامية يناقشون منهاج بعضهم بعضا
- المنهج في دراسة العقيدة

❖ **الدولة الصفوية وأثرها في الشِّيعة والتشيُّع**
- آثار هذه الصراعات في الجانب العقائدي والفقهي
- شريعتي في آراء المفكرين ورجال الدين
- التشيُّع قبل العهد الصفوي وبعده
- التشيُّع العلوي والتشيُّع الصفوي
- الشعائر الحسينية والتحريفات لواقعة كربلاء
- دراسة التاريخ الشِّيعي العقائدي

❖ **هل الناس تُقلّد المراجع أم العكس؟**

❖ **هل نحنُ شيعة أمير المؤمنين علي** عليه السلام حقاً؟

❖ **كتابا سليم بن قيس وتفسير العسكري**

❖ **القرآن وتنقية الأحاديث هُما الحل**

أولًا: العودة إلى القرآن وتصحيح المنهج في التفسير
- مرجعية القرآن الفقهية عند الاخباريين
- التعارض بين النص القرآني والحديث

ثانيًا: تنقية المذهب من الموضوعات في الأحاديث

❖ **خُلاصة الكتاب**

الفصل السابع

روايات موضوعة فعقائد مغلوطة

الدس والكذب في روايات أهل البيت عليهم السلام

عندما نرى في تاريخ علم الحديث، أنَّ الغُلاة والزنادقة استطاعوا أن يضعوا آلاف الروايات المكذوبة عن أئمتنا عليهم السلام أو حرّفوا معانيها أو مطلوبها كالمغيرة بن سعيد وعبد الكريم بن أبي العوجاء وغيرهم. ثمَّ وُضعت هذه الروايات في أمهات الكتب لدينا كالكتب الأربعة وغيرها وبعد ذلك بُنيت على هذه المرويات عقائد هي ليست من أثر وسيرة الأئمّة عليهم السلام بل من صنع الغُلاة والزنادقة. كان لها الأثر الكبير في ابتعادنا عن جوهر الدين الذي سار عليه أئمتنا الأطهار عليهم السلام.

السيد المرتضى (علم الهدى) يذكر ذلك فيقول:

(وكما أنه كان في الجاهلية وقبل الإسلام وفي ابتدائه قوم يقولون بالدهر وينفون الصانع، وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ويستنزلون الرزق من غير رازقهم. أخبر اللّه تعالى عنهم في كتابه وضرب لهم الأمثال، وكرَّر عليهم البيّنات والإعلام، فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممّن يتستَّر بإظهار الإسلام ويحْقِنُ باظهار شعاره والدخول في جملة أهله دمَه ومالَه، زنادقةٌ ملحدون، وكفّار مشركون، فمنعهم عزُّ الإسلام عن المظاهرة والمجاهرة وألجأهم خوف القتل إلى المساترة، وبليّة هؤلاء على الإسلام وأهله أعظم وأغلظ لأنهم يُدْغِلُون في الدين ويُمَوَّهون على المستضعفين بجأش رابط ورأي جامع، فِعْلَ مَن أمِنَ الوحشة ووثق بالأنسة، بما يظهره من لباس الدين الذي هو منه على الحقيقة عارٍ وبأثوابه غير متوارٍ. كما يُحكى أن عبد الكريم بن أبي العوجاء قال ـ لما قَبَضَ عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور وأحضره للقتل ـ وأيقن بمفارقة الحياة: «**لئن قتلتموني لقد وضعتُ في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة**»[1].

---

(١) كتاب «الغرر والدرر»، فصل ـ الغلاة ومكائدهم ودسائسهم، ح ١، ص ١٢٧.

وقد ذُكرت بكتب التاريخ بنفس الصيغة ولكن مع زيادة حيث جاءت:

«أما واللّه ـ لئن قتلتموني. لقد وضعتُ أربعة آلاف حديث أحَرِّم فيها الحلال وأُحَلِّلُ فيها الحرام. واللّه لقد فَطَّرْتكُم في يوم صومكم وصَوَّمْتكم في يوم فطركم فضُربت عُنُقه»[1].

يعلّق على ذلك الشيخ الدكتور محمد الباقر البهبودي[*]:

(فكما نرى في تاريخ علم الحديث، وندرسها في رجال السُّنّة والشِّيعة. إن الزنادقة والغُلاة لم يألوا جُهدًا في إطفاء نور الإسلام وإفساد الشريعة والأحكام وإيقاع الشكّ في القلوب والتلاعب بالحقائق الدينيّة ومعارفها، وترويج الخُرافات والتّرّهات والبدع وإيجاد الفرقة والاختلاف. وفي كلّ ذلك ساروا على خطط خطّتها يد الصهيونيّة العالمية وعملاء الكاثوليكيّة المسيحيّة.

فطورًا كانوا يُلقون الشُبَهات والأسئلة كمسائل الجبر والقدر والتشبيه والرؤية، فأحدثوا في الجوامع الثقافية جَوًّا تضطرب فيه الآراء وتتهافت فيه الأهواء. وقد علموا أنَّ جوَّ الاضطراب والجدل لا يرجع إلى محصّل. وإنما يكون نتاجه التفرقة والتحزُّب وميراثه الحقد والحسد والتباغض. ومع ذلك اختلقوا أحاديث مزوّرة في تلك المسائل الدائرة. تارة ينصرون مذاهب الجبر والقدر، وأخرى ينصرون مذاهب التفويض والاعتزال. وطورًا يسألون عن نزول القرآن وجمعه وترتيبه. فأوردوا أثناء ذلك شبهة التحريف. وزوَّروا في بيان ذلك أحاديث مزعومة من طريق السُّنّة والشِّيعة ليوهموا أنَّ مسألة التحريف متّفق عليها عند جميع الفِرق.

وجاؤوا من ناحية أخرى، فأخذوا في تحريف القرآن تفسيرًا وتأويلًا. فاختلقوا قصصًا خُرافية ولفّقوا تأويلات جزافية، ثمَّ اجتهدوا في نشر معارف اليهود وسفاسفهم في جنب القرآن ليوهموا على الناس حقائقه العلمية التاريخية. وليطفئوا نور هدايته في نشر المعارف الأساسية. وتحقيقًا لأهدافهم السياسية وتأييدًا

---

(١) تاريخ الطبري ج ٨، ص ٤٨، دار التعارف، تاريخ الكامل لابن الأثير ج ٤، ص ٧، ميزان الاعتدال للذهبي ج٢، ص ٦٤٤، لسان الميزان لابن حجر، ج٤، ص ٥١ نقلاً عن ابن عدي.

(*) أستاذ جامعي معاصر في طهران، من تلاميذ الإمام الخميني (قده) والبروجردي والسيد الخوئي، متخصص في علم الحديث.

لمكائدهم المدسوسة اختلقوا أحاديث مزوّرة على لسان الصادع بالحق توعد المسلمين إن تفكّروا بأنفسهم في آيات الذكر الحكيم وتفسيره وكشف النقاب عن وجه معارفه وأحكامه وخططه الاجتماعية وفي جنبها أحاديث أخرى ترغّب الناس في تلاوة الآيات والسور وحفظها وتجويدها وتردادها ليلًا ونهارًا ليشتغل الشائقون بتلاوة القرآن وتحسين الصوت عند تلاوته، عن درايته وتدبر آياته وفهم معانيه. وهكذا نراهم قد اختلقوا معجزات خرافيّة تافهة مستبشعة فنشروها على لسان القصّاصين ومشايخ الحديث المغفّلين ليبتهج المسلمون بتردادها ونقلها وسماعها، كل ذلك تنفيرًا لطباع المتفكّرين ودحضًا لبيّنات القرآن ومعجزته الخالدة التي طالما أخذت بأسماع السامعين. وبعضهم لفّقوا أساطير مزعومة وأحاديث مزوّرة ترغّب الناس في الزهد والاعتزال، وأدرجوا فيها سفاسف التصوّف والعرفان (ليشتغل الناس بالتفكير في ذواتهم عن التشاغل بأعدائهم. ولذلك نرى أقطاب التصوف والعرفان) قد نجمت في تلك الآونة من كلّ صوب لا يُدْرَى مَوْلِدُهم ولا منشؤهم، يُضلّون الشاب والشيب. وقد افتتنت بهذه المكيدة الكاثوليكية المسيحية جماعة رفضوا نور العقل والمنطق وراء ظهورهم وجعلوا التّخيلات الواهية نصب أعينهم وتعاليم الأديان ومعارف المذاهب تحت أقدامهم.

وهكذا ابتدعوا عبادات وصلوات مخترعة واصطنعوا أدعية جميلة عرفانيّة وغير عرفانيّة بَشَّروا عُبّادها وقُرّاءها بالثوابات الجزافية والفوز وقراءة الأدعية ليلًا ونهارًا وعدلوا عن السُّنّة النبوية العادلة فتشاغلوا بها عن مغزى العبادة والدّعاء يحسبون أنهم يُحْسِنون صُنعا...)[1].

تاريخ المؤلفين في الحديث:

يقول المؤرخ السيد هاشم معروف الحسني في هذا الجانب:

(لقد كان للحديث الحاكي لسنة الرسول ﷺ دوره العملي في التّشْريع، ولولاه لفقدت الشريعة صفة الكمال والشمول والمرونة التي امتازت بها عن جميع الشرائع والتشّريعات الوضعية... وكانت مدرسة أهل البيت التي وضع نواتها علي عليه السلام

(١) من مقدمة كتاب «صحيح الكافي» الشيخ محمد الباقر البهبودي، ج ١، حرف: و، ز، ح.

وأبناؤه الكرام بقيادة الإمامين العظيمين الباقر وولده الصادق عليهما السلام تجمع من جميع البلاد آلاف الطلاب لأخذ الحديث من معدنه الرئيسي وحتى أبو حنيفة مؤسس المذهب الحنفي وإمام أهل الرأي في عصره مع تشكيكه بأحاديث الصحابة قد التجأ لتلك المدرسة وأخذ منها في مختلف المواضيع، ودفعه إعجابه بقائدها وانتاجها إلى أن ينوّه عنها في أكثر من مناسبة بقوله: «**لولا السنتان لهلك النعمان**»، وألّف تلامذتها آلاف الكتب في الفقه والحديث وبقية العلوم، كان من أبرزها أربعمائة كتاب عرفت بعد ذلك بالأصول الأربعمائة لعلها من أبرز المصادر للمجاميع التي ظهرت في القرنين الثالث والرابع، والتي كان في جملتها الكتب الأربعة للمحمدين الثلاثة(*) كما اعتمد عليها عُلماء القرنين الثالث والرابع الذّين كتبوا في أصول المذهب الإمامي ونظموا أصوله ومبادئه وخلّصوه من خُرافات الفِرق وسخافات الغُلاة والإسماعيلية، كما يبدو ذلك من مؤلفات عُلماء ذلك العصر كالمفيد والمرتضى ومحمد بن الفتح الكراجلي والطوسي وغيرهم ممن عاصروا أزمة الصراع العقائدي والنزاعات الفلسفية التي برزت في اتجاهات المعتزلة وبعض طوائف الإسماعيلية الذين بحثوا الدين على أساسها واتجهوا إلى التوفيق بينه وبين تلك المذاهب، واتخذ هذا التفكير طابع الجدية عند أكثر العلماء إذا استثنينا القسم الأكبر من فقهاء السُّنّة ومحدثيهم الذين أصرّوا على موقفهم المتصلّب البالغ حد الغُلوّ في الجمود على الحديث والأشاعرة بقيادة أبي الحسن الأشعري، هذه الأصول الأربعمائة كانت من أوثق الكتب التي ألّفها أصحاب الأئمّة عليهم السلام، وإذا لاحظنا تصلب القميين والأشعريين والكوفيين في الحديث ودراستهم له متنًا وسندًا ورقابتهم على الرواة إلى حد أنهم كانوا يرفضون الرواية لمجرد التهمة بالانحراف عن مخطط الإمامية، كما حدث لمحمد بن أحمد بن عيسى القمّي الذي أخرج من مدينة قُمّ جماعة لمجرد اتهامهم بالغلوّ.

وجاء في بعض المرويات أن المعتدلين من الشِّيعة كانوا يسمّون الواقفية وغيرهم من الفِرَق بالكلاب الممطورة، وبلا شك فإنَّ لهذا التصلب آثاره الحميدة لأن الكذب في الحديث كان قد فشا وانتشر إلى أبعد الحدود من الفِرق والقصاصين

(*) محمد بن يعقوب (الكليني) مؤلف كتاب «أصول الكافي»، محمد بن بابويه القمي (الصدوق) مؤلف كتاب «من لا يحضره الفقيه»، ومحمد بن الحسن (الطوسي) مؤلف كتابيْ «تهذيب الأحكام» و«الاستبصار».

وحتى من بعض المنحرفين في تشيّعهم بالإضافة إلى العناصر المعادية لأهل البيت التي كانت تضع أحاديث الغُلوّ والمثالب لإيجاد فجوة بين أُمّة الشِّيعة وجماهير المسلمين عن طريق تلك الأحاديث التي تُسيء إلى سمعتهم، لذلك فقد وقف شيوخ الشِّيعة هذا الموقف المُتصلّب وبذلوا أقصى ما لديهم من جهود للحد من ذلك النشاط المحموم الذي أحدث ثغرات في الحديث لا نزال نُعاني من آثارها حتى اليوم، ولم يكتف المخلصون بتلك المواقف ضد المنحرفين عن التشيُّع وطرح مروياتهم، بل تطوع فريق منهم إلى التأليف في أحوال الرواة ووضعوا أصول علم الرجال والحديث ليكون الباحث على بيّنة فيما يعود إلى الراوي والرواية، فألّف علي بن الحسن بن علي بن نضال، وكان مرجعًا في أحوال الرواة ومن الموثوقين في الجرح والتعديل كما ألّف في الموضوع نفسه كل من الفضل بن شاذان، ومحمد بن أحمد بن داود شيخ القميين في عصره، ومحمد بن الحسن المحازي، ونصر بن الصباح المكنى بأبي القاسم البلخي، ومحمد بن خالد البرقي، ومحمد بن مسعود السمرقندي المعروف بالعياشي وغير هؤلاء، كما نص أصحاب الفهارس كالنجاشي والفهرست للطوسي ومنتهى المقال للمرزا محمد وغيرهم، وقد أكَّدَ هذه الحقيقة الشيخ الطوسي في كتابه (العدّة).

وجاء فيها أن الطائفة ميّزت الرجال الناقلين لهذه الأخبار ووثّقوا الثقات منهم وضعّفوا الضعفاء، وفرّقوا بين من يُعتمد على حديثه وروايته وبين من لا يُعتمد عليه، وصنّفوا الممدوحين والمذمومين، فقالوا: فلان متهم في حديثه وفلان كذّاب أو مخالف في المذهب، ونحو ذلك من الطعون التي تضع حدًا بين من يجوز الاعتماد عليه ومن لا يجوز، وتوالت بعد ذلك المؤلفات في علميَ الرجال والدراية بشكل أوسع تناولت أصناف الحديث من حيث إرساله وتقطيعه وتعليله ونحو ذلك، وأصبح من الميسور لكل من يريد أن يتحرى الأحاديث الصحيحة ويميّز بينها وبين غيرها أن ينتهي لذلك.

[ولمعرفة ما هو الفرق بين علم الدراية وعلم الرجال؟

نقول: أنَّ علم الرجال يُبحث فيه عن الرواة واحدًا واحدًا بشكل تفصيلي من حيث الجرح والتعديل، بينما علم الدراية، يبحث فيه عن الرواة إجمالًا بأن يقال ـ مثلًا ـ:

رجال السند إن كانوا عدولًا فالخبر صحيح.

وبعبارة أخرى، إنَّ كُلًّا من العِلْمين يُبحث فيه عن السند، لكن علم الرجال يبحث فيه عن السند بحثًا صغرويًا، أي كل راوٍ على حدة، بخلاف الدراية الذي يبحث فيه عن السند بحثًا كبرويًا، فنعرف صفة الخبر على حسب صفة الرواة بشكل عام][1].

وكما ألّف عُلماء الشِّيعة في الحديث وأحوال الرواة ألّف عُلماء السُّنّة أيضًا بعد أن كان التدوين محظورًا عندهم، **وفي ذلك يقول الحافظ الذهبي في حوادث ١٤٣:** وفي هذا العصر شرع العلماء في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنّفَ ابن جريج مؤلفاته في مكة، كما ألّف أبي عروب وحماد بن سلمة وغيرهم[*]، وصنّف أبو حنيفة الفقه والرأي بالكوفة، كما صنّف مالك موطأه بالمدينة، والأوزاعي في بلاد الشام، وسفيان الثوري كتابه الجامع، وصنّف عبد اللَّه بن المبارك وهشيم بن بشر وغير هؤلاء في مختلف المناطق غير أنَّ التأليف في هذه المرحلة كان ممزوجًا بأقوال الصحابة والتابعين كما يبدو ذلك في موطأ الإمام مالك، وجاءت الطبقة الثانية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، فأفردت حديث رسول اللَّه ﷺ عن أقوال الصحابة، وأثبتوا في الحديث السند الذي يوصله إلى الرسول أو الصحابي، وأصبحت مؤلفاتهم تعرف بالمسانيد لهذه الغاية.

وجاءت بعد هذه الطبقة طبقة أخرى رأت أمامها ثروة غنية بالكنوز غير أن الصحيح فيها قد ضاع بين المكذوب، وكان الكذب في الحديث قد بلغ حده الأقصى في جميع المواضيع، وتعددت المذاهب والاتجاهات، ومارس الحكام أساليب التضليل واستغلال الدين لتبرير تصرفاتهم، وانتشر القصّاصون في المساجد والمجتمعات في جميع العواصم والمدن الإسلامية، فاتجهوا إلى اختيار الصحيح وإفراده عن غيره، وكان في طليعتهم شيخا المحدّثين محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المُتوفى سنة ٢٥٦، ومسلم بن الحجاج النيسابوري المُتوفى سنة ٢٦١ فألّفا صَحِيحَيْهِما بعد أن دققا في سند الروايات، فاختار محمد بن إسماعيل صحيحه من

---

(١) انظر: المامقاني، مقباس الهداية، ج١، ص٤٢، ٤٣..

(*) ابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز، وابن أبي عروبة هو سعيد بن أبي عروبة المتوفى سنة ١٥٠، وحماد بن سلمة كانت وفاته سنة ١٦٧.

ستماية ألف رواية كما يدّعون، واختار الثاني صحيحه من نحوٍ من هذا العدد، وأصبحا من أجلّ المراجع وأقدسها عند جميع أهل السُّنّة بعد كتاب اللّه على حد تعبيرهم، وحذا حَذْوَهُما أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المُتوفى سنة ٢٧٥، وأبو عيسى محمد بن عيسى السلمي المعروف بالترمذي المتوفى سنة ٢٧٩، وأبو عبد اللّه محمد بن زيد القزويني المعروف بابن ماجة المتوفى سنة ٢٧٣، وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣، واشتهرت هذه الكتب الستّة بالصحاح ونالت شهرة واسعة لم ينلها كتاب من كتب الحديث قبلها، وبعدها، ولكن جامع البخاري المعروف بالصحيح يأتي في الدرجة الأولى بين هذه الصحاح)[١].

تنقية التراث المروي:

رغم أن صحيحي البخاري ومسلم لو أراد الباحث أن يطبّق أصول علم الدراية عليهما ويستقصي أحوال رواتهما لوجد الكثير من الأسانيد الضعيفة حسب الأصول التي وضعوها لأحوال الرجال أكثر من الأسانيد الموثوقة، إلّا أنَّ أهل السُّنّة قاموا بخطوة مُتقدّمة عندما صححوا مروياتهم وَنَقّوها من المكذوب والمدسوس وهذه الخطوة تستحق الإشادة والتنويه فلقد كان لديهم الجرأة في ذلك. وهذا ما لم نره في كتبنا ومروياتنا فهل من المعقول أن نرى روايات ما أنزل اللّه بها من سلطان، لا يقبلها عقل وما زالت منذ ألف وأربعمائة سنة في كتبنا دون تمحيص أو تدقيق...!؟

ألف وأربعمائة سنة ولم نرَ المؤسسة الدينية الشِّيعيّة تعمل على تنقية الصحيح من هذا الموروث إلّا على المستوى الفردي لبعض المتخصصين في هذا المجال، وقد خرجت عدة محاولات في هذا الإطار، كان أهمها محاولة الميرزا أبي الحسن الشعراني (المتوفى عام ١٩٧٣م) حيث ألّف كتابه (المدخل إلى عذب المنهل)، وفيه تحدّث عن أهمية تنقية الآثار من أجل المحافظة على المذهب الشِّيعي، وقد وصل الشعراني بقناعته إلى أن خُمس المرويات في كتب المذهب في عِداد الأحاديث الموضوعة على الأئمّة عليهم السلام. إلّا أنّه بيّن أنَّ أغلب الكذب في غير أبواب الفقه. وقد ألف الإمام محمد الخالصي (١٨٨٨ ـ ١٩٦٣م) مواليد مدينة الكاظمية

(١) نقلاً عن كتاب «الموضوعات في الآثار والأخبار» السيد هاشم معروف الحسني دار التعارف/ بيروت (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م) الفصل الثاني ص ٣٧ ـ ٤١.

عدة كتب لرد البدع والخرافات ودافع عن الإسلام الصحيح وعقائده الأصيلة، وجاهد جهادًا مريرًا ضد الفرق الغالية المنحرفة التي أوجد بعضها الإستعمار وعملاؤه. ومن أهم كتبه «علماء الشيعة ـ والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين». كما أنَّ من أهم المشاريع التي ظهرت في نفس هذا المسار مشروع الشيخ محمد باقر البهبودي، اهتم الشيخ البهبودي بمشروع تنقية التراث، وقام بخطوة علمية جريئة أثارت لغطًا وردود أفعال كبيرة، حيث تبَنّى غربلة أحد أهم مصادر الحديث في المذهب الإثني عشري وهو كتاب الكافي للكليني، فقام الشيخ البهبودي بتحقيق هذا الكتاب وتنقيته، ممّا بدا له أنه ضعيف، فكانت النتيجة التي توصل إليها هي صحة ربع الكتاب فقط (٤٤٢٨ من أصل ١٦١٩٤ أثر) كما أخرج كتاب صحيح الميزان في التفسير للطباطبائي، وحقق ٤٥ مجلدًا من كتاب بحار الأنوار للمجلسي.

الجدير بالذكر أن الشيخ البهبودي عندما أصدر النسخة الفارسية من كتاب «صحيح الكافي»، قام صاحب المطبعة ـ وبضغط من مراجع دينية ـ بتغيير عنوان الكتاب إلى «زُبدة الكافي» كما قام المرجع منتظري ـ وكان خليفة الإمام الخميني وقتها ـ باستدعاء الشيخ البهبودي وأمره بسحب جميع النسخ من الأسواق، بما فيها النسخة العربية حسب ما ذكره الشيخ جعفر السبحاني في حوار مع «صحيفة كيهان»!

وفي مسار تنقية التراث وتصفيته، يجب الإشارة إلى مشروع آية اللّه العُظمى الشيخ محمد آصف محسني القندهاري الأفغاني (المولود ١٩٣٦م) وهو شخصية شيعيّة معاصرة بارزة، تعلّم في العراق وإيران وهو ناشط سياسي معروف في أفغانستان لا سيّما بعد سقوط طالبان وهو متخصّص في علم رجالات الحديث.

لقد أثار آية اللّه محسني زوبعة كبيرة بعد إصداره كتاب (مشرعة بحار الأنوار) عام ٢٠٠٠ م، وقد اختار آية اللّه محسني «بحار الأنوار» كمادة للدراسة، لأنه رأى أن هذا الكتاب هو المصدر الأساسي للخطباء والوعّاظ الذين يشاركون في صناعة الرأي العام بين الشِّيعة، في حين يضع القندهاري ملاحظات كثيرة على هذا الكتاب، ويرى آية اللّه محسني أن أكثر رواياته غير معتبرة وقد تمسّك بمبدأ التخلي عن كل تلك الروايات غير الموثوق بها فقهية أو عقائدية أو سياسية أو غيرها، وهو أمر جعله يتخطى بعض الخطوط الحمراء ليصل إلى التشكيك في بعض الآراء

السائدة، كما انتقد تساهل العلماء وطلابهم في تداول الروايات المنسوبة إلى أهل البيت، الأمر الذي أدى في نظره إلى تراجع المسلمين وتخلّفهم.

الضجة التي أحدثها آية اللّه محسني كانت نسبية مقارنة بما حدث بعد محاولة الشيخ البهبودي وقد يعود ذلك إلى أن دوائر الحوزات خفّت حساسيتها أمام مثل هذه المشاريع، أو على الأقل أصبحت تتعامل معها بعقلانية أكثر في ردود الفعل.

وفي السياق نفسه (تنقية الموروث الديني) يمكن أن نضع جزءًا كبيرًا من مشروع (آية اللّه نعمة اللّه صالحي نجف آبادي) وهو عالم دين معاصر من أصفهان، وقد أثار ضجة في السبعينيات الماضية، عندما أصدر كتابه «الشهيد الخالد»، حيث صدم الرأي العام الشِّيعي عندما تبنّى نفي علم الإمام الحُسين عليه السلام باستشهاده في كربلاء، ممّا أدى إلى ظهور ردود كثيرة عليه، وكان أبرزها كتاب «الملحمة الحُسينية» لآية اللّه مرتضى مطهري.

وفي عام ٢٠٠٣م، أصدر آية اللّه صالحي كتاب «الأحاديث الموهومة في مجمع البيان» ـ بالفارسي ـ ومعه أربع مقالات في التفسير وقد طبع الكتاب مرتين في نفس العام.

تبنّى الشيخ صالحي فكرة تنقية الموروث عندما اختار أوسع كتاب في التفسير عند الشِّيعة، وسار بطريقة جادة في تطبيق معاييره في سبيل تحقيق هدفه إلى درجة لم يتردد معها في تضعيف بعض الروايات لبعض الأحاديث المهمّة، مثل تضعيفه للصيغة الرائجة في الأوساط الشِّيعيّة لحديث الكساء، وهي المذكورة في كتاب مفاتيح الجنان، وإن كان آية اللّه صالحي يرى أنَّ أصل الحديث من الصحيح المستفيض.

وفي مسار تنقية الموروث، لا بدّ أن تُذْكَرَ أسماء أشخاص لهم جهودهم في مسارات الإصلاح وغيره، مثل آية اللّه العظمى أبو الفضل البرقعي حيث تبنّى نقد أحاديث الكافي في كتابه (عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول) فقد نقد أحاديثه سندًا ومتنًا، وإن كان اهتمام آية اللّه البرقعي بنقد متون الأحاديث وبيان مدى موافقتها للقرآن والسُّنّة القطعية والعقل، أخذ الحيز الأكبر عنده، والنسخة الفارسية من كتابه لم يتح لها الانتشار مثل بقية كُتبه التي لم يُسمح بطباعتها، أمَّا الترجمة العربية وجاءت بعنوان: (كسر الصنم) فكانت على يد عبد الرحيم ملا زاده البلوشي، وقد حصل لها رواج نسبي.

ولا بُد لنا أن نذكر الشهيد السيد باقر الصدر (قده) فقد أشار في بعض رسائله إلى أحد تلاميذه أنه قد أمرَ أحد فُضلاء الحوزة ممن يحضرون دروسه أن يكتب كتابًا في الصحيح عن أهل البيت عليهم السلام، وبدأ العمل به فعلًا إلّا أنَّ أحداث الثورة الإسلامية في إيران وما صاحبها من اختلال الوضع الأمني للحوزة العلمية في النجف الأشرف حال دون إكمال هذه المهمّة.

ومن رجالات الإصلاح في الشعائر الحُسينية السيد محسن الأمين (مواليد ١٨٦٧م) الذي لم يرضَ لنفسه أن يكون شاهِدَ زور ومستمع خُرافات فانبرى إلى كتابة ما صحَّ من سيرة الإمام الحُسين عليه السلام وتنقيتها ممّا علق فيها من أكاذيب وخُرافات فأصدر كتابه (رسالة التنزيه) وهي رسالة تقع باثنتين وثلاثين صفحة وقد أُثيرت ضجة كبيرة حول دعوته الإصلاحية قبل ربع قرن ولكنه صمد لها وقاومها باسلًا فلم يلن ولم يتردد رُغم نعتهم إياه بالزنديق وبالخروج على الدين وبلغت حد التكفير وأنَّ مثله كمثل الوهابيين الذين هدّموا قبور أئمة الشِّيعة.

ولن يغيب عنّا سماحة العلّامة المرجع السيد محمد حسين فضل اللّه (رض) (١٩٣٥م ـ ٢٠١٠م) حيث كان السيد يواجه دائمًا بكل عزم وإرادة وصرامة موضوع الغُلوّ والخُرافة وتكاد لا تخلو محاضرةٌ من التنبيه وتسليط الضوء عليها.

قضى حياته يُريد تخليص المذهب من الشوائب التي علقت به ومن مورثاتنا التي ورثناها عن آبائنا وأجدادنا وبنظرهم هي مقدّسة، لذا عانى سماحته في سبيل هذا الأمر ما عاناه حتى وصل بهم الأمر أنهم كفّروه، وضللوه وأخرجوه من المذهب ورُغم ذلك كان جبلًا لم تهزه عواصف تخلّفهم وغلوّهم وجهالتهم.

أنا لا أعرف لماذا التحامل على سقيفة بني ساعدة. ونحن نقوم بنفس الدور تماماً. فهناك وظفت كل الأمور بشرعية واستحقاقات وأُعلن للناس أن الأمة أجمعت واختارت. وها نحن نلعب نفس اللعبة فنتحايل على الشيعة المساكين بأن الله سدّدَ فلانًا، والإمام المهدي تلطف. ونقدم من نشاء ونؤخر من نشاء!

أما الضحية الوحيدة فهي الطائفة المسكينة التي تُخدع بالقداسة المصطنعة والدموع المختلقة والعبارات الخادعة.

وأخيرًا وليس آخرًا المحقق السيد كمال الحيدري فقد أُقصي عن برنامجه

«مطارحات في العقيدة» الذي تعرضه قناة الكوثر. حينما أنكر تفاصيل روايات الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام. وإشارته إلى ضعف كتاب «سليم بن قيس الهلالي» الذي بنى عليه الشيعة بعض العقائد كما وأنه قال إنَّ الكثير من الروايات الشيعية مدسوسة ومنقولة إلينا من كعب الأحبار من اليهودية والنصرانية والمجوسية. وقد أُبعد عن البرنامج عندما تألق السيد كمال في سماء العلم والفضائل وخُشيَ أن يُلقي بظلاله على الآخرين وبالتالي تقع الكارثة إذ وُصف بمرجع ديني أو مقلَّد، ويشكل بالتالي خروجاً على نظام الڤيتو في شبكات تعيين المرجع والمرجعية خاصةً وأنه أصبح نجمًا إعلاميًا ورقمًا علميًا محيطًا بكل العلوم القديمة والحديثة ولم ينحشر في زاوية الحلال والحرام والفقه والأصول وإنما توسع إلى علوم الفلسفة والعرفان والحديث والتفسير وغيرها.

تنقية أحاديث الشيعة:

كل الذين ذكرناهم وغيرهم مما لا يتسع الوقت لذكرهم سعوا لتنقية التراث المروي لأنه «من الواضح أن المصادر الشيّعية الروائية مليئة بالموضوعات ولذا يجب أن تغربل هذه المصادر ويتمّ حذف كل هذه الأحاديث الباطلة والتي بُني عليها عقائد مغلوطة علقت في أذهان الناس، وهيمنت على العقول والأفكار، وعلينا أن نحرك هذا العقل ليبتعد عن مواطن الخُرافة والوهم، وكسر هذه القوالب الضيقة التي تؤطر الذهنية المسلمة والمتمثّلة بالنصوص الموضوعة التي وضعها الدجالون والغُلاة وأصحاب الفِرَق السياسية باسم النبي وأهل بيته الطاهرين لينفذوا من خلالها إلى أفكار المسلمين وعقائدهم وينفثوا فيها سمومهم وخُرافاتهم، وعندما نرى أن عشرات الرواة من الغُلاة كالمغيرة وغيره من أتباع المذاهب المنحرفة كانوا ينقلون الأحاديث عن الأئمّة الطاهرين عليهم السلام إلى الناس بعد تحريفها وخلطها بالأباطيل والخُرافات والغلوّ، ثمَّ جاء المحدّثون كالصدوق والكليني والمجلسي ودوّنوا جميع الروايات والأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام دون تمحيصها وغربلتها، فحينئذ يتبيّن لنا حجم المسؤولية الملقاة على عاتق عُلماء العصر لتطهير وتهذيب المجامع الروائية والكتب الفقهية والعقائدية الشِّيعيّة من الأباطيل والموضوعات.

إن النصوص هي مكمن الداء والدواء، هذه الحقيقة لا تكاد تخفى على أحد من الناس لا سيّما أهل الفكر والدراية، إلَّا أنَّ الأمر لا ينتهي عند هذا الحدّ،

فليس المهم تحديد الداء والدواء لمعالجة المرض، بل التحرك العملي على مستوى القضاء على المرض وتناول الدواء لمعالجة الأزمة وهنا نَصْطَدِمُ بالسدّ القوي والمانع الكبير الذي يحول بيننا وبين معالجة هذه الأزمة التي تعيشها الأُمّة وهذا المانع يتمثّل في أصحاب الدكاكين والمصالح الذاتية من الأحبار ورجال اللاهوت الذين فرضوا أنفسهم شرطة على عقائد الناس وسفراء اللَّه في خلقه حيث ارتبطت مصالحهم بالتفكير الماضوي الذي يُهيىء لهم سلطة دينية خفية على الناس، ويجدون في عملية التغيير والإصلاح الديني تهديدًا لمصالحهم وسلطتهم، فأي تحرك لعقلنة النصوص أو تثوير فاعلية العقل لدى الناس ليكشفوا الحقيقة بأنفسهم، يعني ابتعاد الناس عنهم، لذا وقفوا أمام كل ما من شأنه النهوض بالواقع المُتخلّف للمسلمين والصعود بالأُمّة في مدارج الرُقي والتحضّر.

لقد تحول الموقف لدى رموز هذه الفئة إلى حالة طاغوتية تسعى لمحاربة كل فكر جديد وقهر كل حركة نحو التمدن والتعقل خوفًا على الإمتيازات الاجتماعية والمادية التي اكتسبتها هذه الفئة من خلال عنصر التخلّف الفكري الذي يعيشه العوام من الناس.

وتحوّلت المؤسسة الدينية إلى عامل ركود على القديم، وحبوب إجهاض لكل نشاط فكري يهدف إلى إصلاح الحالة المأساوية التي تمر بها الأُمّة الإسلامية، وأداة كبت لكل فكرة تطرح علامات استفهام أمام الفكر الديني المُغالي السائد الذي تحوّل إلى صنم يُعبد من دون اللَّه، فلا أحد يجرؤ على قول الحقيقة أو النقد، وكل من يتجرأ يُرجم بأحجار الارتداد ويُرمى بتهمة الضلال والمروق من الدين أو العمالة للأجنبي وأمثال ذلك»[١].

دوافع جعل الحديث:

(إن الدوافع لجعل الأحاديث بين الشِّيعة تختلف عن الدوافع لجعل الأحاديث بين أهل السُّنّة غالبًا، وأحيانًا تتشابه هذه الدوافع، فأهل السُّنّة ولكونهم لا يواجهون مشكلة من قبل الحكومات بل إنّ أغلب الحكومات الإسلامية كانت من أهل السُّنّة، فإنَّ أحد الدوافع لخلق الأحاديث بينهم هو التقرُّب إلى الخلفاء والسلاطين كما ذكر

---

(١) بالتصرف من كتاب «تهذيب أحاديث الشيّعة» دار الانتشار العربي/بيروت، ط١ (٢٠٠٩م) ص١٠، ١١.

ذلك «**الخطيب البغدادي**» المتوفى عام ٤٦٣ هـ في تاريخ بغداد: أن «**أبو البختري**» وهب بن وهب القرشي دخل على خليفة زمانه هارون الرشيد عندما كان هذا الخليفة مشغولًا باللعب بالطيور، فسأل هارون أبا البختري عن وجود حديث في هذا الباب، فقال أبو البختري فورًا:

«**حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن النبي كان يُطّير الحمام. فنظر إليه هارون الرشيد نظرة شديدة وقال له: أخرج من هنا. وبعد أن خرج أبو البختري قال هارون: لو لم يكن هذا الرجل من قريش لأمرت بعزله عن مقام القضاء**». ومن الواضح أن هذا القاضي الطمّاع والكذّاب قد وضع هذا الحديث لتأييد عمل الخليفة وإدخال السرور على قلبه ليتقرب منه أكثر. وأما بين الشِّيعة فلا نجد مثل هذه الأحاديث للتقرّب بها إلى البَلاطَ لأن الخلافة خرجت من أيديهم سوى مُدّة قليلة جدًا من خلافة أمير المؤمنين وابنه الحسن، إضافة إلى أن الإمام علي وأولاده كانوا أعلم وأعلى من أن يأتي الوضّاعون ليضعوا الأحاديث في مدحهم عند تصدّيهم لمقام الخلافة، ورُغم ذلك فإننا نرى في عصر الأئمّة ظهور بعض الأشخاص المنحرفين والمحبيّن للجاه والمقام أنهم كانوا يأتون إلى الأئمّة من أهل البيت ويجلسون في مجالسهم لينقلوا أحاديثهم ورواياتهم ليكتسبوا وجاهة ومنزلة عند الشِّيعة وأتباع أهل البيت، وهذه الطائفة من الرواة عملوا على تحريف أقوال الأئمّة بما يحلو لهم، كما ذكر الكشّي ذلك في كتابه (الرجال) عن الإمام الصادق أنه قال للفيض بن المختار:

«**يا فيض، إن الناس أولعوا بالكذب علينا كأن اللّه افترضه عليهم لا يريد منهم غيره! وإني أُحَدِّثُ أحَدَهُم بِالحَديثِ فلا يَخْرُجُ من عِندي حتى يَتَأَوَّلَهُ عَلى غَيْرِ تأويلِهِ وذَلِكَ أَنَهُم لا يَطْلُبُونَ بِحَديثنا وبِحُبِّنا ما عِنْدَ اللّهِ وإنما يَطْلُبُونَ بِهِ الدُّنيا وكُلٌّ يُحِبُ أن يُدْعى رَأسًا**»[1].

ومن أجل أن نعلم كيف فسّر هؤلاء المغرضون أحاديث أهل البيت، نكتفي بذكر رواية عن أبي جعفر الكليني «المتوفى سنة ٣٢٨ هـ» في أصول الكافي، بإسناده عن محمد بن مارد أنه قال:

---

(١) رجال الكشي (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) ط١، مؤسسة الأعلمي/بيروت، ترجمة زرارة بن أعين، رقم (٦٢)، ص ١٠٥.

«قلت لأبي عبد اللَّه عليه السلام: حديث روي لنا أنك قلت: إذا عرفت فاعمل ما شئت! فقال: قد قلت ذلك، قال: قلت وإن زنوا أو سرقوا أو شربوا الخمر فقال لي: إنّا للَّه وإنّا إليه راجعون، واللَّه ما أنصفونا أن نكون أخذنا بالعمل ووضع عنهم، إنّما قلت: إذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير وكثيره فإنّه يقبل منك»[1].

ولو تجاوزنا دوافع حب الرئاسة فإنَّ أقبح العلل لوضع الحديث والافتراء على الأئمّة يتمثّل في «**الغلوّ** » أو «**البغض**» لأهل البيت، كما أورد الشيخ الصدوق في كتابه «عيون أخبار الرضا» عن الإمام الرضا قوله لإبراهيم بن أبي محمود:

«إن مخالفينا وضعوا أخبارًا في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام. أحدها الغُلوّ وثانيها التقصير وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا فإذا سمع الناس الغُلوّ فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا وقد قال اللَّه عزَّ وجلّ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2]**»**[3].

ومن بين هذه الأنواع الثلاثة للروايات التي وضعها المخالفون لأهل البيت كما يقول الإمام الرضا فإنه ولحسن الحظ قلّما نجد روايات «**التقصير**» في المصادر الحديثية، ولكن مع الأسف فإنَّ روايات الغُلوّ واللعن المجعولة والمنسوبة إلى أهل البيت موجودة بكثرة في مصادر الحديث، ولا بد من اتخاذ الحذر في ذكرها وقراءتها على الناس لصيانة الجيل الجديد من التورط في الانحراف في العقيدة.
والدافع الآخر لوضع الحديث هو الدافع الديني والاهتمام بتديّن الناس والحرص على ترغيبهم بالدين. ولعل هذا الكلام يستوجب العجب ولكن مع الأسف فإنَّ هذا الدافع موجود في صفوف رواة الشِّيعة والسُّنّة حيث وضعوا أحاديث كثيرة لهذا الغرض، ونقرأ في كتب أهل السُّنّة، أن رجلًا يسمى «**نوح بن مريم المروزي**» المتوفى عام ١٧٣ هـ، سُئل عن حديث رواه عكرمة عن ابن عباس في ثواب السور

---

(١) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة، ح٥، ج٢، ص ٤٦٤.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.
(٣) عيون أخبار الرضا، الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م) ط ١، ج ٢ ص ٢٧٢، حديث رقم (٦٣)، بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٣٩.

القرآنية التي ينقلها نوح بن مريم هذا وأنه عمّن سمعها ومن أين جاء بها؟ فقال: نوح بن مريم؟

«**إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة**» (أي لطلب الثواب).

ويقول الشهيد الثاني «**زين الدين العاملي**»: إن الأحاديث التي وردت في تفسير الواحدي والثعلبي والزمخشري في ثواب قراءة السور القرآنية «**جميعها من هذا القبيل والواضع لها قد اعترف بوضعه لهذه الأحاديث**».

وأضيف أيضًا أنه مع الأسف أن هذه الأحاديث موجودة في تفاسير الشِّيعة كذلك ومنها «**تفسير التبيان**» للشيخ الطّوسي وتفسير «**مجمع البيان**» للشيخ الطبرسي، وتفسير «**روض الجنان وروح الجنان**» للشيخ أبي الفتوح الرازي، حيث يذكر الشهيد الثاني وآخرون أن أحد متصوّفة عبادان قد جعل هذه الأحاديث، وتُنسب هذه الأحاديث الموضوعة إلى الصحابي المشهور «**ابن أبي كعب**» أنه سمعها عن رسول اللّه. وقد كان نوح بن مريم وأمثاله يضعون هذه الأحاديث في مُحيط أهل السُنّة ولكن هناك أحاديث وضعها الكذابون ودسوها في كتُب الشِّيعة لتشويق الناس في إحياء السُّنّة كما يتصورون، ومن ذلك ما ورد في حديث في كتاب «**تفسير منهج الصادقين**» للملا فتح اللّه الكاشاني «المتوفي عام ٩٧٧ هـ» عن رسول اللّه أنه قال: «**من تمتع مرة كان درجته كدرجة الحُسين ومن تمتع مرتين فدرجته كدرجة الحسن ومن تمتع ثلاث مرات كان درجته كدرجة علي بن أبي طالب ومن تمتع أربع مرات فدرجته كدرجتي**»! فهل هناك أقبح من تشويق الشِّيعة للمتعة بوضع حديث عن رسول اللّه في هذا الباب ورسول اللّه نفسه قال: «**من كذب عليَّ مُتعمّدًا فليتبوأ مقعده من النار**».

وقد يعتذر هؤلاء الوضّاع لجعلهم الحديث وروايتهم له أنَّ الكثير من العلماء أوردوا هذا الحديث في كتبهم. ولكن الحقيقة كما أوردها الشِّيعة والسُّنّة عن رسول اللّه والإمام الصادق أنهما قالا:

«**كفى بالمرء كذبًا أن يحدّث بكل ما سمع**».

ومن الدوافع الأخرى لوضع الحديث هو التكسّب، حيث كان هناك فئات من

الناس يسمّون بالمرتزقة، وهؤلاء كانوا يضعون الروايات والأحاديث ويكسبون بها أجرًا، **وعلى سبيل المثال نذكر هذه الواقعة:**

دخل يومًا إلى مسجد الرّصافة في الكوفة المحدّث المشهور أحمد بن حنبل ومعه يحيى بن معين، فشاهدا في المسجد رجلًا يحدّث الناس ويقول:

«حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا، حدثنا عبد الرزاق عن معمّر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: من قال لا إله إلّا اللَّه خلق اللَّه تعالى من كل كلمة طيرًا منقاره من ذهب وريشه من مرجان...»!

ثم أن ذلك الرجل استمر في كلامه وأخذ يفصّل الحديث في ثواب ذلك العمل، وبعد أن انتهى من كلامه نظر ابن معين وأحمد بن حنبل أحدهما إلى الآخر وقال أحمد ليحيى بن معين: هل نقلت هذا الحديث إلى هذا الرجل؟ فأجابه يحيى بن معين: أُقسم باللَّه أنني لم أسمع هذه الحكاية في حياتي سوى في هذا المكان.

وفي ذلك الوقت أخذ ذلك الرجل أجره من الناس وبقي ينتظر عطاء الآخرين، فأشار له يحيى بن معين فتصوّر الرجل أنه يريد أن يعطيه مبلغًا من المال فجاء إليه، فقال له يحيى بن معين: أنا يحيى بن معين وهذا الشخص هو أحمد بن حنبل ونحن لم نسمع من رسول اللَّه أنه يقول هذا الحديث ولم ننقله إليك فلو كُنتَ مضطرًا للكذب فانسبه إلى غيرنا. فقال: لقد سمعت أنَّ يحيى بن معين رجل أحمق ولكن لم يثبت ذلك لي إلّا اليوم. فقال ابن معين: وكيف؟ فقال الرجل: لأنك تتصور أنْ ليس في الدنيا رجل يسمى بهذا الاسم غيرك وأن لا يوجد في الدنيا أحمد بن حنبل غير هذا الشخص في حين أنني أروي عن سبعة عشر رجلًا باسم أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما»!

ويستفاد من الأحاديث القديمة الشِّيعيّة أن المرتزقة كانوا موجودين في صفوف الشِّيعة وأتباع الأئمّة ولذلك ورد في الأحاديث الشريفة عن أهل البيت في أصول الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب»[1]. وكذلك أورد الشيخ الكُليني في أصول الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لأبي ربيع الشامي:

---

(١) أصول الكافي، ج١، كتاب فضل العلم، باب المستأكل بعلمه والمباهي به، ص٤٦، ح٢.

«**ويحك يا أبا الربيع لا تطلبن الرئاسة ولا تكن ذنبًا ولا تأكل بنا الناس فيفقرك اللّه ولا تقل فينا ما لا نقول في أنفسنا فإنك موقوف ومسؤول...**»[1].

ويروي الشيخ أبو عمرو الكشّي في رجاله عن الإمام علي بن الحُسين أنه قال لقاسم بن عوف: «**إياك أن تستأكل بنا فيزيدك الله فقرًا...**»[2].

ولا شك أن هؤلاء المرتزقة قد وضعوا أحاديث كثيرة لجلب نظر الناس ونسبوها إلى الأئمّة، ومع الأسف نجد أن بعض أهل المنبر يُوردون الكثير من هذه الأخبار في باب شهادة الإمام الحُسين عليه السلام لتأمين معاشهم والارتزاق بذكر مصائب أهل البيت، وكما يقول المحدّث المشهور الميرزا حسين النوري «**المتوفى عام ١٣٢٠ هـ**» في كتابه «**اللؤلؤ والمرجان**»:

«والظاهر أن بعض قرّاء العزاء يقلدون هذا الشيخ الصوفي العباداني، ولكن ذلك الشيخ الأحمق توهم أنه يتقرب إلى الله بجعل هذه الأخبار لأن الناس قد أعرضوا عن قراءة القرآن ولم يكن يريد أن يجلب النفع لنفسه إلا أن قرّاء العزاء حينما يصعدون منبرًا أو يدخلون مجلسًا ينشرون الأكاذيب ويزرعونها في كل مكان... تبعًا لمصالحهم»[3].

في ذلك يقول الشهيد مطهري:

«الحق للحق... يجب التوسل بالحق... أي إنّني علمت أنَّ حديثًا ما ضعيف أو مختلق، ولكنّني إذا قرأته عليكم فإنّكم جميعًا لن تتركوا صلاة اللّيل بعد ذلك، فإنَّ الإسلام لا يجيز لي أن أقرأ لكم ذلك الحديث.. هل يجيز لنا الإسلام أن نكذب ونلفّق الأحاديث لكي نحملكم على أن تذرفوا الدموع على الحسين عليه السلام وإن لم يداخلكم الشك في صحة ما تسمعون وللبكاء على الحسين عليه السلام ثوابه؟ أبدًا. لن يسمح الإسلام بهذا مطلقًا. الإسلام لا حاجة له بالكذب. فهو فضلًا عن عدم إجازته ذلك، فإنَّ من مبادئه أنَّ تعاطي الباطل يذهب بالحق. إنَّ الحق لا ينسجم مع الباطل ولا يأتي معه في مكان واحد.

---

(١) أصول الكافي، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب طلب الرئاسة، ح٦، ص٢٩٨.

(٢) رجال الكشي، ترجمة القاسم بن عوف، ص٩٦.

(٣) اللؤلؤ والمرجان، دار البلاغة/ بيروت (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م) ط١، ص١٤٧، ١٤٨.

كان أحد العلماء الكبار حاضرًا في أحد المجالس الحسينية، وكان الخطيب لا يفتأ يقرأ الأخبار الكاذبة، فلم يصبر هذا العالم الجليل المجتهد فقال له: ما هذا الذي تقرأونه على المنبر. فردَّ عليه الخطيب قائلًا: اذهب أنت إلى فقهك وأُصولك، وأنا أولى بجدي وأقول ما أشاء.

أقصد أنَّ من الموارد التي يصاب منها الدِّين بالأذى هو مورد عدم التمسك بمبدأ التوافق بين الغاية والوسيلة، فللتوصل إلى غاية شريفة ينبغي التوسل بوسائل شريفة أيضًا.

فعلينا ألا نكذب، وألا نغتاب، وألا نفتري، ليس لمصلحتنا فحسب، بل ينبغي ألا نفعل ذلك حتى لمصلحة الدِّين، لأنَّ ذلك خلاف الدِّين، فارتكابها للدين يكون في مصلحة اللادين»[1].

نقد أحاديث الشِّيعة(*)

أولاً: «الشيخ الكُليني»

أصول الكافي:

١ ـ جاء في «باب مولد النبي ﷺ ووفاته» رواية عجيبة هي:

«محمد بن يحيى، عن سعد بن عبد اللَّه، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن علي بن المعلى، عن أخيه محمد، عن درست بن أبي منصور، عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: **لما ولد النبي مكث أيامًا ليس له لبن**

(١) نقلًا عن كتاب «السيرة النبوية» الشهيد مُطهري، دار الإرشاد/ بيروت، ص٦٧.

(*) قام بعض علماء وأساتذة الحوزة العلمية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بنقد وتنقيح المرويات الشيعيّة، تارة في السند وتارة في المتن وأحيانًا في الدلالة وستلاحظون تعارض هذه الروايات الموضوعة والمدسوسة من قبل أعداء أهل البيت عليهم السلام مع القرآن الكريم والعقل السليم! ومن هؤلاء العلماء الذين نقلنا عنهم:

١ـ السيد مصطفى الطباطبائي (نقد كتب حديث). ٢ ـ آية الله العظمى السيد أبو الفضل بن الرضا البرقعي (عرض أخبار أصول). ٣ ـ آية الله الشيخ صالحي نجف آبادي (حديثها في خيالي) وقد تُرجم بعضها إلى اللغة العربية عبر كتاب «تهذيب أحاديث الشِّيعة» دار الإنتشار العربي، ط١ (٢٠٠٩م). إضافةً إلى ما استطعت نقده وإضافة بعض الزيادات والتعليقات، (بالتصرف).

فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه فأنزل اللّٰه فيه لبنًا فرضع منه أيامًا حتى وقع أبو طالب على حليمة السعدية فدفعه إليها»[1].

هذه الرواية مخدوشة سندًا ودلالةً ويحتمل أن الرواي لها أراد توثيق رابطة القرابة بين النبي الأكرم والإمام علي فاضطرّ إلى جعل هذه الأسطورة الخُرافية، وإلّا فما هي الضرورة في أن يجعل الله تعالى اللبن في ثدي أبي طالب ليُرضع ابن أخيه؟ ألم يكن بالإمكان أن يرزق اللّٰه تعالى فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب هذا اللبن ويضعه في ثديها لتُرضع النبي؟ ألم تكن هذه المرأة الطاهرة هي التي تولّت تربية النبي وحمايته في بيت أبي طالب وكان النبي كأحد أبنائها.

بعض رواة هذا الحديث غير معروفين لدى عُلماء الرجال، مثلًا ورد في كتب الرجال عن «**علي بن المعلى**» أحد رواة هذه الرواية أنه «**مجهول الحال**». وكذلك ذكر عُلماء الرجال أنّ «**درست بن أبي منصور**» **واقفي المذهب**[2]، ومن الواضح أن العاقل لا يمكنه قبول روايات مثل هؤلاء الأشخاص.

٢ ـ جاء في «**باب ما عند الأئمّة من سلاح رسول اللّٰه ومتاعه**» قصة الحمار الذي يسمّى «**عفير**» وهي:

«ذكر أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ أوّل شيء من الدوابّ توفّي عفير، ساعة قبض رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم قطع خطامه ثمَّ مرَّ يركض حتّى أتى بئر بني خطمة بقباء[3] **فرمى بنفسه فيها فكانت قبره.**

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ ذلك الحمار كلّم رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: بأبي أنت وأمّي إنّ أبي حدّثني، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه أنّه كان مع نوح في السفينة فقام إليه نوح فمسح على كفله ثمَّ قال: يخرج من صلب هذا الحمار حمار يركبه سيّد النبيّين وخاتمهم، فالحمد للّٰه الذي جعلني ذلك الحمار»[4].

وكما نلاحظ أن هذه الرواية مرسلة ومقطوعة السند ولا يعلم من جعل مثل هذه

---

(١) أصول الكافي، دار الأضواء/بيروت (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م) ج ١، ص ٤٤٩، حديث رقم (٢٧).

(٢) راجع: رجال الكشي، الأعلمي/بيروت، ص٣٩٣. وكذا العلّامة الحلي برجاله، دار الذخائر/بيروت، ص٢٢١.

(٣) بنو خطمة بفتح الخاء المعجّمة وسكون الطاء حي من الأنصار. وقبا بضم القاف مقصوراً وممدوداً قرية بالمدينة.

(٤) أصول الكافي ج ١، ص ٢٣٧، حديث رقم (٩).

الخُرافة العجيبة ونسَبَها إلى أمير المؤمنين، ولكن لا أحد يعلم أنَّ هذه الجماعة من الحمير كيف حفظت حديث النبي نوح ونقلته عن واحد بعد الآخر، وكذلك لا يعلم أن هذه الحمير كم بلغ عمر الواحد منها من مئات السنين. بحيث أن المسافة الزمنية منذ زمان نوح إلى زمان النبي الأكرم كبيرة جدًا؟ وهكذا كلام الحمار الأخير بلسان عربي فصيح، ونقل الحديث كما ورد في الرواية، كل ذلك من العجائب، ولا أظن أن هذه الرواية على سبيل المزاح والاستهزاء...!!

٣ ـ جاء في «**باب مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني**» حديثٌ غريبٌ آخر هو: «**عليّ بن إبراهيم، عن أبيه قال: استأذن على أبي جعفر** عليه السلام **قومٌ من أهل النواحي من الشِّيعة، فأذن لهم فدخلوا فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة فأجاب** عليه السلام **وله عشر سنين**»[(١)].

وهذه الرواية مقطوعة من حيث السند لأن والد علي بن إبراهيم، وهو إبراهيم بن هاشم القمّي، لا يعلم من أين أخذ هذه الرواية؟ وبخاصّة أن الراوي لم يذكر حضوره في هذا المجلس، وأما متن الرواية فخير دليل على كذبها، لأنه كيف يتمكن الإنسان أن يُجيب عن ثلاثين ألف مسألة في مجلس واحد؟ فحتى لو فرضنا أن الإجابة عن هذه المسائل كانت سهلة وميسورة على الإمام الجواد ولكن كيف تمكن السائلون من طرح ثلاثين ألف مسألة في مجلس واحد إلَّا أن يستغرق هذا المجلس عدة أيام بلياليها.

فلو فرضنا أن السؤال والجواب عنه يستغرق دقيقة واحدة فقط فإنَّ ثلاثين ألف دقيقة تساوي خمسمائة ساعة فمعنى ذلك أن الإجابة عن ثلاثين ألف سؤال تستغرق أكثر من عشرين يومًا بلياليها، فكيف وقعت هذه المحاورة في مجلس واحد؟

٤ ـ ذكر في باب كتاب «**فضل القرآن**» رواية بهذا النص:

«**علي بن الحكم عن هشام بن سالم**[(٢)] **عن أبي عبد اللَّه** عليه السلام **قال: إن القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد سبعة عشر ألف آية**»[(٣)].

---

(١) أصول الكافي، ج ١، ص ٤٩٦، حديث رقم (٧).

(٢) في بعض النسخ [هارون بن مسلم] مكان هشام.

(٣) أصول الكافي، ج ٢، ص ٦٣٤.

ونعلم أنَّ آيات القرآن الكريم الذي بين أيدينا لا تتجاوز سبعة آلاف آية فإذا صحت رواية أصول الكافي هذه فلا بد أن يكون قد حذف أكثر من نصف القرآن، وهذا القول باطل ولا أساس له لأن اللَّه تعالى وعد بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾[1]. وهناك رواية مشهورة عن الإمام علي عليه السلام عن رسول اللَّه أنه قال: «**جميع آيات القرآن ستة ألاف آية ومئتان وست وثلاثون آية**».

وأمّا ما احتمله بعض الشارحين لأصول الكافي من اختلاف المقصود من الآيات في رواية الكافي مع المصحف الموجود هو احتمال لا وجه له، لأن لازم ذلك أن الإمام الصادق عليه السلام قد عد كل ثلاث آيات آية واحدة. وبطلان هذا المعنى لا يخفى على أحد. إضافة إلى أن هذا الكلام مخالف للحديث النبوي الشريف. وكذلك انقطاع سند الحديث في أصول الكافي لأن علي بن الحكم لم يكن معاصرًا للكليني.

وليست هذه المرة الأولى التي ينقل فيها الكُليني حديثًا يصرّح بتحريف القرآن بل نجده في موارد كثيرة من كتاب الكافي وروضة الكافي ينقل مثل هذه الروايات الباطلة والمخرّبة حتى أخذ عنه القول بتحريف القرآن جملة من عُلماء الشِّيعة أمثال «**الفيض الكاشاني**» في كتاب «**تفسير الصافي**» والشيخ نعمة اللَّه الجزائري في «**الأنوار النعمانية**» والحُرّ العاملي في «**وسائل الشِّيعة**» والشيخ أحمد النراقي في كتاب «**مناهج الأحكام**» والسيد عبد اللَّه شبّر في «**مصابيح الأنوار**» والسيد هاشم البحراني في مقدّمة تفسيره «**البرهان في تفسير القرآن**» وغيرهم من عُلماء الشِّيعة ومفسّريهم بحيث أصبحت مقولة تحريف القرآن وصمة عارٍ على جبين الشِّيعة يصعب التخلص منها مهما حاول المتأخرون منهم، كالعلّامة الطباطبائي صاحب «**الميزان في تفسير القرآن**» والسيد الخوئي في «**البيان في تفسر القرآن**»[2] والشيخ ناصر مكارم الشيرازي في «**الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**»، التخلُّص منها والدفاع عن القرآن والتشيُّع مقابل اتهامات المغرضين والمخالفين.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ١٥.

(٢) راجع: البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، دار الزهراء/ بيروت (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) ط١، ص٢٧٢، ٢٧٣.

ونقل هنا ما ذكره «**الفيض الكاشاني**» في «**تفسير الصافي**» من القول بتحريف القرآن مستندًا في ادعائه هذا إلى جملة ممّا نقله الكليني وأمثاله من روايات موضوعة وأخبار كاذبة في هذا الباب. قال في المقدّمة السادسة من تفسيره بعد أن أورد ما رواه الكليني في الكافي وعلي بن إبراهيم القمّي في تفسيره من روايات تقرر تحريف القرآن:

«**أقول: المستفاد من جميع هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس كما أُنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل منه ما هو خلاف ما أنزل اللّه ومنه ما هو مغيّر محرّف وإنه قد حذف عنه أشياء كثيرة منها اسم علي عليه السلام في كثير من المواضع ومنها غير ذلك وأنه ليس أيضًا على الترتيب المرضي عند اللّه وعند رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم**»[1]!.

وكنموذج ممّا أورده الكليني أيضًا من روايات تُصرّح بتحريف القرآن ما ذكره في فروع الكافي الحديث ١٨، من قصة الحارث بن عمرة الفهري الذي غضب عندما قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «**إن فيك شبهًا من عيسى بن مريم..**» **فقال الحارث**: «**اللّهُمّ إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء...** تقول الرواية أنه جاءته حجارة فرضخت هامته ثمَّ أتى الوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم **فقال**: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ **(بولاية علي)** ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣﴾[2]. قال الراوي: **قلت: جعلت فداك إنّا لا نقرؤها هكذا. فقال: هكذا واللّه نزل بها جبرائيل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهكذا هو واللّه مُثبت في مصحف فاطمة...**»[3].

ورُغم أن الرواية لم تذكر اسم الإمام الذي كان يخاطبه الراوي (أبو بصير) إلَّا أنَّ لحن الكلام وقول أبي بصير «جُعلتُ فداك» وذكر الكليني لها في كتابه كُلها تُشير إلى أنّها رواية عن إمام معصوم.

ونموذج آخر ما أورده الكليني في الكافي، باب (الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام) من قول رسول اللّه عليه السلام لأبي بكر وعمر يوم غدير خم أن: «**قوما**

(١) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، المقدّمة السادسة، طبعة بيروت، ج ١، ص ٥١.
(٢) سورة المعارج، الآيات: ١، ٣.
(٣) فروع الكافي، ج ٨، ح١٨، ص ٤٩.

فسلّما عليه بإمرة المؤمنين فقالا: أمن اللَّه أو من رسوله يا رسول اللَّه؟ فقال لهما رسول اللَّه ﷺ: من اللَّه ومن رسوله فأنزل اللَّه عزّ وجل: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[(١)] إلى قوله: «ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أئمة هي أزكى من أئمتّكم»[(٢)]. قال: قلت جعلت فداك أئمّة؟ قال: أي واللَّه أئمّة قلت: فإنا نقرأ أربى، فقال: ما أربى؟ وأومأ بيده فطرحها»[(٣)].

ونلاحظ هنا أنَّ الراوي غفل عن أن سورة النحل التي وردت فيها هذه الآية مكية ولا ارتباط لها بواقعة الغدير التي وقعت في السَنة الأخيرة من الهجرة في المدينة، أما الآية الشريفة فهي: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾[(٤)] هذا والقرآن الكريم محفوظ بحفظ اللَّه تعالى قطعًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾[(٥)]. ويقول عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[(٦)].

ويقول تعالى أيضًا مؤكدًا هذا المعنى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[(٧)]. إضافة إلى الروايات التي تصل حد التواتر في لزوم التمسك بكتاب اللَّه وأنه المرجع للمسلمين ولزوم عرض روايات النبي وأهل بيته الطاهرين على القرآن لمعرفة الحق من الباطل والصحيح من الموضوع منها، فإذا سرى الخلل والشك في آيات القرآن نفسها كما توحي بذلك هذه الروايات الموضوعة فلا يبقى للمسلمين ميزان للحق والباطل ولا مرجع يرجعون إليه في عقائدهم وأحكام دينهم بعد تفشي الوضع والاختلاق في الثقل الثاني وهو السُنّة الشريفة. وهذا هو ما يصبو إليه هؤلاء الغُلاة الدجّالون.

٥ ـ جاء في «**باب النوادر**» من كتاب التوحيد:

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩١.
(٢) الآية في القرآن: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النّحل: ٩٢].
(٣) أصول الكافي، الباب المذكور، حديث رقم (١) ج ١، ص ٢٩٢.
(٤) سورة النحل، الآيتان: ٩٢، ٩٣.
(٥) سورة القيامة، الآية: ١٧.
(٦) سورة فصلت، الآيتان: ٤١، ٤٢.
(٧) سورة الحجر، الآية: ٩.

«محمد بن أبي عبد اللَّه، عن محمد بن إسماعيل، عن الحُسين بن الحُسين، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن سعيد، عن الهيثم بن عبد اللَّه، عن مروان بن صباح قال: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: «**إنَّ اللَّه خلقنا فأحسن خلقَنا وصوَرَنا وجعَلَنا عينه في عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة ووجهه الّذي يؤتى منه وبابه الّذي يدلّ عليه وخزّانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء، وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبِدَ اللَّه ولولا نحنُ ما عُبِدَ اللَّه**»[1].

ونلاحظ على هذه الرواية

أولًا: إنَّ في سند هذه الرواية أشخاصًا مجهولين وغير موثقين مثل «**مروان بن صباح**» الذي يقول عنه المامقاني: «**ليس له ذكر في كتب الرجال**»، و«**بكر بن صالح**» الذي يقول عنه العلاّمة الحلّي: «**ضعيف جدًا كثير التفرد بالغرائب**»[2] ويقول عنه النجّاشي أنّه: «**ضعيف**»[3].

ثانيًا: أما من حيث المتن فبعض بنود الرواية يخالف القرآن الكريم بصراحة، مثلًا ورد في هذه الرواية، «**خزّانه في سمائه وأرضه**» مع أن القرآن الكريم يقول: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾[4]. أو ما ورد في هذه الرواية «لولا نحنُ ما عُبدَ اللَّه» بينما يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[5]!

٦ ـ جاء في فروع الكافي تحت عنوان: «**حديث الحوت على أي شيء هو**» يقول: «محمد، عن أحمد، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام **قال: سألته عن الأرض على أي شيء هي؟ قال: هي على حوت! قلت: فالحوت على أي شيء هو؟ قال: على الماء، قلت: فالماء على أي شيء هو؟ قال: على صخرة، قلت: فعلى أي شيء الصخرة؟ قال: على**

---

(١) أصول الكافي، الباب المذكور، حديث رقم (٥) ج ١، ص ١٤٤.
(٢) انظر: رجال الحلي، ط٢ (١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م) دار الذخائر/ قُم، ص٢٠٧، ٢٠٨.
(٣) انظر: رجال النجاشي، ط١ (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م) الأعلمي/ بيروت، ص١٠٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

قرن ثور أملس، قلت: فعلى أي شيء الثور؟ قال: على الثرى، قلت: فعلى أي شيء الثرى؟ فقال: هيهات عند ذلك ضَلَّ علم العلماء»[1].

ولا يحتاج بيان زيْف هذه الرواية إلى مزيد توضيح أو نقد. ويروي الشيخ الكُليني في روضة الكافي رواية أخرى ترتبط بالرواية السابقة ويذكر فيها علّة وقوع الزلزلة وهذه الرواية هي:

«علي بن محمد، عن صالح، عن بعض أصحابه، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: **إن الحوت الذي يحمل الأرض أَسَرَّ في نفسه أنه إنّما يحمل الأرض بقوته! فأرسل اللَّه تعالى إليه حوتًا أصغر من شبر أكبر من فتر، فدخلت في خياشيمه، فصعق، فمكث بذلك أربعين يومًا ثمَّ إن اللَّه عزَّ وجلّ رأف به ورحمه وخرج. فإذا أراد اللَّه ـ جل وعز ـ بأرض زلزلة بعث ذلك الحوت [الصغير] إلى ذلك الحوت [الكبير] فإذا رآه اضطرب فتزلزلت الأرض»**[2].

وبالرغم من أن هذه الرواية لا تحتاج لإثبات بطلانها إلى مزيد توضيح كما في الرواية الأولى ولكننا نذكر أنه لا يعلم أن «**صالح**» الوارد في الرواية من هو؟ لأن عبارة (بعض أصحابه) الواردة في سند هذا الحديث تحكي عن مجهولية رجال السند.

٧ ـ وجاء في روضة الكافي (فروع الكافي) أيضًا:

«عنه، عن صالح، عن الوشاء، عن كرام، عن عبد اللَّه بن طلحة قال: **سألت أبا عبد اللَّه** عليه السلام **عن الوزغ فقال: رجس وهو مسخ كله! فإذا قتلته فاغتسل فقال: إن أبي كان قاعدًا في الحجر ومعه رجل يحدّثه فإذا بوزغ يولول بلسانه فقال أبي للرجل: أتدري ما يقول هذا الوزغ؟ قال: لا علم لي بما يقول، قال: فإنه يقول: واللَّه لئن ذكرتم عثمان بشتيمة لاشتمن عليًّا حتى يقوم من ههنا، قال وقال أبي: ليس يموت من بني أُمية ميّت إلّا مُسخَ وزغًا»**[3].

وفي سند هذه الرواية نقرأ إسم «**كرّام**» الذي هو «**عبد الكريم بن عمر**» الذي يقول

---

(١) فروع الكافي، باب «حديث الحوت على أي شيء هو» ح رقم (٥٥) ج ٨، ص ٧٥.

(٢) فروع الكافي، حديث رقم (٣٦٥) ج ٨، ص ٢١٢.

(٣) روضة الكافي باب حديث القباب، حديث رقم (٣٠٥) ج ٨، ص ١٩٤.

عنه النجاشي في كتابه أنه «**واقفي المذهب**»[1] «رغم أن المامقاني يدافع عنه» والراوي الآخر هو «**عبد اللَّه بن طلحة**» الذي يقول عنه المامقاني: «**لم نقف فيه على مدح**».

وأما متن الرواية فيدل على أن الوزغ ناصبي ومعادٍ لأمير المؤمنين ولكن كيف نال هذا الحيوان هذه الدرجة من الإدراك لعقائد الناس بحيث يتدخل في المسائل التاريخية ويجادل في قضية خلافة عثمان بن عفان ويدافع عنه؟ ألا ينبغي أن تكون هذه الرواية مصدر استغراب وتعجب لدى العقلاء؟ ولكن إذا تقرر أن يكون الحمار راويًا ومحدّثًا فلا بأس بأن يكون الوزغ مؤرخًا ومُتكلِّمًا أيضًا.

ويا ليت المسألة انتهت عند الوزغ فحسب. فالروايات امتدت في تعميق هذه الخُرافة في أوساط الشِّيعة أن العصفور مثلًا من المخالفين ومن أهل السُّنّة والقبّرة من الشِّيعة، بل ورد في الروايات أن صنفًا واحدًا من الحيوانات والطيور قد يكون فيه الشِّيعي والسني، من قبيل ما ورد أن الإمام الصادق عليه السلام كان يتحدّث مع أصحابه إذ نزلت عصافير على مقربة منه فناولها الإمام بعض الحَب وفتات الخبز، وبعد هنيهة حطت عصافير أخرى في ذلك المكان فما كان من الإمام إلّا أن انتهرها وزجرها فطارت. ولمّا سُئِلَ عن سبب ذلك قال بأن العصافير الأولى كانت موالية لنا والطائفة الثانية كانت موالية لغيرنا!!

ومن بعض الأفكار والاعتقادات «الولائية» يقول آية الله العظمى الشيخ وحيد الخُراساني: «**إن هناك رياضة روحية خاصة تمكّن الذين يمارسونها من رؤية ومشاهدة واقعة عاشوراء**»[2]!

فإذا كان هذا هو حال المراجع فكيف بالعوام؟!

٨ ـ جاء في أصول الكافي روايات عجيبة وغريبة في علم الأئمّة وأنهم يعلمون بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة وأن عندهم علوم الأنبياء جميعًا وأن عندهم الصحيفة والجفر وما إلى ذلك، وعلى سبيل المثال ما ذكره في باب: «**أن الأئمّة**

---

(١) انظر: رجال النجاشي، ط١ (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م) الأعلمي/ بيروت ص٢٣٥، فقد قال عنه: «**روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن** عليهما السلام **ثم وقف على أبي الحسن** عليه السلام....

(٢) «مقتطفات ولائية» ـ آية الله العظمى الشيخ ـ وحيد الخُراساني، منشورات الحكمة ـ قُمّ/ إيران، مطبعة أمير (طبعة سنة ١٩٩٦م) ص٣٩، ٤١، ٩١.

ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم» قال: «. . . عن عبد اللَّه بن جندب أنه كتب إليه الرضا عليه السلام: أمّا بعد فإنَّ مُحمّدًا صلى الله عليه وآله كان أمين اللَّه في خلقه فلمّا قُبض كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء اللَّه في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا، وأنساب العرب ومولد الإسلام وإنَّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذَ اللَّه علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا، ليس على ملّة الإسلام غيرنا وغيرهم، نحنُ النُجباء النُجاة ونحنُ أفراط الأنبياء ونحن أبناء الأوصياء ونحن المخصوصون في كتاب اللَّه عزَّ وجلّ ونحن أولى الناس بكتاب اللَّه ونحن أولى الناس برسول اللَّه صلى الله عليه وآله ونحن الذين شرع اللَّه لنا دينه فقال في كتابه: «شرع لكم (يا آل مُحمّد) من الدين ما وصّى به نوحًا (قد وصّانا بما وصّى به نوحًا) والذي أوحينا إليك (يا مُحمّد) وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى (فقد علّمنا وبلّغنا علم ما علّمنا واستودعنا علمهم نحنُ ورثة أولي العزم من الرُّسل) أن أقيموا الدّين (يا آل مُحمّد) ولا تتفرّقوا فيه (وكونوا على جماعة) كبر على المشركين (من أشرك بولاية عليّ) ما تدعوهم إليه (من ولاية عليّ) إنّ اللَّه (يا محمد) يُهدي إليه من يُنيب» من يجيبك إلى ولاية عليّ عليه السلام»[1].

وفي هذا المجال أيضًا يروي الكليني حديثًا آخر في باب «**في ذكر الصحيفة والجفر والجامعة: قال الراوي (أبو بصير)**: «دخلت على أبي عبد اللَّه عليه السلام فقلت له: جُعلت فداك إنّي أسألك عن مسألة، ههنا أحدٌ يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد اللَّه عليه السلام سترًا بينه وبين بيت آخر فاطّلع فيه ثمَّ قال يا أبا مُحمّد سل عمّا بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله علّم عليًّا عليه السلام بابًا يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: يا أبا مُحمّد علّم رسول اللَّه صلى الله عليه وآله عليًّا عليه السلام ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب قال: قلت: هذا واللَّه العلم قال: فنكت ساعة في الأرض ثمَّ قال: إنَّهُ لعلم وما هو بذاك. قال: ثمَّ قال: يا أبا مُحمّد! وإنَّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعًا بذراع رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وإملائه من فلق فيه وخطّ عليّ بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش في

---

(١) أصول الكافي، باب أن الائمة ورثوا علم النبي، ج١ حديث رقم: (١) ص ٢٢٣، ٢٢٤.

الخدش وضرب بيده إليَّ فقال: تأذن لي يا أبا مُحمّد؟ قال: قلت: جُعلتُ فداك إنّما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتّى أرش هذا ـ كأنّه مغضب ـ قال: قلت: هذا واللَّه العلم قال: إنَّهُ لعلم وليس بذاك.

ثمّ سكت ساعة، ثمَّ قال: وإنَّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ قال قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيّين والوصيّين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال قلت: إنّ هذا هو العلم، قال: إنّه لعلم وليس بذاك.

ثمّ سكت ساعة ثمَّ قال: وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، واللَّه ما فيه من قرآنكم حرفٌ واحدٌ، قال: قلت: هذا واللَّه العلم، قال: إنّه لعلم وما هو بذاك.

ثمَّ سكت ساعة ثمَّ قال: إنَّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة قال: قلت: جعلت فداك فأيُّ شيء العلم؟ قال: ما يحدث باللّيل والنهار، الأمر من بعد الأمر والشيء من بعد الشيء، إلى يوم القيامة»[1].

لن ندخل في مناقشة رجال السند في روايات هذا الباب لاختلاف العلماء في وثاقة أو ضعف الرواة في كل واحدة منها فبينما يرى المجلسي في «مرآة العقول» صحة هاتين الروايتين، يرى الشيخ البهبودي عدم صحة جميع روايات هذين البابين، ولكن المشكلة ليست في السند، بل لما تَتَضَمَّنُه هذه الروايات من دجل وافتراء ومعارضة للقرآن الكريم والعقل السليم، بل معارضة للروايات التي أوردها الكليني نفسه بعد عدة صفحات من كتابه المذكور في باب «لولا أن الأئمّة عليهم السلام يزدادون لنفذ ما عندهم» وعلى سبيل المثال يروي الكليني في هذا الباب عن صفوان بن يحيى قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: كان جعفر بن مُحمّد عليه السلام يقول: لولا أنّا نزداد لأنفدنا»[2].

ويروي أيضًا عن المفضَّل عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: «ما من ليلة جمعة إلّا ولأولياء اللَّه فيها سرور. قلت: كيف ذلك جُعلتُ فداك؟ قال: إذا كان ليلة الجمعة

---

(١) أصول الكافي، ج ١، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة، ص ٢٣٨ ـ ٣٤٠.
(٢) أصول الكافي ج ١ ، باب «لولا أن الأئمة عليهم السلام يزدادون لنفد ما عندهم» ص ٢٥٤.

وافى رسول اللّه ﷺ العرض ووافى الأئمّة عليهم السلام ووافيت معهم فما أرجع إلّا بعلم مُستفاد ولولا ذلك لنفد ما عندي»[1].

نلاحظ هنا أن الكليني نسي ما ذكره قبل صفحات من علم الأئمّة بما كان وما يكون إلى يوم القيامة وأنهم ورثة النبيين والأوصياء جميعًا ليقرر بعدها أنَّ علم الإمام عرض للزوال في كل أسبوع!! ولو لم يسافر إلى العرش ويسترفد من العلوم والمعارف الغيبية لنفد ما عنده. فلسائل أن يسأل: إذن أين الجفر ومصحف فاطمة الذي فيه ثلاثة أضعاف القرآن الكريم والذي تدّعي رواية الكافي أنه موجود عند الأئمّة؟! وما هي حقيقة هذا العلم الذي ينفد في كل أسبوع مرة ونحن نرى أن عُلماء الإسلام وجميع عُلماء الأرض لا يحتاجون في بقاء علومهم إلى الصعود إلى العرش للتزود منه ولم نسمع من أحدهم أنَّ علمه قد نفد لمدة أسبوع! **هذا أولًا**...

وثانيًا: إن مثل هذه الروايات تخالف صريح القرآن الكريم مثلًا نقرأ في الرواية الأولى أن الرضا عليه السلام يقول: (وفي الحقيقة أن الراوي الكذّاب يقول ذلك وينسبه إلى الإمام الرضا عليه السلام): «**عندنا علم البلايا والمنايا**» وهذا المعنى يخالف قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[2]. وتقول الرواية: «**إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق**» وهو خلاف قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[3]. فهل يُعقل أن اللّه تعالى قد حجب عن رسوله العلم بمن حوله من المنافقين ورزق هذا العلم لذريته!؟

وتقول الرواية: «**ونحن المخصوصون في كتاب اللّه عزّ وجلّ ونحن أولى الناس بكتاب اللّه**» واللّه تعالى يقول في موارد عديدة من كتابه الكريم إن هذا القرآن: ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾[4]. ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[5] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾[6] ولم يقل للأئمة خاصة!!

---

(١) أصول الكافي ج ١، مصدر سابق.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠١.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٦) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

ثالثًا: إن الرواية المذكورة ولغرض دعم وجهة النظر السابقة في تخصيص القرآن بأهل البيت، استدلت بالآية (١٣) من سورة الشورى موحية بنوع من التحريف المعنوي، وهي قوله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ على أساس أن قوله ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ خطاب للأئمة من أهل البيت عليهم السلام كما تنص الرواية المذكورة، علمًا أنَّ سورة الشورى مكية وقد نزلت في وقت لم يتزوج فيه الإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام ولم يكن هدف القرآن حينذاك تقرير مسألة الإمامة والولاية للإمام علي عليه السلام ليكون المراد من المشركين في الآية الشريفة هم المشركون بولاية أهل البيت عليهم السلام بل المشركون في مكة الذين كانوا على خلاف مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في مسألة الوحي لا الإمامة. حينئذ نعلم جيدًا زيف هذه الرواية وأن غرض الراوي الكذّاب لم يكن سوى إلهاء الناس عن الرجوع إلى القرآن وصرفهم عن المصدر الأساس للوحي والدين إلى أجواء الروايات التي يكثر فيها الدجل والخُرافة وبالتالي يتمكن الغُلاة وقوى الانحراف من تأويل آيات القرآن الكريم حسب مشتهياتهم والتلاعب بعقول المسلمين والشِّيعة خاصة ونسبة هذه الأقاويل والأكاذيب إلى الأئمّة عليهم السلام!!

ثم تستمر الرواية بالقول: «**ولا تتفرقوا فيه (وكونوا على جماعة) كبر على المشركين (من أشرك بولاية علي) ما تدعوهم إليه (من ولاية علي)**» فإذا علمنا أنَّ الأئمّة من أهل البيت كانوا يمارسون الإمامة واحدًا بعد الآخر فما معنى هذه التوصية لهم بعدم التفرُّق والكون على جماعة؟ ومتى كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مكة يدعو الناس إلى ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وهم لم يؤمنوا بعد برسالته ونبوته؟!

ثمَّ إن الرواية تُقرر مبدأ الجبر الباطل بالضرورة لدى جميع العلماء حيث تقول: «وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ اللّه علينا وعليهم الميثاق... ليس على ملّة الإسلام غيرنا وغيرهم!» فجميع المسلمين كفّار ومرتدون ما عدا الشِّيعة!! كما تقرّر هذه الرواية المُزيّفة.

رابعًا: نصل إلى فقرة غريبة أخرى من روايات هذا الباب، وهي أن الأئمّة «**ورثة**» النبي أو الوحي، وهنا يحق لنا أن نتساءل عن المُراد من «الإرث» في هذا المورد وهل يُعقل أن يرث إنسان العلم من غيره؟! لقد وردت هذه المفرده في القرآن تارة بمعنى إرث الأموال ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ

﴿وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

وهو غير مقصود الرواية قطعًا، وأُخرى وردت في مورد أهل الجنة الذين يرثون الفردوس كالآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)﴾[2].

و﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾[3] وثالثة في مورد زوال قوم من البشر ومجيء قوم آخرين مكانهم كما في وراثة بني إسرائيل أرض فلسطين ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)﴾[4] لأن الأرض للّه يورثها من يشاء من عباده ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)﴾[5] ورابعة في مورد المُلك كما في الآية ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[6] وكان السائد في الحكومات الملكية أنَّ منصب الملك ينتقل بعد وفاة الأب إلى ابنه.

ويحتمل أيضًا أن يكون المراد وراثة مقام النبوة حيث إنَّ داود وسليمان من الأنبياء. فإذا علمنا أن جميع هذه الموارد لا تُعقل بالنسبة إلى ميراث الأئمّة من النبي الأكرم ﷺ حيث لا نبي بعده، ولم يكن ملكًا فيرثه ذريته وليس مقصود الرواية ميراث الأرض أو الجنة، إذن فما معنى كون الأئمّة هم ورثة النبي ﷺ وجميع الأنبياء؟! ما معنى أن النبي ﷺ ورث علم الأنبياء السابقين ثمَّ أورثه ذريته والحال أنَّ الفاصلة بينه وبين أولئك الأنبياء تبلغ مئات السنين ولم يكن نبينا الكريم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.
(٦) سورة النمل، الآية: ١٦.

من ذرية أنبياء بني إسرائيل، ولم يكن يعلم شيئًا من علومهم قبل سن الأربعين، وبعد أن نزل عليه الوحي استغنى به عن وراثة العلم؟! ثمَّ كيف يرث الإمام علي ﷺ علوم النبي ﷺ وهو ابن عمه وليس من ذريته، بل هو القائل بأن علمه بتعليم النبي ﷺ: «**علمني رسول اللَّه ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب**». وليس عن طريق الميراث؟ نعم إذا كان المراد من ميراث العلم وراثة القابلية الذهنية والاستعداد النفسي أو وراثة الكتب التي فيها العلوم النبوية فهو أمر معقول. إلَّا أنه لا يختصّ بالأئمّة فقد يوجد الكثير من الناس ممن يتمتّعون بهذه القابلية.

أما الكتب فنعلم أن رسول اللَّه لم يخلف كتابًا سوى القرآن، وكذلك يرد الإشكال في كيفية توريث ابن العم (علي بن أبي طالب) هذه القابلية والذكاء. أو في كيفية وراثة الأئمّة علوم الأنبياء جميعًا وبين الطائفتين (الأنبياء والأئمّة) مئات السنين مع العلم بأنهم (الأئمّة) ليسوا من ذراري الأنبياء ؟ فإنَّ كان العلم المذكور مجرد إلهام إلهي للأئمة كما تصرّح به بعض روايات الكافي (باب أن الأئمّة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا[1]، وأنهم يزدادون كل ليلة جمعة[2]) فما الحاجة بعد ذلك إلى وراثة العلم من الأنبياء والأوصياء السابقين؟ وما حاجة النبي ﷺ مع وجود الوحي إلى علوم الأنبياء عن طريق الميراث؟

وتستمر روايات الكافي في استغراق مثل هذه الخُرافات والأكاذيب حتى أنّها تصرّح في (باب ما عند الأئمّة من آيات الأنبياء عليهم السلام)[3] بأنهم ورثوا عصا موسى وأنها تنطق إذا استنطقت وقد أعدت للقائم ﷺ يصنع بها ما كان يصنع موسى وكذلك ألواح موسى وخاتم سليمان وحجر موسى الذي كان يضربه فينبع منه الماء وقميص يوسف الذي كان لإبراهيم ﷺ عندما أُلقي في النار فلم يصبه أذى ببركة هذا القميص الذي أتى به جبرائيل من الجنة. . إلى غير ذلك من الخزعبلات التي أوردها بعض رواة الشِّيعة لإضفاء هالة موهومة من عنصر الغيب على الأئمّة ﷺ والحال أن كل عاقل يفهم أنَّ عصا موسى أو قميص يوسف وخاتم

---

(١) أصول الكافي، ج ١، ص ٢٥٨.
(٢) أصول الكافي، المصدر نفسه، ص ٢٥٣.
(٣) أصول الكافي، المصدر نفسه، ص ٢٣١.

سليمان وأمثالها لم تكن تحوي عناصر القوة والإعجاز لدى الأنبياء بل إن اللّه أجرى المعجزة للأنبياء بواسطتها حيث يقول تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾[1].

وليس لقميص إبراهيم دخل في حمايته من النار. وهكذا الحال في عصا موسى وخاتم سليمان ولكن القصاصين والدجالين أبوا إلّا أنَّ ينسجوا حول هذه الأدوات والملابس قصصًا وأساطير ليوحوا إلى أوليائهم أن الأئمّة يتمتعون بعلوم غريبة وقدرات خارقة لاتتيسّر لأحد من البشر!!

خامسًا: أما الرواية الثانية وكذلك روايات هذا الباب (باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام) وفيه ٨ روايات، فإنها تدل بوضوح تام على عدم انحصار الوحي بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وتتناقض مع خاتمية الرسالة حيث نقرأ فيها أنَّ جبرائيل كان يحدّث فاطمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وكان الإمام عليٌّ عليه السلام يملي أحاديث جبرائيل هذه، أو أنَّ الأئمّة محدَّثون بواسطة الملائكة في حين أنَّ الإمام عليًّا نفسه يقول في نهج البلاغة وهو ينعي رسول اللّه «**لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَم يَنْقَطِع بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالأَنْباءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ**»[2]. وهكذا مرويات ذات نفس المضامين موجودة أيضًا عند أهل السُّنّة، فقد ذكر البخاري في صحيحه ـ وغيره ـ حديثًا رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله يقول فيه:

«**لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكَلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعُمَر**»[3].

وقد روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه وغيرها هذا الحديث بصيغة

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ط٢، ص٢٤، خطبة (٢٣٠).

(٣) صحيح البخاري، ج٤، ص٢٤١، حديث ٣٦٨٩ وج٤، ص١٧٩، حديث ٣٤٦٩ (وفيه فإنه عمر بن الخطاب)، العسقلاني، فتح الباري، منشورات دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط ٤٠ (١٩٨٨م) ج٧ ص٣٩، العسقلاني، إرشاد الساري، منشورات دار الفكر ج٦، ص١٠٣، الأميني الغدير، ج٥، ص٤٢، البغوي، مصابيح السُنّة، طبعة الأزهر ج٢، ص٣٧٠، العراقي، طرح التثريب، منشورات دار التعارف، ج١، ص٨٨.

أخرى عن عائشة عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**قد كان يكون في الأُمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أُمتي أحد، فإن عُمَر بن الخطاب منهم**»[1].

وفي رواية نقلها السجستاني (ت٣١٦هـ) في كتابه «**المصاحف**» تنص على أنَّ أبا بكر كان يسمع مناجاة جبرائيل للنبي ﷺ فقد قال في كتابه: «حدّثنا عبد الله قال حدَّثنا محمد بن منصور الطوسي حدّثني شبابة بن سوا قال حدثنا بسام قال: كنت عند أبي جعفر وعنده حمزة المرادي، فقال حمزة تكلموا، فإن بيننا وبينه سترًا، فلمَّا خرج قلنا لأبي جعفر: إنه قال كذا وكذا! فقال ما له فعل الله به وفعل ما كان هذا لأحد إلَّا للنبي، فإن أبا بكر كان يسمع مناجاة جبريل للنبي ﷺ ولا يراه»[2]!!

وعودًا على مصحف فاطمة فإنْ لم يكن مصحف فاطمة يتناول أخبار السماء والغيب بل أحكام الشريعة والدين ـ كما رجحه بعض الفُقهاء والأعلام ـ فكان الأجدر بفاطمة أن تأخذها من أبيها في حال حياته وحينئذ فلا معنى لنزول جبرئيل عليها بعد وفاة أبيها ليُملي عليها كتابًا أكبر من القرآن بثلاث مرات. . .

علمًا أنه وردت أحاديث تُصرّح أنه بعد وفاة النبي ﷺ ودَّع جبريل الأرض قائلًا: «**هذا آخر وطئي بالأرض**»[3].

فكيف ينسجم هذا القول بأنَّ مصحف فاطمة عليها السلام قد أملاه جبرائيل على السيدة فاطمة عليها السلام بعد وفاة أبيها ﷺ؟!

وهذا ما يعتقد به علماء الإمامية حيث يقول الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه «**أصل الشّيعة وأصولها**»:

«ويعتقد الإمامية أن كل من اعتقد أو ادَّعى نبوة بعد محمد ﷺ، **أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر يجب قتله**»[4]!

---

(١) صحيح مسلم ج٢، ص٤٤٤، حديث٢٣٩٨. الترمذي، الجامع الصحيح ج٥، ص٥٠، [وفي ذيله قال أبو عيسى هذا حديث صحيح]. الأميني، الغدير، ج٥، ص٤٣، ابن الجوزي (ت ٥٩٨) صفة الصفوة، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند (١٣٥٥هـ) ج١، ص١٠٥.

(٢) المصاحف، ص٦.

(٣) الحلبي، السيرة الحلبية، منشورات دار إحياء التراث العربي، ج٣، ص٣٥٣.

(٤) «أصل الشّيعة وأصولها»، تحقيق علاء آل جعفر، منشورات مؤسسة الإمام علي، قُمّ، ص٢٢٠.

ثمَّ ما معنى أن لا يكون في هذا المصحف ولا كلمة من كلمات القرآن كما تقول الرواية؟ ألا يوجد فيه ذكر لكلمة: اللَّه، العدل، الظلم، السماء، الماء، الخير، الشر وأمثال ذلك من الكلمات الموجودة كلها في القرآن الكريم؟!

والمشكلة الأخرى التي تواجه هذه الرواية هي أنّها تقرر أنّ علوم الأئمّة مقتبسة من هذه الكتب، بل نقرأ في كتاب المواريث (فروع الكافي) أنَّ زرارة يسأل الإمام الباقر عليه السلام عن سهم الإرث للجد، فيطلب منه الإمام أن يمهله إلى غد ليقرأ هذا الحكم الشرعي من كتاب له: «**قال** عليه السلام: **إذا كان غدًا فالقني حتى أقرئكه في كتاب، قلت: أصلحك اللَّه حدّثني فإنَّ حديثك أحبُ إليَّ من أن تقرئنيه في كتاب، فقال لي الثانية: إسمع ما أقول لك إذا كان غدًا فالقني حتَّى أقرئكه في كتاب**»[1].

فهنا نرى أن الإمام الباقر عليه السلام يصر على أن يقرأ الحكم الشرعي في كتاب له، وهذا المعنى يتعارض مع ما ذكره الكليني من روايات عديدة في الكافي في أنَّ الأئمّة محدَّثون ملهمون وأنَّ علمهم لدّني يأخذونه كل ليلة جمعة من العرش أو من إلهام الملائكة كما مرَّ علينا في الروايات آنفًا!

ثمَّ إنَّ الرواية تقول إنَّ الإمام إضافة إلى ما لديه من الجفر ومصحف فاطمة وما ورثه من علوم الأنبياء والوصيين، يعلم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة!

وهذا هو علم الغيب الذي استأثر به اللَّه تعالى لنفسه ونفاه أهل البيت عليهم السلام عن أنفسهم في روايات عديدة يرويها الكليني نفسه في كتابه الكافي.

إن الراوي للرواية محل البحث يكذّب نفسه بنفسه، فعندما يسأل الإمام: هل هاهنا أحد يسمع كلامي؟ فيقوم الإمام برفع الستار بينه وبين الغرفة المجاورة ليرى هل هناك شخص آخر يسمع كلامهما: «**فرفع أبو عبد اللَّه سترًا بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ثمَّ قال: سل**». وتستمر الرواية هذه لتقول: إنَّ الإمام يعلم ما يحدث بالليل والنهار، الأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة!

---

(١) فروع الكافي، دار الأضواء/ بيروت كتاب المواريث، باب ميراث الولد مع الأبوين، حديث رقم (٣) ج٧، ص ٩٤.

فكيف يحيط الإمام بكل هذا العلم الواسع وهو لا يعلم ماذا وراء الستر إلى جانبه؟!.

ثمَّ هل وصلَ علم الأئمّة إلى مراتب عظيمة بحيث فاق علم رسول اللَّه ﷺ الذي يقول عنه القرآن الكريم: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾[1] ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾[2] ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾[3].

وفي مقطع من الرواية المذكورة أن «**الجامعة**» عبارة عن صحيفة فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرش في الخدش وغمز الإمام الراوي بيده وقال: حتى أرش هذا!! ويحق لنا أن نتساءل عن دية هذه الغمزة الخفيفة ما مقدارها؟ وأين هي في أحكام الشريعة؟ ولماذا لم يذكر الإمام مقدارها؟ فإذا لم يذكر مقدارها إذن فما فائدة وجودها في الصحيفة المذكورة للأُمّة الإسلامية؟!

سادسًا: جاء في مقطع آخر من الرواية محل البحث أن الإمام قال بأنّ لديه مصحف فاطمة وهو ثلاثة أضعاف القرآن وليس فيه حرف واحد من القرآن، ولكن الكُليني نفسه الذي ينقل هذه الخُرافات في كتابه الكافي، ينقل رواية أخرى في فروع الكافي عن «أبي بصير» من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام يقول فيها: «... **ثمَّ أتى الوحي إلى النبي ﷺ فقال: سأل سائل بعذاب واقع للكافرين (بولاية علي) ليس له دافع من اللَّه ذي المعارج» قال: قلت: جعلت فداك إنّا لا نقرؤها هكذا. فقال** عليه السلام: **هكذا واللَّه نزل بها جبرائيل على محمد ﷺ، وهكذا هو واللَّه مثبت في مصحف فاطمة**»[4]! وأنت ترى أنَّ هؤلاء الدجالين والرواة الكذابين يقررون تارة أنّ مصحف فاطمة ليس فيه شيء من كتاب اللَّه، وأخرى يوردون سورة المعارج بعد أن يدسّوا فيها سمومهم ويدّعوا أنّها موجودة في مصحف فاطمة!

وفي آخر الرواية نقرأ أنَّ الإمام يعلم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، ثمَّ يقول: إنّ ذلك ليس بعلم، وعندما يسأله الراوي عن العلم أي شيء هو؟ يقول: «**ما**

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٩.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٤) فروع الكافي، ج ٨، ص ٤٩.

يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة» ونتساءل: ما الفرق بين هذا العلم وبين العلم بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة؟ من الواضح أنه لا فرق بينهما البتة، ومن البديهي أيضًا أن الإمام عليه السلام لم يقل مثل هذا الكلام إطلاقًا، ولكن الراوي فضح نفسه بنفسه عندما أراد أن يثبت علومًا مختلفة وغريبة للإمام.

والشيء الآخر عن مصحف فاطمة العجيب أن الإمام يقول عنه في الرواية الثانية التي يرويها الكليني في هذا الباب: «**إن اللَّه تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلَّا اللَّه عزَّ وجلّ فأرسل اللَّه إليها ملكًا يسلّي غمّها ويحدّثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسستِ بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفًا، قال: ثمَّ قال: أما إنَّهُ ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه ما يكون**»[1]. وهنا نتساءل: إذا كان الملك يحدِّث فاطمة بما سيكون بعدها ومن هذه ما سيجري على ذريتها من المصائب والمحن كما تصرّح الرواية الخامسة من هذا الباب[2] من أنّ جبرائيل كان يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي يكتُب ذلك. فهذا مصحف فاطمة ـ فهل يُعقل أن يسلّي جبرائيل فاطمة عليها السلام بأن يذكر لها مصائب الحُسين وزينب وما سيجري لهما في كربلاء من القتل والأسر والسبي كل ذلك للتَّخفيف مِن آلامها بمصاب أبيها صلى الله عليه وآله وسلم؟!

هل ترتاح فاطمة لخبر مقتل ابنها الحسن عليه السلام بالسم ورمي جنازته بالسهام؟!

ثم إذا كان جبرائيل يأتيها ليسليها فلماذا تشكوه إلى أمير المؤمنين عليه السلام كما تقول الرواية «**فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين**»؟ وإذا كان الإمام علي عليه السلام يسمع صوت الملك ويكتب ما يقول فلماذا طلب من فاطمة أن تخبره بوقت مجيئه؟

ثم ألم يرد في المتواتر من الروايات أن جبرائيل ملك الوحي لم ينزل على أحد بعد رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف نزل على فاطمة؟ ولماذا لم ينزل على أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) أصول الكافي، باب «فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام»، ج ١، ص ٢٤٠.

(٢) أصول الكافي، مصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤١.

وهو أفضل من فاطمة وأجدر أن يعلم بما سيجري للأُمّة من بعد رسول اللَّه ﷺ لموقع الإمامة؟ وإذا كان يعلم بذلك من رسول اللَّه ﷺ فلماذا أخذ يكتب ما يقوله جبرائيل لفاطمة؟ ولماذا طلب منها أن تخبره بوقت مجيئه ليسمع ما يقول الملك لها؟ وهل يُعقل أن يتضمن هذا الكتاب أو المصحف كل ما سيجري على الأُمّة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ كما تصرّح الرواية الثامنة في هذا الباب:

«قال عليه السلام: كنتُ أنظر في كتاب فاطمة عليها السلام ليس من ملك يملك (الأرض) إلَّا وهو مكتوب فيه باسمه واسم أبيه وما وجدت لولد الحسن فيه شيئًا»[1].

أَمْ أَنّهُ من وضع الدجالين من الشِّيعة الذين كانوا يستخدمون سلاح الروايات في صراعهم مع أبناء الحسن عليه السلام والزيدية والمعتزلة الذين كانوا يدعون الناس إلى أشخاص آخرين غير الأئمّة (كمحمد بن عبد اللَّه كما تقول الرواية السابعة[2] من هذا الباب)؟ ومع غض النظر عن كل ذلك تثار هنا علامة استفهام أخرى جديرة بالتأمل وهي أنَّ الأئمّة لماذا لم يضعوا هذه الكتب المفيدة التي فيها الحلال والحرام بأيدي أصحابهم ليستنسخوا منها ما يحتاجون إليه وما تحتاج إليه الأُمّة من أحكام الحلال والحرام كما وضع أئمة المذاهب الإسلامية الأخرى كتبًا في الفقه والأصول والتفسير وما إلى ذلك؟ ولماذا هذا الاحتكار للأحكام الشرعية أو لعلوم الأنبياء الماضين أو لما سيحدث في المستقبل؟

لقد كنا نسمع فيما مضى أن أحد أطباء اليهود كان يحتكر علم الطب وصناعة الأدوية ولا يعلّمه أو يُطلع عليه أحدًا إلَّا ابنه ليحتفظ بهذا الأمتياز المهم لنفسه ولذريته وليبقى الناس محتاجين إليهم... فهل يُعقل أن يكون الإمام الذي يفترض أن يكون مُعلّمًا للبشرية وحافظًا لدين اللَّه ومظهر الرحمة الإلهية في عباده، حاله حال أطباء اليهود في كتمان العلم واحتكار المعرفة؟! ألا تُمثّل هذه الروايات المزيّفة إهانة لمقام الإمام عليه السلام وتكريسًا للخُرافة والدجل في أذهان العوام باسم مذهب التشيُّع؟

٩ ـ جاء في أصول الكافي، حديثًا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

---

(١) أصول الكافي، باب «فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام»، ج ١، ص ٢٤٢.

(٢) أصول الكافي، مصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٢.

«والذي بعث مُحمّدًا ﷺ نبيًا بالحق وأكرم أهل بيته ما من شيء تطلبونه من حرزٍ من حرقٍ أو غرقٍ أو سرقٍ أو إفلات دابة من صاحبها أو ضالة أو آبق إلّا وهو في القرآن، فمن أراد ذلك فليسألني عنه، قال: فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عمّا يؤمن من الحرقِ والغرقِ؟ فقال: إقرأ هذه الآيات ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦﴾[1] ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾[2] فمن قرأها فقد أمن الحرقِ والغرقِ ـ قال فقرأها رجل وأخطر من النار في بيوت جيرانه وبيته وسطها فلم يصبه شيء.

ثمّ قام له رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين إن دابتي استصعبت عليّ وأنا منها على وجل فقال: إقرأ في أذنها اليمنى ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾[3] فقرأها فذلّت له دابته ـ وقام إليه رجل آخر فقال: يا أمير المؤمنين أن أرضي مسبعة وإن السباع تغشى منزلي ولا تجوز حتى تأخذ فريستها فقال: إقرأ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾[4] فقرأها الرجل فاجتنبته السباع. ثمَّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ في بطني ماء أصفر فهل من شفاء؟ فقال: نعم بلا درهم ولا دينار ولكن اكتب على بطنك آية الكرسي وتغسلها وتشربها وتجعلها ذخيرة في بطنك فتبرأ بإذن اللّه عزَّ وجلّ ففعل الرجل فبرأ بإذن اللّه ـ ثمَّ قام إليه آخر فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الضالة فقال: إقرأ يَس في ركعتين وقل: يا هادي الضالة ردَّ عليّ ضالتي ـ ففعل فردّ اللّه عزَّ وجلّ عليه ضالّته ـ ثمَّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الآبق فقال: إقرأ ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾[5] فقالها الرجل فرجع إليه الآبق ـ ثمَّ قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن السَرقِ فإنه لا يزال قد يسرق لي الشيء بعد الشيء

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٨، ١٢٩.

(٥) سورة النور، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

ليلًا؟ فقال له: إقرأ إذا آويت إلى فراشك: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾ ـ إلى قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾[1] وكبّره تكبيرًا ثمَّ قال أمير المؤمنين عليه السلام من بات بأرض قفر فقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ إلى قوله ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[2] حرسته الملائكة وتباعدت عنه الشياطين قال: فمضى الرّجل فإذا هو بقرية خراب فبات فيها ولم يقرأ هذه الآية فتغشّاه الشيطان وإذا هو آخذ بخطمه فقال له صاحبه: أنظره واستيقظ الرّجل فقرأ الآية فقال الشيطان لصاحبه: أرغم اللّه أنفك إحرسه الآن حتى يصبح، فلمّا أصبح رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره وقال له: رأيت في كلامك الشفاء والصدق، ومضى بعد طلوع الشمس فإذا هو بأثر شعر الشيطان مجتمعًا في الأرض»[3].

هذا الحديث إلى درجة من وضوح البطلان والزيف بحيث لا حاجة إلى البحث في سنده (وإن كان سنده لا يخلو من قوة لدى أصحاب الرجال سوى أن محمد بن يحيى يروي عن الضعاف). وفي اعتقادي أن أحد الأسباب المُهمّة لتخلُّف المسلمين هو وجود مثل هذه الروايات الخرافية التي كرّست في المسلمين روح التواكل والكسل والتمسك بالقضايا الغيبية لحل المشاكل الفردية والاجتماعية التي يواجهها الإنسان في حركة الحياة والواقع، فبدلًا من البحث العلمي لاكتشاف المرض ومعالجته بالطرق العلمية يتمسك المسلم بهذه الرواية لعلاج وجع البطن وما عليه إلّا أنَّ يقرأ آية معينة حتى يشفى بدون أن ينفق في ذلك درهمًا أو دينارًا كما تقول الرواية، وإن لم تؤثّر قراءة الآية في شفائه كما هو المتوقع، فهو من قضاء اللّه وقدره وبسبب ذنوب الإنسان وأعماله!! ثمَّ إن مثل هذه الروايات تستبطن إهانة كبيرة للقرآن الكريم وتؤدي إلى ابتعاد الناس عنه بعد أن يروا عدم تأثير هذه الآيات في نيل مرادهم والحصول على مقصودهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو أن هذه الرواية تقرر نتيجة العمل بكل ما ورد فيها من تفاصيل وكأن الراوي قد صحب كل واحد من هؤلاء الرجال وبقي عنده أشْهُرًا أو سنوات وبان له تأثير قراءة هذه الآيات في دفع الشرّ والمرض عنهم لا سيّما وأن بعض هؤلاء الرجال كان قد قدم على أمير المؤمنين عليه السلام من منطقة

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ١١٠، ١١١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٣) أصول الكافي، ج ٢، كتاب فضل القرآن، ص ٦٢٤، ٦٢٦ حديث رقم (٢١).

صحراوية بعيدة كما يظهر من قوله: «**يا أمير المؤمنين أن أرضي أرض مسبعة..**». ومعرفة تأثير قراءة الآية لا يتحقق بيوم أو يومين لأن الرواية لم تقل إن السبع كان يأتيه في كل يوم وإلّا لنفذ ما عنده من أنعام ودجاج، وهكذا في الرجل الذي لم يحترق بيته حيث يستلزم أن الراوي ذهب إلى تلك المنطقة، وبقي هناك مُدّة طويلة لأن من غير الطبيعي أن يحدث الحريق غداة ذلك اليوم الذي سأل فيه ذلك الرجل أمير المؤمنين عليه السلام عن آية تؤمنه من الحرق وكأنه كان يعلم بوقوع الحريق بعد يوم أو أيام قلائل في محلّته!! وتتضاعف المهزلة عندما تحدّث الراوي عن الرجل الذي ذهب وحده إلى قرية خراب فبات فيها ولم يقرأ هذه الآية فتغشّاه الشيطان ثمَّ قرأها فحرسه الشيطان ولكن كيف سمع الرجل أو الراوي صوت الشيطان وهو يتحدّث مع صاحبه؟ وكيف يؤمر الشيطان بحراسة الرجل مع أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يقول في الرواية (تباعدت عنه الشياطين)؟ وكيف يرى أثر شعر الشيطان على الأرض (على فرض أن الشيطان له شعر) والقرآن الكريم يصرّح بعدم إمكانية رؤية الناس له ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[1] ولماذا سقط شعر الشيطان على الأرض؟! فذلك ما لم يذكره لنا الراوي لهذه الرواية.!

١٠ ـ وينقل الكليني أيضًا في كتابه «الكافي» في باب مولد الحسن بن علي عليه السلام: رواية عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنه قال: «**إن الحسن** عليه السلام **قال: إن للّه مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، عليهما سور من حديد وعلى كل واحد منهما ألف ألف مصراع وفيها سبعون ألف ألف لغة يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبها وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما، وما عليهما حُجّة غيري وغير الحُسين أخي**»[2].

أخي القارىء: هذا الحديث واضح البطلان حيث أنَّ المجلسي انتقد بشدة هذا الحديث في كتابه «**مرآة العقول**» بعد أن أعجزه التأويل والتبرير ويقول عنه: «**هذه الكلمات شبيهة بالخُرافات وتصحيح النصوص والآيات لا يحتاج إلى ارتكاب هذه التكلفات واللّه يعلم حقائق الموجودات**»[3].

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٢) أصول الكافي، ج ١، باب مولد الحسن علي عليه السلام، ص ٤٦٢ حديث رقم (٥).
(٣) المجلسي، مرآة العقول، دار الكتب الإسلامية، ج ٥، ص ٣٥٩.

ثمَّ هل يُعقل أن يكون لمدينة من المدن بناها البشر سور من حديد فيه مليون باب أو نصف مليون باب (لكل باب مصراعان)؟! وكيف يتكلم هؤلاء بسبعين مليون لغة؟ فعلى فرض أن عدد سكان هذه المدينة سبعون مليون شخص وكل واحد يتكلم لغة واحدة، فكيف إذن يتفاهم مع الآخرين؟ وما فائدة أن يعلم الإمام الحسن عليه السلام سبعين مليون لغة ويعلم بكل ما في هاتين المدينتين؟ وما فائدة كونه حُجّة على سكان هاتين المدينتين ولم يأت إليه أحد منهما ليتعلّم أحكام الدين ولم يبعث الإمام أحدًا من أصحابه لتعليم هؤلاء الملايين من البشر الشِّيعة أحكام دينهم أو على الأقل جباية الخُمس والزكاة منهم؟!

أمّا سند الرواية ففيه: «**يعقوب بن يزيد**» وهو كاتب لأحد أعوان بني العباس يُسمّى «**أبو دلف**» وقد أكثر من رواية الأحاديث الخرافية، وهو الذي ينقل الرواية المشهورة في ثواب زيارة الحُسين عليه السلام في يوم النصف من شعبان عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**من زار قبر الحُسين عليه السلام في النصف من شعبان غفر اللَّه له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر**»[1].

ويروي عن الإمام الصادق عليه السلام أيضًا: «**من زار قبر أبي عبد اللَّه عليه السلام يوم عاشوراء عارفًا بحقه كان كمن زار اللَّه تعالى في عرشه**»[2].

فلو قبلنا أنَّ ثواب الزيارة يبلغ درجة من العظم بحيث يغفر اللَّه له جميع ذنوبه المُتقدّمة، فما بال الذنوب المتأخرة؟ وكيف يُعطي الإمام عليه السلام ضمانة لشيعته من العذاب مهما ارتكبوا من الذنوب واجترحوا من السيئات بمجرد زيارتهم لقبر الحُسين عليه السلام يوم النصف من شعبان؟ وما هو فرق هذه الزيارة مع صكوك الغفران التي ابتدعتها الكنيسة في العصور الوسطى وصارت مضرب المثل في الخُرافة والدجل من قبل عُلماء الإسلام؟

١١ ـ أورد الكليني في أصول الكافي (**باب أن الأئمّة عليهم السلام نور اللَّه عزَّ وجلّ**) في تفسير آية النور:

«علي بن محمد ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمد بن

---

(١) وسائل الشِّيعة، كتاب الحج «أبواب المزار وما يناسبه» ج ١٠، ص ٣٦٦ حديث رقم (٦).

(٢) وسائل الشيعة، المصدر نفسه، ص ٣٧١.

الحسن بن شمّون، عن عبد اللَّه بن عبد الرحمن الأصمّ، عن عبد اللَّه بن القاسم، عن صالح بن سهل الهمدانيّ قال: قال أبو عبد اللَّه عليه السلام في قول اللَّه تعالى: «**اللَّه نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة**» فاطمة عليها السلام «**فيها مصباح**» الحسن «**المصباح في زجاجة**» الحُسَيْن «**الزجاجة كأنها كوكب درّيٌّ**» فاطمة كوكبٌ درّيٌّ بين نساء أهل الدُّنيا «**توقد من شجرة مباركة**» إبراهيم عليه السلام «**زيتونة لا شرقيّة ولا غربيّة**» لا يهوديّة ولا نصرانيّة «**يكاد زيتها يضيء**» يكاد العلم ينفجر بها «**ولو لم تمسسه نارٌ نورٌ على نور**» إمامٌ منها بعد إمام «**يهدي اللَّه لنوره من يشاء**» يهدي اللَّه للأئمة من يشاء «**ويضرب اللَّه الأمثال للناس**»، قلت: «**أو كظلمات**» قال: الأوَّل وصاحبه «**يغشاه موج**» الثالث«**من فوقه موجٌ ظلمات**» الثاني «**بعضها فوق بعض**» معاوية لعنه اللَّه وفتن بني أميّة «**إذا أخرج يده**» المؤمن في ظلمة فتنهم «**لم يكد يراها ومن لم يجعل اللَّه له نورًا**» إمامًا من ولد فاطمة عليها السلام «**فما له من نور**» إمام يوم القيامة.

وقال في قوله: «**يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم**»: أئمة المؤمنين يوم القيامة تسعى بين يدي المؤمنين وبأيمانهم حتّى ينزلوهم منازل أهل الجنّة»[1].

ونلاحظ على هذا الحديث كيف أنَّ هؤلاء الرواة والدجالين قد نسبوا إلى الإمام الصادق عليه السلام اللعب بالآيات الكريمة وتحريف المراد منها إلى ما يوافق أهواء الغُلاة والكذابين، لأن من الواضح أنه لو كان «**المصباح**» و«**الزجاجة**» هما الحسن والحُسَيْن لكان معنى قوله تعالى: «**المصباح في الزجاجة**» هو أن الإمام الحسن عليه السلام في الإمام الحُسين عليه السلام!! ويكون معنى «**الزجاجة كأنها كوكب دريّ**» أن الإمام الحُسين كأنه فاطمة الزهراء!! إضافة إلى أن الراوي الكذّاب نسي أمير المؤمنين عليه السلام في هذه القصة الخرافية أي لم يجد في الآية الشريفة كلمة يمكن تأويلها به... ثمَّ إن «**ظلمات**» جمع «**ظلمة**» والحال أنه لو كان المراد منها أبو بكر وعمر، لكان الأولى أن يأتي بها بصيغة التثنية «**ظلمتان**» وهنا يأتي سؤال يفرض نفسه وهو: لماذا بايع الإمام علي عليه السلام مع هذه الظلمات؟! والأمر الآخر هو أن الراوي تجرأ على آية أخرى من القرآن الكريم وعبث بمعناها أيضًا الآية (٨) من

(١) أصول الكافي، باب أن الأئمة عليهم السلام نور اللَّه عز وجل، ج ١، حديث رقم(٥) ص١٩٥.

سورة التحريم: ﴿لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[1].

فكما نرى أن قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ معطوف على (النَّبِيَّ) فلو كان المراد من (النُّورُ) هو الإمام، لكان المعنى حينئذ: «أن الإمام الذي يعد تابعًا للنبي ومهتديًا بهداه، يقود النبي والمؤمنين إلى الجنة!! ويكون معنى قوله في ذيل الآية: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ أن النبي والمؤمنين يدعون اللَّه تعالى بأن يتمم ويكمل لهم إمامهم، أي «ربنا أتمم لنا إمامنا» فهل يوجد نقص في الإمام حتى يدعو هؤلاء لاتمامه؟! وهل الراوي أو الكليني نفسه ملتفت إلى هذه اللوازم الباطلة والمعاني السخيفة؟!

يقول العلّامة السيد هاشم معروف الحسني في معرض نقده لهذا الحديث:

(قد يضطر الباحث إلى التأويل أو التفسير أحيانًا لتوضيح المراد من الرواية على شرط أن لا يكون التأويل بعيدًا وأن لا يخرج عن حدود المنطق والعقل كما هو الحال في الروايات السابقة وأمثالها، أما هذه الرواية ونظائرها فلا تقبل التأويل ولا يجوز للباحث المجرد أن يتجاهل عيوبها، ذلك لأن التفسير الذي نسبه الراوي إلى الإمام الصادق عليه السلام يبعد كل البعد عن ظاهر الآية الكريمة، ولا يؤيده الأسلوب القرآني، هذا بالإضافة إلى أن الإمام الصادق أرفع شأنا وأجل قدرًا وأبعد تفكيرًا من أن يهاجم الخلفاء الثلاثة بهذا الأسلوب البعيد عن منطقه ومنطق آبائه الكرام، ويفتعل لنفسه ولجدته فاطمة والأئمّة عليهم السلام العظمة عن طريق هذه التأويلات **التي لا يؤيدها النقل، ولا يقرّها العقل.**

على أن هذه الرواية قد رواها سهل بن زياد عن محمد بن الحسن بن شمّون. ورواها ابن شمّون عن عبد اللَّه بن عبد الرحمن الأصم، ورواها عبد اللَّه هذا عن عبد اللَّه بن القاسم ورواها عبد اللَّه بن القاسم عن صالح بن سهل الهمداني، وهؤلاء كلهم من المتهمين بالكذب ودس الأحاديث بين روايات أهل البيت عليهم السلام كما نصَّ على ذلك المؤلفون في الرجال.

فقد جاء في «**إتقان المقال**»، عن محمد بن الحسن بن شمّون: «**بصري من**

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

الغُلاة» وقال عنه النجاشي: «**إنه كان واقفيًا، ثمَّ غلا في التشيُّع وهو ضعيف جدًا وفاسد المذهب**»[1] وقال عنه التفريشي في كتابه نقد الرجال: «**إنه كان من الغُلاة، ضعيف متهافت لا يُلْتَفَتُ إليه ولا إلى مصنفاته وسائر ما ينسب إليه**»[2].

وجاء في «**الإتقان**» أن عبد اللَّه بن عبد الرحمن الأصم: «**من الغُلاة ضعيف لا يُلتفت إليه**»[3]، وقال فيه التفريشي في نقد الرجال: «**أن كتابه الزيارات يدل على خبث عظيم، ومذهب متهافت، وكان من كذابة أهل البصرة**».

ونص على أن عبد اللَّه بن البطل الحارثي: «**كذّاب غال ضعيف متروك الحديث معدول عن ذكره**»، وكذلك العلّامة في كتابه الخلاصة ذكر الشيء نفسه[4].

وأضاف إلى ذلك في إتقان المقال، أن عبد اللَّه بن القاسم الحضرمي المعروف بالبطل: «**كذّاب من الغُلاة، يروي عن الغُلاة لا خير فيه ولا يُعْتَبر بروايته**»[5].

وجاء في كتب الرجال عن صالح بن سهل الهمداني الذي روى عن أبي عبد اللَّه مباشرة، جاء عنه أنه قال: «**كنت أقول في الصادق بالربوبية، فدخلت عليه فلمَّا نظر إليّ قال: يا صالح. إنَّا واللَّه عبيدٌ مخلوقون. لنا رب نعبده وإن لم نعبده عذّبنا**»[6].

وقال التفريشي في نقد الرجال، أن صالح بن سهل: «**من المذمومين والغُلاة والكذابين، وضّاع للحديث لا خير فيه ولا في سائر مروياته**».

ويجد الباحث في مرويات الكافي التي من هذا النوع مجالًا واسعًا لرفضها وعدم الاعتداد بها لا من حيث اشتمالها على ما يخالف ظاهر الكتاب فحسب بل من حيث أن رواة هذا النوع من الأحاديث لم يثبتوا في وجه الطعون والانحرافات التي وجهها إليهم الذين أحصوا تاريخ الرجال وأحوالهم، كما تبيّن ذلك من الأمثلة السابقة[7].

---

(١) راجع: رجال النجاشي، شركة الأعلمي/لبنان، ط١ (١٤٣١هـ-٢٠١٠م) رقم(٨٩٩)، ص٣٢٠، ٣٢١.

(٢) انظر: ص٣٤٢ من «الاتقان» للشيخ محمد طه.

(٣) راجع: رجال الحلي، دار الذخائر/ قُمّ، ط ٢ (١٣٨١هـ-١٩٦١م) رقم(٢٢)، باب عبد الله، ص٢٣٨.

(٤) راجع: رجال الحلي، المصدر نفسه، رقم (٥٩٣)، ص٢١٧.

(٥) راجع: رجال النجاشي، رقم (٥٩٤)، ص٢١٧، ورجال الحلي، باب عبد الله، رقم (٩)، ص٢٣٦.

(٦) انظر: رجال الكشي، منشورات الأعلمي/بيروت، ط ١ (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) ص ٢٤٢.

(٧) انظر: «الاتقان» للشيخ محمد طه ص٣٠٦ و٣١٦، ورجال الميرزا محمد.

وهذا لا يعني أن كل ما يرويه أحد من هؤلاء المتهمين والمشبوهين يتعيّن طرحه، لجواز أن يروي بعض الضعفاء والمذمومين عن أصل معتبر عند الطبقة الأولى من الرواة، أو بأخذ الرواية ممن يصح الاعتماد عليه والركون إليه، أو تكون الرّواية مدعومة بالقرائن والشواهد ونحو ذلك ممّا يوجب الوثوق بصدورها وإن لم يكن الراوي لها من حيث ذاته موثوقًا ومعتمدًا عند المؤلفين في أحوال الرواة)[1].

أما عن «**سهل بن زياد**» الكذّاب أحد رواة هذا الحديث فحدّث ولا حرج، فهو منشأ الفتنة ومنبع الخُرافة، وقد كان هذا الرجل معاصرًا للإمام التاسع والعاشر والحادي عشر، ويقول عنه النجاشي وابن الغضائري والشيخ الطوسي وسائر عُلماء الرجال كابْنِ الوليد والصدوق وابن نوح إنَّهُ كان: «**ضعيفًا جدًا وفاسد الرواية والدين ومن الغُلاة ولا يعتمد على روايته**»[2].

ولهذا أخرجه «**أحمد بن محمد الأشعري**» من مدينة قُمّ وأظهر براءته منه ومنع الناس من نقل روايته. والجدير بالذكر أن هذا الشخص يقع في ٢٣٠٦ من روايات الشِّيعة ويروي عنه الكليني في الكافي روايات كثيرة!!

وهذا الراوي هو الذي روى قصة «رد الشمس» للإمام علي عليه السلام وقد نقلها الكليني في كتاب الكافي (فروع الكافي، ج ١ ص ٣١٩)، وهو صاحب رواية إثبات علم الغيب للأئمة عليهم السلام.

وفي الكافي أيضًا نقرأ له رواية تقول إن الحُسين عليه السلام لما قُتل عجّت السماوات والأرض ومن عليها والملائكة وطلبوا من اللَّه أن يأذن لهم بهلاك الخلق، فكشف اللَّه لهم عن الإمام المهدي عليه السلام وقال: بهذا انتصر ـ قالها ثلاث مرات[3]!!.

١٢ ـ وبهذه المناسبة ننقل خبرًا في التفسير الخرافي نقله سهل بن زياد أيضًا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**سألته عن قول اللَّه عزَّ وجلّ**: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١﴾[4]؟ **قال**:

---

(١) دراسات في الحديث والمحدثين، السيد هاشم معروف الحسني، بيروت/ دار التعارف للمطبوعات، ص٢٨٢ ـ ٢٨٤.

(٢) انظر: رجال النجاشي، ط١ (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م) الأعلمي/ بيروت، ورجال الحلي، ط٢ (١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م) قُمّ/إيران، دار الذخائر للمطبوعات، ص٢٢٨.

(٣) أصول الكافي، باب أخبار في الاثني عشر والنص عليهم، دار الأضواء/ بيروت، ج ١، ح ١٩، ص٥٣٤.

(٤) سورة الشمس، الآية: ١.

الشمس رسول الله ﷺ به أوضح الله عزَّ وجلّ للناس دينهم، قال: قلت: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾[1]؟ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام تلا رسول اللّه ونفثه بالعلم نفثًا»..

وهكذا تستمر الرواية في التلاعب بالآيات القرآنية فتكون الآية ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾[2] كناية عن خلفاء الجور، والآية ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾[3] تقصد الإمام من ذرية الزهراء عليها السلام **يسأل عن دين اللّه فيجلّيه»**[4].

هذا وإن هذه السورة مكية حيث لم يكن حينذاك خلفاء الجور أو الإمام الذي يجلّيها، ثمَّ كيف يقسم اللّه تعالى بخلفاء الجور والقسم كما هو معروف لا بد أن يكون بأمور مقدّسة أو من المواهب الإلهية لعباده؟! حاشا للإمام الصادق عليه السلام أن يفسّر القرآن بهذا التفسير الموهون، بل نرى أن الغُلاة ومنهم سهل بن زياد طعنوا في القرآن الكريم وشوّهوا معانيه وحملوا كل ما يحتمل تأويله لمصلحة مذهبهم الباطل حتى بلغ الأمر أن يتخذها (سيد علي محمد الباب الشيرازي) مؤسس الفرقة البابية ذريعة لتأييد مذهبه عندما استند إلى قوله تعالى في سورة القيامة ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩﴾[5] على أساس أن اسمه (محمد علي) وقد جمع فيه الشمس والقمر حيث ورد في هذه الرواية أن الشمس محمد، والقمر علي، وقد وعد اللّه تعالى أن يجمع الشمس والقمر فتحقق هذا الوعد بظهوره وتأسيس مذهبه وهو مراد القرآن من القيامة أيضًا، أي قيامه هو!!

ونقرأ لسهل بن زياد أيضًا في روضة الكافي وبعد ذكر هذه الرواية، رواية أخرى في تفسير سورة الغاشية حيث يروي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾[6]؟» **قال: يغشاهم بالسيف، قال: قلت: وجوه يومئذ خاشعة؟ قال: خاضعة لا تطيق الامتناع، قال: قلت: عاملة؟ قال: عملت بغير ما**

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٢.

(٢) سورة الشمس، الآية: ٤.

(٣) سورة الشمس، الآية: ٣.

(٤) فروع الكافي، في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ دار الأضواء/ بيروت، ط٢ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ج٨، ص٤٣، ح١٢.

(٥) سورة القيامة، الآية: ٩.

(٦) سورة الغاشية، الآية: ١.

أنزل اللَّه، قال: قلت: ناصبة؟ قال: نصبت غير ولاة الأمر. قال: قلت: تصلى نارًا حامية؟ قال: تصلى نار الحرب في الدنيا على عهد القائم، وفي الآخرة نار جهنم»[1].

بعد هذا الحديث يروي سهل بن زياد أيضًا حديثًا آخر في التلاعب بمعاني القرآن الكريم والاستدلال بها على الرجعة، في قوله تعالى: «﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾[2] قال: فقال لي أبو عبد اللَّه عليه السلام: يا أبا بصير ما تقول في هذه الآية؟ قال: قلت: إن المشركين يزعمون ويحلفون لرسول اللَّه ﷺ إن اللَّه لا يبعث الموتى. قال: فقال عليه السلام: تبًا لمن قال هذا، سلهم هل كان المشركون يحلفون باللَّه أو باللات والعزّى؟ قال: قلت: جعلت فداك فأوجدنيه قال: فقال لي: يا أبا بصير لو قد قام قائمنا بعث اللَّه إليه قومًا من شيعتنا قباع سيوفهم على عواتقهم فيبلغ ذلك قومًا من شيعتنا لم يموتوا، فيقولون: بعث فلان وفلان وفلان من قبورهم وهم مع القائم فيبلغ ذلك قومًا من عدونا فيقولون: يا معشر الشِّيعة ما أكذبكم، هذه دولتكم وأنتم تقولون فيها الكذب لا واللَّه ما عاش هؤلاء ولا يعيشون إلى يوم القيامة، قال: فحكى اللَّه قولهم فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾[3]»[4].

نترك التعليق على هذه الأخبار المزيّفة إلى القارىء الكريم ليحكم فيها بعقله ووجدانه، ولكن نلفت النظر إلى نكتة واحدة، وهي أن الروايات الواردة عن سهل بن زياد (الكذاب المُغالي) في فروع الكافي فقط بلغت (١٠٣٤) رواية عدا ما ورد عنه في أصول الكافي والروضة!

١٣ ـ جاء في الكافي باب **«أن الأئمّة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء عليهم السلام»**:

عقد الكُليني هذا الباب ونقل فيه ستة أحاديث في هذا المجال مشحونة

---

(١) فروع الكافي، دار الأضواء/ بيروت، ط٢ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) ج٨، ص ٤٣، ٤٤ ح ١٣.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٨.
(٣) سورة النحل، الآية: ٣٨.
(٤) فروع الكافي، دار الأضواء/ بيروت، ط٢ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) ج٨، ص ٤٤، ح ١٤.

بالافتراء على أهل البيت عليهم السلام ولا اعتبار لها سندًا ولا دلالة، ولا يخفى أن العنوان المذكور «**لا يُخفى عليهم شيء**» لم يرد في روايات هذا الباب بل وضعه الكليني من عنده تشبيهًا للأئمة عليهم السلام بما ورد في القرآن من وصف اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾[1]. وعلى أية حال نقرأ في الحديث الأول من هذا الباب:

«أحمد بن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحُسين، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن عبد اللّه بن حمّاد، عن سيف التمّار قال: **كنّا مع أبي عبد اللّه** عليه السلام **جماعة من الشِّيعة في الحِجْر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نرَ أحدًا فقلنا: ليس علينا عين فقال: وربّ الكعبة وربّ البيّنة ـ ثلاث مرات ـ لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأنّ موسى والخضر** عليهما السلام **أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتّى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول اللّه** صلى الله عليه وآله **وراثة**»[2].

ويقول أيضًا في الحديث الثاني عن عِدَّةٍ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان عن يونس بن يعقوب، عن الحارث بن المغيرة، وعدَّة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيدة وعبد اللّه بن بشر الخثعمي سمعوا أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: **إنّي لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنّة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون قال: ثمَّ مكث هنيئة فرأى أنّ ذلك كبُرَ على من سمعه منه فقال: علمت ذلك من كتاب اللّه عزَّ وجلَّ، إنَّ اللّه عزَّ وجلَّ يقول: فيه تبيان كلِّ شيء**[3].

تقدّم بعض الكلام عن علم الإمام بما كان وما يكون إلى يوم القيامة وأنه عبارة أخرى عن علم الغيب الذي نفاه الأئمّة عليهم السلام عن أنفسهم لاختصاصه بالذات المُقدّسة ولكن هذه الروايات، كما تقدّم، مخدوشة سندًا ودلالة...

أما السند: ففي رجاله نرى بعض الرواة الضعفاء المعروفين بالكذب والغلوّ من قبيل «**إبراهيم بن إسحاق الأحمر**» و«**محمد بن سنان**» وغيرهما من الرواة، فالأول

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥.

(٢) أصول الكافي، باب «أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون»، ج١ ص٢٦٠، ٢٦١، ح١.

(٣) أصول الكافي، المصدر نفسه، ج١، ص٢٦١، ح٢.

«**إبراهيم بن إسحاق الأحمر النهاوندي**» يقول عنه الشيخ الطوسي في كتاب (الفهرست): «**إنَّهُ ضعيف ومتهم في دينه**». وقال كل من الغضائري والنجاشي والعلّامة الحلّي: «**إنَّهُ ضعيف**»[1]. ولكن مع الأسف نرى أن رواياته التي يرويها في باب المزار كثيرة ومسطورة في المصادر الحديثية، مثلًا يروي حديثًا عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «**من زارني على بعد داري ومزاري أتيته يوم القيامة في ثلاث مواطن حتى أخلّصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يمينًا وشمالًا، وعند الصراط، وعند الميزان**»[2] وقلنا فيما سبق أن أهل البيت عليهم السلام بعد أن رأوا كثرة الكذّابة والدجالين من رواة أحاديثهم أمرونا بعرض أخبارهم على القرآن لأنهم لا يقولون شيئًا خلاف قول اللّه عزَّ وجلّ في كتابه، فما وافق كتاب اللّه أخذنا به، وما خالفه ضربنا به عرض الجدار. وهذا الحديث يخالف كتاب اللّه في العديد من آياته الشريفة حيث يقول تعالى عن يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾[3] ويقول: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾[4] ويقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾[5] ويقول عن إمرأتيْ نوح ولوط: ﴿فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[6] وغير ذلك من الآيات القرآنية التي تكشف عن زيف هذا الحديث الموهوم، ولكن ذهنية العوام من الشّيعة تتمسّك بأمثال هذه الأحاديث الموهومة باعتبارها صادرة عن المعصومين عليهم السلام ويتخذونها عقيدة دينية وكأنها من المسلّمات وهكذا يسري الإنحراف في العقيدة إلى عقول الناس.

الراوي الآخر هو «محمد بن سنان» قال عنه النجاشي في رجاله أنه: «**ضعيف جدًا لا يعوّل عليه ولا يلتفت إلى ما تفرّد به**»، وقال النجاشي بأنَّ الفضل بن شاذان قال: «**لا أحل لكم أن ترووا أحاديث محمد بن سنان**»[7].

---

(١) انظر: رجال الحلي، ص١٩٨، ورجال النجاشي، ص٢١.

(٢) وسائل الشّيعة، باب استحباب زيارة قبر الرضا عليه السلام ج ١٠، ح ٢، ص ٤٣٣.

(٣) سورة الانفطار، الآية: ١٩.

(٤) سورة الزمر، الآية: ١٩.

(٥) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٦) سورة التحريم، الآية: ١٠.

(٧) انظر: رجال النجاشي، الأعلمي/بيروت، ص٣١٣، رقم (٨٨٨) ورجال الحلي، ص٢٥١، ورجال الكشي، ص٢٧٨، ٢٧٩.

أما الدلالة: فالحديث الأول يناقض بعضه بعضًا، فكيف يُعقل أن يعلم إنسان بما كان وما يكون إلى يوم القيامة وفي الوقت نفسه لا يعلم بما حوله من وجود جاسوس أو عدم وجوده بحيث يسأل أصحابه: علينا عين؟ فلمّا نظر أصحابه يمنة ويسرة فلم يروا أحدًا صرّح بذلك التصريح الخطير؟! **هذا أولًا**..

وثانيًا: ليس من المعلوم أن موسى والخضر كانا يعلمان بما كان حتى يقول الإمام في هذه الرواية: أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن، وهناك شواهد من القرآن الكريم على أن موسى لم يدّع هذا الإدّعاء بل لم يكن يعلم بفتنة السامري لقومه حتى أخبره اللّه: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾[1].

وبعد أن رجع موسى إلى قومه وشاهد انحرافهم غضب كثيرًا وأخذ يوبخ أخاه هارون الذي قال له: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾[2].

بل إن النبي الأكرم ﷺ نفسه لم يكن يعلم بما كان حتى أخبره القرآن والوحي ببعض الحوادث التي جرت على الأمم والأقوام السالفة مع أنبيائهم:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[3].

ثالثًا: إن اللّه تعالى خاطب نبيه الكريم مرارًا في القرآن بعبارة ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾ و﴿لَا تَدْرِى﴾ ﴿وَمَآ أَدْرِى﴾ فكيف تدّعي الرواية أن رسول اللّه ﷺ كان له علم ما كان وما يكون؟!

رابعًا: إن رسول اللّه ﷺ كثيرًا ما يؤخر جواب مسألة حتى ينزل عليه الوحي ويخبره بالجواب فكيف يكون له علم ما كان وما يكون؟

خامسًا: تقدّم فيما سبق أنه لا معنى لوراثة العلم إلَّا عند الخُرافيين.

---

(١) سورة طه، الآية: ٨٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٣) سورة غافر، الآية: ٧٨.

سادسًا: إن هذا الحديث وأمثاله يوجّه إهانة كبيرة للإمام الذي يتعالى عن الأنانيات وأشكال الفخر بما أنعم اللَّه عليه، وهل سمعنا أن رسول اللَّه ﷺ قد تفاخر يومًا بمثل هذه المفاخرة ونسَبَ لنفسه علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة مع أنه أحوج ما يكون إلى إظهار هذه النعمة ليُصدّقه الناس ويؤمنوا بنبوّته؟ إذن فلماذا يتصدى الإمام وبدون سؤال مسبق إلى التعريف بنفسه وفضائله رُغم صعوبة تصديق الناس له واحتمال حدوث أثر سلبي لذلك حسب ما ورد في الرواية الثانية أن الإمام رأى أنَّ هذا الكلام كبُرَ على من سمعه من أصحابه فلجأ إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم؟!

سابعًا: هل يُعقل أنَّ الإمام يخطىء في قراءة آية من القرآن ولا يعرف تلاوتها مهما كانت قصيرة؟ فنحن نقرأ في الرواية الثانية أنَّ الإمام استشهد لكلامه بقول اللَّه عزَّ وجلّ «**فيه تبيان لكل شيء**» مع أن الآية الصحيحة الواردة في القرآن الكريم هي ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[1] ولا توجد آية في القرآن تقول: «**فيه تبيان لكل شيء**»؟!

ثامنًا: أين العلم بما كان وما يكون في كتاب اللَّه؟ وهل يوجد في القرآن الكريم مهما توغلنا في باطنه ومعانيه، أسماء جميع أهل الجنة وجميع أهل النار؟ وهل يسع كتاب مهما بلغ حجمه أن يسع في طياته أخبار جميع ما في السموات والأرض منذ الأزل حتى آخر الدنيا؟! وأما قول القرآن الكريم من كونه «**تبيانًا لكل شيء**» فالقرينة الحالية تقرر أنَّ «**كل شيء**» هنا تتعلق بأمور الهداية والتشّريع والسير في خط الكمال المعنوي كما نقول عن مائدة أعدّت للضيوف أن «**فيها كل شيء**» أي كل شيء يؤكل، فلا يتوقع السامع لهذا الكلام أن يجد في المائدة أدوات النجارة والخياطة وأنواع السيارات ووسائل النقل!!

١٤ ـ جاء في الكافي، «**باب أن أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة** عليهم السلام»:

محمد بن يحيى، عن محمد بن الحُسين، عن صفوان بن يحيى، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **إنَّ من عندنا يزعمون أنَّ قول**

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

الله عزَّ وجل: ﴿...فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٤٣﴾ **أنهم اليهود والنصارى، قال: إذًا يدعونكم إلى دينهم! قال: ـ قال بيده إلى صدره**[1] **ـ نحنُ أهل الذكر ونحن المسؤولون»**[2]. وأنه فسّر قول الله عزَّ وجلّ: ﴿...فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٤٣﴾[3] **بأهل البيت** عليهم السلام. وأنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديثًا يقول فيه: «**الذكر أنا والأئمة أهل الذكر**»[4].

ولكن هذه الروايات ضعيفة ومرفوضة لأنها تخالف سياق الآية بوضوح، حيث وردت هكذا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٤٣ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ﴾[5] وهي صريحة بطلب السؤال من أهل الكتاب للتعرّف على مواصفات الأنبياء السابقين الذين كانوا رجالًا، وهي ليست بالتأكيد في معرض الخطاب للمسلمين والطلب منهم السؤال من أهل البيت عليهم السلام في المستقبل. وقد وردت الآية مرة أخرى في سورة الأنبياء هكذا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨﴾[6]. حيث يتضح المعنى من السياق العام للآية الذي يركز على طبيعة النبي البشرية المشابهة لطبيعة الأنبياء السابقين، والآيتان لا تطلبان من المسلمين أو المشركين الاستعانة باليهود والنصارى لإثبات نبوة النبي محمد، وإنما تطلبان السؤال عن طبيعة الأنبياء البشرية من أجل أن يكف المشركون عن الإستغراب من نزول الوحي على رجل أو كونه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق!

١٥ ـ جاء في الكافي، باب «**أن الأئمة أركان الأرض**»:

عن أحمد بن مهران، عن محمد بن علي، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعًا، عن محمد بن سنان، عن المفضَّل بن عمر، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال: **ما جاء به علي عليه السلام آخذ به، وما نهى عنه انتهي عنه، جرى له**

---

(١) إلى صدره متعلق بـ«قال» بتضمين معنى الإشارة أو القول بمعنى الفعل كما هو الشائع.

(٢) أصول الكافي، الكليني، كتاب الحجة، «باب أن أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة»، ج١، ص٢١١ ح٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٤) أصول الكافي، الكليني، كتاب الحجّة، «باب أن أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمة»، ج١، ص٢١٠، ٢١١، ح١، ٦.

(٥) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٦) سورة الأنبياء، الآيتان: ٧، ٨.

الفضل مثلما جرى لمحمد ﷺ، ولمحمد الفضل على جميع من خلق الله عزَّ وجلَّ، المتعقِّب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقِّب على الله ورسوله والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله، كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتى إلَّا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحدًا بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها وحجّته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، وكان أمير المؤمنين عليه السلام كثيرًا ما يقول: أنا قسيم الجنّة والنار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم ولقد أقرَّت لي جميع الملائكة والرُّوح والرُّسل بمثل ما أقرُّوا به لمحمّد ﷺ... ألخ[1].

إنَّ رواة هذه الرواية من المتهمين بالإنحراف عن خط التشيُّع الصحيح، فأحمد بن مهران الراوي الأول لها، قد وصفه العلّامة الحلي في خلاصته **بالضعف، وأكد ذلك غيره من المؤلفين في أحوال الرواة[2].**

ومحمد بن علي الراوي الثاني لها، فسواء أكان ابن إبراهيم أبا جعفر القرشي، أو كان إبن إبراهيم الهمداني، أو إبن بلال أبا طاهر، أو محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزافري، **هؤلاء كلهم من المذمومين بالكذب والمعروفين بانحرافهم عن التشيُّع الصحيح**، ومحمد بن سنان أحد رواتها المعروف بأبي جعفر الزاهري، **قد أطالوا الحديث عنه ووصفوه بالكذب**. وقال عنه الفضل بن شاذان: **أنه من الكذابين المشهورين، وبالتالي فإنَّ أكثرهم قد اتفقوا على تكذيبه وعدم جواز الاعتماد على مروياته[3].**

أما المفضَّل بن عمر الراوي للحديث عن الإمام الصادق عليه السلام فقد روى عنه وعن ولده الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام **وهو من المتهمين بالغلوّ والكذب واعتناق فكرة الخطابية[4].**

---

(١) أصول الكافي، الكليني (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) - كتاب الحجّة، باب «أنَّ الأئمة هم أركان الأرض» ج١، ص١٩٦، ١٩٧، ح١.

(٢) انظر: رجال الحلي، ط٢ (١٣٨١هـ - ١٩٦١م) قُمّ/إيران، دار الذخائر للمطبوعات ص٢٠٥.

(٣) انظر: رجال الحلي، المصدر السابق، ص٢٥١، رجال النجاشي، الأعلمي/بيروت، رقم (٨٨٨)، ص٣١٣، ٣١٤، رجال الكشي، الأعلمي/ بيروت، ص٢٧٨، ٢٧٩، ٣٦٠، ٣٦١.

(٤) رجال الكشي، الأعلمي/بيروت ص٢٢٨، ٢٢٩.

وجاء عن حماد بن عثمان أنه قال: «سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول للمفضَّل بن عمر: **يا كافر يا مشرك ما لَكَ ولابني إسماعيل بن جعفر، وكان منقطعًا إليه يقول فيه مع الخطابية**»[1].

وقال عبد الله بن مسكان: أن حجر بن زائدة وعامر بن جداعة دخلا على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقالا له: جعلنا الله فداك، إنَّ المفضَّل بن عمر يقول: إنكم تقدّرون أرزاق العباد، فقال: **والله ما يقدّر أرزاقنا إلَّا الله، ولقد احتجت إلى طعام لعيالي فضاق صدري وأبلغت إليّ الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم...**»[2]!

ثانيًا: «الشيخ الصدوق»

الملقب برئيس المحدّثين وأشهر كتب محمد بن علي بن الحُسين بن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) «**من لا يحضره الفقيه**» وتنبع أهمية هذا الكتاب من أنَّ الشيخ الصدوق سعى لأن يذكر الأحاديث الصحيحة في هذا الكتاب ولذلك قال في بداية كتابه هذا: «**لم أقصد فيه قصد المنصفين في إيراد جميع ما رووه، بل قصدت إلى إيراد ما أُفتي به وأَحكُمُ بصحته وأعتقد فيه أنه حُجّة فيما بيني وبين ربي تقدَّس ذكره وتعالت قدرته..**»[3].

وبالرغم من وجود الكثير من الروايات الصحيحة والموثّقة في كتب الشيخ الصدوق لكن مع الأسف فيها أخبار وروايات سقيمة وباطلة وإليك نماذج منها.

الأول: من لا يحضره الفقيه

١ ـ جاء في الفصل المتعلق بصلاة الآيات، أسطورة الحوت التي تسبب الزلزلة وقد حذف الشيخ الصدوق سند هذه الرواية كما هو الحال في موارد كثيرة وأورد هذه الأسطورة بكثير من الإطمئنان والثقة بمضمونها ونسَبَها إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال:

«**قال الصادق عليه السلام: إن اللَّه تبارك وتعالى خلق الأرض فأمر الحوت فحملتها، فقالت: حَمَلْتها بقوتي! فبعث اللَّه عزَّ وجلّ إليها حوتًا قَدْر فِترٍ فدخلت في منخرها**

---

(١) انظر: رجال الكشي، ترجمة المفضَّل بن عمر، ص٢٢٩.

(٢) انظر: «الإتقان»، ص٢٤٦، ٢٥٤، ٢٥٨، رجال الكشي ص٢٢٩ ـ ٢٣٤، رجال الحلي ص٣٥٨، رجال النجاشي، ص٣٩٨.

(٣) مقدمة كتاب «من لا يحضره الفقيه» ج١، دار الأضواء/ بيروت، ص٣.

فاضطربت أربعين صباحًا فإذا أراد اللَّه عزَّ وجلّ أن يزلزل الأرض تراءت لها تلك الحوتة الصغيرة فزلزلت الأرض فَرَقًا»![1].

وقد قرأنا سابقًا نظير هذه الرواية مع تفاوت يسير في كتاب الشيخ الكليني، والظاهر أنَّ سند الصدوق والكليني مشترك، ورأينا أن سند الكليني ضعيف أيضًا. وهنا نضيف إلى أن بعض شُرّاح كتاب «من لا يحضره الفقيه» قالوا في صدد الدفاع عن هذا الحديث: إنَّ الإمام الصادق أجاب الراوي لهذا الخبر بجواب يتناسب مع فهمه للأمور. ولكننا لا نوافق على هذا الإدّعاء لأننا لا نعتقد بجواز إسناد الأُمور الباطلة إلى الإمام الصادق عليه السلام. فإذا كان الراوي غير مستعد لتقبّل الحقائق ولا يمكنه فهم الأُمور بصورتها الحقيقية فيلزم إمام المسلمين أن يوضّح لهذا الشخص بأن هذا الأمر فوق طاقتك كما أنَّ رسول اللَّه عندما سئل عن «الروح» قال: ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[2].

٢ ـ جاء في الجزء الثامن من هذا الكتاب ضمن «كتاب الصوم» باب النوادر
أنَّ شهر رمضان لا بد أن يكون ثلاثين يومًا ولا يمكن أن يكون أقل من ذلك أبدًا حيث يقول:

«في رواية محمد بن سنان عن حذيفة بن منصور عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: شهر رمضان ثلاثون يومًا لا ينقص أبدًا»[3].

وبديهي أن شهر رمضان كثيرًا ما يبلغ عدد أيامه تسعة وعشرين يومًا لوجود الكثير من الشهود في هلال أوّل الشهر وآخره، فالرواية المذكورة مخالفة للأمر المحسوس والمشهود.

وفي رواية أخرى **عن حذيفة بن منصور عن معاذ بن كثير ويقال له معاذ بن مسلم الهراء عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: شهر رمضان ثلاثون يومًا لا ينقص واللَّه أبدًا»**[4].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، باب «صلاة الكسوف والزلازل والرياح»، دار الأضواء/ بيروت (١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م) ج١، حديث رقم (١٥١٥) ص٣٤٢، ٣٤٣.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه، باب النوادر، ج ٢، ص ١١٠، حديث رقم (٢).

(٤) من لا يحضره الفقيه، المصدر نفسه، ص ١١٠، حديث رقم (٣).

وروي عن ياسر الخادم قال: قلت للرضا عليه السلام هل يكون شهر رمضان تسعة وعشرين يومًا؟ فقال: إن شهر رمضان لا ينقص من ثلاثين يومًا أبدًا»[1].

ولا شك في خطأ وبطلان هذه الأحاديث للعالم والعامي ولا حاجة للبحث في سندها لا سيّما وأنَّ الشيخ الصدوق لم يذكر إسناد هذه الروايات في كتابه «من لا يحضره الفقيه» بل اكتفى غالبًا بذكر الراوي الأول لها.

٣ ـ جاء في الجزء الثالث من الكتاب المذكور في باب «المعايش والمكاسب»:
«قال الصادق عليه السلام لأبي الربيع الشامي: «لا تخالط الأكراد، فإنَّ الأكراد حيّ من الجن كشف اللّه عنهم الغطاء»[2].

ولا شك في وضع هذه الرواية وأنها مجعولة لأن القرآن الكريم يقرر أن جميع البشر من أصل واحد ويقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾[3].

ولكن بعض شُرّاح كتاب «من لا يحضره الفقيه» قالوا بما أن الأكراد يتعاملون مع الآخرين بأخلاق سلبية وسلوكيات خاطئة فلذلك شبههم الإمام الصادق بطائفة من الجن الذين ظهروا للناس بصورة بشر. إلّا أنَّ الحديث المذكور يخلو من أداة التشبيه وليس هو في سياقه في مقام التشبيه، هذا **أولًا**.

وثانيًا: إن القرآن الكريم يصرّح بأن الجن فيهم طوائف خيّرة وأخرى شرّيرة قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾[4] و﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾[5]. فتشبيه الأشرار بالجن لا وجه له، وإذا كان المقصود هو هذا المعنى فيلزم تشبيههم بالشياطين.

ثالثًا: إن تشبيه الأكراد، رُغم وجود أشخاص متقين وصالحين فيهم، بالجن ليس من شأن الإمام القائد الإسلامي الإلهي. ومن هنا فإنَّ تبرير هذا الحديث الشريف بما ذُكر لا وجه له ولا فائدة فيه بل يجب ضربه عرض الجدار.

---

(١) من لا يحضره الفقيه، باب النوادر، ج ٢، ص ١١١، حديث رقم (١١).
(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٣، باب المعايش والمكاسب، ص ١٠٠، حديث رقم (٣٨).
(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٤) سورة الجن، الآية: ١١.
(٥) سورة الجن، الآية: ١٤.

٤ ـ **جاء في باب «وجوب الجمعة وفضلها»** رواية عن الإمام الصادق تشير إلى أن خطبة صلاة الجمعة يجب أن تُقام بعد الصلاة، ومن الواضح أنَّ هذه الرواية غير صحيحة لأنها مخالفة لإجماع المسلمين من السُّنّة والشِّيعة والروايات الكثيرة الواردة في المصادر الحديثية المعتبرة لكلا الفريقين، والرواية هي:

«**وقال أبو عبد اللَّه عليه السلام أوّل من قدّم الخطبة على الصلاة يوم الجمعة عثمان لأنه كان إذا صلى لم يقف الناس على خطبته وتفرّقوا وقالوا ما نصنع بمواعظه وهو لا يتعظ بها وقد أحدث ما أحدث فلمَّا رأى ذلك قدّم الخطبتين على الصلاة**»[١].

وقد اتفق شراح «من لا يحضره الفقيه» على بطلان هذه الرواية لكن الصدوق توهّم في هذه الرواية وخلط بين خطبة الجمعة وخطبة صلاة العيدين «التي يجب أن تقرأ بعد الصلاة» وذكر روايات عديدة عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام **تخالف هذه** الرواية.

الثاني: كتاب الخصال

جاء في «**الخصال**» في «**باب الثلاثة**» رواية خُرافية تحت عنوان ثلاث كُنّ في أمير المؤمنين وقال:

«حدّثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي اللَّه عنه قال: حدثنا الحسن بن علي العدوي عن عبّاد بن صهيب (بن عبّاد) عن أبيه عن جدّه عن جعفر بن محمد عليه السلام **قال: سأل رجل أمير المؤمنين** عليه السلام **فقال له: أسألك عن ثلاثة هنَّ فيك: أسألك عن قصر خلقك، وعن كبر بطنك، وعن صلع رأسك! فقال أمير المؤمنين** عليه السلام **إن اللَّه تبارك وتعالى لم يخلقني طويلًا، ولم يخلقني قصيرًا، ولكن خلقني معتدلًا، أضرب القصير فأقدُّه، وأضرب الطويل فأقطُه. وأما كبر بطني فإنَّ رسول اللَّه** صلى الله عليه وآله وسلم **علّمني بابًا من العلم ففتح لي من ذلك ألف باب فازدحم العلم في بطني فنفخت عنه عضوي. وأما صلع رأسي فمن إدمان لبس البيض ومجالدة الأقران**»[٢].

أولًا: إن في سند هذه الرواية «**الحسن بن علي العدوي**» وهو: «**من المجاهيل**

---

(١) من لا يحضره الفقيه، باب «في وجوب الجمعة وفضلها» ج ١، ص ٢٧٨، ح ٤٧.
(٢) الخصال، الصدوق، باب الثلاثة، ص ١٨٩.

ولم يعثر له على أثر في كتب الرجال»، إضافة إلى أن «**عباد بن صهيب**» كما تحدّث عنه العلّامة الحلّي في «**خلاصة الأقوال**» أنه «**بتري المذهب**»[1] ولكن بعض أرباب الرجال ذهبوا إلى توثيقه والبعض الآخر إلى تصحيفه كما ذكر الفاضل المقداد في «**التنقيح**» إلى «**تضعيفه ولا يعلم من أحوال والده وجدّه شيئًا**»، ولذلك فالخبر المذكور ضعيف بلحاظ السند ولا يمكن الوثوق به.

ثانيًا: إنَّ متن الخبر شاهد على أنه يتضمن أعلى درجات الخُرافة بل هو نوع من الإهانة وإساءة الأدب لأمير المؤمنين علي عليه السلام، فهل مكان الحكمة والعلم في بطن الإنسان وهل كل من كان علمه أكثر كانت بطنه أكبر؟ والعجيب تبرير أحد شُرّاح الحديث حيث قال: بما أنَّ العلم والحكمة يثيران في الإنسان لذة كبيرة فلذلك كبُرت بطن الإمام علي من لذة العلم رُغم أنه كان كثير العبادة والرياضة. ولكن هذا الشارح لم يلتفت إلى أنه إذا تقرر أن بطن الإنسان تكبر بسبب لذة العلم ففي هذه الصورة يلزم أن تسمن جميع أعضاء بدنه بحيث يكون بدنه متناسب الأعضاء لا أن تكبر بطنه فقط. إضافة إلى أن الرواية تقول إن سبب كبر البطن هو ازدحام العلوم لا اللذة الروحانية الحاصلة من العلم. وهنا نتساءل: ما الداعي إلى التمسك بهذه الأحاديث الخُرافية والعمل على تأويلها بدل طرحها وضربها عرض الجدار؟

الثالث: كتاب الأمالي

أورد الشيخ الصدوق في كتابه هذا حديثًا يتناول ولادة السيّدة الزهراء عليها السلام جاء كما يلي:

(«المجلسُ السابع والثمانون، مجلس يوم الجمعة الثامن والعشرين من رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة.

١ ـ حدّثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويّه القمّي رضي الله عنه، قال: حدّثنا الحسين بن علي بن أحمد الصّائغ، قال: حدّثنا أبو عبد الله أحمّد بن محمّد الخليلي، عن محمّد بن عليّ بن أبي بكر الفقيه، عن أحمد بن محمد النّوفلي، عن إسحاق بن يزيد، عن حمّاد بن عيسى، عن زرعة بن محمّد، عن المفضَّل بن عمر، قال:

---

(١) انظر: رجال الحلي، ص٢٤٣.

قلتُ لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: كيف كان ولادة فاطمة عليها السلام؟

فقال: نعم، إنّ خديجة عليها السلام لمّا تزوّج بها رسولُ الله صلى الله عليه وآله هَجَرَتْها نسوةُ مكّة، فكُنَّ لا يدخُلنَ عليها، ولا يُسَلِّمنَ عليها، ولا يترُكنَ امرأةً تدخلُ عليها، فاستوحَشت خديجة عليها السلام لذلك، وكان جَزَعُها وغمُّها حذرًا عليه صلى الله عليه وآله.

فلمّا حملت بفاطمة، كانت عليها السلام تُحدِّثها من بطنها وتُصبِّرُها، وكانت تكتمُ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل رسولُ الله يومًا فسمع خديجة تُحدِّث فاطمة عليها السلام فقال لها: يا خديجة، جبرائيل يُخبرني أنّها أُنثى، وأنّها النَّسلة الطّاهرة الميمونة، وأنَّ الله تبارك وتعالى، سيجعل نَسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمّةً ويجعلهم خلفاءَه في أرضه بعد انقضاء وحيه.

فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى أن حضرت ولادتُها، فوجّهت إلى نساء قريش وبني هاشم: أن تعالَينَ لِتَلِين منّي ما تلي النِّساءُ من النساء، فأرسلن إليها: أنت عصيتِنا، ولم تقبلي قولَنا. . .» إلى آخر الحديث[1].

هذا الحديث ورد بطريقتين، الأول ينقله الشيخ الصّدوق في كتابه **«الأمالي»** والثاني محمد بن جرير الطبري الشِّيعي، في كتابه **«دلائل الإمامة»**[2].

إلَّا أنَّ هذا الحديث لم يرد في أمهات المصادر المعتبرة ـ كما يدّعي البعض ـ التي يعتمد عليها أكابر علماء الشّيعة في نقل الأخبار، فهذا الحديث لم يرد في كتاب **«أصول الكافي»** عند ذكره للروايات التي تتحدث عن ولادة السيدة الزهراء عليها السلام[3].

نعم، رواه الحُرّ العاملي في كتابه **«الإيقاظ من الهجعة»**[4]، إلَّا أنّه نقله عن كتاب **«الخرائج والجرائح»** للقطب الرواندي، والأخير قال: **«عن المفضَّل بن عمر. . . . الحديث»**[5]، فوجود الحديث في هذين المصدرين لا يعطيه قوة ما دام

(١) راجع كامل الحديث، «الأمالي» الصدوق، حديث رقم (١) ص٦٩٠.
(٢) راجع كتاب «دلائل الإمامة» ص٧٦ـ ٧٩.
(٣) أصول الكافي، الكليني، ج١، ص٤٥٨ ـ ٤٦١.
(٤) الحرّ العاملي، «الإيقاظ من الهجعة» ص١٥١، ١٥٢.
(٥) الخرائج والجرائح، القطب الراوندي، ج١، ص٥٢٤.

أنَّه يعود في النهاية إلى المفضَّل بن عمر. وروي في «**مصباح الأنوار**» بالطريقة نفسها التي رواه فيها الطبري[(١)]، وإذا كان صاحب كتاب «**مصباح الأنوار**»، وهو هاشم بن محمد (قال الحر العاملي في كتابه «**أمل الآمل**»، «**كان فاضلًا محدّثًا كثير الرواية**»)[(٢)]، من علماء القرن السادس[(٣)]، وإذا كان الطبري قد ترجم له النجاشي، وروى كتبه بواسطتين، فهذا يعني أنه من أعلام القرن الثالث، ويظهر أنَّ صاحب «**مصباح الأنوار**» نقل في كتابه الحديث نفسه الذي ذكره الطبري، فهذا يعني أنه ليس له سند خاص.

هذا الحديث سنبحث في سنده أولًا وفي متنه (مضمونه) ثانيًا، وسوف تكون القراءة لا على أساس المنهج، «**العقلي ـ الحداثوي**»، بل على أساس المنهج الذي وضعه العلماء من أمثال الشيخ النجاشي والشيخ الطوسي، من التوثيقات للرواة، وهما قطبا الرحى لهذا الفن، وهذا المنهج هو الَّذي سار عليه العلماء من بعدهم في محاكمة أي رواية منسوبة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام **حتى لا يُنْسَب إليهم** عليهم السلام ما لم يقولوه وهذا هو المنهج المتبع في الروايات الفقهيَّة.

أولًا: السند

رغم أنَّ هذا الحديث له طريقان، إلَّا أنّه في الواقع حديث واحد، لأنَّ الراوي له عن الإمام الصادق عليه السلام هو المفضَّل بن عمر، فالطريقان يتفقان من عند «**حماد إلى المفضَّل**» وما قبل فهناك اختلاف في الرواة، والحديث، وإن ذكره الشيخ الصدوق، الَّذي يُعدّ من الأعلام في الطائفة وكما قال الإمام الخميني: «**الصدوق الذي يتصاغر أمامه أعاظم العلماء**»[(٤)] إلَّا أنه لا يُمنع من محاكمته من حيث السَّند، لأن المنهجيَّة التي كان يعمل على أساسها الصدوق في اختيار الاخبار تختلف عن المنهجيَّة التي سار عليها العلماء من زمن العلّامة الحلي (رض)، فإنَّ منهجيَّة الصّدوق تقوم على اشتمال الحديث على قرائن داخليَّة وخارجية للأخذ به، وأحد هذه القرائن وجوده في كتاب للرواة عن الأئمة عليهم السلام، مع العلم أنَّ هذه القرائن لم

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣، ص٤، ٣.

(٢) الحر العاملي، «أمل الآمل» ج٢، ص٣٤١.

(٣) مجلة تراثنا ـ العددان الثاني والثالث، السنة الثانية، ١٤٠٧هـ.

(٤) «الأربعون حديثًا» الإمام الخميني، دار التعارف/ بيروت، ط٧ (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م) ص٥١.

تعد موجودة في زماننا، أو في زمان العلّامة الحلي، الأمر الذي دعاه إلى تقسيم الحديث إلى أربعة أقسام «**الصحيح والحسن والموثّق والضعيف**» فالصحيح ما رواه الراوي الشِّيعي الإمامي الَّذي ورد بحقه توثيق، وهذه التوثيقات تكفل بها الشَّيخ النجاشي والشيخ الطوسي، (إنما اكتفيت بِهذَيْنِ العلمين، كونهما العمدة في هذا العلم، وتوثيقاتهما ليست اجتهادية، بل هي أقرب ما تكون إلى الشهادة الحسية، فهما من أهل الخبرة)، والحديث الضَّعيف، بمعنى أنه لا يمكن الأخذ به وترتيب الأثر عليه، هو الحديث الَّذي رواه إما المجهولون،أو الَّذين ورد بحقهم عدم توثيق من أهل الاختصاص في هذا العلم «**أعني توثيقات العلماء**»، والمجهولون هم أيضًا الذين ليس لهم ذكر في كتب التراجم.

والحديث محلّ البحث، وإن ورد في سنده مجموعة من الثّقاتِ المعتمدين «**كحماد بن عيسى، وزرعة بن محمد، وإسحاق بن يزيد، أو يعقوب بن يزيد**» إلّا أنّه أيضًا يشتمل على مجموعة من المجاهيل، الذين لم يرد لهم ذكر أصلًا في كتب تراجم الرواة، وهم:

ـ **أبو عبد الله أحمد بن محمد الخليلي، أحمد بن محمد النوفلي، الحسن بن محمد بن إسماعيل المعروف بابن أبي الشورى، عبيد الله بن علي بن أشيم،** حيث ليس لهؤلاء ذكر في كتابي النجاشي والطوسي، وهما الكتابان المعتمدان في توثيقات الرواة، فهم على هذا مجهولو الهويَّة والوثاقة.

ونلفت في هذا المقام إلى ثلاث نقاط هي:

١ ـ إذا كان سند هذا الحديث يشتمل على هذه المجموعة من المجاهيل، كيف يمكن الاعتماد عليه والوثوق بصدوره عن الإمام الصادق عليه السلام وترتيب الآثار عليه، والقطع بأنَّ الإمام عليه السلام قد تحدّث بهذه الطريقة عن كيفيَّة ولادة السيّدة الزهراء عليها السلام؟! وعلى هذا فإنَّ السند غير معتبر، حتى بحسب ما رواه الصدوق، بحسب المنهج المتبع عند علماء الشِّيعة في محاكمة الروايات.

٢ ـ هذا الحديث لا تعضده روايات أُخرى، بمعنى أنه لا وجود لمضمون هذا الحديث في أسانيد أُخرى، فلو وجدت روايات أُخرى داعمة له لأمكن غضّ النظر عن هؤلاء المجاهيل والأخذ به، وعليه فإنَّ هذا الحديث يعتبر خبرًا واحدًا غير مقترن بغيره من الروايات.

٣ ـ كما يقولون: إذا عُرف السبب بطل العجب، عندما نعرف أن الراوي لهذه الرواية والمتفرّد بها هو المفضَّل بن عمر، ولمعرفة من هو المفضَّل بن عمر وهل هو من الثقات، ننقل لكُم ما كُتب وقال عنه أهل الاختصاص في هذا العلم.

يقول عنه الشيخ النجاشي:

«أبو عبد الله وقيل أبو محمد، الجُعْفيّ، كوفيّ، فاسد المذهب، مضطرب الرواية، لا يُعبأ به، وقيل إنه كان خَطّابيًا، وقد ذُكرت له مصنّفات لا يُعوّل عليها..»[١].

ويقول عنه «أبو عمرو الكشي»:

«جبرائيل بن أحمد قال: حدثني محمد بن عيسى عن يونس عن حماد بن عثمان قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول للمفضَّل بن عمر الجُعْفيّ: يا كافر يا مشرك ما لك ولابني، يعني إسماعيل بن جعفر وكان منقطعًا إليه يقول فيه مع الخطابية...»[٢].

وقد نقل الكشي بعض الأخبار التي تمدح هذا الرجل، لكنه عاد عنها وقال:

«لعل هذا الخبر إنما روي في حال استقامة المفضَّل قبل أن يصير خطابيًا»[٣].

ويقول عنه العلّامة الحلي:

«(المفضَّل) بن عمر بضم العين الجُعْفيّ أبو عبد الله: ضعيف كوفي، فاسد المذهب مضطرب الرواية لا يُعبأ به، متهافت، مرتفع القول، خطابي، وقد زيد عليه شيء كثير، وحمل الغُلاة في حديثه حملًا عظيمًا، ولا يجوز أن يكتب حديثه روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام...»[٤].

إذًا وبعد ما تقدم كيف يمكن الوثوق والإطمئنان بصدور هذا الحديث عن الإمام عليه السلام وقد تفرّد به المفضَّل بن عمر، وجهالة مجموعة من الرواة الذين لا نعرف عن حالهم شيئًا وهو خبر واحد غير مقترن بغيره من الروايات؟!

---

(١) رجال النجاشي، شركة الأعلمي/ بيروت، ط١(١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م) ص٣٩٨ رقم (١١١٢).

(٢) رجال الكشي، الأعلمي/ بيروت، ص٢٢٨، ٢٢٩، رقم: ١٥٤.

(٣) رجال الكشي، المصدر نفسه، ص٢٣٠.

(٤) رجال الحلّي، دار الذخائر للمطبوعات، قُمّ/ إيران، ط٢ (١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م) ص٣٥٨.

ثانيًا: المتن (المضمون)

يقول الحديث: «**إنَّ نساء مكَّة وقريش وبني هاشم، قد هجرن السيدة خديجة، بسبب زواجها من رسول الله ﷺ**»، قد نفهم هجران نساء مكة أو قريش بسبب موقفهم من نبوّة النبي ﷺ، لكن لماذا نساء بني هاشم؟ أين فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام؟ هل هجَرتها كذلك بسبب زواجها من رسول الله ﷺ؟

ويقول الحديث أيضًا إنَّ السيدة الزهراء قد نطقت بالشهادتين بعد ولادتها مباشرة، وإنَّ هذه الفترة من الحديث تشير على كرامة من كراماتها، وليس في هذا مخالفة لظاهر القرآن على أساس أنَّ النبي عيسى عليه السلام قد نطق بعد ولادته مباشرة، ما اعتبر أنّه معجزة خاصة به، من هنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء ليست جُزافًا أو عَبثًا، بل تَحْمِلُ في طياتها غاية وهدفًا، فالنَّبي عيسى عليه السلام إنما أنطقه الله تعالى لإثبات براءة أُمه مريم عليها السلام، فلم يكن من وسيلة أُخرى لنفي التّهمة عنها إلَّا بأن ينطق النبي عيسى عليه السلام بما ينفي عنها هذه التّهمة.

فما هو الهدف وماهي الغاية بأن تنطق السيِّدة الزهراء عليها السلام يوم ولادتها؟ وهل إذا كان النَّبي عيسى عليه السلام قد أنطقه الله، فإنه تعالى ينطق غيره من الأنام، مع عدم وجود الهدف في ذلك؟

وأخيرًا نقول: أنَّ للسيّدة الزهراء عليها السلام مكانتها الخاصة ومنزلتها الرفيعة، ويكفيها كرامة أنها من بيت أذهب الله عنهم الرجس بصريح القرآن، وهم يمثّلون أعلى درجات الكمال الإنساني، وعدم ثبوت هذه الرواية لا يقلّل من مكانتها أو منزلتها، والقرآن أصدق الحديث، وليس التَّطهير من الرجس بالمنزلة العادية، فلا نحتاج إلى أن نبحث في الزوايا عن مكانة للزهراء عليها السلام أو غيرها، مما قد يسمح بتسرب روايات الغُلوّ من حيث لا نعلم ولا ندري)[1].

الرابع ـ «معاني الأخبار»

جاء في «باب نوادر المعاني» هذه الرواية:

---

(١) نقلًا بالتصرف من مقال للشيخ يوسف علي سبيتي، جريدة بيِّنات، العدد ٣٩٨ رجب (١٤٢٣هـ ـ حزيران (يونيو) ٢٠١٢م) ص٨.

«حدثنا أبي رحمه اللَّه قال حدّثنا سعد بن عبد اللَّه عن أحمد بن عيسى، عن العباس بن معروف، عن علي بن مهزيار، عن محمد بن الفضيل، عن العزرمي قال: **كنت مع أبي عبد اللَّه عليه السلام في الحجر جالسًا تحت الميزاب ورجل يخاصم رجلًا وأحدهما يقول لصاحبه: واللَّه ما تدري من أين تهب الريح؟ فلمَّا أكثر عليه قال له أبو عبد اللَّه عليه السلام فهل تدري من أين تهب الريح؟ قال: لا ولكن أسمع الناس يقولون! فقلت أنا لأبي عبد اللَّه عليه السلام: من أين تهب الريح جعلت فداك؟ قال: إن الريح مسجونة تحت هذا الركن الشامي فإذا أراد اللَّه عزَّ وجلّ أن يُرسل منها شيئًا أخرجه إما جنوب فجنوب وإما شمال فشمال، وإما صبًا فصبًا، وإما دبور فدبور، ثمَّ قال: وآية ذلك أنك لا تزال ترى هذا الركن متحرّكًا في الشتاء والصيف أبدًا الليل مع النهار**»[1].

أولًا: إن سند هذه الرواية مخدوش لأن محمد بن الفضيل: «**مجهول الحال**»، وقد ذكر المامقاني في حقه: «**لم أقف على حاله**» وكذلك ذكر العلّامة الحلّي عن حال راوٍ آخر في هذا السند وهو «**محمد بن فضيل**» أنه «**يرمى بالغلوّ**»[2] فالحديث الذي يكون في سنده رجل مجهول الحال وآخر مغالٍ كيف نعتمد عليه ونقبله؟

ثانيًا: إن الريح لا تأتي من جهة الركن الشامي ولا تصدر منه بحيث أنَّ اللَّه تعالى كُلّما أراد أن يبعثها يخرج من هذا الركن مقدارًا منها كما تقول الرواية، فالرياح تهب بسبب اختلاف درجة حرارة الجو، فالهواء الحار يصعد إلى الأعلى ويحل محلّه الهواء البارد، وهذا التحول والتبدل هو الذي يصنع الريح. وهذا المعنى يدركه الآن أطفال المدارس الابتدائية فهذه الرواية ليست سوى خُرافة. وهنا إمَّا أن نقول إنَّ الإمام الصادق لم يكن عالمًا بأمور الطبيعة بل هو العالم بالأمور الدينية فقط، وإما أن نقول إنَّ رواة هذا الحديث قد كذبوا على الإمام الصادق، ونحن نُرجّح القول الثاني لأن حركة الرياح من الركن الشامي الوارد في هذا الخبر قد نسب إلى اللَّه تعالى، ونحن نجلّ مقام الإمام الصادق عليه السلام عن نسبة مثل هذا الكذب إلى اللَّه تعالى.

---

(١) معاني الأخبار، الصدوق، ص ٣٨٤ و٣٨٥.

(٢) انظر: رجال الحلي، ص٢٥١.

الخامس ـ «كمال الدين وتمام النعمة»:

أورد الشيخ الصدوق في هذا الكتاب حديثًا طويلًا وغريبًا عن «**سعد بن عبد الله القمي**» الذي يتضمن كلامًا للإمام الحسن العسكري عن الخليفتين الأول والثاني (أبي بكر وعمر) قال: «. . . **أسلما طمعًا وذلك بأنهما يجالسان اليهود ويستخبرانهم عمّا كانوا يجدون في التوراة وفي سائر الكتب المُتقدّمة الناطقة بالملاحم من حال إلى حال من قصة محمد ﷺ ومن عواقب أمره، فلمّا كانت اليهود تذكر أن مُحمّدًا يسلّط على العرب كما كان بختنصر سلّط بني إسرائيل ولا بد له من الظفر بالعرب كما ظفر بختنصر ببني إسرائيل، غير أنه كاذب في دعواه أنه نبي فأتيا مُحمّدًا ﷺ فساعداه. . .**»[1].

الملاحظ على هذه الرواية:

أولًا: إن سند هذه الرواية غير قابل للاعتماد والوثوق، لأن من بين رواته «**محمد بن بحر الشيباني**» الذي يقول عنه ابن الغضائري «**إنه ضعيف في مذهبه ارتفاع**» أي غلوّ بالنسبة إلى أهل البيت. وقد توقف العلّامة الحلّي أيضًا في روايته[2]. ومن رجال السند أيضًا «**أحمد بن مسرور**» الذي ليس له أثر في كتب الرجال. ومنهم «**أحمد بن عيسى البغدادي**» الذي هو أيضًا مجهول ومن هنا فإنَّ سند الحديث لا اعتبار له.

ثانيًا: إن مضمون الخبر مخالف للقرآن الكريم، لأنه يدّعي أنَّ اليهود أخبروا عن ظهور نبي الإسلام وانتصاره ولكنهم قالوا إنَّ ادعاءه النبوة كذب، مع أننا نقرأ في القرآن الكريم أن اليهود وجدوا علامات نبوة محمد في كتابهم التوراة ﴿ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾[3] ومن هنا كان اليهود يخبرون عن انتصار نبيّ الإسلام على الكُفّار والمشركين قبل نزول القرآن ولكنهم كفروا بعد نزوله وأنكروا نبوته كما يقول تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾[4] ومن هنا فهذه الرواية واضحة الوضع والاختلاق وقد جُعلت لإثارة الفرقة بين المسلمين.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، ص ٤٦٣.

(٢) انظر: رجال النجاشي ص٣٦٧، ورجال الحلي، ص٢٥٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

السادس ـ «ثواب الأعمال وعقاب الأعمال»:

حدثني محمد بن الحسن رضي الله عنه قال: حدثني محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي قال: في رواية إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**سمعته يقول: من مضت له جمعة لم يقرأ فيها ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾**[1] **ثمّ مات، مات على دين أبي لهب**»[2].

وهذا الحديث باطل بإجماع الأُمّة من الشِّيعة والسُّنّة لأن قراءة سورة التوحيد غير واجبة على المسلمين في كل أسبوع مرة واحدة فكيف الحال إذا كان تاركها قرين أبي لهب ويموت على دين أبي لهب؟!.

السابع ـ «علل الشرائع»:

جاء عن علي بن أحمد عن محمد بن أبي عبد الله عن محمد بن أحمد العلوي، عن علي بن الحُسين العلوي، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: «**إن المسوخ ثلاثة عشر: الفيل، والدبّ، والأرنب، والعقرب، والضبّ، والعنكبوت، والدّعموص، والجرّي، والوطواط، والقرد، والخنزير، والزهرة، وسهيل، فسأل: يا بن رسول الله ﷺ ما كان سبب مسخ هؤلاء؟ فقال: أما الفيل فكان رجلًا جبارًا لوطيًا لا يدع رطبًا ولا يابسًا. وأما الدب فكان رجلًا مؤتيًا يدعو الرجال إلى نفسه، وأما الأرنب فكانت إمرأة قذرة لا تغتسل من حيض ولا جنابة ولا غير ذلك، وأما العقرب فكان رجلًا همازًا لا يسلم منه أحد، وأما الضبّ فكان رجلًا أعرابيًا يسرق الحاج بمحجّته، وأما العنكبوت فكانت إمرأة سحرت زوجها، وأما الدّعموص فكان رجلًا نمّامًا يقطع بين الأحبة. وأمّا الجرّي فكان رجلًا ديّوثًا يجلب الرجال على حلائله، وأما الوطواط فكان رجلًا سارقًا يسرق الرطب على رؤوس النّخل. وأما القردة فاليهود اعتدوا في السبت. وأما الخنازير فالنصارى حين سألوا المائدة فكانوا بعد نزولها أشدّ ما كانوا تكذيبًا. وأما سهيل فكان رجلًا عشارًا باليمن. وأما الزهرة فإنها كانت إمرأة تُسمى ناهيد وهي التي يقول الناس: افتتن بها هاروت وماروت**»[3].

---

(١) سورة الإخلاص، الآية: ١.

(٢) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص ٥١٠.

(٣) علل الشرائع، باب ٢٣٩ «علل المسوخ وأصنافها» دار البلاغة/ بيروت، ص ٤٨٦، ح ٢ وورد أيضاً في وسائل الشِّيعة، ج ١٦، كتاب الأطعمة والأشربة، ص ٣٨٤، ح١٤.

ولا ندري ما ننقد من هذا الحديث الخُرافي والمُخزي ولكننا نترك الحكم إلى القارىء الكريم ليحكم بنفسه على هذه الروايات السخيفة ونسبها إلى الأئمّة عليهم السلام!!

فماذا نقول للعالَم والشباب المثقف إذا رأى أو سمع أن إمامه يقول بأن هذه الحيوانات كانت رجالًا ونساء يرتكبون الذنب، أو يسمع بأنَّ كوكب سهيل كان رجُلًا يمشي على الأرض، أو أنَّ كوكب الزهرة كان إمرأة جميلة افتتن بها هاروت وماروت؟! أو أن الخنازير هم نصارى في الأصل كذّبوا بالمائدة التي أنزلها اللّه على عيسى عليه السلام والجميع يعلم أنَّ النصارى وخاصة الحواريين لم يكذّبوا هذه المعجزة حتى الآن فكيف يستحقون هذا العذاب ولماذا نراهم حتى الآن بشرًا متمدنين لم ينقلبوا إلى خنازير؟

أقول: إذا سمع الشباب المثقف المسلم والشِّيعي خاصة مثل هذه الخُرافات منسوبة إلى إمامه هل سيبقى على عقيدته بالإمام؟ وإذا جزم باختلاق هذه الأحاديث كما هو الصحيح، ألا يتساءل عن سبب وجودها في كتبنا دون غربلة أو تمحيص!؟

الثامن ـ «صفات الشِّيعة»:

جاء في الحديث الرابع عشر من كتاب «صفات الشِّيعة»:

«قال أبو حمزة: سمعت أبا عبد اللّه جعفر بن محمد عليه السلام يقول: رفع القلم عن الشِّيعة بعصمة اللّه وولايته»[1].

الملاحظ على هذا الحديث ما يلي:

أولًا: إنَّ سند هذا الحديث منقطع، لأن الصدوق رواه عن شيخه محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، الذي رواه عن المفضَّل نقلًا عن أبي حمزة، وبين أستاذ الشيخ الصدوق وبين أبي حمزة الذي يعد من أصحاب الإمام الصادق رواة آخرون لم يُذْكروا في السند.

ثانيًا: إنَّ متن الحديث فيه إشكال، لأنه لو قلنا بأنَّ الشِّيعة لا يرتكبون الذنب بعصمة من اللّه تعالى فهذا الإدّعاء مخالف كما هو مشهود ومحسوس في واقع الشِّيعة، ولو قلنا إنهم يرتكبون المعاصي والذنوب ولكن القلم رفع عنهم، فهذا القول

---

(١) صفات الشِّيعة، وسائل الشِّيعة ص ١٣.

لا ينسجم مع آيات القرآن الكريم حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ۝١٢﴾[1] إضافة إلى أنَّ مثل هذه الأحاديث من شأنها خلق الجرأة على الذنوب بين الشِّيعة وهي مغايرة لحكمة الشارع.

التاسع ـ «عيون أخبار الرضا»:

وبهذا الإسناد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يا علي إنَّ اللَّه تعالى قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ومحبي شيعتك ومحبي محبي شيعتك...**»[2]

وكما نلاحظ في هذا الحديث مبالغة عجيبة حيث يُعلن أنَّ محبي الشِّيعة ومحبي محبيهم قاطبةً (حتى لو كان كافرًا وظالمًا وفاسقًا) فإنَّ اللَّه تعالى يغفر له. ولا شك أن مثل هذا الكلام لا يصدر عن النبي الأكرم، وهو بديهي البطلان ولا حاجة للبحث في سنده.

العاشر ـ وأيضًا في «**عيون أخبار الرضا**»:

عن جابر بن عبد اللَّه الأنصاري في قصة اللوح الذي رآه جابر بن عبد اللَّه عند فاطمة الزهراء عليها السلام: «حدثنا محمد بن ابراهيم بن اسحاق الطالقاني قال: حدثنا الحسين بن اسماعيل، قال حدثنا أبو عمرو سعيد بن محمد بن نصر القطان، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد السلمي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحيم قال: حدثنا محمد بن سعيد بن محمد، قال: حدثنا العباس بن أبي عمرو، عن صدقة بن أبي موسى عن أبي نضرة قال: لما احتضر أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عند الوفاة، دعا بابنه الصادق عليه السلام ليعهد إليه عهدًا، فقال له أخوه زيد بن علي عليه السلام: لو امتثلت في تمثال الحسن والحُسَيْن عليهما السلام لرجوت أن لا تكون أتيت منكرًا، فقال له: يا أبا الحسن إنَّ الأمانات ليس بالتمثال ولا العهود بالرسوم، وإنما هي أمور سابقة عن حجج اللَّه عزَّ وجلّ، ثمَّ دعا بجابر بن عبد اللَّه فقال له: يا جابر حدثنا بما عاينت من الصحيفة، فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر، دخلت على مولاتي فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ، لأهنئها بِمَوْلودِها الحُسين عليه السلام، فإذا بيديها صحيفة بيضاء من درة، فقلت لها: يا سيدة النساء ما هذه الصحيفة التي أراها معك؟ قالت: فيها أسماء الأئمّة من

(١) سورة يٰس، الآية: ١٢.

(٢) عيون أخبار الرضا، الطبعة الحجرية، ص ٢١١.

ولدي، قلت لها: ناوليني لأنظر فيها، قالت: يا جابر لولا النهي لكنت أفعل، لكنه قد نهى أن يمسَّها إلَّا نبي أو وصي نبي أو أهل بيت نبي، ولكنه مأذون لك أن تنظر إلى باطنها من ظاهرها، قال جابر: فإذا أبو القاسم محمد بن عبد اللَّه المصطفى أُمّهُ آمنة، أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى أُمّهُ فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الحسن بن علي البر، أبو عبد اللَّه الحُسين بن التقي أمهما فاطمة بنت محمد، أبو محمد علي بن الحُسين العدل، أُمّهُ شهربانو بنت يزدجرد، أبو جعفر محمد بن علي الباقر أُمّهُ أم عبد اللَّه بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو عبد اللَّه جعفر بن محمد الصادق وأمّهُ أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، أبو إبراهيم موسى بن جعفر أُمّهُ جارية اسمها حميدة المصفاة، أبو الحسن علي بن موسى الرضا أُمّهُ جارية اسمها نجمة، أبو جعفر محمد بن علي الزكي أُمّهُ جارية اسمها خيزران، أبو الحسن علي بن محمد بن الأمين أُمّهُ جارية اسمها سوسن، أبو محمد الحسن بن علي الرفيق أُمّهُ جارية اسمها سمانة وتكنى أم الحسن، أبو القاسم محمد بن الحسن هو حُجّة اللَّه القائم أُمّهُ جارية اسمها نرجس صلوات اللَّه عليهم أجمعين»[1].

إنَّ ملامح الوضع والاختلاف في الحديث واضحة ولا بأس قبل الوقوف على تفاصيل مدلول الحديث من الإشارة إلى رجال السند..

سند الحديث: لم يرد ذكر أحد من رجال هذا الحديث في كتب الرجال من «**سعيد بن محمد بن نصر القطان**» إلى «**أبي نضرة**» ولا نعلم أين وجد الشيخ الصدوق هؤلاء الرواة المجهولين وأين وجد هذه الرواية؟! ولكن الصدوق ذكر في هامش كتابه «**كمال الدين**» اسم **(أبي نضرة)** بعد أن أورد هذا الحديث نفسه في هذا الكتاب، وإذا كان كذلك فأبو نضرة هو «**محمد بن قيس الأسدي**» الذي يقول عنه الشهيد الثاني في كتابه «**الدراية**» بأنه «**ضعيف**» وقال عنه: «**كلّما كان فيه محمد بن قيس عن أبي جعفر فهو مردود**» ولكنه ليس بمحمد بن قيس قطعًا، وعلى أية حال فإنَّ هذا الحديث لشدة وضوح الوضع فيه لا حاجة للبحث في رجال السند.

مدلول الحديث: ونلاحظ على مضمون ما ورد في الحديث:

١ ـ يقول «أبو نضرة» الشخص المجهول أنه «لمّا احتضر أبو جعفر محمد بن

---

(١) عيون أخبار الرضا، حديث رقم واحد (النصوص على الرضا بالإمامة..) ج ٢، باب ٦، ص ٤٧.

علي الباقر. . .» ومعلوم أن احتضار ووفاة الإمام الباقر عليه السلام كما ورد في كتب المؤرخين جميعًا وقعا بين عام ١١٤ ـ ١١٨ للهجرة، والفاصلة بين وفاة الإمام الباقر عليه السلام وبين جابر بن عبد اللَّه الأنصاري تبلغ أربعين سنة تقريبًا، أي أن جابر كان قد توفي قبل ذلك بأربعين سنة تقريبًا، أي في حياة أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام ولكن هذا الراوي الكذاب لم يلتفت إلى هذه الحقيقة وكان همّه إثبات هذه الرواية المختلقة على لسان جابر بن عبد اللَّه الأنصاري لضرب جماعة الزيدية على أساس أنَّ زيدًا بن علي كان حاضرًا عندما أوصى الإمام الباقر عليه السلام بالإمامة إلى ابنه جعفر الصادق عليه السلام، وقد ورد مثل هذا الحديث المختلق في قصة جابر بن عبد اللَّه الأنصاري واجتماعه بالإمام الباقر عليه السلام في الجزء الأول من أصول الكافي، إلَّا أنَّ المجلسي ذكر في «**مرآة العقول**» في شرحه لأصول الكافي أنَّ:

«**هذا الحديث ينافي ما مرَّ من تاريخيْ وفاتهما، إذ وفاة علي بن الحُسين عليه السلام كانت في عام خمس أو أربع وتسعين، ووفاة جابر على كل الأقوال كانت قبل الثمانين**»[(١)].

أما وفاة زيد بن علي فقد ذكر الشيخ الطوسي في رجاله (ص ١٩٥) أنه «**قتل سنة إحدى وعشرين ومائة وله اثنتان وأربعون سنة**» وعلى هذا الأساس فإنَّ ولادته ستكون في سنة ٧٩ أو ٨٠ هـ، لأنه قتل عام ١٢١ في سن ٤٢. وجاء في تهذيب تاريخ ابن عساكر (ج ٦، ص ١١٨) أن زيدًا بن علي بن الحُسين ولد سنة ٧٨، أي بعد وفاة جابر بأربع سنوات أو سنة واحدة على الأقل، وقد ذكر «**سيد علي خان الشوشتري**» في شرحه للصحيفة السجّادية أن ولادته كانت في عام ٧٥، أي بعد وفاة جابر بسنة واحدة، فأين كان جابر عند احتضار الإمام الباقر عليه السلام عام ١١٤، أو ١١٧ لإقناع زيد بن علي بالتخلي عن الإمامة وقد توفي جابر نفسه عام ٧٤ هـ؟![(*)].

ولكن العجيب مع وضوح بطلان هذا الحديث بما تقدّم آنفًا أنَّ عُلماء الشِّيعة

---

(١) أصول الكافي باب مولد أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، ح ٢، مع الهامش، ج ١، ص ٤٦٩.

(*) لمزيد من التحقيق في هذا الموضوع انظر: المقالات والفِرق لسعد بن عبد اللَّه الأشعري ص٧٢، فِرق الشِّيعة للحسن بن موسى النوبختي (ص ٨٢)، وفي هذين الكتابين ورد أنَّ وفاة الإمام الباقر كانت عام ١١٧ هـ. وفيات الأعيان لابن خلكان (ص ٢٣)، بحار الأنوار طبعة تبريز (ج ١٢ ص ٤٤)، تاريخ اليعقوبي طبعة بيروت ١٣٧٥ هـ. ق (ص ٥٢)، منتهى الآمال (الفارسي ص ١٢٢).=

يستندون في إثبات الإمامة والنص على الأئمّة واحدًا بعد الآخر إلى هذا الحديث الزائف غير مبالين بما يتضمنه منه زيف وخداع!!

٢ ـ إذا كان هذا الحديث صحيحًا، فلماذا ذكر الكليني في كتابه الكافي ج ١، في باب «**الإشارة والنص على أبي الحسن الرضا**»[١] حديثًا يتناقض مع الرواية محل البحث؟ والحديث في الكافي يُقرر أن الإمام موسى الكاظم لم يكن يعلم أي واحد من أبنائه سيكون إمامًا بعد وقد كان يودّ أن تكون الإمامة لابنه القاسم لحبه له ولكنه رأى رسول اللَّه ﷺ في المنام وقال له بأن الأمر قد خرج منك إلى غيرك، فقال له الإمام: «فقلت يا رسول اللَّه: أرنيه أيهم هو؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: ما رأيت الأئمّة أحدًا أجزع على فراق هذا الأمر منك ولو كانت الإمامة بالمحبّة لكان إسماعيل أحب إلى أبيك منك ولكن ذلك من اللَّه عزَّ وجلّ ثمَّ قال أبو إبراهيم عليه السلام: ورأيت ولدي جميعًا الأحياء منهم والأموات، فقال لي أمير المؤمنين عليه السلام: هذا سيدهم، وأشار إلى إبني علي، فهو مني وأنا منه واللَّه مع المحسنين».

وفي هذا الحديث أيضًا إشارة إلى قضية إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام الذي قال عنه الإمام الصادق عليه السلام في الحديث المشهور أنه «ما بدا للَّه ما بدا له في إبني إسماعيل» حيث كانت الشِّيعة والإمام الصادق نفسه يعتقدون بأنَّ الإمام بعده هو إسماعيل إلَّا أنه توفي قبل والده والقصة معروفة. إضافة إلى أنَّ الشِّيعة وحتى كبار أصحاب الأئمّة كانوا يختلفون في الإمام الذي يلي الإمام المتوفى حتى كثرت فِرق الشِّيعة من فطحية وواقفة وزيدية وغيرهم[*]. بل إن زرارة الذي يعتبر أقرب المقربين للإمام الصادق عليه السلام وأخلص أصحابه عندما دنت منه الوفاة وكان قد سمع بوفاة الإمام الصادق عليه السلام ولم يكن يعلم بالإمام الذي يليه، بعث شخصًا إلى المدينة يستجلي له خبر الإمام للشّيعة بعد الصادق عليه السلام، فلمّا أبطأ الرسول وأحسَّ بدنو أجله وضع القرآن على صدره وقال: هذا إمامي[٢] وأسلم الروح. فلو كان الإمام

= الإصابة ج ١، ص٢١٥. أما وفاة جابر بن عبد اللَّه الأنصاري في عام ٧٣ هـ إلى ٧٧ هـ فانظر: التهذيب للشيخ الطوسي (طبعة النجف ج ٩ ص ٧٧)، الإصابة (ج ١، ص ٢١٥:)، الاستيعاب (ج ١، ص ٢١٣)، أسد الغابة (ج١، ص ٢٥٨)، تتمة المنتهى للشيخ عباس القمي (ص ٦٩).

(١) أصول الكافي، ج ١، باب الإشارة والنص على أبي الحسن الرضا، ص ٣١٣، ٣١٤، ح١٤.

(*) راجع فِرق الشِّيعة للنوبختي، الزيدية ص ٥٨، ٥٩، الفطحية ص ٧٧، ٧٨ الواقفة ص ٨٠، ٨١.

(٢) الصدوق، إكمال الدين، ص٧٥، ٧٦.

الباقر عليه السلام دعا بابنه الصادق عليه السلام عند احتضاره وكان عنده أخوه زيد بن علي وآخرون من أبنائه وأصحابه (ومنهم الراوي المجهول لهذا الحديث أبو نضرة) وأراهم اللوح المذكور لشاع خبره عند أكابر أصحاب الإمام على الأقل ولم يكن ليحدث كل هذا الاختلاف!!

٣ ـ في هذا الحديث أمور عجيبة أخرى ترسم علامات استفهام كبيرة حول صحة ومعقولية هذا الحديث، منها أن جابر يقول فيه إنَّهُ ذهب إلى بيت فاطمة عليها السلام لتهنئتها بولادة ابنها الحُسين عليه السلام ولم يعهد في ذلك الزمان أن يتوّجه الناس من غير الأرحام إلى بيت الأم لتهنئتها بدل تهنئة الأب بالوليد الجديد، هذا مع أن جابر في ذلك الوقت كان شابًا مراهقًا له من العمر ١٦ أو ١٧ سنة ولم يكن متزوجًا بعد لأنه قد تزوج بعد مقتل أبيه «**عبد اللّه بن حزام**» في معركة أحد في السنة الثالثة للهجرة، أي في السَنة التي ولد فيها الإمام الحسن عليه السلام. ولا يصح أن يدخل على الزهراء عليها السلام في هذا الحال وتكون الزهراء عليها السلام وحدها في البيت كما يظهر من سياق الحديث أنّها سمحت له بقراءة اللوح وحده وكان قريبًا منها جدًا بمقتضى قراءته للصحيفة وهي بيد فاطمة عليها السلام فكيف تسمح فاطمة لشاب أن يقترب منها إلى هذه الدرجة وهي وحدها في البيت وتُظهر له من أسرارها ما خفي عن سائر المسلمين والمخلصين أمثال سلمان وأبي ذر وعمّار وغيرهم.

٤ ـ ورد في هذا الحديث أيضًا أسماء أمهات الأئمّة عليهم السلام ولكنّها في الغالب لم ترد مطابقة للواقع، فوالدة الإمام زين العابدين على المشهور «**جهان شاه**» وهنا ورد إسم «**شهربانو**»، ووالدة الإمام الرضا عليه السلام تدعى «**تكتم**» وهنا «**نجمة**» وهكذا الحال في البواقي، إضافة إلى أنَّ الزهراء عليها السلام قالت في هذا الحديث لجابر أن هذه الصحيفة قد ورد النهي عن أن يمسها بشر إلّا نبي أو وصي نبي أو أهل بيت نبي، ولكن مع ذلك لا مانع من قراءة ما فيها. فهل هذه الصحيفة التي ليس فيها سوى أسماء أهل البيت عليهم السلام أكرم وأعظم حرمة من القرآن وهو كلام اللّه حيث يجوز مسّه لجميع الناس إذا كانوا على طهارة؟

ـ ورد في الحديث الثاني من هذا الباب نفسه في كتاب «عيون أخبار الرضا» باب النصوص على الإمام الرضا بالإمامة في جملة الأئمة عليهم السلام

أيضًا أسماء جميع الأئمّة الإثنَيْ عشر عن الإمام الباقر عليه السلام بواسطة جابر بن عبد اللَّه الأنصاري ولكن في هذه المرة وردت الأسماء في لوح كان بيد فاطمة الزهراء وقد استنسخه جابر بن عبد اللَّه، وأورد الصدوق هذا الحديث أيضًا في «**إكمال الدين**»(1) وجاء فيه: «عن أبي الخير صالح بن أبي حماد والحسن بن ظريف جميعًا، عن بكر بن صالح، عن عبد الرحمن بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام، قال: قال أبي عليه السلام لجابر بن عبد اللَّه الأنصاري: أنَّ لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك، فأسألك عنها؟ قال له جابر: في أي الأوقات شئت، فخلا به أبي عليه السلام فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة بنت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وما أخبرَتكَ به أمي أنَّ في ذلك اللوح مكتوبًا، قال جابر: أشهد باللَّه، إني دخلت على أمك فاطمة في حياة رسول اللَّه صلى الله عليه وآله لأهنئها بولادة الحُسين عليه السلام، فرأيت في يدها لوحًا أخضر ظننت أنه زمرد ورأيت فيه كتابًا أبيض شبه نور الشمس فقلت لها: بأبي أنت وأمي يا بنت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا اللوح إهداء اللَّه عزَّ وجلّ إلى رسوله صلى الله عليه وآله فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني وأسماء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه أبي عليه السلام ليسرني بذلك، قال جابر: فأعطتنيه أمك فاطمة، فقرأته وانتسخته، فقال أبي عليه السلام: فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ، قال نعم، فمشى معه أبي عليه السلام حتى انتهى إلى منزل جابر، فأخرج أبي عليه السلام صحيفة من رق(*) قال جابر فأشهد باللَّه أني هكذا رأيته في اللوح مكتوبًا:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم هذا كتاب من اللَّه العزيز الحكيم لمحمد نوره وسفيره وحجابه ودليله نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين، عظِّم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، إني أنا اللَّه لا إله إلَّا أنا، قاصم الجبارين ومذل الظالمين، وديان الدين، إني أنا اللَّه لا إله إلَّا أنا، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عذابي عذبته عذابًا لا أعذب أحدًا من العالمين، فأياي فاعبد وعليّ فتوكل، إني لم أبعث نبيًا فأكملت أيامه وانقضت مدته، إلَّا جعلت له وصيًا، وإني فضَّلتُكَ على الأنبياء وفضلت وصيّك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك بعده، وبسبطيك الحسن والحُسَيْن، فجعلت حسنًا معدن علمي بعد انقضاء مُدّة أبيه، وجعلت حسينًا

(1) إكمال الدين، باب ٢٨، ص ٣٠٨.

(*) الرق بالفتح: ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى: ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝٣﴾ [الطُور: ٣].

خازن وحيي وأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة عندي، وجعلت كلمتي التامة معه والحجّة البالغة عنده بعترته أُثيبُ وأُعاقب. أولهم: علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين وابنه شبيه جده المحمود محمد الباقر لعلمي والمعدن لحكمي، سيهلك المرتابون في جعفر الراد عليه كالراد عليّ حق القول مني، لأكرمن مثوى جعفر ولأسَرَّنَه في أشياعه وأنصاره وأوليائه انتجبت بعده موسى وانتحبت بعده فتنة عمياء حندس، لأن خيط فرضي لا ينقطع وحجّتي لا تُخفى، وأن أوليائي لا يشقون، إلّا ومن جحد واحدًا منهم فقد جحد نعمتي، ومن غيَّر آية من كتابي فقد افترى عليّ، وويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مُدّة عبدي موسى وحبيبي وخيرتي، إنَّ المكذّب بالثامن مكذّب بكل أوليائي، وعلي وليي وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوة وأمنحه بالاضطلاع، يقتله عفريت مستكبر يُدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلقي حق القول مني لأقُرَنَّ عينيه بمحمد ابنه وخليفته من بعده، فهو وارث علمي ومعدن حكمي وموضع سري وحجتي على خلقي جعلت الجنة مثواه وشفّعته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار، وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن، ثمَّ أكمل ذلك بابنه رحمة للعالمين عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب سيذل في زمانه أوليائي وتتهادون رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم ويفشو الويل والدنين في نسائهم، أولئك أوليائي حقًا بهم أدفع كل فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل وأرفع الآصار[1] والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون، قال عبد الرحمن بن سالم: قال أبو بصير: لو لم تسمع في دهرك إلّا هذا الحديث لكفاك، فصنه إلّا عن أهله»[2].

هذا الحديث في وضوح زيفه وبطلانه كالحديث الأول، فمن حيث السند نرى في رجاله «**بكر بن صالح**» الذي يقول عنه ابن الغضائري بأنه «**ضعيف جدًا وكثير التفرّد بالغرائب**» وضّعفه كذلك العلّامة الحلّي في «**الخلاصة**»[3]، وهكذا حال

(١) الأصار: الأثقال.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج٢، باب ٦ (النصوص على الرضا بالإمامة...) ص٤٨ ـ ٥٠، ح ٢.

(٣) انظر: رجال النجاشي، ص١٠٧، ورجال الحلي، ص٢٠٧، ٢٠٨، فقد ذكر الشيء نفسه.

«**عبد الرحمن بن سالم**» الذي يقول عنه صاحب تنقيح المقال أنه «**على كل ضعيف أو مجهول**» ويقول عنه العلّامة في الخلاصة «**عبد الرحمن بن سالم بن عبد الرحمن الأشل كوفي مولى روى عن أبي بصير، ضعيف**». أما «**صالح بن أبي حماد**» فينقل **صاحب تنقيح المقال**[1] عن قول النجاشي بأن «**أمره ملتبس يعرف وينكر**» ويقول عنه العلّامة في الخلاصة: «**المعتقد عندي التوقف فيه لتردد النجاشي وتضعيف الغضائري**»[2].

أما مضمون الحديث فنقرأ فيه أن الإمام الصادق عليه السلام يحدّث بهذا الحديث وكأنه حاضر في ذلك الحدث، فإنه يقول:

قال أبي لجابر، ولم يقل أني سمعت أبي يقول كذا، ويقول أيضًا: فمشى معه أبي إلى منزل جابر. ثمَّ إنَّ الإمام الصادق عليه السلام يقسم «**فواللّه ما خالف حرف حرفًا**» فهذه شواهد جلية على أنه كان حاضرًا في الواقعة لا أنه ينقل حديثًا عن آخر. ومن هنا تتبين أولى علامات وضع واختلاق هذا الحديث، فالإمام الصادق عليه السلام ولد عام (٨٣) باتفاق المؤرخين، وكان جابر قد توفي عام (٧٤ أو ٧٧) ولم يدرك الإمام الصادق إطلاقًا، وهناك حديث نبوي مشهور يؤيد هذا الكلام وهو أن رسول اللّه قال لجابر إنك ستدرك الباقر من ولدي، ولم يرد فيه اسم الإمام الصادق عليه السلام.

ـ ومن العلامات الأخرى التي تدل على وضع الحديث أنَّ الإمام الباقر عليه السلام يقول لجابر: «**أنظر في كتابك لأقرأه عليك فنظر جابر في نسخته...**» ومعلوم أن جابر ـ كما تشير كتب التاريخ ـ كان أعمى. وقد جاء في رواية الأربعين في زيارة جابر لقبر الحُسين عليه السلام سنة ٦١ هـ أنه كان أعمى وقد أمر غلامه أن يضع يده على تراب القبر... فكيف ينظر في نسخته وهو أعمى؟!

ـ **ومنها**: أن هذا الحديث يتناقض مع ما سبقه في أنه يقرر أنَّ جابر أخذ من فاطمة اللوح واستنسخه بينما يقول الحديث السابق إنَّهُ قد نهي عن مسه إلّا نبي أو وصي نبي!

ـ **ومنها**: أن اللوح يتحدّث عن ألقاب لرسول اللّه صلى الله عليه وآله من قبيل سفيره

---

(١) تنقيح المقال، ج٢، ص٩١.

(٢) راجع: رجال الحلي، دار الذخائر، قم/إيران (١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م) ط٢ ص٢٢٩، ٢٣٠.

وحجابه، لم ترد في شيء من صفات رسول اللّه ﷺ المذكور في القرآن الكريم والأحاديث المعتبرة سوى ما ورد في كلمات المتصوّفة. وأساسًا لا يُعقل كون رسول اللّه ﷺ حجابًا للذات المُقدّسة وهو النور والدليل إلى اللّه والهادي إلى سبيله وليس في كونه ﷺ حجابًا للّه فضيلة للنبي ليطلق عليه هذا اللقب، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة في صفة اللّه تعالى: «**وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ**»(١).

ـ **ومنها**: أن تعيين الأئمّة من قبل اللّه تعالى لو كان لغرض هداية الخلق فلماذا أورد هذا التعيين في لوح أو صحيفة سرية خاصة ولم يؤذن لفاطمة أو رسول اللّه ﷺ أو أمير المؤمنين عليه السلام الإعلان عنها، ولماذا لم ترد في القرآن الكريم ليتعرّف جميع المسلمين إلى حقيقة الحال، ولماذا اختص بهذه الفضيلة جابر بن عبد اللّه وهو شاب مراهق لا يؤمن أن يذيع هذا السر وحرمَ منه سلمان وأبا ذر وَعَمَّارًا وحذيفة وغيرهم من أصحاب النبي وأمير المؤمنين المخلصين؟!

ـ **ومنها**: نقرأ في الحديث عبارات غير بلاغية بل ركيكة أيضًا ممّا يدل على جهل الراوي وعدم اطلاعه على اللغة العربية والعقائد الصحيحة، مثلًا قوله: «**فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذّبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين**» وهذا المعنى بعيد جدًا عن كرم اللّه ورحمته وعلمه بضعف عباده لا سيّما وأنَّ المتصف بهذا الوصف هم أكثر الخلق ولا تتحقق فضيلة الرجاء الخالص للّه تعالى إلّا للقليل من الناس، والتهديد الوارد في هذا الحديث بالعذاب الشديد ينسجم مع كونه لفئة قليلة جدًا من الناس كما في التهديد الوارد في شأن الحواريين أنهم لو كذّبوا بمعجزة المائدة فإنَّ اللّه سوف يعذبهم عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾(٢)، والحال أنه ما أكثر الأشخاص حتى من المؤمنين الذين يرجون غير فضل اللّه ويخافون غير عدله، وفي الواقع إنهم يخافون من غير عدل الآخرين أكثر ممّا يخافون من غير عدل اللّه (أي من ظلم اللّه) بل الخوف من ظلم الناس لا من عدل اللّه.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ط٢، ج١٦، ص٨٦، خطبة (٣١).

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٥.

وأساسًا فإنَّ جملة «**خاف غير عدلي**» مبهمة وركيكة والمفروض أن يقول «**خاف عدل غيري**» أو «**خاف عدلي**» لأنه لا معنى لأن يقول «**خاف ظلمي**»، لأن اللّٰه غير ظالم قطعًا، حيث يخاف الإنسان من عدله ويرجو رحمته، وبعبارة أخرى إن غير العدل إما أن يكون ظلمًا أو فضلًا، وبما أن الظلم منتف بالنسبة إلى الذات المُقدّسة، فغير العدل يساوق الفضل، والفضل الإلهي لا ينسجم مع الخوف منه بل يجب أن يطمع فيه الإنسان لا أن يخافه.

ـ **ومنها**: ورد في القرآن الكريم أن الأنبياء عليهم السلام أيضًا يخافون غير عدل اللّٰه، فالنبي زكريا يقول: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَاءِي... ﴿٥﴾﴾[1] والنبي موسى يقول: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾[2]، بل إن اللّٰه نفسه يقول مخاطبًا أم موسى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[3].

يقول: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾[4]، ويقول تعالى مخاطبًا نبيه الكريم: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾[5].

ـ **ومنها**: تقول الرواية هذه: «**إني لم أبعث نبيًا إلّا جعلت له وصيًا**» في حين أنه يوجد الكثير من الأنبياء لم يكن لهم أوصياء ولم يحدّثنا القرآن الكريم أو الروايات المعتبرة أنه كان لهم أوصياء كالنبي صالح وشعيب ولوط وهود ويحيى وزكريا وغيرهم بل ليس من المعقول وجود الوصي مع وجود النبي، فالكثير من أنبياء بني إسرائيل كانوا يتوارثون النبوة كداوود وسليمان، أو زكريا ويحيى فلا معنى لأن يجعل زكريا وصيًا وإمامًا من بعده مع وجود النبي يحيى وظاهر الحديث أن الوصاية بالإمامة غير مقام النبوة الذي لا يكون بجعل النبي السابق بل بإرسال من اللّٰه تعالى للنبي.

ـ **ومنها**: وردت في هذا الحديث الباهر المشعشع أخبار عن المستقبل في زمن الإمام الثاني عشر عليه السلام كقوله: «**ستذل أوليائي في زمانه ويتهادون رؤوسهم كما**

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٤.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧.

(٤) سورة طه، الآية: ٤٥.

(٥) سورة يوسف، الآية: ١٣.

تتهادى رؤوس الترك والديلم ويقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين تصبغ الأرض من دمائهم ويفشو الويل والدنين في نسائهم».

ونلاحظ عليه: أن زمن الإمام المهدي عليه السلام يسود فيه العدل ويقام فيه القسط كما ورد في الروايات المتواترة (**يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا**) وإن كان المقصود في زمن غيبته فلم نعهد في التاريخ أن مرَّ الشِّيعة بزمن يتهادى الملوك والأمراء رؤوس الشِّيعة، بل قامت لهم دول وممالك كدولة الحمدانيين وآلِ بويه والفاطميين والصفويين والقاجاريين وآخرها الدولة الإسلامية في إيران. ولم يكن شيعة العراق ولبنان في زمن مِنَ الأزمان يواجهون الحرق ولم تصبغ الأرض من دمائهم، وأساسًا فإنَّ مثل هذا التعبير المبالغ فيه (**تصبغ الأرض من دمائهم**) بعيد أن يصدر من اللَّه تعالى. وأما القتل في الحروب ونشوء الويل والدنين في نسائهم من جراء مقتل الرجال في الحروب فهو لا يقتصر على الشِّيعة بل يمثّل حالة سائدة لدى جميع الشعوب والأقوام البشرية، فقد واجه المسلمون القتل والذبح في الحروب الصليبية وحرب الأندلس وقتل منهم مقتلة عظيمة، وكذلك واجهت الشعوب الأوروبية مثل هذه الحالة المأساوية في الحرب العالمية الأولى والثانية، وابتلى المسلمون بالقتل الذريع على يد المغول والتتر. فلم تكن هذه الحالة بالشِّيعة كما يظهر من سياق الحديث المذكور.

ثم إن الزهراء عليها السلام تقول في هذا الحديث أن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله أعطاها هذا اللوح «**ليسرّني بذلك**» فهل يُعقل أن يكون غرض رسول اللَّه صلى الله عليه وآله من إهداء هذا اللوح إلى ابنته العزيزه هو إدخال السرور إلى قلبها وفيه خبر مقتل أبنائها وذريتها على يد سلاطين الجور وما سوف يلاقي شيعتها من قتل وذبح وحرق ويتهادى أُمراء الجور والظلم رؤوسهم ويفشو الويل والرنين في نسائهم!؟

وأخيرًا، إذا كان الغرض هو كتمان أمر اللوح المذكور واختصاص النبي وأهل بيته عليهم السلام به فكيف شاع وانتشر بين الناس جميعًا بواسطة جابر ومن روى عنه هذه الرواية؟

وما معنى أن يقول أبو بصير للراوي: «**صنه إلَّا عن أهله**» ثمَّ يكتب هذا الحديث في الكتب وينتشر في الأعصار والأمصار كافة؟!

ثالثًا: «الشيخ محمد باقر المجلسي»

بحار الأنوار:

هو من متأخري المحدّثين وأبرزهم «المتوفى عام ١١١٠ هـ» وأشهر عُلماء الشِّيعة الإمامية في الدولة الصفوية بحيث تأثر به جميع من جاء بعده من المحدّثين، وأهم مصنفات المجلسي هو «**بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمّة الأطهار**» الذي اشتهر شهرة كبيرة بين الشِّيعة وصار مرجع المُحدّثين للفرقة الإمامية. وقد طُبع هذا الكتاب أخيرًا في مائة وعشرة أجزاء، وقد استفاد المجلسي في هذا الكتاب من كتب القُدماء والمعاصرين له وأحيانًا ينقل الأحاديث عن الكتب التي لا يعتمد هو عليها، وكمثال على ذلك ما ورد في المجلد السابع والخمسين حيث قال بعد أن أورد حديثًا غريبًا من كتاب «**جامع الأخبار**»: «**أوردها صاحب الجامع فأوردتها ولم أعتمد عليها**»[١].

وروى في هذا المجلد نفسه أيضًا خبرًا عن الشيخ الصدوق ثم قال بعد ذلك: «**أقول: الخبر في غاية الغرابة، ولا أعتمد عليه لعدم كونه مأخوذًا من أصل معتبر، وإن نُسب إلى الصدوق**»[٢] وعلى هذا الأساس فإنّ المجلسي وخلافًا للكُليني والشيخ الصدوق لم يجمع في كتابه الأحاديث الصحيحة والمعتمدة لديه بل كان بصدد جمع الأخبار في كتابه هذا، ومن هنا كثرت الأخبار المجعولة والموهومة في هذا الكتاب إلى جانب الأخبار الصحيحة والنافعة وقد انتشرت هذه الأخبار بين الناس بدون التصريح بجعلها وكذبها وسببت تلويث ذهنية العوام ومزجها بالخُرافات والأساطير والعقائد المُغالية. ورُغم أن توضيح المجلسي في ذيل بعض الأخبار الغريبة قد يكون مُفيدًا أحيانًا إلَّا أنه لا يكفي في المقام، إضافة إلى أنه سكت عن الكثير من الأخبار التي ورد في مضمونها غلوّ وأباطيل كثيرة، ولهذا احتاج كتاب «**بحار الأنوار**» إلى نقد كثير وواسع ولا بد أن يفصل له كتاب مستقل.

وهنا نستعرض بعض النماذج للأحاديث الباطلة المذكورة في كتاب «بحار الأنوار»:

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٣١.

(٢) بحار الأنوار، المصدر نفسه، ص ٣٤١.

١ ـ روى المجلسي رواية طويلة عن الإمام الصادق عليه السلام **في** ولادة الإمام علي عليه السلام في الكعبة ونقرأ ضمن هذه الرواية أن النبي الأكرم جاء إلى بيت أبي طالب بعد ولادة الإمام علي وعودة أُمّه به إلى بيتها:

«فلما دخل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم **اهتز له أمير المؤمنين** عليه السلام **وضحك في وجهه وقال: السلام عليك يا رسول اللّه ورحمة اللّه وبركاته. ثمَّ تنحنح بإذن اللّه تعالى وقال:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢﴾[١] . . . **إلى آخر الآيات. فقال رسول اللّه** صلى الله عليه وآله وسلم**: قد أفلحوا بك وقرأ تمام الآيات إلى قوله:** ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝١١﴾[٢]. **فقال رسول اللّه** صلى الله عليه وآله وسلم**: أنت واللّه أميرهم»**[٣].

وعلى أساس مفاد هذه الرواية فإنَّ النبي مُحّمدًا وقبل أن يُبعث بالنبوة بعشر سنوات وقبل نزول القرآن عليه في غار حراء فإن عليًّا بن أبي طالب قد كان على علم بآيات القرآن الكريم من سورة المؤمنون، مع أن القرآن الكريم نفسه يصرّح أن النبي الأكرم قبل نزول الوحي لم يكن يعلم بالقرآن لا هو ولا قومه:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ﴾[٤].

ويقول القرآن الكريم أيضًا:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ﴾[٥].

وكذلك يقول تعالى:

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ﴾[٦].

فإذا لم يكن رسول اللّه عالمًا بنزول الكتاب وما فيه قبل البعثة **حتى أنه أصيب بالدهشة في غار حراء عند نزول ملك الوحي عليه** فكيف قرأ علي بن أبي طالب

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠، ١١.

(٣) بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ٣٧، ٣٨.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٩.

(٥) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٦) سورة القصص، الآية: ٨٦.

القرآن وهو طفل رضيع؟ هل استلم الوحي قبل رسول اللَّه؟ أليست هذه الأسطورة هي من إبداعات المغالين الذين يهدفون إلى رفع مقام الإمام علي إلى مستوى الألوهية؟ والعجيب ما نقرأ في ذيل هذا الحديث أنه: «**فلمّا كان من غد دخل رسول اللَّه ﷺ على فاطمة (بنت أسد) فلمَّا بصر علي عليه السلام برسول اللَّه ﷺ سلّم عليه وضحك في وجهه وأشار إليه أن خذني إليك واسقني بما سقيتني بالأمس قال: فأخذه رسول اللَّه ﷺ فقالت فاطمة: عرفه ورب الكعبة، قال: فكلام فاطمة سمي ذلك اليوم يوم عرفة يعني أن أمير المؤمنين عليه السلام عرف رسول اللَّه ﷺ**»[١].

في حين أنَّ من جملة المسلّمات لدى أرباب التاريخ أن يوم عرفة كان مشهورًا ومعروفًا قبل ولادة الإمام علي!

٢ ـ يروي المجلسي في المجلد ١٠٢ هذه الرواية:

عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «**من زارني في غربتي كتب اللَّه عزَّ وجلّ له أجر مائة ألف شهيد ومائة ألف صِدِّيق، ومائة ألف حاج ومعتمر، ومائة ألف مجاهد، وحشر في زمرتنا وجعل في الدرجات العلى من الجنة رفيقنا**»[٢].

ألا يوحي هذا الحديث في نفوس المؤمنين بتفاهة أجر الشهداء والحج والجهاد في سبيل اللَّه حيث إنّ ثواب زيارة واحدة لمرقد الإمام الرضا عليه السلام تعدل مئات الآلاف من أجر الشهداء والصديّقين والحج والعمرة رُغم أن كل هذه الأُمور من الواجبات والزيارة مستحبة، إضافة إلى أنَّ الحاج يجب عليه في كل حُجّة أن يزور مرقد النبي الأكرم ﷺ فهل بلغت زيارة قبر ابن رسول اللَّه ﷺ من الأهمية أن تفضل زيارة قبر النبي نفسه بمئة ألف ألف حجة[٣]!! بل غفر اللَّه ما تقدّم من ذنبه وما تأخر ولو كانت مثل عدد النجوم وقطر الأمطار وورق الأشجار[٤]!!

كل هذا يحصل عليه زائر قبره، في حين أن من زاره حيًّا لم يكن يحصل على

---

(١) بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ٣٨.
(٢) بحار الأنوار، في باب فضل زيارة علي بن موسى الرضا عليه السلام ج ١٠٢، حديث ٢، ص ٣٢.
(٣) بحار الأنوار، ج ٣٥، حديث رقم (٤).
(٤) بحار الأنوار، ج ٣٥، حديث رقم (١١).

أجر حجة واحدة، ولا على أجر شهادة واحدة، وهذا يعني أن قبره عند هؤلاء الغُلاة أهم وأعلى منه نفسه!

ومرة أخرى نقول إنَّهُ على فرض معقولية أن يغفر اللَّه ما تقدّم من ذنوب الزائر، فكيف يُعقل أن يغفر ما تأخر من ذنوبه إلى حين أجله؟ أليس ذلك من قبيل صكوك الغفران التي ابتدعتها الكنيسة؟ وماذا تؤثر زيارة واحدة لقبر الإمام الرضا عليه السلام في نفس الإنسان وروحه بحيث أنّها تعادل تأثير مائة ألف حُجّة إلى بيت اللَّه الحرام ومائة ألف جهاد وقتل في سبيل اللَّه؟!

إن كل عاقل منصف يجزم بأن مثل هذه الروايات قد وضعها أصحاب المطامع الذين ينتفعون ماديًا من كثرة الزّوار إلى مقامات الأئمّة عليهم السلام والتي تشبه في أهدافها الحديث المعروف عن بصل عكا!

٣ ـ يذكر المجلسي في المجلد ٢٦ رواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وهي:

عن أحمد بن الحُسين عن الأهوازي عن عمر بن تميم عن عمّار بن مروان عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إنّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق**»[1].

هذه الرواية إضافة إلى أن في سندها «**عمر بن تميم**» المجهول لدى عُلماء الرجال فإنها لا تنسجم مع آيات القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم يصرّح بأن النبي الأكرم لم يكن يعلم المنافقين فكيف يعلم الإمام ذلك بمجرد أن يرى الشخص؟ فنحن نقرأ في سورة التوبة قوله تعالى:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾[2].

وكذلك يقول القرآن الكريم في سورة البقرة:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾[3].

---

(١) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٢٧.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

وبديهي أن الرواية التي تتناقض مع القرآن الكريم لا يمكن أن تكون صادرة عن الإمام الباقر بل هي افتراء عليه.

٤ ـ يروي المجلسي في المجلد ٢٦ من بحار الأنوار:

ومن كتاب القائم للفضل بن شاذان عن صالح بن حمزه، عن الحسن بن عبد اللَّه، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة: «**واللَّه إني لديّان الناس يوم الديّن... وأنا صاحب النشر الأول والنشر الآخر...**»[1].

ونلاحظ على هذه الرواية ما يلي:

أولًا: إن بعض رواة هذا الحديث متهمون بالغلوّ وبعضهم الآخر من المجاهيل، مثلًا يقول العلّامة الحليّ في خلاصة الأقوال حول «**الحسن بن عبد اللَّه**» أنه «**يُرمى بالغلوّ**»[2].

ثانيًا: إن كل باحث ومطّلع على فترة حكومة أمير المؤمنين في الكوفة والأوضاع الاجتماعية السائدة حينذاك يدرك جيدًا كذب هذا الحديث لأن الكثير من الناس المتعصّبين والخارجين كانوا يجلسون في مجلس أمير المؤمنين في مسجد الكوفة ولا يتحمّلون مثل هذا الكلام وأنَّ أمير المؤمنين يقول: أنا صاحب النشر الأول والنشر الآخر.

وجهالة الراوي له يتبيّن من أنَّ هذا الراوي لم يقل إنَّ الإمام عليًّا قال هذا الكلام في الخفاء وبين أصحابه الخُلّص مثلًا بل يدّعي أنَّ أمير المؤمنين قال ذلك على منبر الكوفة ونسب إليه صفات الألوهية أمام الناس. بديهي أن هذا الخبر لا يكون إلَّا من صنع الغُلاة والكذّابين حيث يقول أمير المؤمنين في هذا الصدد:

«**هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ غَالٍ وَمُبْغِضٌ قَالٍ**»[3].

٥ ـ يروي المجلس في المجلّد ٢٦ أيضًا حديثًا غريبًا آخر اقتبسه من كتاب مجهول حيث يقول: **ذَكَرَ والدي رحمه اللَّه أنه رأى في كتاب عتيق جمعه بعض**

---

(١) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٥٣.

(٢) انظر: رجال الحلي، ص٢١٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ط٢، ج١٨، ص٢٨٢، حكمة (١١٣).

محدثي أصحابنا في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام هذا الخبر ووجدته أيضًا في كتاب عتيق مشتمل على أخبار كثيرة!!

قال: «روي عن محمد بن صدقة أنه قال: **سأل أبو ذر الغفاري سلمان الفارسي رضي اللّه عنه يا أبا عبد اللّه ما معرفة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالنورانية؟ قال يا جندب فامض بنا حتى نسأله عن ذلك، قال: فأتيناه فلم نجده. قال: فانتظرناه حتى جاء فقال ـ صلوات اللّه عليه ـ ما جاء بكما؟ قالا: جئناك يا أمير المؤمنين نسألك عن معرفتك بالنورانية! قال ـ صلوات اللّه عليه ـ مرحبًا بكما من وليين متعاهدين لدينه لَسْتُما بمقصرين، لعمري إن ذلك لواجب على كل مؤمن ومؤمنة. ثمَّ قال ـ صلوات اللّه عليه ـ: يا سلمان ويا جندب، قالا: لبيك يا أمير المؤمنين! قال عليه السلام: إنَّهُ لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية فإذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن اللّه قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفًا مستبصرًا ومن قصر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب! يا سلمان ويا جندب. قالا: لبيك يا أمير المؤمنين! قال عليه السلام: معرفتي بالنورانية معرفة اللّه عزَّ وجلّ ومعرفة الله عزَّ وجلَّ معرفتي بالنورانية... يا سلمان ويا جندب. قالا: لبيك يا أمير المؤمنين! قال عليه السلام: أنا الذي حملت نوحًا في السفينة بأمر ربي! وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي! وأنا الذي جاوزت موسى بن عمران البحر بأمر ربيّ وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بإذن ربي! وأنا الذي أجريت أنهارها وفجرت عيونها وغرست أشجارها بإذن ربي... وأنا الخضر عالم موسى! وأنا معلّم سليمان بن داوود! وأنا ذو القرنين! وأنا قدرة اللّه عزَّ وجلّ...**»[1].

ونلاحظ على هذا الحديث الغريب:

أولًا: إن هذه الرواية بلحاظ السند لا اعتبار لها في بحار المجلسي، وأبوه قد أخذ هذه الرواية من كتاب قديم لا يعلم مؤلّفه، وكيف وصلت إليه هذه الرواية، إضافة إلى أن في سند الرواية انقطاعًا، لأن محمد بن صدقة الراوي لهذا الحديث لم يكن معاصرًا لأبي ذر وسلمان فكيف روى هذا الحديث منهما؟ إضافة إلى وجود شخصين في كتاب الرجال باسم «**محمد بن صدقة**» أحدهما محمد بن صدقة العبدي

(١) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١، ٥، ٦.

الذي كان معاصرًا للإمام الصادق والإمام الكاظم والذي يقول عنه الكشّي إنَّهُ «**بتري المذهب**» والمجلسي نفسه يذهب إلى تضعيفه، والثاني «**محمد بن صدقة العنبري البصري**» المعاصر للإمام الرضا والذي يرى الشيخ الطّوسي والعلّامة الحلّي أنه «**من الغُلاة**». وهذان الشخصان إضافة إلى الفاصلة الزمانية التي تفصلهما عن أبي ذر وسلمان، ليسا من الثقاة لدى العلماء الإمامية ومن هنا فإنَّ سند الرواية المذكورة غير معتبر. والعجيب أن المجلسي نفسه لا يعتمد على هذه الرواية ولكن عندما يريد تبرير الخبر يقول: **لو صح صدور الخبر عنه** عليه السلام **لاحتمل أن يكون المراد...**

ثانيًا: إن دلالة الرواية لا تنسجم مع تعاليم القرآن الكريم لأن القرآن يصرّح في آيات عديدة أن نبي الإسلام لم يكن في عصر الأنبياء السابقين ولم يكن مطلعًا على أحوالهم وأخبارهم، فكيف يكون الإمام علي عارفًا بذلك؟ هل سبق النبي إلى هذه المنزلة؟ يقول القرآن الكريم: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا﴾[1]. ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾[2] ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾[3].

إضافة إلى ذلك نتساءل ما معنى قوله: أنا قدرة اللّه عزَّ وجلّ؟ أليست القدرة من الصفات الذاتية للحق تعالى؟ فهل يمكن لمخلوق أن يتحد مع ذات اللّه عزَّ وجلّ ويكون له شريكًا؟ ألا يظهر من هذه الكلمات شوائب الشرك والكفر؟ وأخيرًا ألا يمكننا أن نعتقد بأن مثل هذه الروايات من صناعة الغُلاة؟

٦ ـ يروي المجلسي في المجلد ٤٣ من البحار هذه الرواية:

«روي عن محمد بن سنان قال: دخلت على الصادق عليه السلام فقال لي: **من بالباب؟ قلت: رجل من الصين! قال فأدخله، فلمَّا دخل قال له أبو عبد اللّه** عليه السلام: **هل تعرفوننا بالصين؟ قال: نعم يا سيدي، قال: بماذا تعرفوننا؟ قال: يا بن رسول اللّه إن عندنا شجرة تحمل كل سنة وردًا يتلوّن كل يوم مرتين فإذا كان أول النهار**

---

(١) سورة القصص، الآية: ٤٦.

(٢) سورة القصص، الآية: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

نجد مكتوبًا عليه: لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه، وإذا كان آخر النهار فإنا نجد مكتوبًا عليه: لا إله إلّا اللّه، علي خليفة رسول اللّه»[1]!.

أولًا: إنَّ سند هذه الرواية ضعيف جدًا وفي سلسلة السند انقطاع، فالراوي الأول لها هو «**محمد بن سنان**» الذي لا يعتمد عليه أرباب الرجال وهو مورد اختلاف شديد بينهم ممّا يسلب الوثوق بهذه الرواية حيث يقول ابن الغضائري والنجاشي في شأنه: «**إنَّهُ ضعيف غالٍ لا يلتفت إليه**»[2].

ويقول أبو عمر الكشي في رجاله في شأن محمد بن سنان:

فإنه قال قبل موته: «**كل ما حدّثتكم به لم يكن لي سماع ولا رواية إنّما وجدته**»[3].

ثانيًا: إذا كان هناك نوع من الورد في البلد تزهر وتنمو بهذه الأوصاف كل عام لاشتهر أمرها بين الناس وذاع صيتها في البلدان ولآمن آلاف الناس في الصين والبلدان النائية بالتشيُّع بل بالإمكان تكثير هذا النوع من الورد وإرساله إلى مناطق أخرى من العالم الإسلامي في حين أنه لا يوجد لهذا الأمر خبر ولا أثر وأكثر الناس في الصين هم من غير المسلمين، وأكثر المسلمين هناك بل جميعهم إلّا ما شذَّ وندر هُم على مذهب أهل السُّنّة والجماعة حيث اعتنقوا الإسلام عن طريق التجّار المسلمين من أهل السُّنّة الذين كانوا يذهبون إلى هناك وينشرون مذهب التسنُّن، وعليه فلا يمكن التصديّق بهذه الأسطورة الخرافية.

٧ ـ ذكر المجلسي رواية في المجلد الثاني والأربعين وهي:

علي بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم وحمّاد، عن زرارة عن أبي عبد اللّه عليه السلام في تزويج أم كلثوم فقال: «**إنّ ذلك فرج غصبناه**»[4]!.
وفي نظري أن الإمام علي أغير من أن يسمح بغصب ناموسه وشرفه لأي أحد من الناس، بل إنَّ زواج أم كلثوم من الخليفة تمَّ برضا أم كلثوم كما صرّح بذلك بعض

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٠٧.
(٢) انظر: رجال النجاشي، ص٣١٣، ورجال الحلي، ص٢٥١.
(٣) انظر: رجال الكشي، ص٢٧٨ رقم (٢٤٥)، ورجال النجاشي، ص٣١٣، رقم (٨٨٨).
(٤) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٠٦.

المؤرخين. وقد ورد هذا المعنى في بحار الأنوار أيضًا: «**تارة يروى أنه كان عن اختيار وإيثار**».

٨ ـ **جاء في المجلد ٧٤ من كتاب بحار الأنوار هذه الرواية**، وقد ورد فيها من المثوبات العجيبة والغريبة والأعمال التافهة، وهي أحد الطرق لمعرفة الأحاديث الموضوعة والباطلة، حيث يقول: في مناهي النبي قال: «**من مشى إلى ذي قرابة بنفسه وماله، ليصل رحمه، أعطاه اللَّه عزَّ وجلّ أجر مائة شهيد، وله بكل خطوة أربعون ألف حسنة ويُمحى عنه أربعون ألف سيئة، ويرفع له من الدرجات مثل ذلك، وكأنما عبَد اللَّه مائة سنة صابرًا محتسبًا**»[١].

وعلى هذا الأساس يلزم من ذلك أن الشهداء قد خسروا خسرانًا مبينًا لأنهم لو استبدلوا بالذهاب إلى جبهات القتال والاستشهاد في سبيل اللَّه بأن يتوجهوا لزيارة أرحامهم حيث ينالون من الثواب أكثر بكثير من ثواب الشهادة في كل مرة.

أليست هذه الرواية موضوعة ومن افتراء الكذّابين؟

٩ ـ **يروي المجلسي في المجلد ٤١ من كتاب بحار الأنوار هذه الرواية:**

«أبو الفتح الحفّار بإسناده أن عليًا عليه السلام قال: **ما زلت مظلومًا مذ كنت! قيل له: عرفنا ظلمك في كبرك، فما ظلمك في صغرك؟ فذكر أن عقيلًا كان به رمد، فكان لا يذرّهما حتى يبدأوا بي**»[٢]!.

وهنا لا بد من القول إن صانع هذا الخبر كان ساذجًا جدًّا لأن عقيلًا كان أكبر من الإمام علي بـ ٢٠ سنة ولا يُعقل أن يتصرّف شاب في عمر العشرين عامًا مثل هذا التصرّف وأن لا يُلقى في عينه الدواء قبل أن يُلقى الدواء في عيني طفل رضيع، ولو كانوا يصنعون ذلك فإنما يصنعونه مع الأطفال لا مع شاب في عمر العشرين.

إن اختلاف السنّ بين علي وعقيل ورد في بحار الأنوار نفسه حيث يقول:

«**إن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كان أصغر وِلْد أبي طالب. كان أصغر من جعفر**

---

(١) بحار الأنوار، باب صلة الرحم، طبعة طهران، ج ٧٤، ح ٦، ص ٨٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٥.

بعشر سنين وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين»[1].

١٠ ـ وإنَّ من الروايات المضحكة التي تذكرنا بأفلام الكرتون «سندباد» هذه الرواية التي تقول أنَّ عليًّا يركب السحاب:

«أنَّ عليا أومأ إلى سحابتين وأصبحت كل سحابة كأنها بساط موضوع فركب علي سحابة بمفرده وركب بعض أصحابه على الأخرى وقال فوقها: أنا عين اللَّه في أرضه، أنا لسان اللَّه الناطق في خلقه، أنا نور اللَّه الذي لا يطفأ أنا باب اللَّه الذي يؤتى منه وحُجّته على عباده...»[2].

ولا داعي للتعليق على هذه الرواية، لأنها واضحة الوضع..!!

١١ ـ جاء في المجلد الخامس من كتاب البحار جملة من الرّوايات المعروفة بأخبار الطّينة مفادها:

«أنَّ الطّينة التي خُلِقَ منها الأنبياء والأئمة عليهم السلام وشيعتهم تختلف عن الطينة التي خُلِقَ منها الكافرون والفاسقون وناصبو العداء لأهل البيت عليهم السلام، فطينة الصنف الأول مأخوذةٌ من عليين أو من أرضٍ طيبةٍ أو من الماء العذب، بينما طينة الصنف الثاني هي من سجّين أو من أرضٍ خبيثةٍ وسخةٍ وماء أُجاجٍ أو من طينةٍ خبالٍ من حماءٍ مسنون»[3].

(وفي نظرة تقييميّة أوّليّة يبدو أنّ مضمون هذه الأحاديث يتنافى وقواعد القائلين بالعدل من طوائف المسلمين، ولذا وضعها العلماء على طاولة النقد العلميّ، واختلفت الأنظار بشأنها، وتعدّدت الآراء في توجيهها، وألّف بعضهم رسائل خاصّة بهذا الصّدد. ويُلاحظ أن العلماء في جملتهم انقسموا إزاءها فريقَيْن:

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١١٠.

(٢) بحار الأنوار، المصدر نفسه، ج ٢٧، ص ٣٤.

(٣) بحار الأنوار، ج٥، ص٢٢٥ وما بعدها، وقد رواها الكليني في «أصول الكافي» ج٢، كتاب الإيمان والكفر ـ باب طينة المؤمن والكافر، ص٢ ـ ٥، ح١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ورواها الصدوق في «علل الشرايع» ج٢. نوادر العلل ص٦٠٧ ـ ٦١٠، ح٨١، وأوردها أيضًا في «الأمالي» والبرقي في «المحاسن» وغيرهم.

الفريق الأول: بادر إلى طرحها وردّها، لعدم انسجامها مع قواعد العدليّة، وذلك باعتبار أنَّ «ظاهرها أنَّ كلّ أحدٍ من الناس، باقتضاء طينته التي خُلقِ منها، موّجه إلى غاية معيّنة من السّعادة أو الشّقاء، لا محيد له منها، وهذا يعني الجبر، ونفي الاختيار وهو خلاف العدل واللّطف اللّذين نطقت بهما البراهين وقام عليهما المذهب» هذا من جهة، ومن جهةٍ أُخرى، فإنَّ «ظاهرها أو ظاهر بعضها على الأقل أنّ كلّ أحدٍ ـ منذ ابتداء خلقته ـ مُتّخِذٌ سبيلَه الذي لا مهرب منه، وأنّ النّاس بتبع ذلك، منذ ابتداء نشأتهم، على قسمَيْن: مهتدٍ وضالٍّ، وهو خلاف أدّلة ولادة النّاس على التوحيد والفطرة،وأنَّ الانحراف يأتي بعد ذلك من التربية والتلقين»[1].

الفريق الثاني: رأى أنّه لا مبرر لرفض تلك الأخبار بسبب تضافرها، بل ربّما ادّعى بعضهم تواترها المعنويّ أو الإجمالي[2]، ولذا اتّجه هذا الفريق إلى التأويل والتوجيه، وذُكرت في هذا الصدد عدّة وجوهٍ بعضُها أقرب إلى الردّ منها إلى التأويل. وربّما يكون أقرب الوجوه إلى الصحة وأسلمها من النقد ما ذكره بعض العلماء، وإن لم يتبنّه، من «أنّ مضامين أحاديث الطّينة معانٍ كنائيّة وهي تعبيرٌ عن اختلاف النّاس في استعدادهم لقبول الحقّ أو رفضه واتّباع الهوى أواجتنابه، وهذا أمرٌ لا ريب فيه،فبعض النّاس قريبٌ من الحقّ في تصوّره وفي سلوكه، عصيُّ القياد على المؤثّرات أن تقوده أو تنحرف به، وبعض الناس على الضدّ من ذلك. وبعضهم متوسّطون بين بين، على درجات مختلفةٍ أو متقاربة، وواضحٌ أنّ هذا الاختلاف بين النّاس في الاستعداد لا يوجب جبرًا ولا يسلب اختيارًا ولا يسقط التكليف عن الإنسان مهما كان استعداده، ومهما كان قربه من الحقّ أو بُعده عنه»[3].

والجواب: إنَّ هذه الملاحظة صحيحة، ولكن حيث إنّ البناء على التأويل، حسب الفرض، فيكون ما ذُكر وجهًا معقولًا في تأويل الأحاديث المذكورة

---

(١) الشيخ محمد أمين زين الدين «بين السائل والفقيه»، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، ط١، (٢٠٠٨م) ص٣٦.

(٢) الشيخ محمد آصف محسني، «صراط الحق»، ذوي القربى، قم، إيران، ط١، (١٤٢٨هـ)، ج٢، ص٢٥٠.

(٣) بين السائل والفقيه، مصدر سابق، ص٣٦.

وافتراض رمزيّتها، وإلّا لو بُني على التمسّك بحرفيّة الروايات والجمود على ظاهرها لواجهتنا الكثير من الصعوبات والإشكالات، ليس لجهة منافاتها لأحكام العقل، كما سلف، فحسب بل ولمنافاتها أيضًا لنصّ الكتاب الذي يؤكّد ـ وخلافًا لتلك الروايات ـ أن آدم فقط هو المخلوق من الطّين، وأما ذريّته فهم مخلوقون من ماءٍ مهين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾[1]. ويشهد لرمزيّتها، أيضًا، ما جاء في بعضها من أنّ طينة النبييّن والمؤمنين هي من علييّن، وطينة الكافرين هي من سجّين، فإنّه من المعلوم أنّ علييّن وسجّين هما كتابان، كما يصرّح القرآن الكريم بذلك، فالأوّل هو كتاب الأبرار ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠﴾[2]. والثاني هو كتاب الفُجّار ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾[3]، وليست عليّون أو سجين من جنس الطّين في شيء! إنّ هذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على المضمون الرمزيّ لتلك الأحاديث)[4].

رابعًا: «الشيخ محمد بن حسن الحُرّ العاملي»

وسائل الشِّيعة:

١ ـ نقل الحُرّ العاملي في كتابه هذا عدة روايات في فضيلة النعل الصفراء وكراهة النعل السوداء، وقال:

«عن أبي عبد الله عليه السلام (في حديث) قال: فقلت له: فما ألبس من النّعال؟ قال: عليك بالصفراء فإن فيها ثلاث خصال: تجلو البصر، وتشدّ الذكر، وتنفي الهمّ، وهي مع ذلك من لباس النبيين»[5].

وعن كراهة لبس النعل السوداء يقول:

---

(١) سورة السجدة، الآيتان: ٧، ٨.

(٢) سورة المطففين، الآيات: ٧، ٩.

(٣) سورة المطففين، الآيات: ١٨ ـ ٢٠.

(٤) نقلًا عن كتاب «هل الجنة للمسلمين وحدهم (قراءة في مفهوم الخلاص الأخروي)، الشيخ حسين الخشن، إصدار المركز الإسلامي الثقافي، لبنان ـ حارة حريك، ط١ (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م) ص ٢٧ـ ٣٠.

(٥) وسائل الشِّيعة، أبواب أحكام الملابس، ج ٣، الباب ٤٠، حديث ٣ ص ٣٨٧.

«عن عبيد بن زرارة قال: رآني أبو عبد اللَّه عليه السلام وعليّ نعل سوداء فقال: يا عبيد مالك وللنعل السوداء؟ أما علمت أن فيها ثلاث خصال: ترخي الذكر وتضعف البصر وهي أغلى ثمنًا من غيرها وأن الرجل يلبسها وما يملك إلَّا أهله وولده فيبعثه اللَّه جبارًا»[1].

أقول: لولا أن السائد في الحوزات العلمية أن مراجع الدين والمجتهدين يلبسون الحذاء الأصفر لما ظننت أن عاقلًا يصدّق بهذه الروايات الخرافية والأحاديث الكاذبة. فما علاقة الحذاء بقوة البصر أو زيادة الشهوة الجنسية؟ والأنكى من ذلك أنَّ اللَّه تعالى يبعثه جبّارًا ويحشره مع المتكبّرين في جهنم وبئس المصير لمجرد أنه كان يلبس الحذاء الأسود!!

هذه هي أحاديثنا ورواياتنا في مصادرنا الروائية، فإلى متى نظل نغض النظر عمَّا ورد فيها من خُرافات وأكاذيب بل ونعتقد بصحتها ونلتزم بمضمونها؟!

٢ - يروي الحُرّ العاملي في «كتاب الطهارة» من وسائل الشِّيعة رواية عجيبة وهي:

محمد بن الحسن الطوسي رضي اللَّه عنه بإسناده عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير، عن داوود بن فرقد عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: **«كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم قطرة بول قرضوا لحومهم بالمقاريض وقد وسع اللَّه عليكم بأوسع ما بين السماء والأرض وجعل لكم الماء طهورا، فانظروا كيف تكونون»**[2].

هل يُعقل أن يكون هذا العمل مرسومًا بين بني إسرائيل بحيث أنهم بمجرد إصابة قطرة من البول لبدنهم فإنهم يقرضونه بالمقاريض بدل غسله؟ وساعد اللَّه ذلك المسكين بمرض السلس. إذن كيف لا نجد لهذا الحكم القاسي عينًا ولا أثرًا في التوراة؟ وهل اللَّه العادل والحكيم يصدر مثل هذا الحكم الشديد لتطهير بدن الإنسان من التلوّثات الطبيعية؟ ألا يوجد هناك طريق آخر لإثبات سهولة وسير الأحكام الإسلامية غير التوسل بمثل هذه الأكاذيب والافتراءات؟

---

(١) وسائل الشِّيعة، ج ٣، الباب ٣٨، ص ٣٨٦، حديث ١، ٣.

(٢) وسائل الشِّيعة، ج ١، ص ٧٧ وج ١، ص ١٠٠.

إن وضع وكذب مثل هذه الأحاديث واضحان إلى درجة أننا لا نحتاج إلى البحث في إسنادهما.

٣ ـ وأورد بنفس المصدر السابق رواية تؤكد نجاسة الحديد وهي:

وبالإسناد عن عمار عن أبي عبد اللّه عليه السلام **في الرجل إذا قصَّ أظفاره بالحديد أو جزَّ شعره أو حلقَ قفاه فإنَّ عليه أن يمسحه بالماء قبل أن يصلي؟ سُئِلَ: فإنْ صلّى ولم يمسح من ذلك بالماء؟ قال** عليه السلام: **يعيد الصلوة لأن الحديد نجس وقال: لأن الحديد لباس أهل النار والذهب لباس أهل الجنة**[1].

وهذا الحكم بنجاسة الحديد ولزوم إعادة الصلاة مخالف لإجماع عُلماء الإسلام وقد ورد في القرآن الكريم أيضًا أن المسلمين يجب عليهم أن يحملوا معهم أسلحتهم «الحديدية» ولم يأمرهم بإلقاء أسلحتهم كما تقول الآية الشريفة: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ﴾[2].

وعلى هذا الأساس فمن قصّ أظفاره بالمقراض ثمَّ صلّى فلا يجب عليه إعادة الصلاة لأن الحديد ليس نجسًا أو مبطلًا للصلاة.

٤ ـ ومن الروايات الخرافية التي أوردها صاحب الوسائل في كتابه وتلقاها الفُقهاء بالقبول وأفتوا على ضوئها!! ما يقرر بصراحة كراهة الصلاة عند طلوع الشمس وذلك بسبب أنّها تطلع بين قرني الشيطان:

قال رجل لأبي عبد اللّه عليه السلام: «**إن الشمس تطلع بين قرني الشيطان. قال: نعم إن إبليس اتخذ عرشًا بين السماء والأرض فإذا طلعت الشمس وسجد في ذلك الوقت الناس قال إبليس لشياطينه: إن بني آدم يصلّون لي**»[3].

وورد هذا المعنى أيضًا في الحديث (٧) و(٩) من هذا الباب وفيه يقول الرضا عليه السلام: «**لا ينبغي لأحد أن يصلّي إذا طلعت الشمس لأنها تطلع بقرني شيطان**» وفي آخر «**بين قرني شيطان**»!

---

(١) وسائل الشِّيعة، ج ١، ص ١٩٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٢.

(٣) وسائل الشِّيعة، ج ٣، أبواب المواقيت، الباب ٣٨، حديث ٤ ص ١٧١.

وبطلان هذه الروايات لا يحتاج إلى مزيد بيان لدى العُقلاء إضافة إلى عدم وجود رابطة بين طلوع الشيطان وعدم الصلاة حتى على فرض أنها تطلع بين قرني الشيطان. فهل يُصلّي المُسلم حينذاك إلى شيطان؟! وما علاقة طلوع الشمس أو غروبها بالشيطان؟ وأين قرن الشيطان (على فرض أنَّ له قرنًا)؟

ورُغم وضوح زيف هذه الروايات إلَّا أنَّ دورها في تخريف عقول العوام وتكريس الجهل والوهم في أذهان المسلمين كبير جدًا. ومثل هذه القصص والحكايات الخُرافية موجودة في كتب أهل السُّنّة أيضًا، ولذلك نجد أنَّ أهل البيت عليهم السلام دعوا شيعتهم إلى عدم الاعتناء بهذه الأقوال والروايات، ومن ذلك ما يرويه صاحب الوسائل في الباب نفسه أنَّ الإمام عليه السلام قال في جوابه عن مسائل محمد بن عثمان العمريّ: «**وأما ما سألت عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها فلأن كان كما يقول الناس إنَّ الشمس تطلع بين قرني شيطان وتغرب بين قرني شيطان، فما أُرغم أنف الشيطان بشيء أفضل من الصلاة، فصلّها وارغم أنف الشيطان**»[1].

وأضاف صاحب الوسائل في نهاية هذا الحديث «**أقول: قد رجّح الصدوق هذا الحديث على النهي السابق**» إذًا مع وجود هذا الحديث يتبيّن كذب الأحاديث السابقة لأنه لا يصدر حديثان متناقضان إلى هذه الدرجة من الأئمّة عليهم السلام، أفما كان الأجدر أن لا تنقل تلك الأحاديث الباطلة والمعلوم كذبها وخاصة أنّها منسوبة إلى أهل البيت عليهم السلام وفي ذلك وهن لعقيدة العقلاء بالأئمّة وتكريس للجهل والخُرافة لدى العوام؟!

٦ ـ في كتاب الطهارة من وسائل الشِّيعة جاءت هذه الرواية:

محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن أبي إسماعيل السراج عن هارون بن خارجة، قال: «**سمعت أبا عبد اللَّه عليه السلام يقول من دفن في الحرم أمن من الفزع الأكبر! فقلت له: من بر الناس وفاجرهم! قال من بر الناس وفاجرهم**»[2].

---

(١) وسائل الشِّيعة، أبواب المواقيت، ج٣، الباب ٣٨، حديث ٨.

(٢) وسائل الشِّيعة، ج ١، كتاب الطهارة، ص ٢٠٣.

وهذه الرواية أيضًا مخالفة لعشرات الآيات القرآنية الكريمة التي تصرّح بأنّ الإنسان وعمله مقرونان ولا ينفع الإنسان في الآخرة إلّا عمله ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۝٢١﴾[1] وأيضًا ﴿لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾[2]. إذن فالأرض لا يمكنها أن تضمن أمن وسلامة المجرمين والعاصين بل إنّ الأعمال الصالحة والخيّرة هي التي بإمكانها انقاذ الإنسان من النار والعذاب الأخروي كما يصرّح القرآن الكريم بذلك:

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٠﴾[3]. وما أكثر المجرمين من بني أمية من أعداء أهل البيت دفنوا في الحرم الشريف فهل يعني ذلك أن دفنهم في هذا المكان يضمن لهم الأمن والأمان من عذاب يوم القيامة؟

فهذه الرواية تقرر أن السعادة والأمان في الآخرة أمور اعتبارية وليس لها جذور في الواقع والحقيقة، في حين أنَّ العذاب والثواب الأخرويين ينبعان من واقع النفس الإنسانية والأعمال الصالحة والطالحة التي عملها هذا الإنسان في حياته الدنيا ولا علاقة لها بمكان الدفن، وهذا المعنى ورد في موارد مختلفة من القرآن الكريم والسُّنّة الشريفة بحيث لا نجد ضرورة لاستعراض ما ورد في هذا المعنى لوضوحه لطلّاب الحقيقة وأهل الفضل. وكذلك الكلام فيما ورد عن الأمن من العذاب لأموات وادي السلام في النجف الأشرف.

أمثلة من الروايات في كتب مختلفة(*)

(جاء في معالم الزلفى عن كتاب بستان الواعظين عن محمد بن إدريس أنه قال: «رأيت بمكة أسقفًا وهو يطوف في الكعبة، فقلت له: ما الذي رغب بك عن دين آبائك وأجدادك؟، فقال: لقد استبدلت خيرًا منه، فقلت له: وكيف ذاك؟ قال: ركبت البحر فلمّا توسّطناه انكسر بنا المركب فعلوت لوحًا فلم تزل الأمواج تدفعني حتى رمتني في جزيرة من جزر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد

(١) سورة الطور، الآية: ٢١.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٩.

(٣) سورة النمل، الآيتان: ٨٩، ٩٠.

(*) هذه الفقرة نقلاً عن كتاب «الموضوعات في الآثار والأخبار» السيد هاشم معروف الحسني، دار التعارف/ بيروت (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م) ص ٢٠٩ - ٣٠٢.

وألين من الزبد وفيها نهر جار عذب فحمدت اللَّه تعالى على ذلك، وقلت آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتي اللَّه بالفرج، فلمَّا ذهبت إليها خفت على نفسي من الدواب التي فيها فعلوت شجرة من تلك الأشجار ونمت على غصن منها، فلمّا كان في جوف الليل وإذا بدابة على وجه الماء تسبح وتقول: لا إله إلَّا اللَّه العزيز الجبار محمد رسول اللَّه النبي المختار، وعلي بن أبي طالب سيف اللَّه على الكفار، وفاطمة وبنوها صفوة الجبار، وعلى مبغضيهم لعنة الجبار، ومأواهم جهنم وبئس القرار، فلم تزل تكرر هذه الكلمات حتى مطلع الفجر، ثمَّ قالت: لا إله إلَّا اللَّه صادق الوعد والوعيد، محمد الرسول الهادي الرشيد، وعلي ذو البأس الشديد وفاطمة وبنوها خيرة الرب المجيد، وعلى مبغضيهم لعنة الرب المجيد، فلمَّا وصلت البر فإذا رأسها رأس نعامة، ووجهها وجه إنسان، وقوائمها قوائم البعير، وذنبها ذنب الأسماك، فخشيت على نفسي منها وهربت من أمامها، فلمَّا رأتني وقفت وقالت: أيها الإنسان قف وإلَّا هلكت، فوقفت لها، فقالت: ما دينك؟ قلت النِّصْرانيّة، فقالت ويحك: ارجع إلى دين الإسلام، فقد حللت بفناء قوم من مسلمي الجن لا ينجو منهم إلَّا من كان مسلمًا، فقلت لها وكيف الإسلام؟ قالت: تشهد أن لا إله إلَّا اللَّه، وأن مُحّمدًا رسول اللَّه، ولمّا قلتها، قالت قد تمَّ إسلامك بموالاة علي بن أبي طالب وأولاده وبالصلاة عليهم والبراءة من أعدائهم، فقلت ومن أتاكم بهذا، قالت قوم منّا حضروا عند رسول اللَّه فسمعوه يقول: إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق يا إلهي قد وعدتني أن تشد أركاني وتزينني، فيقول الجليل جلَّ جلاله قد شددت أركانك وزيّنتك بابنة حبيبي فاطمة الزهراء، وبعلها علي بن أبي طالب وابنيهما الحسن والحُسَيْن، والتسعة من ذرية الحُسين عليه السلام، ثمَّ قالت الدابة: المقام تريد أم الرجوع إلى أهلك؟ فقلت لها الرجوع، فقالت: إصبر حتى يجتاز مركب، وإذا بمركب يجري، فأشارت إليهم، فدفعوا إليها زورقًا فلمَّا علوت معهم وإذا في المركب اثنا عشر نصرانيًا فقصصت عليهم ما جرى عليَّ فأسلموا كلهم».

هذه الرواية بالإضافة إلى غرابتها، ووصفها تلك الدابة بهذا التركيب العجيب الذي يجمع بين الإنسان والنعامة والبعير والسمك في مخلوق واحد، قد رواها محمد بن إدريس، وقد جاء عنه في اتقان المقال: **أنه عامي المذهب**، وقال ابن

حجر في لسان الميزان: **أنه كان ضعيف الحديث، يروي المناكير لا يصح الاعتماد على مروياته.**

وكما هي موجودة بين أحاديث الشِّيعة بهذا النص موجودة بين مرويات السُّنّة بهذا النص أيضًا إلّا في الفقرات التالية:

جاء في رواية كتب الشِّيعة أن الدابة التي تصفها الرواية بالشكل الذي ذكرناه كانت تقول: لا إله إلّا اللَّه العزيز الجبار محمد رسول اللَّه المختار، وعلي بن أبي طالب سيف اللَّه على الكُفَّار وفاطمة وبنوها صفوة الجبار... أما رواية السُّنّة تقول أنَّ الدابة كانت تردد: لا إله إلّا اللَّه العزيز الجبار، محمد الرسول المختار، وأبو بكر الصديق صاحبه في الغار، وعمر الفاروق فاتح الأمصار، وعثمان القتيل في الدار، فعلى مبغضيهم لعنة العزيز الجبار، ولم تزل تكرر هذه الكلمات حتى مطلع الفجر، قالت: لا إله إلّا اللَّه الصادق الوعد والوعيد، محمد رسول اللَّه الهادي الرشيد، وأبو بكر صاحب الرأي السديد، وعمر بن الخطاب سور من حديد، وعثمان بن عفان صاحب الفضل الشديد، ويمضي الراوي ليصفها فتقول: إن رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان، وقوائمها قوائم البعير، وذنبها ذنب سمكة كما وصفتها الرواية الشِّيعيّة، ثمَّ يقول الراوي إنَّهُ بعد أن هرب منها نطقت بلسان فصيح ونصحته بأن يرجع إلى الحنفية بعد أن أخبرها بأنَّه يعتنق النصرانية، وقالت إنك قد حللت بفناء قوم من الجن لا ينجو منهم إلّا من كان مسلمًا، وأضاف إلى ذلك أنّها قالت: تشهد أن لا إله إلّا اللَّه، وأنَّ مُحّمدًا رسول اللَّه، وأمرته بأن يترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وأخبرته بأنَّ قومًا من الجن حضروا عند رسول اللَّه وسمعوه يقول: إذا كان يوم القيامة تأتي الجنة فتنادي بلسان طلق فصيح، إلهي قد وعدتني أن تشد أركاني، فيقول لها الجليل جل جلاله: قد شددت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وزينتك بالحسن والحُسَيْن.

وجاء في الرواية الشِّيعيّة أنه قال لها: «قد شددت أركانك وزينتك بابنة حبيبي فاطمة وبعلها علي بن أبي طالب، وابنيهما الحسن والحُسَيْن، وبالتسعة من ذرية الحُسين عليه السلام» إلى آخر الرواية التي تتفق بنصها الحرفي ولا تختلف في شيء إلّا بما ذكرناه، ممّا يؤكد أنها من الموضوعات، ويبقى أن السُّنّة وضعوها أولًا أمَّا الشِّيعة؟

فهذا ممّا لا أجد ما يؤيد أحد الأمرين، وكل ما في الأمر أنَّ السُّنّة رووها عن محمد بن آدم، والشِّيعة رووها عن محمد بن إدريس.

ومهما كان الحال فهي من النوع الذي أشار إليه الإمام الرضا عليه السلام في جواب من سأله عن مرويات العامة في فضائل الأئمّة كما جاء في الفصول السابقة.

وجاء في الكتاب المذكور عن الحُسين بن حمدان الحصيني عن المفضَّل بن عمر عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام أنه قال: «جلس النبي صلى الله عليه وآله في رحبة مسجده في المدينة ومعه طائفة من المهاجرين والأنصار، وعلي عن يمينه وأبو بكر بين يديه إذ دخلت غمامة لها زجل وحفيف، فقال النبي صلى الله عليه وآله يا أبا الحسن قد أتتنا هدية من اللّه سبحانه، ثمَّ مدَّ رسول اللّه يده إلى الغمامة فتدلّت، فبدا منها جام واسع حتى غشيت أبصار من حضر في المسجد من لمعانه وشعاع نوره وفاح في المسجد روائح أزالت من طيبها عقول الناس والجام يسبّح اللّه ويقدّسه ويحمده بلسان عربي مُبين حتى نزل في بطن راحة رسول اللّه اليمنى وهو يقول:

السلام عليك يا حبيب اللّه وصفوته ونبيه ورسوله المختار من العالمين، والمفضل على جميع أنبياء اللّه أجمعين، من الأولين والآخرين وعلى وصيك خير الوصيين، وأخيك خير المؤاخين، وخليفتك خير المستخلفين، وإمام المتقين وأمير المؤمنين ونور المستنيرين وسراج المقتدين، وعلى زوجته فاطمة خير نساء العالمين الزهراء في الزاهرين والبتول أم الأئمّة الراشدين وعلى سبطيك ونوريك وريحانتيك وقرة عينيك الحسن والحُسَيْن، فسمع ذلك رسول اللّه وجميع من حضر يستمعون هذا كله من الجام ويغضون أبصارهم من أنواره الباهرة، ورسول اللّه يكثر من الحمد للّه وشكره، حتى قال الجام وهو في كفه يا رسول اللّه إنَّ اللّه بعثني إليك وإلى أخيك وابنتك فاطمة والحسن والحُسَيْن، فردني يا رسول اللّه إلى كف علي عليه السلام فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله خذه يا أبا الحسن تحفة إليك، فمد يده اليمنى فصار في بطن راحته، فقلبه وشمّه وقال: مرحبًا بزلفة اللّه إلى رسول اللّه وأهل بيته وأكثر من حمد اللّه والثناء عليه، والجام يُكبّر اللّه ويهلّله ويقول: يا رسول اللّه قل لعلي يَرُدَّني إلى فاطمة والحسن والحُسَيْن كما أمرني اللّه عزَّ وجلّ: فأمره رسول اللّه بذلك فقام علي وبيده الجام حتى دخل على فاطمة ونوره يزيد على نور الشمس ورائحته قد أذهلت العقول، فرده إلى يدها وتداوله الحسنان وأرجعاه إلى رسول

اللَّه. فقام عمر بن الخطاب وقال: يا رسول اللَّه مالك تستأثر بكل ما أتاك من عند اللَّه من تحية وهدية، فقال رسول اللَّه: ويحك يا عمر ما أجرأك أما سمعت ما قال الجام حتى تسألني أن أعطيك ما ليس لك، فقال: أتأذن لي في أخذه وشمّه، فقال: ويحك ما ذلك لك ولا لغيرك من الناس، فقال: أتأذن لي في لمسه بيدي، فقال رسول اللَّه: ما أشد إلحاحك قُمّ فإن تلقه فما محمد رسول اللَّه ولا جاء بحق من عند اللَّه. فمدَّ يده إلى الجام فلم تصل إليه وانصاع الجام وارتفع نحو الغمامة وهو يقول: يا رسول اللَّه ما هكذا يفعل المزور بالزائر. . .»[(١)].

وهكذا يمضي الراوي في حديث طويل ويصف الحوار الذي دار بين الجام والرسول بأسلوب تملُّه النفوس ولا تقبله العقول.

ولو تغاضينا عن العيوب الموجودة في متنه من حيث أسلوبه وصياغته واشتماله على هذا النوع من الكرامات التي تتسع قدرة اللَّه لها ولأكثر منها عندما تدعو الحاجة لذلك، مع العلم بأن الموقف لا يستدعي شيئًا من الكرامات، لو تغاضينا عن كل ذلك، فالراوي الأول الحُسين بن حمدان الحصيني «**كان فاسد المذهب كذابًا ملعونًا لا يلتفت إلى شيء من مروياته**» كما جاء في «**إتقان المقال في علم الرجال**». [ورجال النجاشي والعلّامة الحلي[(٢)] وغيرهم].

وأما الراوي الثاني لهذا الحديث الذي رواه عن الإمام الصادق، وهو المفضَّل بن عمر فحاله غني عن البيان[(٣)].

وروي في الكتاب المذكور عن أبي مخنف بإسناده إلى جابر بن عبد اللَّه الأنصاري أنه قال: سألت رسول اللَّه عن مولد علي عليه السلام فقال: يا جابر سألت عجيبًا عن خير مولود، إعلم أن اللَّه تعالى لمَّا أراد أن يخلقني ويخلق عليًّا خلق قبل كل شيء دُرّة عظيمة أكبر من الدنيا عشر مرات، ثمَّ إنَّ اللَّه سبحانه قد استودعنا في تلك الدُرّة فمكثنا فيها مائة ألف عام نُسبّح اللَّه تعالى ونُقدّسه فلمَّا أراد إيجاد الموجودات نظر إلى الدُرّة بعين التكوين فانفجرت نصفين فجعلني ربي في النصف

---

(١) انظر ص ٣١٨ من الكتاب المذكور.

(٢) انظر: رجال النجاشي ص٦٧، ورجال الحلي، ص٢١٧.

(٣) انظر رجال الكشي، ص٢٢٨ ـ ٢٣٤، رقم١٥٤ ورجال الحلّي ص٣٥٨ حيث ورد أنه: «**ضعيف، فاسد المذهب، مضطرب الرواية، لا يُعبأ به، متهافت، مرتفع القول، خطّابي**. . ».

الذي احتوى على النبوة، وجعل عليًّا في النصف الذي احتوى على الإمامة، ثمَّ خلق اللَّه من تلك الدُرّة مائة بحر، فمن بعضه بحر العلم، وبحر الكرم، وبحر السخاء، وبحر الرضا، وبحر الرأفة، وبحر العفة. . .

ومضى الراوي في حديثه إلى أن عدَّ أربعين بحرًا على هذا النسق، وأضاف إلى ذلك أن النبي ﷺ قال: لقد مكثنا في هذه البحور سبعة آلاف عام، وبعدها خلق اللَّه القلم، وقال له: أُكتب، قال وما أكتب؟ قال أُكتب توحيدي، فمكث القلم سكرانًا من قول اللَّه عزَّ وجلّ عشرة آلاف عام ثمَّ أفاق بعد ذلك، وقال أُكتب لا إله إلَّا اللَّه محمد رسول اللَّه وعلي وليُّ اللَّه، فلمّا فرغ القلم من كتابته، قال يا رب ومن هذين اللذين قرنت اسمهما باسمك، قال تعالى: يا قلم، محمد نبيي وخاتم أنبيائي، وعلي وليي وخليفتي على عبادي وحجّتي عليهم، وعزتي وجلالي لولاهما ما خلقتُكَ ولا خلقت اللوح المحفوظ ثمَّ قال له اكتب: قال وما أكتب؟ قال: صفاتي وأسمائي، فكتب وظل يكتب ألف عام حتى كلَّ وملَّ، ثمَّ إنَّ اللَّه خلقَ من نوري السموات والأرض والجنة والنار والكوثر والصراط والعرش والكرسي والسحاب والحجب، وخلق من نور علي عليه السلام الشمسَ والقمرَ والنجومَ قبل أن يخلق آدم بألفي عام، ثمَّ إنَّ اللَّه أمرَ القلم أن يكتب على كل ورقة من أشجار الجنّة وعلى كل باب من أبوابها وأبواب السماوات والأرض والجبال والشجر لا إله إلَّا اللَّه محمد رسول اللَّه وعلي ولي اللَّه، ثمَّ أمر نور رسول اللَّه ونور علي أن يدخلا في حجاب فاطمة. . .

ومضى الراوي يعدّد ما لعلي ولرسول اللَّه ﷺ من فضل وآثار قبل أن يخلق آدم بالآف السنين، إلى أن قال: فلمَّا خلق اللَّه آدم كنت أنا في إصبعه السبابة وعلي في إصبعه الوسطى وابنتي فاطمة في التي تليها، والحسن في الخنصر، والحُسَيْن في الإبهام. . . إلى غير ذلك من الغرائب التي اشتملت عليها الرواية.

ويكفي هذه الرواية عيبًا أنّها من مرويات أبي مخنف لوط بن يحيى، وقد ضعّفه السُّنّة والشِّيعة[1] ولم يثقوا بمروياته وله كُتب كثيرة في السِّيَرِ والأخبار جمع فيها كل ما رأى وسمع كما هو الحال بالنسبة إلى جميع المؤلفين في العصور الأولى[2].

وجاء في معالم الأخبار عن سدير الصيرفي أن الإمام الصادق عليه السلام، روى عن

(١) انظر رجال الحلي ص١٣٦.

(٢) انظر لسان الميزان، ج ٤٩٢ واتقان المقال في علم الرجال، ص ١١٩.

رسول اللّه ﷺ أنه قال: «خلق اللّه نور فاطمة قبل أن يخلق الأرض والسماء، فقال له بعض الناس يا رسول اللّه أليست هي إنسية؟ فقال: فاطمة حوراء إنسية خلقها اللّه من نور قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح، فلمّا خلق اللّه آدم عرضت على آدم، قيل له: يا نبي اللّه وأين كانت فاطمة؟ قال كانت في حِقَه تحت ساق العرش، قيل، يا رسول اللّه: فما كان طعامُها، قال: التسبيح والتهليل والتمجيد، فلمّا خلَقَ اللّه آدم وأخرجني من صلبه أحبَّ اللّه أن يُخرجها من صلبي، جعلها تفاحة في الجنة وأتاني بها جبرائيل فقال لي السلام عليك ورحمة اللّه وبركاته، قلت وعليك السلام، قال: إن ربك يقرئك السلام ويقول إن هذه تفاحة أهداها اللّه إليك من الجنة، قال: فأخذتها وضممتها إلى صدري، قال: إن ربك يقول لك كُلها، فَفَلَقْتُها فرأيت نورًا ساطعًا فزعت منه فقال: كُلها ولا تخف فإنَّ ذلك النور للمنصورة، وفي الأرض فاطمة، قلت ولِمَ سُمّيت في الأرض فاطمة، قال: سُمّيت في الأرض فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار، وفُطم أعداؤها عن حبها، وسمّيت في الأرض المنصورة لقوله تعالى: ويوم يفرح المؤمنون بنصر اللّه، أي بنصر فاطمة لمُحبيها».

إن من الجائز أن تكون هذه الرواية من صنع الغُلاة وقد نُسبت إلى سدير الصيرفي زورًا وبُهتانًا، لأن النبي والأئمّة والهداة ما كانوا في يوم من الأيام ليحدّثوا الناس بما لا تُدركه عقولهم ولا تُحيط به حتى أوهامهم، وبعد أن أحسوا بذلك السيل الجارف من المرويات المكذوبة عليهم أمروا شيعتهم وأتباعهم بأن لا يأخذوها إلَّا بعد عرضها على كتاب اللّه وعدم مخالفتها لنصوصه وظواهره، ومن غير الجائز عليهم أن يحدّثوا بمثل هذه الغيبيات حتى ولو كانت صحيحة في الواقع، ثمَّ يعلنوا على الملأ أن كل رواية تخالف كتاب اللّه فهي مكذوبة علينا، على أن الراوي لهذه الرواية عن الصادق هو سدير الصيرفي، وقد جاء عنه أنه كان مخلطًا على حد تعبير المؤلفين في الرجال ولم يخرجوا من ترجمته بنتيجة توحي بجواز الأخذ بمروياته والاعتماد عليها.

وروى السيد هاشم البحراني في كتابه نزهة الأبصار جملة من الأساطير حول مولد النبي وعلي والزهراء والأئمّة والكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام كُلها من صنع الغُلاة وأعداء الأئمّة والإسلام بدافع التشنيع عليهم والتشويه لآثارهم الخيّرة التي كانت وستبقى ما بقي على وجه الأرض إنسان من أفضل ما يقدّمه الإنسان في هذه الدنيا مَن خير وتعاليم لبني الإنسان. وبذلك وحده قد استحقوا التقدّيس

والتعظيّم لا بتلك الغيبيات والأساطير التي تلقفها حشوية الشِّيعة كالبحراني والبرسي وصاحب جامع الأخبار والشيخ حسن بن سليمان الحلّي الذي اختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد اللَّه الأشعري وغيرهم مِمَّن ألّف في الحديث، ودوّن كل ما سمعته أذناه ورأته عيناه من غير تحقيق في متونها وأسانيدها، ولا تفكير في مفاسدها، بالرغم من أنَّ الأئمّة أنفسهم قد أنكروا تلك الأحاديث ولعنوا كل من يحدّث عنهم بما لا تقبله العقول ولا تدركه الأوهام والأفهام.

وسلام اللَّه على الإمام زين العابدين الذي قال لجماعة سمعهم يتحدّثون عنه وعن آبائه بمثل هذه الغيبيات والأوهام، قال حببونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم لعن اللَّه من قال فينا ما لم نقله في أنفسنا، لنا ذكر في كتاب اللَّه ونسب من رسول اللَّه، وولادة طيبة، هكذا قولوا إلى الناس، أي لا تحدّثوا عنّا بأكثر من ذلك، واطرحوا الغيبيات جانبًا وردوها على من جاءكم بها.

وروي في معالم الزلفى عن الشيخ رجب البرسي مؤلف كتاب مشارق الأنوار في أسرار أمير المؤمنين المشحون بالغلوّ والأخبار المكذوبة على عليّ وبنيه عليهم السلام، روي عنه أنه قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام جالسًا في دكة القضاء إذ نهض إليه رجل يقال له: صفوان الأكحل وقال له يا أبا الحسن أنا رجل من شيعتك وعليَّ ذنوب أُريد أن تطهّرني منها، قال علي عليه السلام: وما أعظم وما هي؟ قال: أنا ألوط بالصبيان، قال أيما أحب إليك، ضربة بذي الفقار، أو أقلب عليك جدارًا، أو أرميك بالنار، فإنَّ ذلك جزاء ما ارتكبته، فقال يا مولاي: أحرقني بالنار لأنجو من نار الآخرة، فقال علي لعمّار: إجمع لي ألف حزمة من القصب لنضرمه غداة غد بالنار، ثمَّ قال للرجل إنهض وأوصِ بما لك وما عليك، فنهض الرجل وأوصى بما له وما عليه وقسَّم أمواله على عياله وأولاده وأعطى كل ذي حق حقه وبات على حُجّة علي في بيت نوح شرقي جامع الكوفة، فلمّا صلى أمير المؤمنين قال: يا عمّار نادِ في الكوفة أخرجوا وانظروا إلى حكم علي عليه السلام فقال جماعة منهم: أليس قد قال أنَّ الشِّيعة لا تأكلهم النار، هذا رجل من شيعته ومحبيه فإذا أكَلَتهُ النار تبطل إمامته، فسمع بذلك أمير المؤمنين فأخذ الرجل وبنى عليه ألف حزمة من الحطب وأعطاه كبريتًا وقال له: أقدح واحرق نفسك فإنَّ كنت من شيعة علي ومحبيه لا تأكلك النار، وإن كنت من المكذوبين والمخالفين فالنار تأكل لحمك وتكسر عظمك. فأوقد الرجل النار وأحرق القصب برمّته وكان قد

لبس ثيابًا بيضاء فخرج من تحت النار ولم تعلق به ولا أصاب ثيابه شيء حتى من الدخان، فقال الإمام: كذب العادلون باللّه وضلوا ضلالًا بعيدًا وخسروا خسرانًا مبينًا، وقال: شيعتنا منّا وأنا قسيم الجنّة والنار».

والذي يجب أن يقال: أن هذا الحديث من الموضوعات لأنَّ النار خلقها اللّه للعصاة ولو لم تربطهم برسول اللّه وعلي سوى رابطة الإسلام والإيمان، كما أكد ذلك القرآن الكريم والحديث الصحيّح، وليس للشّيعة مهما بلغوا من الولاء والإيمان بعلي وبنيه أي امتياز على غيرهم، والصلاة والسلام على رسول اللّه القائل لابنته فاطمة: **إعملي يا فاطمة فلن أغني عنك من اللّه شيئًا**، وإذا وضعنا اللوّاطين والمفسدين من الشِّيعة إلى جانب غيرهم من الشِّيعة المطيعين لأوامر اللّه في الجنة كان أولئك أكرم على اللّه من هؤلاء، وفي عقيدتي أنَّ الذين وضعوا هذا النوع من المرويات قد أساؤوا إلى التشيُّع وشوّهوا وجهه الصحيح الذي عناه الإمام الصادق بقوله لبعض الشِّيعة: **ليس من شيعتنا من كان في بلد فيها أربعون ألفًا وفيهم من هو أورع منه.**

وعلى أي الأحوال فالأمر في هذه الرواية سهل بعد أن كانت من مختارات الشيخ رجب البرسي المعروف بالغلوّ والإفراط في الصفات التي وصف بها الأئمّة كما يبدو ذلك من كتابه «**مشارق أنوار اليقين**» الذي روى فيه الغرائب، وأعطى للأئمة جميع خصائص الخالق، وروى فيه قصة زواج عبد اللّه من آمنة وحملها بالنبي ﷺ وكيف اضطرب العالم وظهرت فيه الكرامات والمعجزات من اللحظة التي اتصل فيها عبد اللّه بآمنة حتى بقية مراحل حملها لحظة فلحظة وما رافق ذلك من الحوادث الكونية والمفاجآت التي لم يعرف البشر لها تفسيرًا. ولا سمع بنظيرها في أخبار الأمم السابقة.

وروي في الوافي عن أحمد بن محمد الكوفي عن حنان بن سدير الصيرفي عن أبيه سدير الصيرفي عن أبي إسحاق الليثي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال له: أخبرني عن المؤمن من شيعة أمير المؤمنين إذا بلغ وكمل في المعرفة هل يزني ويلوط ويشرب الخمر ويذنب؟ فكثر تعجبي من ذلك وقلت: يا بن رسول اللّه، إني أجد من شيعة أمير المؤمنين ومواليكم من يشرب الخمر ويأكل الربا ويزني ويلوط ويتهاون بالصلاة والزكاة وجميع الواجبات، وإذا جاءه المؤمن في حاجة يسيرة لا يقضيها له، فتبسم الإمام عليه السلام وقال: يا أبا إسحاق، هل عندك شيء غير هذا،

قلت: نعم يا ابن رسول اللّه وإني أجد الناصب الذي لا أشك في كفره يتورع عن هذه الأشياء ولا يستحل درهمًا لمسلم ويقوم بحوائج المسلمين للّه تعالى، فقال عليه السلام: لهذا الأمر سر باطن مكنون وباب مغلق مخزون قد خفي عليك وعلى كثير من أمثالك، وإن اللّه سبحانه لم يأذن أن يخرج سره وغيبه إلّا من يحتمله.

ومضى الإمام عليه السلام على حد زعم الراوي يصف علمهم وصعوبة تحمّله وأخطار إذاعته، وما يترتب على ذلك من المفاسد والمشاكل، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ....﴾[1] وأضاف إلى ذلك أنَّ أعمال الناصب تذهب هباء منثورًا، وتلا قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[2] وقال أن اللّه يقول: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾[3] وبعد أن تحدّث عن النواصب وموقفهم من ولاية علي عليه السلام قال: إن اللّه يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[4] وأضاف إلى ذلك أن اللّه خلق أرضًا طيبة طاهرة وفجّر فيها ماءً عذبًا زلالًا فراتًا فرضَ عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها فأجرى عليها ذلك الماء سبعة أيام، ثمَّ نقب عنها فأخذ من صفوة ذلك الطين فجعله طين الأئمّة، ثمَّ أخذ جلَّ جلاله ثقل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ومحبينا من فضل طينتنا؟ فلو ترك طينتكم كما ترك طينتنا لكنتم أنتم ونحن سواء، قلت يا ابن رسول اللّه ما صنع بطينتنا؟ قال عليه السلام خلق اللّه أرضًا سبخة خبيثة منتنة وفجّر منها ماءً أُجاجًا مالحًا آسنًا، ثمَّ عرض عليها ولاية أمير المؤمنين فلم تقبلها، وأجرى عليها ذلك الماء سبعة أيام، ثمَّ نضب عنها فأخذ من كدورة ذلك الطين المنتن الخبيث فخلق منه أئمة الكُفْر والطغاة والفجرة، ثمَّ عمد إلى بقية ذلك الطين ومزجه بطينتكم، ولو ترك ذلك الطين ولم يمزجه بطينتكم ما عملوا أبدًا عملًا صالحًا، ولا تشهدوا الشهادتين ولا أدّوا إلى أحد أمانته، ولا فعلوا شيئًا من الواجبات، ولا اجتنبوا شيئًا من المحرّمات ثمَّ مزج الطينتين بالماء الأول والثاني، فما تراه من شيعتنا ومحبينا من زنا ولواط وخيانة

(١) سورة الجن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٣.
(٣) سورة الغاشية، الآيات: ٣، ٥.
(٤) سورة النجم، الآية: ٣٢.

وشرب الخمر وترك للصلاة وبقية الواجبات، فهي كلها من عدونا الناصب وسنخه ومزاجه الذي مزج بطينته، وما تراه من الناصب من الزهد والعبادة والمواظبة على أعمال الخير والواجبات، فذلك كله من طينة المؤمن، فإذا عُرضت الأعمال على اللّه سبحانه يقول اللّه عزَّ وجلّ:

أنا عدل لا أجور ومنصف لا أظلم، وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا أظلم مؤمنًا بذنب مرتكب من سنخ الناصب وطينته، هذه الأعمال الصالحات كلها من طينة المؤمن، والأعمال الرديئة التي أتى بها المؤمن تلحق الناصب لأنها من طينته، وكل شيء يرجع إلى أصله وجوهره، ثمَّ تلا قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾[(١)]، ومضى الإمام كما يزعم الراوي يقرّب هذا المعنى ويستدل عليه بآيات من القرآن في حديث طويل لا يعنينا منه أكثر من هذا المقدار، ورواه في الكافي أيضًا بهذا النص.

وهذه الرواية تخالف نصوص القرآن الكريم الذي حمل كل إنسان سيئات أعماله، وفي الوقت ذاته تدل على أن جميع ما يأتيه الإنسان من خير أو شر إنّما من لوازم الطينة التي خُلق منها وليس له اختيار في شيء من أموره، هذا بالإضافة إلى أنَّ الرواة بين مجهول الحال وبين متهم في عقيدته والكذب على الأئمّة عليهم السلام.

وجاء في الكافي عن أحمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز عن الخيبري عن يونس بن ظبيان والمفضَّل بن عمر وأبي سلمة السراج، والحُسَيْن بن ثوار بن أبي ناحتة أنهم قالوا: «كُنّا عند أبي عبد اللّه الصادق فقال: عندنا خزائن الأرض ومفاتيحها، ولو شئت أن أقول لإحدى رجلي أخرجي ما فيك من الذهب لأخرجت، ثمَّ ضربها بإحدى رجليه فخطها في الأرض خطًا فانفجرت الأرض، ثمَّ مد يده فأخرج سبيكة ذهب قدر شبر، وقال: انظروا حسنًا فنظرنا فإذا سبائك الذهب بعضها فوق بعض، فقال له بعضنا، جعلت فداك أُعطيتُم ما أعطيتُم وشيعتِكُم محتاجون، فقال: إنَّ اللّه سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ويدخلهم جنّات النعيم ويدخل عدوّنا الجحيم»[(٢)].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٧٩.

(٢) أصول الكافي، الكليني، ج١، باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد، ح٤، ص٤٧٤.

وقد اشترك في هذه الرواية أربعة من المتهمين بالكذب والغلوّ، الخيبري بن علي الطحان، فلقد جاء في منهج المقال عنه أنه: «**ضعيف في مذهبه**»، وقال عنه جماعة إن: «**في مذهبه ارتفاعًا**»، **يعنون بذلك الغُلوّ**، وعمر بن عبد العزيز، فلقد وصفه الشيخ محمد طه في رجاله بأنه: «**كان مخلِّطًا**»[1]، وجاء عن الفضل بن شاذان أنه: «**يروي الغرائب والمناكير**»، وأما المفضَّل بن عمر ويونس بن ظبيان فحالهما معروف ويكفيهما ما جاء عن الإمام الصادق في ذمهما والتحذّير منهما ولعنهما وجاء عنه أنه قال: «**لعن اللَّه يونس بن ظبيان ألف لعنة تتبعها ألف لعنة، كل لعنة تبلغه قعر جهنم**»[2].

ووجود كل هؤلاء في سند رواية من هذا النوع يضعها في قفص الاتهام.

جاء في مختصر بصائر الدرجات عن جماعة منهم أحمد بن محمد بن خالد البرقي عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر: أنَّ عليًّا عليه السلام كان يقول: أنا صاحب الرجعات والكرات وصاحب الصولات والنقمات والدولات العجيبات وأنا قرن من حديد وأنا أسماء اللَّه الحسنى وأمثاله العليا وصاحب الجنة والنار وإليّ إياب الخلق جميعًا، وأنا بارز الشمس ودابة الأرض، وأنا الذي علمتُ علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب والأنساب، وأنا صاحب العصا والميسم، وأنا الذي سُخّرت لي السحاب والرعد والبرق والظلم والأنوار والجبال والبحار والنجوم والشمس والقمر، وأنا الذي أهلكت عادًا وثمودًا وأصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيرًا، وأنا صاحب مدين ومهلك فرعون ومنجي موسى...» إلى غير ذلك من الصفات التي وصف بها نفسه على حد زعم الرواة لهذه الرواية، تلك الصفات التي لا تليق بغير اللَّه سبحانه ولا تجوز على غيره كائنًا من كان، وتأويل بعضها وإن كان ممكنًا، إلَّا أنَّ البعض الآخر يأبى عن التأويل مثل قوله: أنا بارز الشمس وأنا الذي أهلكت فرعون وأنجيت موسى بن عمران، وإليّ إياب الخلق وحسابهم، وأنا صاحب الكرّات والرجعات والدولات العجيبات ونحو ذلك.

ومن الغريب من الرواة لهذه الرواية كلهم من الموثوقين والممدوحين إذا

(١) انظر: رجال النجاشي، ص٢٧٣، رقم (٧٥٤) والحلّي ص٢٤١.
(٢) انظر: رجال الكشي، مؤسسة الأعلمي/ بيروت، ط١ (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) ص٢٥٩، رقم (٢٠٩).

استثنينا أحمد بن محمد بن خالد البرقي[1] ومن الجائز أن تكون الرواية من جملة الموضوعات التي دسّها الوضّاعون في كتب الموثوقين من أصحاب الصادق وأبيه الباقر عليه السلام كما تشير إلى ذلك رواية الإمام الرضا عليه السلام التي جاء فيها أن أصحاب أبي الخطاب يدسّون إلى يومنا هذا في كتب أصحاب الصادق، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن، فإنّا إذا حدّثنا لا نحدّث إلّا بموافقة القرآن والسُّنّة، أن كلام آخرنا مُصدِّقٌ لكلام أولنا، وكلام أولنا مُصَدِّقٌ لكلام آخرنا، وإذا أتاكم من يحدّثكم بخلاف ذلك فردوه عليه، فإنَّ مع كل قول منّا حقيقة وعليه نور، فما لا حقيقة له ولا نور عليه فذلك من قول الشيطان.

مرويات الشيخ رجب البرسي:

وأعود إلى مرويات الشيخ رجب البرسي في كتابه (مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين)، هذا الكتاب الذي طُبع مرارًا في العراق وإيران وأخيرًا في بيروت (دار الأندلس) والذي حشد فيه مؤلفه مئات الأحاديث المكذوبة على أهل البيت عليهم السلام والكتاب يُقدِّس الشيخية والكشفية والغُلاة لأنه يمثّل الغُلوّ ويؤيد عقائدهم الفاسدة المُزيّفة التي تتنافى مع أصول الإسلام فضلًا عن أصول التشيُّع، والشيء المؤسف أن يُعاد طبع الكتاب في إيران والعراق بدون تعليق عليه حتى لا تنخدع العامة ولا يتخذّه أعداء الشِّيعة وصمة على التشيُّع وسلاحًا يطعنون به التشيُّع في الصميم، وفي الوقت ذاته يمكن أن يكون للتعليق عليه والتنويه بأخطار أثره في ردع بعض المحترفين لتجارة الكتب والمتاجرين بالدين كبعض المؤسسات المشبوهة الموجودة حاليًا في بيروت وغيرها التي تتاجر بمثل هذه الكتب التي تسيء إلى أهل البيت وتخدم خصومهم لأغراض تدعوني الحاجة فعلًا إلى تقييمها وتحديد أخطارها، غير أني لا أستطيع أن أمرّ بهذه الكتب وأنا أرى كتاب البرسي والقضاء المنسوب لعلي عليه السلام تأليف التستري وغيرهما من كتب الحديث التي تباع في أسواق بيروت وتعرض في مواضع الزحام كالفجل والبصل وتتناقلها أيدي الطوائف المُختلفة ولكنّها تقدِّس عليًا وتجلّه لأنه قدّم من سيرته وسياسته يوم كان حاكمًا ومحكومًا أقصى ما يمكن أن يقدّمه إنسان في هذه الدنيا مِنَ المُثُلِ في جميع

---

(١) فلقد جاء عنه أنه **كان يعتمد الضعفاء والمراسيل ويروي الغرائب ولا يبالي بمن أخذ** كما جاء في «منهج المقال» ورجال النجاشي، ص٧٤، رقم١٨٢ وغيرهم.

المجالات لجميع بني الإنسان ـ لا لأنه يستمد عظمته من الأساطير والغيبيات التي تقدّمها هذه المؤلفات التي تضر ولا تنفع، وتفسد ولا تصلح، وتسيء إلى الأئمّة الهُداة ولا ترشد أحدًا إلى واقعهم الذي يهب العطاء والبذل بسخاء لكل من يريد أن يتلمس مواقع الخير ومصادر الرشد والفوز والهداية في جميع المجالات.

ولم أجد مَن وَضَعَ البرسي وكتابه من المعاصرين في قفص الإتهام وحذّر من اقتنائه وقراءته سوى البحّاثة حُجّة الإسلام المغفور له السيد الأمين في كتابه «أعيان الشِّيعة» لكنّه ومع الأسف الشديد تعرّض لهجمات عنيفة قاسية من الشيخ الأميني في المجلّد السابع من غديره من غير أن يقدّم ولو دليلًا واحدًا على براءة البرسي ممّا نُسِبَ إليه سوى بعض المرويات التي يعتمدها البرسي نفسه بالإضافة إلى بعض التشويّهات والألفاظ الفارغة، مع أنَّ أكثر المترجمين للبرسي قد اتهموه بالغلوّ والخبط والخلط، ومع ذلك فلقد اتجه الأميني للسيد الأمين وحده، ولا بد أن يكون لذلك سر لا يعنينا تحديده.

ولا أُريد بذلك أن أدافع عن السيد الأمين، فالسيد أرفع شأنًا من أن يُرسل كلامه بدون قصد وتدبّر كما يدّعي الشيخ الأميني في غديره. ففي كتاب المشارق عشرات الشواهد على تبنّي البرسي لآراء الغُلاة التي لا تتفق مع التشيُّع السليم، ويبدو من تحيّزه للبرسي أنه لم يتدبّر مشارق الأنوار ولم يمعن النظر في أساطيره ومروياته ولو أنه أمعن النظر فيها لوقف منها الموقف نفسه الذي وقفه السيد الأمين وغيره من الباحثين الذين لا يهمّهم إلّا إحقاق الحق ومحاربة البدع.

وسأقدّم بعض الأمثلة من مشارق البرسي لإثبات هذه الحقيقة، فقد جاء في ص٢٣: «أن سورة الفاتحة هي سورة الحمد، وقد شرّفها اللّه في الذكر وأضاف إليها القرآن، فقد قال عزّ اسمه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾[1] فأفردها في الذكر وذكرها إجمالًا وإفرادًا لشرفها، وهذا مثل قوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[2] أدخلها إجمالًا وأفردها إجلالًا، والصلاة الوسطى هي صلاة المغرب ظاهرًا، وفي وقت أدائها تفتح أبواب السماء ويجب التعجيّل بها

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

لقوله: عجلوا في المغرب، وأما في الباطن والرمز فهي فاطمة الزهراء لأن الصلوات الخمس في الحقيقة هم السادة الخمسة الذين إذا لم يُعرفوا ولم يُذكروا فلا صلاة، فصلاة الظهر هي رسول اللَّه ومن ثمَّ بدا النور أوّل ما خلقه اللَّه نوره وأوّل ما خلقه اللَّه اللوح وأوّل ما خلق اللَّه القلم، فالعقل نور محمد، واللوح والقلم علي وفاطمة، إليه الإشارة بقوله: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾[1] وفريضة العصر أمير المؤمنين، والمغرب الزهراء وأمرَ اللَّه بالمحافظة على حُبّها وتعظيمها وحُبّ عترتها فصغّروا قدرها وحقروا أمرها لمَّا غربت عنها شمس النبوة، وحُبّها الفرض وتمام الفرض وقبول الفرض، لأن النبي حصر رضاه في رضاها، فقال: يا فاطمة، لا يرضى اللَّه حتى ترضي، ومعنى هذا الرمز أنَّ فاطمة ينبوع الأسرار وشمس العصمة، لأنها بضعة النبي ﷺ...» إلى غير ذلك من السخف الذي اشتمل عليه هذا الفصل وغيره من الفصول التي عقدها لبيان أسرار الحروف وحساباتها التي لا تخطىء الواقع على حد زعمه.

وقد نسَبَ لعلي عليه السلام أنه قال: بالباء ظهر الوجود، وبالنقطة تبيّن العابد من المعبود، وما من شيء إلَّا والباء مكتوبة عليه، فإذا قلت اللَّه فقد نطقت بسائر الأسماء، وإذا كتبت الألف فقد نطقت بسائر الحروف، وإذا نطقت بالواحد فقط ضمنت سائر الأعداد وإذا قلت النقطة فقد حصرت سائر العوالم، وأضاف إلى ذلك قوله:

يا ربّ بالألف التي لم تعطف ... وبنقطة هي سرُّ كل الأحرفِ

وبقافها الجبل المحيط وصادها ... الحبر الذي بظهوره لا يختفي

ويمضي البرسي في علم الرموز فيضيف الأعداد وبعض النقط والكلمات وأسرارها الخفية وحقائقها التي لم يطلع عليها إلَّا أمثال البرسي.

ويقول بعد ذلك: «وإليه الإشارة بقوله تعالى: «**اللَّه خلق السماوات والأرض في يومين**» ويضيف إلى ذلك: وإلى هذا الإشارة بقوله ﷺ: أول ما خلق اللَّه نوري، وثم فتق منه نور علي عليه السلام فلم نزل نتردد في النور حتى وصلنا إلى حجاب العظمة في ثمانين ألف سنة، ثمَّ خلق الخلائق من نورنا، فنحن صنائع اللَّه والخلق من بعد صنائع لنا، أي مصنوعين لأجلنا، ويؤيد ذلك على حد زعمه ما رواه جابر

---

(١) سورة القلم، الآية: ١.

في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] أن رسول اللَّه قال في تفسيرها، أوّل ما خلق اللَّه نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثمَّ سجد للَّه تعظيمًا فتفتّق منه نور علي عليه السلام فكان نوري محيطًا بالعظمة ونور علي محيطًا بالقدرة، ثمَّ خَلَقَ العرش واللوح والشمس والقمر والنجوم وضوء النهار وضوء الأبصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري، ونوري مشتق من نوره فنحن الأولون ونحن الآخرون ونحن السابقون.

وهكذا يمضي الراوي فيقول: إنَّ النبي ما زال يقول فنحن إلى أن ملّ السامعون إلى غير ذلك من غرائب المشارق للبرسي المطبوع أخيرًا في بيروت بواسطة بعض محترفي تجارة الكتب بوحي من بعض الجهات المشبوهة حسبما أظن.

وبعد أن ينتهي البرسي من أسرار الحروف والنقط والكلمات ينتقل إلى فضائل علي عليه السلام فيروي عن عبيد السكسكي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أن عليًّا لمَّا رجع من صِفّين وقف على شاطىء الفرات وأخرج قضيبًا أخضر ضرب به الفرات والناس ينظرون إليه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا كل فرق كالطود العظيم، ثمَّ تكلّم بكلام لم يفهموه فأقبلت الحيتان رافعة أصواتها بالتكبير والتهليل وقالت السلام عليك يا حُجّة اللَّه في أرضه وسمائه وعين اللَّه الناظرة لعباده خذلك قومُك كما خذل هارون بن عمران قومه».

والراوي لهذه الرواية من المجهولين كما نصَّ على ذلك المؤلفون في أحوال الرواة، ومن غرائبه أن رجلًا من الخوارج مرَّ بأمير المؤمنين ومعه حوتان من الجري على حد تعبير البرسي قد غطّاهما بثوبه فقال له أميرالمؤمنين: بكم اشتريت أبويك من بني إسرائيل؟ فقال له الرجل ما أكثر ادعاءك الغيب فقال له أمير المؤمنين أخرجهما فأخرجهما، فقال لهما من أنتما؟ فقالت إحداهما أنا أبوه وقالت الأخرى أنا أمه.

وجاء في مشارق البرسي أنَّ عليًّا لما شطر مرحبا شطرين وألقاه مجندلًا جاءه جبرائيل باسمًا متعجبًّا فقال له النبي ممَّ تعجبت، فقال إنَّ الملائكة تنادي من

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

صوامع وجوامع السموات لا فتى إلّا علي ولا سيفَ إلّا سيف ذو الفقار، وأمَّا إعجابي فإني لما أُمرت أن أدمّر قوم لوط حملت مدائنهم وهي سبع مدائن في الأرض السابعة السفلى إلى الأرض السابعة العليا على ريشة من جناحي ورفعتها حتى سمع حَمَلة العرش صياح ديكتهم وبكاء أطفالهم ووقفت بها إلى الصبح أنتظر الأمر، ولم أثقل بها، واليوم لما ضَرَبَ علي ضربته الهاشمية وكنتُ أُمرت أن أقبض فاضل سيفه حتى لا يشق الأرض فتصل ضربته إلى الثورالحامل لها فيشطره شطرين فتنقلب الأرض بأهلها، فكان فاضل سيفه أثقل عليّ من مدائن لوط، هذا وإسرافيل وميكائيل قد قبضَا عضده في الهواء».

ولم يكتف البرسي بنقل الأساطير وأحاديث الغُلاة بل استرسل في التعليق على هذه الأسطورة وشرحها بما يزيدها غرابة واستهجانًا وبُعدًا عن واقع الأئمّة عليهم السلام فقال لمن يشك في مثل هذه الأسطورة: يا بعيد الفكرة وجامد الفطرة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل خَلْقُ اللَّه وخُلِقوا من شعاع نور محمد وعلي، وعلي ومحمد خُلِقا من جلال ذي الجلال، فهما صفة اللَّه وأمرُ اللَّه وكلمةُ اللَّه ولهذا قال رسول اللَّه: لو كانت البحار مِدادًا والفيافي أقلامًا والسموات صُحفًا والجن والإنس كتابًا لنفد المداد، وكان الثقلان يكتبان معشار فضائل إمام يوم الغدير.

لقد سطّرَ البُرسي هذه الكلمات التي يُكرّرُها في أكثر المواضع وهو يحسب أنه قد أقنع المُشككين وأزاح الشبهة من أذهان الجاحدين وإن دلت تعليقاته على شيء فإنها تدل على إسرافه في الغُلوّ وإفراطه في الأخذ بكل ما سمع وما رأى بدون تحقيق في الأسانيد ولا تدبر في المضامين، ولا تفكير في أخطار هذه الأساطير.

وجاء في الكتاب المذكور، أنه في اليوم الذي ضرب علي مرحبا بالسيف جاءت صفية إلى الرسول وكانت أحسن الناس وجهًا فرأى في وجهها شجّة فقال لها ما هذه وأنتِ إبنة الملوك، فقالت أنَّ عليًّا لما قدم الحصن هز الباب فاهتز الحصن بأسره وسقط من كان عليه من النظارة وارتجف بي السرير فسقطت لوجهي فشجّني الباب، فقال لها رسول اللَّه: يا صفية إنَّ عليًّا عظيم عند اللَّه وإنه لمَّا هزَّ الباب اهتزَ الحصن واهتزت السموات السبع والأرضون السبع واهتز عرش الرحمن غضبًا لعلي. وفي ذلك اليوم لما سأله عمر فقال يا أبا الحسن لقد اقتلعت منيعًا ولك ثلاثة أيام خميصًا فهل قلعتها بقوة بشرية، فقال ما قلعتها بقوة بشرية ولكن بقوة إلهية ونفس بلقاء ربها مطمئنّة مرضية.

وهذه كغيرها من الأساطير التي ما أنزل اللَّه بها من سلطان، وأينما اتجهت في كتاب «المشارق» للبُرسي لا تقع العين إلَّا على أمثال هذه الغرائب التي تنفّر ولا تقرّب وتفرّق ولا تؤلّف وتمد أعداء الشّيعة بأشد الأسلحة فتكًا في التشيُّع لأهل البيت عليهم السلام.

وروى البرسي عن عمّار بن ياسر أنَّ أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام قال: باسمي تكونت الكائنات والأشياء، وما سَمّى ودعا سائر الأنبياء، وأنا اللوح والقلم وأنا العرش والكرسي، وأنا السموات السبع والأسماء الحسنى والكلمات العليا وأين كان محمد كان إسم علي ولا عكس. ومضى يقول: وإلى ذلك الإشارة في قوله تعالى في صدر القرآن: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾[1] فالكتاب علي لا ريب فيه، والتقوى هي حبُّ علي عليه السلام والذين يؤمنون بالغيب، أي يؤمنون بالرجعة.

ومضى يفسّر الآيات بعلي والقائم من ولده معتمدًا على المرويات التي رواها علي بن حسان وعبد الرحمن بن كثير وغيرهما من الغُلاة في تفسيرهم المعروف بتفسير الباطن.

وقد نسَبَ الشيخ البرسي رحمه اللَّه وغفر له إلى علي أمير المؤمنين الكثير من الأوصاف والنعوت التي لا تجوز على غير علّام الغيوب زاعمًا أنَّ عليًّا وصف نفسه بها في خطبته التي أسماها التطنجيين[2]: أنا الناظر إلى المغربين والمشرقين رأيت رحمة اللَّه والفردوس رأي العين وهو في البحر السابع يجري في الفلك في زخاخيره النجوم والحبك، ورأيتُ الأرض ملتفّة كالتفاف الثوب القصور وهي زخرف من التطنج الأيمن ممّا يلي المشرق، والتطنجيان خليجان من ماء كأنهما أيسار تطنجين.

ومضى يقول: «ولقد علمت فيها ما كان وما يكون، ولقد علمت في الفرد الأول مع من تقدّم من آدم الأول، ولقد علمت ما في الفردوس الأعلى وما تحت السابعة السفلى وما في السماوات العلى وما بينهما وما تحت الثرى، كل ذلك علم إحاطة لا علم أخبار، أقسم برب العرش العظيم لو شئت أخبرتكم بآبائكم وأسلافكم أين كانوا وممن كانوا وأين هم الآن وما صاروا إليه، فكم من آكل منكم لحم أخيه وشارب

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١، ٢.

(٢) التطنجيين كما يزعم البرسي خليجان من ماء.

برأس أبيه وهو يشتاقه ويرتجيه» إلى أن يقول: «أنا صاحب الخلق الأول قبل نوح الأول ولو علمت ما كان بين آدم ونوح من عجائب اصطنعتها وأمم أهلكتها فحق عليهم القول فبئس ما كانوا يفعلون، أنا صاحب الطوفان الأول، أنا صاحب الطوفان الثاني، أنا صاحب سيل العرم، أنا صاحب ثمود والآيات، أنا مدمرها، أنا منزلها، أنا مرجعها، أنا مهلكها، أنا مدبّرها، أنا بانيها وأنا داحيها، أنا مميتها وأنا محييها، أنا الأول وأنا الآخر، أنا الظاهر وأنا الباطن، أنا مع الكور قبل الكور، أنا مع الدور قبل الدور، أنا مع القلم قبل القلم ومع اللوح قبل اللوح، أنا صاحب الأزلية الأولية، أنا مدبر العالم الأول حيث لا سماؤكم هذه ولا غبراؤكم هذه» إلى غير ذلك من الصفات التي لا تليق بغير علّام الغيوب[1].

وجاء في خطبة غيرها نَسَبها البرسي إليه أنّه قال: «أنا عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد رسول الله إلَّا أنا، أنا ذو القرنين المذكور في الصحف الأولى، أنا صاحب خاتم سليمان، أنا ولي الحساب، أنا صاحب الصراط والموقف، أنا آدم الأول، أنا آية الجبار، أنا مورق الأشجار، أنا مفجّر العيون، أنا مجري الأنهار، أنا خازن العلم، أنا الراجفة، أنا الصاعقة، أنا أقمت السماوات بأمر ربي، أنا الذي لا يُبَدَّلُ القول لدي وحساب الخلق لي، أنا المفوّض إليه أمر الخلائق وأنا مقدر الأقوات، أنا ناشر الأموات، أنا منزل القطر، أنا منوّر الشمس والقمر والنجوم». إلى غير ذلك في حديث طويل لا يدع صفة من صفات الله ولا مِيْزَةً للّه إلَّا ويلصقها بنفسه كما تنص على ذلك الخطبة المزعومة[2].

وكما ذكرنا، فأينما اتجهت في مشارق البرسي لا تجد فيه إلَّا الغرائب والعجائب والافتراء على الأئمة الهداة، وإني إذ أقف عند هذا الحدّ أعتقد بأني قد قمت بواجبي من التشهير بهذا النوع من الكتب حتى لا تكون سلاحًا بيد الدسّاسين والمرجفين والله من وراء القصد)[*].

---

(١) يعلّق السيد محمد حسن الكشميري على هذه الخطبة فيقول: هذه الخطبة عديمة السند ولا يقرّها علماء الإمامية ومصدرها واحد وهو كتاب مشارق أنوار اليقين لابن رجب البرسي وهو متهم بالغلوّ وهناك فئة ضئيلة تؤمن بهذه الأقاويل، المصدر: كتاب: «بين قوسين، جولة في دهاليز مظلمة» دار النصر/ بيروت، ط١ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م) ص٢٤٢.

(٢) انظر ص ١٦٦، ١٧٧، ١٧١ من مشارق البرسي.

(*) مقتبسة نقلاً عن كتاب «الموضوعات في الآثار والأخبار» من ص ٢٠٩ إلى ص ٣٠٢.

حديث الفرقة الناجية(*)

بدايةً لا بدّ لنا أن نقوم بجولةٍ حول مصادر الحديث عند الشِّيعة والسُنّة وكيف تلقّاه عُلماء الفريقَيْن.

أولًا: في المصادر السُّنيّة

ورد حديث الفِرقة الناجية في مجموعةٍ من المصادر الحديثيّة لأهل السُّنّة[1].

كلّها في النار إلّا واحدة

ففي مسند أحمد[2] أخرجه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنّ بني إسرائيل قد افترقت على اثنتين وسبعين فرقة وأنتم تفترقون على مثلها، كلّها في النار إلّا فرقة».

وفي موضع آخر من المسند[3] أخرجه عن أنس أيضًا قال «إنّ بني إسرائيل تفرّقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة، وإنّ أمّتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة فتهلك إحدى وسبعين وتخلص فرقة، قالوا: يا رسول الله من تلك الفرقة؟ قال: الجماعة الجماعة»[4].

وفي سنن ابن ماجة[5]: أخرجه بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ

(*) نقلاً عن كتاب «هل الجنة للمسلمين وحدهم؟» (قراءة في مفهوم الخلاص الأخروي) الشيخ حسين الخشن، إصدار المركز الإسلامي الثقافي/ بيروت ـ حارة حريك (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م) ط١، ص ١٧٤ ـ ١٩٦.

(١) وأهمّها: مسند أحمد، دار صادر، بيروت/ لبنان، لا، ط، لا، ت، ج ٣، ص ١٢٠؛ والسجستاني، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ)، سنن أبي داوود، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، لا. م، ط ١، ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٣٩٠؛ وسنن الترمذي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، ط٢، ١٩٩٣م، ج ٤، ص ١٣٥؛ وسنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لا، ط، لا، ت، ج ٢، ص ١٣٢١ ـ ١٣٣٢؛ والنيسابوري، الحاكم (ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، لا. ط، لا. ت، ج ١، ص ١٢٩ ـ ١٣٨؛ الدارمي، وعبد الله بن بهران (ت ٢٥٥هـ)، سنن الدارمي، لا. ت، دمشق ـ سوريا، لا. ط، ١٣٤٩م، ج ٢، ص ٢٤١، إلى غيرها من المصادر.

(٢) ج ٣، ص ١٠.

(٣) ج ٣، ص ١٤٥.

(٤) وعلّق عليه الحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧ هـ) في مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، لا. ط، ١٩٨٨م، بالقول: «وفيه عبد الله بن سفيان العقيلي لا يُتابع على حديثه» ج١، ص١٨٩.

(٥) ج ٢، ص ١٣٢١ ـ ١٣٣٢.

«تفرّقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة».
وأخرجه عن أنس وهو نظير الحديث المتقدّم عنه في مسند أحمد[1].

وفي سنن داوود[2] أخرجه عن أبي هريرة كما في سنن ابن ماجة، أي أنّه أشار إلى انقسامها إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة دون التعرّض لِذكر الناجين والهالكين.
وأخرجه عن معاوية بن أبي سفيان مع الزيادة المذكورة[3].

ورواه الحافظ أبوبكر عمرو بن أبي عاصم الضحّاك الشيباني (ت ٢٨٧هـ) في كتاب السنّة[4].

كلّها في الجنة إلّا واحدة

وفي مقابل ذلك فإنّ ثمّة روايةً أخرى للحديث معاكسةٌ للرّواية السّابقة، قال العجلوني[5]: «ورواه الشعراني في الميزان من حديث ابن النجّار وصحّحه الحاكم بلفظ غريب وهو: «ستفترق أمّتي على نيّف وسبعين فرقة كلّها في الجنّة إلّا واحدة»، وفي رواية الديلمي: «الهالك منها واحدة»، وقال العلماء: هي الزّنادقة، وفي هامش الميزان المذكور عن أنس عن النبيّ ﷺ بلفظ «تفترق أمّتي على بضعٍ وسبعين فرقة كلّها في الجنّة إلّا الزّنادقة . . .» وأضاف العجلوني: «ثم رأيت ما في هامش الميزان مذكورًا في تخريج أحاديث مسند الفردوس للحافظ ابن حجر ولفظه:

---

(١) وقال في مجمع الزوائد، مصدر سابق، تعليقاً عليه: «إسنادٌ صحيحٌ، رجاله ثُقات»، وأخرجه أيضاً عن عوف. وقال في مجمع الزوائد، مصدر سابق: «إسناد حديث عوف بن مالك فيه مقال».

(٢) ج ٢، ص ٣٩٠.

(٣) وعلّق في المستدرك، مصدر سابق، على حديث معاوية قائلاً: «هذه أسانيد تقام بها الحجّة في تصحيح هذا الحديث. . .» ج ١، ص ١٢٨.

(٤) انظر: الشيباني، عمرو بن أبي عاصم الضحاك (ت ٢٨٧هـ)، كتاب السُنّة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط ٣، ١٩٩٣ م، ص ٢٨ و٣٣، وعلّق عليه الشيخ المحقق الألباني بالقول: «حديثٌ صحيح، ورجاله ثُقات على ضعف في هشام بن عمّار، والحديث أخرجه ابن ماجه بإسناد المصنف هذا (يقصد عمرو بن أبي عاصم) وصحّحه البوصيري، والحديث صحيحٌ قطعاً، لأنّ له ستَ طرقٍ أخرى عن أنس، وشواهد عن جمع من الصحابة. . . إلى أن قال: وقد ضلّ بعض الهلكى من متعصّبة الحنفيّة في ميله إلى تضعيف هذا الحديث مع كثرة طُرُقه، لمخالفته لهوى في نفسه».

(٥) العجلوني، إسماعيل بن محمد (ت ١١٦٢ هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط ٢، ١٩٩٨ م، ج ١، ص ١٥٠.

«تفترق أمّتي على بعضٍ وسبعين فرقة كلّها في الجنّة إلّا واحدة وهي الزّنادقة»، أُسنِدَ عن أنس، وأخرجه أبو يعلى من وجه آخر».

ولكنّ ابن الجوزي أورده بهذه الصيغة الأخيرة[1] من ثلاثة طرقٍ وقال: «هذا الحديث لا يصحّ عن رسول الله، قال عُلماء الصناعة: وضعه الأبرد وكان وضّاعًا كذّابًا...».

وما ضعّفه ابن الجوزي قال عنه البشاري المقدسي: «إنّ حديث، اثنتان وسبعون في الجنّة وواحدةٌ في النّار، أصحُّ إسنادًا، وحديث، اثنتان وسبعون في النّار وواحدةٌ ناجية، أشهر»[2].

وهكذا مال الشيخ محمد عبده إلى هذه الصيغة، فقال على ما حُكي عنه: «وممّا يسرني ما جاء في حديث آخر أنّ الهالك منها واحدة»[3].

ثانيًا: في المصادر الشِّيعيّة

وأمّا في المصادر الشِّيعيّة فقد رواه كلٌّ من الكليني والصدوق والخراز القمّي والمُفيد:

١ ـ أما الكليني فقد رواه بسنده إلى أبي خالد الكابليّ عن أبي جعفر عليه السلام وفيه: «إنّ اليهود تفرّقوا من بعد موسى على إحدى وسبعين فرقة منها فرقة في الجنّة وسبعون فرقة في النّار، وتفرّقت النصارى بعد عيسى عليه السلام على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها في الجنّة وإحدى وسبعون في النّار، وتفرّقت هذه الأمّة بعد نبيّها صلى الله عليه وآله وسلم على ثلاثٍ وسبعين فرقة؛ اثنتان وسبعون فرقة في النّار وفرقة في الجنّة، ومن الثلاث وسبعين فرقة، ثلاث عشرة فرقة تنتحل ولايتنا ومودّتنا، اثنتا عشرة فرقة، منها في النّار وفرقة في الجنّة، وستّون فرقة من سائر النّاس في النّار»[4].

---

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن بغدادي (ت ٩٧٥ هـ)، الموضوعات، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط ١، ١٩٦٦م، ج ١، ص ٢٦.

(٢) نقله الغزالي، الشيخ محمد في كتابه: «دفاع عن العقيدة والشّريعة ضدّ مطاعن المستشرقين»، دار نهضة مصر، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٦م، ص ١٩٠.

(٣) الصافي، الشيخ لطف الله، مجموعة الرّسائل، نسخة إلكترونية مدرجة ضمن أقراص مكتبة آل البيت عليهم السلام، ج ٢، ص ٢١٩.

(٤) الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران/ إيران، ط٥، ١٩٨٣م، ج ٨، ص ٢٢٤.

ويُلاحظ على هذه الرواية:

أوّلًا: ضعف السند[1].

ثانيًا: إنّ الحديث مرويٌّ عن الإمام الباقر عليه السلام وهو يفترض أنّ تَفَرُّقَ الأمّة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة قد حصل، لأنّه قال: «وتفرّقت هذه الأمّة»، مع أنّ من المعلوم أنّ الفِرَق الإسلاميّة لم يصل عددها في زمانه إلى الرقم المذكور، بل إنّ بعضها تشكّلت في مرحلة لاحقة، وهكذا فإنّ الفِرقَ الشِّيعيّة لم يصل عددها في زمانه إلى ثلاث عشرة فرقة، ولو أنَّ الفِرَقَ الإسلامية بلغت العدد المذكور في عصر الباقر عليه السلام، فأين تندرج سائر الفِرَقَ التي تكوّنت بعد عصره؟ فهل هي خارج نطاق الفرق الإسلامية؟! إنّ ذلك مستبعد ولا وجه له، الأمر الذي يجعلنا أمام مصداقية الحديث على ضوء الواقع.

٢ ـ وأمّا الشيخ الصدوق فقد رواه بثلاثة طرقٍ في كتابه الخصال:

وفي الطّريق الأوّل روى حديث أنس بن مالك المتقدّم في المصادر السُّنيّة والذي ينصّ على افتراق الأمّة إلى اثنتين وسبعين فرقة، ويحدّد الفرقة الناجية بأنّها الجماعة[2].

ونحوه ما جاء في الطريق الثاني، وهو لا يصحّ سندًا كالطريق الأوّل.

وأمّا الطّريق الثّالث: فهو أفضلها حالًا، رواه بسنده إلى القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد عن أبي بصير ومحمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه علّم أصحابه في مجلسٍ واحدٍ أربع مائة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه، وفيه «...وستفترق هذه الأُمّة على ثلاثٍ وسبعين فرقة واحدة في الجنّة»[3].

---

(١) لاشتماله على أبي خالد الكابلي وهو كنكر الذي لم تثبت وثاقته. وأما الرّوايات التي رواها الكشي في وثاقته فهي ضعيفة السّند باستثناء رواية واحدة لكنّها لا تدلّ سوى على حسن العقيدة، كما أنّ وجوده في رجال كامل الزيارات لا ينفع في إثبات الوثاقة، ولذا عبّر المجلسيّ عن الخبر بأنّه حسن، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٧٠هـ. ش، ج٢٦، ص ١٥٣.

(٢) الخصال، مؤسسة النشر الإسلامية، قُمّ/إيران، لا. ط، ١٤٠٣هـ، ص٦٣٦.

(٣) فبينما ضَعَّفه جماعة من الفقهاء لاشتماله على القاسم بن يحيى والحسن بن راشد اللّذين لم تثبت وثاقتهما، فقد حاول آخرون توثيقهما ببعض الوجوه، ومنهم السيّد الخوئي، وغيره، راجع: الحكيم، السيد محمد سعيد، الكافي في أصول الفقه، قُمّ/إيران، ط٢، ١٤٢٢هـ، ج٢، ص٣٩٠.

ويلاحظ: أنّ الرواية لم تذكر أنّ اثنتين وسبعين في النّار، ممّا يحول دونه توجّه بعض الإشكالات عليها، إلَّا أن يُقال: إنَّ ذلك قد يستفاد من تخصيص واحدة بالجنّة. وعلى كلّ حال فإنَّ سند هذا الحديث المعروف بحديث الأربعمائة، محلّ جدلٍ بين العلماء[1]. ولو صحّ هذا الحديث سندًا، فإنَّ بعض الإشكالات الآتية تبعث على التشكيك في صدوره عن رسول الله ﷺ.

٣ ـ وأمّا الخزار القمّي (ت٤٠٠هـ) فقد رواه بسنده إلى علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ ستفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة، منها فرقةٌ ناجيةٌ والباقون هالكة، والناجية: الذين يتمسكون بولايتكم ويقتبسون من علمكم ولا يعملون بآرائهم فأولئك ما عليهم من سبيل...»[2].

وهذه الرواية مضافًا إلى ضعفها سندًا، فإنّها مبتلاة بالملاحظات الدلالية الآتية.

٤ ـ وأمّا المفيد فقد رواه بإسناد ضعيف إلى أمير المؤمنن عليٍّ عليه السلام، ونصّه كما يلي: «لتفرَّقنَّ هذهِ الأُمّة على ثلاثٍ وسبعن فرقة، والذي نفسي بيده إنَّ الفِرَقَ كلَّها ضالّة إلّا من اتّبعني وكان من شيعتي»[3].

ويلاحظ أنّ هذه الرواية وبصرف النظر عن ضعف سندها لا تتضمّن حُكمًا عامًا بهلاك الفِرَقَ الضالّة واستحقاقها العذاب الأبدي، الأمر الذي وقع محلاً للإشكال كما سيأتي.

ثالثًا: الرافضون للحديث من العلماء

ثمّة عُلماء كثيرون رفضوا حديث الفرقة الناجية بصيغته المعروفة «كلّها في النّار إلاّ واحدة» وضعّفوه سندًا أو دلالة، أو أنكروا الفقرة المذكورة، أو أوّلوا الحديث وأخرجوه عن ظاهره، وبعضهم فتح باب التّشكيك فيه، وإليك بعض كلماتهم:

١ ـ ابن حزم: نقل جماعة عن ابن حزم في كتاب الإيمان من الفِصَل قوله:

---

(١) القُمّي، علي بن محمد بن علي الخزازا (ت٤٠٠هـ)، كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، انتشارات بيدار، قُمّ/ إيران، ط١ (١٤٠١هـ) ص١٥٥.

(٢) راجع: الخصال، مصدر سابق، ص ٥٨٤.

(٣) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ ـ ٤١٣ هـ)، أمالي المفيد، تحقيق: علي أكبر الغفاري وحسين الأستاذ ولي، مؤسسة النشر الإسلامي، قُمّ ـ إيران، ط ٢، لا. ت، ص ٢١٢ ـ ٢١٣.

«ذكروا حديثًا عن رسول الله ﷺ أنّ القدريّة والمرجئة مجوس هذه الأمّة»، وحديثًا آخر: «تفترق هذه الأمّة على بضعٍ وسبعين فرقة كلّها في النّار حاشا واحدة»، وهذان حديثان لا يصحّان أصلًا من طريق الإسناد، وما كان هكذا فليس بحجّة عند من يقول بخبر الواحد، فكيف عند من لا يقول به»[١].

لكن الذي يظهر من ابن حزم[٢] في بعض كتابه اعتماده على الحديث.

٢ ـ ابن الوزير في كتاب العواصم والقواصم: يقول «إيَّاك أن تغترّ بزيادة كلّها في النار إلّا واحدة فإنّها فاسدة، ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة»[٣].

٣ ـ البشاري المقدسي في أحسن التقاسيم: وقد تقدّم نقل كلامه.

٤ ـ المحدّث الشيخ محمد زاهد الكوثري: يقول: «وقد وردت أحاديث في افتراق الأمّة على ثلاثٍ وسبعين فرقة، منها ما لا نصّ فيه على الهالك، ومنها ما فيه بيان أنّ واحدة منها ناجية والباقين هلكى، ومنها ما يعدّهم كلّهم ناجين سوى واحدة وهي الزنادقة، وقد اختلف أهل العلم في ثبوت تلك الأحاديث وعدم ثبوتها كُلًّا أو بعضًا»[٤].

٥ ـ الشوكاني يقول إنّ زيادة كلّها في النّار لم تَصُحّ لا مرفوعة ولا موقوفة[٥].

٦ ـ العلّامة صالح المقبلي اليماني، يقول:

«حديث افتراق الأمّة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة رواياته كثيرة يشدّ بعضها بعضًا بحيث لا يبقى ريبة في حاصل معناها... والإشكال في قوله: «كلّها في النّار إلّا ملّة»، فمن المعلوم أنّهم خير الأمم، وأنّ المرجوّ أن يكونوا نصف أهل الجنّة، مع أنّهم في سائر الأمم كالشّعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور

---

(١) نقله عنه الشيخ عبد المتعال الصعيدي، انظر: مجلة رسالة الإسلام الصادرة عن جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية، السَّنَة الثالثة، العدد الثاني، نيسان ١٩٥١م، المجلّد الثالث ص ١٨٢، ونقله عنه أيضاً الشيخ محمد الغزالي في كتابه دفاع عن العقيدة والشريعة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٩٦م، ص ١٩٠.

(٢) الآمدي، علي بن محمد (ت ٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق العفيفي، المكتب الإسلامي، ط ٢ع، لا. ت، ج ٨، ص ١٠٦٨.

(٣) رسالة الإسلام، مصدر سابق، ص ١٨٢؛ ودفاع عن العقيدة والشريعة، مصدر سابق، ص ١٩٠.

(٤) رسالة الإسلام، المصدر السابق، ص ١٨٩.

(٥) فيض القدير، في شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ١٤١٥هـ، ج٢، ص٣٥٨.

الأبيض حسبما صرّحت به الأحاديث، فكيف يتماشى هذا؟! فبعض الناس تكلّم في ضعف هذه الجملة وقال: هي زيادة غير ثابتة، وبعضهم تأوّل الكلام بأنّ الفرقة الناجية صالحو كلّ فرقة».

ثمّ إنّه قسّم الناس إلى عامّة وخاصّة، وأخرج العامّة عن العذاب والابتداع وهم الأكثريّة، وأضاف: «فأفراد الفرقة المبتدِعة وإن كثرت لا يكون مجموع أفرادهم جزءًا من ألف جزءٍ من المسلمين»[1].

٧ ـ الشيخ عبد المتعال الصعيدي، فقد طعن في سند الحديث، ونقل كلمات العلماء الرافضين له أو المشكّكين فيه، ولاحظ على عُلماء الكلام والخصام أنّهم «بنوا هذا على حديث اشتهر فيما بينهم، من غير أن يبحثوا في صحّته من جهة سنده، ومن جهة ملاءمته لطبيعة الإسلام وانسجامه مع أصوله المعلومة منه بالضرورة»[2].

٨ ـ الشيخ محمد الغزال: يظهر منه التشكيك في الحديث، وقد نقل بعض كلمات الطاعنين فيه، ممّا تقدّم نقله[3].

٩ ـ الشّيخ حسن السقّاف: رأى أنّ الحديث باطلٌ سندًا ومتنًا، وسجّل مجموعة من الملاحظات النقديّة عليه بحسب الموازين الحديثيّة لأهل السُّنة، قال: نحنُ نجزم ببطلان هذا الحديث سواءً بزياداته أم بدونها والتي منها: «كلّها في الجنّة إلّا واحدة»، ثم بعد أن أورد عليه عدّة ملاحظات دلالية وسندية قال: فنحن لا ننكر أنّ هناك افتراقًا، ولا ننكر وجود فِرقٍ متخالفة في آرائها، ولكنّنا ننكر العداد لها بثلاثٍ وسبعين، وننكر كونها في النّار، وننكر كلّ ما يفيده هذا الحديث من أفكار، وأهمّها أنّ هناك فرقةً واحدة ناجيةٌ وهي ما يسمّونه بالفرقة الناجية، واحتكار دخول الجنّة على أفراد هذه الطائفة المزعومة! فهذا الذي ننكره ونجزم ببطلانه حسب المقاييس العلميّة الثابتة»[4].

---

(١) المقبلي، صالح بن مهدي (ت ١١٠٨ هـ)، بحث في حديث افتراق الأمّة، تحقيق: عبد الله بن يحيى السريحي، المجمع الثقافي ـ هيئة «أبوظبي» للثقافة والتراث، وهو منشور على موقع الوراق الإلكتروني.

(٢) رسالة الإسلام، مصدر سابق.

(٣) راجع كتابه: دفاع عن العقيدة والشّريعة، مصدر سابق، ص ١٧١، ١٧٣.

(٤) راجع مجلة المعارج القرآنية، مجلة شهرية متخصصة بالدراسات القرآنية، صاحبها الشيخ حسين شحادة، دمشق ـ سوريا، العدد ٤٣، ص ١٠١ ـ ١٠٣.

الحديث على طاولة النقد

ويمكن أن نسجّل على الحديث المذكور مجموعةً من الملاحظات في سنده ومتنه، وهي بمجموعها ترسم علامة استفهامٍ كبيرةً حوله وتثير الريبة والشكّ بشأنه.

١ ـ ضعف الإسناد

بالنسبة لسند الحديث فقد تبيّن لنا ممّا سبق أنّه غير نقي، سواءٌ من طُرق السُّنّة أو طُرق الشِّيعة، أمّا من طُرق السُّنّة، فلاشتماله ـ على ما قيل ـ على الضعاف بحسب موازينهم الحديثيّة[١]، وأمّا من طُرق الشِّيعة فهو أيضًا غير نقيّ السّند سواء في رواية الكليني أو الصدوق أو القمّي أو المفيد.

على أنّ ثمّة ملاحظة أساسيّة هنا لا بدّ من التوجّه إليها وهي أنّ المورد هو من أمّهات القضايا العقديّة التي يتحدّد بموجبها المصير الأخرويّ لغالبيّة الفِرَق الإسلاميّة، حيث ينصّ الحديث على أنّهم من أهل النّار، ومن المعلوم أنّ قضايا الاعتقاد لا يمكن إثباتها والاستدلال عليها بأخبار الآحاد حتّى لو كانت صحيحة السّند، فضلًا عن الضّعيف منها.

ودعوى تواتر الحديث مجازفة، لأنّ أسانيده لا ترقى إلى التواتر، لا سيّما بملاحظة المضعّفات الكيفيّة الآتية، التي تبطىء من سرعة حصول الاطمئنان به، فضلًا عن اليقين.

وأمّا أن يقول قائل: بأنّه بعد تضافر الرّوايات من طُرق الفريقَيْن على مضمونٍ واحد، فإنّ ذلك يوجب حصول الوثوق والاطمئنان بصدور الحديث عنه ﷺ، لأنّ هذه الأسانيد المتعدّدة يشدّ بعضُها بعضًا ويعضد أحدُها الآخر.

---

(١) قال الشيخ عبد المتعال الصعيدي: «وممّا طعن به في سند الحديث أنّ فيه محمد بن عمرو اللّيثي وهو «ممّن أخرج له الشيخان في المتابعات فقط، ومثله لا يُحتجّ بحديثه إذا لم يتابع، وقد قال فيه الذهبي: محمد بن عمرو اللّيثي لم يُحتجّ به منفرداً ولكن مقروناً بغيره، وكذلك في بعض سنده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وفي بعضه كثير بن عبد الله، وفي بعضه عبّاد بن يوسف وراشد بن سعد، وفي بعضه الوليد بن مسلم، وفي بعضه مجاهيل، كما يظهر من كتب الحديث» (رسالة الإسلام مصدر سابق، ص ١٨٢)، وممن أشار إلى ضعف سنده بحسب موازين أهل السُنّة؛ الشيخ حسن السقّاف في مجلة المعارج، مصدر سابق، العدد ٤٣، ص ١٠١.

فجوابه، أنّ الملاحظات الآتية على دلالة الحديث ومضمونه تحول دون حصول الاطمئنان بصدوره، فهي من المضعّفات الكيفيّة المانعة من حصول الوثوق به، فضلًا عن القطع بصدوره عنه ﷺ، ولهذا فإمّا أن يُطرح الحديث ويُرفض، أو يُردّ علمه إلى أهله.

وخلاصة القول: إنّ الحديث ليس متواترًا ولا هو مُحْتفٌّ بما يبعث على الوثوق والاطمئنان وكون الرواية مرويّة من طُرق الفريقَيْن لا يوجب حصول اليقين بها ولا سيّما بملاحظة الإشكالات الآتية.

٢ ـ علامات الوضع والاضطراب

وأمّا متن الحديث فهو مضطربٌ جدًّا، بل إنَّ علامات الوضع لائحةٌ عليه، وعلى الأقل على بعض فقراته، وإليك بعض وجوه الاضطراب والاختلاف في روايته:

أ ـ الاختلاف في عدد فرق أمّته ﷺ: ففي بعض طُرق الحديث ورد أنّ أمّته ﷺ ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة[١]، وفي بعضها أنّها ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقة[٢]، وبعضها تشير إلى افتراقها إلى ثلاث فرقٍ أو أربع[٣].

ب ـ الاختلاف في عدد الفِرَق الناجية أو الهالكة، فبينما تحدّد غالب الرّوايات الفِرَق الهالكة بـ(٧٢) أو (٧١) فرقة، تبعًا للاختلاف الآنف في عددها، نجد بعضها يعكس الأمر، فيذكر أنّ الهالك منها هو فرقة واحدة والباقي في الجنّة[٤]، كما أنّ بعضها يذكر أنّ الناجي ممّن كان قبلكم هو ثلاث والباقي هالك[٥]، وأمّا أبو هريرة فإنّه يروي الحديث دون أن يَرِدَ فيه أيّة إشارة بشأن الناجي والهالك من الفِرَق[٦].

---

(١) كما في مسند أحمد من رواية أنس، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٢٠، وقد أوردها الصدوق في الخصال، مصدر سابق، ص ٥٨٤.

(٢) كما في رواية ابن ماجه في سننه، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٢٢، وكما في الرواية الأخرى للصدوق في الخصال أيضاً، مصدر سابق، ص ٥٨٥.

(٣) بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت/لبنان، ط٢، ١٩٨٣م، ج ٢٨، ص ٩ و١٠.

(٤) كشف الخفاء، مصدر سابق، ج ١، ص ١٥٠.

(٥) كتاب السُنّة لعمرو بن أبي عاصم الضحاك (ت ٢٨٧ هـ)، مصدر سابق، ص ٣٥ و٣٦.

(٦) سنن ابن ماجه، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٣٢.

ج ـ الاختلاف إلى حدّ التباين في توصيف وتحديد الفرقة الناجية والفِرق الهالكة، بحيث نلاحظ أنّ كلّ فرقة «أعطت لختام الحديث الرواية التي تناسبها، فأهل السُّنّة جعلوا الفرقة الناجية هي أهل السُّنّة، والمعتزلة جعلوها فرقة المعتزلة، وهكذا»[1]، فبعضها يقول في وصف الفرقة الناجية إنّها «الجماعة»[2]، أو «ما أنا عليه وأصحابي»[3]، أو «الإسلام وجماعتهم»[4]، وفي المقابل يُروى عن الإمام علي عليه السلام تفسيره للفرقة الناجية بأنّها «شيعته»[5]، إلى غير ذلك من تحديداتٍ متناقضة أو تعبيراتٍ شكّلت مصطلحات تكوّنت في وقتٍ لاحقٍ على عصر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا بالنسبة للفرقة الناجية، والأمر عينه نجده في تحديد الفِرَق الهالكة أوبعضها، ففي بعض الأخبار ترد جملة «من أعظمها ـ أي الفِرَق الهالكة ـ فتنة على أمّتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيُحلّون الحرام ويحرّمون الحلال»[6]، في إشارةٍ إلى أتباع أبي حنيفة، وبعضها يستثني من النّاجين الزّنادقة[7].

ويُنقل أنّ بعضهم تلاعب في متن الحديث فذكر في آخره: «من أخبثها الشِّيعة»[8]، إلى غير ذلك من وجوه التعارض التي تثير الريبة في الحديث، وتقوّي احتمال كونه موضوعًا بداعي الانتصار المذهبي، كما تشهد له التعبيرات الآنفة.

ومن المحتمل أنّ يد السياسة كان لها دور في نسج هذا الحديث، بهدف إلهاء الأمّة وإشغالها بالانقسامات الداخليّة التي سوف تنشأ على خلفيّة انحصار النّجاة في فرقة واحدة من نيّفٍ وسبعين فرقة.

ويؤيّد ذلك تلاعب الأهواء في تفسير «الجماعة»، فقد سأل يزيد الرقاشي أنس أين الجماعة؟ فأجابه: «مع أمرائكم مع أمرائكم»[9]، وهذا ما نلمسه في حديث

---

(١) البدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٧م، ج ١، ص٣٤.
(٢) مسند أحمد، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٤٥ من رواية أنس بن مالك.
(٣) المستدرك، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢٩.
(٤) المستدرك، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٨.
(٥) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج ٢٦، ص ١٨٦، وج ٢٤، ص ١٤٦.
(٦) المستدرك، مصدر سابق، ج ٣، ص ٥٤٧، وج ٤، ص ٤٣٠.
(٧) كشف الخفاء، مصدر سابق، ج ١، ص ١٥٠.
(٨) المعارج، مصدر سابق، العدد ٤٣، ص ١٠٣.
(٩) مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج ٦، ص ٢٢٦.

آخر يتّجه إلى الإشادة بالشام عمومًا ودمشق ـ عاصمة الأمويّين ـ خصوصًا، وأنّها ستكون الحصن والملجأ من هول الفتن والانقسامات عند تفرّق الأمّة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة[١].

٣ ـ موجبات العذاب

ثمّ إنّ الحكم على طائفة بالضلال والعذاب بالنار، لا يكون لمجرّد الاختلاف في القضايا النظريّة التي يُؤجَر فيها المجتهد إن أصاب ويُعذَر إن أخطأ، بل يكون في القضايا الضروريّة والمفصليّة والمتّصلة بالعقيدة، ومن المعلوم أنّ عدد المذاهب الإسلاميّة التي تختلف في القضايا الجوهريّة بما يبرّر عدّها طوائف متعدّدة، لا يتجاوز عدد أصابع اليد من قبيل: الشِّيعة والمعتزلة والخوارج والأشاعرة والمرجئة.

هذا كلّه لو أخذنا في تعداد المذاهب والفِرَق معيار الاختلاف في الأصول الأساسيّة، وأمّا لو توسّعنا في ذلك المعيار المسبِّب للاختلاف وأدخلنا الاختلافات العقديّة التفصيليّة، وأخذناها بعين الاعتبار فسوف يزيد عدد الفِرَق عن الرقم المذكور، فربما بلغت المئات، ولو أدخلنا الاختلافات الفقهيّة لزاد العدد عن ذلك بكثير كما لا يُخفى.

وربّما يُقال: إنّ المقصود هو افتراقها في العقائد، وهي وإن زادت على العدد المذكور كما هو مضبوط في محلّه، «لكن بعد ردّ بعضها إلى بعض يتمّ العدد المذكور، إذ لا شُبهة في أنّ معتقد بعض الفِرَق لا يوجب الخروج عن مذهب الأخرى وإن خالفت عقائدها، بخلاف بعض الفِرَق الأخرى فإنّها توجب الخروج عنها. على أنّه يجوز أن يكون بين الأصول مخالفة تبلغ العدد، أو أنّها بلغت في وقت من الأوقات ثم زادت أو نقصت، أو أنّ البعض أخفى أصل مذهبه لقيام الضرورة من الدّين على خلافه»[٢].

ويلاحظ عليه، أنّ حديث افتراق الأمّة بسياقه المذكور ـ وعلى فرض صحّته ـ لا يخلو من إعجاز نبويّ، كما في سائر تنبّؤاته وإخباراته المستقبلية، الأمر الذي يحتّم

---

(١) مجمع الزوائد، مصدر نفسه، ج ٧، ص ٣٢٤.

(٢) انظر: آل صاحب الجواهر، الشيخ محمد محسن شريف، مجلة تراثنا: مجلة متخصصة بالتراث صادرة عن مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قُمّ ـ إيران، ج ٤٢، ص ٢٧٧.

أن يكون الافتراق واضحًا وجليًّا ليتحقّق الإعجاز، أما إذا كان قابلًا للتأويل والتكلّف، واحتجنا إلى ردّ بعض الفِرَق إلى البعض الآخر، أو إلى افتراض أنّها زادت ثم نقصت أو إلى أنّ بعضها قد أخفى مذهبه فهذا يتنافى واللّسان الإعجازي المذكور.

٤ ـ الخلود أو الدخول في النار

ثمّ ما المقصود بِكَون اثنتين وسبعين فرقة في النّار؟ هل المقصود خلودهم فيها أو مجرّد الدّخول إليها؟

إنْ أُريد الخلود فهو مخالف للإجماع على أنّه لا يُخلّد في النّار إلَّا المشركون والكافرون[(١)]، وقد نصّت على ذلك روايات الفريقين أيضًا، كما لاحظنا في ثنايا الفصول السابقة، وإن أُريد مجرّد الدّخول فهو «مشترك بين الفِرَق كلّها إذ ما مِن فرقةٍ إلَّا وبعضها عُصاة، والقول بأنّ معصية الفرقة الناجية مطلقًا مغفورة بعيدٌ جدًا»، كما نُقل عن الدواني[(٢)]. ومخالفٌ للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[(٣)]، وأبعد منه دعوى أنّ الفِرَق غير النّاجية لا يدخل منها أحدٌ إلى الجنّة.

٥ ـ الحديث في ميزان العدل الإلهي

ومع غضّ النّظر عمّا تقدّم فإنّ الحُكم على اثنتين وسبعين فرقة من فِرق المسلمين ومن أبناء أمّته ﷺ بدخول النّار، كما هو مفاد الحديث، لا يخلو من غرابة، بل إنّه يتنافى وأصول العدل الإلهيّ، وبيان ذلك:

إنّ لفظ الفِرقة يضمّ ويشمل كلّ من ينتسب إليها صغيرًا كان أو كبيرًا، عاقلًا أو مجنونًا، عالمًا أو جاهلًا، قاصرًا أو مقصّرًا، ومعلومٌ أنّ منطق العدل يقتضي ألا يعذّب ولا يعاقَب سوى البالغ العاقل العالم بالحقّ الجاحد له، وهذا الفرد نادر

---

(١) ادّعى الإجماع المذكور جَمْعٌ من علماء السُّنّة وعلماء الشّيعة، راجع أوائل المقالات، مصدر سابق، ص ١٤، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر، مصدر سابق، ص ٢٣٦؛ والعيني (ت٨٥٥هـ)، عمدة القاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، لا. ط، لا. ت، ج ١، ص ٢٦١؛ والقطيفي، الشيخ إبراهيم (القرن العاشر الهجري)، الفرقة الناجية دار الملاك ـ بيروت ـ لبنان، ط ١ (٢٠٠٠م) ص ٨.

(٢) نور البراهين للسيّد نعمة الله الجزائري، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

الوجود في كلّ الفِرَق والأديان، أمّا الغالبيّة العظمى فهم إمّا صغارٌ غير بالغين، أو كبارٌ بالغون لكنّهم جازمون بصحّة ما هم عليه، ولا يحتملون صحّة المذاهب أو الأديان الأخرى، والصغير، كما هو واضح، يَقْبُحُ عقابه، وكذلك المجنون، لعدم التكليف بالنسبة لهما، بسبب فقد العقل أو التمييز، كما أنّ الكبير الجازم بصحّة معتقده معذورٌ، ولا تصحّ معاقبته ومؤاخذته، حتى لو كان كافرًا، لأنّ قطعه يشكّل عذرًا له، وإذا كان غالب الكفّار معذورين بسبب جهلهم القصوري، كما تقدّم عن بعض العلماء، فإنّ المسلمين ليسوا أسوأ حالًا من الكفّار.

وربّما يُقال: بأنّ الحديث عامٌّ، وما من عامٍّ إلّا وقد خُصَّ، فلا بدّ من استثناء الصغّار والمجانين والكبار القاصرين من العقوبة، هذا وإن لم ندّعِ أنّ بعضهم خارجٌ تخصّصًا، كما هو الحال في المجانين والأطفال.

والجواب: إنّه لو استثنينا هؤلاء وأخرجناهم عن منطوق الحديث فلا يبقى داخِلًا تحته إلّا القلّة القليلة ممّا لا يبرّر إطلاق لفظ الفرقة عليهم، بل إنّ لازم ذلك تخصيص الأكثر وهو قبيح ومستهجن عند العقلاء.

وانطلاقًا من هذه الملاحظة فقد طعن بعض العلماء في الحديث كلّه أو في خصوص زيادة «كلّها في النار إلّا واحدة»، وربما اعتبر ذلك مرجّحًا للروايات التي خلت من الزيادة المذكورة.

٦ ـ مخالفة الحديث للكتاب والسنّة

وسجّل بعضهم[(١)] ملاحظة أخرى على الحديث وهي مخالفته للقرآن الكريم في قوله تعالى بشأن هذه الأمّة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا... ﴿١٤٣﴾﴾[(٣)] فهذه الآيات تقرّر أن هذه الأُمّة هي خير الأُمم وأنها أوسطها أي أعدلها وأفضلها، وأمّا الحديث المذكور فيقرّر أنّ هذه الأمّة شرّ الأمم وأكثرها فتنة وفسادًا وافتراقًا، فاليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، ثم جاء النصارى فكانوا، وفق منطق الحديث، شرًّا من ذلك وأسوأ، حيث افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة، ثم جاءت هذه الأمّة فكانت أسوأ وأسوأ، حيث

---

(١) مجلة المعارج، مصدر سابق، العدد ٤٣، ص ١٠٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

افترقت على ثلاثٍ وسبعين فرقة، فمعنى الحديث باطلٌ بصريح القرآن الكريم الذي يقرّر أنّ هذه الأمّة خير الأمم وأفضلها.

ولقائلٍ أن يقول: إنّ خيريّة هذه الأمّة على سائر الأمم ليست مطلقة، وإنّما هي مشروطة ـ بنصّ الآية الكريمة ـ بأمرين: وهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴿١١٠﴾﴾[1].

أمّا مخالفة الحديث للسُّنّة، فباعتبار أنّه بلحاظ زيادة «كلّها في النّار إلّا واحدة» معارض للأخبار المتواترة معنىً، التي تنصّ على أنّ من شَهِد أن لا إله إلّا الله وجبت له الجنّة ولو بعد عذاب، ومنها ما رواه البخاري: «إنّ الله حرّم على النّار من قال أن لا إله إلاّ الله يبغي بذلك وجه الله»[2]. وفي لفظ مسلم: «لا يشهد أحدٌ أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمدًا رسول الله فيدخل النار أو تطعمه»[3].

وقد يلاحظ على ذلك: بأنّ مرجع هذا الكلام إلى ما تقدّم من أنّه لو كان المقصود بدخول النّار في الحديث الخلود فيها، فهذا منافٍ لِمَا قام عليه الإجماع والنصّ من أن المُسلم لا يخلد في النار.

٧ ـ ما المقصود بالجماعة؟

وثمّة ملاحظة أخرى ترتبط بتوصيف وتحديد الِفرقة الناجية بوصف «الجماعة»، أو وصف «ما أنا عليه وأصحابي» وحاصل هذه الملاحظة، أنّ من المفهوم والواضح توقّف النجاة على اتّباع سُنّة النبيّ ﷺ بالإضافة إلى كتاب الله، لكن كيف يكون ما عليه الأصحاب سببًا للنّجاة؟ فإنّ الصحابة إن كانوا متّبعين لسُنّته ﷺ، كان اتّباعهم اتّباعًا للسُّنّة، وإن كانوا غير متّبِعين لها فلا يكون في اتّباعهم نجاة بل هلاك.

ثم ما المقصود بالجماعة؟

إن أُريدَ بهم الأمّة بأجمعها، فهذا خلاف المفروض في الحديث من افتراقها وتعدّدها، وإن أُريد بهم السواد الأعظم والأكثريّة فهذا لا يشكّل ضابطًا، لأنّ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) صحيح البخاري، مصدر سابق، ج ٣، ص ٦١.

(٣) صحيح مسلم، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٣.

الأكثريّة المذهبيّة كانت ولا تزال عُرضةً للتبدّل من زمنٍ لآخر ومن مرحلةٍ لأخرى، فرُبَّ أكثريّةٍ في مرحلة أصبحت أقليّة في أخرى، على أنّ الحقّ والباطل في المجال العقديّ لا يُوازن أو يُقاس بالأقليّة والأكثريّة، وإلّا لم يكن المسلمون أنفسهم على حقّ، لأنّهم أقليّة بالقياس إلى غيرهم في العالم.

٨ ـ التفرّق في الزمن القريب أو البعيد

وسجّل بعضهم على الحديث ملاحظة أخرى تتّصل بمتنه، من جهة أنّ قوله ﷺ: «ستفترق» استخدم فيها حرف (السين) الدّالة على قرب وقوع مدخولها، والخلاف والتفرق إنّما حصل بعد مدّة طويلة[١].

وردّ هذا الاعتراض بأنَّ: «كلّ آتٍ قريب إذا كان محقّق الحصول، على أنّ من نظر بعين البصيرة إلى العالم الدنيويّ، وقاسه إلى العالم الأخرويّ، لم يكن جميع عمر الدنيا مَن أوّله إلى آخره إلّا بمنزلة اللّحظة أو أقصر»[٢].

٩ ـ مصداقية العدد

والملاحظة الأخيرة هي: إنّ الفِرَق الإسلامية رُغم تشعّبها وتعدّدها لم تبلغ العدد المذكور في الحديث، رُغم ما بذله الكثيرون من العلماء المؤلّفين في «الملل والنحل» من جهود تمزيقيّة تعمل على تكثير كلّ طائفةٍ إلى عشرات الطوائف لمجرّد اختلافٍ بسيطٍ بينها في بعض التفاصيل العقديّة أو الفقهيّة، في محاولة تهدف إلى إثبات صدقيّة الحديث ومطابقته للواقع، بل ربّما عدّه بعضهم من معاجز الرسول وإخباراته الصادقة، وبلغت همّة البعض أن يكثّر عدد فِرق الشِّيعة الإمامية إلى أربع وعشرين فرقة، والمعتزلة إلى اثنتي عشرة فرقة، وذكر بعضهم في توزيع الفرق الهالكة ـ بعد استثناء أهل السُّنّة والجماعة باعتبارهم الفرقة الناجية ـ: أنّ أصناف الخوارج إثنا عشر . . . وأصناف الروافض إثنا عشر . . . وأصناف الجهميّة إثنا عشر . . . وأصناف المرجئة إثنا عشر . . .[٣]، هذا مع أنّ الاختلاف البسيط بين عالم وآخر أو بين مدرسة وأخرى لا يبرّر عدّ كلّ منهم صاحب مذهب كما هو

(١) تراثنا، ج٤٢، ص٢٩٧.

(٢) تراثنا، المصدر نفسه.

(٣) انظر: ابن عابدين ـ محمد علاء الدين (ت ١٣٠٦ هـ)، تكملة حاشية ردّ المحتار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، لا. ط، ١٤٠٥ هـ ـ ج ١، ص ٥٢٢.

واضح، وإلَّا للزم تعدّد فِرق المسلمين بعدد علمائهم وفقهائهم ومدارسهم، لأنّه ما من فقيهٍ إلاَّ ويختلف مع الآخر في بعض الآراء والأفكار، وما من مدرسةٍ فكريّة إلاَّ وتُبايِن المدارس الأخرى في كثيرٍ من وجهات النظر، كما هو الحال في المدرستَيْن: الإخباريّة والأصوليّة لدى الشِّيعة مثلًا. على أنّنا لو اعتمدنا هذا النهج في تعداد الفِرق، فإنّها بالتأكيد ستبلغ المئات ولا سيّما بملاحظة الفِرَق التي نشأت في القرون الأخيرة من قبيل البهائيّة والشّيخيّة والقاديانيّة وغيرها، ثم لماذا تمّ استثناء الفرق السّنية من التعداد والحال أنّها فِرقٌ متعدّدة وما بقي منها هو الأربعة المشهورة في الفقه، ويُضاف إليها فرقتا الأشاعرة والمعتزلة في العقائد؟!

محاولةٌ تصحيحيّةٌ

وهروبًا ممّا تقدّم، حاول بعضهم تصحيح الحديث بطريقةٍ أخرى، وهي الادّعاء بأنّ العدد (٧٢) أو (٧٣) لا يُراد به حقيقته، بل يراد به المبالغة في الكثرة كما في قوله تعالى: ﴿...إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[1]، إلّا أنّ هذه المحاولة لا تستقيم، لأنّ ظاهر الحديث أنّ واقع العدد مقصود ومراد لقائله، لأنّه يؤكّد على افتراق اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، والنصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، والمسلمين إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة، وهذا اللّسان لا ينسجم مع المبالغة، كما لا يخفى، وإنّما هو لسان تحديد وتعيين.

وقد حاول البعض الآخر الدفاع عن الحديث، رافضًا دعوى عدم انطباق العدد المذكور فيه على الواقع، وذلك بادّعاء أنّ افتراق المسلمين لم ينتهِ بعد، فربّما تنشأ فِرَقٌ جديدةٌ في المستقبل، ويصل الرقم إلى العدد المذكور في كلامه ﷺ.

ولكن يُلاحظ على ذلك: بأنّ ما ذُكِر يحتّم علينا الإقلاع عن رمي الفِرَق الموجودة بأنّها خارج إطار الفرقة الناجيّة، لأنَّ من الممكن أنّ الفِرَق الهالكة أو بعضها على الأقلّ لم تتشكّل بعد، وإنّما ستوجد في مستقبل الزمان.

على أنّ ما ذُكر لا ينسجم مع بعض الرّوايات، ومنها رواية الكليني في الكافي المرويّة عن الإمام الباقر عليه السلام والتي افترض فيها افتراق الأمّة الإسلاميّة بالفعل إلى

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

ثلاثٍ وسبعين فرقة كما هو ظاهر قوله: «وتفرّقت هذه الأمّة بعد نبيّها ﷺ . . .»، وهذا الأمر تُشعر به روايات أخرى كالتي تحدّثت عن فِرق تكوّنت بعد عصر النبيّ ﷺ وذُكرت بالاسم، ممّا يوحي بأنَّ هذا الانقسام هو قريب عهد منه، لا أنّه سيحدث بعد مضيّ آلاف السنين من وفاته أو في آخر الزمان!

ثم إنّه تبقى ملاحظةٌ أخيرة، وهي أنّ الحديث يفترض افتراق اليهود على سبعين فِرقة، والنصارى على إحدى وسبعين فرقة كأمرٍ مفروغ منه، وقد تمّ تحقّقه، فهل أنّ الأمر كذلك؟ (انتهى بحث حديث الفِرقة الناجية).

نماذج من التفسير الروائي

١ ـ جاء في تفسير علي بن إبراهيم القمي في ذيل الآية الشريفة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[١].

«حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان عن المعلّى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام: **إنّ هذا المثل ضربه الله لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب فالبعوضة أمير المؤمنين وما فوقها رسول الله والدليل على ذلك قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾[٢]. يعني أمير المؤمنين كما أخذ رسول الله الميثاق عليهم**»[٣].

ونُلاحظ على هذا التفسير العجيب:

أولًا: إن «**معلى بن خنيس**» الذي يروي هذا الحديث عن الإمام الصادق مباشرةً غير موثّق لدى عُلماء الرجال، فالنجاشي يقول في حقه: «**هو ضعيف جدًا لا يعوّل عليه**»[٤]. ويقول ابن الغضائري كما ينقل العلّامة الحلّي عنه: «**الغلاة يضيفون إليه كثيرًا ولا أرى اعتمادًا على شيء من حديثه**»[٥]. وعلى هذا الأساس فإن معلى بن خنيس لو كان نفسه مورد ثقة أيضًا فمع ذلك فالأحاديث التي يرويها

---

(١) (٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم، ص ٣١.

(٤) انظر: رجال النجاشي، ص٣٩٩، رقم (١١١٤).

(٥) انظر: رجال الحلّي، ص٢٥٩، الباب الخامس.

مشكوك فيها لأنها وقعت في معرض التحرّيف. أما بالنسبة إلى الراوي الثاني «**قاسم بن سليمان**» فحاله ليس أفضل من الراوي الأول، فالمامقاني يقول عنه: «**قد ضعّف الرجل غير واحد**». فهل يبقى اعتبار لصدور الرواية بمثل هذا السند عن الإمام الصادق عليه السلام؟

ثانيًا: إن الآية محل البحث جاءت في مقام التحقير وبيان المورد التافه لا التجليل والتعظيّم حيث تقول أنَّ الله لا يستحي من أجل هداية الناس أن يمثّل بشيء حقير وتافه كالبعوضة كما نقرأ في سور قرآنية أخرى التمثيل بالعنكبوت، فهنا يعد تمثيل الإمام علي بالبعوضة نوعًا من الإهانة الصريحة لمقام هذا الإمام العظيم لا سيّما وأنَّ المفسّرين يرون أن عبارة «**فما فوقها**» المذكورة في الآية الشريفة تشير إلى تفاهة البعوضة كما ذكر الشيخ الطبرسي ذلك في تفسير «**مجمع البيان**»: «**قيل فما فوقها في الصغر والقلة لأن المعيار هاهنا الصغر**»[1]. وهذا التفسير صحيح لأن الله تعالى الذي لا يستحي أن يُمَثّل بموجود حقير كالبعوضة فبطريق أولى لا يستحي أن يُمَثّل بموجودات أكبر منها كالأسد والجمل والفيل وأمثال ذلك. فلا يبقى معنى لذكر هذا الموضوع في عبارة «**فما فوقها**» أما لو قلنا مثلًا إن شخصًا قال بأنني لا أستحي من إعطاء درهم لفقير فلا معنى لأن يقول إنني لا أستحي أيضًا من إعطاء مال أكثر من هذا المبلغ، ولكنّه يصح أن يقول إنني لا أستحي من إعطاء درهم فما دونه، أي أنني لا أستحي من إعطاء نصف درهم أو أقل.

ومع هذا التوضيح يكون مصداق «**فما فوقها**» هو رسول الله حسب هذا التفسير حيث أنَّ مقام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يكون أقل وأدنى من مقام أمير المؤمنين عليه السلام، فهذا المعنى مخالف لضروريات الإسلام وكلام علي بن أبي طالب نفسه.

إضافة إلى ذلك فإننا نرى أنَّ متن الرواية يشهد على كذب هذا التفسير ولا يثبت المُدَّعَى بأي وجه، فالإمام أسمى من أن يكرر مدعاه حين الاستدلال فيكون مصادرة على المطلوب كما يُقال، أمَّا بقية الآية الشريفة فتقول: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ﴾[2] فما هي علاقة هذا الكلام بمقولة أن المراد من البعوضة هو أمير المؤمنين؟

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، دار المعرفة/ بيروت، ج ١ ص ١٦٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

٢ ـ ما ورد في تفسير الآيات الشريفة والذي يكثر ذكره في كتب عُلماء الشِّيعة ومفسّريهم، هو حديث «**علم الكتاب**» في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾[1] فقد أورد الكليني في الكافي عن علي بن إبراهيم، عن أبيه ومحمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن، عمن ذكره جميعًا، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد بن معاوية قال: «**قلت لأبي جعفر** عليه السلام: «**قل كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**»؟ **قال: إيانا عنى وعليّ أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي**»[2].

وهذا الحديث من جملة الأحاديث الخرافية الموضوعة التي نسَبها الغُلاة إلى أهل البيت عليهم السلام فالآية المذكورة آية مكية وقد حذف الراوي الكذّاب صدرها، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾[3] في هذه الآية الشريفة يتحدّث القرآن الكريم عن قول الكُفَّار والمشركين في إنكارهم لرسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فالآية خطاب لكفّار مكة تقرر هذا المعنى، وهو أنَّ شهادة الله ومن عنده علم الكتاب يكفيان للدلالة على أنني مرسل من قبل الله تعالى، ومعلوم أن شهادة الله بنبوة النبي هو إجراء المعجز على يديه، وهو هنا القرآن نفسه. والآخر شهادة أهل الكتاب بنبوة نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ولما يجدونه عندهم وفي كتبهم السماوية من صفات هذا النبي وعلامة بعثته، فهنا تريد هذه الآية الشريفة أن تقول للكفار والمشركين في مكة إنهم إذا لم تصدّقوا قول هذا النبي فاسألوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى يخبروكم بأنه نبي وأنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، ونعلم أيضًا أن الإمام علي عليه السلام كان له من العمر في ذلك الوقت عشر سنوات أو ١٣ سنة، أي كان صبيًّا لم يبلُغ الحُلم، فهل يُعقل أن يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لكفّار مكة إنكم إذا لم تصدّقوني في رسالتي فاسألوا هذا الصبي فإنه يشهد لكم أني مرسل من الله تعالى؟!

فإذا كان من غير المعقول أن يكون المقصود من الذي عنده علم الكتاب هو

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٢) أصول الكافي، باب «أنه لم يجمع القرآن كله إلّا الأئمة عليهم السلام وأنهم يعلمون علمه كله»، ج١ حديث رقم٦، ص٢٢٩.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

علي بن أبي طالب فبطريق أولى لا يكون مقصود الآية أبناءه وذريته كالإمام الباقر عليه السلام مثلًا، في حين أن الرواية المذكورة تصرّح بأنه «**إيانا عنى . . .**» فكيف يُعقل أن يُخاطب النبي صلى الله عليه وآله كفّار مكة ويقول لهم: **إذا كنتم في شك من نبوّتي فاسألوا الإمام الباقر من ذريتي الذي سيولد بعد سبعين عامًا؟! هذا أولًا.**

وثانيًا: بالنسبة إلى علم الكتاب الذي يعلم به الإمام علي عليه السلام حسب ما تقول الرواية، نتساءل: ما المراد بالكتاب هنا؟ هل هو القرآن الكريم؟ أي الكتاب التدويني أم اللوح المحفوظ أي الكتاب التكويني؟ فإن كان المراد هو الأول، فبديهي أن الإمام علي عليه السلام لم يكن يعلم به سوى ما نزل من سور وآيات معدودة من القرآن الكريم في مكة ولم يكن يعلم به كله، كيف والنبي نفسه لم يكن يعلم بما سيأتي به الوحي في المستقبل ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا... ﴿٤٩﴾﴾[1] وإن كان المقصود علم الكتاب التكويني كما يظهر من بعض الروايات فمعلوم أن الإمام علي عليه السلام في ذلك الوقت لم يصل إلى مرتبة الإمامة ولم يظهر على يديه المعجزات كما ظهر من «آصف بن برخيا» من إتيانه بعرش بلقيس من اليمن بلمحة بصر، ولم يرد في التاريخ أنَّ المشركين توجهوا إلى علي بن أبي طالب في ذلك الوقت وطلبوا منه الإتيان بمعجزة لتأييد نبوة ابن عمه، كيف والنبي نفسه لم يدّع أنه سيأتيهم بمعجزة غير كتاب الله الكريم، ولو كان المشركون يقتنعون من علي بن أبي طالب بشهادته فبطريق أولى سيقتنعون بادّعاء النبي محمد صلى الله عليه وآله للنبوة **وإظهار المعجز على يديه لأنه يعلم بالكتاب التكويني بطريق أولى أيضًا!**

والخلاصة أنَّ الآية الشريفة في مقام بيان هذه الحقيقة، وهي أنَّ الكتب السماوية الثلاثة: التوراة، الإنجيل، القرآن، تشهد جميعها بنبوة هذا النبي وتخاطب الكُفَّار الذين قالوا «**لستَ مُرسلًا**» بالرجوع إلى القرآن من جهة (شهادة الله) والرجوع إلى أهل الكتاب من جهة أخرى (التوراة والإنجيل) ليعلموا واقع الأمر.

ويؤيد ذلك أنَّ القرآن الكريم ذكر هذا المفهوم بوضوح في العديد من آياته الكريمة، منها: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[2]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٦.

﴿ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾[1]، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[2].

وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تصرّح بأنَّ أهل الكتاب كانوا يعلمون بصدق هذا النبي مما يرونه مكتوبًا عندهم من علاماته وصفاته، فالتفسير المعقول لهذه الآية مورد البحث هو أنّها ترجع المشركين ليسألوا أهل الكتاب عن صدق ادعاء نبي الإسلام لا أن يسألوا عليًّا بن أبي طالب أو الإمام الباقر عليه السلام، الذي لم يكن قد ولد بعد، عن ذلك كما تدّعي الرواية، ولو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد دعاهم للسؤال من علي بن أبي طالب وهو لم يبلغ الحلم، أليس من حق المشركين أن يسخروا ويقولوا له: إننا لا نقبل كلامك وأنت عندنا الصادق الأمين فكيف نقبل كلام هذا الغلام أو نقبل كلام من سيأتي بعد هذا الزمان من ذريته؟!

هل يُعقل أن يتحدّث الإمام الباقر بمثل هذا الكلام؟!

هذا والرواية على أية حال مقطوعة سندًا حيث لم يذكر الرواة فيها جميعًا بل جاء في السند «عن محمد بن الحسن، عمّن ذكره جميعًا» دون التصريح باسم الراوي المجهول.

٣ ـ وفي تفسير «البرهان» للمحدّث البحراني نقرأ في ذيل الآية الشريفة:

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾[3] **«شرف الدين النجفي قال: روى عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال (في) قوله عز وجل: وإن من شيعته لإبراهيم» أي إبراهيم عليه السلام من شيعة علي عليه السلام»**[4].

ولكن كل شخص يقرأ سورة الصافات يتبيّن له خطأ هذا التأويل بوضوح حيث يقول تعالى في هذه السورة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾[5].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٨٣.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، هاشم بن سليمان البحراني، ج ٤، ص ٢٠.

(٥) سورة الصافات، الآيات: ٧٩ ـ ٨٣.

وكما تلاحظ أنه لم يرد للإمام علي ذكر في الآيات السابقة ليعود الضمير في كلمة «**شيعته**» إليه. أما اسم نوح فقد ورد بصراحة في الآيات الشريفة ويتضح من ذلك أن إبراهيم كان من شيعة نوح حيث قام بنهضته التوحيدية ضد الشرك وقوى الانحراف. فهل يصح أن نقول إن كل كلمة «**شيعته**» في القرآن الكريم تُشير إلى شيعة الإمام علي بدون النظر إلى السياق في الآيات الكريمة؟ وهل يحق لنا أن ننسب كل هذا التفسير إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام؟ إضافة إلى أن هذه الرواية التي نقلها شرف الدين النجفي ليس لها سند متصل ولا تنسجم مع تعاليم القرآن الكريم.

٤ ـ أورد الفيض الكاشاني في كتابه «الصافي في تفسير القرآن» في ذيل الآية الأولى من سورة النجم هذه الرواية:

«في المجالس عن ابن عباس قال: صلينا العشاء الآخرة ذات ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وآله فلمَّا سلَّمَ أقبل علينا بوجهه ثم قال: إنه سينقض كوكب من السماء مع طلوع الفجر فيسقط في دار أحدكم فمن سقط ذلك الكوكب في داره فهو وصيي وخليفتي والإمام بعدي، فلمَّا كان قرب الفجر جلس كل واحد منّا في داره ينتظر سقوط الكوكب في داره وكان أطمع القوم في ذلك أبو العباس بن عبد المطلب عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام يا علي والذي بعثني بالنبوة لقد وجبت لك الوصية والخلافة والإمامة بعدي: فقال المنافقون عبد الله بن أُبَيّ وأصحابه: لقد ضلَّ محمد في محبّة ابن عمه وغوى وما ينطق في شأنه إلَّا بالهوى فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾[1] . . . . .»[2].

وهذا الحديث إلى درجة من وضوح الكذب والزيف بحيث لا يخفى على أي أحد لأن أصغر كوكب في السماء لا تحويه شبه الجزيرة العربية كلها. فكيف سقط في بيت علي واستقر هناك؟ إضافة إلى أن سورة النجم مكية باتفاق المفسرين ولكن عبد اللَّه بن أُبَيّ وأصحابه من أهل المدينة ومن المنافقين المعروفين في مرحلة ما بعد الهجرة. وأيضًا فالعباس عم النبي كان في المرحلة المكية من المشركين بإجماع المؤرخين ولم يسلم في ذلك الوقت، وقد أسره المسلمون في واقعة بدر

(١) سورة النجم، الآية: ١.

(٢) الصافي في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٦١٧، ٦١٨.

وتحرر بعدها واعتنق الإسلام، فمع هذا الحال كيف يطمع وهو في حال الشرك أن يكون خليفةً لرسول اللَّه؟ أما سند الرواية فنرى في تفسير الصافي أنه محذوف ولكن في المجالس للشيخ الصدوق «**الذي يقال عنه الأمالي أيضًا**» ورد بهذه الصورة: حدثنا الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي الكوفي، قال: حدثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي. قال: حدثني محمد بن أحمد بن علي الهمداني، قال: حدثني الحُسين بن علي، قال: حدثني عبد اللَّه بن سعيد الهاشمي، قال: حدثني عبد الواحد بن غياث، قال: حدثني عاصم بن سليمان، قال: حدثنا جوير عن الضحاك عن ابن عباس . . . فنرى في هذا السند أشخاصًا ضعفاء «**كـ فرات بن إبراهيم**» ومجاهيل «**كـ عبد الواحد بن غياث**» فالرواية غير معتبرة سندًا.

٥ ـ جاء في الوافي عن محمد بن الحُسين عن الحكم بن مسكين عن إسحاق بن عمار عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[(١)]. **أنه قال: «الأمانة هي ولاية علي بن أبي طالب»**.

وقد جاء في سند هذه الرواية الحكيم بن مسكين، ولم يتعرض المؤلفون في الرجال لمدحه أو ذمه غير أنه ورد في التعليقة على رجال الميرزا محمد أن بعض المؤلفين في أن مُحمّدًا بن الحُسين الراوي لها عن ابن مسكين هو محمد بن الحسين الصائغ وهو: «**من الضعفاء والمتهمين بالغلوّ**»[(٢)]، ومما يؤيد ذلك أن هذا النوع من التفاسير أكثر رواته من الغُلاة المتهمين بوضع الأحاديث، هذا بالإضافة إلى أنَّ إسحاق بن عمار لم يذكر الرجل الذي رواها عن الإمام الصادق بوصفه أو اسمه، ويكفيها ذلك ضُعفًا، والأقرب إلى الاعتبار أنَّ هذا التفسير مأخوذ من كتاب تفسير الباطنّ لعلي بن حسان، أو من تفسير علي بن إبراهيم المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، ومن المعلوم أنه قد أحيط بأكثر من الشك والريب عند الشِّيعة الإمامية لأنه يعتمد على الباطن في أكثر المناسبات، هذا بالإضافة إلى أنَّ الرواة الذين نسبوه إلى العسكري عليه السلام لم تتوافر فيهم الشروط المطلوبة بالراوي كما يظهر من المؤلفات في هذا الموضوع.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) انظر: رجال الحلّي، ص٣٢٢، رقم (٩٠٠).

وروي في الوافي عن علي بن الحكم عن المفضل بن صالح عن جابر الجعفي عن الإمام الباقر أن الآية: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[١] أنه عهد إلى آدم بولاية محمد والأئمة من ولده، فترك ولم يكن له عزم على ذلك.

وأضاف الإمام إلى ذلك أنَّا نحنُ أولو العزم لأنه عهد إليهم في محمد وأوصيائه والمهدي وسيرته فأجمع عزمهم على الإقرار به، وأكد ذلك محمد بن عيسى القمي، ومحمد بن سليمان، وعبد الله بن سنان، وقالوا إن الإمام الصادق أقسم بأن الآية نزلت على محمد بالصيغة التالية:

«ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحُسَيْن والأئمة من ذريتهم فنسي».

وقد جاء في سند هذه الرواية المفضل بن صالح، واتفق المؤلفون في أحوال الرواة أنه كان: «**كذابًا، يضع الأحاديث ولم يرد عن أحد منهم ما يشعر بجواز الاعتماد على مروياته**»[٢]، كما ورد في سندها محمد بن سليمان، وسواء أكان ابن عبد الله الديلمي أو ابن زكريا الديلمي فهما من: «**المتهمين بالكذب لا يعول على مروياتهما**»[٣] على حد تعبير المؤلفين في الرجال. ومع التغاضي عن جميع ذلك، فإنَّ آدم من الأنبياء الذين اختارهم الله لرسالته، مع ذلك فكيف يصح عليه أن يخالف عهد الله ولا يعزم عليه كما تنص هذه الرواية؟

وروي عن علي بن محمد عن بعض أصحابنا كما جاء في سند الرواية عن السراد عن محمد بن المفضل عن أبي الحسن الماضي أنه قال في تفسير قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾[٤] **يريدون أن يطفئوا ولاية علي بن أبي طالب والله متمّ نوره، أي متمّ إمامة علي.**

وأضاف إلى ذلك أن الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾[٥]

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٢) انظر: رجال الحلّي، ص٣٥٨.

(٣) انظر: رجال النجاشي، ص٣٤٩، رقم (٩٨٧).

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

نزلت في علي عليه السلام وإن الهدى ودين الحق هما ولاية علي بعد رسول الله ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨﴾[1] **أي متم نوره بولاية علي عليه السلام.**

ومضى الراوي يقول: إن الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾[2] **تعني أنهم إذا قيل لهم ارجعوا إلى ولاية علي يستغفر لكم رسول الله «لووا رؤوسهم واستكبروا» عن ولايته، وأن الآية:** ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٢﴾[3]. **قد ضربها الله مثلًا لمن حاد عن ولاية علي أمير المؤمنين، فهو يمشي مكبًا على وجهه لا يهتدي لأمره، ومن يتبع عليًا يَمْشِ على الصراط المستقيم وهو نفسه الصراط المستقيم، وأن قوله تعالى:** ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾[4] **أي أن ولاية علي هي قول جبرائيل** ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾[5] **تشير إلى أن المنافقين قالوا بأن محمدًا قد كذب على ربه في استخلاف علي من بعده.**

قال السائل فما المراد من قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[6]؟ **قال: الهدى هو الولاية، ومن آمن بها لا يخاف بخسًا ولا رهقًا.**

ومضى الراوي في حديثه المزعوم عن الإمام موسى بن جعفر يطبق عشرات الآياتِ على ولاية علي حتى انتهى إلى الآية: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾[7].

فقال الإمام: النذر هو ولاية علي بن أبي طالب، وأضاف يقول: إن المراد بالمصلين في الآية لم يك من المصلين، أي من أتباع علي أمير المؤمنين إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي فسّرها الإمام على حد زعم الراوي بولاية أمير المؤمنين، في حين أن ظواهرها لا تشير إلى هذه التفاسير ولو من بعيد، ولو كان الرواة لهذه الرواية من الموثوقين المعروفين بالصدق والأمانة لم يكن لنا بدّ من

---

(١) سورة الصف، الآية: ٨.
(٢) سورة المنافقون، الآية: ٥.
(٣) سورة المُلك، الآية: ٢٢.
(٤) سورة الحاقَّة، الآية: ٤٠.
(٥) سورة الحاقة، الآية: ٤١.
(٦) سورة الجن، الآية: ١٣.
(٧) سورة الإنسان، الآية: ٧.

التصديّق والإذعان، لأن الأئمة أعرف بظاهر القرآن وباطنه وأسباب نزوله وعامه وخاصه من جميع الناس، ولكن لا سبيل لنا إلى ذلك بعد أن كانت هذه التفاسير من الغرائب والرواة لها من غير الموثوقين في أقوالهم وأفعالهم، فإن الراوي لها عن الإمام موسى بن جعفر هو ابن المفضل الأزدي الصيرفي: «**متهم بالغلوّ ومعدود بين ضعفاء الرواة**»[1] وكان معاصرًا لأبي الحسن الرضا ويروي عنه وعن أبيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

الخُلاصة

أقول: بعد التتبع في الأحاديث المنتشرة في مجاميع الحديث «**كالكافي**» و«**من لا يحضره الفقيه**» و«**بحار الأنوار**» و«**وسائل الشِّيعة**» وغيرها من أُمهات كُتُب الشِّيعة، نجد أن الغُلاة والحاقدين على الأئمة الهُداة لم يتركوا بابًا من الأبواب إلّا دخلوا منه لإفساد أحاديث الأئمة والإساءة إلى سمعتهم، ووضعوا الكثير الكثير من الروايات المزّورة، وعندما تأكدوا أنَّ المرويات تغلغلت في أمهات الكتب انتقلوا بالتالي إلى القرآن الكريم لينفثوا عن طريقه سمومهم ودسائسهم لأنه الكلام الوحيد الذي يتحمل ما لا يتحمله غيره ففسّروا مئات الآيات بما يريدون وألصقوها بالأئمة الهُداة زورًا وتضليلًا.

وألّف علي بن حسان وعمّه عبد الرحمن بن كثير وعلي بن أبي حمزة البطائني كتبًا في التفسير كُلها تخريف وتحريف وتضليل لا تنسجم مع أسلوب القرآن وبلاغته وأهدافه.

هذه بعض النماذج من الأحاديث الواردة في أمهات كتب الشِّيعة مع مناقشتها واستعراضها للقارىء الكريم ليعلم ما ورد من أباطيل وخُرافات في كتب الحديث المهمّة حتى لا نقبل كل حديث يُروى لنا في هذه الكتب ولا ننبهر بمؤلفيها وشهرتهم وقداستهم، وعندما قبلنا بكل ما ورد فيها من روايات وأوّلناها، انحرفنا عن عقيدة أهل البيت وكانت مصيبتنا في الدين عظيمة!

---

(١) انظر رجال الميرزا محمد والإتقان للشيخ محمد طه.

هذه الروايات الموضوعة والباطلة هي التي وضعت العقل الشِّيعي في أزمة حقيقية بل أزمات، وما زالت تحشره أو تدفع به في مواقع الدفاع عن الكرامات والمعجزات والتنبيش في أراشيف الروايات التي لا سند لها في منطق العقل أو (علم الرجال)، بدل أن تطلقه لأخذ دوره في مواقع الهجوم وصياغة الواقع وصناعة التأريخ.

أخيرًا أقول: المؤلم في كل ذلك أن مثل هذه العقائد المغالية والخرافية ما زالت تتصدّر كتبنا ومؤسسات الفكر والنشر والتحقيق، ومنابرنا الحسينية، ويُصرف على تمويلها مبالغ طائلة تصل إلى ملايين الدولارات كل عام!

آراء عُلماء الإمامية في كُتُب الشِّيعة الحديثية

قال شيخ الطائفة الطوسي المتوفى عام ٤٦٠هـ:

«لا يكاد يتفق خبر إلَّا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلَّا وفي مقابله ما ينافيه»[(١)]. «إن من المعلوم الذي لا يتخالج فيه شك أنّ في الأخبار المروية عن النبي ﷺ كَذِبًا كما أنَّ فيها صدقًا ومن قالَ إنَّ جميعها صِدق فقد أبعَدَ القولَ فيه»[(٢)].

إذًا: فالأحاديث التي تعالج التعارض متعارضة فيما بينها!

وفي ذلك قال السيد محمد باقر الصدر:

«... وهي الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام لعلاج حالات التعارض والاختلاف الواقع بين الروايات، والطريف أنَّ هذه الأخبار قد ابتلت بنفسها بالتعارض فيما بينها»[(٣)].

قال الشيخ البهبهاني:

«إذ لا شُبهة في أن عشر معشار الفقه لم يرد فيه حديث صحيح، والقدر الذي

---

(١) تهذيب الأحكام: ١/٢ ـ ٣.

(٢) عدة الأصول ـ فصل في «أن الأخبار المروية فيها ما هو كذب والطريق الذي يعلم به ذلك» ص ٢٧٦.

(٣) كتاب «تعارض الأدلة الشرعية» ـ تحت عنوان (أخبار العلاج).

ورد فيه الصحيح لا يخلو ذلك الصحيح من اختلالات كثيرة بحسب السند وبحسب المتن، وبحسب الدلالة»[1].

في أنَّ المرويات فيها الخطأ والباطل قال الشريف المرتضى:

«إن الحديث المروي في كتب الشِّيعة وكتب جميع مخالفينا يتضمّن ضروب الخطأ وصنوف الباطل من مُحالٍ لا يجوز ولا يُتصوّر من باطل قد دلَّ الدليل على بطلانه وفساده كالتشبيه والجبرِ والرؤيةِ والقولِ بالصفات القديمة ومن هذا الذي لا يحصى أو يحصر ما في الأحاديث من الأباطيل ولهذا وجب نقد الحديث»[2].

وفي العمل بخبر الواحد قال المحقّق الحلي:

«أفرط الحشوية في العمل بخبر الواحد حتَّى انقادوا لكل خبرٍ وما فطنوا ما تحته من التناقض فإنَّ من جملة الأخبار قول النبي ﷺ ستكثر بعدي القالَّة عَلَيَّ. وقول الصادقِ عليه السلام: «إنَّ لكُلِ رَجُلٍ مِنّا رَجُلًا يكذِبُ عَلَيْه»[3].

قال المحقق القُمّي:

«... الأخبار الموجودة في كتبنا ما يدل على أن الكذّابة والقالَّةَ قد لعبت أيديهم بكتب أصحابنا وأنهم كانوا يدسّون فيها»[4].

وقال الحُرّ العاملي (٩١١ هـ - ٩٦٥ هـ):

«الحديث الصحيح هو ما رواه العدل الإمامي الضابط في جميع الطبقات...» ثم قال: «... وهذا يستلزم ضعف كل الأحاديث عند التحقيق، لأن العلماء لم ينصّوا على عدالة أحد من الرواة إلَّا نادرًا، وإنما نصّوا على التوثيق وهو لا يستلزم العدالة قطعًا... ودعوى بعض المتأخرين: أنَّ [الثقة] بمعنى [العدل، الضابط] ممنوعة، وهو مطالب بدليلها، كيف؟! وهم مصرّحون بخلافها (أي العدالة) حيث يوثّقون من يعتقدون فسقه وكفره وفساد مذهبه»[5].

---

(١) الفوائد الحائرة، ص ٤٨٨.

(٢) رسائل الشريف المرتضى، باب «الأحاديث الباطلة والأخبار السقيمة» المسائل الطرابلسية، ٣/ ٣١١.

(٣) المعتبر، الطبعة الحجرية، ص ٦.

(٤) كتاب القوانين: ٢/ ٢٢٢.

(٥) وسائل الشِّيعة: ٣٠/ ٢٦٠.

وإذا رجعنا إلى تعريف العدالة عند الإمام الخميني مثلًا حيث يقول: العدالة عبارة عن «**ملكة راسخة باعثه على ملازمة التقوى من ترك المحرّمات وفعل الواجبات**»[(١)].

إذًا نخلص إلى أن كل التوثيق ـ للرواة ـ الموجود في كتب الرجال عندنا لا قيمة له، لأنه لا يثبت العدالة، فالعدالة ليس لها اعتبار عند عُلماء الشِّيعة المتأخرين، لأنها لم تُذكر في النصوص ولا في كلام عُلماء الشِّيعة كما **يصرّح المجلسي حيث يقول:**

«ثم اعلم أنَّ المتأخرين من علمائنا اعتبروا في العدالة الملكة، وهي صفة راسخة في النفس تبعث على ملازمة التقوى والمروءَةِ، ولم أجدها في النصوص، ولا في كلام من تقدّم على العلّامة من علمائنا. ولا وجه لاعتبارها»[(٢)].

ومما قال الشريف المرتضى وهو ينسف جميع روايات الشِّيعة ويحكُم عليها بأنّه لا يمكن الاحتجاج بها:

«دعنا من مصنّفات أصحاب الحديث من أصحابنا فما في أولئك محتجّ، ولا من يعرف الحُجّة، ولا كتبهم موضوعة للاحتجاج»[(٣)].

كما أن كتب الحديث الشِّيعيّة وقع فيها الكثير من الأخطاء والاشتباه في الرواة حيث قال الشيخ عبد الله المامقاني:

«إنَّهُ في كثير من الأسانيد قد وقع غلط واشتباه في أسامي الرجال وآبائهم أو كُناهم أو ألقابهم»[(٤)].

بل إنَّ عُلماء الإمامية يقدّمون الضعيف على الصحيح من الأحاديث والروايات رُغم علمهم بعدم جواز ترجيح الأضعف على الأقوى. حيث قال الحُرّ العاملي:

«من تتّبع كُتُب الاستدلال، علِمَ ـ قطعًا ـ أنهم لا يردّون حديثًا لضعفه ـ

---

(١) تحرير الوسيلة: ١/ ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢/ ٨٥.

(٣) رسائل الشريف المرتضى، باب «الأحاديث الباطلة والأخبار السقيمة» ٣/ ٣١١.

(٤) تنقيح المقال في علم الرجال: ١/ ١٧٧.

باصْطِلاحِهِمْ الجديد ـ ويعملون بما هو أوثق منه، ولا مثله، بل يضطرّون إلى العمل بما هو أضعف منه، هذا إذا لم يكن له معارض من الحديث، ومعلوم أنَّ ترجيح الأضعف على الأقوى غير جائز»[1]. «الثقات الأجلّاء من أصحاب الإجماع وغيرهم يروون عن الضعفاء والكذّابين والمجاهيل حيث يعلمون حالهم، ويشهدون بصحة حديثهم»[2].

وفي عدم حصول القطع بصدور جميع الروايات عن المعصومين قال السيد الخوئي:

«فالإجماع الكاشف عن قول المعصوم نادر الوجود، وأما غير الكاشف عن قوله فهو لا يكون حجّة، لأنه غير خارج عن حدود الظن، فأصحاب الأئمة وإن بذلوا غاية جهدهم واهتمامهم في أمر الحديث وحفظه من الضياع، إلَّا أنهم عاشوا في دور التقية ولم يتمكنوا من نشر الأحاديث علنًا فكيف بلغت هذه الأحاديث حد التواتر أو قريبًا منه، فالواصل إلى المحمدين الثلاثة [الكليني وابن بابويه، والطوسي] إنّما وصل إليهم عن طريق الآحاد فطرق الصدوق إلى أرباب الكتب مجهولة عندنا ولا ندري أيًا منها كان صحيحًا وأيًا منها كان غير صحيح ومع ذلك كيف يمكن دعوى العلم بصدور جميع هذه الروايات عن المعصومين، وليت شعري إذا كان مثل المفيد والشيخ مع قرب عصرهما وسعة اطلاعهما لم يحصل القطع بصدور جميع هذه الروايات عن المعصومين فمن أين حصل القطع لجماعة المتأخرين عنهما زمانًا ورُتبة؟!»[3].

في حركة الدس والتزوير قال السيد محمد باقر الصدر:

«من جملة ما كان سببًا لحصول الاختلاف والتعارض بين الأحاديث أيضًا عملية الدس التي قام بها بعض المغرضين والمعادين لأهل البيت على ما نقله لنا التاريخ وكتُب التراجم والسيَر وقد وقع كثير من ذلك في عصر الأئمة أنفسهم على ما يظهر من جملة الأحاديث التي وردت تنبّه أصحابهم إلى وجود حركة الدس والتزوير فيما يروون من الأحاديث وعملية التنبيه الأكيدة من الأئمة على وجود حركة الدس»[4].

---

(١) (٢) وسائل الشِّيعة: ٣٠/٢٠٦.

(٣) معجم رجال الحديث ـ المقدّمة الأولى.

(٤) بحوث في علم الأصول ج ٧، ص ٣٩ ـ ٤٠.

والغريب أن الذين حققوا في هذا المجال يعرفون حجم الدس والكذب في الكتب الحديثية ورُغم ذلك يعتمدون عليها ويأخذون منها؟!

قال المحقق جعفر مرتضى العاملي:

«ليس من حق أحد أن يطلب من الناس أن يقتصروا فيما يثيرونه من قضايا على ما ورد عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام بأسانيد صحيحة وفق المعايير الرجالية في توثيق رجال السند لأن ذلك معناه أن يسكت الناس كلهم عن الحديث في جُلّ القضايا والمسائل، دينية كانت أو تاريخية أو غيرها، بل إن هذا الذي يطلب ذلك من الناس لو أراد هو أن يقتصر في كلامه على خصوص القضايا التي وردت بأسانيد صحيحة عن المعصومين فسيجد نفسه مضطرًا إلى السكوت والجلوس في بيته لأنه لن يجد إلَّا النَّزْرَ اليسير الذي سيستنفده خلال أيام أو أقل من ذلك»[1]....؟!!

إذًا بحسب معيار المحقق فالصحيح من الحديث لا يتعدّى النَّزْرَ اليسير لكنه يطلب من الناس أن يأخذوا بكل الأحاديث حتى لو لم تكن وفق المعايير الرجالية في توثيق رجال السند، وعليه لا مُشكِلَ في أن نعتمد كل ما ورد في الحديث من غلوّ وخُرافة وأكاذيب وافتراءات ودسّ على النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام!

فأين هي المعايير العلمية؟! وأين هي الأمانة في النقل؟!

ثم يقولون لنا أنهم حققوا في القضية الفُلانية وخرجوا بنتيجة ما! أنا أسأل في أي شيء حققتم طالما أنَّ لا مُشكلة عندكم في اعتماد الأحاديث حتى لو لم تحمل شروط التوثيق والمعايير العلمية؟!!

أقول: هكذا دخلت البدع وانحرفنا عن خط أهل البيت عليهم السلام ثمَّ نشأت لدينا عقائد مغلوطة نتيجة تساهل معظم عُلماء الإمامية ومحققيهم وتغاضيهم عن هذه القضايا العقائدية الباطلة والمسائل الدينية والتأريخية المحرّفة حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه من غُلوّ وخُرافة!

---

(١) مآساة الزهراء، جعفر مرتضى العاملي، ج ١، ص ٢٧.

تصنيف الشِّيعة لعلم الحديث

إن تصنيف الشِّيعة لعلم الحديث لم يسبق عصر الشهيد الثاني وهو: زين الدين الجبعي العاملي المُتوفى (٩١١ هـ ـ ٩٦٥ هـ).

قال الشيخ الحائري:

«ومن المعلوم التي لا يشك فيها أحد أنه لم يصنّف في دراية الحديث من علمائنا قبل الشهيد الثاني»[(١)].

قال الحُرّ العاملي وهو يتحدّث عن الشهيد الثاني:

«وهو أول من صنّف من الإمامية في دراية الحديث، لكنّه نقل الاصطلاحات من كتب العامة، كما ذكره ولَدُهُ وغيره»[(٢)].

بل إنّ تصنيف عُلماء الشِّيعة لكتب علوم الحديث وكتب الرجال وذكرهم للأسانيد ليس حرصًا على وصول أحاديث أهل البيت عليهم السلام إليهم، إنّما بسبب تعيير أهل السُنّة والجماعة لهم.

في ذلك قال الحُرّ العاملي:

«. . . الذي لم يعلم ذلك منه، يعلم أنّه طريق إلى رواية أصل الثقة الذي نقل الحديث منه، والفائدة في ذِكره مجرّد التبرك باتصال سلسلة المخاطبة اللسانية، **ودفعَ تعييرُ العامةِ الشِّيعةَ بأنَّ أحاديثَهم غير معنعنة**، بل منقولة من أصول قدمائهم»[(٣)]. وقال أيضًا: «أنَّ هذا الاصطلاح مستحدث في زمان العلاّمة، أو شيخه، أحمد بن طاووس كما هو معلوم، وهم معترفون به»[(٤)].

ويقول أحمد بن طاووس[(*)] أيضًا:

«طريقة المتقدّمين مباينة لطريقة العامّة، والاصطلاح الجديد موافق لاعتقاد

---

(١) مقتبس الأثر: ٣/ ٧٣.
(٢) أمل الآمال: ١/ ٨٦.
(٣) وسائل الشِّيعة، ٣٠/ ٢٥٨.
(٤) وسائل الشِّيعة، ٣٠/ ٢٦٢.
(*) هو: جمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس المتوفى سنة ٦٧٣هـ.

العامة واصطلاحهم، بل هو مأخوذ من كتبهم كما هو ظاهر بالتتبع وكما يفهم من كلامهم الشيخ حسن وغيره»[1].

وفي ذلك قال الشيخ باقر الأيرواني:

«السبب في تأليف النجاشي لكتابه هو تعيير جماعة من المخالفين للشّيعة بأنه لا سلف لهم ولا مصنّف»[2].

بل إن الاصطلاح الجديد في تقسيم الحديث إلى (صحيح، حسن، ضعيف) يستلزم تخطئة طائفة المحققة في زمن الأئمة الإثني عشر وفي زمن الغيبة (المهدي المنتظر) حيث **قال الحُرّ العاملي**:

«الاصطلاح الجديد يستلزم تخطِئة جميع الطائفة المحققة في زمن الأئمة عليهم السلام وفي زمن الغيبة كما ذكره المحقق في أصوله»[3].

«وليس هذا فحسب بل إن علماءنا المتقدّمين والمتأخّرين وحتى مع ظهور الاصطلاح الجديد (تقسيم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف) يتركون الأحاديث الصحيحة ويعملون بأحاديث ضعيفة على اصطلاحهم، فلولا ما ذكرناه لما صدر ذلك منهم عادة، وكثيرًا ما يعتمدون على طرق ضعيفة مع تمكنهم من طرق أخرى صحيحة كما صرّح به صاحب المنتقى وغيره، وذلك ظاهر في صحة تلك الأحاديث بوجوه أُخر من غير اعتبار الأسانيد، ودالٌ على خلاف الاصطلاح الجديد لما يأتي تحقيقه»[4]!

والحاصل أتى به الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ) حيث قال:

«... والواجب إما الأخذ بهذه الأخبار، كما هو عليه متقدمو علمائنا الأبرار، أو تحصيل دين غير هذا الدين، وشريعة أخرى غير هذه الشريعة لنقصانها وعدم تمامها، لعدم الدليل على جملة أحكامها، ولا أراهم يلتزمون شيئًا من الأمرين، مع

---

(١) وسائل الشِّيعة، ٣٠/٢٥٩.
(٢) دروس تمهيدية في القواعد الرجالية ص ٨٦.
(٣) وسائل الشِّيعة، ٣٠/٢٥٩.
(٤) وسائل الشِّيعة، المصدر نفسه، ٢٠/٩٩.

أنه لا ثالث لهما في التبيّن وهذا بحمد الله ظاهر لكل ناظر، غير متعسّف ولا مُكابر»[1]!!

علماء الإمامية يناقشون منهاج بعضهم بعضًا

الحُرّ العاملي وصف شيخ الطائفة الطوسي بالتناقض! فمرة يضعّف راويه ثم يعمل بروايته ورواية من هو أضعف منه، ويضعّف المراسيل ثم يستدل بها ويترك الروايات المُسندة وروايات الثقات.

قال الحُرّ العاملي:

«فإن قلت: إنَّ الشيخ كثيرًا ما يضعّف الحديث، معللًا بأن راويه ضعيف، وأيضًا يلزم كون البحث عن أحوال الرجال عبثًا، وهو خلاف إجماع المتقدّمين والمتأخرين بل النصوص عن الأئمة كثيرة في توثيق الرجال وتضعيفهم، قلت: أمّا تضعيف الشيخ بعض الأحاديث بضعف راويه فهو تضعيف غير حقيقي، ومثله كثير من تعليلاته كما أشار صاحب المنتقى في بعض مباحثه، حيث قال: والشيخ مطالب بدليل ما ذكره إن كان يريد بالتعليل حقيقته وعذره . . . وأيضًا فإنه يقول (أي الطوسي): هذا ضعيف لأن راويه فلان ضعيف، ثم نراه يعمل برواية ذلك الراوي بعينه، بل برواية من هو أضعف منه في مواضع لا تحصى وكثيرًا ما يضعّف الحديث بأنه مرسل ثم يستدل بالحديث المرسل، بل كثيرًا ما يعمل بالمراسيل وبرواية الضعفاء . . .»[2].

قال الشيخ المفيد (محمد بن النعمان) المُتوفى سنة ٤١٣ هـ:

«الذي ذكره الشيخ أبو جعفر ـ رحمه الله ـ في هذا الباب لا يتحصّل ومعانيه تختلف وتتناقض والسبب في ذلك أنهُ عَمِلَ على ظواهر الحديث المختلفة ولم يكن ممّن يرى النّظر فيميّز بين الحق منها والباطل»[3]

كتب الشيخ المفيد ذلك في معرض نقد «اعتقادات الصدوق» فقال أنه لم يهتم بتهذيب الروايات وتصحيحها.

---

(١) لؤلؤة البحرين (في الاجازات وتراجم رجال الحديث) منشورات مكتبة العلوم العامة، المنامة/ البحرين، ص ٤٧.

(٢) وسائل الشِّيعة، ٢٠/ ١١١.

(٣) شرح عقائد الصدوق، دار الكتاب الإسلامي/ بيروت، ص ٣٤.

عن مؤلفي الكتب الأربعة قال الشيخ جعفر النجفي(*):

«والمحمدون الثلاثة كيف يعوّل في تحصيل العلم عليهم، وبعضهم يكذّب رواية بعض . . . ورواياتهم بعضها يضاد بعضًا . . . ثم إن كتبهم قد اشتملت على أخبار يقطع بكذبها كأخبار التجسيم والتشبيه وقِدم العالم وثبوت المكان والزمان»[1].

قال السيد محمد حسين فضل الله وهو يناقش منهج «المفيد» و«الطوسي» في البحوث العقائدية:

«أنا أناقش «المفيد» وأناقش «الطوسي» كما ناقش المفيد الطوسي وناقش الطوسيّ المفيد، وكما ناقش المفيد الشيخ الصدوق (رحمه الله) في كتابه (تصحيح الاعتقاد) هؤلاء عُلماء نقدّرهم ونتعلّم منهم (المفيد والطوسي والمحقق الحلي والسيد المُرتضى)، هم علماؤنا الكبار الذين لا نزال نأكل من فتات موائدهم، ولكنهم ليسوا معصومين هم مجتهدون يخطئون ويصيبون من خلال فهمهم لكتاب الله ولسُنّة رسول الله، وكتاب الله الذي فهموه بين أيدينا، وكما يختلفون في الفقه يختلفون في العقائد ونحن نختلف معهم، لكن أن نلغي منهجهم كله فلا أعتقد أنَّ أحدًا يمكنه أن يفعل ذلك.

لكننا كما قال السيد (محسن الأمين) (هم رجال ونحن رجال وكم ترك الأول للآخر) بل ربما لدى الآخرين من التراث ومن المعطيات الثقافية ما لم تكن عند الأول، والفقهاء الآن أوسع أُفقًا من الشيخ «المفيد» وأوسع أُفقًا من الشيخ الطوسي والسيد المرتضى ـ مع احترامنا لهم ـ لأن الثقافات الموجودة سواءً الثقافات الإسلامية التي جاء بها من بعدهم أو الثقافات العامة لم تكن موجودة عندهم ـ والحال هذه ـ أن نفهم أكثر ما يفهمون، ثم أنهم ليسوا معصومين حتى إذا خالفتهم خالفت العصمة، نحنُ لا نريد أن نقلدهم، لا نريد أن نقلد الشيخ المفيد خصوصًا في مسائل العقيدة، نعم نحترمه ونناقش أفكاره من موقع احترامنا له فالشخص الذي لا نحترم فكره لا نناقشه»[2].

(*) شيخ الطائفة ورئيس المذهب في زمانه، توفى سنة ١٢٢٧هـ.

(١) كشف الغطاء، ص ٤٠.

(٢) الندوة ج ١، دار الملاك ط ٥ (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م) ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

المنهج في دراسة العقيدة

«انطلقت العقيدة من خلال العقل، ولذلك علينا أن نستنطق العقل فيما يستقل به العقل من وجود الله ومن توحيد الله، ومن الحاجة إلى النبوّة والإمامة، ومن الحاجة إلى اليوم الآخر، أما كيف هي العقيدة وكيف هي صفات الله وكيف هي صفات النبي والإمام، ومن هو النبي والإمام، وهل جاء دليل عن اليوم الآخر؟ وكيف هو علم النبي؟ وكيف هي قدرات النبي؟ فهذه أمور لا بد أن نرجع فيها إلى النصوص القرآنية والنصوص النبوية وما صَحّ عن أهل البيت عن النبي ﷺ باعتبار أنهم ملهمون من خلال ما يتوافق مع كل ما قاله رسول الله ﷺ. هذا هو الأساس بأن تدرس الشيء، فما كان ثابتًا وحُجّة قطعية وحُجّة تبعث على الثقة والاطمئنان نقول به، وما لم يثبت به ندعه»[1].

«أعتقد أن هذه الأمور إن ثبتت على حساب المنهج الشرعي والفقهي فعلينا أن نعتقد بها لأنها ثابتة، ولكنها (علم الأئمة والولاية التكوينية) ليست من أصول العقائد، ففي عقيدتنا أنَّ الأنبياء هم أنبياء الله أرسلهم الله إلينا وعلينا أن نطيعهم في ذلك، وأنَّ الأئمة هم خلفاء رسول الله وعلينا أن نطيعهم فيما قالوه وفيما فعلوه، أمّا ما هي كمية علمهم؟ وما هي كمية قدراتهم؟ فهذا إن ثبت بحُجّة شرعية أخذنا به من جهة الحُجّة الشرعية، وإن لم يثبت بحجّة شرعية فلا يجب علينا الاعتقاد به ولا يكون عدم الاعتقاد، عند عدم ثبوتها أو عدم البحث فيها، مُخلًّا بالعقيدة في طبيعتها مما يُحاسب الإنسان عليه»[2].

«إننا بحاجة إلى أن نعيش وعي الإنسان المُسلم لأنني أزعم أن الكثيرين يعيشون العقيدة في الفكر ولا يعيشون العقيدة في الواقع، فنحن نؤمن بالله الواحد ولكن ما هو حجم تمثّلنا لعظمة الله في أسرار خلقه وفي امتدادات نعمه؟ هل نحنُ ممن ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[3]، هل نحنُ أشدُّ حُبًا لله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

---

(١) الندوة ج ١ ـ السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م) ص٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٢) الندوة ج ١ ـ السيد محمد حسين فضل الله، المصدر نفسه، ص٣٣٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.

﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[1] أن لا نتعصّب لبعض رموزنا أكثر من تعصّبنا للّه ولرسول الله، ولا نتعصّب لبعض حزبيّاتنا أكثر من تعصّبنا لإسلامنا.

ثم لا بد لهذا الوعي من أن يتمثّل في الواقع الحالي خط الشهادة، أن نكون الشهداء على الناس، وكما كان الرسول شهيدًا علينا فإن خط الشهادة يفرض عليك وعي ما تشهد به، أن تعي الإسلام الذي تنطلق الشهادة من خلاله، وأن تعي الواقع، ومن لم يفهم الإسلام مقارنًا بالواقع فكيف يفهم الشهادة؟ ومن لم يميّز بين الحق والباطل كيف يستطيع أن يسجّل حكمه على الواقع؟ إن بعضنا يعيش في التاريخ ولا يفهم الواقع فهو يعيش في زاوية مُغلقة والدنيا تركض وتصعد وتتطوّر، وبعضنا يعيش في الواقع ويستغرق فيه ولا يلتفت إلى التراث والتاريخ فهذا خطأ وذاك خطأ. نحنُ قومٌ ننطلق من عقيدة ومن أصالة ومن تاريخ يفتح لنا أكثر من باب، ونحن نعيش في الواقع وعلينا أن نوفِّق بين حركة الإسلام وحركة الواقع ليكون التكامل والتوازن»[2].

الدولة الصفوية وأثرها في الشِّيعة والتشيُّع(*)

أسَّس «الشيخ صفي الدين إسحاق» في مطلع القرن الرابع عشر في مدينة أردبيل، إحدى مدن مقاطعة أذربيجان، طريقة صوفية تطوّرت بعد فترة قصيرة إلى حركة دينية واسعة أسفرت عن قيام دولة دينية (الدولة الصفوية)، ما لبث أن تحوّلت بعد قرنين من الزمن إلى نظام ديني شامل عمَّ جميع أرجاء إيران ومناطق شرقي الأناضول. وبعبارة أُخرى استطاع الصفويون خلال فترة أن يرسموا حدود دولتهم، ويضعوا أُسسها الدينية، ونظامها الحزبي، وطرق الدعوة وأساليبها[3].

وكان الشيخ صفي الدين ـ كما ادّعى ـ يتصل نسبه بالإمام موسى بن جعفر الكاظم (١٢٨ ـ ١٨٣ هـ) وكان سُنّي المذهب ويتصف بقُدرات خارقة، وبنمط

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٢) الندوة ج ١، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م) ص ٣٣٩.

(*) ملاحظة: كل ما يُنقل في هذا الباب هو من مراجع التاريخ الفارسي والمُترجم إلى اللغة العربية (إلّا بعض التعليقات).

(٣) نقلاً عن كتاب «الفقهاء ـ حُكّامٌ على المُلُوك (علماء إيران من العهد الصفوي إلى العهد البهلوي) (١٥٠٠ ـ ١٩٧٩م) تأليف سعد الأنصاري (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) ط ١، ص ٢٩ ـ ٣٢.

خاص من المعيشة رفَعه إلى مقام رئاسة الطريقة الصوفية (بير)، وبعد وفاته بزمن قليل تحوّل خلفاؤه إلى «شيعة متعصّبين» وكان حفيده «خواجة علي» أوّل من اعتنق المذهب الشِّيعي، والذي وافته المنيّة في فلسطين سنة ١٤٢٧م، بعد أداء مناسك الحج.

وسرعان ما اتسمت الطريقة الصوفية باتجاهات شيعيّة متطرفة، حتى أنَّ لفيفًا من مريديه حسبوه فيضًا إلهيًا، يُضاف إلى هذا أنَّ شيوخ الطريقة الذين جاؤوا من بعده، تخلّوا عن أسلوب الدعوة بالترغيب إلى أسلوب الدعوة بالعنف في داخل إيران وخارجها.

تعاقب على رئاسة الطريقة الصوفية الشيخ جُنيد ومن ثمَّ نجله الشيخ حيدر، قُتل سنة ١٤٨٨م في إحدى المعارك، وخَلَفَهُ نجله الصغير إسماعيل (١٥٠٠ ـ ١٥٢٣م) وكبر فأخذ يتمتع بسلطات مطلقة وكان يتصف بالتُقى والورع، **فأخذ الناس ينظرون إليه على أنه مُمثّل «الإمام المنتظر» ومنذ أوائل القرن السادس عشر للميلاد أصبح المذهب الإمامي هو المذهب الرسمي في إيران**. وبعد وفاة الشاه إسماعيل نودي بالشاه طهماسب ملكًا على إيران. وفي أيامه اندلعت ثورة الأُزبك التتر، ونشبت حروب ضارية بينه وبين السلطان العثماني سليمان القانوني، حيث زحفت قواته على منطقة أذربيجان واستولت على عاصمتها «طوروس» وعلى «سلطانية».

وبعد استرجاع المناطق المحتلّة بحركة التفاف على مؤخرة الجيش العثماني، أحدث الشاه تخريبات واسعة ولمسافات طويلة لمنع العثمانيين من استئناف اعتداءاتهم على امتداد مناطق الحدود.

وهكذا حتى استلم الشاه عباس الملقب «بالكبير» رئاسة الدولة الصفوية، وقد شهدت الدولة في عصره ازدهارًا، وازدادت قوة ومنعة ومكانة دولية، وخاضت حروبًا طاحنة ضد الدولة العثمانية عدّوها التقليدي محاولة لاحتلال العراق العثماني، حيث العتبات المُقدّسة، ومراقد آل البيت في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء. وقد عُرف الشاه بالقسوة والشدّة، وكان محاربًا مقدامًا، ومُصلحًا كبيرًا، كما عُرف بالطيش أحيانًا[١]، وقد أغدق ملوك الصفويين الهدايا والتحف النفيسة

(١) نقلاً عن كتاب «الفقهاء حُكّامٌ على المُلُوك» دار الهدى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) ط ١، ص ٣٢.

لأضرحة آل البيت في العراق ولاسيما إلى ضريح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

ونتيجة للصراع والغزو المتبادل بين الدولتين أصبحت المناطق الوسطى والجنوبية في العراق تحت حكم الصفويين، **واشتهر الشاه عباس الأول بتعصبه الشديد للمذهب الشِّيعي الاثنى عشري، وهو كأسلافه بذل جُهدًا كبيرًا في ترويجه ونشره ومن مظاهر اهتمامه بهذا المذهب أنه كان يحتفل بالمناسبات الشِّيعيّة كافة، مثل ميلاد جميع الأئمة الشِّيعة وإقامة العزاء في ذكرى وفاتهم أو استشهادهم، وكذلك في اليوم التاسع عشر حتى السابع والعشرين من شهر رمضان بمناسبة استشهاد الإمام علي بن أبي طالب بالإضافة إلى إقامة مراسم العزاء في الأيام العشرة الأولى من محرّم وفي ليلة عاشوراء بمناسبة استشهاد الإمام الحُسين بن علي[2].**

أبقى الشاه عباس الأول على صيغة الأذان التي استنها جده الشاه إسماعيل الأول بإضافة عبارة «أشهد أنّ عليًا ولي الله»، واستكثر من زيارة أضرحة مشايخ الشِّيعة وأئمتهم، والقيام بخدمتها، وقد زار ضريح الإمام علي الرضا في مشهد، مرة سيرًا على الأقدام وحافي القدمين[3].

وقد وجّه عناية خاصة إلى مزار الإمام علي الرضا في مشهد، ويبدو أنه كان يهدف بذلك إلى حفظ الأموال داخل البلاد بجعله مزارًا جذابًا للحُجّاج حتى لا يرحلوا إلى مكة أو إلى المزارات الشِّيعية المُقدّسة في العراق[4].

دفع تشدُّد الشاه عباس الأول المذهبي إلى الانتقام من أهل السُنّة، وزادت

---

(١) راجع كتاب: محمد أغا أوغلو ـ السجاد الصفوي والملابس في مجموعة ضريح الإمام علي في النجف، نيويورك ١٩٤١م.

(٢) فلسفي، نصر الله: ج ٣، ص ٨٤٧، ١٤٨.

(٣) انطلق الشاه عباس مشيًا من عاصمته أصفهان إلى مشهد وتبلغ المسافة حوالي ١٣٣٣كلم، نقلاً عن تاريخ الدولة الصفوية (في إيران) (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) ط ١، ص ١٤٦ دار النفائس.

(٤) إيران ماضيها وحاضرها، تأليف دونالد ولبر، ترجمه عن الإنجليزية الدكتور عبد المنعم محمد حسنين (أستاذ كرسي ورئيس قسم اللغات الشرقية وآدابها بكلية الآداب جامعة عين شمس)، دار الكتاب المصري/ اللبناني (١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م) ط ٢ ص ٨٩.

المعارك المتواصلة بينه وبين كل من الأوزبك والعثمانيين (السُّنّة) حدة الخصام المذهبي الذي وصل إلى حدٍّ دفعه إلى محاولة **إقناع الإيرانيين بالتخلي عن الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج والاكتفاء بزيارة قبر الإمام الثامن علي الرضا في مشهد**، بحُجّة أنَّ الواجب القومي يُحتّم عدم سفر الإيرانيين عبر أراضي الدولة العثمانية المعادية ودفع رسوم العبور لها، وراح يُكثر من زيارة مشهد كي يُرغّب الإيرانيين بالذهاب إليها[1] مستعينًا بالعلماء في ذلك! لذا نجد في مروياتنا تفضيل زيارة الأئمة على فريضة الحج وهذه الروايات فيها حشد وتوجيه لزيارة الإمام الرضا عليه السلام وأنها تعدل عند الله ألف حجة ومئة عُمْرَةٍ، وعتق مئة رقبة في سبيل الله ويُكتب للزائر مئة حسنة ويُمحى عنه مئة سيئة!!

ومن شاهٍ إلى آخر حتى اعتلاء الشاه حسين العرش الصفوي نجل الشاه سليمان (١٦٩٤ ـ ١٧٢٢م) «ترك الشاه سليمان سبعة أولاد أكبرهم سلطان حسين البالغ من العمر ستة وعشرين عامًا، وكان الشاه المُتوفى قد أوصى بأن يخلفه ابنه الثاني عباس البالغ من العمر ثلاثة وعشرين، والذي اتصف بالحكمة والرزانة والتعقل، على عكس أخيه الأكبر الذي اتصف بضعف النفس والميل إلى الانزواء والابتعاد عن المجتمع. كانت كلمة الفصل في اختيار الشاه بيد الأُمراء والقادة، وقد رفعوا سلطان حسين إلى العرش في أصفهان ليستأثروا بشؤون الحكم، وجرت احتفالات التنصيب في (١٤ ذي الحجة ١١٠٥ هـ/ ٦ آب ١٦٩٤م)»[2].

وإذا استقرأنا التاريخ لوجدنا أنَّ **المجلسي المتوفى عام (١١١١ هـ) والمعاصر للدولة الصفوية قد أهدى في مقدّمة كُتُبه «بحار الأنوار» و«زاد المعاد» ـ الصفحات الأولى منها ـ وغيرهما إلى الشاه سلطان «حسين الموسوي الحُسيني الصفوي بهادر خان» الذي شجّع الملالي (العلماء) ليكتبوا له الموسوعات الفقهية الشِّيعيّة على النحو الذي يرتضيه ويُلبّي له طموحه وصراعه التاريخي مع العثمانيين، وما تقتضيه المصلحة السياسية للبلاد حتى لو كانت على حساب الحقائق الدينية والتاريخية!ولكي نعرف من هم هؤلاء الملالي الذين عاصروا الشاه حسين وكيف يفكرون ويتصرفون، نذكر ما**

(١) تاريخ الدولة الصفوية (في إيران) دار النفائس (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) ط١ ص ١٤٨.
(٢) تاريخ الدولة الصفوية (في إيران) دار النفائس (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) ط١، ص٢٢٨

كتَبَ المجلسي ذائع الصيت في كتاب الأدعية «زاد المعاد» المؤلف أساسًا من أجل تزكية نفس الإنسان وتربية روحه على العبودية الخالصة للّه وحده[1]!

مُقدّمة كتاب (زاد المعاد)

«الحمد للّه الذي جعل العبادة وسيلة لنيل السعادة، وفي الآخرة والأولى، والصلاة على سيد الورى محمد وعترته أئمة الهدى، أما بعد فإنَّ العبدَ الخاطئَ محمد باقر بن محمد تقي عفا الله عن جرائمِهما يدوّن على ألواح الأرواح الصافية للأخوة الإيمانيين والأخلّاء الروحانيين أنّ جناب الحضرة القدسية للباري تعالى شأنه جعل الصوم والصلاة والدعاء والعبادات أقصر الطرق وأشرفها لنيل السعادات وهداية التائهين في وادي الجهالة والضلالة، وقد وردت أعمال وأدعية جمّة عن رسول الله وأئمة الهدى (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) تزخر بها كتب الأدعية، وأنا الداعي خادم أخبار الأئمة الأطهار عليهم صلوات الملك الغفّار قد جمعتُ أكثرها في كتاب بحار الأنوار، غير أنَّ أكثر الناس لا يتيسّر لهم الاطلاع على ما في هذا الكتاب (ضخم جدًا) والعمل بجميع ما فيه نظرًا لانشغالهم بأنواع الهموم الدنيوية، لذا قرّرتُ تجميع خلاصة منتخبة من أعمال السّنة وفضائل الأيام والليالي الشريفة وأعمالها في هذه الرسالة لكي يتسنّى لعموم الناس الاستفادة منها ولعلّهم يذكرون هذا العبد المُذنب بدعاء أو استغفار، وأسميتُها بـ(زاد المعاد) عسى الله أن يهدينا وإياهم إلى سبيل الرشاد، ونظرًا لأن إتمام هذه الرسالة وإنجازها على عُجالة تمَّ في زمان دولة العدالة وأوان سَلْطَنةَ السعادة صاحب الحضرة العُليا سيّد سلاطين الزمان ورئيس خواقين العصر، شيرازة أوراق الملّة والدين وصفوة أحفاد سيّد المُرسلين، الماء والخضراء للبستان المصطفوي وعين سراج البيت المرتضوي.
السلطان الذي خدَمه كثير جَمّ والخاقان الذي الملائكة له حشم، سليل الشجاعة ومن سيفه البتّار نهر جارف لرؤوس الكُفَّار نحو دار البوار، وحسامه الحارق، كالنار يهوي على بيدر المُعاندين والمُخالفين مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾[2]، من ترتفع أيدي الداعين له بمزيد الرفعة في بلاطه العالي البُنيان، وتلهج ألسنة أرباب التصوف بزمزمة الدعاء له بخلود دولته، تعينها على ذلك طيور

---

(١) مقتبسة بالتصرف من كتاب «التشيع العلوي والتشيع الصفوي» الدكتور علي شريعتي، دار الأمير، ط٢ (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م) ص١٩٩.

(٢) سورة الرحمٰن، الآية: ٣٥.

العندليب الشامخة على حصان سدرة المُنتهى، والكل له داعٍ بأن يزلزل الله كل سيف يُشْهَرُ ضُدَّه في يد صاحبه، ويجعل كل راية نفاق مرفوعةٍ بوجهه كفنًا لرافعها وحاملها. . . يا مَن جبين غضبه يفكّ العقد التي لا تحلّ، وراحة يده الكريمة سحاب مطر على مزارع الآيسين، مؤسس قواعد الملّة والدين، مروّج شريعة الآباء الطاهرين، ومَن حياض بلاطه تفيض من كثرة تقبيل شفاه سلاطين الزمان وخواقين العصر، ومَنْ صرحُه الممرّد مُطرّز بنداء (قد مسّنا الضر أيها العزيز) أعني السلطان الأعظم والخاقان الأعدل الأكرم، ملجأ الأكاسرة، وملاذ القياصرة محيي مراسم الشريعة الغرّاء، ومشيّد قواعد الملّة البيضاء، السلطان بن السلطان، والخاقان بن الخاقان، الشاه سلطان حسين الموسوي الحُسيني الصفوي بهادر خان، لازالت رايات دولته مرفوعة، وهامات أعدائه مقموعة. . .

ومن هنا فإني أُقدّمها لحضرته الشريفة رجاء أن يتقبلها بباعه الأشرف، وينتفع بها صاحب السمو والجلالة بمحمد وآله الطاهرين، والله الموفّق والمُعين»[1]!!

ومن خلال ما تقدّم يتبيّن ماهية العلاقة والحظوة التي كان المجلسي يحظى بها لدى الشاه حسين وحاشيته، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على «**أنَّ العلماء كانوا يقفون من الحاكم موقف المؤيد والسبب يعود إلى السياسة التي اتبعها الشاه من العلماء حيث عزّز مكانتهم من إيراداتهم المالية من العقارات والأراضي الموقوفة للمدارس الدينية والمساجد، ولأضرحة آل البيت وأصحاب الكرامات المنتشرة في أرجاء إيران، ومن النذور والتبرعات الخيرية. هذا فضلًا عن «الحقوق» المتأتية من الزكاة والخُمس التي يتسلّمها «نائب الإمام» وكانت معظم هذه الموقوفات تُدار، وإلى أمد قريب، من قبل العلماء المُجتهدين أنفسهم، ثُمَّ إضيفت موقوفات كثيرة لأضرحة أئمة آل البيت ولا سيّما في منطقة خُراسان والمناطق الغربية من إيران، ولأضرحة آل البيت في مُدُن العتبات المُقدّسة في العراق**»[2].

وفي منطقة خُراسان أراضٍ زراعية وقرى كثيرة أصبحت وقفًا لضريح الإمام علي بن موسى الرضا (١٤٨ ـ ٢٠٣) في مدينة مشهد (طوس سابقًا) ويُشرف على إدارتها عُلماء دين وكانت موردًا لا ينضُب لتصريف شؤونهم. وفي عهد ملوك آل

---

(١) زاد المعاد، المجلسي، مقدمة الكتاب (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م) دار الأعلمي، بيروت/لبنان، ص٩، ١٠.
(٢) تاريخ الدولة الصفوية (في إيران) دار النفائس (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) ط ١، ص ٩٥.

قاجار تأسست إدارة خاصة للإشراف على إيراداتها، وأصبح «متولي الأوقاف» الرسمي الشاه القاجاري نفسه يديرها نيابة عنه والي مقاطعة خُراسان، وظل الحال على هذا المنوال إبان الحكم البهلوي[١].

ونتيجة لهذا الدعم الكبير للعلماء وتماشيًا مع الصراع السياسي القائم مع العثمانيين (السُّنّة) ونزولًا لتوجهات وسياسات الشاه الصفوي أفتى الشيخ باقر المجلسي بوجوب لعن وتكفير أبي بكر وعُمر وعُثمان وعائشة والتبرؤ منهم، وقال: «**كل من يحبهم فهو كافر أيضًا، وكل من يشك في كفرهم فلعنة الله ورسوله عليه وعلى كل من يعتبرهم مسلمين وعلى كل من يكف عن لعنهم**»[٢].

«وقد جاء في نسخة مخطوطة في مكتبة البرلمان (الإيراني) أنه في مطلع العهد الصفوي كان (القزلباشية) الصفوية يجوبون شوارع وأزقة المدن وهم يصيحون بصوت واحد: **اللعنة على أبي بكر، اللعنة على عمر، وكان يتعيّن على المارّة أن يردّدوا هذا الشعار معهم، وكل من يتردّد في ذلك سيَغرُز الحُرّاس حرابهم في صدره لإخراجه من حالة الشك والتردد!**

إنَّ هذا العمل «من الناحية الإعلامية كان له أثر لا يقبل الإنكار في نفسيّة الشِّيعة المُعبّأة بالعقد، وهو بالحقيقة يُمثّل ردّ فعل طبيعي على الطعنات والمظالم التي تعرضوا لها طوال التاريخ، والآن تأتي السُلالة الصفوية شاهرة سيفها وهي تُنادي بالثأر من السُنّة والانتقام لظُلامة أهل البيت وشُهداء الشِّيعة، فما ظنك بعوام الناس من الشيّعة، والذين لا يمتلكون عادةً القُدرة على تحليل المسائل الفكرية والتاريخية والعقائدية بعمق ودراية، ولا يدركون أن هذا البقال أو العطار السنّي لم يتورط في أحداث السقيفة ولم يشهد كربلاء، هذا الجهل والتعصّب الطائفي كانت القوى السياسية والدينية الرسمية تستثمره في تحقيق أهدافها وتمرير مُخططاتها وذلك عن طريق سحب الاختلاف العقائدي من دائرة أهل الخبرة والتخصص إلى دائرة العوام ليتحوّل من خلاف فكري إلى خصومة واختلاف بين الترك والفرس والعرب والعجم والمسلمين والهندوس وغير ذلك»[٣].

---

(١) نقلاً عن كتاب «الفقهاء حُكّامٌ على المُلُوك» دار الهدى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م) ط ١، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) جلاء العيون ص ٤٥، حق اليقين، المجلسي، ص ٥٢٢.

(٣) التشيُّع العلوي والتشيُّع الصفوي، الدكتور علي شريعتي، دار الأمير/ بيروت ط١ (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م) ص ٧٥ ـ ٧٦.

ونخلص إلى القول أنَّ الصراعات السياسية بين الصفويين (الشِّيعة) والعثمانيين (السُنّة) كان لها الدور الأساسي في التأثير على عقائد الطرفين ما ولّدَ حالة من الالتزام الديني المغلوط ولا دخل له في الجوهر الحقيقي للدين والإسلام السليم.

«فقد كانت الدولة الصفوية تعتمد سياسة الاستنفار المذهبي لقناعتها بأنه كُلّما احتدم الصراع المذهبي تماسكت اللُحمة الداخلية وكلّما تراخت الصراعات تفككت اللُحمة الداخلية وهذا ما يُساعد في مواجهة سيطرة العثمانيين وزحفهم نحو الأراضي الإيرانية ومناطق شمال العراق»(١).

آثار هذه الصراعات في الجانب العقائدي والفقهي

إنَّ الصراع السياسي والعسكري بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية والحروب بينهما حُوِّل بطريقة ذكية إلى اختلافات دينية ما لبثت أن سرت في الجانبين وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من عقيدته وإيمانه. ومن هذه الجوانب:

الجانب العقائدي

إباحة اللعن من (الصفويين) والتكفير المضاد من (العثمانيين)

نتيجة للصراع القائم بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية ذهب كلا الطرفين إلى النزعة المُتشدّدة وتبادل المعاملة القاسية، نذكر منها:

- ما حدث عام (١٠٢٣هـ/ ١٦١٤م) من ثورة قامت بها قبيلة مكري الكردية ضد الحكم الصفوي، أن أمرَ الشاه عباس الأول جيشه بالتحرك صوب المنطقة الثائرة والاستيلاء على القلاع التي تحصّن بها الأكراد ومنها قلعتي «بسك وماكو»، والفتك بالثائرين فنفَّذ الجيش الصفوي عمليات عسكرية ضد القلاع الثائرة، وأجرى فيها مذابح جماعية وشرَّد الكثير من الأكراد وسَبَى النساء والأولاد(٢).

- عامل الشاه عباس الأول سكان أندَخود في بلاد ما وراء النهر معاملة قاسية بما

---

(١) تاريخ الدولة الصفوية (في إيران) دار النفائس (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) ط١، ص ٩٥.

(٢) منشي، إسكندر بك تركمان: - تاريخ عالم أراي عباس، تهران ١٣٣٤هـ - ش: ص ٥٧٥، قليحان، رضا المتخلص بهدايت - رياض العارفين. تهران ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧ - ١٨٨٨م.
- ملحقات تاريخ روضة الصفا. قُمّ ١٣٤٦ هـ ش.

أجراه من مذابح عامة بحق السكان إثر استيلائه على هذه المدينة (١٠١١هـ/ ١٦٠٢١م) فأسرَ أعيانها وعظماءها وقاضيها، وساق كل جندي صفوي أمامه أسيرًا من أهلها[١].

ـ اتصف الشاه عباس الأول بالقسوة والخشونة في معاملة أسرى الأوزبك والعثمانيين وكان سمل عيونهم أدنى ما أوقعه بهم ولم يكن يصفح عن أسير إلّا إذا تخلى عن مذهبه السُنّي واعتنق المذهب الشِّيعي، ومن بين الذين فعلوا ذلك، شريف بك، حاكم وان بمنطقة أذربيجان[٢].

ـ عندما نزل الشاه عباس الأول في عام (١٠٠٨هـ/ ١٦٠٠م) بمدينة سِمنان، رفض حاكمها الخضوع لأوامره، فاعتقل عددًا كبيرًا من سكانها السُّنّة انتقامًا، وانتزع منهم ثلاثمائة تومان تكفيرًا عن ذنوبهم[٣].

ـ بلغ الشاه عباس الأول في عام (١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م) أنَّ حاكم مدينة همدان محمود الدباغ وهو سُني المذهب، يظلم الشِّيعة فيها، فأمر بإلقاء القبض عليه وقتله ولكن محمود تمكّن من الفرار فأنذر الشاه سكان المدينة من السُنّة بقتلهم جميعًا والاستيلاء على ممتلكاتهم وأموالهم إذا لم يُسلِّم محمود الدباغ نفسه خلال ثلاثة أيام، وعندما ظهر قبض عليه وقتله[٤].

ـ شنَّ الوهابيون صبيحة عيد الغدير هجومًا على مدينة كربلاء المُقدّسة، اشترك فيها اثنا عشر ألف مقاتل «واقتحموا أسوارها وتحصيناتها، وأسفر عن مصرع آلاف القتلى داخل صحن الإمام الحُسين، كان من بينهم مئات الزوار الإيرانيين، وعن تدمير الضريح الطاهر، وقُدّرَ عدد القتلى يومذاك بخمسة آلاف قتيل، أما قيمة ما نُهِبَ من تُحف فلا يُقدَّر بثمن[٥].

ـ أرسل السلطان العثماني جيشًا في (صفر ٩٤٠هـ/ أيلول ١٥٣٣م) تعداده مائة

---

(١) منشي، إسكندر بك تركمان: المصدر نفسه، ص٣٣٤، ٣٣٥.

(٢) فلسفي، نصر الله: زندگاني شاه عباس أول ج ٣ ص ٨٩٨، جاب دوم، تهران ١٣٣٢، ١٣٣٤ هـ ش.

(٣) جمعة والخولي: ج١، ص٢٧٨.

(٤) جمعة والخولي: ج١، ص٢٧٩.

(٥) نقلاً عن كتاب (الفقهاء ـ حُكَّامٌ على المُلُوك) (١٤٠٦ ـ ١٩٨٦م) ط١، ص ٣٦.

وأربعون ألف جندي بقيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا لمحاربة الصفويين، وشرف خان معًا، وأثناء وصول الجيش إلى «قونية» انضم إليه حاكم أذربيجان، وحتى يبرهن هذا الحاكم عن حُسن نيته تجاه العثمانيين قتل شرف خان حاكم «بدليس» الواقعة قرب خلاط جنوبي بحيرة وان على الحدود العثمانية ـ الصفوية، وأرسل رأسه إلى السلطان[١].

ـ خرج السلطان العثماني من استانبول في (٢٩ ذي القعدة ٩٤٠هـ/ ١١ حزيران ١٥٣٤م) وانضم إلى قواته المُتقدّمة، وزحف بها إلى همدان، ومنها اتخذ طريقه نحو المساكن الشتوية للعراق، وتوقف فيها قبل أن يصل إلى تبريز[٢].

ـ عزم السلطان سليمان القانوني على مطاردة الشاه، فسار بجيوشه في (ربيع الآخر ٩٤١ هـ/ تشرين الأول ١٥٣٤م) إلى مدينة زانجان ثمَّ إلى مدينة السلطانية الواقعة إلى الشرق من جيلان[٣].

ونتيجة لهذه الصراعات السياسية والتي تحوّلت إلى عصبيات مذهبية، يبدو أن الشِّيعة والسُنّة الآن يعيشون نتائج وخلفيات تلك الأحداث التاريخية، وأصبحنا كبش محرقة لهذه العدوات السياسية والتي تحوّلت إلى عقائد على مرّ الزمان، فكان الصفويون لا يكفّون عن لعن الخُلفاء الثلاثة والسيدة عائشة، وكان العثمانيون في المقابل يكفّرون الشِّيعة ويستبيحون دماءهم وأعراضهم. لذا جرت مفاوضات على مبدأ عقد صلح بين الجانبين في استانبول تضمنت البنود التالية:

١ ـ تتنازل إيران للدولة العثمانية عن تبريز والقسم الغربي من أذربيجان وولايات: أرمينيا، شكي، شماخي، تفليس، شروان، الكرج وقراباغ وقسم من منطقة لورستان مع قلعة نهاوند.

---

(١) فريد بك، محمد: تاريخ الدولة العلية العثمانية. تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت ط٢، ١٩٨٣م، ص ٢٢٢ (نقلاً عن كتاب تاريخ الدولة الصفوية (في إيران) دار النفائس ص ٩٤).

(٢) تاريخ الدولة الصفوية (في إيران) دار النفائس، (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) د. محمد سهيل طقوش ط ١، ص٩٥.

(٣) تاريخ الدولة الصفوية (في إيران) المصدر السابق، ص٩٥.

٢ ـ يتعهد الصفويون بالتوقف عن سبّ الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل، أبي بكر وعمر وعثمان وأم المؤمنين عائشة.

٣ ـ يبقى حيدر ميرزا، أخو الشاه عباس الأول، رهينة في استانبول كدليل على حسن نية، وعدم خرق المعاهدة.

٤ ـ يتعهد الطرفان بالإفراج عن أسرى الحروب من كلا الجانبين[١].

ومن أهم ما تناولته هذه المعاهدة هو الجانب العقائدي لدى الجانبين حيث تعهدت الدولة الصفوية بالكف عن سبّ الخلفاء الثلاثة الأوائل وأم المؤمنين عائشة، وجاء ذلك إرضاء للشعور الإسلامي العام وتبريرًا للعثمانيين بزوال السبب الرئيسي لهذه الحروب[٢] وفي المقابل توقف العثمانيين عن تكفير الصفويين (الشِّيعة) وإباحة دمائهم وقتلهم.

«ويبدو أنَّ العثمانيين قبلوا بهذا الصلح على الرغم من قدرتهم تحقيق المزيد من التوسع والتوغل في الأراضي الإيرانية، لأنهم حققوا بهذه المعاهدة هدفين استراتيجيين:

أولهما: يتمثل في تأمين جبهتهم الشرقية حتى يتفرغوا لمشكلاتهم في أوروبا.

ثانيهما: يتمثل في إيقاف الحملات العدائية المضادة بين الدولتين لتذكية النعرات المذهبية بين كلا الطرفين»[٣].

سادَ الهدوء مناطق الحدود المشتركة بين الصفويين والعثمانيين بعد توقيع اتفاق الصلح فانتهت بذلك مرحلة من الحروب والمناوشات استمرت اثني عشر عامًا (٩٨٥ـ ٩٩٨هـ/ ١٥٧٧ـ ١٥٩٠م)[٤].

---

(١) قليخان، رضا المتخلص بهدايت ـ رياض العارفين. تهران (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨م).
ـ ملحقات تاريخ روضة الصفا. قُمّ ١٣٤٦ هـ ش، ج ٨ ص ٢٥٨، ٢٥٩.
الأسترابادي، سيد حسن بن مرتضى حسني: أز شيخ صفي تاشاه صفا باهتمام إحسان إشرافي، انتشارات علمي، تهران ١٣٥٨هـ ش. ص ١٤٥.

(٢) قليخان، م. س، نقلاً عن تاريخ الدولة الصفوية (في إيران) دار النفائس ص ١٦٥.

(٣) جمعة، بديع وأحمد الخولي: ـ تاريخ الصفويين وحضارتهم، ج ١، دار الرائد العربي، القاهرة ط ١، ١٩٧٦م ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

(٤) براون، إدوارد: تاريخ الأدب في إيران: تعريب أحمد حلمي، جامعة الكويت، ج ٤ ص ٩٩.

الجانب الفقهي

فتح باب الاجتهاد والتقليد:

(في أعقاب انهيار الحكم الصفوي ظهرت شخصيتان مهمتان على مسرح الأحداث السياسية في إيران هما نادرخان في المناطق الشمالية الشرقية، وكريم خان زند (١١٦٣ ـ ١٦٥٠م) في المناطق الجنوبية. فاستطاع كريم خان زند أن يسيطر على القبائل القاطنة في منطقة فارس وجبال زاغروس، وأن يجعل مدينة شيراز عاصمة له. وأعلن نفسه «وكيلًا» أي وصيًا على الأمير الشاب طهماسب بن الشاه حسين آخر ملوك الصفويين. وتوطيدًا لدعائم حكمه، وتوكيدًا لسياسته الدينية والمذهبية أصدر كريم خان أمرًا بتعيين «شيخ الإسلام» ليكون رمزًا روحيًا لدولته الجديدة، ومنحه سلطات محدودة، وقسّم منطقة شيراز إلى اثنتي عشرة مقاطعة، يدير كل واحدة منها «إمام» من عُلماء الدين.

وفي هذه الفترة ظهرت كذلك حركتان مهمتان هما: الحركة الاخبارية، والحركة الأصولية، وكلاهما لقيتا اهتمامًا كبيرًا من الملوك والعلماء والأمراء.

الحركة الاخبارية والحركة الأصولية:

لقد واجه المذهب «الإمامي» في إيران والعراق خلال حقب تاريخية طويلة، ولاسيما في العهدين الصفوي والقاجاري، خلافات فقهية خطيرة أحدثت انقسامًا في صفوف العلماء، وبلبلة في صفوف الناس، وكاد المسلمون الشِّيعة أن ينقسموا إلى طائفتين كبيرتين: **شيعة أصولية في إيران، وأخبارية في العراق**. وانتهى الأمر بانتصار المذهب الأصولي على المذهب الاخباري. وكان الخلاف يدور في جوهره، حول نظرية «**الإمامة**»، ودور «**المجتهد**» **من حيث هو** «**نائب**» الإمام الغائب، فقد ذهب «**الأخباريون**» إلى أنَّ العالم «**المجتهد**» غير كفءٍ لتحمل دور الوساطة بين المؤمنين والإمام الغائب، ونادوا بإلغاء هذا الدور والاستعاضة عنه بسلطة أكثر قدرة على إرشاد الناس لأحكام الدين، ذات صلة روحية مباشرة «بالإمام المنتظر» ليصبح الركن الرابع من أركان المذهب الإمامي. وبعبارة أخرى **ذهبت الحركة الاخبارية إلى إلغاء وظيفة المجتهد والحد من دور العلماء علميًا ومذهبيًا والنظر إلى الاجتهاد على أنه بدعة دخلت إلى الفقه الإمامي** أيام محمد بن يعقوب الكليني المُتوفى سنة ٣٢٨ هـ(٩٤١م). واتهم العلماء الأخباريون المجتهدين بأنهم ينحون منحى أهل السُّنّة باعتمادهم على

العقل، شأنهم في ذلك شأن اتباع المذهب الحنفي، وقد أحل الأخباريون «**النقل**» محل العقل في استنباط الأحكام، **ودعوا إلى استنباطها من معينها الأول وهو القرآن والسُّنّة النبوية، وقالوا أن الأئمة من أهل البيت نظروا إلى العلماء من حيث هم نَقَلَهُ التراث الفقهي ليس إلَّا**، كما أنهم قسّموا التراث إلى صنفين: صنف صحيح وآخر ضعيف، ورفضوا تصنيف المسلمين من قبل الإمامية إلى مؤمنين مجتهدين ومقلدين، **وقالوا كفاهم أن يكونوا مقلدين إلى أئمة أهل البيت** عليهم السلام **وحدهم**.

قطعت الحركة الاخبارية، ومحدثيها، في نشأتها ثلاث مراحل[1]:

المرحلة الأولى: كانت ولادتها على يد الإمام محمد بن يعقوب الكليني وهو من أعلام الأمامية المبرزين، كان شيخ الشِّيعة في بغداد. أشهر كتبه «**أصول الكافي**» توفي عام ٣٢٩هـ في بغداد وآراؤه «**صريحة في حُرمة الاجتهاد والتقليد، وفي وجوب التمسك بروايات العترة الطاهرة** عليهم السلام **المسطورة في تلك الكتب المؤلفة بأمرهم**»[2] وكذلك على يد الشيخين الأعلمين الصدوقين. وهما محمد بن علي الحُسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، من أعلام الإمامية، ورئيس المؤرخين ومن أشهر مؤلفاته «من لا يحضره الفقيه» ورد بغداد سنة ٣٥٥هـ، وانتقل إلى الري، توفي بها عام ٣٨١هـ. والثاني والده علي بن الحُسين، فقيه محدّث، توفي سنة ٣٢٩هـ ودُفن في قُمّ.

المرحلة الثانية: كانت نشأتها على يد العلّامة الاسترابادي وهو الميرزا محمد أمين بن شريف الاستربادي، من أعلام الامامية المحدثين، كان صلبًا في رأيه وهو أول من فتح الطعن على الإمامية الأصولية. توفي في مكة المُكرَّمة عام ١٠٣٦هـ. من كتبه: «**الفوائد المدنية للرد على الأصولية**»، حيث جعل الكتاب والسُّنّة وحدهما مصدر التشّريع، شريطة أن تكون السُّنّة مروية عن أئمة أهل البيت لا عن غيرهم. ولم يجرِ «استنباط الأحكام النظرية من ظواهر كتاب الله، ولا ظواهر السُنن النبوية ما لم يعلم أحوالهما من جهة أهل الذكر عليهم السلام. بل يجب التوقف

---

(١) د. محمد بحر العلوم: الاجتهاد أصوله وأحكامه، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) راجع: أصول الكافي - باب (١١) التقليد - **حيث ذكر أحاديث في حرمة الاجتهاد والتقليد**، كتاب «فضل العلم» ج ١، ص ٥٣.

والاحتياط فيهما، وأن المجتهد، في نفس أحكامه تعالى، إن أخطأ كذب على الله تعالى وافترى، وإن أصاب لم يؤجر، وأنّه لا يجوز القضاء، ولا الإفتاء إلّا بقطع ويقين ومع فقده يجب التوقف».

المرحلة الثالثة: تمثّلت في شخصية العلّامة يوسف البحراني وهو الشيخ يوسف بن محمد بن أحمد الدرازي البحراني من آل عصفور، من أعلام الإمامية، هاجر من إيران إلى كربلاء، عام ١١٦٩هـ طلبًا للعلم والإطلاع، له مؤلفات كثيرة، توفي في كربلاء عام ١١٨٦ هـ، أضفى العلّامة البحراني طابع الاعتدال، فجعلها مذهبًا وسطًا بين الأصوليين والاخباريين، وضيّق حدة المناقشات التي دارت والمؤلفات التي وضعت.

في العهد القاجاري بلغت الاجتهادات الفقهية أوجها، وأحدثت إنقسامًا خطيرًا في صفوف المجتهدين، وانقسم الشِّيعة الإمامية إلى فرقتين: أصولية وإخبارية. والاخباري كما يقول الدكتور محمد بحر العلوم هو «**الفقيه المستنبط للأحكام الشرعية من الكتاب والسُنّة فقط. وبعد يأسه من دليل الحكم يرجع إلى أصالة البراءة في الشبهات الحكمية التحريمية**». ويقابله الأصولي وهو «**الفقيه المستنبط للأحكام الشرعية الفرعية من الكتاب والسُّنّة والإجماع ودليل العقل، ومن غيرها مما قامت الحُجّة عندهم عليه**»[1].

ظهر المجتهد أقا محمد باقر البهبهاني[*] (١١١٧ ـ ١٢٠٨هـ) وتصدّى للحركة الاخبارية بحزم وقوة وشنَّ حملة فكرية واسعة عليها، تشهد بذلك مؤلفاته التي حلل بها وظيفة «المجتهد» وواجباته المختلفة، وأقرَّ وظيفته الشرعية، وجعلها وظيفة أساسية. **استخدم البهبهاني سلاح العنف** والعلم والتوعية في مطاردة فلول الاخباريين **ولا سيما بعد أن أفتى «بتكفيرهم» وكان يرافقه حرس خاص خلال تنقلاته... من مدينة إلى أخرى، لمطاردتهم وتصفيتهم إذا تطلب الأمر ذلك**. وهذا

---

(١) د. محمد بحر العلوم: الاجتهاد وأصوله وأحكامه، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع بيروت (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م) ص ١٦٨ ـ ١٦٩.

(*) ولد البهبهاني في مدينة أصفهان بإيران سنة ١١١٧ هـ (١٧٠٥م)، حيث تلقى العلم على يد والده العلّامة محمد تقي، وهاجر إلى مدينة كربلاء بالعراق طلباً للعلم، **في أعقاب حلم رآه في منامه أنَّ الإمام الحسين يدعوه للإقامة في كربلاء وعدم مبارحتها لتثبيت العقيدة**، فمكث فيها ولم يبارحها، وهو مؤسس مدرسة «الأصول» في الفقه.

ما ذكره أحد تلاميذه وهو الشيخ جعفر نجفي، أو الشيخ جعفر كاشف الغطاء مؤلّف كتاب «مبهمات الشريعة الغرّاء».

إنَّ تصدّي البهبهاني، للحركة الاخبارية وتصميمه على سحقها بكل ما لديه من قوة أسفرتَ عن تراجع الحركة في كل من العراق وإيران. وبعد وفاته انتقلت المرجعية الدينية إلى الشيخ مرتضى الأنصاري في النجف (١٢١٤هـ ـ ١٢٨١م).

الفروقات بين الاخباريين والأصوليين:

١ ـ يرى المجتهدون أنَّ أدلة الأحكام الشرعية أربعة: الكتاب والسُنّة والإجماع والعقل، بينما الأخباريون لا يعتمدون غير الكتاب والسُّنّة، بل اقتصر بعضهم على السُّنّة بناء على أنَّ الكتاب لا يجوز تفسيره والعمل بما فيه إلَّا بما ورد التفسير به عن أئمة أهل البيت.

٢ ـ الأشياء عند الأصوليين مبنية على الحلال والحرام، بينما هي عند الأخباريين على حلال بيّن، وحرام بيّن، وشُبهات بين ذلك.

٣ ـ إن المجتهدين يجوّزون أخذ الأحكام الشرعية بالظن، أما الأخباريون فيمنعونه، ولا يقولون إلّا بالعلم.

٤ ـ أوجب المجتهدون الاجتهاد عينًا أو تخييرًا. وذهب الأخباريون إلى حرمته وأوجبوا الأخذ بالرواية إما عن المعصوم مباشرة أو من روي عنه وإن تعددت الوسائط.

٥ ـ الأحاديث عند المجتهدين أربعة أنواع، صحيح وحسن وموثّق وضعيف، إما عند الإخباريين فينتهي تقسيمهم إلى صحيح وضعيف فقط.

٦ ـ الحديث الصحيح عند المجتهدين ما يرويه الإمامي العدل الثقة عن مثله إلى المعصوم، والحسن ما كان رواته، أو أحدهم إماميًا ممدوحًا غير منصوص عليه بالتوثيق، أما لدى الأخباريين فالحديث صحيح ما صح عن المعصوم وثبت. ومراتب الصحة عندهم مختلفة، فتارة بالتواتر، وأُخرى بأخبار الآحاد المحفوفة بالقرائن التي تشهد بصحة الخبر.

٧ ـ يحصر المجتهدون الرعية في صنفين: مجتهد ومقلد لا ثالث لهما، أما الأخباريون فيرون الرعية كلها مقلدة للمعصوم، **ولا يوجد مجتهد أصلًا**.

٨ ـ قال المجتهدون بطلب العلم في زمن الغيبة بطريق الاجتهاد، وفي زمن

الحضور بالأخذ من المعصوم، ولو بالوسايط. وفي زمن المعصوم لا يجوز الاجتهاد. أما الإخباريون فلا يفرّقون بين زمن الغيبة والحضور، بل حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، لا يكون غيره، ولا يجيء غيره)[1].

لعلَّ الأخباريين أخطأوا عندما اعتمدوا على الأخبار فقط ورأوا أنَّ جميع ما ورد في الكتب الأربعة صحيح، ومنعوا من العمل بظواهر الكتاب العزيز لطرود ومُقيدات ومُخصصّات على مطلقاته وعموماته من السُّنّة، لكن فتح باب الاجتهاد أدى إلى نتائج وخيمة على المذهب الشِّيعي، فرُغم أنَّ الإجتهاد كان له إيجابيات في مجال الفقه إلَّا أنه كان كثير الضرر في العقائد وساهم بشكل كبير في ابتعادنا عن جوهر الدين الذي كان عليه أئمتنا ﷺ، ويمكن لأي شخص وبكل بساطة إذا أمعن النظر قليلًا دون أحكام مُسبقة ولا خلفيّات مذهبية ولا ضغوطات دينية أو موروثات عُرفية أو تعصّب أن يكتشف ذلك!

وسيكتشف أننا نعيش في دائرة التبعية العمياء والتحجُّر الذي يحكم عقولنا لِنُؤَجِّرَها لغيرنا ليفكروا عنّا باسم القداسة الدينية ـ المُعلّبة ـ التي تُمارس الوصاية الفكرية وتصوغ أفكارها من التحنُّط الماضوي والعصبية العمياء والغلوّ والخُرافة والتخلُّف التي أخذت تتقدّم عبرالعصور لتُصبح في مرتبة «الغيب» تارةً و«الكرامة» تارةً أخرى! هذا التفكير الماضوي هيّأ لهؤلاء سُلطة دينية خفيّة حكمَتنا بعقائد مغلوطة وتاريخ مشوّه! وكل طالب للحقيقة يستطيع أن يتلمّس ذلك ويصل إليه.

وهذا بالضبط ما توصّل إليه **الدكتور علي شريعتي**[*] وبحُكم تخصُّصه في تحليل

---

(١) نقلاً عن كتاب (الفقهاء، حُكَّامٌ على المُلُوك) (علماء إيران من العهد الصفوي إلى العهد البهلوي): تأليف سعد الأنصاري (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، الطبعة الأولى، ص٣٨ ـ ٤٥.

(*) علي محمد تقي شريعتي: هو الولد الثاني لأحد علماء مشهد وأساتذتها الشيخ محمد تقي شريعتي، عضوٌ في مجلس الفتوى للمرجع الديني السيد الميلاني وكان هذا في بداية الستينيات الميلادية، لذا نشأ الدكتور علي شريعتي داخل المرجعية وتحرك بدقة في أحشائها وأمعائها، تخرج من الجامعة من كلية الآداب بدرجة امتياز (سنة ١٩٥٩م)، درس علم الاجتماع الديني وتحليل التاريخ في جامعة (السوربون)، يتقن اللغة العربية وترجم كتاب (أبو ذر) إلى الفارسية واللغة الفرنسية أيضاً وترجم كتاب (الدعاء لأكسيس كارل) إلى الفارسية، يتمتع بذكاء حاد وعقل وقادّ، خطيب يتقن البيان بفن رائع، يتميّز بقلم جذاب يستميل القُرّاء، ولد علي شريعتي في «مزينان» وهي قرية من قرى سبزوار في منطقة خُراسان سنة ١٣١٢هـ. ش (ديسمبر سنة ١٩٣٣م) قُتل عام=

التاريخ وعلم الاجتماع الديني، اكتشف: «**أنَّ التشيُّع الذي كان عند حدوث الغيبة الكُبرى ليس هو التشيُّع الموجود الآن. وإنَّ ما يدور عند الشِّيعة من طقوس وطريقة التعبّد والشعائر أغلبها دخيلة وجديدة وإنَّ عوامل سياسية وعرقية واجتماعية ومادية لعبت دورًا في تسللها إلى الفكر الشِّيعي وبلورة الوجود الشِّيعي**»[1].

ولعلَّ فتح باب الاجتهاد قد ساهم في ذلك أيضًا، ثمَّ نُصبح في زمانٍ يقولون فيه: «**كل أعمالك باطلة إذا لم تُقلّد!؟**» كيف تكون باطلة؟! «**وموضوع التقليد هو مُستحدّث كما يؤكد ذلك العلّامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين (رحمه الله) حيث يقول:**

«مصطلح تقليد ومصطلح مرجعية، هذان المصطلحان وما يراد منهما ويناسبهما غير موجودين في أي نص شرعي وإنما هما مستحدثان... لعلّه بالتأثر ببعض الأوساط الفكرية نشأ مفهوم التقليد، الموجود هو الإتِّبَاع، أو التعلُّق، هو التفقُّه. حتى الإتِّبَاع نحنُ نتحفظ على هذا الكلام.

الإنسان الجاهل أو العامي هو ليس متَبِعًا للفقيه، هو مُتَبعٌ للشريعة، نحنُ في الفكر الإسلامي ليس عندنا اتباع للأشخاص. الفقيه لا يتمتّع بأي قداسة على الإطلاق، وليس مؤهلًا لأن يكون متبوعًا على الإطلاق **لذلك مفهوم تقليد هو مفهوم دخيل. أنا أعتبره مفهومًا دخيلًا**»[2].

(لقد نشأ التقليد كما تقدّم بعد صراعات حادة بين عُلماء الشِّيعة، وأدت هذه الصراعات إلى أنهار من الدماء بين أتباع هذا وذاك، ثمَّ انتهى عُلماء الشِّيعة إلى صنفين. صنف يُنادي بوجوب التقليد وهم (الأصوليون) وهؤلاء بزعامة الوحيد البهبهاني وتابعه الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ثمَّ النراقي صاحب العوائد، ثم الأنصاري وهكذا... أما الصنف الثاني فاعتمدوا العمل بالإخبار ويسمّون بـ(الإخباريين). ويتزعّم هؤلاء الأمين الاسترآبادي وتابعه المجلسي صاحب البحار، والشيخ يوسف

= (١٩٧٧م) بعد وصوله إلى لندن بشهر واحد على يد السافاك: جهاز الاستخبارات الإيراني زمن الشاه، صلى على جثمانه الشريف سماحة السيد موسى الصدر سنة (١٩٧٧م) ودُفن في حرم السيدة زينب ـ سوريا.

(١) نقلاً عن كتاب «بين قوسين ـ جولة في دهاليز مظلمة» السيد محمد حسن الكشميري، دار النصر/ بيروت، ص١٦٩ ـ ١٧٢.

(٢) الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ط ١ (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م) ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

البحراني صاحب الحدائق، والفيض الكاشاني، والحرّ العاملي صاحب الوسائل وغيرهم. . . وهنا تحوّل قسم من الشِّيعة وهم الأكثرية إلى التقليد. . . ومسألة أنَّ العمل بلا تقليد باطل فهذا لا صحة له وهو ابتداع في الدين. ومعاذ الله أن يضيع الله عمل عامل من عباده والله وحده فقط هو الذي يعرف النوايا وأسرار العباد.

إنَّ التقليد ليس من الواجبات الشرعية ولكنه ضروري، وهو أن يُراجع الإنسان الجاهل بالأحكام عالمًا كما يُراجع المريض طبيبًا، وكما يُراجع صاحب البناء مهندسًا. من باب قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾[1] وهكذا توصيات الأئمة لشيعتهم: (فارجعوا إلى رواة حديثنا ومن يعرف حلالنا وحرامنا). أمّا الحديث الوارد (من كان من الفقهاء. . . فللعوام أن يقلدوه) هو مشكوك في أمره ولا سند له إلاَّ في تفسير الإمام الحسن العسكري. وقد قال ـ أستاذ الحوزة العلمية ـ الإمام الخوئي بأنَّ تفسير الإمام العسكري مزيّف وهو لرجل مجهول كتبه ونَسَبه للإمام، وعلى هذا سقط هذا الحديث عن الاعتبار، هذا عدا أنه من المراسيل ولا يُعتد به.

إنَّ كل ما في الأمر هو أنَّ الأئمة عليهم السلام عيّنوا وشخّصوا للناس من يرجعون إليهم في حلّ مشاكلهم في الحلال والحرام، وتعليمات أهل البيت واضحة وكما ورد في القرآن: ﴿... لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ... ۝١٢٢﴾[2] ويمكنكم مراجعة وقراءة كتابَيْ: (التجديد في الفكر الإسلامي) و(الاجتهاد والتجديد) للعلّامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، حيث وضّح (رحمه الله) معالم هذه الأمور بكل شفافية ويوضّح كما ذكرنا أنَّ ظروفًا خاصة صنعت هذه المصطلحات ولا أساس لها مطلقًا في التراث الشِّيعي وإنما هي من صنع الحواشي وقد تحوّلت إلى مسألة تجارية أو حالة استعباد وهذا من العبث والمتاجرة بعواطف الناس وابتزازهم.

وأما قضية الأعلم فهي أيضًا مصطنعة(*) وتهدُف لاستغلال واستقطاب التقليد،

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(*) وهذا ما أشار إليه آية الله السيد محمود الهاشمي ـ رئيس مجلس القضاء وعضو مجلسَيْ صيانة الدستور والخبراء في إيران فقال: «إنَّ الأعلمية لم تَردْ في آية قرآنية ولا رواية ولا إنها مصطلح فقهي لدى الفقهاء حتى يكون لها تعريف محدّد لديهم خاصة في الكتب الفقهية القديمة، وإنما هي نتاج التحقيقات الأصولية، والتعمّق والتوسّع الحاصليْن في علميْ الأصول والفقه، فظهرت الأعلمية وطرحت في بحث الاجتهاد والتقليد. . .» راجع كراس: نظرة جديدة في ولاية الفقيه: آية الله السيد محمود الهاشمي (شعبان ١٤١٨هـ ـ كانون أول ١٩٩٧م) موضوع الأعلمية ص٢٦ ـ ٣٨. =

وهناك فقهاء عظام يرفضون مسألة هذا أعلم وذاك أعلم ويعتبرون أنَّ مراجعة أي فقيه مجتهد مجزية ويمكن للفرد أن يعمل بآراء فقهاء متعددين وهؤلاء الفُقهاء هم:

١ ـ السيد تقي القمي

٢ ـ السيد محمد الشيرازي

٣ ـ السيد عبد الأعلى السبزواري

٤ ـ السيد محمد حسين فضل الله

وأما عدم جواز تقليد الميت ابتداءً فهو لم يظهر إلَّا في الأربعين سنة الأخيرة»)[١].

شريعتي في آراء المفكرين ورجال الدين[٢]

قبل الدخول في تاريخ التشيُّع وما حدث وتعرّض له من تغيّرات، أحببت أن أذكر آراء المفكرين ورجال الدين في الدكتور علي شريعتي حيث استطاع شريعتي أن يفك وثاق المحيط وتعقيدات التقاليد وقرّرَ بعزم راسخ وإرادة ثابتة ألَّا يتبع هذه القوالب، مما جعله يسبق أقرانه ومحيطه والزمن الذي عاش فيه. **ومن هؤلاء:**

١ ـ الإمام السيِّد موسى الصدر[*]

«كان لنا صديق ـ زميل ـ قائد من قادة الفكر الإسلامي، هو الدكتور شريعتي، توفي في هذه الفترة الأخيرة. وفي «الرسالة» التي ستُطبع إن شاء الله بعد يومين أو ثلاثة، يوجد له نعي وصوّرة، والعدد القادم من الجريدة سيخصص له بإذن الله.

أحببت أن أنقل للإخوان، صورة عن هذا الرجل، وأُلقي بهذه المناسبة ضوءًا على البعد العالمي لحركتنا.

---

(١) نقلاً عن كتاب «بين قوسين ـ جولة في دهاليز مظلمة» السيد محمد حسن الكشميري، دار النصر/ بيروت، ص٢٢، ٢٣، ٤٠، ٤١.

(٢) نقلاً عن كتاب «دين ضد الدين» سلسلة الآثار الكاملة (٧) وفي مقدّمة كتاب «الحسين وارث آدم» سلسلة الآثار الكاملة (١٠) (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م) دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت/لبنان، ط ٢، ص ٢٦ ـ ٣٥.

(*) هذا النص جاء في **الإحتفال التأبيني الحاشد، الذي أقامه الإمام الصدر** تأبينًا للدكتور علي شريعتي في الكلية العاملية في بيروت، **وعلى أثره سحب الشاه المقبور الجنسية الإيرانية من السيّد الصدر. الذي صلى على جثمان شريعتيفي دمشق عام ١٩٧٧م.** (تأبين السيد موسى الصدر للدكتور علي شريعتي وترجمة كتبه ومحاضراته يدل على تبنّيه لأفكاره وآرائه وطروحاته).

الدكتور شريعتي، أبوه رجل دين غير معمم، اسمه الشيخ محمد تقي شريعتي. وهو رجل فاضل أَسَّسَ مؤسسة في خُراسان اسمها «مجمع الأبحاث القرآنية». وأنا ألقيت محاضرات هناك، قبل عشر سنوات تقريبًا.

الدكتور شريعتي، هو إيراني قروي من قرية «**مازينان**» في إيران، قرب «**كوير**» يعني الصحراء في إيران، تخرّج من جامعة «**السوربون**» واختصاصه «**علم الاجتماع الديني**»وعاد إلى إيران وكان يعطي دروسًا في جامعة خُراسان، ثم في جامعة طهران، ثمَّ تحوّل إلى داعية ديني. له أكثر من مئة وخمسين كتابًا. كتبه، محاضراته، في الواقع، محاضراته أربع ساعات، خمس ساعات، ست ساعات، سبع ساعات إرتجال، تُسجّل وتُطبع وهكذا.

أديب شامخ، فكره إسلامي، نضالي منفتح، إسلاميته وطبقيته، وموقف رجال الدين، لم تجعل من دعوة الدكتور شريعتي، دعوة محافظة، رجعية، يمينية كما هو التقليد، لأن الدعوة الإسلامية، تعتبر في كثير من الأوساط، دعوة محافظة على الأقل، لكن دعوة الدكتور شريعتي للإسلام، دعوة تقدُّمية، ثورية، نضالية، أو ما نسميه نحنُ دائمًا في اجتماعياتنا، دعوة حركية، وليس دعوة مؤسساتية. يعني ليس الإسلام دكانًا يجب أن نحتفظ بمكاسبه، ونأخذ لأجله من الناس، ونسخّر الناس لخدمته، كما حصل بالنسبة للمؤسسات الدينية.

المؤسسات الدينية اليوم، لها أموالها، ولها أوقافها، ولها رجالها، ولها شؤونها وبروتوكولاتها، ولها خصوماتها، ولقاءاتها، ولها مكاسبها. تماماً مثل الإتحاد السوفياتي أو الصين، بعدما تحولوا إلى دول، ونسوا كونهم حركة إنقلابية عالمية. فبدأوا يفكرون بالاحتفاظ بمكاسبهم، ولأجل الاحتفاظ بهذه المكاسب، يجب التحالف حتى مع الشيطان، أو مع نصف الشيطان، أو مع ربع الشيطان بالتالي، فنرى أنَّ الصين الشيوعية اليوم تلتقي مع القوى اليمينية في العالم للإحتفاظ بمكاسبها وللمنافسة مع الإتحاد السوفياتي، والإتحاد السوفياتي نفس الشيء.

إذًا حركة إنسانية، في مرحلة من المراحل كثيرًا ما تتحول إلى مؤسسة، متى؟ عندما تشيخ. الحركة في بدايتها شابة، ناشطة، متحركة، تُخيف، تقتحم، تتقدّم، إلى أن تنتهي أنفاس المؤسسين، فتشيخ، وتفكر كيف تحفظ رأسها، ولا تصطدم مع الناس، تتحالف مع هنا، وهنا، تفكر بالاحتفاظ بالمكاسب.

الدكتور شريعتي، في أحد كتبه، يقول: «في فرنسا رحت أشتري مجلة «جون

أفريك Jeune Afrigue، فوجدت أنَّ الأمن الفرنسي قد جمع نسخ هذه المجلة الفتيّة الإفريقية، قلت في نفسي: يا سبحان الله! فرنسا، معقل الحريات، مركز جميع أنواع الدعوات، من الشيوعية المُتطرّفة، إلى التروتسكية، إلى غير ذلك، إلى اليمين إلى الوجدانية، والوجودية، وكل أنواع الفكر؛ كيف فرنسا هذه تخاف من مجلة «جون أفريك» فتجمعها من السوق؟

السبب أنَّ هذه مجلة شابة، حركة جديدة، تقتحم وتُخيف، بينما الحركات الأخرى كادت تتحول إلى مؤسسات لها وجودها».

طبعًا الدكتور شريعتي، كان أحد قادة الفكر الإسلامي في العالم، أفكاره قيمة جدًا، وكان يحضر درسه الأسبوعي، حوالي ستة آلاف طالب وطالبة جامعيين أو متخرِجين، في مؤسسة معينة باسم «النادي الحُسيني للإرشاد».

طبعًا حُورب من قبل الحكم في إيران، وحُورب أيضًا من قبل مجموعة من رجال الدين، الذين يعتبرون الإسلام حكرًا عليهم، وميراثه من حقهم، وهم وحدهم يفهمون الدين، ولا يحق لأحد أن يفهم غيرهم.

هذا الرجل بالفعل كان مصدر الإلهام، والتفكير والعطاء لكثير من الحركات الإسلامية، من جملتها حركتنا. ونحن سنحاول؛ بإذن الله، بالإضافة إلى العدد القادم من «**أمل ورسالة**»؛ أن نخصص عددًا نلخص فيه أفكاره، ثم نترجم ونطبع أفكاره وكتبه ومحاضراته، حسب التيسير وفي حدود الإمكان، في لبنان، بإذن الله(*).

بدون شك، إن التيار الذي كان يحترم ويكرّم الدكتور شريعتي، كان تيارًا ساحقًا، تقريبًا الشبيبة المُسلمة في إيران، وهو الذي جعل التيار الإسلامي في إيران أقوى من التيارات الحزبية الأخرى، يعني الجامعة كانت بيدهم، والتأثير الإسلامي كان عميقًا في المجتمع الإيراني، حتى أن الشيوعيين استسلموا للحكم،، وبقيت الحركة الإسلامية تقاوم وتدافع وتناضل.

الدكتور شريعتي، من خسائر الفكر الإسلامي، والفكر الحركي، الفكر النضالي

(*) السيد موسى الصدر كان أول من نقل كتب شريعتي ومحاضراته إلى اللغة العربية، وأول كتاب كان «الشهادة».

المعتمد على الإيمان بالله سبحانه، ولذلك نحنُ نعتبره فقيدنا وخسارتنا، ونكرّمه في هذا اليوم، يوم علي، مولاه ومولانا، ونبعث إلى روحه أيضًا، ثواب الفاتحة»[١].

٢ ـ الإمام الخميني (قُدِّسَ سرُّه)

«لقد أثارت أفكار الدكتور شريعتي الخلاف والجدل أحيانًا بين العلماء لكنّه في نفس الوقت لعب دورًا كبيرًا في هداية الشباب والمتعلّمين إلى الإسلام»[٢].

٣ ـ السيّد أحمد الخميني

«إنَّ ما قدّمه الدكتور شريعتي كان عظيمًا، بحيث يتعذّر عليَّ الآن الإحاطة به، لأنه في الواقع كان ولا يزال مُعلّم الثورة الإسلامية»[٣].

٤ ـ الإمام السيّد علي الخامنئي

«في الحقيقة كان الدكتور شريعتي مواليًا، صلب العقيدة وعاشقًا لكل ما هو مقدّس في الإسلام، وذلك ما لمسته منه عن قرب، وليس من خلال ما أُشيع عنه، أو ما قالته عنه التيارات الفكرية في حقه، وهنا يمكن أن نستند في تقييمنا للدكتور شريعتي على نقطة مهمة، وهي من خلال مواجهته للتيارات الفكرية الأخرى في ساحتنا، وكانت هذه التيارات قد بدأت عملها من خلال ثلاثة محاور؛ وهي:

مواجهة الحسّ الوطني، ومواجهة كل ما هو إسلامي، ومحاولة تفتيت الأمّة، وكانت تلك التيارات تتقدّم بحسب اتجاهاتها، ولكن الدكتور شريعتي لما ظهر على ساحة الفكر الملتزم اختلف مع تلك التيارات في عمله بمقدار ١٨٠ درجة، ممّا يعني أنَّ الدكتور شريعتي كان له ارتباط قوي بالإسلام، وأنه كان على طرفي نقيض مع حثالة المستغربين والتابعين للأجنبي ولكل ما يأتي من الخارج، حيث

---

(١) مسيرة الإمام الصدر، الجزء ١١ ص ١٥٤ ـ ١٥٥ إعداد وتوثيق يعقوب ضاهر ـ دار بلال، ط١ سنة ٢٠٠٠م. (نقلًا عن كتاب «دين ضد الدين» د. علي شريعتي دار الملاك/ بيروت ـ الصفحات الاولى من الكتاب تحت عنوان «قالوا في شريعتي»).

(٢) من كلام الإمام الخميني (رض). راجع كتاب «شريعتي درجهان» ص ١٩٤، تأليف حميد أحمدي، والصادر عام ١٣٦٥هـ ـ ش، عن شركت سهامي انتشار. (نقلًا عن كتاب «دين ضد الدين» المصدر السابق)

(٣) مصدر فارسي: ازكتاب كدامين راه سوم (مراسيم در منزل دكتر علي شريعتي، آذرماه ١٣٥٩هـ. ش/ ١٩٨٠م). (نقلًا عن المصدر السابق)

كانت علاقته بالأُمّة قوية وكان متفاعلًا معها. . . يستلهم منها ويخاطبها وكان ذلك دأبه وديدنه»[١].

٥ ـ السيد محمود دعائي[*]

«عندما كنت ناطقًا باسم (جماعة العلماء المجاهدين) في الخارج، كنت أسعى للإستفادة من الامكانات المتوفرة في الخارج مع المحافظة على الحيثية والاستقلال المطلوبين. وحينها كان الكثير من الأخوة في جماعة العلماء من الشبان المجاهدين يصرّون على أنَّ الفرصة سانحة للتحدّث إلى الناس في الخارج بما لا يمكن طرحه في الداخل، وعلى ضرورة رفد نشاط الفضائح والعمل السياسي والتنظيمي بدوره من العلوم الإسلامية والأحكام السياسية الإسلامية، وأن تحدد ساعات لمتابعة هذا الأمر.

وكنّا نعاني من الشحّ في هذا المجال، ولم أكن في المستوى الكافي في التحقيق والبحث لأسدَّ الثغرة الموجودة، وأطرح المواضيع المطلوبة، لذا كان لا بد لي من الاقتباس أو مساعدة الأصدقاء لي، إلى أن بدأت برامج حسينية الإرشاد، عندها كان الأخوة الذين أصروا على تفعيل هذا النشاط، يقومون بتزويدنا دوريًا بأعمال الشهيد المطهري ومؤتمرات الشهيد الدكتور شريعتي ويطلبون منّا نشرها.

وأنقل هنا تعليقًا لأقرب الناس إلى الإمام الخميني وهي زوجته، حيث قالت جملة لطيفة خلال مقارنتها لمؤلفات المرحوم المطهري والمرحوم شريعتي فقالت: "**الأول يكتب بعمق أكبر والثاني يكتب بشكل أكثر جاذبية**".

والجاذبية التي تحدّثت عنها هذه الأم المثالية كانت نابعة من ضرورة النقل الحماسي والمؤثر للقضايا خلال جو الاختناق الذي كان موجودًا. في الواقع كان كِلَا هذين العظيمين من أفضل الأصدقاء والأفراد، ويدرك كل واحد منهما الآخر، ويقدّران بعضهما البعض، ويتكاملان، فأحدهما يبذل جهده في التحقيق وأصول

---

(١) مصدر فارسي: ويزنامه هيجدهمين سالكرد هجرت وشهادات دكتر علي شريعتي، الناشر: كرد آورنده؛ محمد علي أميركل، إيران، رشت، ص ١، از روشنفكران وشريعتي، ص ٥٥ ـ ٥٧، شخنراني رهبر معظم إنقلاب در مدرسه عالى مطهري. (نقلًا عن كتاب «دين ضد الدين» د. علي شريعتي دار الملاك/ بيروت ـ الصفحات الاولى من الكتاب تحت عنوان «قالوا في شريعتي»).

(*) أحد أبرز أعضاء مكتب الإمام الخميني في النجف وإيران، رابط الإمام الخميني مع الدوائر الرسمية العراقية، سفير إيران في العراق بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، نائب سابق في البرلمان، رئيس تحرير صحيفة اطلاعات الرسمية.

المسائل الإسلامية، بينما الآخر كان يشبع حاجات الجيل المتمرّد في المجتمع، جيل الشباب المُتعلِّم.

وإذا كنّا حينها كأتباع لسماحة الإمام الخميني نقدم مؤلفات المرحوم المطهري عند الحاجة على اعتبار أنها نصوص إسلامية سليمة، حيث كان يوصي الإمام بها دون أي تردد ويقبل كل ما كتبه المرحوم المطهري؛ لكننا كنا نعتمد على مؤلفات المرحوم الدكتور شريعتي في مجال الجوانب الإجتماعية والبحوث الإجتماعية الدينية لأنها كانت من اختصاصه.

ولديّ ذكرى من الإمام موسى الصدر، كان يقول بألم عميق:

«إني أرى ضرورة ترجمة كتب المرحوم شريعتي إلى اللغة العربية، ونصحت بحذف بعض المقاطع التي قد يعتبرها الأخوة من أهل العامة أنها أفكار علوية، فعندما نتحدّث عن الدكتور معهم يقولون إِنَّهُ شيعي متعصّب أو رافضي يتعامل بسلبية مع كل مقدساتنا. وإنّي إذا أردت أن أترجم مؤلفاته وأوزعها أو أذكرها لا بد لي من حذف هذه المقاطع. في حين أني في الداخل أُتهم بأني استخف بمقدسات المذهب الجعفري وأنال منها لأني أتحدّث عن شريعتي، وأني أروّج لمتسنّن».

هذا التضارب في المواقف تجاهه جعلنا نبحث عن رأي الإمام الخميني لئلا نكون نؤذي الإمام بالترويج للمرحوم الدكتور، وكنّا حينها نرافق الإمام دومًا، فأردنا أن نعرف رأيه.

وفي أحد الأيام كنّا في خدمة الإمام الخميني فقال لنا: «لقد بعثوا أحدًا من طهران ليلتقيني ويتحدّث ضد مطهري وشريعتي، إني أعرف الشيخ المطهري، وأعرف كيف يفكر. جاؤوا بكتابه (مسألة الحجاب) ووضعوه على الطاولة وقالوا: إن كتابه هذا جعل جنوب طهران أيضًا يتخلّى عن الحجاب. في حين أنني قرأت هذا الكتاب، وليس هو من أبعد جنوب طهران عن الحجاب، بل إنه قرّب الكثيرين من الحجاب.

كما أتوا بكتاب (معرفة الإسلام) لشريعتي، وقالوا: إنه ضد المقدسات الإسلامية. ولم أرغب بالرد عليهم حينها، لكني قلت لهم: إنه كتاب ضخم، فأين توجد القضايا التي تدّعون، وعندما أبرزوها لي، وجدت أنها ليست كما يدّعون، نعم لعله استعمل أسلوبًا خاصًا لا أوافق عليه، لكنه ليس كما يدّعون من أنه مخالف لدرجة لزوم إتخاذ المواقف ضده».

إنَّ الجرأة التي دفعت ذوي الإمام الخميني إلى تأييد المرحوم شريعتي وحبهم له هي دليل على ما لاحظوه من تعامل الإمام مع مؤلفات الدكتور فخلال المقابلات التي أجريناها مع أبناء الإمام الخميني وزوجته أبدوا محبتهم الشديدة للمرحوم الدكتور شريعتي.

إحدى بنات الإمام الخميني التي تحمل فكرًا إسلاميًا عميقًا جعلها توفّق لخدمات ثقافية اجتماعية جليلة في مدينة قُمّ قد تحدّثت عن المرحوم الدكتور في إحدى مقابلاتها بشكل لائق جدًا حيث قالت:

«بعيدًا عن هكذا عوامل وتداخل فإن ما طرحه المرحوم الدكتور من فهم جديد لقضايا الإسلام الاجتماعية والتاريخية كان مقبولًا جدًا في محيط العلماء الشبان، ووافقت عليه شخصيات علمائية بارزة كثيرة رُغم المشاكل التي كانت آنذاك، ورُغم المواجهات التي كانت أجهزة أمن الشاه تعمل على إيجادها، ورُغم ذلك كله كان هناك امتداح صريح متعدد للمرحوم الدكتور، ومن بين ذلك ما قاله الشيخ المشكيني[1].

فآية الله المشكيني قام في إحدى الليالي بزيارة حسينية الإرشاد شخصيًا، واستمع إلى محاضرة المرحوم الدكتور، وعندما عاد من تلك المحاضرة قال: لقد ذهبت إلى هناك واستفدت، هناك كثيرٌ من الأمور التي لا نستطيع طرحها، لكنه يطرحها.

من الواضح أنَّ الدكتور شريعتي كان من عشاق الإمام الخميني والمخلصين له، ومعارضي الدكتور كانوا نفس معارضي الإمام الخميني. ولا أعني بذلك من يختلف مع الدكتور أكاديميًا، بل أولئك الذين أثاروا البلوى والمشاكل، وكانوا يستعملون نفس الأسلوب ضد الدكتور وضد الإمام. يمكننا القول أن الدكتور كان مع الإمام في المعاناة من أعدائه، وكان لهما أعداء مشتركون، ولهما أصدقاء مشتركون أيضًا، وهناك يمكن تصور العلاقة بين الدكتور والإمام لو أتيح لها أن تقوم[2].

---

(١) آية الله الشيخ علي المشكيني، إمام جمعة قُمّ ورئيس مجلس الخبراء لاختيار قائد الجمهورية الإسلامية، يعدّ من الأساتذة المبرّزين في حوزة قُمّ، ويعتبر صاحب مدرسة في علم الأخلاق.

(٢) نقلًا عن كتاب «الحسين وارث آدم» د. علي شريعتي، دار الأمير/ بيروت، ص٢٦ ـ ٣٧.

٦ ـ الدكتور الشهيد مصطفى شمران (في متاريس تلة مسعود)(*)

يا علي(**)! لعلك تعجب عندما أقول لك أني ذهبت خلال الأسبوع الماضي إلى محور المواجهة في (بنت جبيل) وبقيت عدة أيام في المواقع الأمامية في (تل مسعود) قضيتها بين المقاتلين، ولم أحمل معي هناك سوى كتاب واحد، وهو كتابك (الصحراء) الصحراء التي وجدتها دُنيًا مليئة بالمغنى والغنى، صحراء نقلتني إلى السماوات وجعلتني أتصل بالأزل والأبد، صحراء سمعت فيها نداء العدم، وجعلتني أهدأ من ضغط وجودي، وأُحلّق إلى ملكوت السماوات، لأبلغ درجة الوحدة في عالم وحدتي. . .

يا علي! إن المتدينين المتعصبين والجهلة سحقوك بحرية التفكير، ولم يتورعوا عن أي عداء وإتهام، والمتغرّبون الذين يسمّون أنفسهم زورًا بالمفكرين اتهموك بالرجعية، ووجهوا لك الإهانات، ونظام الشاه الذي لم يستطع تحملك، ووجد أنّ توقّدك يعارض مصالحه فكبّلك بالسلاسل ثم قتلك.

يا علي! إن ذكراك واسمك وأقوالك وأفكارك كلها عندي نوع من صلاة، تقربني إلى الله أكثر فأكثر، يا علي! إنك حاضر في كل صلواتنا المخلصة، وترافقنا في كل تحليقنا نحو السماء، إنك شاهد وشهيد على كل المجاهدين الذين نالوا بفخر الشهاده. . . . . وأنت أيها الرب الكبير قد منحتنا (عليًّا) لتعلمنا طريق العشق والفداء وطريقته، ليحترق كالشمع وينير لنا الدرب، وها نحنُ نقدمه لك كأفضل هدية ليستقر عندك ويبدأ حياته الخالدة في ملكوتك الأعلى.

قسماً بالعدل والعدالة، أنك كالموج المتلاطم تغلي في نداءات المظلومين ضد الظالمين ما دام الظلم والاضطهاد يُثقل كاهل البشر[1].

(*) تلة مسعود تقع في أعالي مدينة بنت جبيل ـ جنوب لبنان ـ حيث كان يرابط الشهيد الدكتور مصطفى شمران مع إخوانه في مواجهة العدو الصهيوني، وخاضوا في هذا المكان مواجهات ضارية مع العدوّ الصهيوني ثبت فيها المجاهدون ثباتًا منقطع النظير، وهُزم العدوّ حينها شرّ هزيمة (ناشر كتاب «الحسين وارث آدم»).

(**) يقصد الدكتور علي شريعتي.

(١) من كلمة الدكتور مصطفى شمران عند دفن الدكتور شريعتي. نقلًا عن كتاب «الحسين وارث آدم» د. علي شريعتي، دار الأمير/ بيروت، ص٩ ـ ١١.

التشيُّع قبل العهد الصفوي وبعده(*)

في محاضرة ألقاها الدكتور علي شريعتي في حسينية الإرشاد بطهران عام ١٩٧١م تحدّث فيها عن التشيُّع وما حدث وتعرّض له من تغيرات بدّلت جوهره مع الاحتفاظ بشكله الظاهر فلم يكن يفهم الشِّيعة الأوائل (في عهد الإمام علي والحسن والحُسَيْن) عليهم السلام التشيُّع لأئمة أهل البيت «**مذهبًا دينيًا**»، وإنما انتماءً سياسيًا فقط. وقد استمر التشيُّع «**السياسي**» إلى القرن الثاني الهجري، حيث حدث نوع من التطور في الفكر الشِّيعي بتحوله ـ لدى فريق من الشِّيعة ـ من سياسي إلى ديني ابتدأ في عهد الإمامين محمد بن علي الباقر وابنه جعفر الصادق، سرًا. وتدريجيًا وبعد غياب الأئمة عليهم السلام تحوّل التشيُّع علنًا إلى تشيع ديني ثمَّ جاءت الدولة الصفوية واستطاعت أن تنتج تشيُّعًا يشبه التشيُّع في كل شيء وليس فيه شيء منه؟!

وقد تحوّل التشيُّع من حركة إلى نظام، وتحوّل الشعور الشِّيعي من معرفة فكرية واعية إلى عواطف جيّاشة تجاه شخصيات ـ الأئمة ـ في التاريخ!

من هذا المنطلق تحوّل وتبدّل التشيُّع الذي كان يُمثِّل في الجانب العلوي منه حقيقة التوحيد المطلق والإسلام الأصيل وكان عليّ عليه السلام فيه مرآةً لتجلّي العبودية المطلقة للّه وأصبح الناس في البُعد الصفوي منه رعايا ومماليك لأقاوات (سلاطين) الدين والدنيا، وتشكلت منهم علاقة ثلاثية مؤلّفه من العناصر الثلاثة التي قامت الحركة الصفوية على أساسها وهي: السُلطة والتصوّف والقومية لتجتمع في إطار واحد هو (التشيُّع الصفوي) وفيه يعبد الناس ثلاثة أشياء: (الله) و(ظلّ الله) و(آية الله)! . . . **ومما قاله الدكتور علي شريعتي** (رحمه الله):

(إنَّ للتشيُّع حقبتين تاريخيتين، بينهما تمام الاختلاف تبدأ الأولى من القرن الأول الهجري حيث كان التشيُّع معبّرًا عن الإسلام الحركي في مقابل الإسلام الرسمي والحكومي الذي كان يتمثل في المذهب السُني، وتمتدّ هذه الحقبة إلى

(*) نقلاً عن كتاب «التشيُّع العلوي والتشيُّع الصفوي»، دار الأمير/بيروت، ط ٢ (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م).
ـ نشكر دار الأمير على السماح لنا وإجازتنا نقل ما نحتاجه من كتب الدكتور علي شريعتي والتي تصدر عن الدار متمنين لهم التوفيق والنجاح ـ (المؤلف).

أوائل العهد الصفوي، حيث تبدأ الحقبة الثانية والتي تحوّل فيها المذهب الشِّيعي من تشيّع حركة ونهضة إلى تشيّع حكومة ونظام.

الشِّيعة الأوائل كانوا أقلية محكومة ومضطهدة لا تقدر على ممارسة طقوسها بحرية وعلانية ولم يكن يحقّ للشيعي أن يزور الإمام الحُسين في كربلاء أو حتى أن يأتي باسمه على لسانه، كان دائمًا تحت المطاردة وملازمًا للتقيّةِ خوفًا من خطر القتل والسجن والتعذيب، أما الآن ـ أي بعد قيام الصفوية ـ فقد تحوّل الوجود الشِّيعي إلى قوة كبرى تحكم البلاد وتقع تحت إمرتها أقوى الأجهزة الرسمية، والحاكم الذي كان يقمع الشِّيعة بشدة ويعتقل كل من يشكّ بولائه وحبّه لعليّ عليه السلام ويعذّبه ويقتله، بات الآن من أكبر المدافعين عن التشيُّع وأكبر المتظاهرين بالولاء لأهل البيت حتى أنّه يفتخر باعتبار نفسه (كلبًا) للحضرة الرضوية... يا له من انتصار!

الحاكم الذي كان يطارد الشِّيعة ويعتبرهم أعدى أعدائه طوال ألف عام، نراه اليوم يضع نعليه على رقبته ويقصد من أصفهان إلى مشهد ـ حيث ضريح الإمام الرضا ـ سيرًا على الأقدام، يا له من انتصار!.

الحاكم الذي كان يحول دون زيارة قبور الأئمة عليهم السلام ويحاول مرارًا تخريب تلك القبور بفتح قنوات الماء عليها، هو الآن يشيّد مراقدهم بأبهى صورة؛ القبّة من الذهب والضريح من الفضة والمئذنة من السيراميك، يا له من انتصار!

والزيارة التي كان يتلهف الشِّيعي إليها بنفسه متحمّلًا آلاف الأخطار والأضرار من قبل الحكومة لأجل أن يوصل نفسه إلى مشهد أو كربلاء، أمست الآن مظهرًا رسميًا تشجّع عليه الدولة وتكرّم فاعله كما لو كان ذهب إلى بيت الله الحرام وربّما أفضل، وتمنحه لقب المشهدي أو الكربلائي أسوةً بمن يعود من الحج... يا له من انتصار!

أما العلماء ورجال الدين كانوا على الدوام في معرض الخطر والمواجهة مع السلطات ويتعرضون لأبشع أنواع الظلم والتنكيل ها هُم اليوم معززون مكرّمون مرفّهون يعيشون في ظروف جيدة للغاية ويجلسون جنبًا إلى جنب السلطان على فراشه الوثير، وقد يستشيرهم في كثير من الأمور المتعلّقة بمستقبل البلاد، بل إنّ

السلطان لا يرى لنفسه قدرة وسلطة إلّا بمقدار ما يخوّله رجل الدين بالنيابة عن الإمام صاحب الزمان، يا له من انتصار!

من هذا الموقع العُلوي والحافل بالانتصارات بدأت هزيمة التشيُّع! ومن اللحظة التي زالت فيها جميع الموانع والعراقيل بوجه أداء طقوسه العبادية والمذهبية وتحوّل الأعداء إلى أصدقاء ومؤيدين، توقف الشِّيعي عن الحركة ليتحول إلى وجود اجتماعي غالب وحاكم وجامد راكد!

وهاهنا يتجسّد بوضوح قانون تبدُّل الحركة إلى نظام! القانون الذي بوسعه تحويل عقيدة نابضة قادرة في يوم من الأيام على تحريك أُمّة بكاملها وعلى شتى الأصعدة والمستويات، إلى مجرد نظام ونسق اجتماعي رسمي مرتبط مع سائر الانساق الاجتماعية ـ كالأسرة واللغة وأنظمة الحكم والإدارة والمالية والاقتصاد ـ ارتباطًا مصيريًا بحيث لا يمكن التفكيك بينهما بأي نحو من الأنحاء.

الآن تأتي السلالة الصفوية شاهرة سيفها وهي تنادي بالثأر من السُنّة والانتقام لظلامة أهل البيت وشهداء الشِّيعة. فما ظنّك بعوام الناس من الشِّيعة والذين لا يمتلكون عادة القُدرة على تحليل المسائل الفكرية والتاريخية والعقائدية بعمق ودراية، ولا يدركون أن هذا البقال أو العطار السنّي لم يتورط في أحداث السقيفة ولم يشهد كربلاء، هذا الجهل والتعصُّب الطائفي كانت القوى السياسية والدينية الرسمية تستثمره في تحقيق أهدافها وتمرير مخططاتها عن طريق سحب الاختلاف العقائدي من دائرة أهل الخبرة والتخصُّص إلى دائرة العوام ليتحوّل من خلاف فكري إلى خصومة واختلاف بين الترك والفرس والعرب والعجم والمسلمين والهندوس وغير ذلك.

ومع ظهور الحركة المُنادية بإبادة السُّنّة في إيران والمتوشرة بالتشيُّع وولاية علي عليه السلام كان الملالي في الدولة العثمانية يفعلون الشيء نفسه بذريعة الدفاع عن الإسلام وسُنّة النبي.

إن الخلاف بين الشِّيعة والسُّنّة هو في الأساس خلاف فكري وعلمي وتاريخي يرتبط بطريقة فهم حقيقة الإسلام، وكل ما يدّعيه الشِّيعة في هذا المجال ـ وهو ادعاء وجيه ـ أنه ينبغي لمعرفة حقيقة الإسلام الاقتداء بأهل بيت النبي وعلي عليه السلام

لأجل أن تكون المعرفة مباشرة ومن دون واسطة، وهذا بحدّ ذاته كلام معقول. كما يدعي الشِّيعة أنَّ واصلة طريق الرسالة وروحها بعد النبي مرهونة باتباع علي عليه السلام والاعتراف به خليفة بعد النبي دون غيره ممّن عجزوا عن مواصلة الرسالة بروحها حتى آل أمر المسلمين إلى ما آل إليه مما يعرفه الجميع. وهذا أيضًا كلام معقول. غير أن هذا المعقول وذلك أصبحا في زماننا هذا لعبة بيد قوتين سياستين متشابهتين ومتخالفتين في آن واحد وهما الدولة الصفوية والدولة العثمانية، وتحوّل بالتالي إلى أداة لزرع الأحقاد بين رعايا الدولتين إلى درجة تثير السُخرية.

التشيُّع العلوي والتشيُّع الصفوي

الإسلام دين تجلّى للإنسانية في صورة (لا) صدع بها وارث إبراهيم ومظهر دين توحيد الخالق ووحدة الخلق، النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، (لا) بها يبتدىء شعار التوحيد، ومنها ينطلق الإسلام في مواجهة الشرك والإلحاد، دين أصحاب المصالح والسلطة والجاه.

أما التشيُّع بمثابة (لا) ثانية صدع بها عليّ وارث محمد ومظهر إسلام الحقّ والعدالة، وقد اكتسب التشيُّع هويته الحقيقية في التاريخ الإسلامي وتحددت ملامح وجهه ووجهته من خلال كلمة الرفض التي أطلقها (عليّ) في الشورى جوابًا على عبد الرحمن بن عوف الذي كان يمثل على الجانب الآخر إسلام الجاه والمصالح.

وإلى العهد الصفوي، ظلت كلمة الرفض (لا) هي المعلم الرئيس الذي يميّز بين الموالين لأهل البيت وأنصار علي وأتباعه وبين غيرهم، سواء كان ذلك على الصعيد الاجتماعي أو الطبَقي أو السياسي، وبهذه الكلمة تحقّق الفرز تاريخيًا بين جبهتين وحزبين، حزب يؤسس قناعاته ومواقفه على ضوء ما يمليه القرآن والسُنّة المأثورة عن آل الرسول، وحزب يستمد هذه القناعات والمواقف مما يمليه عليه بنو أمية وبنو العباس أو الغزنوية(*) والسلاجقة أو حتى أحفاد جنكيزخان وتيمورلنك وهولاكو.

وهكذا، طوى الإسلام مسارًا تاريخيًا غريبًا عجيبًا، حيث تمكن جميع

(*) الغزنويّون ظهروا في أواخر الدولة العباسية وتمركزوا في خُراسان واتخذوا من مدينة (غزّين) عاصمة لهم، ومن أشهر سلاطينهم السلطان محمود الغزنوي.

المستكبرين وطواغيت الزمان وأصحاب البيوتات من العرب والعجم والترك والمغول والتتار من بلوغ سدة الحكم والاستواء على مسند خلافة النبي ما عدا آل النبي وأهل بيته من أئمة الحق والهدى!

أما التشيُّع الذي انطلق رافضًا للمسار الذي اختاره التاريخ لنفسه، فقد بقي متمرّدًا مُحتجًّا على ذلك التاريخ الذي رُكِّبَ ، باسم القرآن، أمواج جاهلية كسرى وقيصر، وعمدَ، باسم السُّنّة، إلى التنكيل بتلامذة مدرسة القرآن والسُنّة!

الشِّيعي لم يركن لحتمية التاريخ، ونهض ثائرًا على أولئك الذين فرضوا هيمنتهم عليه وسلّطوا جام غضبهم على الشعوب رافعين شعار خلافة النبي وإمامة المسلمين، بلى، لقد أعرض الشِّيعي عن المساجد الفاخرة والقصور العامرة التي شيّدها (خلفاء الإسلام) ووجد ضالّته في بيت فاطمة، المُشيّد من الطين!

أما عليّ فهو مرآة (العدل المظلوم) والمسجد الواقعي للحقيقة التي تضافرت الحكومات على خنقها وحكَمَ عليها الدين الرسمي للدولة بالطمس والكتمان!

وهكذا يتبيّن أنّ التشيُّع العلوي لم يقتصر على ممارسة الجهاد فكرًا وسلوكًا بوجه الأنظمة ذات الطابع الاستبدادي والطبقي. . . لم يكتف الشِّيعة بكل ذلك بل عملوا بشكل جادّ وواعٍ وبأسلوب مُنظّم ومدروس ومبني على أيديولوجية رصينة وواضحة، على قيادة عموم الحركات التحررية وتبنّي الشعارات والمشاريع الواضحة المطالبة بإقامة العدل ورعاية حقوق الجماهير المستضعفة. وبذلك اكتسبت الشخصية الشِّيعيّة طابعًا محوريًا أهّلها لأن تكون مركزًا لاستقطاب جميع أصحاب التوجُّهات الرافضة للوضع السائد والمتطلعة إلى واقع أفضل.

عقيب هيمنة الأتراك على أوضاع الدولة الإسلامية، برزت ظاهرة التعصُّب وضيق الأفق في الجانب الفكري والعقائدي، فيما برز على الصعيد الاجتماعي النظام الإقطاعي الذي كان يعمل على استغلال الشعب خاصة الطبقات المحرومة وبشكل وحشي لا يرحم، مما أدى بتبع ذلك إلى لجوء السلطة الحاكمة إلى أسلوب النّار والحديد وفي ظل هذه الأجواء برز التشيُّع آنذاك، ليحمل راية الثورة والرفض الجماهيري وذلك على شكل حركات ثورية أو اتجاهات إصلاحية تختلف تطرفًا

واعتدالًا، وتغلغلت في الغالب في أوساط الطبقات المسحوقة على الخصوص الفلاحين الذين كانوا يتعرضون لأبشع أنواع الظلم والاستغلال، فظهرت حركة احتجاج أدت إلى انهيار سلطة المغول وتلاشي نفوذ الملالي وتبدّدت سطوة الطبقة المالكة والإقطاعيين وبعد ذلك التاريخ بمئة عام تقريبًا، جاء الصفويون...

جاء الصفويون ليلعبوا الدور ذاته في مقابل مركز الخلافة الإسلامية في (اسلامبول) وعليها إذن أن تسلك الطريق ذاته في تأجيج الشعور القومي وإحياء السنن والعادات والأعراف الإيرانية القديمة والتفاخر ببطولات الأسلاف وذلك كي يتسنّى للدولة الصفوية أن توطّد علاقتها بالشعب الإيراني عبر إثارة هذه المشاعر، ولكي يستعيد الإيراني نزعته الاستقلالية الانفصالية عن الجسد الإسلامي الكبير، وبدلًا من أن يستند إلى الإسلام الذي يجمعه مع التركي والعربي ـ أعداء الصفوية ـ يحاول الاستناد إلى تراثه القومي وانتمائه العرقي الإيراني.

ولكن هل تُكرر الحركة الصفوية الخطأ ذاته الذي وقعت به من قبلها الشعوبية فجفت عروقها وهي في بداية المشوار؟ كلّا! لقد تفادت الصفوية تكرار الخطأ الشعوبي، وبغية ترسيخ أفكارها وأهدافها في ضمائر الناس وعجنها مع عقائدهم وإيمانهم، عمدت الصفوية إلى إضفاء طابع ديني على عناصر حركتها وجرّها إلى داخل بيت النبي إمعانًا في التضليل ليتمخّض عن ذلك المسعى حركة (شعوبية ـ شيعيّة) موظفةً الشعوبية طابعًا روحيًا ساخنًا ومسحة قداسة دينية، ولم يكن ذلك الهدف الذكي والطموح البعيد متيسرًا إلّا عبر تحويل الدين الإسلامي وشخصية محمد وعلي إلى مذهب عنصري وشخصيات فاشية!

على هذه الوتيرة أثّرت عملية إحياء الخصائص القومية والوطنية في عزل المواطن الإيراني عن العربي والتركي، وألقت الزيت على نار الاختلاف العرقي والقومي والثقافي بين الإيرانيين وغيرهم ممّا أدى إلى تراجع الشعور الديني المُشترك لصالح الشعور القومي وإضعاف الحس الإسلامي الوحدوي، وبذلك استطاعت الشعوبية الصفوية ـ بعدما اكتست بلباس التشيُّع الأخضر ـ من إيجاد حاجز كبير من المجتمع الإيراني المسلم وسائر المجتمعات الإسلامية برغم محافظة الإيرانيين على هويتهم الدينية كمسلمين.

ومع أنَّ التشيُّع العلوي كان حريصًا على التحفظ على إثارة مسائل الخلاف مع الأغلبية السُنيّة من المسلمين موظِّفًا حجاب التقية أروع توظيف لتحقيق ذلك، بيدَ أنّ خصمه اللدود (التشيُّع الصفوي) عمَدَ خلافًا لذاك إلى تمزيق هذا الحجاب بل جرَّ حالة الاختلاف والتصعيد إلى موارد كانت من موارد الاشتراك والاتفاق بين المُسلمين قاطبة!

بهذه الطريقة تمكنت الصفوية من توظيف المشاعر الصادقة وأحاسيس المذهب الشِّيعي في خدمة أهداف حركة شعوبية فرضت على إيران طوقًا من القومية عَزَلَها عن العالم الإسلامي وأقامت بين الشعب الإيراني المُسلم وسائر شعوب الأُمّة الإسلامية جدارًا أسود من الحقد والضغينة وسوء الظن بالآخر والتهمة والافتراء والطعن واللعن والتحرّيف والتزييف والتفسيق والتكفير، وظل هذا الجدار يتعالى يومًا بعد يوم بالجهود المريضة التي يبذلها بسخاء عملاء الأجهزة الدعائية الدينية التابعة لقصر (عالي قاپو)[*]. ولا يفوتنا التذكير هنا بالمساهمات الكبيرة في ترسيخ هذا الجدار وتكريس وجوده والتي بذلها رجال دين مرتبطون بـ(الباب العالي)[**]. كانوا يقتنصون الفرص للنفوذ في هذا السجال وإعانة (إخوانهم الصفويين) في تشييد وإحكام هذا الجدار، وذلك لأن الإمبراطورية العثمانية كانت تستثمر (التسنّن) لتحقيق أهدافها ومآربها القومية والتوسعية على غرار ما تفعله الصفوية تجاه التشيُّع، ومثلما استطاعت الصفوية بمعونة وعاظ (مسجد شاه) في أصفهان من إنتاج التشيُّع الشعوبي من المواد الأولية للتشيّع العلوي، في اسلامبول أيضًا وبمعونة وعاظ (مسجد سلطان أحمد) تمكن العثمانيون من انتاج (تسنّن تركي) على قاعدة (التسنن المحمدي) وأسهموا بذلك بشكل مباشر أو غير مباشر في دعم المساعي الصفوية في انتاج (التشيُّع الشعوبي) وعزل إيران عن العالم الإسلامي والفصل بين المجتمع الشِّيعي وعموم المجتمع المُسلم وتبديل تشيّع الوحدة العلوي إلى تشيُّع الفرقة الصفوي وهذه سُنّة التاريخ!

كان على الحركة الصفوية ورجال الدين المرتبطين بها أن يعملوا كل ما من شأنه التوفيق بين القومية الإيرانية والدين الإسلامي، ولتبدو الوطنية والقومية

(*) بلاط الشاه الصفوي.

(**) بلاط الشاه العثماني.

الإيرانية بوشاح ديني أخضر، وفي هذا الصدد أعلن بين عشيّة وضحاها أنّ الصفويين ـ أحفاد الشيخ صفيّ ـ هم (سادةٌ) من حيث النسَب ـ أي أحفاد محمد! ـ وتحوّل المذهب الصوفي فجأة إلى مذهب شيعي، وصار الفقيه والمحدّث بدائل عن المُرشد والبديل، وتلبّس الصفويّون بلباس ولاية علي ونيابة الإمام والانتقام من أعداء أهل البيت. . . .

وفي ظل كل هذه المحاولات كان الهدف الأصلي هو إضفاء طابع مذهبي على الحالة القومية، وبعث القومية الإيرانية وإحياؤها تحت ستار الموالاة والتشيُّع، وتمّت عملية فصل الشعب الإيراني عن جسد الأُمّة الكبير وأجّجت مشاعر العداء بين الإيرانيين من جهة والترك والعرب من جهة أخرى، وقد وطّأ ذلك فيما بعد لنشوب معارك سياسية وعسكرية طاحنة بين الحكومات الصفوية والعثمانية وذلك تحت لافتات شيعيّة وسُنيّة، وفي الختام اتسع مدى الفجوة بين التشيُّع والتسنُّن وطال جميع وجوه الاتفاق والاشتراك.

في ضوء ذلك يمكن أن نفهم سرّ تركيز الدعاية الصفوية على نقاط الإثارة والاختلاف بين السُنّة والشِّيعة وإهمال نقاط الاشتراك أو تأويلها بالشكل الذي يحيلها إلى نقاط خلاف أو يفرّغها عن قدرتها على أن تكون أرضية صلبة لموقف مشترك بين الفريقين. . . وكنتيجة لهذا الفصل المذهبي حصل فصل اجتماعي وثقافي تبعه فصل على الصعيدين القومي والسياسي بشكل بارز جدًا.

من هنا نجد أنَّ الشِّيعي الصفوي قد يبقى متمسكًا بالإسلام ووفيًا لانتمائه الديني إليه إلّا أنه كان في الوقت ذاته يزاول أعمالًا من شأنها أن تقطع جميع أواصر الأخوّة مع باقي المُسلمين، ولم يحصر الخلاف العقائدي بينه وبين السُنّي على مستوى الاعتقاد بالإمامة أو عدم الاعتقاد بها بل تطور الأمر ليشمل معتقدات أخرى هي في الأساس ممّا يتفق عليه المُسلمون كالتوحيد والنبوة والمعاد حيث صار الشِّيعيّ الصفوي ينظر إلى هذه الثوابت من زاوية ومنظار خاص به ويعتقد بها على نحو مختلف بالنسبة لسائر أهل الإسلام، والكلام نفسه ينسحب على موقف الطرفين من القرآن.

لقد حرصت الحركة الصفوية على تعطيل أو تبديل الكثير من الشعائر والسُنن والطقوس الدينية وإهمال العديد من المظاهر الإسلامية بين المُسلمين [كالتفرقة في=

الصلوات الخمس[1]، وأداء صلاة المغرب عند ذهاب قرص الشمس[2]] وفي

(١) فالظاهر من الروايات الواردة عن أئمتنا عليهم السلام أن الصلوات لم تجمع رغم وجود روايات عن النبي صلى الله عليه وآله تجيز ذلك دون خوف أو مطر وإن عمل بها البعض ولكن على نحو الاستثناء، وينبغي أن نشير هنا، إلى أن الأحاديث والروايات التي وردت في كتب الشيعة وحدهم تدل على أن أوقات الصلوات المفروضة خمسة أوقات ثابتة ومن أراد التوسع في هذا الباب فله أن يرجع إلى كتاب «علل الشرايع» الجزء الثاني، حيث أفرد الشيخ الصدوق بابًا ـ الباب ٣٦ ـ تحت عنوان:
«**العلة التي من أجلها فرض الله تعالى على الناس خمس صلوات في خمس مواقيت**»!. ويراجع أيضًا كتاب «**جامع المنقول في سنن الرسول**» وكتاب «**وسائل الشيعة**». وقد جاء في نهج البلاغة من كتاب للإمام علي عليه السلام يوصي أُمَرَاءِ البِلَادِ في أوقات الصَّلَاةِ ـ في زمن خلافته ـ يقول لهم:
«أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبِضِ العَنْزِ وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ في عِضْوٍ مِنَ النَّهارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ. وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرَ الصَّائِمُ وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَّاءِ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ. وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ والرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ. وَصَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ وَلاَ تَكُونُوا فَتَّانِينَ». المصدر: شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) ط٢، ج١٧، ص٢٢، كتاب (٥٢).
كما وذكر الإمام علي عليه السلام كلامًا كان يوصي به أصحابه:
«تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاةِ، وحَافِظُوا عَلَيْها، . . . وَشَبَّهَها رَسُولُ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بِالحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ واللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ. . .» (شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، ج١٠، ص٢٠٢، خطبة (١٩٢). لاحظوا معي أنه عليه السلام قال خمس مرات!
وهناك الكثير من الروايات الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت تؤكد أن التفريق في الصلاة كان هو السائد في عصرهم وقاعدة مضى عليها أئمتنا عليهم السلام وكانو يفضلون كثيرًا التفريق بين الظهر والعصر، وبالنسبة للعشاء بعد المغرب فهناك تأكيد شديد من أهل البيت على تأخير صلاة العشاء حتى يُرخي الليل سدوله.
والسؤال المهم: رغم أنَّ المراجع والفقهاء في رسائلهم العملية يفضّلون التفريق إلَّا أنَّ رجال الدين يصرّون على الجمع بين الصلاتين؟! فما هو السبب؟ الجواب أنَّ هذا الجمع أصبح سيرة من العهد الصفوي!
يمكنكم مراجعة كتاب (بين قوسين) للسيد محمد حسن الكشميري (**١٤٣٢هـ/ العراق/ النجف) ص ٢٢٣.**

(٢) في بحوثات أستاذ الحوزة العلمية السيد الخوئي يذكر ذلك. (راجع: المسائل المنتخبة للسيد الخوئي، ص٧٥). وأما الروايات المنقولة عن الأئمة عليهم السلام تخالف ما عليه الشِّيعة اليوم من تأخير صلاة المغرب والإفطار في الصيام إلى ما بعد غروب الشمس بمدة وقد روي عن الإمام جعفر الصادق قوله:
«إذا غابت الشمس فقد حلَّ الإفطار ووجبت الصلاة. . .» وفي رواية عن أبو أسامة زيد الشحام:
«صعدت مرة جبل أبي قيس والناس يصلّون المغرب فرأيت الشمس لم تغب بعد، وإنما توارت خلف الجبل عن الناس، فأخبرته بذلك، فقال لي: ولِمَ فعلت ذلك؟ بئس ما صنعت، إنما تصلّيها إذا لم ترها خلف الجبل غابت أو غارت، ما لم يتجللها سحاب أو ظلمة تظللها فإنما عليك مشرقك ومغربك وليس على الناس أن يبحثوا». وروى محمد بن يحيى الخثعمي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي المغرب ويصلي معه حي من الأنصار يقال لهم بنو سلمة، منازلهم على نصف=

الموارد التي كانوا يضطرون إلى الأداء المُشترك مع السُنّة كمراسم الحج مثلًا، حرص الصفويون على تضييق دائرة المُشتركات فيها وتوسيع دائرة المختصّات، وذلك تفاديًا لاجتماع المُسلمين سُنّةً وشيّعة في شعيرة دينية أو فريضة جامعة ممّا يكرّس الشعور بأنّ الدين ليس واحدًا فالصفوية تخشى من التفاهم والأخوّة والوحدة بين المُسلمين وتعتبرها خطرًا يهدّد وجودها القائم على الاختلاف بينهم، وهذا الخطر تستشعره الصفوية أكثر شيء في مراسم الحج باعتبار الاجتماع العظيم الذي يضمّ المُسلمين هناك على اختلاف ألوانهم.

ومثلما يعمل الملالي المرتبطون بقصر (عالي قابو) في أصفهان على تحويل المُشتركات الإسلامية إلى مختلفات عن طريق الدسّ والتأويل المغرض للفقه والتاريخ والقرآن، واعتبار الأخير حافلًا بالطعن على الخلفاء والنيل منهم بأسلوب الرمز والكناية والتشبيه، وأن هذا الأسلوب اتخذه القرآن من باب (التقية)! خوفًا من أن يمزّقوا القرآن إذا تعرّض لهم بشكل صريح وهم - أي السُنّة - قد فعلوا ذلك بالذات بالنسبة للآيات الواردة في مدح (علي) حيث أسقطوها من القرآن! ما يعني أنّ القرآن الحاضر بين أيدينا هو قرآن ناقص ومحرّف، وأنَّ القرآن الأصلي الصحيح كان بحوزة علي وقد توارثه الأئمة بعضهم من بعض وهو الآن بحوزة الإمام صاحب الزمان وسوف يظهر بظهوره!

كان الملالي التابعون لقصر (الباب العالي) في اسلامبول عاكفين على أعمال مشابهة ويصدرون فتاواهم التي تنال من الشِّيعة بشكل سافر فيفتون - مثلًا - بأنَّ زواج الرجل المُسلم بالمرأة الكافرة من أهل الكتاب جائز بينما زواجه بالمرأة الشِّيعيّة حرام!

= ميل فيصلّون معه. ثم ينصرفون إلى منازلهم، وهم يرون مواضع سهامهم» (راجع: من لا يحضره الفقيه: ج١، ص١٤٢) و (وسائل الشِّيعة، ج٧، ص٩٠) ونقل البروجردي عن «صاحب الدعائم» قوله: «روينا عن أهل البيت - صلوات الله عليهم أجمعين - بإجماع فيما علمناه من الرواة عنهم، إن دخول الليل الذي يحل الفطر للصائم هو غياب الشمس في أفق المغرب بلا حائل دونها يسترها من جبل أو حائط، ولا غير ذلك، فإن غاب القرص في الأفق فقد دخل الليل وحل الفطر». (راجع: «جامع أحاديث الشِّيعة»: ج٩ ص١٦٥) ومن علمائنا المتقدمين الذين يقولون بتحقق الغروب بسقوط القرص، الصدوق: (راجع علل الشرائع، ص٣٣) والشيخ أبي علي محمد بن أحمد بن الجنيد الكاتب (الإسكافي) والشيخ الطوسي (شيخ الطائفة) والفيض الكاشاني: (راجع مفاتيح الشرائع، ج١ ص٩٤).

والواقع أنه كما كانت الحركة الصفوية بحاجة إلى نوع من التشيُّع الإيراني لإعلان الحرب ضد الدولة العثمانية، كان العثمانيون بحاجة أيضًا إلى نوع من التسنّن التركي لمواجهة الخطر الصفوي، وهكذا نَجَمَ عن الدين الإسلامي الواحد ديانتان مستقلتان متخاصمتان! وفي حين أنَّ المسيحية كانت تزدهر عبر حركة النهضة والبرجوازية الجديدة وتتسلّح بالعلم والتطور التقني لمواجهة الإسلام، كان الإسلام يتصارع مع نفسه من الداخل غافلًا عن مخطط الأعداء.

وهكذا أوجد التشيُّع الصفوي مع القومية الإيرانية حركة جديدة، وامتزجت هاتان القوّتان معًا حتى بات من الصعب التفكيك بينهما ونجم عنهما مُركّب جديد يمكن أن نصطلح عليه تارة بأنه (تشيُّع شعوبي) وأخرى بأنه (شعوبية شيعيّة)! ومنذ ذلك الحين تبدلت حقائق (دينية) وأمور كثيرة جدًا، حتى على صعيد التاريخ فشاهدنا «شهربانو بنت يزدجر» وهي تصبح زوجة للإمام الحُسين عليه السلام وذلك لأجل الربط بين الذرية الساسانية (من بين الفرس) وبين الأئمة التسعة من أولاد الحُسين، وبالتالي تظهر للوجود إمامة جديدة متركبة من النور المحمدي و. . . الإيزدي وينعقد الاتصال بين ذرية الرسول وذرية ساسان في صلب الإمامة الشِّيعيّة، وهكذا تعود العائلة الساسانية التي طردها عمر من الباب لتدخل بيت نبي الإسلام من الشُبّاك، ولتستمر خالدة في ذرية الأوصياء والأئمة عليهم السلام إلى أن تتجلى في ظهور صاحب الزمان حفيد ساسان وسليل القومية الإيرانية، وهكذا تلتحم القومية بالمذهب وينهض التشيُّع على أُسس قومية وعرقية ومن ثم تتربع السلطة الصفوية على الاثنين معًا!

«لقد اعتزل العالم الشِّيعي طبقات الشعب بالسلطان الصفوي وتحول التشيُّع الشعبي إلى تشيُّع حكومي، ومن ثم انقسم التشيُّع إلى قسمين: تشيُّع علوي منذ فجر الإسلام وما زال ـ لحسن الحظ ـ موجودًا إلى يومنا هذا، والتشيُّع الآخر هو التشيُّع الصفوي الذي ابتدأ من حين قيام الدولة الصفوية وقام على أشلاء التشيُّع العلوي بعد أن عمل على مسخه وتحريفه، وما زال قائمًا للأسف وإلى الآن».

«إنّ التشيُّع الصفوي» الذي أخذ يستشري هذه الأيام ويرفع راياته قبال التشيُّع العلوي لم يكن وليد العهد الصفوي فقط بل إنه وجد منذ أن وجد التشيُّع العلوي، غاية ما في الأمر أنه اكتسب الرسمية والسيطرة في العهد الصفوي.

إنّ التشيُّع الصفوي باعتباره اتجاهًا ومذهبًا صُنع بصورة التشيُّع العلوي - وإن كان من حيث المحتوى ضد التشيُّع العلوي - منذ البداية، وكان الرجل الأول الذي رفع شعار التشيُّع - الصفوي - بوجه علي وشيعته المخلصين هو أبو سفيان، حيث دخل على علي والعباس حينما امتنع علي عن بيعة أبي بكر وجلس في داره وقال: أيها الضعفاء لماذا تسكتون عن حقكم وتتركون تيمًا وعديًّا يحكمون فيكم... الحكم حقكم، قوموا إلى القوم ولأملأنّها عليهم خيلًا ورجالًا!!!

بدأ أبو سفيان بهذا التشيُّع وجاؤوا من بعده فأخذوا يضخّون فيه عناصر خارجية ويضيفون عليه قليلًا قليلًا، ويعظّمونه ويغيّرون معالمه ويغنونه ويثرونه حتى جاء العهد الصفوي فتحوّل إلى مذهب منظّر مقنّن من خلال محاولات في غاية الدهاء والذكاء والتخطيط، تمامًا كما وضع الإمام الصادق أُسس المذهب العلوي، ونظّر قواعده تنظيرًا علميًا ودوّنه وقنّنه فعل هؤلاء، حيث أسسوا التشيُّع الصفوي ودوّنوه ونظّروه وقنّنوه وأعلنوا عنه إعلانًا رسميًا».

وهكذا تبدّل المذهب بشكل هادىء بحيث لم يشعر المجتمع بهذا التبدّل والتّحول، لقد كان التغيُّر هذه المرّة من الداخل ولم يلتفت أحد إلى أنَّ مذهبًا جديدًا قد حلّ مكان المذهب القديم، ومن هنا فإن البعض ما زالوا حتى بعد مرور أربعة قرون يستثقلون الاصطلاح الذي استخدمه في بحوثي ومحاضراتي للتعبير عن هذا النمط من التشيُّع الجديد أي (التشيُّع الصفوي) فيما البعض الآخر يستفزهم هذا التعبير وينظرون إليه نظرة ريبة وغضب.. إن أساس نظرتي الفلسفية والاجتماعية مبنية على رؤية شيعيّة واضحة وكان أول كتاباتي كتاب (أبي ذر) وآخرها كتاب (الشهادة رسالة الحُسين) و(الدعوة رسالة زينب) بحيث حرَمني عُلماء الوهابية عام ١٩٥٠م من إيراد خطبتي في المؤتمر الإسلامي المُنعقد بمكة بتهمة كوني شيعيًّا مغاليًا، مع ذلك كلّه إذا بي أواجه حملة مسعورة منظّمة، بحيث اتُهمت مؤسسة الإرشاد وأنا بالذات بأننا لا نؤمن بالولاية وننكر أهل بيت الرسالة، بل إننا سنّة ووهابيون!».

الأسس الاعتقادية للمذهبين!

بعد قبول الافتراض الذي مفاده أنّ ثمة مذهبين يوجدان الآن وكلاهما يدعى بالتشيُّع، نأتي على بيان المبادىء والأسس الاعتقادية لكلا المذهبين. وذلك لكي يُتاح لكم أنتم المقارنة بين الاثنين وإدراك الفارق بينهما.

المهم والمشكل هنا أن المذهبين لهما من حيث الاسم نفس الأصول ونفس الفروع دون أي اختلاف، وهذا ما يجعل قضية الفرز والتشخيص أكثر تعقيدًا، ذلك أنّ التشيُّع الصفوي جاء وأرسى دعائمه على هيكلية مضاهية لهيكلية التشيُّع العلوي، واستعار نفس القوالب الفكرية والعقائدية لهذا التشيُّع بعد أن أفرغها من مضمونها ومحتواها الواقعي وركّب عليها نفس أُسسه ومبادئه بأسلوب ماكر وهادىء وبالاستعانة بعلماء ذوي خبرة واختصاص، وذلك لكي يتسنّى له تمرير هذه العملية على ذقون الناس، وقد نجحوا بالفعل إذ لم ينتبه الناس لعملية التبديل تلك، رُغم أنها طالت كل شيء وشملت الله والكتاب والنبي والإمام وسائر الشخصيات البارزة في الدين والتاريخ، لقد تبدّل كل شيء من دون أن يشعر أي أحد! وإلى يومنا هذا ما زال الناس غير قادرين على اكتشاف عملية التزوير التي تمّت وتمّ من خلالها تبديل اللّب والإبقاء على القشور فقط!

تمّ تمريرها على المجتمع دون أدنى مقاومة، وذلك لأن الضمير الاجتماعي لم ينجح من اكتشافها نتيجة لشدّة التشابه وصعوبة التمييز، فعملية التمويه كانت دقيقة ومخططة ومدروسة، واندفع الشِّيعة وراء المظاهر الظاهرية والمراسيم الشكلية والشعائر المفرّغة من المضمون.

١ ـ العترة:

الإسلام ـ لدى التشيُّع ـ يقوم على دعامتين رئيسيتين: القرآن والعترة، وذلك طبقًا للحديث المرويّ عن النبي «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» وكما هو واضح فإن التشيُّع العلوي آمن بالعترة من خلال إيمانه بالسُنّة، أن أصل (العترة) ليس في مقابل السُّنّة ولا في مقابل القرآن، بل ولا في مرتبتهما وإنما هي طريق مباشر ومأمون للوصول إلى القرآن والسُّنّة.

إن البيت الذي يوجد فيه (الرسالة) و(المُرسل) معًا يظل يفتح أبوابه بوجه طلاب الحقيقة وعشاقها، إنه بيت الصدق والعصمة؛ ظاهر متواضع وباطن زاخرٌ بالعظمة والجمال أنه البيت التاريخي الوحيد الذي لا مجال لظهور الخداع فيه! إن (العترة) هي الضابطة والمعيار في معرفة الروح الأصلية للإسلام ورؤية الوجه الحقيقي للنبي ومضمون القرآن واتجاهه العام؛ وهذه هي بالضبط الرسالة الملقاة على عاتق (العترة) الطاهرة.

إنَّ قيمة (أهل البيت) ـ في التشيُّع العلوي ـ لا يمكن أن تستمد وجودها من كونهم أهل بيت النبي فحسب، بل لأن هذه الأسرة الكريمة هي أسرة مثالية يتجلى فيها مفهوم القدوة في الإسلام، حيث تمثّل نموذجًا كاملًا وشاملًا ومثاليًا ومتعاليًا للأسرة الإنسانية! إنها الأسرة التي يجب أن تكون مثلما يجب أن يكون الجميع مثلها ولكنهم عاجزون ولا بدّ أن يروا أمامهم نموذجًا حيًّا لمثال الأسرة النموذجية والتي هي مثال حق للأسرة بحدّ ذاتها لا من منطلق القرابة من الرسول، وذلك لأن الاعتبارات الوضعية والعلاقات النَسَبيّة لا يمكن أن تكون منشأ لقيم عملية وواقعية، أن هذه العلاقات النَسَبيّة لها قيمتها واعتبارها الخاص، ولكن لو كان قيمة عليّ تقتصر على كونه ابن عم للنبي أو صهرًا له، أو كانت قيمة فاطمة في كونها ابنة للنبي، فكيف يتاح لغيرهم من النساء والرجال أن يقتدوا بهم في حال أنهم يفتقرون إلى هذه القرابة والعلاقة، وكيف يمكن لهم أن يتحمّلوا رسالتهم العظيمة في الإسلام، وما معنى أن يترك النبي القرآن وأهل بيته كدليلين يهتدي بهما المجتمع الذي أسّسه النبي؟

إذا لم تكن هذه الأسرة مرتبطة برابطة القرابة مع النبي هل كانت ستفقد قيمتها وصلاحيتها لأن تكون قدوة لسائر الناس؟ كلّا، دون شك أن هذه الأسرة كانت ستحتفظ بكونها أسوة وقدوة حتى لو ظهرت في اليونان أو الرومان، إن أي أسرة يكون الرجل فيها هو عليّ والمرأة فاطمة والأولاد الحسن والحُسَيْن وزينب، سوف تكون هي العترة والأسرة التي تتّسم بالأصالة، وسيكون الناس بحاجة إلى وجود مثل هكذا أسرة لأجل الاقتداء والتأسي بسلوكها وسيرة أفرادها، لماذا نحنُ نحتاج إلى أسرة بهذه المواصفات؟! إننا نحتاج لذلك من أجل معرفة الإسلام معرفة سليمة في ظل تعدّد الأدعياء ووجود أمثال مروان ومعاوية وغيرهم من خلفاء بني أمية وبني العباس وحتى الشخصيات الإسلامية في صدر الإسلام أمثال أبي بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن سعد بن أبي وقاص وغيرهم ممن يزعمون الرواية عن النبي وتجسيد سنته وحمل أمانته، فلا بد إذن من وجود معيار لتحديد الوجه الحقيقي للرسالة وصاحبها.

أما التشيُّع الصفوي فالعترة عنده هي عبارة عن أسرة، وهي وسيلة لتعطيل

العمل بالقرآن وسيرة النبي وتشويه الوجهة الحقيقية للرسالة ولمبادئها الأولى كالتوحيد وبالمقابل إرساء قيم مبتدعة تقوم على أساس العنصر والدم والوراثة!

٢ ـ العصمة:

هي الأصل الثاني من أصول التشيُّع العلوي، وهي هنا بمعنى أن قائد الأُمّة ومن بيده أمور الناس والمجتمع ويتحمل أعباءهم الدينية يجب أن يكون بعيدًا كل البعد عن الفساد والخيانة والضعف والخوف والمداهنة على الحق، ولا يحدّث نفسه بارتكاب الرذائل أبدًا، والعصمة بهذا المعنى هي قبضة محكمة تضرب على فم كل أصحاب الادعاءات الكبيرة التي لا يصدّقها واقعهم العملي والسلوكي!

إن اعتقاد الشِّيعة بالعصمة جعلهم على الدوام في حصانة اجتماعية فكرية تصونهم عن التلوّث بمفاسد السلطات والقوى الجائرة، لقد كانت العصمة دائمًا بمثابة وثيقة دامغة لفضح وإدانة جميع من كانوا يزعمون لأنفسهم خلافة النبي في حال يحكمون على نهج أباطرة الشرق والغرب، لقد ظلت العصمة والاعتقاد بها حاجبًا بين الأوساط الجماهيرية وبين الحكومات التي تعمل على استغلال تلك الأوساط باسم الدين.

أما في التشيُّع الصفوي، فإن العصمة كانت عبارة عن حالة فسيولوجية وبيولوجية وباراسيكولوجية خاصةٍ لدى الأئمة تمنعهم من ارتكاب الذنوب والمعاصي، حسنًا إذا كنتُ أنا مخلوقًا كذلك فلن أستطيع ارتكاب الذنوب، وحينذاك فما قيمة تقواي إذن؟ ما قيمة التقوى الناجمة عن العجز عن ارتكاب المعاصي، إن الجدار وفق هذا المفهوم سيكون من أتقى الأشياء لأنه لا يستطيع أن يُذنب بالطبع.

إن الإمام ـ في التشيُّع الصفوي ـ يتمتع بنوع من العصمة الذاتية الفاقدة لأي قيمة؛ لا إنسانية، لأن الإمام المعصوم عاجز عن ارتكاب الذنب، ولا قيمة عملية وتربوية لأن الناس لن يكونوا قادرين على التأسي والاقتداء بشخص يختلف عنهم ذاتيًا.

لقد حوّل التشيُّع الصفوي الأئمة إلى موجودات ميتافيزيقية وكائنات مجرّدة وغيبية مصنوعة من نوع خاص من الماء والطين، وبالتالي أفرغوا الإمامة من

محتواها القيَمي كما أفرغوا الاعتقاد بالإمامة من قيمته وأثره السلوكي والعملي وهو الاقتداء!

كل ذلك جرى تحت خيمة تقديس الإمام وتكريم مقامه بواسطة الملالي التابعين لجهاز الحكم الصفوي، فلقد رفع المُلّا مقام الإمام إلى مستوى الملائكة واكتشف فضائل ومناقب عظيمة جدًا لمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحُسَيْن، ومنح المعصومين الأربعة عشر مقامًا ساميًا إذ نسَبَهُم إلى طينةٍ وجوهر غيبي من جنس ما فوق البشر وما وراء الطبيعة، وزعم أنَّ ذواتهم ليس ذوات إنسانية وأن خلْقتهم ليست خِلقة آدمية بل هم عناصر من النور الإلهي اكتسبت ظاهر الآدميين، و طبقًا لما زعمه الملالي فإن لأهل البيت نوعين من المناقب والفضائل بعضها مختصة بهم لا يمكن أن يتحلى بها أحد غيرهم والنوع الآخر هي مزايا إنسانية سامية لا يدانيهم فيها أحد وإن وجدت لدى إنسان غيرهم فبدرجة ضئيلة وعلى طريق الاكتساب بينما تلك الصفات لدى المعصومين هي صفات ذاتية تقتضيها طبيعة ذواتهم وليست اكتسابية ما يعني بالتالي ـ حسب هذا المنطق السقيم ـ أنَّ أتباع الأئمة سيكونون أفضل منهم لوضوح أنَّ المناقب الإرادية أفضل من المناقب الثابتة للمرء بالجبر والطبع الذاتي أو الموروث.

من قبيل النوع الأول كونهم عليهم السلام يعلمون الغيب وغيرهم ليسوا كذلك، وهم قادرون على تحويل عدوّهم بنفخة واحدة إلى كلب أو ذئب أو خنزير أو أي شيء آخر يريدون بينما لا يقدر الإنسان العادي على ذلك، مضافًا إلى فضائل ومناقب أخرى تختصّ بهم مما يصعب نقله وتصوّره.

في القاموس الصفوي، ساد تصوّر آخر مفاده أنّ الحاكم يجب أن يكون متقيًا ومعصومًا، ولما كان الوصول إلى الأمام متعذرًا فإن هذا الشرط سيسقط عن الاعتبار وإلّا يلزم التكليف بغير المقدور، وينتج من ذلك أنّ أفعال الحكومات وأخطاءها ستصبح مبرّرة لأن العصمة لا يمكن تحصيلها في زمان الغيبة. يقولون «إننا غير قادرين، لأننا لسنا معصومين، وعلينا أن نتوسل فقط»، بهذه الحيلة باتت القيادة الشّيعيّة غير مكلّفة بمراعاة جانب التقوى الشديدة، وبهذه الطريقة تمَّ القضاء على هذا المبدأ الثوري والحضاري السامي وحذفه من مسرح الحياة السياسية والاجتماعية ورفعه إلى عنان السماء وطرده من عالم الناسوت إلى عالم الملكوت!

٣ ـ الوصاية:

إن الوصاية بحسب التشيُّع العلوي وما نفهمه نحنُ ليست بتنصيب ولا انتخاب ولا ترشيح بل هي بمعنى قيام النبي ـ من منطلق موقعه القيادي للمجتمع ـ بتحديد أفضل الأشخاص وأكثرهم جدارة بتحمل عبء مواصلة المسيرة وحمل الرسالة التي جاء بها، لكي تتخذه الأُمّة قائدًا لها وتنقاد لأوامره وتوجيهاته.

وليست هذه الوصاية بتوصية اعتباطية من حق الآخرين أن يلتزموا بها أو لا يلتزموا، بل أن الناس ملزمون بالانقياد لقيادة أنزه وأعلم إنسان على وجه الأرض حسب تشخيص النبي، ولو أنَّ الأُمّة الإسلامية قد التزمت بمبدأ الوصاية لكان المجتمع الإسلامي بمأمن عن خطر الانحراف على مدى اثني عشر جيلًا ولاكتسب في غضون هذه الدورة التربوية الخاصة عمقًا ونضجًا اجتماعيين كفيلين بجعله مصداقًا لقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] أمة لا توجد فيها مظاهر فساد وعبودية واستغلال وخداع وتزوير، وكل فرد من أفرادها يتمتع بتجربة ورصيد سياسيين ودينيين يؤهلانه لتقرير مصيره على ضوء القاعدة الإسلامية الأخرى لتعيين الحاكم وهي (الشورى والبيعة) التي ستكون بديلًا عن قاعدة الوصاية.

هذا هو المعنى الذي يفهمه الإنسان الواعي من سيرة محمد وعلي حول مفهوم (الوصاية)، في قبال المعنى المقرّر لها في التشيُّع الصفوي حيث تكون (الوصاية) عبارة عن نظام وراثي وسلالات حكم تنتقل القيادة فيها من الأب إلى الابن ومن الأخ لأخيه ومن جيل إلى جيل يليه، وعلى ضوء هذا الفهم الخاطىء للوصاية، يقال إنّ الإمام الأول صار إمامًا أول لأنه ابن عم النبي وصهره وأول السلسلة، أما الإمام الثاني فصار إمامًا ثانيًا لأنه ابن للإمام الأول والإمام الثالث صار إمامًا لأنه أخ الإمام الثاني ومن ثم استمرت الإمامة نسلًا بعد نسل، فالأصالة ليست لشخصية الوارث والموروث وإنما لعلاقة النسَب والقرابة القائمة بين الاثنين، وفي هذا توجيه واضح لقانون انتقال الحكم بالوراثة وهو القانون الذي كان مُتبَعًا إبان العهد الساساني والنسخة طبق الأصل منه أعني العهد الصفوي!

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

٤ ـ الولاية:

وهي في التشيُّع العلوي بمعنى التزام الناس بحكومة علي بكل أبعادها وضوابطها والتبعية له والاقتداء به وقبوله كأسوة حسنة، والتسليم المطلق لحكومته ونظامه هو فقط لا غير!

أما الولاية عند التشيُّع الصفوي فهي بمعنى ولاية (مولائية) نجم عنها بالتالي عناصر دخيلة مثل الإسماعيلية والعلي اللهية والباطنية والحلولية والصوفية والهندية، ، ولا داعي للتوضيح أكثر!

٥ ـ الإمامة:

وهي ـ في قاموس التشيُّع العلوي ـ عبارة عن الاعتقاد بنظام ثوري قادر على بناء مجتمع ينهض بواجبات نظام دولي مؤهل للوقوف بوجه الأنظمة القائمة. وأمّة تحمل رسالة سلمية بحجم الرسالة التي تطرقت لها لدى الحديث عن الوصاية، ومصاديقها الخاصة بعد النبي هم الأئمة الذين يتحلّون بمقامات ذاتية تؤهلهم لِتَقَلُّد وسام القيادة للمجتمع وتلبية مستلزمات هذه المهمة، وبناء على ذلك فإن الاعتقاد بالأئمة يعني في مفهوم التشيُّع العلوي أن المعتقِد يأبى التسليم أمام أي نظام حكومي لا ينسجم مع نظام الإمامة، وأنَّ الشِّيعي لا يعترف بأي حكومة في زمان غيبة الإمام المعصوم ما لم تكن تلك الحكومة قد اكتسبت الشرعية من خلال نيابتها عن الإمام وحكمت في الناس على ضوءِ الضوابط والمقررات المنسجمة مع هدف الأئمة المعصومين وأسلوبهم في الوصول إلى ذلك الهدف.

ولكن التشيُّع الصفوي ينظر إلى الاعتقاد بالأئمة من زاوية أخرى يكون فيها الاعتقاد بهم ليس سوى اعتقاد بـ(١٢) شخصية من جنس ما وراء الطبيعة واثني عشر رقمًا وإسمًا مقدّسًا يجب علينا أن نحبّ أصحابها ونثني عليهم ونتقرب إليهم دون السعي إلى الالتزام بالتبعية والاقتداء بهم وذلك لأننا عاجزون عن اتباع الأئمة وتقليد سيرتهم لأن ذاتهم تختلف عن ذواتنا اختلاف جوهريًا، وعليه يكون الاعتقاد بالأئمة في منظار التشيُّع الصفوي عبارة عن عبادة (١٢ أسمًا) والتعبد بها كما نتعبّد بوجود (١٢٤) ألف نبي، وبالتالي يكون بمقدورنا التعاطي مع أي نظام حكم قائم في زمان غيبة الأئمة، شريطة أن يقترن ذلك مع الإيمان القلبي بهم والتودد لأصحاب هذه الأسماء الاثنتي عشرة، ولا يهمّ ما سوى ذلك من نوع الحكم

والنظم القائم وطبيعة التعامل مع الناس لعدم ارتباطه أساسًا بموضوع الحب والتولي، فالإمامة عقيدة غيبيّة وتاريخية ليس ذات علاقة مع طبيعة الحياة وخصوصيات الزمان والمكان!

٦ ـ العدل:

وهو هنا بمعنى الإيمان بأن الله عادل، وهو في التشيُّع العلوي. بمعنى أنَّ كل موبقة سيكون وراءها حساب شديد كما أن كل منقبة ستكون سببًا للفوز بالثواب الجزيل.

الإيمان بأن الله عادل، يعني أن العدل ليس بمثابة نظام وضعي يستحدّث في المجتمع ونهج سياسي أو حزبي، بل هو في التشيُّع العلوي مبدأ مرتبط بالله بمعنى أن العدل هو أساس بناء الخِلقة، وعليه تتمحور الرؤية الكونية للإنسان المُسلم، وإذا لم يكن البناء الاجتماعي راسيًا على دعامة العدل فإن المجتمع سيصبح مجتمعًا مريضًا منحرفًا متزلزلًا ومهددًا بالزوال. أما في التشيُّع الصفوي، فالعدل معناه أنّ الله ليس بظالم، وأن يزيد سيذهب بعد الموت إلى جهنم، بينما الحُسين يذهب إلى الجنّة وليس ثمة علاقة لذلك بحياتنا الدنيوية وأوضاعنا الراهنة بل هو مجرد بحث علمي من شأن الفلاسفة الإلهيين ولا علاقة له بالناس!

٧ ـ التقية:

وهي عبارة عن نوعين من التكتيك: الأول هو (تقية الوحدة):

ومعنى التقية من هذا المنظار أنّ الشِّيعي لا ينبغي له أن يبرز موارد الاختلاف في المجمع الإسلامي الكبير لئلا يتسبّب في إثارة الفرقة وتشتيت وحدة المُسلمين فالتقية إذن هي غطاء يلجأ إليه الشِّيعي في الحفاظ على عقائده من الضياع والاندثار دون أن يعرّض المجتمع المُسلم إلى خطر التشتُّت والفرقة والخصام. ولذلك يُقال مثلًا إنَّهُ إذا ذهبت إلى مكة فصلِّ معهم، ويوصينا علماؤنا الكبار بالصلاة خلف إمام الجماعة في مكة والمدينة من هذا المنطلق أيضًا، هذه هي التقية، نبذ للطائفية والتعصّب، وتجنب لترويج موارد الاختلاف والمسائل المثيرة للفرقة، وتحمّل للرأي الآخر المخالف لرأيك، واحترام لأفكار الأخوة وأعمالهم، التقية هي منهج لسلوك الأقليّة في مقابل الأكثرية في مجتمع معيّن وذلك بهدف الحفاظ على الوحدة الداخلية وضمان عدم تعريض الأهداف المُشتركة إلى الخطر وشماتة الأعداء (ومثالها الأبرز هي سيرة عليّ

حيال معارضي حكومته في الداخل). والمعنى الآخر للتقية هو (تقية النضال): وهي عبارة عن مراعاة الشروط الخاصة بمواصلة النضال في دوره السلبي حفاظًا على قوى الإيمان (لا على نفس المؤمن)!، ومعناه أنَّ الشِّيعة يجب أن يستمروا في مزاولة نشاطهم الفكري والاجتماعي والسياسي مع رعاية جانب الكتمان وحفظ الأسرار وعدم إعطاء ذريعة للحكام الظلمة ومستمسك يسوّغ لهم إبادتهم وتدمير تشكيلاتهم بلا مبرّر منطقي ومعقول، إذن فالتقية هي منهج علمي وعملي لضمان سلامة الكيان الشِّيعي مقابل أجهزة السلطة التي تتحين الفرص للإجهاز على هذا الوجود والقضاء عليه. (والمثال الأبرز لهذا النمط من التقية هي سيرة الأئمة إبان الحكم الأموي والعباسي).

أمّا ما تفهمه العقلية الصفوية من تقية فهو ما عبّر عنه الشاعر مولوي في قوله:

(لا ينبغي قول الحق إلّا تحت اللحاف)!

التقية، في التشيُّع الصفوي، تعني السكوت أمام كل الانحرافات وأعمال الضلال والظلم التي تمارسها السلطات الحاكمة، وذلك بحُجّة الحفاظ على النفس من الضرر مهما كانت درجته ضئيلة ومهما تسبّب ذلك في تعطيل المسؤوليات الاجتماعية والعقائدية!

ومن هنا نجدُ أنَّ التقية حسب التصوّر العلوي هي عامل وحدة وانسجام مع الأخ وكفاح للعدو، بينما هي في التصوّر الصفوي مبرر لشلّ إرادة الرفض والنضال أمام العدو وفي نفس الوقت هي سبب فاعل في إثارة النعرات الطائفية والفرقة والاختلاف بين الأخوة!

التقية، في التشيُّع العلوي، عبارة عن تكتيك عملي يخضع لضوابط ظروف معينة يقدّرها القائد، ولذا قد تجب التقية وقد تحرم، بينما التقية في المنظار الصفوي هي جزء من عقائد الشِّيعة الثابتة والملازمة لشخصية الشِّيعي في كل الأحوال!

٨ ـ السُّنّة ونبذ البدعة:

وفق المفهوم الصحيح للسُنّة فإنَّ التشيُّع العلوي يُعدّ أكثر المذاهب والفِرق الإسلامية تسنُّنًا! بمعنى أنه أقرب المذاهب وأضبطها في الاعتقاد بالسنّة النبوية والالتزام بها عمليًا.

علي عليه السلام كان يعتقد أن سُنّة النبي لا توجد قوة قادرة على تغييرها والتلاعب بها بزيادة أو نقصان أو تحريف هذا في حال أن منافسي عليّ ممّن ادعوا حمل لواء التسنّن هم أكثر من أعطى لأنفسهم الحق في التلاعب بالسُنّة وعدم الإلتزام بها إلّا حسب اجتهادهم، وجوّزوا لأنفسهم الاجتهاد مقابل النص وهو ما حرّمه عليّ على نفسه، بينما نجد أنَّ عُمَر بالذات سوّغ لنفسه أن يجتهد في مقابل ما ورد في نص عن النبي خاصة في الأمور ذات الطابع السياسي والاجتماعي(*).

وبالغ عُمَر في ذلك إلى درجة أنه منعَ صراحة عن كتابة وضبط أحاديث النبي والروايات المنقولة عنه، ومنح لنفسه الحق في ذلك من موقع كونه مجتهدًا وخليفة للنبي، وهذا ما يعترف به عُلماء السُنّة أنفسهم.

في ضوء ذلك يجب القول أن التسمية الحقيقية للتشيُّع العلوي هو أن يُقال بأنه المذهب الحافظ للسُنّة والمناهض للبدعة، وأنّ عليًا هو أجلى مصاديق التبعية الحقة والالتزام الدقيق بالسُنّة سواء على صعيد الروح والمضمون والاتجاه العام (المنهج النبوي) أو على صعيد الأحكام والأفعال والأقوال (السُنّة النبوية).

غير أن التشيُّع يبدو في حلّة أخرى عندما ننظر إليه بعدسة صفوية فيتحول إلى فرقة ومذهب مناوىء للسُنّة النبوية بحيث يضع العترة وأهل البيت في مقابلها. يقول أحد المعتقدين بالتشيع الصفوي: هل رأيت في هذا الكتاب نصًّا عن النبي يقول فيه (إني تارك لكم الثقلين كتاب الله وسنتي)؛ إذن من أين جئت بذلك؟! النبي قال: (كتاب الله وعترتي) ولم يقل (كتاب الله وسُنتي)!

التشيُّع الصفوي ينفي ـ إذن ـ وجود حديث فيه عبارة (كتاب الله وسنتي) مثلما أنَّ أركان التسنن الأموي ينفون النصّ القائل (كتاب الله وعترتي)، هذا في حال أنّ

(*) من الموارد التي أقدم عُمَر صراحة على الاجتهاد فيها بالرغم من ثبوت النص هو منعه لمتعتي النكاح والحج حيث قال (متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرّمهما) وكذلك قبوله التثليث في الطلاق تشديداً على الرجال خلافاً لما كان ثابتاً في عصر النبي وأبي بكر وأوائل عهد عُمَر نفسه (نقل في أحكام الموقعين) أنَّ سبعة عشر مورداً حصل في زمان النبي على خلاف ما حكم به عُمَر. ومن ذلك أيضاً زيادة مقطع (الصلاة خير من النوم) لأذان الصبح، والتكتف حين الصلاة تشبهاً بالفرس عندما يقفون أمام ملكهم، وأداء صلوات لليالي رمضان المستحبة جماعة وأخيراً حذف سهم المؤلفة قلوبهم وكان عمر يتذرع عادة بالظرف الاجتماعي والسياسي لتوجيه عمله هذا.

(كتاب الله وعترتي) ليست سوى تفسير وتتميم ونتيجة لـ(كتاب الله وسنتي)، ويجب الاعتقاد بالاثنين معًا إذ لا تنافي بينهما، بل أحدهما مكمّل للآخر كمصراعي باب؛ لا فائدة من وجود أحدهما مفردًا!

بيدَ أنَّ التشيُّع الصفوي يرى أنَّ (كتاب الله وعترتي) هي بديل عن (كتاب الله وسنتي) ولا يمكن أن يجتمعا معًا، وهذا الإدعاء يساوي خطورة وسوءًا ادعاء التسنن الأموي(*) بأن التشيُّع العلوي مخالف للسُنّة وأنَّ الشِّيعة روافض يعتبرون عليًا هو النبيّ بل هو الإله!

بينما يسعى التشيُّع العلوي لتأكيد حقيقة أنَّ (العترة) هي الناطق الرسمي باسم كتاب الله وسُنّة النبي ووَجْهٌ من وجوه السُنّة وعناوينها... كم هو التناقض بين هذين التشيُّعين؟!

باختصار، أقول أن التشيُّع العلوي هو مذهب السُنّة، بينما التشيُّع الصفوي وقرينه التسنن الأموي كلاهما مذهب بدعَةٍ واختلاف ذلك لأن كليهما يمثّلان الإسلام الرسمي، غايتها أنَّ أحدهما اتخذ من (الاجتهاد) ذريعة للتلاعب بالسُّنّة بينما اختفى الآخر وراء (العترة) لتحقيق مآربه وأطماعه، وكلاهما (الاجتهاد والعترة) عنوانان مقدّسان! وهنا يكمن الخطر!

٩ ـ الغَيْبَةُ:

في التشيُّع الصفوي يحمل الانتظار مفهومًا سلبيًا ويعبّر به عن منهج التسليم والتحمل والصبر والسكوت، وفيه يكون الإمام المعصوم غائبًا ممّا يعني ضرورة تعطيل الإسلام ببعده الاجتماعي وعدم إعادته إلى مسرح الحياة إلّا بعودة الإمام وظهوره من جديد، وذلك لأنَّ الإمام غير موجود وبالتالي لا مجال لإقامة الجمعة ولا الجماعة ولا الدعوة إلى الجهاد(**).

(*) أن التسنن الأموي هو قرين التشيّع الصفوي، وكلاهما دين حكوميّ! الأول هو لتبرير الوجود الأموي في موقع الخلافة وإضفاء طابع إسلامي عليه والثاني هو لتبرير وتوجيه الحكم الصفوي...

(**) حسب ما زعمه أحد كبار الفقهاء المعاصرين فإن البعض يميل إلى القول بتعطيل الحدود وعدم إجراء الأحكام والمقررات الجزائية في الإسلام! «وبالطبع يقصد أنَّ أحكام الدين تعطلت منذ عام ٢٥٠ هجري قمري إلى حين ظهور الإمام الثاني عشر». انظروا إلى ظاهرة الـ(آثار شيسم) الدينية!

إنَّ نائب الإمام موجود بالطبع، ولكن وجوده ليس لأجل الجهاد وما شابه، بل لأجل جمع الحقوق و(الضرائب) الشرعية واستلام سهم الإمام الغائب، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهما وظيفتان ساقطتان إلّا في المجالات الفردية والأخلاقيات الشخصية والنصائح الأخوية فيما يرتبط بفوائد الأعمال الحسنة ومضار الأعمال السيئة! وتجنب الخوض في المنكرات الاجتماعية من قبيل (الكلام بأمور الدنيا في المسجد) والانحرافات السلوكية نظير أكل المشمش مع اللبن وأسوأ من ذلك إطلاق شعر الرأس وحلق اللحية، مضافًا إلى مقارعة البدع التي تظهر في المجتمعات الإسلامية وتحذير الناس من الأخطار التي تهدد هذه المجتمعات في أيامنا هذه كاستبدال منبر النبيّ بمنصّة وميكروفون ومكبرات صوت وتصفيق الحاضرين! وتناول الماء أثناء الخُطبة...(*) والأهم من ذلك كله الوقوف بوجه الأخطار الناجمة عن الوحدة بين المُسلمين في مقابل الاستعمار والصهيونية!

ويعود السبب في ذلك إلى أنَّ التشيُّع الصفوي هو في الأساس فرقة طائفية مناوئة للمجتمع المُسلم وتقوم فلسفة وجوده على أساس بثّ الفتنة وزرع الاختلاف بين أعضاء الجسد الإسلامي الواحد، والانفصال عن الجسد الإسلامي الأم الكبير، وما وجد التشيُّع الصفوي إلّا من أجل تحقيق هذا الغرض، ويؤيد هذا التصوّر أنَّ التشيُّع الصفوي ظهر وتحالف مع القوى الصليبية والبرجوازية العدوانية في أوروبا لضرب القوة الإسلامية الوحيدة التي كانت تتصدى لهم ولو باسم الإمبراطورية العثمانية البغيضة، وقد كانت الضربة التي وجّهها التشيُّع الصفوي بمثابة طعنة في الظهر، تجلّت على شكل لقاءات مشتركة بين السلاطين الصفويين وسلاطين أوروبا الشرقية تمخّضت عن اتفاقات ومخططات للقضاء على العدو المُشترك للمسيحية الغربية والتشيُّع الصفوي والمتمثل آنذاك بالدولة العثمانية.

ومن هنا نرى أنَّ مراسيم (التشبيه) وهي نسخة طبق الأصل من طقوس دينية يؤدّيها المسيحيون على خشبة المسرح، بدأت تتضمن لقطة جديدة يدخل في غضونها شخصية (جون المسيحي) ترتدي الملابس الإفرنجية من السترة والبنطال

(*) يراجع كتاب (الروحانية في الشِّيعة) (روحانيت در شيعة).

وتنضم إلى معسكر الإمام الحُسين في كربلاء وتقاتل معهم بحماسة واستبسال منقطعي النظير!

في الوقت الذي شعرت به كل معسكرات الغرب بالخطر يُداهمها متمثلًا بهجوم الجيش الإسلامي الهادر، وبعد أن تحوّل اسم القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية والمركز العالمي المقتدر للمسيحية إلى مدينة (اسلامبول)، فيما خضعت اليونان وبلغاريا ويوغسلافيا وغيرها إلى هيمنة المُسلمين وسيطرت القوات الإسلامية على البحر الأبيض المتوسط وحاصرت كلًا من النمسا وإيطاليا، آنذاك تعرّض التشيُّع العلوي القائم على أساس العدل والإمامة والحامل لهمّ الدفاع عن الحق حيال الباطل وعن السُنّة تجاه البدعة وعن الخط الإسلامي الأصيل بإزاء النظم المنحرفة التي طرأت على الإسلام وغصبت الخلافة من أهلها وتنكّرت لوصية النبي؛ التشيُّع العلوي الذي يسخط نفسيًا على غَصَبَة الحق ومردة كربلاء ويشجب فكريًا كل من يرضى بأعمالهم ويتبع منهجهم ويسير على خطاهم؛ هذا التشيُّع تبدّل فجأة إلى التشيُّع الصفوي وهو تشيُّع يتعاطى مع كل العقائد والعواطف النبيلة المُشار إليها أعلاه بشكل مختلف ويحوّلها إلى أحقاد دفينة وضغائن سياسية وقومية وعداء بين العرب والترك والإيرانيين. ويحيل الاختلاف بين التشيُّع والتسنُّن الذي يعكس في واقعه الاختلاف بين إسلام الشعب وإسلام الحكومة، بين إسلام الرب وإسلام الأرباب، بين إسلام النبي وإسلام الخليفة المزعوم!... يحيله إلى حقد أعمى بين السُنّة والشِّيعة، بين المجتمع السني الموجود الآن وبين المجتمع الشِّيعي الذي يعايشه، وبالتالي عمل على توظيف كل العواطف والعقد الشِّيعيّة في سبيل تحقيق أهدافه ومراميه المتمثّلة بإقامة الدولة الصفوية، وبدلًا من أن يوظّف هذه العواطف والمشاعر الجياشة في العمل من أجل انقاذ الناس من مظاهر الزور والتزوير وإقرار العدالة الاجتماعية عمدَ على العكس من ذلك إلى جعلها مادة استهلاكية على الصعيدين الإعلامي والعسكري لتدعيم موقعية الجيش (القزلباشي)(*)، وإيجاد رابطة وأواصر تربط بين سلالة السلطنة الصفوية وسلسلة الإمامة العلوية، وبِمَنْح رجال الصفوية لقب (السيادة) ـ وهم أحفاد الشيخ صفيّ(**) ـ تمّ ربط الدم الصفوي

(*) القزلباش: اسم قبيلة اعتمد الصفويون على أبنائها في تحكيم سلطانهم وفرض هيمنتهم على إيران.

(**) المؤلف يشير هنا: أنَّ صفة السيادة للصفويين مفتعلة هي الأخرى، والسيّد والشيخ مصطلحان مختلفان عند الشِّيعة، يرمز الأول إلى من يعود نسبتهم إلى النبي.

بآل البيت النبوي، وتحوّل الشاه عباس الفاسد، والذي لم يتورع حتى عن إبادة رجال أسرته، إلى (الخضر) الموعود ليصبح فارس أحلام العوام.

لقد ظلَّ التشيُّع يرفض كل أشكال الحكم إلّا ما كان ينطبق وينسجم مع نظام حكم وقيادة عليّ وأتباع علي، وقد شمل هذا الرفض - بحق - حتى حكومة عمر بن عبد العزيز الوجه الذي يتمتع بتقوى وعدالة نسبية عاليتين، وذلك لأن الرفض العلويّ لم يكن رفض أشخاص بل رفض مناهج وأفكار وأشكال حكم خالفت المنهج الإلهي الأصيل، بيدَ إن هذا التشيُّع تعرّض إلى عملية تحوير شاملة انتهت به إلى أن يعتبر قيام الدولة الصفوية نصرًا تاريخيًا له! ومن ثمَّ عمل على شدّ أزر الشاه عباس الصفوي لجهاد الأخوة المُسلمين أمام أنظار الغرب الكافر!

ونظرًا لأن التشيُّع الصفوي يرى ضرورة تجميد كل الفعاليات والأنشطة الاجتماعية في زمان الغَيْبَة، فلقد بات من غير المبرّر الاهتمام بصلاح أو فساد المجتمع وشكل الحكومة حقًا أو باطلًا، وذلك لأن حكومة الحق مختصّة بحكومة الإمام المعصوم بشخصه ولأن شخص الإمام غائب بالفعل، فليس للإسلام ما يقوله خلال فترة الغيبة على صعيد الحياة الاجتماعية والسياسية للمجتمعات، فالإسلام صامت تجاه هذه الأمور وأمثالها، وكون الإسلام ساكنًا يفسح المجال للشاه عباس في أن يتحدّث بحريّة ويقول ما يشاء دونما إشكال عليه! وهكذا أصبحت فترة الغَيْبَة فترة تعطيل وتجميد للطاقات والنشاطات ولا ينبغي فيها سوى الانتظار والتحمل وكفى!

وبسبب انتفاء موضوعة المجتمع وموضوعة الحكومة وما لازمهما، فمن الطبيعي حينئذ أن تتحدد المسؤوليات الاجتماعية في إطار الوظائف الأخلاقية والواجبات الفردية، ويتعين على كل إنسان أن يحفظ نفسه لصعوبة حفظ المجتمع، لأن القاعدة والتيار العام يؤول إلى انحطاط المجتمع وزوال الإيمان وانهيار النظام وتفسخ الأخلاق الاجتماعية وفساد الثقافات إلى حين ظهور الإمام! من هنا نرى أن الغَيْبَة تصبح وفق هذا المنظور بمثابة صكّ غفران لقوى الهيمنة وأنظمة الجور لتفعل كل ما يحلو لها، وهي في الوقت ذاته فتوى بوجوب التسليم بل الاستسلام للأمر الواقع؛ أيّ شيء كان ومن أيٍّ صدر وعلى أي شاكلة!

هذا النوع من التثقيف الديني يؤدي بالتالي إلى تحجيم الشعور بالمسؤولية

العامة لدى أفراد المجتمع ليحلّ محلّه الاتجاه الفردي في التعاطي مع الأوضاع والمستجدات الاجتماعية والسياسية، واختزال جميع الآمال والتطلعات والأحاسيس والمسؤوليات للإنسان الشِّيعي في دائرتين ضيقتين هما: العزاء، والعداء، للسُنّة، ولا غير!

هذا بينما نرى بالمقابل أنَّ فترة الغَيْبَة في أفق الذهنية التي يتبنّاها التشيُّع العلوي تعدّ من أحرج الفترات على صعيد تحمل المسؤوليات الاجتماعية والسياسية والعقائدية والفكرية. وهكذا نرى أنّ الغَيْبَة في التشيُّع العلويّ هي على طرف نقيض من الغَيْبَة في التشيُّع الصفويّ الذي يدعو إلى تعطيل المسؤوليات الاجتماعية وتفويض مصير الناس إلى عامل الجبر المهيمن على الزمان والمكان. الغَيْبَة في التشيُّع العلوي تُحمّل الناس مسؤوليات أكثر وأكبر من تلك المسؤوليات التي يتحتّم عليهم القيام بها إبان مرحلة النبوة أو مرحلة الوصاية أو مرحلة ما بعد الظهور، وتضع في أعناق الناس مهامّ حساسة وخطيرة من قبيل بذل أقصى الجهد في مجال نشر الحق ومقارعة الباطل والجهاد والتربية والحكم وهداية المجتمع، إن المجتمع الشِّيعي يتحمل جميع هذه المسؤوليات مضافًا إلى أن عليه اختيار الشخص الذي تناط به مهمة القيام بدور الإمام في قيادة الأُمّة نحو الصالح العام وفي إطار الإسلام. وصفوة القول أن الشخص الذي يختاره الله في مرحلتي النبوة والوصاية، يتعين على الناس أنفسهم اختياره في المرحلة الثالثة (الغَيْبَة)!

في ضوء ما ذكرناه، تتبين فلسفة الغَيْبَة في التشيُّع العلوي وأنها لا تكتفي بعدم تعطيل الوظائف الاجتماعية لأبناء المجتمع الشِّيعي بل على العكس من ذلك تضيف إليها وظائف إلهية أعظم خطرًا!

١٠ ـ الشّفاعة:

الشِّيعي الصفوي يقول أنّ الإمام الحُسين وأبا الفضل العباس وزينب وعلي الأكبر والأصغر سوف يشفعون له في لحظة الامتحان النهائي.

في تلك اللحظة الحرجة، حيث يُنصب ميزان العدل الإلهي ليزن بدقة بالغة الأعمال الحسنة والسيئة لكل انسان ويعلن عن النتيجة وليصدر الحكم في ضوئها على الشخص بنجاة أو سقوط، هناك يعمد الشِّيعي الصفوي إلى الغش في قاعة

الامتحان، فيتواطأ مع أحد المراقبين في القاعة مع أقربائه أو معارفه ليسرّب إليه بخفاء الأجوبة الصحيحة، أو أنه لا يتجشّم حتى عناء الكتابة فيعطي ورقته بيضاء أو محشوّة بكلام هراء من سبّ وسخرية أو طلاسم وأوراد فالولد لم يتصفح كتابًا من قبل ولم يرَ مدرسة أصلًا، فإذا بالنتيجة تأتي عشرة من عشرة وربما كان صاحبنا هو الأول بين سائر التلاميذ؛ وذلك إذا كانت تربطه صلة خاصة بالمشرفين على نتائج الامتحانات أو أنه قد نسّق معهم من ذي قبل!

إن الشّفاعة ـ في المنظار الصفوي ـ لها آثار أخطر من آثار الغش في الامتحان أو الرشوة في القضاء أو دفع الضرائب، فإن أقوى (واسطة) في الامتحان هي تجاهل أخطاء واشتباهات الطالب الكسول، كما أن أكثر ما يمكن أن يفعله موظف في دائرة الضرائب أو قاض في محكمة هو إعفاء من يدفع الرشوة من دفع الضرائب أو من عقوبة التهمة الموجهة إليه، بيد أن الشّفاعة في التشيُّع الصفوي تذهب أبعد من ذلك فتمنح الجواب الخاطىء نمرة إضافية وتحوّل مبلغ الضرائب إلى استحقاقات للفرد على الدولة كما تحول التهمة بقتل النفس إلى معجزة بإحيائها وذلك وفق قانون ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾[1] حيث تفهمه الصفوية على هذا المنوال: أنَّ سيئات الإنسان الشِّيعي تتبدل يوم القيامة إلى حسنات لا أنها تُمحى عنهم فقط! ومعنى ذلك بالجملة أنَّ الإنسان الشِّيعي يُعتبر مغفلًا للغاية إذا لم يسرف في ارتكاب الذنوب ولم يسوّد صحيفة أعماله، إذ لن تكون لديه مادة وفيرة صالحة لتبديلها إلى حسنات!

بالطبع، فإن للشّفاعة في المنظار الصفوي للتشيُّع ضريبة وتكاليف، وهذا أمر طبيعي لأن المهمة صعبة، إذ كيف يمكن الاحتيال في امتحان يشرف عليه بصورة مباشرة الله سبحانه وتعالى ويتولى بنفسه فيه طرح الأسئلة وتصحيح أوراق الامتحان وهو الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في أرض ولا في السماء! ويعلم ما تبدي الأعين وما تخفي الصدور، ويطلع على ما تخفيه السرائر والضمائر وما يدور في الأذهان من خواطر، وأن كل شيء عنده إلّا بمقدار، يزن أعمال الخير والشر فمن عمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن عمل مثقال ذرة شرًا يره، كل ذلك على أساس قرآنه الذي وبّخ فيه نبيّه العزيز، لا لشيء إلّا لمجرد أنه عبس وجهه في وجه الأعمى الذي

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

زاحمه وهو عاكف على تبليغ رسالة السماء وأداء وظيفته الإلهية في هداية الناس إلى الدين القويم. لم يشفع ذلك له كلّه، فاستحق التقريع والعتاب بشكل صريح وواضح وعلى مرأى ومسمع جميع الناس بل جميع من يخلق منهم إلى يوم القيامة. وهذا يعني أنَّ الإرادة الإلهية لم تكن مستعدة لأن تشمل بكرمها الواسع شخص النبي المصطفى رُغم تضحياته الجسيمة وإيثاره العظيم، فتغفر له هذه (التعبيسة) حفاظًا على كرامته وحرمته بين الناس، أو على الأقل يوبّخ ولكن ليس في القرآن الذي سيبقى مقروءًا إلى الأبد!

ومثل ذلك ما حصل مع نوح الذي ظل تسعمائة عام يدعو قومه إلى الهدى لإنقاذهم من المصير المحتوم الذي كان بانتظارهم، وفي تلك اللحظات وعندما كان نوح يُدخل الحيوانات والطيور إلى سفينة النجاة، وقعت عينه على ابنه الذي كان في معرض الغرق في الطوفان، فسأل الله سبحانه أن يغفر له إكرامًا لأبيه فجاء الردّ الإلهي حاسمًا بالرفض، وجاء الجواب على شفاعة نوح النبي العظيم بتعبير قاطع ودقيق ـ لا تستوعبه العقلية الضيقة والمحدودة للشّيعي الصوفيّ الصفويّ ـ ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾[1]!

هذا هو تمام القول في معنى الشّفاعة عند التشيُّع العلوي ـ وهو ليس إلّا الإسلام المحمدي ـ فلا شيء غير سُنّة الله التي لا تتبدّل في هداية الإنسان وكشف واستخلاص كنوز الوعي والمعرفة والإحساس والقيم والقابليات الإعجازية المذخورة في فطرة الإنسان والمحبوسة بين أنقاض وجوده الحيواني الظاهري، وذلك ضمن عملية التكامل المعنوي للإنسان!

نلاحظ في هذه القصة أن طلب النبي نوح لم يكن اعتباطيًا بل مستندًا إلى وعد إلهي محدّد وذلك لأن الله تعالى هو الذي وعد نوحًا بإنقاذ أهله إذا حصل الطوفان وهيمن الماء على كل شيء.

وهذا بخلاف الطلبات الشائعة فيما بيننا والمنطلقة في الغالب من عواطف جوفاء غير منضبطة من قبيل أننا (الأُمّة المرحومة) فلنا حصانة اسمها (الدمع) وضمانة اسمها (الولاية) لم يكن يتمتع بها مَن هم قبلنا من أنبياء أولي العزم ولا

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٦.

حتى نبي الإسلام ووصيّه وعترته من أئمة التشيُّع العلوي الذي لا يجمعهم مع أئمة التشيُّع الصفوي سوى الاسم!

كلّا، لم يتوجّه نوح ـ عليه السلام ـ إلى ربّه بالمطالبة بإنقاذ ابنه إلّا على أساس الوعد الإلهي السابق له بذلك ولم يكن خطأ نوح هنا سوى أنه لم يكن يدرك بالضبط المراد الإلهي من اصطلاح (أهلك) ففسّره بما هو المعهود من هذه اللفظة بين أهل زمانه حيث تطلق على من تربطهم بالمرء رابطة الدم فيقال أنهم أهله! وهو ذات الخطأ الذي ما زلنا نقع فيه نحنُ بالنسبة لمفهوم أهل البيت حيث نعتبر الأئمة أئمة كرامًا ومعصومين فقط لأنهم ذرية النبي، ومن السلالة الأنقى والأطهر، نحنُ نقدّس عليًّا وفاطمة والحسن والحُسَيْن لأنهم (أهل بيت الرسول) فالحُسَيْن ابن فاطمة وعلي، وفاطمة ابنة النبي وعلي ابن عمه وصهره! (وكأننا ننسى أو نتناسى أنَّ أبا لهب عمّ النبي وأولاده أصهاره، كما أنّ عثمان كان الصهر المزدوج للرسول)!.

هاهنا، يبيّن الله تعالى لنوح المعنى الحقيقي للقرابة والأهلية والقومية والوراثة والشّفاعة عسى أن نفهم نحنُ ونعتبر (ولكن هيهات كيف سنفهم وهناك من يحول بيننا وبين ذلك زاعمًا أنَّ القرآن لا يمكن أن يفهمه أمثالنا، وإلّا فما فرقه عن سائر كتب المطالعة؟!) الله سبحانه يقول لنوح أنَّ ابنك ليس من أهلك وذلك لأن قوام الانتماء ليس باللحم والدم والتراب والنطفة والجوهر والماء والعناصر المركبة أو الملّة أو الطبقة أو النسَب أو العلم أو المال... كل هذه الأمور لا تصمد أمام عامل أهم في هذا المضمار ألا وهو (العمل)!

وفي ضوء ما تقدم، فإن البشرية تنقسم في جميع مناطقها ومراحلها الزمنية إلى سلالتين أساسيتين وخطين منفصلين ينحدران من العمل الصالح والعمل الفاسد! وكلّ من كان عمله صالحًا فهو من أهل بيت نوح! ربان سفينة النجاة في طوفان الهلاك المحتّم على العالم، (كل شيء هالك إلّا وجهه)... أما العمل غير الصالح فهو محكوم بالعدم والبطلان وهذه سنّة إلهية، والسُنن الإلهية لا تتبدّل ولا تتحول، حتى الإرادة الإلهية لا يمكن أن تتعلق بكسر السنن الإلهية فكيف يمكن للشّفاعة أن تفعل ذلك؟!

لا يوجد شيء في مسرح الوجود بوسعه أن يمنح العمل غير الصالح مصيرًا

يضاهي المصير المترتب على العمل الصالح. ولكن ثمة عوامل لا تحصى يمكنها أن تبدل العمل غير الصالح إلى عمل صالح.

والشّفاعة هي أحد هذه العوامل، وليس المراد من الشّفاعة هنا شفاعة نوح وإبراهيم ومحمد وعلي والحسنين وزينب فقط، بل شفاعة التراب وشفاعة الدم، كلمة الشّفاعة تستبطن هذه المضامين كلّها على خلاف ما ربّينا عليه في الأنظمة الاستبدادية والنبلائية إذ فهمناها وفق هذه التربية على أنها عبارة عن توسط شخصية ذات جاه ونفوذ لتخليص صاحب الذنب أو الجريمة من عواقب الجرم الذي ارتكبه. كلا! ليس هذا معنى الشّفاعة، الشّفاعة في اللغة تأتي من الشفع إلى الزوج وهي تعطي مفهوم التركيب والتوصيل بين شيئين اثنين ليصبحا شيئًا واحدًا بعد أن يُضمّا إلى بعضهما ويقترنا معًا وتسري خصائص وصفات كل منهما إلى الآخر...

إن الشِّيعي الصفوي يؤمن أيضًا بشفاعة الحُسين ولكن بأي معنى؟ أنه يؤمن بها بالمعنى المنافي لمعناها الحقيقي وبالمعنى الذي يفرّغها عن مضمونها ويسلب منها آثارها..

ما المراد من شفاعة التراب وشفاعة الدم؟ الشِّيعي الصفوي يرى أنَّ تراب كربلاء له خواص مميّزة ينفرد بها عن سائر الأتربة ويتألف من مواد مختلفة عن تلك التي تتألف منها الأتربة الأخرى، وربما كانت له خواص فيزياوية وكيماوية فريدة من نوعها! في تراب كربلاء روح خفية وقوة غيبيّة وخاصية إعجازية ميتافيزيقية وله كرامة ذاتية جوهرية وفضائل ومناقب لا يدركها عقل الإنسان هي التي اكسبته هذه القدسية الدينية التي تفتقر إليها سائر أنواع التراب.

ما وراء هذا التراب ثمة (مانا)(*) غيبيّة وخاصية سحرية وإكسير كيماوي يفعل في المريض فعل الدواء ويؤثر أثره في الشفاء بصورة أسرع، إنه يذيب المرض مثلما يذيب التيزاب(**) كل شيء يلامسه أو يقع فيه، هذا الإكسير له فوق ذلك خاصّية تبديل الأشياء إلى أشياء أخرى لها صفات وخصائص تختلف جوهريًا عن صفاتها الأولى!

(*) المانا: قوة تأثير غيبي في أدبيات الديانة المانوية وهي ديانة قريبة من الزردشتية.

(**) الزئبق.

ومن ثمَّ فإن هذا التراب يُلجأ إليه في حال أُريد إنقاذ نفس شيطانية وتجنيبها خطر مواجهة نتائج أعمالها الخبيثة، وهو لذاك يباع ويشترى وبأسعار باهظة، أو يتمّ اقتناؤه عن طريق توسيط شخصيات ذات وجاهة اجتماعية ونفوذ، أو عبر إنجاز سلسلة صفقات ومعاملات رسمية أو غير رسمية لأجل أن تدفن فيه جنازة لشخصية من أصحاب الذوات، وذلك كيما تتولى هذه التربة المُقدّسة وبمقدار ما بذل من أجل تحصيلها من مال في حياته أو بمقدار ما كان له من مكانة أو لأولاده من وجاهة ونفوذ، فإن هذه التربة ستطوّقه بنفسها وتمنع وصول منكر ونكير إليه وتعمل على إعفائه من الحساب كليًّا أو على الأقل تخفيف حسابه بشكل مؤثر وتعينه على عبور الصراط بسرعة ويخرج منتصرًا من محكمة العدل الإلهي كما خرج اسفنديار من المخمصة وكأن شيئًا لم يكن!

بيدَ أنَّ الشِّيعي العلوي يدرك جيدًا أنَّ تراب الحُسين لا يَفْرُق عن باقي الأتربة أصلًا، ليس فيه قوة غيبيّة وخاصية إعجازية ولا ميزة ما وراء طبيعية، إنه تراب مثل سائر الأتربة غير أنَّ هذا التراب فيه تذكير للشيعي العلوي صاحب الروح الحُسينية وللإنسان الكربلائي الحقيقي (لا الكربلائي الشائع وجوده في قاموس التشيُّع الصفوي، فالفرق بينهما كبير)! الإنسان الكربلائي الحقيقي هو رجل عقيدة وجهاد، إنسان يفهم معنى الشهادة وفلسفتها، يدرك مغزى الحرية الإنسانية التي يدعو إليها الحُسين كما يدعو لها الدين، ويعلم أنَّ كربلاء لم تكن مجرد مصيبة وحدث تراجيدي نستخدمه سنويًا للبكاء واللطم والغيبوبة عن الوعي وغير ذلك من المظاهر التي نكرّرها كل عام طوال عمرنا، بلى! إنَّ كربلاء مدرسة ومنهج وخط، كربلاء ليست مقبرة للنوح ولبس السواد، إنها جامعة للتربية والتعليم والبناء والتحضّر، ليست لوحة موت وفناء إنّما هي لوحة حياة وحركة وإحساس بالمسؤولية وشجاعة ووعي....

الإنسان الكربلائي في التشيُّع العلوي يعني أن يتخلص الإنسان من انتماءاته الأخرى فهو ليس دمشقيًا ولا مدائنيًا ولا قسطنطينيًا ولا كوفيًا ولا بغداديًا ولا أصفهانيًا، وعلى الصعيد التاريخي والحضاري هو ليس من أثينا ولا من اسبارتا ولا من بنارس ولا... ولا...

إنه كربلائي وحسب! ابن هذا التراب وخريج هذه المدرسة وربيب هذه الأرض

وأسير هذا التاريخ، بالنسبة لإنسان كهذا فإن تراب الحُسين وزيارة هذا التراب وشمّه وتذكّر هذا التراب وضمّه هو في الواقع استذكار لكلّ ما يريد منه خونة التاريخ أن ينساه! ويريدون منّا أن ننساه أيضًا! هذا التراب يبعث الحياة في عقولنا الخاملة وينشّط قلوبنا التعبى ويحرّك إرادتنا الميّتة ويبعث في أجسادنا الحرارة وفي أرواحنا الحياة! إنه يعيد لنا إنسانيتنا التي معها فقط نستحق النجاة، هكذا يشفع لنا تراب الحُسين، وهذه الشّفاعة ليست غشًّا في الامتحان وإنما هي حثّ لنا على الدراسة المُكثّفة وتأهيل لنا لدخول قاعة الإمتحان، الشّفاعة بمعناها الصفوي، إنقاذ لغير المؤهل بينما هي عند التشيُّع العلوي تأهيل لمن يُراد إنقاذه، وشتان بين الاثنين! ومن هنا يمكن معرفة الفارق بل الحاجز بين فلسفة الغَيْبَة في المنظار الصفوي وفلسفتها في المنظار العلوي، وبتبع ذلك يمكن تحديد حجم المسافة بين التشيُّعين الصفوي والعلوي بمنتهى الدقة، وإدراك خطورة الإكسير الذي صنعوه واستطاعوا بواسطته الحفاظ على ظواهر المفاهيم الدينية وقلب حقائقها وتفريغ مضامينها حتى بات الترياق بديلًا عن الدم!

[في معنى الشّفاعة يقول الشهيد مُرتضى المُطهّري:

إذا ظنَّ رجل أن طريق الحصول على رضا الله تعالى هو غير طريق الحصول على رضا الإمام الحُسين مثلًا وأن كلًا من الاثنين يمكنه أن يؤمِّن سعادةَ الإنسان، فهو واقعٌ في ضلال كبير. في هذا الوهم يُقال إن الله ترضيه أشياء والإمام الحُسين عليه السلام أشياء أخرى، مثلًا الله يرضى عن العبد إذا أدّى فرائضه من صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد وصدق وأمانة وخدمة للخلق وبرّ للوالدين وأمثالها وَتَرْكَ المعاصي مثل الكذب والظلم والغيبة وشرب الخمر والزنا، أما الإمام الحُسين عليه السلام فلا شأن له بمثل هذه الأعمال والوصول إلى رضاه يتمّ بأن يبكي الإنسان على ابنه علي الأكبر أو على الأقل يتباكى! ويستنتج من هذا التقسيم أن تحصيل رضا الله صعب في حين أن الوصول إلى رضا الإمام الحُسين عليه السلام سهل إذ يتمّ من خلال البكاء ولطم الصدور. وعندما يحصل على رضا الإمام الحُسين عليه السلام فإنه أي الإمام يتوسّط له في نظام الله ويشفع له وييسِّر له أمره، بل يمكنه حتى أن يصفّي له حساب الصلوات والصوم والحج والجهاد والإنفاق في سبيل الله التي لم يقم بأي شيء منها ويمحي له جميع الذنوب والآثام بجرّة قلم كما يُقال.

مثل هذا التصوّر للشّفاعة تصُّورٌ باطلٌ وخاطئٌ وليس هذا فحسب بل هو شركٌ في الربوبية وإهانةٌ للساحة المُقدّسة للإمام الحُسين عليه السلام الذي كان أبرز مفاخره «**عبوديته**» الكاملة للّه عز وجل كما كان أبوه شديد الغضب جدًا على «**الغُلاة**» ويستعيذ بالله من أقاويلهم.

إن الإمام الحُسين عليه السلام لم يُقتل كي يُنشىء ـ والعياذ بالله ـ نظامًا ندًا لنظام الله تعالى أو لشريعة جدِّه رسول الله أو ليفتح طريقًا للهروب من قانون الله عز وجل. لم تكن شهادته لأجل إضعاف البرامج العملية للإسلام وأحكام القرآن، بل على العكس إنّما ضحى لإحياء الدين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وضحَّى بنفسه وتقدّم نحو الشهادة لإحياء شرعة الإسلام][1].

١١ ـ الاجتهاد:

يعدّ الاجتهاد واحدًا من أجلّ وأعظم المبادىء الشِّيعيّة ـ في التشيُّع العلوي ـ وهو مفخرة للشيِّعة ومورد اعتزازهم جميعًا.

وحقيقة الاجتهاد تكمن في أنَّ القوانين والمقررات العامة للشريعة وأحكام الفقه المدوّنة قد لا تستوعب جميع الحالات الاجتماعية بالتفصيل نظرًا لتعدد خصوصيات الزمان والمكان وتبدّلها وتبدل النظم الاجتماعية التي تنبثق عنها، ما يجعل الحاجة مُلحّة لفتح باب الاجتهاد المتحرك لكي يلبّي المجتهد عبر ذلك المتطلبات المستجدة أو بتعبير الرواية (الحوادث الواقعة) ويتاح هذا العمل للمجتهد المُحقِق المتفتح في عقله وتفكيره فيعكف على استنباط الأحكام على حسب القواعد العامة ومع الأخذ بعين الاعتبار روح الشريعة السمحاء وأهدافها وخصالها الكلية من العدل والمساواة وذلك استنادًا إلى الأصول الأربعة متمثّلة بالكتاب والسُنّة والعقل والإجماع، ليخرج بأحكام وفتاوى تتلاءم مع الواقع الراهن وقادرة على تلبية وإشباع الطلبات المتنوعة بأحكام الشريعة في مختلف الوقائع وفي كافة المجالات القضائية والاقتصادية والسياسية وغيرها.

وفي ضوء ما تقدم فإن الاجتهاد الحُرّ يُسهم كثيرًا في عدم تقوقع الدين على

---

(١) انظر كتاب «العدل الإلهي» للشهيد الشيخ مرتضى المطهري ص ٢٨٣ أو ما يقاربها حسب طبعة الكتاب، الطبعة العاشرة.

نفسه وانكماشه في زاوية ضيّقة وينمّي الذهنية المتفتحة بين المُسلمين لإثراء ملكة الاستنباط والاستدلال والبحث العلمي وتهذيب الروح وشحذ همّة الإنسان للإنطلاق في عالم التكامل والسموّ الفردي والاجتماعي مواكبة لحركة التطور البشري عبر التاريخ. الاجتهاد الحُرّ يُمثّل عنصرًا فعالًا في الحيلولة دون بقاء المذهب أسيرًا في قوالب ثابتة قديمة الأمر الذي حصل مع المذاهب الإسلامية الأربعة لأهل السُنّة. لكنه ـ أي الاجتهاد ـ في التشيُّع الصفوي ليس أكثر من ادّعاء ضخم ولقب عظيم فارغ المحتوى، وهو مجرد منصب رسمي ديني للمجتهد أشبه ما يكون بالبطريرك أو الأسقف أو الكاردينال، خلافًا للمجتهد عند التشيُّع العلوي فهو عبارة عن مفكر ومحقق مجدّد وذي عقلية مواكبة لتطورات الزمن له قدرة على أن يتواءم مع حركة التاريخ والاطلاع على (الحوادث الواقعة) والمشاكل والمعضلات السياسية والاجتماعية والعلمية والفكرية والجزائية المتجددة، وهذا ما يجب أن يكون، لأن المسؤولية الجسيمة التي ينهض بأعبائها تتطلب منه ذلك، أما المجتهد الصفوي فكلما كان أكثر رجعية وتخلُّفًا وتحجّرًا وجمودًا كلما كان شأن مرجعيته واجتهاده أكثر!

إذا ارتدى المجتهد الصفوي لباسًا أقدم، وكان هندامه أقدم وسلوكه أقدم وحياته ونمط تفكيره أقدم وكذلك مزاجه وذوقه ولغته وأخلاقه ومعلوماته، كان شأنه ومكانته وقدسيته أرفع وأسمى وأعظم، خاصة إذا كان أكثر جهلًا لأصول الحياة الجديدة والاكتشافات الحديثة وتطورات الزمن الذي يعيش فيه! لا يطالع الصحف، ولا يُصغي للمذياع، ولا يجيد لغة أجنبية، ولا يعلم أي شيء عن شؤون عصره، ما أروعه إذا كان كذلك! انظروا إليه! نور عليّ يطفح على وجهه وعينيه، إنه ملاك من نور، ليس من أهل هذه الدنيا، إنه يتعلق بعالم آخر؛ عالم القدس والمعنوية والانجذاب!

«حتى أنه لا يدري بما يدور حوله في هذه الدنيا الدنيّة، إن وجوده في القرية أو المدينة أو البلد مدعاة للخير والبركة! انظروا إلى صفاء روحه ونورانية وجهه! إن المعنوية تطفح على محيّاه! عندما تقع عينك عليه، يمتلك وجودك ويأخذ بتلابيب لبّك وقلبك، ألم تسمعوا أن أحد مريديه سأله ذات يوم عن حكم اللجوء إلى

الساعة في تحديد أوقات الإمساك والإفطار والسحر ومواقيت الصلوات فأجابه بدهشة وامتعاض من هذا السؤال المعبّر عن الجهل بأبسط أمور الدين: ماذا تقول يا رجل! إن علم الساعة حكرٌ على مقام الذات الأحدية وليس لأحد حتى النبي أن يطّلع على أسرارها وأوقاتها! استغفر ربك يا مؤمن!!

مُذ سمعت بهذه الحكاية العجيبة تضاعف احترامي وتقديسي للرجل، وقلت في نفسي إن مثل هذه الأنوار هي التي تضيء ليل دنيانا المظلم، ولولا هؤلاء لتوقفت عجلة الحياة ولأطبقت السماء على الأرض ولأنزل الله بنا مثل عاقبة عاد وثمود! إنه آية الله وحجّة الإسلام والحضرة المُقدّسة والوجود المستطاب والآية العظمى...»[1]!

ذات مرة رأيت «مُريدًا» صفويًا يتحدّث عن شيخه (المُرَاد) بشغف وانفعال، ويقول بشأنه إنَّهُ ليس من أهل هذه الدنيا! وإنَّهُ سأله ذات يوم عن جواز الإصغاء للراديو باعتبار أنه يقدّم أحيانًا محاضرات دينية وهناك فترات دينية فيه لتلاوة القرآن أو رفع الأذان... فأجابه صاحبنا بسؤال:

لا أعلم عمّن تتحدث، وتشخيص الموضوع ليس من وظائفي كمجتهد، إذهب أنت وتفحّص عنه لتعرف إن كان مسلمًا أم لا، وما هي معتقداته وأعماله فإذا كانت سابقته حسنة لِمَ لا؟! يجوز الاستماع له، ولكن قل لي أولًا أين يرتقي صاحبك المنبر؟!

لاحظوا كيف يتغزّل هذا المُريد بمُراده ويعتبره تحفة خالصة حباها الله إياه في هذا الزمن العصيب! المجتهد الصفوي لا ينبغي له أن يكثر الحديث والكلام والكتابة، ولا يليق به أن يشتغل بتفسير القرآن، أو يقرأ السيرة والتاريخ، لأن هذه المهام خاصة بالفضلاء وليس بالمجتهدين العلماء!

المهمة الوحيدة للمجتهد أن يتقن (الفقه)، ولكن أي فقه وعلى خلّفية أي متطلبات وحاجات ومسائل؟ النظام الاقتصادي على أساس الانتاج الزراعي

---

(١) «التشيع العلوي والتشيع الصفوي»، دكتور شريعتي، دار الأمير/بيروت، سلسلة الآثار الكاملة (٤)، ط٢ (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) ص٢٣٢، ٢٣٣.

والحيواني لقبائل الجزيرة في عهد النبي أما النظام الاجتماعي فعلى أساس قانون الاستعباد، أما النظام السياسي فهيهات! التشيُّع الصفوي لا يتدخل بشؤون السياسة، فقد فوّض هذا الحقل الحياتي إلى السلطان! فالمرحلة هي مرحلة الغَيْبَة الكبرى، فماذا تعني السياسة والحكومة؟ وهل لهما معنى في ظلّ غياب الإمام؟! الأرجح للمجتهد إذن أن يَعكف على استنباط الأحكام الفردية التي توطّد جسور الصلة والارتباط بين العبد وربّه وليذهب العالم إلى الجحيم! إسأله بشأن الحيض والنفاس والجنابة وآداب بيت الخلاء وأحكام العبيد وحقوق الأسياد ستجد الجواب حاضرًا على البديهة وبمنتهى التفصيل، فلقد أمضى الأستاذ الكبير زهاء ستة أشهر في مجال البحث حول آداب التخلي فقط! أما المواضيع ذات الصلة بالسياسة والتي يمكن أن تثير سخط الشاه عباس فما شأننا بها، إنها أمور دنيا، والمجتهد الصفوي إنسان شديد الورع والتقوى، ولا علاقة له مطلقًا بمثل هذه الأمور!

١٢ ـ الدعاء:

الدعاء في التشيُّع العلوي هو دعاء النبي، ودعاء القرآن، ودعاء علي، ومظهر تجلّيه في دعاء الإمام زين العابدين، والدعاء بهذا المعنى هو وسيلة لتلقين النفس على أن تظل طامحة دائمًا إلى الأهداف والطموحات الإنسانية السامية وإحياء هذه المطامح في نفس الداعي، الدعاء هو مجموع هذه الأهداف والطموحات المتكونة من الحكم المتعالية والأفكار السامية في معرفة الله والكون والإنسان.

أما الدعاء الصفوي فهو وسيلة لتغليف مواطن الضعف والنقص والمذلّة وفي إطار أناني ضيق ووضيع! لقد كان الإمام زين العابدين يدعو لأهل الثغور في ظل حكومة يزيد وطغيان بني أمية، لم تكن بحوزته مسؤولية اجتماعية ولم يكن يتاح له فعل شيء لصالح الأُمّة والمجتمع، فمقاليد الأمور بيد أعدائه، ولكن لا شيء يمنعه من الدعاء لجنود الإسلام وحراس ثغور الدولة الإسلامية.. وعندما يتعرض للدعاء لنفسه يدعو لها بأن لا يجعلها الله أداة بيد أعداء الإسلام! هذا هو دعاؤه كما هو دعاء شيعته!

أما دعاء الشِّيعي الصفوي فيقتصر على التوسل بالله سبحانه ليقضي له دَيْنه ويحفظ أقرباءه الذاهبين في سفر بعيد ويعجّل بعودتهم سالمين غانمين! جميع المُسلمين يبادون اليوم في فلسطين ولكن صاحبنا لديه مسافر عزيز! زوجته أو ابنه

أو أخوه أو شريكه في التجارة ويخاف أن ينقطع به السبيل أو ينفجر أحد إطارات سيارته أو يصيبه الإسهال نتيجة عدم مراعاة مطاعم الطريق للمقررات الصحيّة. . .

الأدعية الصفوية جميعها تدور في هذا الفلك وتنحصر في هذا الإطار الضيق المحدود، إنه وسيلة للتخلص من المسؤولية والهرب منها، هو وسيلة للحصول مجانًا على ما يحتاج تحصيله إلى بذل جهد وتحمل مشقة وعناء، لقد جعلت الذهنية الصفوية الدعاء بديلًا عن العمل بينما كان النبي يجهد نفسه بالعمل ومن ثمَّ يدعو! يذهب إلى الجهاد ويقاتل ببسالة ويُصاب ويصيب ومن ثمَّ يدعو، لقد تحمل النبي عناء شهر كامل من المرابطة في الخندق، وفي أُحُد جهّز المهاجرين والأنصار وكان على رأسهم حمزة ومصعب بن عمير وأبو دجانة، وأعطى اللواء لعليّ، وتولّى القيادة بنفسه، ولكنّه خسر المعركة، لماذا؟ فقط لأن ثلّة من مقاتليه لم يعملوا على طبق ما أمرهم به، نعم عصيان أمر واحد تسبّب في تلك الخسارة الجسيمة! بينما يريد صاحبنا هنا أن يحقق بالدعاء وحده جميع آمال وتطلعات المُسلمين!

إنَّ من حق أي إنسان عاقل ومتفتح أن يرفض هذا المنهج، ومن الطبيعي جدًا أن يسخر من أصحابه والمتمسكين به، بينما هو مضطر إلى أن يقدّر ويحترم المنهج الآخر، منهج محمد وعلي اللذين كانا يقومان بجميع وظائفهما وعلى أتمّ ما يكون ومن ثمَّ يرفعان أيديهما إلى السماء!

١٣ ـ التقليد:

التقليد ـ في التشيّع العلوي ـ كان مبدأ في غاية الأهمية في مجال قيادة الأُمّة في العهود التي كانت كل مراكز القوى الرسمية حكرًا على أبناء الطائفة السُنّية ولم يكن للشّيعي الحق في التصدّي لأي منصب ريادي يتمكن من خلاله من الدفاع عن وجوده الحضاري والاجتماعي، وكان ـ التقليد ـ في الوقت ذاته عنصرًا فاعلًا جدًا في الحيلولة دون انهيار الوحدة الفكرية للشّيعة مُضافًا إلى ما يتيحه للعلماء من الحرية في الاجتهاد والاستنباط (على خلاف ما نراه اليوم من الإجهاز والقتل المعنوي لكل من يأتي بفكرة جديدة أو حتى باصطلاح جديد) وكان الاختلاف الفكري أمرًا طبيعيًا للغاية حتى أنه يمكن القول أنَّ الاختلافات الاجتهادية والمناظرات الاعتقادية بين عُلماء الشّيعة الكبار كالسيد الرضي والسيد المرتضى والشيخ الكليني ربما كانت أكثر حدّة من الاختلافات بينهم وبين عُلماء المذاهب الأخرى، ولقد أسهم ذلك كثيرًا في

إثراء الحركة الفقهية وتكاملها في إطار التراث الشِّيعي، بما يحقق مصداقًا واضحًا للحديث المروي عن النبي (اختلاف عُلماء أمتي رحمة).

في التشيُّع العلوي، يكون العالم الباحث حُرًّا في اجتهاده، وعلى العاميّ أن يقلّده، وهذه منظومة اجتماعية علمية جديرة بالتقدير، بينما التقليد في التشيُّع الصفوي يعني أن يكون الناس جميعًا صمًا بكمًا عميًا بإزاء من يرتدي اللباس الرسمي المعترف به من قبل أجهزة السلطة، ولا يجوز لغيره ولوج هذا الباب ليس في المجالات الفقهية الفنية وحسب بل حتى في مضمار فهم واستنباط القضايا الاعتقادية التي يفترض أن كل إنسان يكون مطالبًا بنفسه بالاجتهاد فيها.

ومن ثمَّ يقوم هذا العالم الرسمي بتقرير جميع الأصول العقائدية والأحكام الشرعية والنظريات العقلية والاجتماعية ويقدمها للملأ على شكل تعليمات إلزامية يجب على العوام اتباعها دون السؤال عن مستند أو دليل. وهكذا يتضح لنا أنَّ التشيُّع العلوي لا يؤمن بالتقليد في باب الأصول والعقائد، ويحصره في دائرة الأحكام الشرعية والفروع، بل يذهب أبعد من ذلك ولا يسوّغ التقليد إلّا في تفاصيل الفروع وفروعها حيث توجد مجال لاختلاف العلماء حولها، أما فروع الدين الثابتة كالصلاة والصوم والحج فلا مجال للتقليد فيها لأنها مسلّمة وضرورية، إذ من الثابت عدد ركعات الصلاة وأركانها والأذكار الواردة فيها ولا يمكن التقليد في ذلك، إذن ما هي الموارد التي يجوز فيها التقليد؟! الجواب يجوز التقليد في مثل الجهل بعدد الفراسخ التي ينبغي طيّها لتحقق المسافة الشرعية التي توجب قصر الصلاة وترك الصيام، أو في المسائل المستحدثة والتي ليس لها موضوع في السابق حيث يتعين على الفقيه استنباط حكمها ويتعين على المقلّد أن يلتزم بحكم الفقيه فيها من قبيل أحكام البنوك والمصارف واليانصيب وما شابه ذلك.

أما في التشيُّع الصفوي فيتعين على المرء أن يكون تابعًا ومقلدًا أعمى في جميع الأمور والمجالات لـ(الروحاني) الذي يعيّن ـ عبر الفتاوى التي يصدرها على نحو دساتير مقتضبة وقاطعة ـ كل ما يتعلق بأفكار الناس وعقائدهم وأحاسيسهم وأمزجتهم وطبيعة حياتهم الفردية والاجتماعية والسياسية والاخلاقية والتربوية...

التقليد في التشيُّع العلوي، لا يكون إلّا في المسائل الفرعية العملية، وهو عادة ما يكون على شكل إبداء رأي كلّي وبيان مفهوم ذي طابع عام، فمثلًا يفتي الفقيه

بحسب الضوابط العلمية والموازين التي لديه بجواز الاشتراك في الانتخابات وعدم جوازه، أو جواز الدخول في معاملات مع الأجانب الذين لهم الأثر الاجتماعي والاقتصادي الكذائي وعدم جوازه، أو إمكانية مطالعة الكتاب الفلاني لكاتب غير مسلم أو غير شيعي أو عدم إمكانية ذلك، أو أنه هل يجوز لنا أو لا يجوز حضور المحافل التي يجري فيها الحديث عن ضرورة توحّد المُسلمين لمواجهة المستعمر الغربي، وفي كل هذه المسائل وأمثالها تكون مهمة تشخيص الموضوع والمورد بعهدة عقل المكلف المقلّد.

بيدَ أنَّ هذه المهمة ـ في التشيُّع الصفوي ـ تكون هي الأخرى من مهامّ وصلاحيات (الروحاني) وعلى المقلّد أن يستفتيه فيها ليجيبه جوابًا فوريًا صريحًا فيقول لمقلّده مثلًا: اعطِ رأيك لفلان لأنه رجل صالح! ولا تنتخب فلانًا من الناس لأنه إنسان منحرف، وعليك أن تقرأ الكتاب الفلاني لأن مؤلفه هو عماد الدين وثقة الإسلام والمُسلمين ومروّج أحكام الدين المبين وغير ذلك من الألقاب المجّانية! وإذا بنا نتصفح الكتاب فنعثر فيه على رواية منقولة عن النبي: قال رسول الله ﷺ (من أكل البطيخ وجبت له الجنة)(*). أو ينهاه عن مطالعة الكتاب الفلاني، ومن خلال ذلك يُعلم أن عقيدة المؤلف فاسدة وربما كان وهابيًا لا يؤمن بالولاية! صحيح أنَّ المؤلف له مؤلفات وبحوث عديدة في إثبات أصالة التشيُّع وأحقّية المذهب والغدير والوصاية وأرجحية أهل البيت وعدم صلاحية مناوئيهم لخلافة النبي، وصحيح أنه سخّر قلمه ولسانه للدفاع عن التشيُّع بالحكمة والدليل وبأسلوب المعاصر، غير أنَّ إمامة أهل البيت وولايتهم ممّا لا صلة له بالدليل ومنطق البرهنة والاستدلال، ولا تُنال مثل هذه الأمور وتدرك إلّا بتوفيق من الله عزّ وجلّ ـ يؤتيه من يشاء ويمنعه عمّن يشاء، ومن كان لديه هذا التوفيق الإلهي لا حاجة له بالدليل والآية والحُجّة، وكل من سوّد الله قلبه ولم يكن مستحقًا للفوز بالهدى ونوال هذه المكرمة الإلهية فلن ينفع معه الدليل ولا يمكن أن يهتدي إلى الحق بالمنطق والحُجّة والاستدلال، لأن قضية الولاية هي بالأساس أجنبية عن مضامير البحث العلمي والاستدلالات العقلية والذهنية، إنها قضية قلبية وتعبُّدية! دعك من ذلك كلّه، فالتولّي لأهل البيت والتبرّي من أعدائهم لا يتمّ بإيراد مئات الأدلة والشواهد

(*) يراجع كتاب: «راه بهشت، طريق الجنة» طبع مشهد.

التحليلية التاريخية على خطأ سياسة عمر وأبي بكر وبطلان الشورى وبإدانة مؤامرة السقيفة وبيان الخطوط العامة لمنهجية عليّ، بل هو يتمّ من خلال التعرّض للخلفاء وسب الصحابة والتعريض بزوجة النبي وما شابه ذلك من الأعمال التي تعدّ علامة للإنسان الشّيعي!!

بعض المتظاهرين بالوعي يقولون إنه ليس من المصلحة التطرق لمثل هذه الأمور والتصريح بها، وجوابي على هؤلاء أنَّ هذه المسائل يتمّ تداولها يوميًا وعلى نطاق واسع وهناك من يعمل ليل نهار من أجل تكريسها كواقع وصفة ومَعْلم من معالم التشيُّع. وأنا أعتقد أنَّ من الواجب على كل إنسان يشعر بالمسؤولية حيال مصير التشيُّع العلوي ويهمّه حفظ وصيانة كرامة وشأن عُلماء الشِّيعة الحقيقيين أن يتصدى لمواجهة هذا التيار المدمّر، ولا أدعو إلى أن يستخدم نفس أسلوبهم في الشتائم ويضيّع وقته بالجدال معهم، بل أرى أنَّ المهم هو أن تفكك المغالطات التي يضعونها ويبيّن للعالم أنَّ هذا المنطق هو منطق التشيُّع الصفوي، والتشيُّع الصفوي هو فرقة خاصة دخيلة على التشيُّع العلوي ولا تمت بصلة حقيقية إليه، وذلك لكي يفهم كافة العلماء المنصفين في العالم أنَّ للشّيعي العلوي منطقه السليم وقدرته على إثبات ولاية عليّ وأحقّيته وأصالة العترة وضرورة الإيمان بالإمامة والعدل والانتظار والشّفاعة ونقد المنهج الفقهي السُنّي ونقد الدور التاريخي الذي لعبته المذاهب السُنية بأسلوب علمي رصين بعيد عن المهاترات ومنصف يقبله العقل والقرآن والوجدان الإنساني ناهيك عن الوجدان الإسلامي الذي يفترض أن يتحلّى بحيوية ونقاء أكثر.

وسوف يساعد ذلك أيضًا على إلفات نظر الشرائح المثقفة في مجتمعاتنا والتي تعتمد العقل والمنطق واللغة المعاصرة والسلوك العملي والتوجه الفكري والاجتماعي العام ودرجة الأدب والانصاف معاييرَ في الحكم على الدين وبخاصة الدين الإسلامي والتشيُّع على نحو أخصّ. من اللازم إلفات نظر هؤلاء إلى الخطأ الذي يقعون فيه بعدم التمييز بين عُلماء التشيُّع الحقيقيين وبين (الروحانيين) الرسميين الذين هم إفراز لنظام التشيُّع الصفوي المقيت ونتاج للتشيُّع الحكومي الذي ظلّ مهيمنًا على حركة التشيُّع طوال القرون الثلاثة الأخيرة، وهم يمثّلون الوجه الآخر للروحانيين الرسميين من متعصّبي السُنّة الوارثين للتسنّن الحكومي الذي ظلّ مهيمنًا هو الآخر على حركة التاريخ الإسلامي طوال ثلاثة عشر قرنًا تلاقف الخلافة فيها بنو أمية وبنو العباس وبنو عثمان، وأنتج بالتالي طائفة من

الملالي وأنصاف العلماء من المغرضين الحاقدين وفي الغالب العملاء المأجورين والمأمورين ببثّ سموم الفرقة بين أبناء الدين الواحد والعاكفين على تشويه سمعة الشِّيعة عبر الاستناد إلى آراء وسلوكيات أجهزة الإعلام الديني الصفوي، وتلطيخ صورتهم في أذهان إخوانهم المُسلمين في شتّى أصقاع العالم الإسلامي الكبير، وذلك من خلال اتهام التشيُّع بأنهم مركب من المجوس واليهود يختبيء وراء لافتة أهل البيت لتوجيه ضربة غادرة للإسلام وأنهم يعتبرون القرآن ناقصًا ولا يتورعون عن التعريض بناموس النبي ونسبة الكُفْر إلى الصحابة والقول بأن الخلفاء منافقون وخونة ومشركون ولم يدخل الإيمان في قلوبهم طرفة عين. . . .

الشِّيعة لا يؤمنون بالصلاة مع المُسلمين ويعبدون عليًّا، ويعدّون جبرائيل خائنًا لأنه كان مأمورًا بابلاغ الرسالة إلى علي ولكنه قام بتبليغها إلى محمد! الشِّيعة يعبدون التربة ويستشفون بالقبور ويشيّدون للأولياء أضرحة ليطوفوا حولها بدلًا من الطواف حول الكعبة، ويتقربون بالنذور لغير الله ويعتبرون أئمتهم شركاء للَّه في خلق الموجودات وتسيير أمور الكائنات وطلوع الشمس ونزول المطر ونبات الشجر، ولهذا وغيره فالشِّيعة مشركون وأعداء للإسلام والمُسلمين والقرآن والرسول. . .

سنويًا، يجتمع عُلماء التسنُّن الأموي وعلى الغالب في السعودية خاصة في موسم الحج حيث يجتمع المُسلمون من أقطار الدنيا في مكة فيستثمرون الفرصة في طباعة ونشر مئات الكتب والبيانات وإعداد البرامج الإذاعية والتلفزيونية والخطب والمنشورات التي تحمل بين طياتها سموم الفرقة بين أبناء الدين الواحد وتحريض المُسلمين على بعضهم وعلى الشِّيعة بالخصوص مستندين إلى كتابات رجال التشيُّع الصفوي، وعلينا أن نعلن للعالم كلّه أنَّ الحرب الدائرة هذه الأيام بين المُسلمين ليست حربًا بين التشيُّع العلوي والتسنُّن المحمدي، وإنما هي حرب بين التشيُّع الصفوي والتسنُّن الأموي وهي انعكاس مباشر للحروب التي دارت بين الصفويين والعثمانيين على مدى قرون واستخدمت فيها العواطف الدينية من قبل الدولتين لأغراض سياسية تخدم أهدافهما ومطامعهما التوسعية والقومية.

وثانيًا إن هذه الحرب التي تمّ أحياؤها هذه الأيام بين دول العالم الإسلامي ونظمت برامج ومخططات وأنفقت أموال طائلة لأجل تأجيجها، تأتي مباشرة عقب اندلاع الحرب بين المُسلمين والصهيونية وتبلور المشروع الداعي إلى توحيد

المُسلمين في أذهان عموم المُسلمين على الخصوص العلماء الواعين المخلصين من أنصار التشيُّع العلوي والتسنُّن المحمدي، وإن المخطط الراهن هو مخطط استعماري غاشم هدفه بث الفرقة بين المُسلمين وإثارة الفتنة خلف الجبهة الإسلامية الموحدة وذلك لكي ينشغل المُسلمون عن الخطر المُشترك الذي يحيق بهم متمثلًا بالصهيونية!

ومن هنا نفهم مغزى الدعوات التي انطلقت أخيرًا لتقول للسُنّة أن الخطر المحدق بالإسلام يأتي من جانب التشيُّع، وتقول للشّيعة أنَّ الخطر الذي يهدد الإسلام يأتي من جانب التسنُّن! ولعمري إنَّ العدوّ لا يحلم بوضع أفضل من أن تنشغل القوات المعادية له بالاقتتال فيما بينها في الخندق المقابل له ليتاح له الهجوم عليها في ظل الجدل القائم بين أبناء الخندق الواحد، فيمسك الشِّيعي بتلابيب السُنّي ويعنّفه بالقول إنك توالي من كسر ضلع الزهراء، ويعيد السنّي الكرة إلى ملعب الشِّيعي فيتّهمه بأنه يتعرض لعمر وأبي بكر والصحابة ويعلو الصياح والضجيج ولا تنجلي غبرة المعركة إلّا عن قهقهة العدوّ معلنًا انتصاره واحتلاله للضفة الغربية للنهر!

على العلماء المخلصين من السُنّة أن يفنّدوا هذه المزاعم ويدفعوا هذه الشبهات التي تثار ضد إخوانهم من الشِّيعة، وليقولوا لأبناء جلدتهم أن الشِّيعة هم من صلب الإسلام ولا غير، ليسوا أعداءً للمسلمين ولا حلفاء للصهاينة، وليقولوا لهم أنَّ النواصب والوهابيين هم ورثة فقهاء ووعاظ البلاط الأموي، وإنَّ عُلماء السُنّة الحقيقيين لهم رأي بالشِّيعة يختلف تمامًا عن الافتراءات والاتهامات التي يختلقها هؤلاء المغرضون.

يجب أن يوضحوا للعالم بأسره أنَّ أجهزة دعاية التسنُّن الأموي تستغلّ الأقاويل والمزاعم التي يتشدّق بها رجالات التشيُّع الصفوي، للإساءة إلى كل الشِّيعة وتشويه صورتهم عند إخوانهم السُنّة، وفي المقابل فإن أجهزة دعاية التشيُّع الصفوي تفعل الشيء ذاته فتقتنص أقاويل ودعاوى ومزاعم النواصب والوهابيين وتلصقها باسم السُنّة جميعًا.

على العلماء الواعين والمفكرين الملتزمين أن يقوموا بفرز هذه الأوراق المخلوطة عمدًا ويجنّبوا الناس خطر الوقوع في هذه المتاهات، أما السبّ والشتم

للآخرين وإلصاق تهم الشرك والكفر وخباثة المولد بصحابة النبي، فهي من مميزات منطق التشيُّع الصفوي شأنه في ذلك شأن قرينه التسنُّن الأموي! إن منطق التشيُّع العلويّ واضح جدًا بشأن الصحابة وأهل السُنّة والأمثلة على ذلك كثيرة، كتاب (النقض) موجود منذ ألف سنة إلى الآن، كتب الشيخ كاشف الغطاء والسيد شرف الدين والسيد محسن العاملي وغيرهم وهي متناول يد الجميع وليس فيها شيء سوى النقد العلمي والتحليل التاريخي المهذّب الرصين، وفيها يصرّح بأنَّ الإقتتال بين السُنّة والشِّيعة يحصل في الداخل كلما كان هناك عدو خارجي يتربّص الدوائر بالمُسلمين.

إنَّ الاختلاف بين التشيُّع العلوي والتسنُّن المحمدي ليس أكثر من الاختلاف بين عالمين وفقيهين من مذهب واحد حول مسألة علمية!

تحول نوعي آخر

في العهد الصفوي اصطف رجل الدين الشِّيعي إلى جوار الحكومة وأصبح يجالس الحكام، ومن هنا بدأ المذهب الشِّيعي بتغيير وجهته!

التشيُّع الذي كان (ضد الوضع القائم) أصبح الآن (مع الوضع القائم)، التشيُّع الذي كان قوة مناوئة لأجهزة الحكم، تحول الآن إلى قوة دعم وإسناد لهذه الأجهزة وبالتالي تبدّل حتى الدور الذي كان يلعبه فالتشيُّع الذي كان يمارس (دورًا نقديًا) لسلوك الحكام بات الآن يمارس (دورًا تبريريًا) لسلوكيات الحكام وتصرفاتهم!

العالم الشِّيعي الذي كان يتحذر دائمًا من التماس مع أصحاب السلطة والنفوذ ويسمّيهم بـ(الظلمة) جريًا على الاصطلاح المعمول به في الثقافة الشِّيعيّة والذي ما زال سائدًا في ثقافتنا الشِّيعيّة أيضًا، هو الآن يمدّ يده بدون تردد نحو هؤلاء (الظلمة) ويجالسهم ويخالطهم ويتضامن معهم دون أن يؤثر ذلك على مكانته بين الناس!

(صحيح أنَّ هذا الحاكم حاكم فاسد، صحيح أننا نرى بيوتًا في الـ(عالي قاپوهات) مماثلة لبيوت الخليفة في بغداد والعامرة بآلات اللهو والفساد والموسيقى والخمر، وصحيح أن السلطان الصفوي أصبح شأنه شأن الخليفة العبّاسي في بغداد في جميع المجالات، ولكن هذا لا يمنع الوجدان الاجتماعي الشِّيعي من تحمل

نظامه الاستبدادي وفساده الأخلاقي، فإن الأوساط الشعبية المتدينة عندما ترى عالمًا كبيرًا ومعروفًا بالتقوى والصلاح كالشيخ البهائي(*) أحد مفاخر الشِّيعة، وهو يجاري هذا الحاكم ويتعاون معه، فإنها ستقبل بذلك لا محالة وتتحمل الظلم والفساد الذي تراه، لماذا؟ لأن هذا الحاكم وإن كان يعمل أعمال سائر الخلفاء ويحكم على طريقهم، إلَّا أنه يختلف عنه بشيء مهم جدًا، أنَّ حبّ علي يملأ قلبه، وفي عروقه تجري الرغبة العارمة بالانتقام لدم الحُسين(**) وهذا يكفي لتبرير سائر أفعاله وتصرفاته، لماذا؟ لأن ذلك هو مقتضى ما جاء في الرواية! حديث قدسي مروي عن الله وقد انتشر الآن: «**محبّ علي في الجنّة ولو عصاني ومبغض عليّ في النّار ولو أطاعني**»[1].

إذن، فإن هذا الحاكم الشِّيعي العاصي للّه، يصبح مبرّءًا من الذنوب ومستحقًا للجنة بفضل حبّه لعلي، وقد أصبح الآن لدينا وسيلتان؛ وسيلة الله ووسيلة علي، ليس هذا فحسب، بل إنَّ هاتين الوسيلتين في تنافس مستمر، ليس هذا فحسب، بل إن وسيلة عليّ أسرع من وسيلة الله!

القيامة والميزان والعدل، لم تعد أشياء ذات معنى، حب عليّ هو المعيار! حب علي يصهر الذنوب والمعاصي كما يصهر التيزاب كل شيء، ليس هذا فحسب، إننا نرى الشِّيعي يذنب ولا يتورع عن الإقدام على المعاصي والمنكرات، ولكن لا بأس عليه، فإن لدينا مبدأ قرآنيًا يقول: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ﴾[2]، ومعناه أنَّ الذين يعتقدون بولاية علي فإن سيئاتهم تتبدل إلى حسنات! وعليه فإن المحب لعليّ إذا كان ذا حنكة ودهاء فعليه أن يسرف في المعاصي والذنوب وجمع

(*) والشيخ المجلسي أيضًا، فقد أفاضَ الدكتور شريعتي في نقد المجلسي، وتواطئه مع جهاز الحكم للشاه سلطان حسين (الصفوي) فيقول الدكتور شريعتي: أن المجلسي كتب للشاه الموسوعات الفقهية الشّيعيَّة على النحو الذي يرتضيه ويلبّي له طموحه، وما سطرته أقلام علماء التشيُّع الصفوي في الكتب الشيعية (المقدّسة)! من قصص مشينة تسيئ إلى التشيُّع ومن خطب وأشعار ملحمية في التملّق للسلاطين وأذنابهم! (انظر: التشيُّع العلوي والتشيُّع الصفوي، دار الأمير/ بيروت، ص١٩١ ـ ٢٠٥).

(**) ربما من البقال والعطار السُنّي!

(١) نقلاً عن كتاب «دفاع عن الحسين الشهيد» للسيد أنصاري قمي، في الرد على كتاب «الشهيد الخالد» وهو نتاج مشترك بيني وبين السيد صالحي (د. شريعتي).

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

السيئات ليوم القيامة عسى أن يتبدل هذا الكم الهائل من السيئات إلى حسنات بحكم القاعدة القرآنية المُشار إليها .

وهكذا نرى أنَّ شيئًا جديدًا في طريقه الآن إلى التحقق، ويدعى بالتشيُّع الصفوي! واعتبارًا من الآن سنسمع كلامًا من نوع جديد، تبريرات جديدة لأفعال قديمة، الشخصيات ليست جديدة، علي هو نفسه علي، والمحب لعلي هو ذاته المحب لعليّ والولاية هي عينها الولاية الموروثة من زمان النبي، المبادىء والعقائد هي ذاتها ولكن شيئًا واحدًا تبدل وطفح إلى مسرح الأحداث، وضع آخر جديد مغاير بالكامل للوضع القديم وإن كان يتخذ قالبًا مضاهيًا له من حيث الشكل والاسم، وها هنا تتبلور مشكلة جديدة في الفرز والتشخيص بين نوعين ونمطين من التشيُّع.

تشيُّع يرى في عليّ وسيلة لمعرفة الله سبحانه والتقرب منه والعمل بأوامره ونواهيه، وآلة لغسل الذنوب وتطهير القلوب، وتبديل السيئات بالحسنات ولكن كيف؟ هذا النمط من التشيُّع يصوّر الأمر بالطريقة التالية: أن المُرابي مثلًا عندما يعرف عليًا ويدخل حبّه في قلبه يدرك أنَّ عمله غير صحيح ولا بدّ من أن يبذل جهوده في خدمة الناس لا في خيانتهم وعليه بالتالي أن يوظّف أمواله في مشاريع إنتاجية تجلب النفع والبركة على أبناء المجتمع، لا أن يظل عالةً عليهم يقتات على دمائهم!

أما النمط الآخر من التشيُّع، وهو التشيُّع الصفوي، فهو ينظر إلى هذا الأمر من زاوية مختلفة تضع عليًّا في مصاف الله سبحانه، وتزعم أنَّ له تدخلًا في خلق السموات والأرضين، وأنَّ محبّته في قلب المؤمن كفيلة بضمان الجنّة لصاحبها فعلام إذن العمل، ولماذا يحرص المرء على ترك سيئاته ما دام يأمل أن تتحول إلى حسنات في يوم القيامة وتضاف إلى رصيده في كتاب الأعمال! على أي حال، أصبح الآن لدينا نمطان من التشيُّع، تشيُّع حب وبغض وعاطفة وهو التشيُّع الصفوي، وآخر هو تشيُّع عقل ومنطق واستدلال وهو التشيُّع العلوي!)[1].

إلغاء التشيُّع بواسطة التشيُّع!

إنّ أكبر الأخطار التي كان من الممكن لها القضاء على الصفوية كانت وليدة التناقضات التي تحمل الحركة الصفوية بذورها في الداخل، لأنه كان على الصفوية

---

(١) التشيُّع العلوي والتشيُّع الصفوي، دار الأمير/ بيروت (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م) ص٢٢٣ـ ٢٢٥.

أن تحمل شعار الإسلام في حال كونها كيانًا استبداديًا قاسيًا على غرار الأنظمة الكسروية والقيصرية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كانت الصفوية تصرّ على حمل لواء التشيُّع في حين أنها تعتمد نظام خلافة شبيه بأنظمة الخلافة الأموية والعباسية، وكان هذا التناقض يتجلّى في اتجاهين يدعو الأول منهما الحركة الصفوية إلى العمل من أجل بناء إسلام خالٍ من الإسلام، فيما يدعو الثاني منهما إلى تحقيق مهمة أكثر صعوبة تتمثل في العمل على إلغاء التشيُّع ولكن باسم التشيُّع نفسه!

والسؤال الذي يطرح نفسه حينئذ: ما هو السبيل إلى تحقيق هذين الغرضين المتهافتين؟! بشكل إجمالي، يمكن القول أنَّ الإسلام هو دين التوعية والعقل والمسؤولية، وله أبعاد وجوانب اجتماعية واقتصادية ونظرة واقعية معاصرة للأمور، ومن ثمَّ فهو يدعو إلى العزة والشرف والاقتدار والمركزية السياسية ويعترف بشخصية الإنسان وبحقّه في العيش الكريم والحرية الفكرية وتحمّل الوظائف الاجتماعية اللائقة به كموجود اجتماعي، وبالتالي فإن الإسلام دين لا يقبل التفكيك عن السياسة، ما يجعله غير مناسب بهذه المواصفات لأن يكون دينًا رسميًا للأنظمة والحكومات الاستبدادية الوريثة لأنظمة كسرى وقيصر والقائمة على أساس التضاد الطبقي والتمييز العرقي، وتبعًا لذلك يجب العمل لتهميش دوره وإلغاء أثره الاجتماعي وجرّ الناس إلى اعتناق دين يحضّ الأفراد على الاقتصار بالحديث على ما يتعلق بعالم ما بعد الموت ويغذّي التوجهات الاجتماعية ذات النزعة الباطنية في التعاطي مع الأشياء والداعية إلى إشاعة المنحى الأخلاقي الفردي والسلوك الرهباني والاتجاه السلبي في ترويض النفس على القناعة والزهد والكفّ عن التدخل بأمور الدنيا، وبدلًا من الانشغال بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحترام مبدأ الجماعة، عكفت الصفوية على إيجاد منهج انعزالي صوفي يميل إلى تجاهل الواقع والغياب عن مسرح الأحداث بنحو ينهمك فيه كل إنسان بمشاكله وهمومه الذاتية وتكون رسالته في الحياة هي العمل على انقاذ نفسه من سجن الدنيا والفرار بها من جهنم الحياة! ولا ريب في أنَّ هذه الحالة تعدّ حالة مثالية لمثلّث التحكم بالناس والمؤلفة أضلاعه الثلاثة من الاستبداد والاستثمار والاستحمار:

«الأول يربط الإنسان من رأسه والثاني يقوم بتنظيف جيبه والشريك الثالث يشرع بتقديم النّصائح والمواعظ قائلًا بلسانه الرّباني العطوف: اصبر يا أخي! أفرغ

جوفك من الطعام واجعل من جوعك رصيدًا لك يوم القيامة ليخفّف لك من ذنوبك، وبالله استعن على هؤلاء فسوف يلقون جزاءهم في الآخرة!».

إنّ لوعاظ السلاطين وخدّام أروقة البلاط سياقًا عامًا مشتركًا في خلق توجّه ديني تخديري من شأنه شلّ الحركة الاجتماعية الهادفة، ويعتمد هذا السياق عادة على تحريف المفاهيم الدينية وتفسيرها تفسيرًا سلبيًا يفرغها عن مضمونها الحقيقي، وبالطبع فإن لكل حركة دينية طيفًا من المفاهيم والقضايا العقائدية ذات الطابع الإيجابي البنّاء على صعيد الحركة الاجتماعية العامة، كما أنَّ لها قضايا ومفاهيم ذات طابع فردي، وفي حالة كهذه تعمد أجهزة الإعلام والدعاية الدينية التابعة للسلطات على تسليط الأضواء أكثر على النوع الثاني من القضايا والمفاهيم وترويجها على حساب قضايا ومفاهيم النوع الأول حتى تتلاشى الأخيرة تدريجيًا ولا يبقى في أذهان اتباع الدين أو المذاهب سوى المفاهيم السلبية المندرجة تحت إطار النوع الثاني من القضايا المُشار إليها أعلاه وما نراه اليوم على صعيد الإسلام، هو مصداق بارز لهذه الظاهرة، إذ من الواضح أن الأحكام والمسائل الفردية لهذا الدين من قبيل الطهارات والنجاسات والعبادات والمعاملات الفردية تطرح باهتمام مركّز أكثر من الاهتمام الذي يُولى لسائر القضايا ذات الطابع الفكري والعقائدي، أو المسائل الاجتماعية والسياسية والتاريخية بما في ذلك سيرة النبي والأئمة، بيْدَ أنَّ مشكلة الصفوية كانت تكمن في حاجتها هي بالذات إلى عناصر التأليب وتأجيج المشاعر والنعرات الطائفية والمذهبية على خلاف بقية الأنظمة وهياكل الحكم، لم تكن الصفوية تقتنع وتكتفي بدور الدين والمذهب في تبرير الوضع القائم وإضفاء القدسية على ما هو كائن وموجود، بل كانت تطمح إلى ما هو أبعد من ذلك في استخدام المذهب كقوة تحريكية وآلة للانتقام من المذهب السنّي الحاكم في الدولة العثمانية، ومن هنا وجدت الصفوية نفسها مضطرة للحفاظ على التشيُّع بشكله العلويّ الأصيل وتسليط الضوء على أكثر منعطفاته وقضاياه خطورةً وحساسية بدلًا من الانشغال بالقضايا الجُزئية أو المنعطفات غير الحادة!

للوهلة الأولى ربما يقول قائل أنه كان على الصفوية أن تعتّم على حادثة كربلاء وكل ما يرتبط بها لتزول من الأذهان تدريجيًا، وكان ينبغي لها بالمقابل أن تسلّط الضوء أكثر على موقف الإمام الحسن في الصلح مع معاوية ولن تحتاج حينئذٍ إلى أكثر من تحريف فلسفته وتجريدها من العمق وتحويلها إلى آلة تخدير والتعاطي مع

الصلح من زاوية تساوميّة محضة! غير أنَّ الصفوية لم تقنع بهذا المستوى من التوظيف الديني وسعت إلى تحقيق هدف إعجازيّ عظيم تمكّنت خلاله من الإبقاء على تشيُّع الدم والشهادة والثورة والرفض وجعلت من الحُسين محورًا لكل نشاطاتها الدعائية ومن عليّ شعارًا لكل النهضة، وحافظت على الحالة الثورية وعلى نزعة التمرّد والعصيان لدى الإنسان الشِّيعي، واستمرت في شحذ الهمم وتأجيج المشاعر على مدى شهرين كل عام (محرم وصفر) بل على مدى عام كامل وأصبح (كلُ يومٍ عاشوراء وكلُ أرضٍ كربلاء)، وروّجت لعليّ وشخصية عليّ وخصاله المتجسّدة في الثورة والشهادة والجهاد ورفض خلافة الجور، ولكنّها في الوقت ذاته، عملت بذكاء على توجيه كل المشاعر الانتقامية والعواطف الملتهبة للتيار الشِّيعي الرافض للاستبداد والتمييز نحو الجبهة التركية وضد عموم أبناء (العامة) الأُمّة الإسلامية!

وبغية تحقيق هذا الغرض كان على التشيُّع الصفوي أن يلجأ إلى أسلوب معقد وشائك يجمع فيه بين تعظيم وتقزيم أئمة الشِّيعة الذين قادوا نهضة المقاومة على مدى قرنين ونصف من الزمن وقد قضوا ما بين مقتول أو مسموم في هذا الطريق الجهادي الرامي إلى تخليص الناس من ممارسات الجهل والجور كان عليهم أن (يعظّموا) هؤلاء الأئمة لكي يظهروا أمام الناس بمظهر المدافع عن أهل البيت لكي يفقدوهم الطابع والصفة الرمزية بين الشِّيعة والتي من شأنها أن تلهمهم السير على خطاهم والتأسي بسيرتهم في رفض الذل والعبودية والتمييز الطبقي والعرقي والتأكيد على ممارسة الفرد لدوره الإيجابي البنّاء على الصعيد الاجتماعي. . . وفي ظلّ ذلك سوف يصبح بوسع الشِّيعي أن يُنادي بالأئمة ويعتقد بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحُسَيْن وينتظر ظهور مُنجي البشرية والثائر المصلح الكبير ويمضي ليله ونهاره في الحديث عنهم وعن بطولاتهم وإيثارهم وسيرتهم، ومع ذلك لا يشعر بأي ضرورة تدعوه للتأسي بهم والعمل بوصاياهم والاقتداء بمنهجهم في مقاومة أو على الأقل مشاكسة النظام الصفوي الوارث لأنظمة الخلافة في الحقبتين الأموية والعباسية سواء على صعيد النمط المعاشي (الحياتي) أو على صعيد العلاقة بالناس، وتلك ـ لعمري ـ كانت مسؤولية شاقة تحمّلتها الكنيسة الصفوية في الجمع بين النقيضين: تعظيم أئمة الشِّيعة وتقزيم أئمة الشِّيعة!

أما كيف تمَّ ذلك؟ فوفق معادلة دقيقة محسوبة على وتيرة واحدة ومنوال

ثابت: فمن جهة، يجري العمل على رفع مقام ومنزلة الإمام إلى مرتبة الإلوهية، **ويتحول الإمام الذي هو وصيّ النبي في التشيُّع العلوي وهو الأتقى والأعلم الذي يتولى مهمة مواصلة قيادة المسيرة بعد النبي وهو الشخص الذي يجب أن يكون المرجع في الفهم الصحيح للقرآن والسُنّة (الإسلام بمعنى آخر)، يتحول هذا الإمام من عبد طاهر وقائد من جنس البشر إلى موجود غير بشري شبيه بالآلهة الصغار الذين يحيطون بالإله الأكبر في الأساطير وفي معتقدات الأديان الوثنية ولهذا الموجود خصائص إلهية كالخالق والرازق والمدبّر والمهيمن على مصائر الناس، ويتمتع بولاية تكوينية على حدّ ولاية الله!**

ومن جهة أخرى، فإنَّ إمام الشِّيعة الذي يشهد له التاريخ كلّه والناس قاطبة، مؤمنهم وكافرهم، بأنه مظهر التقوى والورع والعدل والحق والعلم والحرية والجدارة في قيادة النهضة ومقاومة الظلم والجهل والجور والترف والاستبداد، وهو المرآة التي تتجلّى فيها مضامين الإنسانية والفخر والاعتزاز والفضيلة والشرف والنزاهة والوعي والصمود والتحرر وعدم المساومة على الحق، هكذا شخصية بهذه المواصفات السامية يتحول بفعل الجهد الصفوي إلى كائن ضعيف عاجز مساوم خائف منعزل، يعارض منطق الشهادة ويستنكر على الناس تفكيرهم بالخروج على النظام الفاسد ومقارعة الظلم، ويروّج مبدأ الرضا والتسليم للأمر الواقع ويفتي لمصلحة جهاز الحاكم عملًا بالتقية!

وبغية إرساء قواعد حكم رجعي على دعائم نهج ثوري وتأسيس حكومة الزور والزيف والاستبداد السياسي والاستغلال الطبقي على دعامتي (العدل) و(الإمامة)!...

وبغية تبديل ماهية (التشيُّع الأحمر) ـ وذلك لونه على الدوام إلى تشيُّع أسود ـ وذلك لون الموت الذي ارتدته الصفوية بحُجّة العزاء ـ ومن أجل أن يتخذوا من (الولاية) سندًا قويًا ومُقدّسًا (للخلافة) وسيفًا قاطعًا بيد (الخليفة)، ومن (عاشوراء) أفيونًا مخدّرًا للناس ومادةً لتأليبهم على العثمانيين!...(*).

(*) إن الكيمياء المعاصرة على رغم تطورها الهائل الذي أهّلها لأن تصنع من النفط الأسود مواد تجميل، وتستخدم الكهرباء تارة في تجميد الماء وأخرى في تبخيره، هذه الكيمياء الغريبة عجزت لحد الآن عن انتاج مادة قادرة على التخدير وفي نفس الوقت هي منبهة للإنسان ومهيّجة له! لقد استطاعت بتروكيمياء =

نعم! من أجل هذا وغيره كان على الصفويين أن ينتجوا سائلًا يصلح لجعل الشِّيعي قويًا وضعيفًا في آن، وحاضرًا وغائبًا في كل مكان!

الشِّيعي بفضل هذا الأكسير الكيميائي، يستغرق الوقت ليل نهار في إنشاد الشعر وكتابة النثر في مدح الأئمة والثناء عليهم والإشادة بخصالهم ونقل مناقبهم وكراماتهم وأفعالهم الخارقة للعادة والخصوصيات الغيبية والمعجزات التي ظهرت على أيديهم قبل الخلقة وبعدها وقبل الولادة أو أثناءها وعند الموت وفي القبر وفي عالم الرؤيا والمنام واليقظة والانتباه... لكن هذا الشِّيعي لا ينبغي - له تحت تأثير مفعول هذا الأكسير - أن يتطرّق لذكر حديث تربويّ عن الأئمة ويوضّح طريقة عيشهم ومنهجهم في التفكير والسلوك والتعاطي مع قضايا المجتمع والزمان، وما هو الأثر الذي خلّفه كلّ واحد منهم بعد الوفاة، والرسالة التي حملها أثناء الحياة... وهكذا نجد أن كل شيعي لا بدّ وأن يكون سمع أو يسمع مئات أو آلاف المرّات بأن الإمام الجواد يدخل الغرفة وبابها مغلقة! ولكن أيًا من هؤلاء لم يحفظ حديثًا واحدًا عن الإمام ولم يحدّثه أحد بشيء حول الأنشطة التي كان يزاولها الإمام في سياق رفضه لنظام الخلافة القائم. الجميع يبكون في كل عام بمناسبة استشهاد الإمام الجواد، ولكن أحدًا لا يعرف لماذا استشهد الإمام الجواد؟

كان لا بدّ من سلوك منهج خاص من أجل تحقيق هذا الهدف المتناقض الذي تريد الروحانية الصفوية من ورائه أن يتحدّث الناس دائمًا عن الإمام دون أن يعرفوا شيئًا عنه، ويتمثل هذا المنهج في ترويج مبدأ تقديس الإمام دون معرفته!

إن الفنّ الأكبر للروحانية الصفوية تجلّى في إبدال علاقة الناس بالإمام من (المعرفة) إلى (المحبة)! دون شك، أن المحبة هي حالة طبيعية وشعور إنساني سامٍ ينبثق في الروح في ضوء معرفة الإمام، وهذه المحبة وليدة المعرفة والتماس المباشر مع أناس نموذجيّين ذوي نفوس سامية وزكية، وهي - المعرفة - نوع من الاحساس الوجداني الفطري وعامل من عوامل التربية على الفضيلة وعنصر تحرك واقتدار من

= الاستحمار الصفوي أن تنتج معجوناً غريب الأطوار مركباً من العناصر الثلاثة، وهي: ١ - التصوف الإسلامي ٢ - القومية الإيرانية ٣ - السلطنة الصفوية. واجتمعت بها الأضداد والنقائض، ورغم استحالة ذلك عقلياً، فلقد تحقق عملياً وجرى الاختبار بنجاح في مجتمعنا الديني على مدى ثلاثة قرون حتى اعتاد الناس عليه! (د. شريعتي، انظر: التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص١٦٧، ١٦٨ في الهامش).

شأنه أن يشكّل خطرًا على قلاع الظلم والرذيلة، بيْدَ أن المحبة تحتلّ - في التشيُّع الصفوي - مكان المعرفة، هي محبّة قبل المعرفة لا بعدها. والغرض الداعي إلى ترويج هذا النوع من المحبة هو تجريدها من آثارها، ذلك لأن حبّ الإمام المجهول - ولو كان هذا الإمام هو عليّ - لن يكون له أي فائدة أو ضرر أو تأثير، **ومن هنا فإن النظام الصفوي وأجهزته الدعائية تسعى عبر تلقين المواعظ والخطب والمراثي والأشعار إلى مضاعفة حبّ الإمام في القلوب وتضعيف معرفته في العقول.**

المبدأ الأساس في التشيُّع العلوي يقول:

«**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**». غير أن هذا المبدأ، تعرّض لعملية تحريف (بسيطة) فأصبح هكذا: «**من مات ولم يحب إمام زمانه، مات ميتة جاهلية**»(*).

وهكذا تمَّ بمهارة إنتاج هذا الأكسير السحري المتناقض في التركيبات «المعجون الثلاثي الصفوي» وقامت الروحانية الصفوية بتعبئته في كبسولة التشيُّع ومهره بختم (ولاية علي) وتوزيعه على محبّي أهل البيت وعُشّاق علي وكل معتقد بـ(الإمامة) وذلك لضمان تخدير الشِّيعة وتثويرهم! وتعظيم الأئمة وتقزيمهم في آن واحد، وبذلك تكون الروحانية الصفوية وهي في الوقت ذاته سبب انكسار التشيُّع العلوي والعلّة الرئيسية في انقلاب وجه التشيُّع بشكل مرّوع، وهي العامل الأساس في قدرة الصفوية على تسويد لون التشيُّع الأحمر وتبديل ثقافة الاستشهاد بثقافة الموت ومذهب الإمام الحُسين بمذهب الشاه سلطان حسين! ليتحول التشيُّع الذي ظلَّ مظلومًا عبر ألف عام إلى تشيُّع يقف في خندق الظالم ويسنده ويعتمد عليه)![1].

(*) يقول أحد العلماء الواعين ومن الوجوه البارزة في دائرة التشيّع العلوي: ذات مرة ذهبت إلى مشهد لإجراء تحقيق حول ما يباع في المكتبات والأكشاك المحيطة بالمرقد الرضوي الشريف فلم أجد سوى المسبحات والترب بمئات الأشكال والموديلات مضافاً إلى رقيّة أبي جهل (نوع من الأعشاب ينبت على القبة الطاهرة) والسِّتارة التي يغطّي بها الضريح فإذا بُليَت قامت إدارة الحرم بتقطيعها إلى أوصال صغيرة وبيعها على الزوار، وغير ذلك من الأشياء المُقدّسة في المذهب الصفوي وهي كثيرة، ولكني لم أعثر على أي كتاب أو ملزمة تتضمن إشارة إلى فكر الشخص المدفون هاهنا ودوره في عصره، وتفاصيل سيرته الاجتماعية وما شابه ذلك، والسبب واضح: إن الشيعي الصفوي عليه أن يمدح فقط لا أن يعرف!

(١) نقلاً عن كتاب (التشيّع العلوي والتشيُّع الصفوي) دكتور علي شريعتي، دار الأمير ط ٢ (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) لبنان/ بيروت.

ينقل الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري في كتابه «الملحمة الحُسينية»: «عن المرحوم الميرزا حسين النوري وهو أستاذ المرحوم الشيخ عباس القّمي والمرحوم الشيخ محمد باقر البيرجندي والمرحوم الشيخ علي أكبر النهاوندي، والحاج النوري مُحدّث نادر ومتبحِّر في فن الخطابة والحديث، وصاحب حافظة ذهنية قوية جدًا، ورجل حماسي، وله ذوق رفيع، لديه كتاب معروف باسم «اللؤلؤ والمرجان» وهو من الكتب الجيدة جدًا بالرغم من حجمه الصغير.

والحديث في هذا الكتاب يتناول وظائف أهل المنبر وقُرّاء المآتم الحُسينية.

والكتاب كله عبارة عن فصلين؛ الفصل الأول يتحدّث فيه المؤلف عن الإخلاص وشرط خلوص النية في كل قارىء تعزية أو خطيب منبري وواعظ حسينيّ، وضرورة ابتعاده عن الجشع المالي وحُب الكسب والارتزاق... أما الشرط الثاني الذي وضعه المؤلف لقارىء التعزية والخطيب المنبري فهو الصدق، وهذا هو بيت القصيد الذي أردت الإشارة إليه.

لقد ذكر هذا الرجل في كتابه هذا نماذج من الأكاذيب المعروفة التي ألصقها الكثيرون بحادثة كربلاء، وهي تماثل أغلب ما أقوله، بل كله، وهذا ما كان يشكو منه المرحوم الحاج النوري، حتى أن هذا الرجل يصرّح بقوله:

«من الواجب أن نقيم المآتم على الحُسين عليه السلام، أما المآتم التي تقام عليه اليوم فهي جديدة، ولم تكن هكذا فيما مضى، وذلك بسبب كل تلك الأكاذيب التي أُلصقت بحادثة كربلاء دون أن يفضحها أحد، إننا يجب أن نبكي الحُسين عليه السلام ولكن ليس بسبب السيوف والرماح التي استهدفت جسده الطاهر الشريف في ذلك اليوم التاريخي، بل بسبب الأكاذيب التي أُلصقت بالواقعة».

كما وردت في مقدّمة الكتاب إشارة إلى منبع الأكاذيب حيث نقرأ قوله:

«كتب لي أحد العلماء من الهند يشكو من كثرة الأكاذيب التي يروّج لها قُرّاء التعزية الحُسينية في تلك البلاد وقد رجاني أن أعمل شيئًا بهذا الخصوص كأن اكتب كتابًا يُساهم في منع استمرار الخُطباء من الكذب على المنابر الحُسينية».

ثمّ يكتب الحاج النوري مُضيفًا:

«إنّ هذا العالم الهندي يتصوّر أنّ قُرّاء التعزية الحُسينية يبدأون بنشر الأكاذيب بعد أن يصلوا إلى الهند، ولا يدري أن المياه ملوّثة من رأس النبع، وأن مصدر المآتم الكاذبة هي كربلاء والنجف وإيران، أي مراكز التشيُّع الأساسية نفسها»(١).

«والآن أعود لأقول: **إننا وللأسف الشديد قد حرّفنا حادثة عاشوراء ألف مرة ومرة أثناء عرضنا لها ونقل وقائعها! حرفناها لفظيًا أي في الشكل والظاهر أثناء عرض أصل الحادثة، مقدمات الحادثة، متن الحادثة والحواشي المتعلقة بالحادثة، كما تناول التحرّيف تفسير الحادثة وتحليلها. أي إنّ الحادثة مع الأسف قد تعرضت للتحريف اللفظي كما تعرضت للتحريف المعنوي»**(٢).

وقد أشار الشهيد مطهري رحمه الله في بعض أبحاثه إلى أن عادة التطبير هي من العادات المستوردة من المسيحيين، فقال:

«إذا تجاوزت النحل وتعاشرت تبادلت العقائد والأذواق، إن تباعدت في شعاراتها من ذلك مثلًا سريان عادة (التطبير)، أي ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات ـ وضرب الطبول والنفخ في الأبواق من المسيحيين الأرثوذكس القفقازيين إلى إيران وانتشرت فيها انتشار النار في الهشيم، بسبب استعداد النفوس والروحيات لتقبلها»(٣)

ويرى الدكتور علي شريعتي أيضًا أن الشعائر الحُسينية وما يدور من طقوس في فلكها أغلبها دخيل ومتسلل إلى الفكر الشِّيعي حيث يوجد ارتباط واضح بين الصفوية والمسيحية، فقد تضامن الاثنان لمواجَهَةِ الإمبراطورية الإسلامية العظمى التي كان لها حضور فاعل على الصعيد الدولي إبان الحكم العثماني وشكلت خطرًا جدّيًا على أوروبا، ومما قاله (رحمه الله):

(لقد وجد رجالات التشيُّع الصفوي أنه لا بدّ من توفير غطاء (شرعي) لهذا التضامن السياسي فعملوا على تقريب التشيُّع من المسيحية، وفي هذا الإطار عَمَدَ

---

(١) الملحمة الحسينية، الشهيد مطهري ج ١ ص ١٣ ـ ١٤.

(٢) الملحمة الحسينية، الشهيد مطهري ج ١ ص١٢

(٣) «الإمام علي في قوته الجاذبة والدافعة»، الشهيد مطهري، مؤسسة البعثة، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م) ص١٨٠.

الشاه الصفوي إلى استرضاء المسيحيين من خلال دعوتهم للهجرة إلى إيران، وقد شيّد لمسيحيي (جلفا) مدينة معتقلة قرب العاصمة وأخذ يتودّد إليهم ويصدر بيانات وبلاغات رسمية يعلن فيها عن تمتّعهم بحماية تامة وحرية كاملة في ممارسة طقوسهم الدينية، ومن جهته سعى رجل الدين الصفوي إلى تجميل صورة بعض الشخصيات المسيحية وإقحامها في المشاهد التمثيلية التي تقام إحياءً لذكرى عاشوراء، من ذلك أن رجلًا كرواتيًا يحضر أحد هذه المشاهد فيتأثر بالمناخ الحزين فيقتحم المكان ببدلته الأنيقة ونظارتيه ويهاجم معسكر يزيد وأنصاره ويواسي الحاضرين بأجمل مواساة، بحيث ما أن يراه الناظر حتى يتيقن بأن كلب هذا المسيحي الإفرنجي أطهر من (السُنّة) الذين قتلوا الحُسين عليه السلام. ولا شك أن مُخرج المشهد المسرحي لا يريد غير ذلك!(*).

استطاعت الصفوية أن تنتشل الوجود الشِّيعي من قعر السجون والمطامير وترفعه إلى سدة الحكم والخلافة ليحتلّ موقعًا متقدمًا في المسرح السياسي للمجتمع، وإلى ذلك الوقت كان الشِّيعة في إيران أقلية مضطهدة لم تتبلور لها في يوم من الأيام هوية اجتماعية مستقلة ولم يقم لهم نظام حكم وسلطان إلَّا في أوقات محدودة ومتفرقة مثل حكومة آل بويه والسربدارية، ولم يكن يتاح للشخصية الشِّيعيّة ممارسة طقوسها المذهبية بحرّية، وكان الشِّيعة لا يزاولون هذه النشاطات إلَّا خلف حجاب التقية، وليس لديهم تجربة في العمل السياسي الجماعي وتنظيم المظاهر الاجتماعية العلنية، أما الآن فإن النظام الصفوي يحتاج إلى مثل هذه الأمور ولا بد من عمل شيء ليسهم في تحقيقها وما أسهل ذلك فلقد استحدث منصبًا وزاريًا جديدًا باسم وزير الشعائر الحُسينية. وقد قام الوزير بجلب أول هدايا الغرب لإيران وذلك في غضون القرنين

(*) خاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنَّ رجال التشيّع الصفوي كانوا وما زالوا يحاولون أن يصوُّروا لبسطاء الناس أنَّ السُنّة هم جميعاً من النواصب ـ أو الوهابيين في عصرنا هذا ـ والنواصب طائفة منبوذة تكنّ العداء لآل علي: الأمر الذي ينجم عنه أن الإيرانيين تنتابهم الدهشة كثيراً عندما يذهبون هذه الأيام إلى مصر مثلاً ويطَّلِعون على الكتب المؤلفة هناك بحق أهل البيت، والتي قد نعدم لها نظيراً في إيران، وَيَرَوْنَ مدى الحفاوة والتكريم اللذين يوليهما المصريون لمرقد السيدة زينب ـ حيث يحتملون أن زينب الكبرى أخت الإمام الحسين مدفونة هناك ـ حينئذ يجد الإيراني نفسه مستغرباً جداً من ما يزعمه الصفويون بأن جميع السُنّة يعادون أهل البيت وينكرون فضائل علي وهم الذين قتلوا الحسين وأسروا زينب! على أنه في مقابل ذلك فإن التسنن الأموي يفعل الشيء ذاته فيصوّر لبسطاء السنّة أنَّ الشِّيعة جميعهم من الغُلاة الذين يشركون بالله من خلال تأليه علي! (د. شريعتي).

السادس عشر والسابع عشر، وكان هذا أول تماس حضاري بين إيران والغرب لا كما يُقال من أنَّ هذا الارتباط والتماس حصل في القرن التاسع عشر من خلال استيراد المطابع والصحف والمؤسسات والشخصيات الثقافية كدار الفنون. . . .

ذهب وزير الشعائر الحُسينية إلى أوروبا الشرقية وكانت تربطها بالدولة الصفوية روابط حميمة يكتنفها الغموض ـ وأجرى هناك تحقيقات ودراسات واسعة حول المراسيم الدينية والطقوس المذهبية والمحافل الاجتماعية المسيحيّة وأساليب إحياء ذكرى شهداء المسيحيّة والوسائل المتبعة في ذلك حتى أنماط الديكورات التي كانت تُزيَّن بها الكنائس في تلك المناسبات، واقتبس تلك المراسم والطقوس وجاء بها إلى إيران حيث استعان ببعض الملالي لإجراء بعض التعديلات عليها لكي تصبح صالحة لاستخدامها في المناسبات الشِّيعيّة وبما ينسجم مع الأعراف والتقاليد الوطنية والمذهبية في إيران، ما أدى بالتالي إلى ظهور موجة جديدة من الطقوس والمراسم المذهبية لم يعهد لها سابقة في الفلكلور الشعبي الإيراني ولا في الشعائر الدينية الإسلامية؛ ومن بين تلك المراسم النعش الرمزي والضرب بالزنجيل والأقفال والتطبير واستخدام الآلات الموسيقية وأطوار جديدة في قراءة المجالس الحُسينية جماعة وفرادى، وهي مظاهر مستوردة من المسيحيّة بحيث بوسع كل إنسان مطلع على تلك المراسم أن يشخّص أنَّ هذه ليست سوى نسخة من تلك!

تتضمن مراسم العزاء المسيحي تمثيل حياة شهداء الحركة المسيحية الأوائل وإظهار مظلوميتهم وطريقة قتلهم بواسطة حكام الجور والشرك وقياصرة الروم وقوّاد جيشهم وكذلك التطرق لسيرة الحواريين ومأساة مريم وبيان فضائلها وكراماتها ومعاناتها، والأهم من ذلك تجسيد مأساة عيسى المسيح وألوان التعذيب الذي لاقاه سواء من قومه (اليهود) ومن الحكام الظلمة (القياصرة)، كل ذلك تحت عنوان (passions) أي المصائب، وهو مصطلح يطلق على مجموع هذه المراسم التي اقتبسها الصفويون وأدخلوها إلى التاريخ الشِّيعي لتصبح جزءًا من الهوية الشِّيعيّة وتستخدم في تجسيد المصائب التي تعرّض لها أهل البيت والزهراء عليها السلام والإمام الحُسين وأهل بيته وأصحابه.

جدير ذكره أنَّ مراسم اللطم والزنجيل والتطبير وحمل الأقفال ما زالت تمارس سنويًا في ذكرى (استشهاد) المسيح في منطقة (Lourder) وعلى الرغم من أنَّ هذه

المراسيم دخيلة على المذهب وتعتبر مرفوضة من وجهة نظر إسلامية ولم تحظ بتأييد العلماء الحقيقيين بل إنَّ كثيرًا منهم عارضوها بصراحة لأنها لا تنسجم مع موازين الشرع، مع ذلك فإنها ما زالت تمارس على قدم وساق منذ قرنين أو ثلاثة ممّا يثير الشكوك أكثر حول منشئها ومصدر الترويج لها، ويؤكد أنَّ هذه المراسم تجري بإرادة سياسية لا دينية وهذا هو السبب في ازدهارها وانتشارها على الرغم من مخالفة العلماء لها، وقد بلغت هذه المراسيم من القوة والرسوخ بحيث أنَّ كثيرًا من عُلماء الحق لا يتجرأون على إعلان رفضهم لها ويلجأون إلى التقية في هذا المجال!!

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الكثير من المباشرين لهذه الأعمال يدركون جيدًا موقف العلماء الحقيقيين منها، ولكنهم يقنعون أنفسهم بأن هذه الأعمال خارجة عن نطاق الشريعة وداخلة في نطاق الحبّ الذي لا يلتزم كثيرًا بالقيود والضوابط، حتى قيل أنَّ أحدهم واجه أحد العلماء بالقول إنَّ نصغي إلى أقوالكم أحد عشر شهرًا في السَنة ولكن عليكم في هذا الشهر (محرم) أن تصغوا أنتم إلى أقوالنا؟!

وقد اخترعوا من أنفسهم اسطوانات جديدة يكررونها لإقناع بل خداع أنفسهم قبل غيرهم فيقولون مثلًا أنَّ هذا العمل لا يندرج تحت قائمة المستحب والمكروه أو الحلال والحرام، إنه جنون حُبّ عليّ والحُسَيْن، حُبّ الحسين أجنني، عاشوراء أغلت دماءنا، وَدَدْنا لو نحرق أنفسنا بأيدينا، إن حساب الحسين غير حساب الله والدين والأحكام الشرعية، ولو أن الله سبحانه تعالى ألقانا في جهنم عقوبة على حب الحُسين فما أشوقنا إلى نار جهنم! إلى غير ذلك من الجمل والعبارات التي إن دلّت على شيء فإنما تدلّ على فقر أصحابها منطقيًا وعدم امتلاكهم الحجّة الشرعية لتبرير أفعالهم غير المنسجمة مع المعايير الدينية والإسلامية والشِّيعيّة.

واضح جدًا، أنَّ هذه اللغة هي لغة التصوّف وأنَّ هذه المشاعر والأحاسيس هي مشاعر غلوّ وإفراط نجمت عن أعمال الدراويش ومبالغات الخُطباء والشعراء وكل هذه المظاهر تستمدّ وجودها بين عصب صفوي يغذّيها وينفخ فيها من أجل تضخيمها يومًا بعد يوم.

إنني أعتقد أن ما هو معروف اليوم من أنَّ العلماء المجتهدين وفقهاء الشِّيعة

يستنكفون ـ في الغالب ـ من ارتقاء منبر الخطابة والتبليغ ويتجنبون الدخول في المحافل الاجتماعية الدينية، يعود إلى إدراكهم لحقيقة أنَّ هذه المظاهر هي مظاهر صنيعة للحكم الصفوي وأنَّ هذه المنابر كانت تستمدّ قوتها من الموقف السياسي لا الموقف الديني، والدليل على ذلك أنَّ هذه المراسم عادة ما تنطوي على أفعال وممارسات لا تنسجم مع شرع أو سنّة. فبرغم القدسية التي يكنّها الإنسان المُسلم و الشِّيعي على وجه الخصوص للأئمة وأهل بيت النبي وخاصة نساء آل البيت نجد أنَّ مراسم التشبيه تنطوي على إساءات صارخة. [من قبيل ـ كما يذكر السيد محسن الأمين: ـ

١ ـ الكذب: هو من الكبائر في الإسلام، وكان يختص بذكر الأمور المكذوبة المعلوم كذبها وعدم وجودها في كتاب.

٢ ـ تشبه الرجال بالنساء في وقت التمثيل.

٣ ـ إركاب النساء الهوادج حاسرات الرؤوس (وتشبيههنّ بنساء حرم سيد الشهداء).

٤ ـ صياح النساء بمسمع من الرجال الأجانب، ومنها الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة القبيحة وكل ما يوجب التهتك والشنعة.][١].

ولا شك أنَّ هذه المظاهر المقتبسة من النصارى، حيث توجد لديهم ممارسات وطقوس دينية مماثلة من قبل (الرجال السبعة) [7mysteres] أو (الميراكل) [Miracles] مضافًا إلى تشييع رمزي لنعش عيسى مصلوبًا وهبوطه وعروجه ونحو ذلك.

أما النوائح التي تؤدَّى بشكل جماعي فهي تجسيد دقيق لمراسم مشابهة تؤدى في الكنائس ويطلق عليها اسم (كر) كما أنَّ الستائر ذات اللون الأسود الذي توشّح بها أبواب وأعمدة المساجد والتكايا والحُسَيْنيات وغالبًا ما تطرّز بأشعار «جودي ومحتشم الكاشاني» هي مرآة عاكسة بالضبط لستائر الكنيسة، مضافًا إلى مراسم التمثيل لوقائع وشخصيات كربلاء وغيرها حيث تحاكي مظاهر مماثلة تقام في الكنائس أيضًا وكذلك عملية تصوير الأشخاص على رُغم كراهة ذلك في مذهبنا،

---

(١) مقتبسة من كتاب «التنزيه» السيد محسن الأمين، ص ٧ ـ ٩.

حتى هالة النور التي توضع على رأس صور الأئمة وأهل البيت هي مظهر مقتبس أيضًا وربما امتدت جذوره إلى طقوس موروثة عن قصص إيزد ويزدان وغيرها من المعتقدات الزرادشتية في إيران القديمة.

كل هذه المراسم والطقوس الاجتماعية والعرفية هي صيغ مقتبسة مما هو عند النصارى في أوروبا، وقد بلغت هذه الظاهرة حدًا من السذاجة أن الاقتباس يتمّ بصورة حرفية دون أدنى تغيير، حتى أنّ بعض المظاهر تنطوي على رفع علامة الصليب، وقد أعجبت هذه المسألة الصفويين فاستوردوها من هناك وجاءوا بها إلى إيران كما هي، ولذلك نرى أنَّ بعض الجوقات يتقدمها ما يسمى بـ(الجريدة) وهي شيء يشبه الصليب(*) وكان بعينه يستخدم في جوقات العزاء المسيحية ولا يعرف أحد مغزى ذلك من بسطاء الشِّيعة حتى حاملو هذه (الجريدة) لا يدركون السبب في حملهم إياها، ولكن مع جهل الجميع بماهية (الجريدة) ومعناها وفلسفة حملها فإن جميع المُشتركين في الجوقة يعتقدون أن شأنهم واعتبارهم رهين بهذه (الجريدة) ومدى الاهتمام بها حتى أنَّ معارك ومشادّات تحصل من أجل أن يحظى الأفراد بشرف حملها وتتسابق الجوقات في تزيين جريدتهم بحيث تبدو أكبر وأجمل وأثقل! يجدر الإشارة إلى أن (الجريدة) ليست تقليدًا للصليب بالشكل فحسب بل إن اسمها كذلك يعود تاريخيًا إلى اسم الصليب وقد جاء معها من أوروبا الشرقية وذلك أنَّ كلمة (جريدة) لا مفهوم لها في الفارسية ولا في العربية(**).

وهذا الكلام ينسحب على سائر الديكورات والأزياء والستائر التي جاءت جميعًا من أوروبا الشرقية وإيطاليا على وجه الخصوص حيث مركز الكنيسة الكاثوليكية، ونظرًا لأن المساجد لم تكن مكانًا مناسبًا لقبول مثل هذه البهارج فقد استحدث بناء جديد يطلق عليه اسم (التكية) وأصبح فيما بعد مركزًا لتسويق مثل هذه الأمور الغريبة على الدين والمذهب.

ولعلّ من الضروري الإشارة هنا إلى أن النقد الذي سنوجّهه الآن لا ينصبّ على أصل التقليد ولا على أصل العزاء!

(*) هو عامود من خشب يشبه الصليب، يُرفع أمام مسيرات العزاء في إيران وباكستان وأفغانستان وبعض دول الخليج العربي. (المؤلف).

(**) أتصور أن كلمة (جريدة) هي التلفظ الفارسي لكلمة (جروئيدة) و(roix) يعني الصليب في اللاتينية حيث أنَّ حرف الـ(c) في اللغة اللاتينية يلفظ جيماً.

فالتقليد إذا كان عن وعي وخاضعًا لمنطق ينسجم مع الأسس والمبادىء العقائدية والمتطلبات الاجتماعية، فدون شك هو مظهر رقيّ حضاري، وهو مظهر من مظاهر التعلُّم والتعليم يساهم في رفع مستوى الفهم والاطّلاع لدى المقلد. وما نؤمن به اليوم من ضرورة اقتباس التجارب الغربية والتقنيات الجديدة والعمل بها في شؤون الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية بل وفي مجال الدراسات الإسلامية ونشر الأفكار والعقائد الدينية والثقافية، إنّما ننطلق به من هذا الفهم والإدراك لأن التقليد بحدّ ذاته ليس أمرًا مرفوضًا بل هو مطلوب إذا توفر على الشروط الصحيحة.

إن أكثر المثقفين ممن لهم اطّلاع بواقع عالمنا المعاصر ولهم تماسّ مباشر مع المجتمع، ويفكرون بالدين تفكيرًا واعيًا، هم الآن في صدد اقتباس الوسائل الإعلامية والتثقيفية كالتلفاز والمسرح والسينما من الغرب وتوظيفها في خدمة الدين والفكر والثقافة الإسلاميّين، وذلك ليتاح لهم توسيع دائرة الدعوة مساحةً وعمقًا وجعلها تنسجم مع الظرف الزماني الراهن، وتلك محاولة حضارية راقية تعبّر عن التقليد بشكله الإيجابي الواعي، أما التقليد الذي يستحق الإدانة والشجب فهو التقليد الأعمى الذي تبنّت الصفوية الترويج له وترسيخ مفاهيمه في الأوساط الاجتماعية على رُغم كونه لا يتّسق مع روح الشريعة الإسلامية ولا التوجه العام للمذهب الشِّيعي على وجه الخصوص، بل ربما كان في تضادّ سافر معها، وهذا ما يمكن لمسه بوضوح على صعيد بعض الممارسات الدينية والطقوس والشعائر التقليدية التي يزاولها البعض ومن شأنها أن تشعل فتيل الفِرقة والخلاف وتؤدي إلى تشرذم المجتمع سياسيًا باسم الدين والمذهب. وكل هذه الممارسات الفئوية تسهم في تأجيج المشاعر المتطرّفة دون أن يكون لها أي دور إيجابي في رفع مستوى الوعي والفهم للأمور لدى الشِّيعة ولا تمنحهم قدرة على التحليل الدقيق والاستيعاب الصائب لمبادىء العقيدة ولا تمكّنهم من تكوين صورة حقيقية وشاملة لثوابت المذهب أو رسم تصوّر واضح ومنطقي لحقائق النهضة الحُسينية في كربلاء والتعرف برموزها البارزة والأهداف السامية التي يحملونها في هذ النهضة العملاقة.

إنَّ الشيء الذي كانت تهدف إليه الصفوية من هذه الأعمال ليس سوى تأجيج المشاعر الصفوية غير المنضبطة عبر ممارسة تلك الطقوس التراجيدية وعلى النمط المسيحي لا على النمط الذي يرتئيه الدين الإسلامي الحنيف والذي يحرص على

أن يكون كل عمل يزاوله الإنسان شيئًا هادفًا وله على الصعيد التربوي نتائج وثمار محدّدة.

وعلى العكس مما ينبغي أن يكون، يمكن القول أنَّ الممارسات والطقوس المُشار إليها كان لها أثر سلبي معكوس، حيث تحولت بذاتها إلى عوامل تعيق إمكانية الفهم الحقيقي لأهداف الفكر الشِّيعي وفلسفة وجود الثورة الحُسينية، **وذلك لأنه ليس ثمة جهل أكبر وأخطر من الجهل الذي يهيمن على صاحبه شعور خادع بأنه على معرفة بحقائق الأمور. والشِّيعي هنا عندما يكثر الحديث عن عاشوراء والبكاء على الحُسين في شهري محرم وصفر ويواصل ذلك خلال الأشهر الباقية ينتابه شعور عارم وخادع في نفس الوقت بأنه قد عرف كربلاء وبطل كربلاء حقّ معرفتهما!**

والواقع أنَّ أصل إقامة العزاء كان سُنّة معمولًا بها بين أوساط الشِّيعة حتى منذ زمن الأئمة والإمام الصادق عليه السلام على وجه التحديد، ولقد كانت سُنّة حسنة بل كانت ممارسة ثورية، خاصة في أزمنة الكبت والقمع والأجواء الخائفة التي كان لجهاز الخلافة دور في تكريسها عداءً لأهل البيت. وكان لهذا الأمر آثاره الجليّة في تنمية إيمان الفرد الشِّيعي وتهذيبه أخلاقيًا وروحيًا وعاطفيًا، مضافًا إلى أنَّ هذه الطقوس كان لها أثر كبير في إحباط مساعي الحكومات الجائرة لطمس حقائق النهضة الحُسينية أو تشويه صورتها في أذهان الناس عبر المرتزقة من المتاجرين بالدين ووعاظ السلاطين، حيث لعبت هذه الطقوس دورًا مهمًا في التصدي لهذه المحاولات في مختلف المجالات الفكرية والاجتماعية وحتى السياسية، وأحبطت مسعى الحكومات لتحريف التاريخ والشطب على كل حدث غير طبيعي فيه، والإيحاء للأجيال القادمة بأن التاريخ مرَّ على أحسن ما يُرام وكأنَّ شيئًا لم يحدث فيه أبدًا!

بيدَ أن ما تمّ التركيز عليه كثيرًا في الحقبة الصفوية هو الشكل الظاهري لتلك الطقوس فعملت الصفوية ما بوسعها من أجل تكريس هذه الطقوس وتوسيعها ومن ثمَّ سعت إلى توظيفها لأهداف سياسية تضليلية تصبّ في صالح أغراضها الحكومية بعيدًا عن التعريف بالإسلام وتربية الناس على مفاهيمه السامية)[1].

---

(١) نقلاً عن كتاب «التشيُّع العلوي والتشيُّع الصفوي»، دار الأمير/ بيروت، ط ٢ (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

يقول الشهيد مطهري:

«إن الذين أوصونا بتخليد عزاء الحُسين إنّما أوصونا بذلك لأن هدف قيامه كان هدفًا مقدسًا، لأن الحسين بن علي قد أسس مدرسة وأرادوا لهذه المدرسة أن تخلّد إلى الأبد.... ونحن إذ نحيي اسم الحُسين عليه السلام وثورته إنّما نقوم بذلك من أجل أن تنعكس علينا بعض الظلال من روح الحُسين بن علي عليه السلام.

ونحن إذ نسكب دمعنا عليه إنّما نسكبه حتى تنسجم روحنا مع روحه وتتعالى روحنا قليلًا لتلتحم مع الروح الحُسينية. ولو أن ذرةً من همّته أو من غيرته أو من حريته أو من إيمانه أو تقواه أو توحيده تُشعّ علينا فتسيل مجاري الدمع من مآقينا فإنّ ذلك الدمع سيكون لا شك ذا قيمة بالغة للغاية. ولو قالوا لك أن قيمة ذلك بحجم جناح ذبابة فإنّ ذلك ينبغي أن يكون عندك بقيمة الدنيا كلها. ولكن هذا الدمع يختلف مع ذلك الدمع الذي ينسكب لسقوط الحُسين هباءً إنه الدمع الذي يُذرف على الحُسين لعظمته وشخصيته الرفيعة. نعم الدمع الذي يسيل منك على أساس الانسجام والتلاحم مع الحُسين بن علي عليه السلام واتباع نهجه وسيرته فهذا هو الدمع الذي لو نزل بحجم جناح بعوضة منك فإنه يساوي الدنيا كلها»[١].

«لذلك يجب علينا أن نعترف بأننا في عداد الجناة المساهمين في جريمة واقعة كربلاء حيث إننا لا نقرأ إلّا صفحة واحدة لا نرى إلّا وجهًا واحدًا من وجوه الواقعة وبالتالي فإننا مساهمون في عملية التحرّيف وكل من يساهم في حرف معركة كربلاء عن أهدافها الحقيقية يمكن اعتباره من الجُناة بحق الإمام الحُسين عليه السلام»[٢].

إلى ذلك أيضًا أشار العلّامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين في تشخيصه لهذه الظاهرة السلبية قائلًا:

«إن الذكرى الحسينية في الكثير من الأحيان تحولّت إلى مأتم حسيني فقدت فيه دلالاتها السياسية والاجتماعية ومغزاها العميق في التزام موقف حياتي أو وجودي - أي واقعي - إزاء تحديّات الواقع البائس، بل غدت الذكرى في هذه المآتم دعوة إلى

(١) الملحمة الحسينية، الشهيد مطهري، ج ١ ص ٦٣.

(٢) الملحمة الحسينية، ج١، ص ٩٨.

الزهد في الدنيا، وتحولّت إلى وعظ سلبي يدعو الشِّيعي إلى الانصراف عن العمل الحياتي الواقعي هذا...»[1].

(وبكلمة أُخرى، تكريس الحرص على الثواب فقط دون الالتفات إلى الدنيا، وعبر قصص وشعارات ولافتات تبدأ بعنوان «**حُبّ أهل البيت حسنة لا تضرّ معها سيئة**» دون ذكر شرائط هذا الحب وشروطه، وفي مسعًى لتبرير كلّ السيئات والموبقات والآثام، وتنتهي بأنَّ النار ترفض جسمًا تعلّق بثياب صاحبه (**غبار زوار الحسين**)، حتى لو ارتكب هؤلاء (**الزوّار**) كل ألوان المعاصي والنواهي والمحرّمات، أي كما قال الشاعر متوهمًا:

فإن شئت النجاةَ فزُر حسينًا	لكي تلقى الإله قرير عين
فإن النار ليس تمسُّ جسمًا	عليه غبار زوّار الحسين

وبكلمة أكثر صراحة، حصر هذه الذكرى العظيمة في جانبها المأساوي وبكائياتها المؤثّرة وتحويل منبرها الخالد إلى أداة تجارية لاستدرار الدموع الباردة فقط دون التطرّق أو الإشارة لواقع الأمّة ومصائبها واستهتار حُكّامها، بل إبعاد هذا المنبر بالكامل عن مشروعها التغييري الثوري وحتّى التربوي والفكري، بحيث تحوّلت بعض هذه المنابر مع الأسف الشديد إلى مناحات تخدير ومجالس نواح وبكاء ودموع، وامتصاص غضب فقط، وهو بالضبط ما أراده الأمويون ويريده كلّ الحكّام الظلمة لترسيخ منهج خبيث يهدف لإبعاد الناس عن همومهم وآلامهم، وتحويل مساجدهم الثائرة المربّية إلى (دُور خاوية) حسينية الشكل والإطار ولكنّها (يزيديّة) المحتوى والمضمون، أي التركيز على (**حبّ**) الحسين فقط، دون الالتفات إلى (**معرفته**) وانتهاج خطه وتضحيته وفدائيته ـ حسب تعبير الدكتور علي شريعتي ـ وانتزاع ذلك من الفهم السطحي، أو التفسير السطحي للعبارة الخالدة «**كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء**» في الوقت الذي يُفترض أن تكون فلسطين هي عاشوراء اليوم مثلًا كما قال الشهيد مطهري: «**لو كان الإمام علي والإمام**

---

(1) راجع كتاب «ثورة الحسين في الوجدان الشعبي» الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ط1 عام 1980م ص286.

الحسين ﷺ موجودين الآن لما بكوا لعاشوراء بل سيبكون لفلسطين وضياعها بيد اليهود، بل سيجاهدون في سبيلها»(*).

إلاَّ أن المؤسف مثلًا أن مرجعًا دينيًا عندما طلبوا منه مساعدات للفلسطينيين قبل ٢٩ أو ٣٠ عامًا تقريبًا، كان يقول: إنَّ هؤلاء سُنّة، وهم أسوأ حالًا من اليهود فلماذا نساعدهم؟!»[١][٢].

أقول: ما يجب تأكيده هو ضرورة حفظ الموازنة في الشعائر الحسينية بين الفكر والعاطفة، وكذلك حفظ التوازن بين الموجِّه الفكري والخطيب التعبوي، دون تضخيم واحد على حساب الآخر، أو بالعكس!

في ذلك يقول السيد محمد حسين فضل الله:

«إنَّ التزاوج بين الحالة العاطفية والحالة الفكرية هو الذي يحقق للرسالة مضمونها العميق في وعي الإنسان وحركته، وبذلك تتطور الفكرة إلى إيمان من خلال الفكر المنفتح على الشعور، ويتطور الإيمان إلى حب أو بغض من خلال انفتاح العقل على القلب، وهذا هو ما نستوحيه من الحديث عن الحُبّ لأولياء الله والبغض لأعداء الله»(**).

يقول آية الله العظمى الإمام الشيخ محمد الخالصي:

«وهناك تكليف أكبر على علماء الدين حيث أن القيام به واجب وتركه مخالفة للشرع، وهذا هو تحديد الوعاظ وأهل المنبر لأن الكثير منهم هم من المُعمَّمِين الجُهَّال ولا ينفعون للأمور الدينية ويخالفون الأحكام الشرعية عن علم أو جهل، وقد اتخذوا المنبر وسيلة للإرتزاق، ويتكلمون حسبما يشتهي الناس، وعوضًا من

(*) راجع مجلة (هفت آسمان) الإيرانية التخصصية في الأديان والمذاهب ـ العدد ٩و١٠، الصادر في ١٣٨٠هـ ـ ش، حوار مع آية الله واعظ زادة خراساني.

(١) نفس المصدر، والناقل هو آية الله واعظ زادة خراساني نفسه الذي راح يمجّد بالسيد البروجردي ويشيد بالمرحوم الآخوندا الذي كان يقول: «**نحن نشترك مع كل المسلمين في الأصول واختلافنا في الفروع فقط**».

(٢) نقلًا عن كتاب «أزمة العقل الشيعي» مختار الأسدي ٢٠٠٩م، ص١٥٨، ١٥٩.

(**) جاء هذا النص ضمن موضوع تحت عنوان (العاطفة والذكرى الحسينية) للسيد محمد حسين فضل الله، مجلة (رسالة الحسين) العدد الثالث ٢٠٠٦م.

محاربة الخُرافات والجهل وسوء الأخلاق، فإنهم يسعون إلى إشاعتها، ويروون على المنابر الأحاديث الضعيفة للغُلاة ويشيعون عقائد الشيخية.

يجب على المجتهدين وبدون أي تردد أن يصدروا فتوى تحريم ارتقاء المنابر على أي شخص إلَّا إذا كان حاصلًا على إجازة ارتقاء المنبر من قِبَلِ أحد مراجع التقليد، ولا تُعطى هذه الإجازة إلَّا لأهل الفضل والعلم من الذين لهم ما يكفي من العلم في العقائد الإسلامية، وتفسير القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة، والمذاهب والأديان المختلفة، وما يجري في الدنيا، بشرط ألَّا يجعلوا المنبر وسيلة للإرتزاق»[1].

للأسف إن بعض أهل منبر الإمام الحسين عليه السلام اتخذوا المنبر وسيلة للارتزاق والتكسب وهذا هو همهم الأكبر ولأجله فإنهم يسلكون السبل المعوّجة ولا يتورعون عن حرف أهداف الثورة الحسينية وتشويهها وطمس الحق من أجل إرضاء العامة وكسبهم. ولو كان ذلك على حساب الحقائق الدينية الحقّة!.

والغريب أنَّ الأئمة عليهم السلام أشاروا إلينا كيفية إحياء أمرهم عليهم السلام لكننا نحن شيعتهم لا نسير كما أرادوا بل اخترعنا شعائر وحوّطناها بالقداسة وقلنا إنها «شعائر حسينية» ولكن انظروا ماذا يقول الإمام الرضا عليه السلام:

«رحم الله عبدًا أحيا أمرنا، قالوا له: وكيف نُحيي أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ويُعلّمها الناس، فإن الناس لو عَلِموا محاسن كلامنا لاتبعونا»[2].

من يحب أهل البيت ويريد أن يُحيي أمرهم فعليه أن يتعلّم علومهم من عقيدة وشريعة وأخلاق وقيم وسلوك وعطاء وتضحية وإيثار وصدق ومحبة وغيره وفي كل ما يرفع مستوى الإنسان ليصل إلى رضا الله وكل ما من شأنه تقوية الإسلام في العالم وحضارته، ولا يكتفي بذلك بل عليه بعد ذلك أن يعلّم الناس ذلك، لأن الناس عندما ترى محاسن أهل البيت في كل ما ذكرناه، فإنها ستقتدي بأهل البيت ومن يقتدي بأهل البيت فإنه سيكون في خط الرسالة والهداية.

---

(١) نقلًا عن كتاب «علماء الشّيعة والصراع مع البدع والخرافات الدخيلة في الدين» دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١ (٢٠٠٩م) ص٤٠٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٧١، ص٣٥٢.

دراسة التاريخ الشِّيعي العقائدي

إن التاريخ تراث وهذا التراث يتوارثه جيل عن آخر وقد ينقل لنا تاريخ ما لواقعة ما ، بناءً على ظروف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية لذلك العصر تجعل من ذلك الحدث يتغير شكله أو مضمونه كليًا نحو الأسوأ أو نحو الأفضل بحسب ظروف ذلك العصر ، وعندما ينقلون لنا قضية ما فعلينا أن نضعها في ميزان العقل أولًا ولا تشدنا إليها عاطفتنا وانتِماؤنا المذهبي لها لأنها تخدم المذهب على حساب الحقيقة! إذًا علينا أن نسأل من الذي نقلها؟ وهل الناقل من الموثقين؟ أم أنه ليس كذلك؟ وإذا كان الناقل ثقة فهل مضمون الرواية يتوافق والعقل أم يتنافى معه؟

يقول السيد محمد حسين فضل الله:

«علينا أن نحاكم التاريخ من خلال المتن كما كانوا يقولون «**توثيق الصدور من خلال المضمون**» فعندما تنقل قصة نناقشها ، هل هذه معقولة أم غير معقولة؟ تتناسب مع المفاهيم والخطوط الأساسية الموجودة في ذاك العصر أم لا؟ وهل تتناسب مع العقل أم لا تتناسب؟ وهكذا علينا أن ندرس التاريخ كما ندرس أية مادة قابلة للخطأ أو الصواب وأن لا ندخل في قداسة التاريخ فالتاريخ ليس مقدّسًا ، ففيه الشرّيرون والخيّرون وفيه الكاذبون والصادقون كما عندنا خيّرون وشرّيرون وكاذبون وصادقون فالمقدّس هو القرآن فقط والنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وما عدا ذلك فلا قداسة له إلَّا إذا التقى بشكل قطعي أو موثوق بالحقيقة المُقدّسة. . .»[1].

يقول الدكتور علي شريعتي وبحكم تخصصه في مادة التاريخ «**أنَّ هذا التاريخ كُتب مقلوبًا**»

وعلى سبيل المثال كان الدكتور شريعتي يجاهر ويناقش «بأنَّ العداوة المركزة بين الخليفة عُمَر بن الخطاب والفرس هي من أهم الأسباب التي دفعت الإيرانيين إلى تنقيح وتوسيع وتكبير مأساة الزهراء عليها السلام فالهجوم على بيت الإمام علي عليه السلام قد حصل فعلًا وإنَّ اضطهادًا وإجبارًا للإمام علي عليه السلام على البيعة قد وقع فعلًا ، لكن هناك إضافات كثيرة أُدخلت على القضية(*) ، وذلك لما يحملُ الفرس من حقدٍ شديد

---

(١) الندوة ج ١ ص ٣٩٠.

(*) وهذا ما أشار إليه المحقق السيد كمال الحيدري حينما أنكر تفاصيل روايات الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام . راجع: http://youtube/25 jvzsD5 - ve

على عُمَر بن الخطاب لأنه هدّم الإمبراطورية الفارسية وطردهم من المدينة المنوّرة أيام خلافته، وأنَّ هذا الحقد القومي على عُمَر هو الذي دفع بالصفويين إلى أن يوسّعوا مأساة الزهراء عليها السلام ودفعوا بالشيخ المجلسي إلى نشر روايات في هذا المجال ولكنها ضعيفة للغاية وهذا السياق هو الذي دفع الصفويين إلى أن يعمّروا في كاشان قبرًا لامرأة صوفية تسمّى لؤلؤة فغيّروا الأمر إلى قبر أبي لؤلؤة قاتل عُمَر بن الخطاب ودفعوا بالناس لزيارته والترحم عليه، علمًا بأن أبا لؤلؤة قُتل في المدينة ولا يوجد ما يدل على أنه كان مسلمًا ولربما كان مجوسيًا أو نصرانيًا![1].

(وهذا ما يمكن تأكيده عبر القصة التي يرويها الشيخ علي الكوراني في كتابه المعروف (طريقة حزب الله في العمل الإسلامي)[2] وما أثاره حول تدّخل السفارة البريطانية في طهران في تمويل مجلس عزاء حسيني وإلزام خطيبه بالحديث عن مظلومية الزهراء عليها السلام وكسْر ضلعها وإسقاط جنينها فقط، أي تحريضه على صبّ الزيت على النار وتصعيد الخلاف الطائفي المعروف والمصطنع والمفتعل بين السُنّة والشّيعة وإذكاء نيران الحرب بين الدولة العثمانية والصفوية التي كانت مشتعلة بينهما آنذاك!

الإشارة العابرة فقط إلى هذه الذكرى الأليمة لكي نجعل من استحضار صاحبتها أو استذكارها عليها السلام محطة استنهاض عظيمة لبنات الإسلام في الاقتداء بهذه الزوجة العظيمة والأم الكريمة والثائرة الطاهرة، فكرًا وسلوكًا، عبادةً وزهدًا، تضحيةً وجهادًا، وكيف أنها عليها السلام «**استقت بالقربة حتى أثّرت في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يدها، وكنست البيت حتى اغبّرت ثيابها، وأوقدت النار حتى دكنت ملابسها...**»[3] وكيف أنها كانت ترتدي عباءة «**مخيطةً من اثني عشر مكانًا**»[4].

نقول، يجب أن يكون إحياء ذكراها وفقًا لهذه القيم العظيمة، وألّا يقتصر على محور اللطم وإقامة مجالس العزاء بل علينا أن نوازن بين العِبرة والعَبرة، لقد جنّدت

---

(١) نقلاً عن كتاب «بين قوسين ـ جولة في دهاليز مظلمة» السيد محمد حسن الكشميري، دار النصر/ بيروت، ص ١٠٨ ـ ١٠٩.
(٢) «طريقة حزب الله في العمل الإسلامي» الشيخ علي الكوراني، ط١، ص١٦٠، ١٦١.
(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٣، ص٨٨.
(٤) بحار الأنوار، المصدر نفسه.

السيدة الزهراء نفسها لخدمة الإسلام منذ صباها، ففي معركة أُحد؛ إذ جُرح النبي ﷺ، وكان علي عليه السلام يغسل جرحه بالماء، أقبلت فاطمة إلى أبيها وعانقته، ساكبة على قلبه الكبير الحُبَّ والحنان، وجعلت تمسح الدَّم، ولذلك كان النبي ﷺ يناديها مرحّبًا: «**أهلًا بأُم أبيها**»[1] وعلينا ألاَّ نقوم بتوظيف رواية (الضلع) وسيّدتها إلى ما يُبعد الناس عن واقعهم وهمومهم ويسحبهم إلى متاهات التاريخ وأقوال البطّالين من المؤرّخين، وإنما أن تُستنزف الذكرى على عظمة هذه المرأة النموذج في حركتها على أرض الواقع، أي حُسن تبعّلها وصبرها وجهادها وعبادتها وتضحيتها وكفاحها وإيثارها (للجار على الدار) وهي تقول: «**نعم يا ولدي... الجار قبل الدار**» وكيف اختارت النوم على جلد كبش أو حصير، وكيف لم يزد مهرها عن درع بثمن زهيد، وكيف أطعمت الطعام على حبّه «**مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا**»[2]، وكيف تبرّعت بعقدها الوحيد في عتق رقبة، وفهمت إشارة أبيها في قلادة أو عقد استعارته وتزّينت به يوم عيدها فخلعته وبعثته إليه ﷺ وهو على المنبر حتى راح ﷺ يقول فيها: «**لله أبوها.. فداها أبوها...**» ومواساتها لبنات جيلها في جشوبة العيش ومكاره الدهر، وغير ذلك الكثير الكثير، مما لا يسع المجال لبحثه أو الاستطراد فيه ومما يدعونا لأن نقف إجلالًا وإكبارًا لهذه المرأة العظيمة والأم العظيمة، حتى صارت بحق قدوةً وأسوة لأهل الأرض أجمعين...)[3].

الملاحظ عند قراءة التاريخ الشِّيعي وأحاديث أهل البيت عليهم السلام بدقة سنجد نوعًا من الخلط بين تراثهم العظيم وبين أفكار الفلاسفة والمتكلمين والغُلاة الذين كانوا يدّعون تأييد الأئمة لهم أو ينسبون أقوالهم الباطلة إليهم عليهم السلام من خلال اصطناع الأحاديث الكاذبة ووضعها على لسانهم.

وعلى الرغم من سهولة التمييز بين أحاديث أهل البيت عليهم السلام وبين الأحاديث الموضوعة المنسوبة إليهم كذبًا، وذلك من خلال عرضها على القرآن الكريم وعلى الأحاديث الصحيحة الثابتة، والتأكد منها من خلال دراسة سندها ومعرفة رجالها وإمكانية التعرف على الكذّابين والوضّاعين والغُلاة وإسقاط رواياتهم... وكذلك

---

(١) أعلام الورى، مكتبة الحياة/ بيروت (١٩٨٥م) ص١١٣.

(٢) أعلام الورى، المصدر السابق، ص٧٣.

(٣) نقلًا عن كتاب «أزمة العقل الشّيعي» مختار الأسدي ط١ (٢٠٠٩م) ص١٥٣ ـ ١٥٥. (بالتصرف في ترتيب الجُمل وإضافة بعض الفقرات).

من خلال المقارنة التاريخية. على الرغم من ذلك فإنه مع الأسف الشديد غلب التقليد على ـ بعض ـ علمائنا الذين تأثّروا بالمتكلمين وآمنوا بأفكارهم الباطلة، فاستساغوا الروايات الضعيفة الكاذبة ولم يأبهوا لضعف سندها وانحراف رواتها، ولم يتعبوا أنفسهم كثيرًا في دراسة تلك الروايات من جوانبها المختلفة تحت حُجّة أنها ضرورية وبديهية ومُسلّمة، كما أغمضوا أعينهم عن قراءة التاريخ، وراحوا يشيحون بوجوههم عن الحقائق البارزة ويحاولون إنكارها أو تأويلها أو إهمالها... وراحوا يصرّون على التشبث بنظرياتهم الفلسفية البعيدة عن أهل البيت عليهم السلام.

ودأب بعض العلماء المجتهدين في الفقه والأصول والمقلّدين في موضوع العقيدة والتاريخ على ادعاء «الاجتهاد المطلق» ومعرفة أسرار الدين، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

يجب تولية التاريخ الشِّيعي العقائدي أهمية كبرى لدى المجتهدين والمراجع، ليقوموا بدراسة الروايات وتصفيتها من الدخيلة والضعيفة والموضوعة، ثم المقارنة بين الأحداث التاريخية وتفسيرها تفسيرًا علميًا صحيحًا، بلا تأويل تعسفي ولا إنكار أولي، لأن الأحداث تمّ التلاعب بها وأن الأمور غير ما هي عليه واقعًا.

وأعتقد أن المشكلة الكبرى التي تحول دون التوصل إلى اجتهاد سليم واستنتاجات دقيقة هو التشبث بالعقائد التقليدية الموروثة.

الواضح لكل منصف أنَّ هذا التاريخ الذي نسمعه ونتوارثه يحتاج إلى جهود جبّارة لاكتشاف الصحيح منه ولكن ولأننا نعيش في الحاضر فيجب علينا ألّا نستغرق في التاريخ من دون أن نطلّ على الحاضر. لقد حصلت في التاريخ الإسلامي اهتزازات استقام فيها وانحرف فيها من انحرف، لذلك فإن الله من خلال كل آيات القرآن يريد أن يقول لنا إنَّ دوركم في التاريخ عندما تقرأونه أو تسمعونه هو دور العِبرة ودور الإنسان الذي يدخل المدرسة ليتعلم فيها وليطبّق ما تعلّم عندما يخرج منها إلى ساحة العمل، ولعل أبلغ تعبير عن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] فالإنسان العاقل هو الذي يقرأ التاريخ لا ليغيب في تفاصيله ولكن ليأخذ العِبرة والدروس عندما يريد أن يصنع تاريخًا

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

جديدًا، والقاعدة الإسلامية في معنى التاريخ وموقف الإسلام من التاريخ هي قوله سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾[1].

لذا يجب علينا ألا نقع في وحول التاريخ، بل يجب أن ننطلق منه ليستقيم خطنا وطريقنا ونستفيد من عِبَرِ الماضين لبلورة مفاهيمنا التي تعكس أفعالًا في سلوكنا ومستقبلنا!

للأسف إننا أدخلنا عصبياتنا وأهواءنا وقناعاتنا الشخصية في تلوين وتشكيل التاريخ؟!

ولعل هذا هو عين ما أشار إليه الثعالبي في (يتيمة الدهر) ٣/ ١٧٩ حين سَخِر من القصاصين المغرضين الذين كانوا يتفقون على نسج أو افتعال مشادات وهمية هادفة وحاذقة تدرّ عليهم أرباحًا، كأن يتفق القاصّ السُنّي مع زميله الشيعي ويقف كل منهما إلى جانب في الأسواق والميادين العامة فيبدأ الشيعي بالحديث عن فضائل علي عليه السلام والسُنّي بفضائل أبي بكر وعمر، فإذا مرَّ الشِّيعي يدفع لمن يحدّث بفضائل علي وأهل البيت، والسُنّي يدفع إلى الطرف الآخر، وحين يستولي الحماس على الإثنين يبذل المارّة لكل منهما بسخاء، فإذا كان آخر النهار يجتمعان في خلوة بعيدة عن الأنظار ويتقاسمان (المقسوم)!

هكذا نشأت هذه العصبيات التي أوصلتنا إلى ما نحن عليه من كراهية وحقد وتكفير لبعضنا البعض وقسّمت الأُمة إلى فِرق وأحزاب علمًا أن الله يقول في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[2] ﴿...وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[3].

لكن وللأسف فإنَّ المسألة أصبحت سُنيّة ـ شيعيّة ليختلف الفريقان على أساس التاريخ... باعتبار أنهم قرروا الخلاف في كل شيء...!!

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

هل الناس تُقلِّد المراجع أم العكس؟

لا غرابة من هذا التساؤل فقد مرّت في التاريخ الشّيعي خصوصًا، وفي التاريخ الإسلامي عمومًا، أحداث ومراحل لم يستطع فيها المرجع الفقيه أن ينطق بما يراه، ونُقل عن المرجع البروجردي(*) كما يقول الشيخ مطهّري عنه بأنّه كان يتوقع حين يتسلّم زمام المرجعية بأنَّ عليه أن يُفتي وعلى الناس أن يتقيّدوا بفتاواه، دون أدنى شك، حيث جاء عنه:

«ليس ثمة ما يدعو للعجب، فالتقية من أصحابنا أهم وأعلى، أنا نفسي في أوائل بلوغي مرحلة المرجعية العامة كنت أظن أن عليّ أن استنبط الأحكام وعلى الناس العمل بها، فيما أُفتي به الناس، رأيت أن الأمر ليس كذلك»[1].

لكن ذلك لم يتمّ بل كانوا يقولون للسيد البروجردي: إننا نقلّدك في كل أيام السَنة، إلّا في عشرة عاشوراء! وماذا يعني ذلك؟

سؤال أترك جوابه للناس عمومًا وللعلماء خصوصًا، ولسنا بعيدين عن السيد البروجردي وما كان يجري حوله وقبله وبعده، نتساءل:

هل أن المرجع الفلاني اليوم يستطيع أن يُفتي بكل ما يراه حتى لو خالف الناس؟

وهل أن العالم الفلاني يستطيع أن يُبدي رأيه المُخالف للناس؟

جوابًا على ما تقدّم اليوم هكذا:

المرجع لا يستطيع أن يُفتي بما يخالف الناس، وإمام الجماعة لا يستطيع أن يتكلّم بما لا يقبل به الناس، والكاتب لا يستطيع أن يكتب ما يعلم خوفًا من أن

(*) آية الله البروجردي مرجع الشّيعة الكبير، وهو صاحب الخطوة الأولى نحو التقريب بين المذاهب، دعم تشكيل مؤسسة «دار التقريب بين المذاهب» ومؤسسها عالم شيعي، إيراني هو الشيخ محمد تقي القمي الذي بفضل جهوده صدرت الفتوى الشهيرة للشيخ شلتوت في الاعتراف رسميًا بالمذهب الشّيعي في الوسط السُنّي، وبالذات في جامعة الأزهر..

(١) الاجتهاد في الإسلام، الشهيد مرتضى مطهري، ص ٦٤.

يهيج الناس، والعالم العلّامة لا يستطيع أن يتفوّه بما يعارض الناس، فالناس هم المعيار للفتوى والمعيار للحق والباطل والصدق والكذب!.

سبحان الله، يخافون من الناس ويخشونهم أكثر من خوفهم وخشيتهم من الله، بل إنهم ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾[1] أي يستترون من الناس حياء منهم وخوفًا من ضررهم كما جاء في بعض التفاسير ونسوا أنَّ ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾[2] من كانوا؟!!

وعجبا أن ترى بعض العلماء يقولون ويُردِدونَ: لا تربك الناس والساحة ولا تهيّجهم ولا تزعزع أفكارهم حتى وإن كانت خاطئة، فلا بد من كتمان الحق خوفًا من الناس، ولا بد من تغييب الحقيقة فما كل ما يُعرف يقال.

الله الله في الناس! لا تزعجوهم ولا تقولوا ما يخالفهم ولا تتفوهوا بما يزعجهم ويخالف أفكارهم.

الله الله فيهم، فهم أهل التقوى وهم أهل الأفكار الصحيحة والعقائد الحقة التي لا يستطيع أي عالم وأي مرجع أن يخالفهم، بل إنهم هم المُقَلَّدون.

ولنا في القضايا التاريخية والعقائدية أشد الأثر فليس لأحد الجُرأة (إلاّ القلّة) على مخالفة معتقدات الناس ومرتكزاتهم الذهنية الذاتية، وليس لأحد الجرأة على مخالفة موروثات الناس التاريخية المكتسبة حتى أكبر مرجعية شيعيّة لا تستطيع أن تخالف الرأي السائد للناس وإلّا أُسقطَت مرجعيتها وصارت علكة في أفواههم لا تُستساغ، كما حدث...

وأقول للعلماء: الله الله في الناس لا تتجرؤوا على مخالفتهم ولا تمدّوا أعينكم أبعد من نظرهم، ولا تفكرّوا بما يخالف آراءهم.

إكتموا الحقيقة واخفوا عنهم كل أثر عقائديًا كان أو فقهيًا، بل إن الأمور العقائدية لا بد أن تُخفى عنهم أكثر من القضايا الفقهية، استمعوا للناس وقولوا ما يقولون واعتقدوا بما يعتقدون وافتوا حسب ما يرون فهم المراجع وأنتم المُقلِّدون.!!

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

إننا في واقع مأساوي! يُحارب فيه العالم الجريء الذي يصدح بالحق أمام الناس وممن يُحَارب؟! من أبناء صنفه وجلدته، والأدهى والأمرّ أن يستخدم الناس وسيلة لمحاربته والفتك به وبأفكاره، وإسقاطه من أعينهم، إرضاء للناس وتطيبًا لخواطرهم وأفكارهم القرآنية السليمة وعقائدهم النيّرة فسبحان الله حين تمسون وحين تُصبحون. . . !![*].

إنَّ من المعروف وجود كثير من الأساتذة والفقهاء في الحوزات العلمية[**]، ولكن ليس كل واحد منهم يصبح مرجعًا دينيًا، حيث يموت الكثير منهم دون أن يسمع بهم أحد. . وذلك لأن المرجعية تشبه الزعامة السياسية لا يصل إليها من لا يسلك طريقها ويمتلك أدواتها ـ عادة ـ وفيها نوع من التنافس والصراع الذي يحتدم أحيانًا ويخف أحيانًا أخرى، وكل أستاذ أو فقيه يفكر بأن يصبح مرجعًا أو مرجعًا أعلى لا بد أن يؤسس مدارس ويجمع طلبة خاصين ويؤلف حاشية من المريدين ويوزع رواتب شهرية، وهذا يقتضي منه أن يحصل على أموال من الناس، والناس لا يعطون المال إلَّا بصعوبة ولمن ينسجم معهم ومع أفكارهم، وهذا يتطلب من المرجع الديني أو الساعي من أجل المرجعية أن ينسجم مع الناس ويتخلى عن أفكاره الإصلاحية ويتجنّب توجيه النقد الحاد لأفكارهم وممارستهم و«عقائدهم» وعاداتهم والخُرافات الشائعة بينهم، إلَّا بالقدر الذي يجلب له المصلحة والشعبية والمال.

وكُلّما تقدم الأستاذ في طريق المرجعية وأصبحت له حاشية ووكلاء وطلبة، وخدم وحشم ومنافسون ألداء، تخلى (الأستاذ ـ المرجع) عن أفكاره الإصلاحية وآرائه الخاصة وتجنّب لغة الحق والباطل والصواب والخطأ، ليتحدّث بلغة المصلحة العامة والممكن و «**ما لا يُدرك كله لا يُترك جُلّه**» إلى أن يصبح تابعًا ومقلدًا لعوام الناس في أساطيرهم وحكاياتهم الشعبية وخُرافاتهم المغلّفة باسم

(*) مقتبسة (بالتصرف) من مقال للشيخ عباس الموسى.

(**) للأسف لقد تحولت بعض الحوزات العلمية إلى مراكز لنشر الغلوّ والخرافة والانغلاق والتحجّر وحتى إلى التصخّر والدوغماتيّة وهذا ما أطلقه منفعلًا إبن أحد هذه الحوزات وهو العلّامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين، حين قال يومًا: «**إن حوزة النجف متخشّبة جبانة**»، راجع كتاب (مواقف وتأملات في قضايا الفكر والسياسة) ط٢ (١٩٩٢) ص٢١٥.

الدين، ولا يجرؤ على محاربة بدعة أو نقد أي انحراف في الأمة، مع أنه المسؤول الأول عن هداية الناس وتعليمهم أحكام الله. . .

وقد عانى السيد هبة الدين الشهرستاني أحد أبرز عُلماء العراق المصلحين في بداية القرن العشرين، من انقلاب دور رجال الدين وتقاعسهم عن أداء أدوارهم الإرشادية والتوعوية وقيامهم بمحاربة الحركة الإصلاحية، وتحدّث في مجلّة (العلم) عن تخلي بعض العلماء عن علمهم وتقليدهم للعوام والجهال طمعًا في مالهم.

ومن المعروف أنّ المؤسسة الدينية السُنيّة ـ عادة ما ـ تكون تابعة ماليًا لأجهزة الحكومات، وهو ما يفقدها في الغالب استقلاليتها أمام الحكام، مع وجود عُلماء أحرار يجاهرون بكلمة الحق من دون هيبة أو طمع، كما أن المعروف أن المؤسسات الدينية الشِّيعيّة نمت بعيدًا عن الحكم وفي أوساط الشعب وقدمت عُلماء أحرارًا كثيرين يخلصون لدينهم ولا يراعون أية مصلحة خاصة، ولكن الارتباط العام بالجماهير والاعتماد عليهم في الرزق أدى إلى نشوء نوع من التبعية والتقليد لهم.

وعندما كان العلماء أو «رجال الدين» يتحلّون بالزهد في الدنيا ويرضون بالكفاف ويعيشون على الخبز والملح ولا يفكرون في الزعامة أو كانوا يعملون بأيديهم ويكسبون قوتهم بعرق جبينهم كانوا أكثر حرية في قول الحق ومحاربة الباطل، ولكنهم عندما انهمكوا أو ينهمكون في ملذات الدنيا وشراء الدور والقصور والسيارات الفخمة ويحلمون ويعملون من أجل الزعامة السياسية والدينية فإنهم يضطرون إلى استخراج أموال طائلة من الشعب لكي تُدير عجلة مرجعيتهم، ويضطرون مرة أخرى إلى مداهنة الناس ومجاراتهم وتجنب ما يزعجهم، وقد يلعب الشيطان في عبهم ـ كما يقولون ـ فيصوّر لهم تنازلاتهم ومداهناتهم تلك في خدمة الإسلام والمُسلمين، لأنهم يريدون أن يرتقوا ويمتلكوا القوة ويصبحوا مراجع أعلين حتى يقوموا بالإصلاح المطلوب بعد ذلك، أو يبرر لهم الشيطان إحجامهم عن قول الحق بأنه يضر بالمصلحة العامة وقد تُقْطع بعض الأموال الشعبية عنهم، وهذا ما يؤدي إلى جوع بعض العوائل الفقيرة التي ينفقون عليها، وتعطيل بعض المؤسسات الإسلامية العاملة، أو صعود منافسيهم «الأشرار» أو «غير الأكفّاء» على سدة المرجعية والهيمنة على المجتمع. . . وما إلى ذلك من التبريرات التي يحلو لهم قبولها أو اختراعها وإقناع الشيطان بها.

إن الصحفيين وأصحاب الصحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون - عادة - يسعون إلى كسب القرّاء والمشاهدين من أجل الحصول على أكبر قدر من الإعلانات لتغطية نفقاتهم وربما يقومون بالدعاية لمصلحة زعيم أو حزب سياسي أو دولة أجنبية ولا يلتزمون الحق والباطل بقدر ما يلتزمون تحقيق رضا المشاهدين والقرّاء وعدم إزعاجهم، ولكن الصحفيين والإعلاميين لا يقولون أنهم يمارسون عملًا دينيًا بل يعلنون أنهم يقومون بعمل تجاري إعلامي، ومع أنهم مسؤولون أمام الله لو قاموا بخيانة مبادئهم أو ساهموا في تضليل الناس، إلّا أنهم ليسوا كرجال الدين الذين يدّعون حراسة الدين والمحافظة عليه والدعوة إلى الله ثم يخونون الناس والله في عملهم فيبيعونهم خُرافات وأساطير باسم الدين، وهذا من أشد أنواع الغش والتدليس.

إنَّ الكثير من رجال الدين - على مرّ العصور - حريصون على مصالحهم المادية، التي تمنعهم من قول الحقيقة - وأصبحت مهمّة الفقيه هي تبرير المواقف والأراء السياسيّة والدينية تبعًا للسياسة التي يتبنّاها (الحاكم السياسي أو الديني)! - وقد عانى منهم الأنبياء والمرسلون لكتمانهم الحقائق وتلاعبهم بالأديان، ولذلك حذّر الله تعالى منهم قائلًا:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾[1]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾[2].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ...﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾[١].

إن البعض يكتم الحقيقة بسبب الخوف من الناس!

لا معنى للخشية من الناس، وما قيمة رضاهم وهم نتاج السُنن القديمة وإفراز التقاليد التي لا يقبلها عقل!

ما قيمة رضاهم مقابل رضا الله عزَّ وجلّ؟! ما قيمة رضا هؤلاء حيال الحق والحقيقة)؟!

وأخيرًا نقول: نعم للعمامة المخلصة. نعم للمرجع العادل الذي يخاف الله ولو بغضب أهله وذويه وعامّة الناس. نعم للمرجعية التي تسعى إلى الحق والمنفتحة على هموم الناس وآلامها. نعم لدين الله الأصيل الخالي من الغُلوّ والخُرافة. نعم للمذهب الإمامي النقي من كل الموضوعات واللامنطق. نعم لترك العقول تتعاطى فهم الأمور دون غشٍ وتخدير!

هل نحنُ شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام حقًا؟

جوابًا على هذا السؤال المهم لا بد هنا من الإشارة إلى هذه الحقيقة المهمّة، وهي أن أهل البيت عليهم السلام لطالما اشتكوا من هؤلاء الذين يدّعون التشيُّع والأصحاب بما لم يشتكوا من حكام الجور وأعوان الظلَمة. وعندما نُراجع التاريخ سنجد أنَّ أمير المؤمنين عليًّا بن أبي طالب عليه السلام لطالما عانى من شيعته حتى وصفهم «**بأَشْبَاهِ الرِّجَالِ وَلا رِجَالَ**».

فقد كان عليه السلام يحثّهم على الجهاد ويذم القاعدين ولا يأبهون! ومما قاله لهم:

«فَإذَا أَمَرْتُكُم بِالسَّيْرِ إِلَيْهِم فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُم هذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ[٢] أَمْهِلْنَا يُسَبَّخ عَنَّا الحرُّ[٣] وَإِذَا أَمَرْتُكُم بالسَّيْرِ إِلَيْهِم فِي الشِّتَاءِ قُلْتُم هذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ[٤] أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ، كُلُّ هذَا مِنَ الحَرِّ والْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُم مِن الحَرِّ وَالْقَرِّ تفِرُّون فَإِذَا أَنْتُم واللهِ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٤.

(٢) حمارة القيظ: شدة الحر.

(٣) يسبخ: التسبيخ بالخاء المعجمة: التخفيف والتسكين.

(٤) صبارة القر: صبارة الشتاء: شدة برده والقر بالضم: البرد.

مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ **يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلاَ رِجَالَ**. حُلُومُ الأَطْفَالِ. وَعُقُولُ رَبَّاتِ الحِجَالِ[1] لَوَدِدْتُ أَنِّي لَـم أَرَكُـم وَلَـم أَعْـرِفْكُـمْ. مَعْرِفَةٌ وَاللهِ جَرَّت نَدَمًا وَأَعْقَبَت سَدَمًا[2]. **قَاتَلَكُمُ اللهُ لَقَد مَلأْتُم قَلْبي قَيْحًا**[3]. **وَشَحَنْتُم صَدْرِي غَيْظًا**[4]. **وَجَرَّعْتُمُوني نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا**[5] **وَأَفْسَدْتُم عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ والْخذْلاَنِ. .**»[6]!

وهكذا شيعة الإمام الحُسين عليه السلام هم الذين قتلوه، فقد قال السيد محسن الأمين (رحمه الله): «**بايع الحُسين عشرون ألفًا من أهل العراق، غدروا به وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم وقتلوه**»[7].

ويقول الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري:

(السؤال هو كيف خرج أهل الكوفة لقتال الحُسين عليه السلام بالرغم من حبهم وعلاقتهم العاطفية بالحُسَيْن عليه السلام؟

والجواب: هو الرعب والخوف. . . هذا بالإضافة إلى تغلّب عامل الطمع، والحرص على الثروة، والمال، وجاه الدنيا. . . وأمَّا وجهاء القوم ورؤساؤهم، فقد أرعبهم ابن زياد، وأغراهم بالمال، منذ اليوم الأول الذي دخل فيه إلى الكوفة، حيث ناداهم جميعًا، وقال لهم من كان منكم في صفوف المعارضة، فإنّي قاطعٌ عنه العطاء.

نعم وهذا عامر بن مجمع العبيدي أو [مجمع بن عامر] يقول: «أمَّا رؤساؤهم، قد أُعظِمت رشوتهم، ومُلئت غرائزهم»(*))[8].

---

(١) حجال: جمع حجلة وهي القبة وموضع يُزيّن بالستور والثياب للعروس، وربات الحجال: النساء.

(٢) السدم: محركة الهم أو مع أسف أو غيظ.

(٣) القيح: ما في القرحة من الصديد.

(٤) شحنتم صدري: ملأتموه.

(٥) النغب: جمع نغبة كجرعة وجرع لفظاً ومعنى والتهمام بالفتح الهمّ وكل تفعال فهو بالفتح إلّا التبيان والتلقاء فإنهما بالكسر. وأنفاسا أي جرعة بعد جرعة.

(٦) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م) ط ٢، ج٢، ص ٧٤، خطبة (٢٧).

(٧) أعيان الشِّيعة، ١: ٣٤.

(*) في الكامل لابن الأثير، جاءت بصيغة قريبة: «**أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائزهم**»، ذِكْر مسير الحسين إلى الكوفة، ط٤، ج٣، ص٢١٨.

(٨) الملحمة الحسينية، الدار الإسلامية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م) ط ٢، ج ٣ ص ٤٧ ـ ٤٨.

فالمظلومية التي تعرّض لها أهل البيت عليهم السلام من هؤلاء الذين يدّعون التشيُّع المكذوب والمغالي فاقت كل ظلامة واجهها الأئمة عليهم السلام حتى أن **الإمام موسى بن جعفر** عليه السلام كان يقول:

«**لو ميّزت شيعتي لم أجد إلّا واصفة (أي قولًا بلا عمل) ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلّا مرتدّين، ولو تمحصّتهم لما خلص من الألف واحد، ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم إلّا ما كان لي، إنهم طالما اتّكؤوا على الأرائك، فقالوا: نحنُ شيعة علي، إنّما شيعة علي من صدقَ قولَه فعلُه**»[1].

وكذا باقي الأئمة عليهم السلام فعن عثمان بن عيسى، عن محمد بن عجلان قال: «**كنتُ عند أبي عبد الله** عليه السلام **فدخل رجلٌ فسلّم، فسأله كيف من خلّفت من إخوانك؟ قال: فأحسن الثناء وزكّى وأطرى**[2] **فقال له: كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم؟ فقال: قليلة، قال: وكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم**[3]**؟ قال: قليلة، قال: فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟ فقال: إنك لتذكر أخلاقًا قلَّ ما هي فيمن عندنا، قال: فقال: فكيف تزعم هؤلاء أنّهم شيعة**»[4].

وعن أبي علي، عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن أبي إسماعيل قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: **جعلت فداك إنَّ الشّيعة عندنا كثيرٌ فقال: هل يعطف الغنيُّ على الفقير؟ وهل يتجاوز المحسن عن المسيء؟ ويتواسون؟ فقلت: لا، فقال: ليس هؤلاء الشِّيعة، الشّيعة من يفعل هذا**»[5].

وعن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن بعض أصحابه، عن أبان عن عمرو بن خالد وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «**يا معشر الشِّيعة ـ شيعة**

---

(١) فروع الكافي، ـ باب إنما شيعة علي من صدق قوله فعله، حديث رقم (٢٩٠)، ج ٨ ص ١٩١.
وفي رواية أخرى جاءت هكذا: «**لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واضعة (أي يضعون الحديث) ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو تمحصّتهم لما خلص من الألف واحد...**» الكليني، الكافي، ج ٨ ص ٢٢٨.

(٢) أطريت فلاناً مدحته مما فيه وقال الجواهري: الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

(٣) المراد به حسن النظر والإلتفات إلى الفقراء.

(٤) أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر ـ باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقه، ح١٠، ج٢، ص١٧٣.

(٥) أصول الكافي، كتاب «الإيمان والكفر» ـ باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقه، حديث رقم (١١) ج٢، ص١٧٣.

آل محمّد ـ كونوا النمرقة الوسطى[1] يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي، فقال له رجلٌ من الأنصار يُقال له سعد: جُعلت فداك ما الغالي؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أولئك منّا ولسنا منهم، قال: فما التالي؛ قال: المرتاد يريد الخير، يبلّغه الخير يؤجر عليه، ثم أقبل علينا فقال: والله ما معنا من الله براءة ولا بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله حُجّة ولا نتقرَّب إلى الله إلّا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعًا للَّه تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصيًا للَّه لم تنفعه ولايتنا، ويحكم لا تغترُّوا، ويحكم لا تغترُّوا»[2].

وعن أبي عليّ الأشعري، عن محمد بن سالم، وأحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، جميعًا عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام **«قال: قال لي: يا جابر أيكتفي من ينتحل التشيُّع أن يقول بحبّنا أهل البيت، فواللَّه ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله وأطاعه وما كانوا يُعرفون يا جابر إلّا بالتواضع والتخشّع والأمانة وكثرة ذكر الله والصّوم والصّلاة والبرّ بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء. قال جابر: قلت: يا بن رسول الله ما نعرف اليوم أحدًا بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبنَّ بك المذاهب حسبُ الرّجل أن يقول: أحبُّ عليا وأتولّاه ثمَّ لا يكون مع ذلك فعّالًا؟ فلو قال: إنّي أحبُّ رسول الله فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيرٌ من علي عليه السلام ثمَّ لا يتّبع سيرته ولا يعمل بسنّته ما نفعه حبّه إيّاه شيئًا، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبُّ العباد إلى الله عزَّ وجلَّ [وأكرمهم عليه] أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يُتقرّبُ إلى الله تبارك وتعالى إلّا بالطاعة وما معنا براءةٌ من النّار ولا على الله لأحد من حجّة، من كان للَّه مطيعًا فهو لنا وليٌّ ومن كان للَّه عاصيًا فهو لنا عدوٌّ، وما تنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع»[3].**

وقال أبو الصباح الكناني لأبي عبد الله عليه السلام: **«ما نلقى من الناس فيك؟! فقال أبو عبد الله** عليه السلام: **«وما الّذي تلقى من الناس فيَّ؟ فقال: لا يزال يكون بيننا وبين**

---

(١) النمرقة: الوسادة الصغيرة، والتشبيه باعتبار أنها محل الاعتماد.

(٢) أصول الكافي، كتاب «الإيمان والكفر» دار الأضواء/ بيروت، ج ٢، ص ٧٥، ٧٦.

(٣) أصول الكافي، كتاب «الإيمان والكفر» باب الطاعة والتقوى، ج٢، ح٣، ص٧٤، ٧٥. بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٩٨.

الرّجل الكلام فيقول: جعفريٌّ خبيث، فقال يُعَيِّرُكُمْ الناس بي؟ فقال له أبو الصباح: نعم قال: فقال: ما أقلَّ والله من يتَّبع جعفرًا منكم، إنّما أصحابي من اشتدَّ ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، فهؤلاء أصحابي»[1].

وعن أبي أسامة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**عليك بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق وحسن الجوار وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم وكونوا زيْنًا ولا تكونوا شيْنًا، وعليكم بطول الركوع والسجود، فإنَّ أحدكم إذا طال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه وقال: يا ويله أطاع وعصيت وسجد وأبيت**»[2].

وعندما وجد الإمام الصادق أكثر من يدّعي التشيُّع في زمانه كاذبًا في دعواه لا يلتزم بدقة تعليماته وأقواله خاطبهم بصراحة: «**كان أصحاب أبي والله خيرًا منكم، كان أصحاب أبي ورقًا لا شوك فيه، وأنتم اليوم شوك لا ورق فيه، فقال أبو الصباح الكناني جُعلت فداك: فنحن أصحاب أبيك، قال: كنتم يومئذ خيرًا منكم اليوم**»[3]. وقال لزيد الشحام: «**مالكم وللناس قد حملتم الناس عليّ، إني والله ما وجدت أحدًا يطيعني ويأخذ بقولي إلّا رجلًا واحدًا رحمة الله عليه عبد الله بن أبي يعفور**»[4]. وهو الذي كان يحارب الغُلاة ويقول: «**إن الأوصياء عُلماء أبرار أتقياء**»[5]. وقد جاء سدير الصيرفي إلى الإمام الصادق عليه السلام يحرضه على الثورة زاعمًا أن عدد الشِّيعة يبلغ مئات الألوف أو نصف الدنيا فقال له الإمام: **والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء (وأشار إلى قطيع) ما وسعني القعود». فعدَّ سدير الجداء، فإذا هي سبعة عشر**[6]. مما يدل على عدم اعتراف الإمام الصادق بكثير ممن ينتحلون التشيُّع في

---

(١) أصول الكافي، كتاب «الإيمان والكفر» دار الأضواء/ بيروت، ج٢، ص ٧٧.

(٢) أصول الكافي، المصدر نفسه، ص٧٧، ح٩.

(٣) رجال الكشي، إختيار معرفة الرجال، النص، ص٣٥٠، رقم (٦٥٥).

(٤) الكشي، ترجمة عبد الله بن أبي يعفور، عن حمدويه، قال: حدثنا أيوب بن نوح، عن محمد بن الفضيل، عن أبي أسامة زيد الشحام. ولعل من أشهر الوضاعين على لسان أهل البيت هو الزنديق عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي اندس في صفوف الشِّيعة فترة من الزمن، قبل أن يُكشف أمره ويُحكم بالإعدام، والذي اعترف قبل مقتله «**بأنه وضع أربعة آلاف حديث أحل بها الحرام وحرم بها الحلال، وفطّر الرافضة في يوم من أيام صومهم وصوّمهم في يوم من أيام فطرهم**» البغدادي، الفَرق بين الفِرَق، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٥) رجال الكشي، ترجمة عبدا لله بن أبي يعفور.

(٦) الكليني، الكافي، كتاب «الإيمان والكفر» باب في قلة عدد المؤمنين، ح رقم (٤) ص٢٤٢، ٢٤٣.

تلك الأيام. ولذلك غضب الإمام عندما قال له أبو الصباح الكناني: «**إنا نُعيَّرُ بالكوفة فيقال لنا «جعفرية». ثم قال ـ الإمام ـ: إن أصحاب جعفر منكم لقليل، إنّما أصحاب جعفر من اشتد ورعه وعمل لخالقه**».

وفي حديث آخر عن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام:

«**لوددتُ أنَّ أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتّى يتفقّهوا**»[1].

وعن أبي حاتم السجستاني عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«**الشيعة ثلاثة أصناف: صنف يتزيَّنون بنا وصنف يستأكلون بنا، وصنف منا وإلينا، يأمنون بأمننا ويخافون بخوفنا...**»[2].

وتداول الشِّيعة في تلك الأيام حديثًا عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يصوّر حالة الشِّيعة في ذلك الزمن، يقول فيه: «... **فيا عجبًا ومالي لا أعجب من خطأ هذه الفِرَق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصرون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي... ووا أسفًا من فعلات شيعتي من بعد قرب مودتها اليوم كيف يستذل بعدي بعضها بعضًا وكيف يقتل بعضها بعضًا، المُشتّتة غدًا عن الأصل، النازلة بالفرع، المؤمّلة الفتح من غير جهته، كل حزب منهم آخذ منه بغصن، أينما مال الغصن مال معه...**»[3] وربما كان هذا الحديث من تأليف بعض المعاصرين لتلك الفترة، ولكنه يحكي واقع التشتّت والخلافات الداخلية، التي كانت تعصف بالشِّيعة في تلك الأيام.

وهكذا نرى أنَّ ـ أكثر ـ الشِّيعة إنّما نسبوا أنفسهم للتشيُّع بدوافع شخصية وأهواء نفسية ومصالح مادية فكانوا يطرحون تصوراتهم وعقائدهم من خلال ما ينسبونه إلى أهل البيت عليهم السلام من أحاديث موضوعة وروايات محرّفة، ولو ألقينا نظرة على كتب الرجال وطالعنا سيرة الرواة وأصحاب الأئمة لرأينا العجب العُجاب من كثرة الدجّالين والغُلاة وأهل البدع وأصحاب المطامع الذين اتخذوا من صحبة الأئمة عليهم السلام ستارًا وقناعًا يسترون بها مطامعهم ونيّاتهم، وبذلك تمكنوا من توجيه

(١) أصول الكافي، كتاب فضل العلم، باب «فرض العلم ووجوب طلبه» ج١، ح٨، ص٣١.

(٢) مشكاة الأنوار، الفصل الثاني، في ذكر صفات الشِّيعة، ص٦٣.

(٣) الكشي، الجعفرية.

ضربات مدمّرة للدين والمذهب بهذه الطريقة، فعن حميد بن زياد عن الحسن بن محمد، عن وهيب بن حفص عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**رحم الله عبدًا حبّبَنا إلى الناس ولم يبغّضْنا إليهم، أما والله لو يروون محاسن كلامنا لكانوا به أعز وما استطاع أحد أن يتعلّق عليهم بشيء ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحط إليها عشرًا**»[1].

وأخيرًا: فلينظر كل شيعي إلى جيرانه ومعاملة الناس لبعضهم البعض، والافتراء والكذب وعدم الورع عن محارم الله، وعدم الدعوة بالتي هي أحسن، والسبّ ولعن المخالف والغيبة والنميمة والربا والزنا والبُهتان والغش والحسد والتعصّب الديني والسياسي والتبعية العمياء وأكل مال بعضنا البعض، والحقوق المهدورة، ومنظر الأوساخ في مجتمعاتنا وعدم التقيّد بالنظام العام والقانون، والفسق والفجور وعدم الأمانة وعدم احترام المواعيد، وعدم كفّ الألسن عن الناس... وغيره وغيره، سيجد أننا أبعد ما نكون عن تشيُّع أمير المؤمنين وأئمتنا عليهم السلام وتقواهم **وطاعتهم لله وورعهم!!**

كتابا سليم بن قيس وتفسير العسكري

والأنكى من ذلك أن عُلماء الشِّيعة، الذين عرفوا الدجالين من الشِّيعة والرواة من خلال تحقيقات أصحاب الرجال والمؤرخين وطعنوا في رواياتهم وكُتبهم، لا يمتنعون عن نقل هذه الروايات بإسناد هؤلاء الكذابين والوضاعين في كتبهم بحيث أنَّ القارىء الشِّيعي عندما يجد هذه الرواية في كتاب الشيخ المفيد أو الشيخ الطوسي يتصوّر أنَّ هذه الرواية معتبرة ويلتزم بمضمونها في حين أنَّ المفيد نفسه أو الطوسي يعترف في مكان آخر بضعف سندها أو عدم اعتبار الكتاب الذي أخذ منه هذه الرواية، ومثال ذلك ما نراه من موقف عُلماء الشِّيعة من كتاب «**سليم بن قيس**» حيث يقول عنه ابن الغضائري: «**يُنسب إليه الكتاب المشهور باسمه، وكان أصحابنا يقولون: إن سليمًا لا يُعرف، ولا ذُكِر في خبر، وقد وجدت ذكره في مواضع من**

---

(١) فروع الكافي، باب «إنما شيعة علي من صدق قوله فعله» حديث رقم (٢٩٣)، ج ٨، ص ١٩٢.

غير جهة كتابه . . . والكتاب موضوع لا مرية فيه، وعلى ذلك علامات تدل على ما ذكرنا [منها] ما ذُكِر محمد بن أبي بكر وَعَظَ أباه عند الموت.

[ومنها] أن الائمة ثلاثة عشر! وغير ذلك، وأسانيد هذا الكتاب تختلف تارة برواية عمر بن أذينة عن ابراهيم بن عمر الصنعاني عن أبان بن أبي عياش عن سليم وتارة يروي عن عمر بن أبان بلا واسطة»[1].

وقد ضعّف الشيخ المفيد (كتاب سليم) فقال: «**أنّ هذا الكتاب غير موثوق به ولا يجوز العمل على أكثره، وقد حصل فيه تخليط وتدليس، فينبغي للمُتديّن أن يتجنّب العمل بكل ما فيه، ولا يعوّل على جملته والتقليد لراويه، وليفزع إلى العلماء فيما تضمنّه من الأحاديث ليوقفوه على الصحيح منها والفاسد والله الموفّق للصواب**»[2].

وانتقد الشيخ المفيد: الصدوقَ على نقله الكتاب واعتماده عليه، وعزا ذلك إلى منهج الصدوق الأخباري، وقال عنه: «**إنه على مذهب أصحاب الحديث، في العمل على ظاهر الألفاظ والعدول عن طرق الاعتبار، وهذا رأي يضرّ صاحبه في دينه، ويمنعه المقام عليه من الاستبصار**»[3] لكن عامة الشِّيعة في ذلك الزمان كانوا يشكون في وضع واختلاق كتاب سليم، وذلك لروايته عن طريق (محمد بن علي الصيرفي أبو سمينة) الكذّاب المشهور، حيث يقول عنه النجاشي في رجاله: «**وذكر الفضل في بعض كتبه: من الكذابين المشهورين أبو الخطاب ويونس بن ظبيان ويزيد الصايغ ومحمد بن سنان وأبو سمينة أشهرهم**»[4] و**(أحمد بن هلال العبرتائي) الغالي الملعون** كما يذكر ذلك الكشي في رجاله[5].

وأما «**تفسير العسكري**» فإنه قد كُتب بإنشاء ضعيف، ونُسب إلى الإمام العسكري عليه السلام وهو كتاب موضوع بأجمعه، ويُعلم من بعض القرائن أنَّ مؤلّف هذا

---

(١) الحلي، الخلاصة، ص ٨٣.

(٢) المفيد، أوائل المقالات ص٢٤٧، وشرح عقائد الصدوق، دار الكتاب الإسلامي، بيروت/ لبنان (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) ص١٢٦.

(٣) شرح عقائد الصدوق، المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

(٤) رجال النجاشي، منشورات الأعلمي/ بيروت، ط ١ (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م) ص ٣٨٦.

(٥) رجال الكشي، منشورات الأعلمي/ بيروت، ط ١ (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

الكتاب شخص شيعي ساذج التفكير، معوّج السليقة، كتبه بقصد رفع مقام الأئمة عليهم السلام، ولم يمتنع فيه عن كتابة الأساطير والمطالب غير الواقعية. ويتضح من سياق الكتاب كذلك أن مؤلفه ضعيف جدًا في الأدب العربي وغير قادر على تشخيص المطالب الصحيحة بين السقيمة ولم يكن ذا اطلاع حتى على التاريخ الإسلامي، ونُقل عن العلّامة الكبير المرحوم آية الله الشيخ محمد رضا مسجد شاهي أصفهاني أنه قال: «**هذا كتاب ألّفه شخص يصنع الأساطير معوُجّ السليقة وليس له أدنى اعتبار**».

إلَّا أننا نرى أن كتب هؤلاء المحققين لا تخلو من أحاديث مأخوذة من هذين الكتابين، بل إن بعض العقائد المهمة للشيعة قد أُخذت من كتاب سليم بن قيس وأصبحت جزءً لا يتجزأ من الدين والشريعة والتاريخ!

القرآن وتنقية الأحاديث هما الحل

بعد كل ما تقدم من هذا السرد التاريخي لما تعرّض له التشيُّع من وَضْعٍ ودَسٍّ فالسؤال المهم هنا ما هو العمل؟ الجواب في قسمين:

أولًا: العودة إلى القرآن الكريم وتصحيح المنهج في التفسير.

ثانيًا: تنقية المذهب من الموضوعات في الروايات.

القسم الأول:

ـ العودة إلى القرآن الكريم

فقد كان الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام يتمسكان بالقرآن الكريم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «... **فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وماحل مصدَّق**[1]. **ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة ومن جعله خلفه ساقه إلى النّار وهو الدليل يدلُّ على خير سبيل ... فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليلٌ على المعرفة**»[2].

---

(١) شافع مشفّع أي مقبول الشفاعة، ويقال: محل به إذا سعى به إلى السلطان وهو ماحل ومحول وفي الدعاء (فلا تجعله ماحلًا مصدقًا) ولعله من هنا قيل معناه: يمحل بصاحبه أي يسعى به إذا لم يتبع ما فيه إلى الله تعالى.

(٢) الكليني، الكافي، كتاب فضل القرآن، ج ٢، حديث رقم (٢)، ص٥٩٨، ٥٩٩.

وهذا ما ذكره أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة حيث قال:

«. . . واعلَمُوا عِبَادَ اللهِ أنَّ الْمُؤْمِنَ لا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ[1] عِنْدَهُ، فَلاَ يَزَالُ زارِيًا عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيدًا لَهَا فكونُوا كالسَّابقينَ قَبْلَكُم والْمَاضِينَ أمَامَكُم قوَّضوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيض[2] الرَّاحِلِ وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ. واعْلَمُوا أنَّ هَذا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لا يُغَشُّ، وَالهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ. وَمَا جَالَسَ هذَا الْقُرْآنَ أحَدٌ إلَّا قَامَ عَنْهُ بِزيادَةٍ أو نُقْصَانٍ: زيَادَةٍ في هُدىً، أو نُقْصَانٍ في عَمىً وَاعْلَمُوا أنَّهُ لَيْسَ عَلَى أحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِن فَاقَةٍ[3]، وَلَا لأحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِن غنىً فَاسْتَشْفُوهُ مِن أدْوائِكُم واسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لأْوَائِكُمْ[4]، فإنَّ فِيهِ شِفَاءً مِن أكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ والْغَيُّ والضَّلَالُ. فاسْألُوا اللهَ بِهِ[5]، وَتَوَجَّهُوا إلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْألُوا بِهِ خَلْقَهُ إنَّهُ مَا تَوَجَّهَ العِبَادُ إلَى اللهِ بِمِثْلِهِ. وَاعْلَمُوا أنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ وَأنَّهُ مَن شَفَعَ لَهُ القُرآنُ يَوْمَ القِيامَةِ شُفِّعَ فيه[6]، وَمَن مَحَلَ بِهِ القُرْآنُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَدَقَ عَلَيْهِ، فَإنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «ألَا إنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى في حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ» فَكُونُوا مِن حَرَثَتِهِ وَأتْبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أنْفُسِكُمْ، واتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُم واسْتَغِشُّوا فِيهِ أهْوَاءَكُمْ[7] . . .»[8].

---

(١) ظنون ـ كصبور ـ الضعيف والقليل الحيلة، فيريد أن المؤمن يظن في نفسه النقص والتقصير في الطاعة.

(٢) التقويض: نزع أعمدة الخيمة وأطنابها والمراد أنهم ذهبوا بمساكنهم وطووا مُدّة الحياة كما طوى المسافر منازل سفره أي مراحله ومسافاته.

(٣) أي فقر وحاجة إلى هاد سواه يرشد إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وسائق إلى شرف المنازل وغايات المجد والرفعة.

(٤) اللأواء: الشدّة.

(٥) فاطلبوا من الله ما تحبون من سعادة الدنيا والآخرة باتّباعه وأقبلوا على الله بالرغبة في اقتفاء هديه وهو المراد من حبه، ولا تجعلوه آلة لنيل الرغبات من الخلق لأنه ما تقرّب العباد إلى الله بمثل احترامه والأخذ به كما أنزل الله.

(٦) شفاعة القرآن: نطق آياته بانطباقها على عمل العامل.

(٧) إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ واستغشوا أهواءكم أي ظنوا فيها الغش وارجعوا إلى القرآن.

(٨) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م) ط ٢، ج١٠، ص ١٦، خطبة (١٧٧).

ـ تصحيح المنهج في التفسير

وهذه هي المسألة الأهمّ التي تتحكم في اتجاه التفسير، وفي صلاحياته في التعبير عن لغة القرآن الكريم وأهدافه ولقد كان للشهيد السيد محمد الباقر الصدر جهود كثيرة في تحديد المعالم المنهجية في تفسير القرآن الكريم، تحت عنوان «الإمام الصدر في معالجة المنهج».

ومما قال سماحته (رضوان الله عليه):

«إن شوط التفسير التقليدي شوط طويل جدًا، وهذا الشوط الطويل بحاجة إلى فترة زمنية طويلة أيضًا، ولهذا لم يحظ من عُلماء الإسلام الأعلام إلَّا عدد محدود جدًا بهذا الشرف العظيم، شرف مرافقة الكتاب الكريم من بدايته إلى نهايته، ونحن نشعر بأنَّ هذه الأيام المحدودة المتبقية لا تفي بهذا الشوط الطويل، ولهذا كان من الأفضل اختيار شوط أقصر»[1].

(لقد تناول سماحته علوم التفسير دراسة ونقدًا، فحدد معالم منهجه المتكامل في التفسير، ثم فتح أفقًا على منهج جديد في تفسير القرآن الكريم، حدّد معالمه، وتقدَّم فيه خطوات في ممارسات تطبيقية في التفسير.

المنهج هو الذي يميّز بين تفسير للقرآن .. وبين كتاب يسخّر القرآن لتبرير المذهب!!

بين قرآن حي متحرّك يقود الفكر والعمل ويوجّه الحياة.. وبين قرآن طلسمي يختفي وراء الحُجُبْ!

بين قرآن عربي مبين جاء بلغة لها أصولها وآدابها، وبين قرآن رمزي غائم ليست ألفاظه إلَّا مطايا تمتطيها مقاصد باطنية مكنوزة في اللوح المحفوظ!!

بين قرآن يخاطب الإنسان العاقل، كل إنسان عاقل ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[2] وبين قرآن لا يفهمه إلَّا الصاعدون في (الإشارات) و(الفيوضات)!!

---

(١) المدرسة القرآنية: ٤٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

بين قرآن تبيّنه السُنّة بالقول الصادق والعمل الثابت... وبين قرآن تترجمه مخيّلات الخُرافيين والتائهين والساخرين!!

بين قرآن يدعو إلى نفسه ويهدي للتي هي أقوم.. وبين قرآن يدعو صراحة إلى هجر القرآن!

هكذا يُصنع المنهج من القرآن الكريم.

وحين يغيب المنهج تعمّ الفوضى!!

فهنا (فوضتان):

فوضى حين يغيب المنهج وفوضى تحت عنوان المنهج، حين يغيب الفهم المعمّق والحس القرآني الدقيق والأفق الرحب. وفي الحالين ينبغي أن لا نعدم الإخلاص، لكنّه إخلاص مذبذب بين بلاغات القرآن وأهدافه، وبين الرؤية والمذهب... أما إذا غاب الإخلاص فليس ثمة تفسير، بل هي كارثة تبرقعت بآيات القرآن!)[1].

وهكذا تراوحَ التعامل مع مصدر الفقه الأول (كتاب الله تعالى) إما بالتغييب الكامل أو بالتفسير التجزيئي المتمذهب أو النظرة الاستصحابية التي تقدّس الموروث ولا تَجْرُؤُ على نقده أو محاكمته ضمن ظروف الزمان والمكان.

وللأسف إننا وصلنا إلى مرحلة قد أشار إليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قال:

«... وإنَّهُ سَيَأتي عَلَيْكُم مِن بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الكَذِبِ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاوَتِهِ، وَلا أَنْفَقَ مِنْهُ[2] إِذَا حُرِّفَ عَن مَوَاضِعِهِ. وَلاَ في الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفُ مِنَ الْمُنكَرِ. فَقَد نَبَذَ الكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ. فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ طَرِيدَانِ[3]، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ في طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ. فالكِتَابُ وَأَهْلُهُ في ذلِكَ الزَّمَانِ في

(١) نقلاً عن كتاب «محمد باقر الصدر ـ دراسات في حياته وفكره» دار الإسلام ط ١ (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م) ص ٣٦٣ ـ صائب عبد الحميد.

(٢) أنفق منه: أروج منه.

(٣) يطردهما وينفيهما أهل الباطل وأعداء الكتاب.

النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُم وَلَيْسَا مَعَهُمْ، لأنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنِ اجْتَمَعَا. فاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرقَةِ وافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ. كَأَنَّهُم أئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إمَامَهُمْ. فَلَم يَبْقَ عِنْدَهُم مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ، وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلَّا خطَّهُ وَزَبرهُ[1]. وَمِن قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بالصَّالحينَ كُلَّ مُثْلَةٍ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُم عَلَى اللهِ فِرْيَةً[2]، وَجَعَلُوا في الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ...»[3].

نعم يا إمامي يا أمير المؤمنين، لقد أصبح الحقُ باطلًا والباطل حقًّا، الباطل المعجون بالكذب والغلوّ والخُرافة والافتراء على الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام أصبح الحق...!

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«إنكم في زمان القائلِ بالحقِ فيه قليل، واللسانُ فيهِ عن الصدقِ كليل، واللازمُ فيه للحقِ ذليل، أهَلُهُ معتكفونَ على العصيان، مصطلِحونَ على الأذهان، فتاهمُ عارمٌ وشيخُهُم آثمٌ وعالمُهُم منافِقٌ وقاربُهُم مماذق، لا يعظِّمُ صغيرُهم كبيرَهم ولا يعولُ غنيهُم فقيرَهُم»[4].

لقد وضع الغُلاة أحاديث كاذبة ومخالفة لنص القرآن ادّعوا فيها صعوبة فهم القرآن، علمًا أنَّ القرآن يقول إنَّ القرآن بيان لكافة الناس، وأن فهمه ميسَّرٌ للجميع ومهيأ لذلك، وأنه تبيان لكل شيء وهدى وموعظة، والجميع مأمورون أن يتفكروا فيه ويتدبروه، والتهاون في ذلك غير معذور.

نعم لقد فسّروا الكتاب كما يحلو لهم وأوّلوه كيفما يشاؤون وعلى أهوائهم...

نعم لقد حرّفوا الكتاب عن مواضعه وتركوا هدْي القرآن واعتمدوا على التفاسير المُتطرّفة؟؟؟ وأصبح الكتاب الكريم للوفيّات فقط! ومادة إعلانية عن المناسبات الحزينة، لقد علّموا النّاس كيفَ لا يحترمون القرآن فهم يضعونه بصوت مرتفع على

---

(١) الزبر ـ بالفتح ـ الكتب مصدر كتب.

(٢) فرية بالكسر أي كذبا.

(٣) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد، دار إحياء الكتب الإسلامية (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م) ط٢، ج٩، ص١٠٤، ١٠٥، خطبة (١٤٧).

(٤) عيون الحكم والمواعظ، ١٧٤.

مكبّرات المساجد والحُسَيْنيّات ونسوا الآية الكريمة ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[١] ومن منهم يستمع ويُنصت ... وهم مشغولون بأعمالهم أو يتحدثون في بيوتهم...؟!!

في هذا السياق يعلّق الشهيد مطَهَّري على ذلك نقلًا عن شرح« نهج البلاغة» لإبن أبي الحديد:

(يذكر التاريخ «**أنَّ الخوارج لم يكونوا يأتمّون بعليٍّ في الصلاة، لأنَّهم كانوا يقولون بكفره، وإنَّما كانوا يحضرون إلى المسجد ولا يُصلُّون خلفه، وكانوا أحيانًا يُؤْذونه. كان علي يومًا يصلِّيْ وقد ائْتمَّ به الناس. فقرأ أحد الخوارج ـ وهو ابن الكواء ـ بأعلى صوته:** ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[٢].

فما الذي فعله علي بإزاء ذلك؟ ما أن ارتفع صوت الرجل بتلاوة القرآن حتى سكت عليٌّ حتى انتهى الرجل، فاستأنف عليٌّ الصلاةَ، فعاد ابن الكواء يكرر الآية، فسكت عليٌّ ثانية»[٣]. كان علي يسكت لأنَّه حكم القرآن الذي يقول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾[٤])[٥]

إنَّ البعض قد صمّوا آذانهم عن القرآن واتخذوه مهجورًا، وصار مصداقًا لشكوى الرسول ﷺ التي جاءت في سورة الفرقان المباركة حيث ينادي ربه يوم القيامة قائلًا: ﴿...يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾[٦]، وويل لمن كان شفعاؤه خصماءه!

في ذلك يقول الشهيد مطَهَّري:

(قبل شهر تشرَّف أحد رجالنا الفضلاء بزيارة العتبات المقدَّسة، وعند رجوعه

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، لإبن أبي الحديد، مصدر سابق، ج٢، ص٣١١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

(٥) نقلًا عن كتاب «الإمام علي في قوتيه الجاذبة والدافعة» الشهيد مطهري (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م) دار الإرشاد/ بيروت، ج١، ص٣٦٠، ٣٦١.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

قال إنه تشرف بزيارة آية الله الخوئي حفظه الله، وسأله: لماذا تركْتَ تدريس التفسير الذي كنت تدرُّسه في السابق؟ (كان لآية الله الخوئي قبل عدة سنوات درس في التفسير في النجف الأشرف. وقد طبع قسم منه)، فأجاب: أن هناك موانع ومشكلات في تدريس التفسير. يقول: فقلت له: إن العلّامة الطباطبائي مستمر في دروسه التفسيرية في قمّ، فقال: إن الطباطبائي يضحِّيْ بنفسه. أي أنَّ الطباطبائي قد ضحّى بشخصيته الاجتماعية، وقد صحَّ ذلك.

إنه لعجيب أن يقضيَ امْرُؤٌ عمره في أهم جانب ديني، كتفسير القرآن، ثم يكون عرضة للكثير من المصاعب والمشاكل، في رزقه، في حياته، في شخصيته، في احترامه، وفي كل شيء آخر، ولكنه لو صرف عمره في تأليف كتب مثل «الكفاية» لنال كل شيء. تكون النتيجة أن هناك آلافًا من الذين يعرفون «الكفاية» معرفة مضاعفة، أي إنَّهم يعرفون «الكفاية» والرد عليه، ورد الرد عليه، والرد على رد الرد عليه، ولكن لا نجد شخصين اثنين يعرفان القرآن معرفة صحيحة، عندما تسأل أحدًا عن تفسير آية قرآنية، يقول لك: يجب الرجوع إلى التفاسير. والعجيب أن الجيل الذي عامل القرآن بهذه المعاملة، يأتي الآن ينحو باللائمة على الجيل الجديد لأنه لا يعرف القرآن ولا يقرؤه ولا يعمل به.

لو لم يهجر الجيل القديم القرآن وينحرف عنه لما كان الجيل الجديد على ما هو عليه من الإنحراف عن القرآن أيضًا... إن كلا الجيلين القديم والجديد قد هجرا القرآن وجفوَاه. لقد بدأ ذلك الجيل القديم. وتبعه الجيل الجديد اليوم)[1].

إن القرآن الكريم هو طريقنا وحُجّتنا إلى الله تعالى، فظاهر الكتاب هو الميزان وهو المعيار في تقويم جميع المعارف، وعلاوة على حُجّيته فإنّه مقياس تقويم الحُجج والمعارف المكتوبة أو الذهنية أو الشخصيّة.

قال العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره «الميزان»:

(وقد أُفرط في الأمر إلى حيث ذهب جمعٌ إلى عدم حُجّية ظواهر الكتاب وحُجّية مثل «**مصباح الشريعة وفقه الرضا وجامع الأخبار**»! وبلغ الإفراط إلى حيث

---

(١) من كتاب «قيادة الجيل الشاب» الشهيد المطهري، دار الإرشاد/ بيروت، ط١ (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) ص٤٦٩.

ذكر بعضهم أنَّ الحديث يفسِّر القرآن مع مخالفته لصريح دلالته، وهذا يوازن ما ذكره بعض الجمهور: «**أنَّ الخبر ينسخ الكتاب**». ولعل المتراءى من أمر الأُمّة لغيرهم من الباحثين كما ذكره بعضهم: «**أن أهل السُنّة أخذوا بالكتاب وتركوا العترة، فآل ذلك إلى ترك الكتاب لقول النبي ﷺ: «إنهما لن يفترقا». فقد تركت الأُمّة القرآن والعترة «الكتاب والسُنّة» معًا**»[1].

وكذا الشِّيعة أخذوا بالعترة وأهملوا الكتاب فآل ذلك إلى ترك العترة لقول النبي ﷺ: «**إنهما لن يفترقا**»!

لذلك انحرف الطرفان (السني والشيعي) وضلا عن الهُدى وطريق الحق «فاجتمعَ القومُ على الفرقة. وافترقوا عن الجماعة» إلّا الذين اهتدوا وعرفوا خطّ الصواب وإيمانًا في يقين بما يعتقدون!

(ففي كتاب فِرَق الشيعة للنوبختي يظهر أنَّ هناك بعض الفِرَق التي تلغي العمل بظواهر القرآن وتتجه إلى التفسير الباطني وتؤسس لفكرة الإباحية وارتكاب المحرّمات حيث «زعموا أن جميع الأشياء التي فرضها الله تعالى على عباده وسنَّها نبيه ﷺ وأمرَ بها لها ظاهر وباطن وأن جميع ما استعبد الله به العباد في الظاهر من الكتاب والسُنة أمثال مضروبة وتحتها معان هي بطونها و عليها العمل وفيها النجاة، وأنَّ ما ظهر منها ففي استعماله الهلاك والشقاء وهي جزء من العقاب الأدنى عذّب الله به قومًا إذ لم يعرفوا الحق ولم يقولوا به».

ويتجه هذا المنهج الخطير إلى تعطيل العمل بظواهر القرآن، فعندما يُقال لهم مثلًا إن القرآن يصرّح بأن قدرات النبي محدودة بما يريده الله سبحانه وتعالى، فإن احتاج الظرف إلى معجزة تحققت بقدرة الله ، وليس النبي أو الإمام مسلطًا على الكون ويديره.

وهذا صريح قوله تعالى حكاية عن النبي محمد ﷺ:

---

(١) إضاءات على فكر الفقيه المجدد المرجع السيد محمد حسين فضل الله ـ الشيخ حسن غلوم ـ المركز الإسلامي الثقافي/ حارة حريك، ص ١٩.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ...قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾[١].

وهكذا عندما يُقال لهم إنَّ النبي أو الإمام لا يعلم مطلق الغيب بل الغيب الذي علّمه الله يصرّون على العكس ويقولون إنَّ الإمام يعلم علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وما تسقط من ورقة إلَّا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، بل أن بعضهم يُصرّح بأنه لا فرقَ بين علم الله وعلم النبي أو الإمام، سوى أن علم الله ذاتي وعلم غيره مكتسب عنه.

وعندما تواجهه بقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[٢]، ﴿...وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾[٣].

فإنهم يؤولون كل هذه الآيات ويتمسكون بالروايات التي يرويها المفضّل بن عمر ومحمد بن سنان ويونس بن ظبيان وغيرهم من الغُلاة ممن لُعِنَ على لسان الأئمة عليهم السلام.

هذا بالإضافة إلى الروايات الكثيرة التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام في الإنكار على المندسين من العملاء الذين يريدون تشويه صورة أهل البيت وحملوا حملة عنيفة ضد الغُلاة الذين أرادوا تحريف مبادئ الشيعة وقيمهم)[٤].

وفي بحث للشيخ علي حسن غلوم[*] قال:

(... إنني أقدِّم في هذا البحث نموذجين من نماذج المفارقة بين مقولة إنّ كتاب الله هو المصدر الأول في الاستنباط وبين آليات الاستنباط وقواعده ونتائجه. وستتضح من خلال نقاط لاحقة عدّةُ مصاديق عملية في هذا الإطار بإذن الله تعالى.

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠ ـ ٩٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٥١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٤) نقلًا عن «حركية العقل الاجتهادي لدى فقهاء الشِّيعة الإمامية» بقلم: جعفرالشاخوري البحراني، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م) دار الملاك/ بيروت، ص١٨٤، ١٨٥.

(*) إمام جمعة وجماعة في مسجد سيد هاشم بهبهاني في الكويت، عضو هيئة أمناء مؤسسات المرجع الراحل السيد محمد حسين فضل الله، مواليد ١٩٦٥م/ الكويت.

مرجعية القرآن عند الإخباريّين

هذا هو النموذج الأول في تغييب مرجعية القرآن الكريم، حيث ذهب كثيرٌ من فقهاء هذه المدرسة إلى القول بعدم الأخذ بظواهر القرآن الكريم، إلّا بالرجوع إلى الأحاديث المرويّة عن أهل بيت النبوة عليهم السلام باعتبار أنهم هم الراسخون في العلم الذين دَفعنَا القرآن ذاتُه إلى الرجوع إليهم في فهم مُتَشَابِهَاته. وهذا يعني أنّ خبر الواحد سيكون حاكمًا على الآية القرآنية فيما لو كان الخبر موجودًا، وإلّا فإن الآية ستكون معطّلةَ الدلالة والفائدة.

ونحن لا نستطيع القول بوجود منهج استنباطي واحد عند المدرسة الإخبارية، لا سيّما فيما يخصّ الاعتماد على القرآن الكريم كمرجعية أساسية في عملية الاستنباط، فهي تبدو من حيث العنوان وكأنها تقترب كثيرًا عند بعض فقهائها من المدرسة الأصولية، وتبتعد كثيرًا في بعض الأحايين، وإن كنتُ من حيث المبدأ أرى أنّ الابتعاد عن المدرستين متحقق على مستوى متقارب من الناحية العلمية التطبيقية.

التعارض بين النص القرآني والحديث

وهذا هو النموذج الثاني في تغييب مرجعية القرآن الكريم، ولكن حديثنا هذه المرّة ضمن المدرسة الأصولية. فالأصوليون يقولون بأنَّ النصّ القرآني إذا كان يقيني الصدور والدلالة معًا، فإنَّه لا يقف في وجهه حينئذٍ نصٌّ حديثي.

إلا أنّ الكلام يقع فيما لو كانت دلالة الآية ظنّية تعتمد على الأخذ بظاهرها، فأغلب عُلماء الأصول، لا سيّما المتأخرين منهم كالشيخ حسن نجل الشهيد الثاني والمحقق الحلّي والمحقّق النراقي والآخوند الخُراساني والسيد الخوئي، يتبنّون موقفًا خلاصته أنّه إذا حصل تعارض بين نصّ قرآني عام أو مطلق وبين مخصِّص أو مقيِّد روائي، وهكذا بين الحاكم والمحكوم والأظهر والظاهر. . . فإنّ النص الروائي يقدَّم، نتيجة قانون المطلق والمقيَّد، والعام والخاص والحاكم والمحكوم. ومردّ هذا القول هو النظر إلى النصّ القرآني والروائي بمنظار الحُجّية الأصولية. فيراهما الأصولي حُجّة بنفس المستوى من الحُجّية، ومن ثم يطبّق عليهما معًا قوانين التخصيص والتقييد والحاكمية وغيرها.

وبهذا يفقد القرآن الكريم امتيازه كمرجعية أساسية في استنباط الأحكام

الشرعية، كما فقدها في مجالات المعارف الدينية الأخرى، ونكون قد قدّمنا نصوصًا ظنّية الصدور ـ أعني خبر الواحد ـ على نصوص قطعيّة الصدور، بذريعة أنّ الإسلام عذر أتباعه تلك الظنية من باب الضرورة ولفقد أساليب الإثبات.

وعملية انتقال المرجعيّة هذه تحقّقت بهدوء وتدرّج تاريخي وبفعل مقوّمات كثيرة، وغدت بالتالي المرجعية الحديثية على حساب مرجعية كتاب الله ـ بدل أن تكون في طولها ـ أي الثوابت والمقاصد ـ من أُسس الوصول إلى نظريات فقهية شمولية تُبعدنا عن حالة التفكّك أو التجزّؤ الفقهي ـ إن صحّ التعبير ـ وابتعاد الفتوى أحيانًا عن روح الإسلام. أو تفريغها من بُعدها الإنساني أو الأخلاقي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو التربوي)[1].

القسم الثاني:

تنقية المذهب من الموضوعات في الروايات

بعد العودة إلى القرآن الكريم يأتي القسم الثاني وهو لا يقل أهمّية عن القسم الأول إذ أن العقائد المغلوطة نشأت وتكرّست نتيجة لهذه الموضوعات في الروايات فما هو الحل حتى نعود إلى التشيُّع الذي كان على عهد الأئمة عليهم السلام؟

الحل يكمن بإنشاء مركز إسلامي موحّد مُجمع عليه من كل الأطراف الشِّيعيّة والمرجعيات الدينية لدراسة وتنقية كل هذه الكتب الحديثية ومناقشة كل رواية حتَّى المتفق عليها، لإعادة صياغة جديدة لكل المفاهيم والعقائد العالقة في أذهان الناس، هذا المركز يُبذل فيه الجهود والطاقات. من جميع ذوي الاختصاص والعلم، فنخرج «بصحيح من الكافي» وبصحيح «من لا يحضره الفقيه» وبتنقية جميع أمهات الكتب لدى الطائفة الشِّيعيّة، ثمَّ تكون النتيجة التي سيخرج بها هذا المركز هو ما يُمثّل التشيُّع والشِّيعة من عقائد وفقه وتاريخ وغيره، ويجب الالتزام بالنتيجة وإلَّا من لا يقبل بهذه النتائج سيكون خارج الإطار الشِّيعي والمذهب، ثم تُنْشَأُ ضابطة تضبط كل ما يصدر من فتاوى وكتب ومقالات وأشعار وخطب ومجالس عزاء وكل شاردة وواردة تخص الشِّيعة والتشيُّع.

---

(١) نقلاً عن كتاب إضاءات على فكر الفقيه المجدد المرجع السيد محمد حسين فضل الله ـ الشيخ علي حسن غلوم ـ المركز الإسلامي الثقافي/ حارة حريك ص ٢٣ ـ ٢٦.

أعرف أنَّ هذا المطلب يكاد يصْعبُ تحقيقه، لكننا نأمل ذلك لأننا إن لم نفعل ذلك فالتشيُّع ذاهبٌ إلى ما لا تُحمد عُقباه وذلك بسبب ما نعيشه من همجية وتبعية دينية وسياسية أفقدتنا القدرة على أن نفكر بمفردنا وصرنا نفكر تفكير الجماعة من أجواء انفعاليّة حماسيّة لتأييد فكرة معيّنة، أو رفض أخرى، فنستسلم لها استسلامًا لا شعوريًّا، كنتيجة طبيعية لانصهارنا بالجوّ العام وذوباننا فيه، الأمر الذي نفقد فيه استقلالنا الفكريّ وشخصيتنا المميّزة، ونصبح ظلًا باهتًا للجماعة التي يقودها الزعيم الديني الفلاني والزعيم السياسي الفلاني.

لا يمكن إصلاح الواقع السياسي للأمة الإسلامية إلا بالرجوع إلى مَنْشأ الأسباب وهو الموروث الروائي والذي يجب تنقيته عند السُّنّة والشِّيعة.

في كلمة للشهيد محمد باقر الصدر يقول فيها:

«إن الإمام عليًا عليه السلام كان يعمل على تحويل الناس من همج رعاع إلى متعلم على سبيل نجاة، وكان معاوية يعمل على تحويل الناس من متعلّم على سبيل نجاة إلى همج رعاع».

وسؤالنا هل نحنُ نعيش عصر علي عليه السلام أم عصر معاوية...؟!

وما هو العُذر غدًا وماذا سنجيب؟ هل سنجيب كما أجاب القرآن ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾[1] نعم كنا نخوض مع الخائضين هذا هو حالنا؟!! هذا العالِم وذاك، وهذا الزعيم وذاك، وهذا الحزب وذاك، ولكن النتيجة؟؟

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۟ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾[2] أم أنه ما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[3]. ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾[4].

(١) سورة المدثر، الآيات: ٤٢ ـ ٤٥.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.
(٤) سورة الصافات، الآية: ٧٠.

في هذا يقول السيد محمد حسين فضل الله:

«لذلك فهم يقررون قبل أن يسمعوا الداعي، وقبل أن يفكروا وقبل أن يدخلوا في حوار، إنهم يقررون أن لا يستجيبوا إلى الداعي لأنهم يعرفون أنَّ الاستجابة لهذا الداعي يفرض عليهم أن يغيّروا طريقة تفكيرهم وأن يغيّروا أوضاع حياتهم وأن يغيّروا طبيعة علاقاتهم، أن ينتقلوا من عالمٍ إلى عالم، والإنسان بحسب عادته يألف الوضع الذي هو فيه ويشعر بالغربة عندما ينتقل من وضعٍ إلى وضع، بحيثُ يحتاج إلى جهادٍ نفسيٍّ كبير عندما يحاول أن يُقنع نفسه أن يغيّر نمط حياته أو طريقة تفكيره أو قناعاته أو دينه أو مذهبه لأن الإنسان يعتاد ما ألفه حتى يستوحش عندما يفارقه. . . .»[١].

أم أنه هوى النفس؟! ﴿أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[٢] ولكن ما النتيجة؟

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[٣]؟!!

---

(١) من محاضرة لسماحته في مسجد بئر العبد عام ١٩٩٤م، نقلاً عن قناة الإيمان الفضائية بتاريخ ٢٤/ ٣/ ٢٠١٢م.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

خُلاصة الكتاب

من معالم الفكر الإسلامي أنه فكر وسطي الوجهة والنزعة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1] تتجلى فيه الرؤية المتزنة المعتدلة المتكاملة للناس والحياة بعيدًا عن الغُلوّ والتقصير. ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾[2].

الوسطية التي ننشدها هي نبذ الإفراط بالأشياء. والإعتدال في حب أهل البيت عليهم السلام يقع خارج دائرة الغُلوّ والبغض بين طرفي الإفراط في حبهم والتفريط في ذلك.

وقد حرِصَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام على تأكيد الوسطية والاعتدال ونبذ التطرُّف والمُغالاة.

لقد أسهمت ظاهرة الغُلوّ في تفتيت أواصر بنية الأمّة الإسلامية أولًا والسعي لإسقاط مذهب أهل البيت عليهم السلام ثانيًا وكانت هذه الظاهرة عائقًا أمام كل محاولات التقريّب والتفاهم بين طرفي المُسلمين، بيدَ أنَّ تستُّر الغُلاة خلف المذهب الشِّيعي لا يستلزم إتهام هذا المذهب بالغلوّ، كما أنَّ إحتماء بعض المتشددين وراء أهل السُّنّة والجماعة لا يوجب اتهامهم بتهمة الكره والعداء لأهل البيت عليهم السلام.

إلّا أنَّ المؤسف حقًا وفي أجواء السجالات والانفعالات يقوم البعض في كِلاَ الفريقين بالانسياق وراء الاتجاهين السلبيين لتأييد رأيه وإفحام خصمه، لأننا وللأسف نحنُ أمة لا نجيد لغة الاختلاف، ولا لغة الإتفاق، بل لغة الخصام!!

ومن هنا لا بد لكِلاَ الفريقين السعي الجاد لتهذيب التراث والرصيد الثقافي والفكري مما دُسَّ من أفكار الغُلاة والمتعصبين وبلورة الوعي الإسلامي المُشترك للوقوف بوجه تلك الدعوات المنحرفة وغربلة موروثاتنا الفكرية بين الأصيل والدخيل وتحديد مفاهيم الغُلو ضمن أُطر معلومة الآفاق ومحدودة المعالم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦١ ـ ١٦٢.

ولا بد من التمييز الواعي بين الحُبّ والغُلوّ وعدم تحميل أي فريق تبعات وتداعيات انحرافات الغُلاة والمتشددين.

ومع الأسف الشديد إنَّ الوسطية معدومة بين طوائف المُسلمين في أكثر المجالات ومعظمها! بل قد تكون الحالة السائدة هي التشدُّد وعدم تحمل الرأي الآخر، بل وفي داخل الطائفة الواحدة، ويحصل من التشنجات والاتهامات ما لا يُحمد عُقباه ويتحوّل النقاش العلمي إلى مهاترات وإسقاطات أقرب ما تكون إلى الجهل وعدم الورع والتقوى، إذ لا إشكال في حب أهل البيت عليهم السلام وموالاتهم، بل هو محل إجماع عند السُنّة والشِّيعة جميعًا، لكن الإشكال هو في الانحراف بهذه المحبّة كشعور نبيل إلى منهج من الغُلوّ لا يُرضي الله ورسوله ﷺ فإن الغُلوّ في الدين جرَّ النصّارى من التوحيّد إلى التثليّث ومن القول برسالة المسيح إلى القول بألوهيته، وجرَّ الغُلاة في أهل البيت عليهم السلام من القول بإمامتهم وكونهم قدوة وأُسوة إلى ما يشبه الأنداد للّه من ناحية الولاية على الأمور والقدرة! وأنّهم خُلقوا قبل البشر! وأنَّ آدم توسل بهم! وأنَّ أسماءهم محفورة على اللوح! وأنَّ عليًّا عليه السلام أفضل من الأنبياء! وأنَّهم يَرزِقون وأنهم يشفون! وأنّهم يُحاسبون الناس يوم القيامة! وأنَّهم عليهم السلام ليسوا بشرًا كباقي البشر من جهة أنهم خُلقوا من طينة تختلف عن طينة باقي البشر! وأنَّ الدعاء لا يُستجاب إلَّا عبرهم! وأنَّ محمدًا وعليًّا يكفيان وأنهما ناصران! وأنَّ الكونَ خُلِقَ لهم! وأخذَ الغُلاة بتفسير مُعظم آيات القرآن على أنّها نزلت فيهم أو تأويلها إليّهم. . . وغيره مما يُعتبر عند ـ بعض ـ رجال الدين أنّه لا يدخل ضمن دائرة الغُلوّ. .؟! وإذا كان كلُّ ما تقدّم ليس غلوًا فما هو الغُلوّ. .؟!!

هذا الكتاب هو صرخة للجميع وخاصة لأصحاب المواقع الدينية للفت نظر هؤلاء إلى ضرورة الخروج من هذا النفق المظلم والانتباه جيدًا والحذر من الصراعات المذهبية والغلوّ والتكفير! يجب أن نتعالى على الجراحات خدمة للإسلام والمُسلمين ونسعى إلى الوحدة الإسلامية التي يدعونا إليها القرآن الكريم وديننا الحنيف. . صرختنا في هذا الاتجاه!!

يقول الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

«العصبيةُ التي يأثم عليها صاحبُها، أن يرى الرجلُ شِرارَ قَومِهِ خيرًا من خيارِ

قومٍ آخرين، وليسَ من العصبيةِ أن يُحبَّ الرجلُ قومَهُ، ولكنَّ من العَصَبيّةِ أن يُعينَ قومَهُ على الظلمِ»[1].

إن كل منصف حين يعود إلى القرآن الكريم والفكر السديد لأهل البيت عليهم السلام سيكتشف أنَّ كل هذه الصراعات دخيلة وأنَّ كل العناوين والأُطر التي شكّلت مناخًا للصراع وللقتال هي أُطر ومناخات تولّدت بسبب العصبيات السياسية وليس لها علاقة بأصل الدين والفكر الإسلامي السليم.

وهذا بالضبط ما أشارَ إليه سماحة السيد موسى الصدر (أعاده الله) في سلسلة «محاضرات في العقيدة» حيث يقول:

«. . . نجد أنَّ الأديان واحدة وهي بخلاف المذاهب «المذهب هو الطريق أو سلوك معيّن لأفراد معينين» فالشِّيعة والسُنّة ليسا دينان بل هما مذهبان لدين واحد فرّقت بينهما السياسة من أموية متحمّسة للتسنن إلى صفوية متحمّسة للتشيُّع، وهذا الاختلاف الذي وُجد نتيجة السياسة كان يجب أن يظل بعيدًا، لأن التشيُّع والتسنّن هما من نبع واحد، ونبي واحد، وكتاب واحد، وما الاختلاف بينهما إلَّا أنَّ التشيُّع هو سلوك ونظرة خاصة لنضال القادة في الإسلام.

وكذلك يمكن التحدُّث عن الأديان جميعًا هي واحدة، إلهُها واحد، نبعها واحد، ولكن دخول بعض التفسيرات والتعديلات والسلوك المعيّن جعلها تظهر وكأنها أديان مختلفة متباعدة.

الأصول في الأديان كلها هي: التوحيد ـ النبوة ـ المعاد. أما ما أُدخل فهو اجتهادات وتصوّرات معينة لدى أشخاص أو أتباع هذه الأديان»[2].

وإذا كان جوهر الخلاف بين السُّنّة والشِّيعة هو الإمامة، فقد ذكر علمائنا أنها ليست من ضروريات الدين، ومن هؤلاء العلماء الإمام الخميني (قده) الذي قال في ذلك:

«إن الإمامة بالمعنى الذي عند الإمامية ليست من ضروريات الدين، فإنها عبارة

(١) أصول الكافي، الكليني، ج٢، ص٣٠٨، حديث: ٧.

(٢) مسيرة الإمام السيد موسى الصدر ـ محاضرات في العقيدة ـ إعداد وتوثيق: يعقوب ضاهر ج ١١ ص٦٧ ـ ٦٨.

عن أمور واضحة بديهية عند جميع طبقات المسلمين، ولعلَّ الضرورة عند كثير على خلافها، فضلًا عن كونها ضرورة، نعم هي من أصول المذهب ومنكرها خارجًا عنه لا عن الإسلام»[1].

ويقول السيد الخوئي:

«الضروري من الولاية، إنما هي الولاية بالحب والولاء والمودة، وأهل الخلاف غير منكرين لها، بل يظهرون الحب لأهل البيت عليهم السلام، وأما الولاية بمعنى الخلافة فهي ليست بضروريةٍ بوجهٍ، وإنما هي مسألة نظرية. وقد فسّروها بمعنى الحب والولاء ولو تقليدًا.

وقد أسلفنا أن إنكار الضروري، إنما يستتبع الكفر، إذا كان مما ثبت ، وهذا ما لم يتحقق في حق أهل الخلاف لعدم ثبوت الخلافة عندهم بالضرورة لأهل البيت عليهم السلام.

نعم الولاية بمعنى الخلافة من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين»[2].

من هنا ومن هذه النقطة ومن هذا الكتاب أدعو كلا الطرفين (السُّنّة والشِّيعة) لإعادة النظر في كل هذا التراث الفكري والتمحيّص بشكل جدي في كل ما يقرأونه ويسمعونه ليميّزوا بين الحق والباطل والخير والشر، ولا يقبلوا بأن يُزرع الفكر في عقولهم لأنَّ الثقافة ليست أن تملأ عقلك بل أن تفتح ذلك العقل! ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[3].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[4]

---

(١) كتاب الطهارة، الإمام الخميني، ج٣، ص٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥.
(٢) التنقيح في شرح العروة الوثقى، السيد الخوئي، ج٣، ص٨٦.
(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.
(٤) سورة العصر.

المحتويات

المقدمة ٥

الفصل الأول

الغلوّ في أهل البيت ﷩ ١٩

فضائل أهل البيت ﷩ ١٩

فضائل علي بن أبي طالب ﵇ ١٩

فضائل السيدة فاطمة ﵍ ٢٣

فضائل الحسن والحُسَيْن ﵉ ٢٦

المهدي من أهل البيت ﵇ ٢٦

حب أهل البيت ﷩ بين الاعتدال والْغُلُوّ ٣٠

معنى الْغُلُوّ ٣٠

ظروف نشأة ظاهرة الغلوّ ٣١

أسباب نشوء الغلوّ ٣٤

أشكال الْغُلُوّ ٣٦

التفويض ٣٦

الأئمّة يبرؤون من المفوّضة والغُلاة ٣٧

المفوّضة يقولون إن اللّٰه سبحانه وتعالى فوّض أمر الرزق إلى حججه ٤٣

الغُلاة كفّار والمفوّضة مشركون ٦٢

بشرية الأنبياء ٦٣

هل الأئمة يعلمون الغيب؟ ٦٥

الإمام المهدي يتبرأ من المغالين الذين يقولون أن الأئمّة يعلمون الغيب ويرْزِقونْ: .٦٦

أقوال عُلماء الإمامية في أنَّ الأئمّة لا يعلمون علم الغيب ٦٩

مقولات الغُلاة وفِرقهم القديمة والمعاصرة ٧٠

فِرَق الغُلاة المعاصرة ٧٢

الشيخيَّة ٧٣

البابيّة ٧٦

البهائية ٧٨

دوافع وأهداف هذه الفِرَق ٨٠
موقف أهل البيت عليهم السلام من الغُلاة ٨٢
بُغض أهل البيت عليهم السلام ٨٣
آثار بغضهم ٨٣
الاعتدال في محبّة أهل البيت عليهم السلام ٨٣
ذكرُ اللهِ عزَّ وجلَّ ٩٠
أول درجة في الغُلوّ نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله ٩٥
التطور العقائدي فتح الباب أمام الوضّاعين والمغالين ٩٩
العقائد المُختلف عليها بين عُلماء الإمامية ١٠٦
١ ـ الكلام أن الأئمّة كُلَّهم ماتوا قتلًا أو سُمًّا ١٠٦
٢ ـ الرجعة ليست من ضروريات المذهب ١٠٧
٣ ـ الشيخ الصدوق والشيخ المفيد وإنكارهما علم الغيب للأئمة عليهم السلام ١٠٨
٤ ـ الشيخ المفيد ينكر أن يكون الأئمّة أشباحًا قديمة كما يدّعي بعض الشِّيعة ١٠٩
٥ ـ بدء عصمة الأئمّة عند الصدوق والمفيد ١٠٩
٦ ـ الشهادة الثالثة في الآذان ١١٠
الأسباب التي ساهمت في تسلل الغُلوّ ١١٢
أولاً: النصوص الموضوعة ١١٢
١ ـ التسامح في أدلة السنن ١١٦
٢ ـ حديث «قولوا فينا ما شئتم ونزهوّنا عن الإلوهية» ١٢٦
ثانياً: التفسير الباطني ١٣٠
كيفية معرفة صحة الروايات؟ ١٣٢
تطور العقيدة الإمامية والاختلاف في العقائد ١٣٤

الفصل الثاني

نقد كتاب مفاتيح الجنان ١٤٣
مقدّمة ١٤٣
الشهيد السيد محمد باقر الصدر دعا إلى تنقية كتاب مفاتيح الجنان ١٤٦
رأي السيد محمد حسين فضل الله في كتاب مفاتيح الجنان ١٤٦
رأي السيد محسن الأمين في أكثر كتب الأدعية ١٤٧

بعض الأدعية والزيارات «الموضوعة» في كتاب مفاتيح الجنان ١٤٩
الأولى: زيارة النبي ﷺ من البعد ١٤٩
الثانية: ما ورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ١٥٠
هل الأنبياء والأولياء يسمعون ويعلمون ما يجري لاتباعهم بعد موتهم؟ ١٥٣
من كلام الإمام علي عليه السلام عن حال الأموات ومفارقهم الدنيا وانقطاع صلتهم بالأحياء ١٦٥
الثالثة: الزيارة الجامعة الكبيرة ١٧٣
الرابعة: زيارة آل ياسين ١٨١
الخامسة: أعمال شهر رجب ١٨٢
السادسة: أعمال يوم الجمعة ١٨٤
السابعة: دعاء كل يوم من أيام رجب ١٨٥
الثامنة: في أعمال نهار الجمعة ١٨٧
التاسعة: فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ١٨٩
العاشرة: ضمن أعمال يوم الجمعة ١٩٠
الحادية عشر: يوم النصف من شهر رمضان ١٩٢
الثانية عشر: أعمال شهر ربيع الأول ١٩٢
الثالثة عشر: أعمال النوروز، وأعمال الأشهر الرومية وعامة الشهور ١٩٤
الرابعة عشر: دعاء العديلة ١٩٩
الخامسة عشر: الزيارة المطلقة للأمير عليه السلام ٢٠٠
السادسة عشر: أعمال جامع الكوفة ٢٠٣
الثامنة عشر: زيارة النصف من شعبان ٢٠٩
التاسعة عشر: الزيارة المطلقة للأمير عليه السلام ٢١١
العشرون: في فضل زيارة إمام الإنس والجن المدفون بأرض الغربة ٢١٣
الواحد والعشرون: دعاء الفرج للحجة (عج) ٢١٤
الثاني والعشرون: أعمال شهر رجب ٢٢٥
الثالث والعشرون: دعاء التوسل ٢٢٦
الأول: التوسل المشروع ٢٣٣
الثاني: التوسل غير المشروع ٢٣٤
الخلاصة: ٢٥١
الرابع والعشرون: آداب الزيارة ٢٥٧

الخامس والعشرون: زيارة وارث ٢٦٨
السادس والعشرون: زيارة ليلة المبعث ويومه ٢٦٩
السابع والعشرون: دعاء المجير/ الحُبي ٢٧١
الثامن والعشرون: دعاء الندبة ٢٧٥
التاسع والعشرون: زيارة صاحب الزمان ودعاء العهد ٢٨٨
الثلاثون: في أعمال شهر صفر ٢٨٩
الواحد والثلاثون: دعاء السمات/ الناحية المُقدّسة ٢٨٩
قصص غريبة عجيبة؟! ٢٩٣
١ ـ أعمال شهر شعبان ٢٩٣
٢ ـ أعمال دكة القضاء وبيت الطست ٢٩٣
٣ ـ آداب الزيارة ٢٩٤
٤ ـ فضل زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ٢٩٤
دور السلاطين بإبعاد الناس عن حقائق الدين ٢٩٥

الفصل الثالث

صحة زيارة عاشوراء ٢٩٩
هل زيارة عاشوراء من العقيدة؟ ٢٩٩
أقسام الزيارات ليوم عاشوراء ٣٠٠
السند الأول ٣٠٣
السند الثاني ٣٠٣
دراسة السند الأول ٣٠٣
١ ـ حكيم بن داود بن حكيم. ثقة ٣٠٣
٢ ـ محمد بن موسى الهمداني ـ ضعيف ٣٠٣
ترجمته ٣٠٣
الهمداني والسمّان واحد ٣٠٤
رأي الشيخ الصدوق وابن الوليد في الهمداني ٣٠٤
رأي ابن داود ٣٠٤
رأي العلّامة الحلّي ٣٠٥
العلماء يضعفّون الهمداني ٣٠٦

الهمداني من الوضَّاعين ٣٠٧
الهمداني من الغُلاة ٣٠٨
٣ ـ الطيالسي ٣٠٨
دراسة السند الثاني ٣١٠
صالح بن عُقْبَة ٣١٠
مالك الجهَني ٣١٢
٢ ـ سند الزيارة في مصباح المتهجّد الكبير ٣١٣
السند الأول: للشيخ الطوسي ٣١٣
دراسة السند ٣١٣
السند الثاني: للشيخ الطوسي ٣١٤
السند الثالث: للشيخ الطوسي ٣١٤
الطيالسي ٣١٥
السيرة العقلائية دليل على خبر الثقة ٣١٥
السيرة العقلائية تشجب العمل بالخبر الضعيف ٣١٥
خلاصة الدراسة ٣١٦
رأي القدماء في صحة السند وضعفه ٣١٦
رأي الشيخ المفيد والسيد المرتضى في خبر الواحد ٣١٧
رأي الشيخ الطوسي في خبر الثقة ٣١٨
موقف الطوسي من الأخبار الضعيفة ٣١٩
الصورة الجديدة ٣٢٠
التزوير التاريخي في زيارة عاشوراء ٣٢٢
بحث في متن زيارة عاشوراء ٣٢٥
أولاً: أخلاق النبي والأئمة عليهم السلام وثقافة السَّبّ واللعن ٣٢٥
١ ـ الفُحش ٣٢٥
٢ ـ السَّبّ ٣٢٦
٣ ـ اللَعن ٣٢٦
ثانيًا: النشأة التاريخية للسَّبّ واللعن ٣٤١
ثالثًا: زواج أم كلثوم من عُمَر ٣٥٢

رابعًا: الأئمّة سمّوا أبناءهم بأسماء الصحابة ٣٥٥
الأول: ممن كنيته أبو بكر ٣٥٥
الثاني: ممن اسمه عمر ٣٥٦
الثالث: ممن اسمه عثمان ٣٥٦
الرابع: ممن اسمهن عائشة ٣٥٧
خامسًا: أسلوب التعامل مع الكافر (المخالف) ٣٦٠
سادساً: من حكم أمير المؤمنين «أحصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك» ٣٦٥
سابعاً: أين ابتدأ ما يسمّى البراءة من مخالفي أهل البيت ٣٦٧
كل من يناقش علمياً ومنطقياً زيارة عاشوراء وغيرها يحكم بالضلال ٣٧٢
دور العلماء في حفظ مذهب أهل البيت عليهم السلام ٣٧٣
الخلاصة ٣٧٨

الفصل الرابع

حديث الكساء (الموضوع) ٣٨٣
توضيح ٣٨٣
مقدّمة ٣٨٣
السند تاريخيًا ٣٨٤
موقف الشيخ عباس القمّي من حديث الكساء (الموضوع) ٣٨٤
التزوير في كتاب مفاتيح الجنان ٣٨٥
تطوّر التحريف ٣٨٧
قواعد الإمام الرضا عليه السلام في معرفة فضائل أهل البيت عليهم السلام ٣٩٢
بعض المراجع والعلماء والمحققين الذين يرفضون هذا الحديث الموضوع ٣٩٤
آية الله حجّة الإسلام محمد محمدي الريشهري ٣٩٤
آية الله العظمى الشيخ صالحي نجف أبادي ٣٩٦
آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم الطباطبائي ٣٩٦
آية الله العظمى الإمام الشيخ محمد الخالصي ٣٩٧
المحقق السيد مرتضى العسكري ٣٩٧
رأي العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله في هذا الحديث ٣٩٨
السيد مصطفى الطباطبائي: التزوير في حديث الكساء ٣٩٨

السيد محمد حسن الكشميري: حديث الكساء لا مصدر له بهذه الصورة ٤٠١
علّة الخلق ٤٠١
الشيخ ياسر عودي: فقرات هذا الحديث تخالف القرآن ٤٠٧
خُلاصة البحث ٤٠٨

الفصل الخامس

النبوة والإمامة ٤١٣
هل الإمامة تتقدّم على النبوة؟ ٤١٣
أولاً: هل نيل الإمامة يكون بالتفضّل أم بالاستحقاق؟ ٤١٣
ثانياً: هل إمامة ابراهيم عليه السلام في الآية كانت بالاستحقاق أم بالتفضّل؟ ٤١٤
تعريف الإمامة ٤١٦
ملاحظات أخرى ٤١٧
نخلص إلى ٤١٧
هل الأئمّة أفضل من الأنبياء؟ ٤١٨
ميثاق الله الغليظ ٤٢٣
الإمام الرضا عليه السلام يصرّح أن النبي أفضل من الوصي ٤٢٥
خلاصة البحث ٤٢٦

الفصل السادس

الولاية التكوينية ٤٢٧
تمهيد ٤٢٩
القسم الأول: الولاية ٤٣٠
القسم الثاني: أدلة الولاية التكوينية ٤٣١
القسم الثالث: مناقشة أدلة الولاية التكوينية ومعانيها ٤٣٣
الرد على المعنى الثالث ٤٣٤
مناقشة الأدلة الروائية ٤٣٨
القرآن ينفي الولاية التكوينية ٤٤٠
الخاتمة ٤٤٤

الفصل السابع

روايات موضوعة فعقائد مغلوطة ٤٤٧
الدس والكذب في روايات أهل البيت عليهم السلام ٤٤٧
تاريخ المؤلفين في الحديث ٤٤٩
تنقية التراث المروي ٤٥٣
تنقية أحاديث الشِّيعة ٤٥٧
دوافع جعل الحديث ٤٥٨
نقد أحاديث الشِّيعة ٤٦٤
أولاً: «الشيخ الكُليني»: أصول الكافي ٤٦٤
ثانيًا: «الشيخ الصدوق» ٥٠١
الأول: من لا يحضره الفقيه ٤٦٤
الثاني: كتاب الخصال ٥٠٤
الثالث: كتاب الأمالي ٥٠٥
الرابع ـ «معاني الأخبار» ٥١٠
الخامس ـ «كمال الدين وتمام النعمة» ٥١٢
السادس ـ «ثواب الأعمال وعقاب الأعمال» ٥١٣
السابع ـ «علل الشرائع»: ٥١٣
الثامن ـ «صفات الشِّيعة»: ٥١٤
التاسع ـ «عيون أخبار الرضا» ٥١٥
رابعًا: «الشيخ محمد بن حسن الحُرّ العاملي»: وسائل الشِّيعة ٥٣٧
أمثلة من الروايات في كتب مختلفة ٥٤١
مرويات الشيخ رجب البرسي ٥٥٣
حديث الفرقة الناجية ٥٦٠
نماذج من التفسير الروائي ٥٧٦
الخُلاصة ٥٨٥
آراء عُلماء الإمامية في كُتُب الشِّيعة الحديثية ٥٨٦
تصنيف الشِّيعة لعلم الحديث ٥٩١
علماء الإمامية يناقشون منهاج بعضهم بعضًا ٥٩٣

المنهج في دراسة العقيدة ٥٩٥
الدولة الصفوية وأثرها في الشِّيعة والتشيُّع ٥٩٦
آثار هذه الصراعات في الجانب العقائدي والفقهي ٦٠٣
الجانب العقائدي ٦٠٣
إباحة اللعن من (الصفويين) والتكفير المضاد من (العثمانيين) ٦٠٣
الجانب الفقهي ٦٠٧
فتح باب الاجتهاد والتقليد ٦٠٧
الحركة الاخبارية والحركة الأصولية ٦٠٧
الفروقات بين الاخباريين والأصوليين ٦١٠
شريعتي في آراء المفكرين ورجال الدين ٦١٤
١ ـ الإمام السيِّد موسى الصدر ٦١٤
٢ ـ الإمام الخميني (قُدِّسَ سرُّه) ٦١٧
٣ ـ السيّد أحمد الخميني ٦١٧
٤ ـ الإمام السيّد علي الخامنئي ٦١٧
٥ ـ السيد محمود دعائي ٦١٨
٦ ـ الدكتور الشهيد مصطفى شمران ٦٢١
التشيُّع قبل العهد الصفوي وبعده ٦٢٢
التشيُّع العلوي والتشيُّع الصفوي ٦٢٥
الأسس الاعتقادية للمذهبين ٦٣٣
١ ـ العترة ٦٣٤
٢ ـ العصمة ٦٣٦
٣ ـ الوصاية ٦٣٨
٤ ـ الولاية ٦٣٩
٥ ـ الإمامة ٦٣٩
٦ ـ العدل ٦٤٠
٧ ـ التقية ٦٤٠
٨ ـ السُّنّة ونبذ البدعة ٦٤١
٩ ـ الغَيْبَةُ ٦٤٣
١٠ ـ الشّفاعة ٦٤٧

١١ ـ الاجتهاد ٦٥٤
١٢ ـ الدعاء ٦٥٧
١٣ ـ التقليد ٦٥٨
تحول نوعي آخر ٦٦٤
إلغاء التشيُّع بواسطة التشيُّع! ٦٦٦
الشعائر الحُسينية والتحرّيفات لواقعة كربلاء ٦٧٣
دراسة التاريخ الشِّيعي العقائدي ٦٨٦
هل الناس تُقلِّد المراجع أم العكس؟ ٦٩١
هل نحنُ شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام حقًا؟ ٦٩٦
كتابا سليم بن قيس وتفسير العسكري ٧٠٢
القرآن وتنقية الأحاديث هما الحل ٧٠٤
أولاً: العودة إلى القرآن الكريم ٧٠٤
ـ تصحيح المنهج في التفسير ٧٠٦
مرجعية القرآن عند الإخباريّين ٧١٣
التعارض بين النص القرآني والحديث ٧١٣
ثانياً: تنقية المذهب من الموضوعات في الأحاديث ٧١٤
خُلاصة الكتاب ٧١٧

المنهج في دراسة العقيدة ٥٩٥
الدولة الصفوية وأثرها في الشِّيعة والتشيُّع ٥٩٦
آثار هذه الصراعات في الجانب العقائدي والفقهي ٦٠٣
الجانب العقائدي ٦٠٣
إباحة اللعن من (الصفويين) والتكفير المضاد من (العثمانيين) ٦٠٣
الجانب الفقهي ٦٠٧
فتح باب الاجتهاد والتقليد ٦٠٧
الحركة الاخبارية والحركة الأصولية ٦٠٧
الفروقات بين الاخباريين والأصوليين ٦١٠
شريعتي في آراء المفكرين ورجال الدين ٦١٤
١ ـ الإمام السيِّد موسى الصدر ٦١٤
٢ ـ الإمام الخميني (قُدِّسَ سرُّه) ٦١٧
٣ ـ السيّد أحمد الخميني ٦١٧
٤ ـ الإمام السيّد علي الخامنئي ٦١٧
٥ ـ السيد محمود دعائي ٦١٨
٦ ـ الدكتور الشهيد مصطفى شمران ٦٢١
التشيُّع قبل العهد الصفوي وبعده ٦٢٢
التشيُّع العلوي والتشيُّع الصفوي ٦٢٥
الأسس الاعتقادية للمذهبين ٦٣٣
١ ـ العترة ٦٣٤
٢ ـ العصمة ٦٣٦
٣ ـ الوصاية ٦٣٨
٤ ـ الولاية ٦٣٩
٥ ـ الإمامة ٦٣٩
٦ ـ العدل ٦٤٠
٧ ـ التقية ٦٤٠
٨ ـ السُّنّة ونبذ البدعة ٦٤١
٩ ـ الغَيْبَةُ ٦٤٣
١٠ ـ الشّفاعة ٦٤٧

١١ ـ الاجتهاد ٦٥٤

١٢ ـ الدعاء ٦٥٧

١٣ ـ التقليد ٦٥٨

تحول نوعي آخر ٦٦٤

إلغاء التشيُّع بواسطة التشيُّع! ٦٦٦

الشعائر الحُسينية والتحرّيفات لواقعة كربلاء ٦٧٣

دراسة التاريخ الشِّيعي العقائدي ٦٨٦

هل الناس تُقلِّد المراجع أم العكس؟ ٦٩١

هل نحنُ شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام حقًا؟ ٦٩٦

كتابا سليم بن قيس وتفسير العسكري ٧٠٢

القرآن وتنقية الأحاديث هما الحل ٧٠٤

أولاً: العودة إلى القرآن الكريم ٧٠٤

ـ تصحيح المنهج في التفسير ٧٠٦

مرجعية القرآن عند الإخباريّين ٧١٣

التعارض بين النص القرآني والحديث ٧١٣

ثانياً: تنقية المذهب من الموضوعات في الأحاديث ٧١٤

خُلاصة الكتاب ٧١٧